

كتاب

في

الآثار

في

الآثار

في

0159323



Bibliotheca Alexandrina









زَهْرُ الْأَدَبِ



# زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وثمر الألباب

يُحْيِيهِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَصْرِيُّ، الْقَيْرَوَانِيُّ، التَّوْفَى فِي عَامِ ٤٥٣ هـ مِنَ الْهَجْرَةِ

---

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكي مبارك

---

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه

محمد عبي الدين عبد الحميد

---

الجزء الأول

دار الجيل

طبع في دار الجيل - بيروت

مطبوعات - لبنان

ص. ٨٧٢٧

الطبعة الرابعة

## مقدمة الناشر

أحياء التراث العربي، بتحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً وضبطه وشرحه ما غرض من معانيه ومراجعة نصوصه الأصلية؛ مهمة جليلة ومسؤولية بالغة تصدى لها العديد من أكفأ وأخلص رجالات الأدب في عصرنا الحاضر، وفي طليعتهم الدكتور زكي مبارك .

.. إن تحقيق هذه الروائع الأدبية وشرحها رسالة سامية ... وكذلك نشرها وتقديمها إلى القارئ العربي بالصورة اللائقة؛ رسالة يتصدى لملها الناشر الواعي لأهمية تراثنا العربي المقدّر لقيمته، الحريص على إغناء الثقافة العربية، والباذل لكل جهد مهما عظم في سبيل تقديم روائع القديم في أبهى وأحدث حلة تبويباً وإخراجاً وطباعة .

بين روائع التراث العربي يتألق كتاب « زهر الآداب » وثمر الألباب » كالندرة النادرة ، وقد زاد من قيمته جهد لا يقارن به جهد بذله الأديب العملاق، الدكتور زكي مبارك في تحقيقه وضبطه وشرحه نصوصه .

كتاب « جمع كل غريبة » . بل خزانة من خزائن الأدب العربي عامرة بأخبار الأدب والأدباء ، حافلة بالوان البلاغة والشعر والانشاء ويكل ما يصور بصدق العصر الذي عاش فيه مؤلفه أبو اسحاق ابراهيم بن علي المحصري القيرواني في القرن الخامس الهجري ، ويبين بوضوح الماديات الاجتماعية التي كانت عموده في عصره ؛ حتى أن دارس الآداب المهتم بذلك العصر ليكتفي بدراسة هذا الكتاب كمرجع رئيسي شامل .

لذلك المصير من حياة الأدب طابع خاص ، أظهر سماته إجادة الوصف ؛ وصف ما تقع عليه العين من مرئيات أو ما يجري في الخاطر من أفكار ، بل ووصف أهواء النفس ونزعاتها الوجدانية ، وصفاً مفصلاً مقصوداً ، حتى أصبح المصير غنياً إلى درجة مميزة بالتمايز الرائعة الناضجة في معظم أبواب الوصف . . يرافقها تنظيم كامل للأفكار ، مما يعوّد القارئ تذوق الأسلوب البديع ويحبب إليه النثر الجيد وأصوله الفنية .

إننا إذا قمنا أعمال أدباء ذلك العصر بالمقاييس المصرية لانطبق عليها مفهوم النظرية الحديثة « الفن للفن » . . فقد عرفوا اللغة معرفة جيدة حتى وقفوا على أسرارها وطرائق تمييزها ، فجمعوا شتاتها لتصبح طوع أفكارهم وأقلامهم في نتاج منسّق متكامل .

وان دار الجميل التي تعتر بما قدمت من كتب التراث.. كتاب « العمدة » لابن رشيق تحقيق الأستاذ محيي الدين عبد الحميد ، ليزيدها اعتراضاً أن تقدم تباعاً مجموعة أعمال الدكتور زكي مبارك : النثر القفي ، الموازنة بين الشعراء ، التصوف الاسلامي ، المذاهب النبوية ، الاخلاق عند الفزالي . . ودرة هذه الأعمال هذا الكتاب الذي تقدمه الدار اليوم : زهر الآداب . . إنه دائرة معارف أدبية ، لا غنى للقارئ الأديب الباحث عن المعرفة والمتطلع الى التزيد من بحور الفنون الأدبية ، عن اقتنائه .

« واه الموفق »

دار الجميل

## مقدمة الطعة الأولى

الحصري القيرواني ، أبو الحسن الحصري ، طرّف من أخباره ، حياته الأدبية ، داليته ودالية شوق ، أبو إسحاق الحصري : شعره ونثره ، طريقته في التأليف ، التعريف بزهر الآداب ، إغفال المجون ، تهذيب كتب المتقدمين ، رأى الدكتور طه حسين ، تهذيب زهر الآداب ، تفصيله وضبطه وشرحه ، قيمته الأدبية .

### الحصري ، القيرواني

الحصري — بضم الحاء المهملة ، وسكون الصاد المهملة و بعدها راء مهملة — نسبة إلى الحَصْرِيّ أو يَمِها ، كما ذكر ابن خلكان — والقيرواني : نسبة إلى مدينة القيروان .

ويُعرفُ تاريخُ الآداب رجلين بهذا الاسم ، أولهما :

### أبو الحسن الحصري

وأبو الحسن هذا هو : علي بن عبد النقي ، الفِهْرِيّ ، المقرئ ، الضريّر ، القيرواني ، وقد كان — كما ذكر ابن بَتام في الذخيرة — بِمَجَرِّ بَرّاعة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة .

طرا على الأندلس — كما قال ابن بسام أيضا — في منتصف المائة الخامسة من الهجرة ، بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدبُ بأفق الأندلس يومئذٍ نافقُ السّوق ، معمور الطريق ، قتهاده ملوكُ الطّوائف تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الدّيار بالأنس اللقيم .

ولكنه ، فيما نُقل ، لم يطمئن هناك ، فأحتل على مُصنّف يَبين زمانه ،

وَبُعْدِ قُطْرِهِ ، ثُمَّ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مَدِينَةُ طَنْجَةَ بِدْ خَلْعِ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وَتَوَفَّى بِهَا  
سَنَةَ ٤٨٨ هَجْرِيَّةً .

### طرف من أخباره

ذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقِيماً بِمَدِينَةِ طَنْجَةَ أَرْسَلَ غَلَامَهُ إِلَى الْمُتَمِدِّ بْنِ عَبَّادٍ  
صَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةَ ، وَاسْمَا فِي بِلَادِهِمْ رَجُصَ ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ ، وَبَلَنَّهُ أَنَّ الْمُتَمِدِّ لَمْ  
يَعْلَمْ بِهِ ، فَقَالَ :

نَبَّهَ الرَّكْبَ الْمُجُوعَا      وَلَمْ الدَّهْرَ الْفَجُوعَا<sup>(١)</sup>  
رَجُصُ الْجَنَّةِ قَالَتْ      لَنَلَامِي : لَا رُجُوعَا  
رَحِمَ اللَّهُ غَلَامِي      مَاتَ فِي الْجَنَّةِ جُوعَا

وَهَذِهِ الْآيَاتُ غَايَةُ فِي خُفَةِ الرُّوحِ .

وَحُكِيَ أَنَّ الْمُتَمِدِّ بْنَ عَبَّادٍ بَعَثَ إِلَى أَبِي الْعَرَبِ الزَّيْنِيِّ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ ،  
وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَجَهَّزَ بِهَا وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بِمَزِينَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَبَعَثَ  
مُسَبِّحاً إِلَى أَبِي الْخَسَنِ الْخُصْرِيِّ ، وَهُوَ بِالْقَيْرَوَانِ ، فَكَتَبَ أَبُو الْعَرَبِ :

لَا تَعْجَبَنَّ لِرَأْيِي كَيْفَ شَابَ أَسَى      وَأَعْجَبْ لَأَسْوَدَ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشِبْ  
الْبَحْرُ لِلرَّوْدِ لَا يَجْرِي السِّفِينُ بِهِ      إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَالتَّبَرُّ لِلْعَرَبِ  
وَكُتِبَ لَهُ الْخُصْرِيُّ :

أَمَرْتُنِي بِرُكُوبِ الْبَحْرِ أَقْطَعُهُ      غَيْرِي ، لَكَ الْخَيْرُ ، فَأَخْصَصُهُ بِذَا الدَّاءِ  
مَا أَنْتَ نَوْحٌ فَتُنَجِّبْنِي سَفِينَتُهُ      وَلَا الْمَسِيحُ أَنَا أَمْشِي عَلَى الْمَاءِ

### حياته الأدبية

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ عَالِماً بِالْقَرَاءَاتِ وَطَرُقِهَا ، وَأَنَّهُ أَقْرَأَ النَّاسَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ

(١) فِي الطَّبْعَةِ السَّابِقَةِ « وَلَمْ الدَّعَر » (٨) .



بِسْبَقَةٍ وغيرها ، وأن له قصيدة نظمها في قراءات نافع ، عَدَّدَ أَيْلَتَهَا ٢٠٩ ، وأن له ديوان شعر ، وهو القاتل :

أقول له وقد حيا بكأس لها من منك رَقَّتْهِ خِتَامُ :  
أَمِنْ خَدَيْكَ يُعَصِّرُ؟ قال: كلا متى عُصِرَتْ من الورد المَذَامُ ؟  
وأشهر قصائده تلك الدالية التي أَقَنَنْ في معارضتها الشراء <sup>(١)</sup> ولندكرها هنا لقيمتها وأثرها في تاريخ الآداب العربية ، قال :

بِالِيلِ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ	أَقِيَامُ السَاعَةِ مَوَاعِدُهُ
رَقَدَ الشَّارُ وَأَرْقَهُ	أَسْفُ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ	مَاسِيرُهُ وَبَرَّ صُدُّهُ
كَلِفَ بَنَزَالٍ ذِي هَيْفٍ	خَوْفُهُ الْوَاشِينَ يُشَرِّدُهُ
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرْكَاءَ	فِي النُّومِ فَرَّ تَصِيدُهُ
وَكُنْتُ عَجَبًا أَنَّى قَنِصُ	لِلشَّرِّ سَبَابِي أَعْيِدُهُ
صَتَمَ لِلْفَتْنَةِ مُنْتَصِبٌ	أَهْوَاهُ وَلَا أَتَمِيدُهُ
صَارِحَ وَالْخُرَجَى فِيهِ	سَكَرَانُ الْحِفْظِ مُعْرِيدُهُ
يَنْغُصُو مِنْ مُفْلَتِهِ سَيْفًا	وَكُنَّ نَعَاسًا يُفْعِدُهُ
فَبَرِيقُ دَمِ الْعَشَقِ بِهِ	وَالْوَيْلُ نَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَّا لَا ذَنْبَ مَنْ قَتَلَتْ	عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَا مَنْ جَعَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي	وَهَلْ خَدَيْهِ تَوَرَّدُهُ
خَذَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بَدَمِي	ضَلَاةَ جُفُونِكَ تَجْعِدُهُ
إِنِّي لِأَعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي	وَأُظَنُّكَ لَا تَتَمَدَّدُهُ

(١) تجد هذه المعارضات في مجموعة صغيرة نشرها الأديب محي الدين افندي رضا

باقه هَبِ المشتاق كَرَى      فلَمَ خيالك يُسِدهُ  
 ماضركَ لو دَوَيْتَ ضَنَى      صَبِيَّ يَدُنِكَ وَتُبِعِدُهُ  
 لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا      فَتَنَسَّكَ عَلَيْهِ عُوْدُهُ  
 وَغَدًا يَقْضَى أَوْ بَعْدَ غَدٍ      هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَبْزُوْدُهُ؟  
 يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا شَرَقٌ      بِاللَّيْلِ يَفِيضُ مَوْرِدُهُ  
 يَهْوَى الْمَشْتَاقُ لِقَاءَكُمْ      وَضُرُوفُ النُّهْرِ تُبْعِدُهُ  
 مَا أَحْلَى الْوَصْلَ وَأَعْذَبَهُ      لَوْلَا الْأَيَّامُ تَسْكُدُهُ  
 بِالْبَيْنِ وَبِالْمِجْرَانِ فِيهَا      لَفَوَّادَى كَيْفَ تَجْلُدُهُ

وَمِنْ عَارِضِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ نَجْمُ الدِّينِ الْقَمَرَاوِيِّ إِذْ يَقُولُ :

قَدْ مَلَّ مَرِيضَكَ عُوْدُهُ      وَرَنَى لِأَسِيرِكَ حُسْدُهُ  
 لَمْ يُبْقِ جَفَاكَ سِوَى نَفْسٍ      زَفَرَاتُ الشَّوْقِ تُصْعِدُهُ  
 هَارُوتُ يُعْنِئُ مِنَ السَّحَرِ      إِلَى عَيْنِكَ وَيُسْدِيهِ  
 وَإِذَا أُنْعِمْتَ اللَّحْظَ فَكَسَتْ      فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَجْرُدُهُ  
 كَمْ سَهْلَ خَذْلُكَ وَجَهَ رِضَاً      وَالْحَاجِبُ مِنْكَ يَمْقُدُهُ  
 مَا أَشْرَكَ فِيكَ الْقَلْبُ قَدِيمٌ      فِي نَارِ الْمَجَرِّ مُخْلَدُهُ؟

وَنَاصِحِ الدِّينِ الْأَرْجَانِيِّ إِذْ يَقُولُ :

هَلْ أَنْتَ يَقُولُكَ مُسْدِيهِ      بِاللَّيْلِ فَصْبَحْتُ مَوْعِدُهُ  
 لَا كَانَ قَصِيرَ اللَّيْلِ فَتَى      مِيعَادُ مَنِئْتِهِ غَدُهُ  
 فِي صَدْرِي مِنْ كَلَفٍ بِكُمْ      جُنْدٌ لِلشَّوْقِ يَجْنَدُهُ  
 أَعْنِئِ اللَّحْظَ بِوَعْدِهِ      مِنْهَا الْمَتَأَلِّمُ عُوْدُهُ  
 عَيْنُكَ لَسَفَكَ دُمَى مَجْنَنًا      فَالضُّدُغُ عَلَامُ تَجْمُدُهُ  
 وَدُمَى لَا يَمْنَعُ مَحَلَّهُ      فِي النَّاسِ فَلَيْمَ تَتَقَلَّدُهُ  
 لَمْ أَنْسَ بِرَامَةِ مَوْفَعِنَا      وَالشَّمْلُ أَظْلَى تَبْدُدُهُ

رَشَاءٌ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ شَرِّكَى  
وَالْبَيْنَ غَدَا يَتَصِيدُهُ  
مِيرْبَةً قَدْ عَنْ بَذَى سَلَمٍ  
وَعَدَا بِفَوَادَى أَغِيدُهُ  
وَتَطَاوُلُ يُنْتِمِعُهُمْ نَظَرًا  
صَبًّا قَدْ طَالَ تَبَكُّدُهُ  
حِرَانِ الْقَلْبِ مُتَمِّمُهُ  
حِرَانِ الْغُرْفِ مُسَهَّدُهُ  
وَأَبْرَعُ مَنْ عَارِضُهَا مِنَ الْمَعَاصِرِينَ فَخَرُّ مِصْرَ وَالشَّرْقُ أَمِيرُ الشَّعْرَاءِ أَحَدُ  
شَوْقِي (بك) إِذْ يَقُولُ :

مُضْنَاكَ جَفَاءُ مَرَقْدُهُ  
وَبَكَاءُ وَرَحْمَ عَوْدُهُ  
حِرَانُ الْقَلْبِ مُمَدِّبُهُ  
مَقْرُوحُ الْخَفْنِ مُسَهَّدُهُ  
أَوْدَى حُرْقًا إِلَّا رَمَقًا  
يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِدُهُ  
يَسْتَهْوِي الْوُرْقَ تَأْوُهُ  
وَيُبْذِبُ الصَّخْرَ تَنْهَدُهُ<sup>(١)</sup>  
وَيُنَاجِي النِّجْمَ وَيَتَّبِعُهُ  
وَيُقِيمُ اللَّيْلَ وَيُبْقِدُهُ  
وَيُعَلِّمُ كُلَّ مَطْلُوقَةٍ  
شَجَنًا فِي الدَّوْحِ تَرْدُدُهُ  
كَمْ مَدَّ لَطِيفُكَ مِنْ شَرِّكَ  
وَتَأْدَبَ لَا يَتَصِيدُهُ  
فَسَاكَ بَعْضُ مُسَعِفِهِ  
وَلَمَلْ خِيَالِكَ مُسَهَّدُهُ  
الْحَسَنُ حَلَقْتُ «يُوسُفِيهِ»  
و«السُّورَةِ» أَنْكَ مُفَرَّدُهُ  
قَدْ وَدَّ جَهْلَكَ أَوْ جَبَّ  
حَوْرًا : نَحْلِدُ وَنَمْرُدُهُ  
وَقَمْنَتْ كُلُّ مُقَطَّعَةٍ  
يَدَهَا لَوْ تُبَيِّثُ تَشْهَدُهُ  
جَحَدْتَ عَيْنُكَ زَكَايَ دَمِي  
أَكْنَلُكَ خَدُّكَ يَحْجَدُهُ  
قَدْ عَزَّ شَهْوَى إِذْ رَمَتَا  
فَأَشْرَتْ نَحْلُوكَ أَشْهَدُهُ  
وَهَمَّتْ بِجِدِّكَ أَشْرَكَهُ  
فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ أَصِيدُهُ  
وَهَزَزْتُ قَوَامُكَ أَعْطَفُهُ  
فَبَا وَتَمَنَّعَ أَمْلَدُهُ<sup>(٢)</sup>

(١) الوريق : جمع ورقاء وهي الحمامة (٢) الأملد والأملود : النصن اللين الناعم

سببُ رضاك أُمِّهْهُ      ما بال الخصر يُمَقِّدُهُ  
يبنى في الحب وبينك ما      لا يقدر واش يُفْسِدُهُ  
ما بال الماذل يفتح لى      باب الثُلُوان وأوَصِدُهُ  
ويقول : تكاد تُجَنُّ به      فأقول : وأوشِك أَعْبِدُهُ  
مولائى وروحي فى يَدِهِ      قد ضَيَّعها ، سَلِمَتْ يَدُهُ !  
ناقوسُ القلب يَدُقُّ لَهُ      وحنائى الأضلع مَعْبِدُهُ  
حُسادى فيه أعذرم      وأحقُّ بعذرى حُسَدُهُ  
قَسَمًا بَنائىا لؤلؤها      قَسَمَ الياقوتَ مُنْصَدُهُ  
ورُضاب يوعَدُ كَوثرَهُ      مقتولُ العشق ومُشْهَدُهُ  
وبخالٍ كاد يُنْجِجُ لَهُ      لو كان يُقْبَلُ أَسودُهُ  
وقوام يَرَوِّى الفَننُ لَهُ      نسبًا والرمح يُفَنِّدُهُ  
وبخَصير أو هن من جَلَدِي      وَعَوادى الهجر نَبْدُهُ  
ما خنت هواك ولا خَطَرَتِ      سَلَوَى بالقلب تَبَرُّدُهُ

وإنما ذكرت حياة أبى الحسن الخضرى ، وشيئاً من أخباره ، لأنى رأيت  
أكثر الناس يحسبونه صاحب زهر الآداب ، ولأنى أحب دائماً أن أقدم للقارىء  
ما يُمتنعُ عقله ووجدانه من المعارف الأدبية ، لأية مناسبة ؛ ولأن أبى الحسن  
الخضرى ابن خالة أبى إسحاق الخضرى صاحب زهر الآداب ، وفى هذه القرابة  
ما يدعوا للتنبؤ به فى هذا المقام ، والظفر للقارىء على أى حال <sup>(١)</sup> .

(١) فى كتاب « الموازنة بين الشعراء » فلل مذهب فى الموازنة بين الخضرى  
وشوق ؛ فليرجع إليه القارىء ، إن شاء .

## أبو إسحاق الحمصى

أما أبو إسحاق الحمصى فهو إبراهيم بن على بن تميم، المتوفى سنة ٤٥٣ هجرية وقد عُني به كثير من كتّاب التراجم : فتكلم عنه ابنُ رَشِيقٍ فى الأَئِمَّةِ ، وابنُ بَسَّام فى الذَّخِيرَةِ ، والرَّشِيدُ بنُ الزَّيْجَرِ فى الجَنانِ ، وابنُ خُلَكَان فى وَفَيَاتِ الأَعْيَانِ .

وقد كان شباب القيروان — فيما قالوا — يحتمون عنده ، ويأخذون عنه ، وكان ليسهم من المُكْرَمِينَ .

### شعره وثره

أورد ابنُ رَشِيقٍ من شعره هذين البيتين :

إِنِّى أَحِبُّكَ حُبًّا لَيْسَ يَلْفُهُ      فَمَهْمٌ، وَلَا يَنْتَعَى وَصْفٌ إِلَى صِفَتِهِ  
أَقْصَى نَهَايَةِ عُلَى فِيهِ مَعْرِفَتِي      بِالْعَجَزِ مَنَى عَنْ إِدْرَاكِ مَعْرِفَتِهِ

وأورد له ابنُ بَسَّام هذين البيتين :

أُورِدَ قَلْبِي الرَّدَى      لَأَمْ عِذَارٍ بَدَا  
أَسْوَدَ كَالْكَفْرِ      أَيَضَرَ مِثْلَ الْهَلْدَى

واختار له ياقوت هذه المقطوعة :

يَا هَلْ بَكَيْتَ كَمَا بَكَتْ      وَرُقُ الْحَسَامِ فِي النُّصُونِ  
هَنَفْتُ سُحَيْرًا، وَالرَّبَى      لِلْقَطْرِ رَاضِيَةِ الْجَفُونِ  
فَكَانَهَا صَاغَتْ عَلَى      شَجْوَى شَجَى تِلْكَ اللَّحُونِ  
ذَكَرَتْ عَهْدًا مَضَى      لِلْأَنْسِ مَنَاطِعَ الْقَمَرِينَ  
فَصَرَمَتْ أَيَامَهَا      وَكَانَهَا رَجَعُ الْجَفُونِ

واختار له أيضاً :

كُتِبَتْ هَواكُ حَتَّى عِيلَ صَبْرِي      وَأَدْتَنِي مَكَاتَمِي لِرَمْسِي  
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إِنْخِصَاءِ حَالِ      يَحْمِلُ بِهَا الْأَسَى دُونَ النَّاسِي  
وَجَبَّكَ مَالِكُ لِحْفَى وَلِقْطَى      وَإِظْهَارِي وَإِضَارِي وَحَسِي  
فَإِنْ أُنْطِقَ فَفِيكَ جَمِيعُ نُطْقِي      وَإِنْ أَسْكُتَ فَفِيكَ حَدِيثُ نَفْسِي  
وَلَوْ قُلْتُ إِلَيْنَا مِنْ شِعْرِهِ طَائِفَةٌ صَالِحَةٌ لَأَسْتَطَعْنَا أَنْ نَعْمِنَ مِنْزِلَتَهُ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ .  
أَمَا ثَرَهُ فَكَسَّاحٌ ، وَيَغْلِبُ فِيهِ السَّجْعُ الْمَقْبُولُ ، الْخَالِصُ مِنْ شَوَائِبِ الصَّنْعَةِ  
وَالْتَكْلُفِ ، وَالسَّجْعُ فِي الْأَصْلِ حَلِيَّةٌ وَزِينَةٌ ، وَإِنَّمَا يَبِاقُ عِنْدَ الْفُتُوهِ وَالْإِغْرَاقِ .  
وَالْيَكْمُ أَمْثُودَجًا مِمَّا جَاءَ مِنْ ثَرِهِ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِهِ ، قَالَ :  
« وَلَمْ أَذْهَبْ فِي هَذَا الْاِخْتِيَارِ ، إِلَى مَطُولَاتِ الْأَخْبَارِ ، كَحَادِيثِ صَعْمَةَ  
ابْنِ صَوَّحَانَ ، وَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ، وَنَظَائِرِهَا ؛ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ (بَرِيدُ الْفَقْرِ الصَّغِيرَةِ)  
أَجَلْ لَفْظًا ، وَأَسْهَلْ حِفْظًا ، وَهُوَ كِتَابٌ يَتَصَرَّفُ فِيهِ النَّاطِلُ مِنْ ثَرِهِ ، إِلَى شِعْرِهِ ،  
وَمَطْبُوعِهِ ، إِلَى مَصْنُوعِهِ ، وَمَحَاوِرَتِهِ ، إِلَى مَفَاخِرَتِهِ ، وَمُنَاقَلَتِهِ ، إِلَى مَسَاجِلَتِهِ ،  
وِخْطَابِهِ الْمُبَهَّتِ ، إِلَى جَوَابِهِ الْمُسَكِّتِ ، وَتَشْبِيهَاتِهِ الْمُصِيبَةِ ، إِلَى اخْتِرَاعَاتِهِ الْعَرَبِيَّةِ ،  
وَأَوْصَافِهِ الْبَاهِرَةِ ، إِلَى أَمْثَالِهِ السَّائِرَةِ ، وَجِدِّهِ الْعَجِيبِ ، إِلَى هَزْلِهِ الْمَطْرَبِ ، وَخَزَلِهِ  
الرَّائِعِ ، إِلَى رَقِيقِهِ الْبَارِعِ » .

وهذا كما ترى سجعٌ يجمع بين دِقَّةِ الصَّنْعِ ، وَرِقَّةِ الطَّبْعِ ، فَهُوَ فِي دَقَّتِهِ  
مَطْبُوعٌ ، لَا مَصْنُوعٌ .

### طَرِيقَتُهُ فِي التَّأْلِيفِ

الْأَدَبُ لَا مَوْضُوعَ لَهُ ، كَمَا يَقُولُ أَسَاتِذُنَا الْجَلِيلُ الشَّيْخُ سَيِّدُ الْمُرْصَفِيِّ ،  
وَكَذَلِكَ كَانَ يَفْهَمُهُ أَبُو إِسْحَاقَ الْخُمْصَرِيُّ ، فَهُوَ لَا يَحْفِلُ بِتَرْتِيبِ الْمَسَائِلِ ،  
وَلَا بِتَبْوِيبِ الْمَوْضُوعَاتِ . وَإِنَّمَا يَتَصَرَّفُ مِنَ الْجَدِّ إِلَى الْمَهْلِ ، وَمِنَ الْأَوْصَافِ

إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع إلى المصنوع ، وهذه الطريقة من أهم الطرق في التأليف ، وإن عابها مَنْ لا يفرق بين الموضوعات العلمية ، والموضوعات الأدبية .

ذكروا أنه ترك كتاباً اسمه « المصنوع في سر الهوى المكنون » في مجلد واحد ، فيه مَلَح وآداب ، أما كتابه الخالد فهو « زهر الآداب ، وثمر الألباب » وإنه ليسجع حتى في تسمية كتبه ، وكذلك كان يفعل في عهده المؤلفون .

### التعريف بزهر الآداب

كان المتقدمون لا يَصِفُونَ زهر الآداب إلا بأنه « جَمْعُ كُلِّ غَرِيْبَةٍ » وهو وصف صادق ، وإني إذا كَرِهْتُ هنا بعض صفات هذا الكتاب ، وعلى الأخص الصفات التي تبين منهج مؤلفه ، وتميز اتجاه بعض الأفكار في العصر الذي عاش فيه . وإنا لنجده :

أولاً : يهتم ببراعة المطلع ، وحسن الختام ، فيبدأ كتابه بهذه الجملة : « الحمد لله الذي اختص الإنسان بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذي تحدى الخلق أن يأتوا بمثله ، فمجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً »

ويختتم بهذه العبارة :

« وقال ابن الأعرابي : أمدح بيت قاله الخدثون قول أبي نواس :  
أخذت بمجلد من حبال محمدٍ أمنتُ به من طاري الخدثان <sup>(١)</sup> .  
ثانياً : يُعْنَى عناية خاصة بالكلام عن الصحابة والتابعين ، فينقل أخبارهم ، ويدون آثارهم ، وكانت هذه فيما يظهر عادة إسلامية ، في ذلك الحين .

(١) في بعض النسخ الخطية فصل في صفات الله — عز وجل — ختم به الكتاب وذلك توفيق في حسن الختام — هكذا ، وفي نسخة أن ختام الكتاب فصل في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم (م) .

ثالثاً : يحمل الكلام في المصيبة بأبناء النبوة باباً من أبواب الأدب ؛ فينقل هذه التعابير :

قد نُعي سليلٌ من سُلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة ، وعضو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصى والبتول .

تجدّد في بيت الرسالة رُزٌّ جدد للمصائب ، واستعاد النوايب ..  
إنها لمصيبة تحيقت جانب الوحي للبتل ، وذكَرت بموت النبي المرسل .  
لِخْلِخ :

ويتصل بهذا عنايته بأوصاف الأشراف ، كنقله هذه العبارات :  
« استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة ، وتهذّلت أغصانه عن كعبة الإمامة ، وتجنبحت أطرافه في عَرَصَة الشرف والسيادة ، وتَفَقَّأت يعضته من سُلالة الطهارة ، قد جذب القرآن بضبيعه ، وشقّ الوحي عن بصره وسمعه » لِخْلِخ .

وهذا الاتجاه يدل على وجهة سياسية خاصة ، فَصَّلْتُهَا بعضَ التفصيل في كتاب « الأخلاق عند النزال » وإلاّ فإن النبي يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » بل الله يقول : « فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْتَابَ بَيْنَهُمْ » .  
رابعاً : يُبدى الخُصْرَى ويُعيد في الكلام عن البلاغة والبلغاء ، والشعر والشعراء ، والإنشاء والمنشئين ، وكذلك كان أهل عصره يهتمون بدر النثر والشعر ، ونحن مَدِينُونَ لهم بما يتصل بهذا الباب من المعارف الأدبية .

خامساً : يذكر كثيراً من الآداب الاجتماعية التي كان يحمدها الناس لعهد ، فيذكر ما يحمل في معاملة الملوك ، ويتحدث عن فضل الليل ، والحرص على الأدب ، وواجب النُسخ ، وما إلى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات . وما له من الحقوق .



## إغفال المجون

وقد جرى أبو إسحاق الحصرى فى زهر الآداب على إغفال المجنون ، فنحده  
يقول عن راشد بن أرشد :

« وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره ، وصنّت الكتاب عن ذكره » .  
وقد صرحت بإنكار هذا المنهج فى « مدامع الشاق » وبينت هناك أن  
حرص الحصرى على الأخلاق ضيّع علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية ،  
وكنا فى حاجة إلى أن نعرف كل ما ترك الأولون !

وأحب أن يعلم القارىء أن المجنون لون من ألوان الغداء التى تحمى بها العقول ،  
فكما أن الأجسام تحتاج فى تغذيتها إلى اللواد المختلفة ، والعناصر المتنوعة : من  
الذئب ، والخيل ، والتمر ، كذلك العقول تحتاج فى تغذيتها إلى المعارف المتباينة :  
من رجاء القول وهزله ، وحلوه ومرّه ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون !

على أن الحصرى لم يخل كتابه من المجنون ، بل ومن فاحش المجنون ،  
وللقارىء أن يتتبع ما وقع من ذلك فى ألقاف الكتاب ليرى كيف غلب لؤلف  
على أمره ، فأباح ما لا يباح !

## تهذيب كتب المتقدمين

يهتم كثير من علماء العصر بتهذيب كتب المتقدمين ، وهذا التهذيب  
 ينحصر في حذف المجون وضم بعض الموضوعات إلى بعض ، وأنا أنكر هذا  
 الأسلوب ، والمهد قريب بما كتبه أستاذنا الدكتور طه حسين في نقد مهذب  
 الأغاني الذي أظهره الأستاذ الكبير محمد بك الخفزي منذ أسابيع ، ويرجع أن  
 يترك المعاصرون هذه الطريقة المنكرة ، بعد تلك المحلة التي أصابها صاحب  
 حديث الأربعماء .

## تهذيب زهر الآداب

ولقد رأيت أن أترك تلك الطريقة في تهذيب زهر الآداب ؛ لأن المؤلف لم  
يرد أن يكون كتابه ذا فصول وأبواب ، وإنما أراد أن يتصرف القارىء فيه  
من الشعر إلى النثر ، ومن الجدل إلى المزل ، إلى آخر ما قال .

وقد ظلّ بين يديّ نحو تسعة أشهر ، وأنا معتقل في سنة ١٩٢٠ ، قرأته ، ثم  
قرأته ، وعُنيْتُ بضبطه ، وتصحيح ما وقع فيه من الأغلاط ؛ ثم رأيت أن أفصله ،  
والتفصيل فيما أريد هو أن أضع عنواناً لكل موضوع ، وما أكثر ما في  
الكتاب من الموضوعات ؛ لأن المؤلف وضع قليلاً من العناوين ، ثم أخذ يستطرد  
من معنى إلى معنى ، ومن غرض إلى غرض ، من غير أن يهتم بالترتيب والتبويب .  
وأرجو أن لا يجد القارىء في هذا الصنيع تشويهاً لعمل المؤلف فقد أقيمت  
الكتاب كما هو ، وأقيمت على عناوينه وأبوابه ، وقدرته وفصوله ، ووضعت  
ما أبدعت من العناوين في بُنْط خاص ، فإذا شاء القارىء أن يعرف كيف وضع  
الكتاب مؤلفه فليرفع فقط ما جدّ من العناوين .

## أهمية هذا التفصيل

على أثنى مطلعني إلى ماصنعت ؛ قد كان الكتاب متنازف الأرجاء ، بسبب ما كثر فيه من الاستطراد ، فأصبح بفضل هذا التفصيل ، محدود الموضوعات ، بحيث يهتدى فيه القارىء إلى مئات المسائل الأدبية ، من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والتقيب .

ولم أحجم عن تكرار العنوان الواحد حين يقتضى المقام ذلك ، وربما أضفت كلمة يتميز بها العنوان الجديد<sup>(١)</sup> .

## الضبط والشرح

كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد القريد<sup>(٢)</sup> ، من غير ضبط ولا شرح ، وكان يكفى أن يطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح مثلاً فى الميخ والتشويه ، ولتغذى فى قراءته العيون ، وتفضل فى فهمه العقول ؛ فأفقت من جهدى ومن وقفى ، فى تحقيق ما جناه مر السنين وعبت الجاهلين ، ما لا أئمن به على القارىء إلا وأنا آسف محزون ؛ لأننى مدين لمن طبعوه أول مرة على أى حال ، أحسن الله جزاءهم ، وتجاوز عما رماهم به الزمن من ألوان الضعف والقصور .

فى الطبعة القديمة كثير من الأغلاط ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الأنصار ، وقد اعتمدت فى ضبط هذه الطبعة على سراجة الأصول التى أخذ منها زهر الآداب ، وعلى ما أئق به من مختلف المعاجم والقواميس ، فإن استطاع القارىء أن يلتفتنى إلى خطأ فاتنى إصلاحه ، فإنى بشكره خليق .

(١) قد آخذنا خطة أخرى فى هذه الطبعة ستحدث عنها بعد (م)

(٢) وطبع نصفه مستقلاً فى الطبعة الوهية ، بدون تأريخ (م)

أما الشرح فقد اجهدت في أن يكون غابة في الإيجاز ؛ لأن الإطناب في شرح الكتب الأدبية من جملة العيوب ، وقد تمر الصفحة بلا شرح ، حين تستغنى عن ذلك ؛ لأنى أمقت التكلف ، وأبغض المتكلفين .

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة أجزاء ، وكان المؤلف قسمه إلى ثلاثة ، وهي مسألة اعتبارية ؛ لأن الكتاب في الأصل مبنى على التنقل والاستطراد .

## قيمة زهر الآداب

كان المتقدمون يُفنون بدراسة الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والنوادر لأبي على القالي ، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون ، وعندى أن زهر الآداب أغز مادة ، وأكبر قيمة من جميع تلك المصنفات ؛ لأن ذوق الحُصْرى ذوق أدبى صِرْف ، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم موزعة بين اللغة ، والرواية ، والنحو ، والتصريف .  
 إن زهر الآداب دائرة معارف أدبية ، شاء الله أن تسلم من جنابة الليالى والحمد لله على أن كنت الموفق إلى إحياء هذا الأثر النفيس .

محمد زكى عبد السلام مبارك

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

## مقدمة الطبعة الثانية

موضع زهر الآداب ، الموصف عند كتاب القرون الرابع ، نماذج من  
التعابير الوصفية ، نظرية الفن للفن وقيمة الزخرف والصنع ، الخصومات  
الأدبية في القرون الرابع

دأى القارىء فى مقدمة الطبعة الأولى إشارات إلى الخصائص التى امتاز بها  
زهر الآداب ، ونريد فى هذه الكلمة أن ننص على أن هذا الكتاب أريد به أن  
يكون صورة للعصر الذى عاش فيه مؤلفه رحمه الله ، وإنه ليدكر أن أبا الفضل  
العباس بن سليمان رحل إلى المشرق فى طلب الكتب « بأذلا فى ذلك ماله ،  
مستعذباً فيه تعب ، إلى أن أورد من كلام بلقاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف  
طريفة ، وغرائب غريبة » ثم سأله أن يجمع له من مختارها كتاباً يكتب به عن  
جملتها ، وأن يضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قار به وقارنه وشابهه ومائله إلخ  
فغاية الكتاب إذ آنحدر ما طالب من ثمرات العقول فى أواخر القرن الرابع وأوائل  
القرن الخامس .

ولندكر أولاً أن الحصرى توفى سنة ٤٥٣ ، ولكننا نرجح أنه وضع زهر  
الآداب قبل وفاته بأكثر من عشرين عاماً ، فقد حدثنا فى أثناء كتابه أنه  
يعاصر الثعالبي ؛ إذ قال « وأبومنصور يعيش إلى وقتنا هذا » حين أشار إلى مختار  
ما كتبه الميكالى إليه . والثعالبي توفى سنة ٤٢٩ ؛ وإنما عيّننا أواخر القرن الرابع  
وأوائل القرن الخامس لأن الحصرى أشار إلى أن فيمن نقل عنهم من أدركه  
بعمره ، أولحقه أهل دهره . ولتلك العهد من حياة الأدب طابع خاص ، فصلت  
خصائصه ومميزاته فى كتابى الذى وضعته بالفرنسية عن النثر فى القرن الرابع ،  
وإنى لمشير هنا إلى بعض الجوانب البارزة فى أدب ذلك العصر ؛ ليكون القارىء

على بينة من الروح الذى استوحاه مؤلف زهر الآداب .

أظهر ميزة في ذلك العصر هي إجادة الوصف ، قد اهتم كُتّابه اهتماماً عظيماً بوصف ما وقعت عليه أعينهم أو جرى في خواطرهم ، ولم يكن الوصفُ عندهم ، ما يأتي عفواً عند المناسبات الطارئة ، كما كان الحال في أوائل العصر الإسلامي ، لا ، بل تعمّدوا استقصاء الموضوعات الوصفية : فأطالوا الحديث عن الأزهار ، والرياض ، والنبات ، والنسيم ، والرياح ، والليل ، والنجوم ، والجداول ، والضُدران ، والأنهار ، والبحار ، والأحواض ، والقصور ، ومنازل الله ، ومجالس الشراب ، والنساء ، والغلمان ، والجواري السود ، والقيان ، وآلات العُرب ، ومحاسن الشباب ، وأحوال الشيب ، والرعد والبرق ، والمطر والتلج ، والصحو ، والبلاغة والشعر والنثر ، والغليل ، والسيوف ، والنار ، والأطاعى ، والتماعين ، والطيور ، والأطعمة ، والقواكه ، والسكاكين ، والكؤوس ، والنفوادم ، والحلى ، والقلائد ، والمحابر ، والأقلام ، والسفن ، والذواب ، والجيش ، والأساطيل ، وأيام الصيف والشتاء والربيع .

وأطنبوا في وصف المعاني الوجدانية ، كما أطنبوا في وصف المراتب ، فتكلموا عن أهواء النفوس وزعزعتها ، فوصفوا الخقد ، والبغض ، والكرم ، والنبيل ، وعرضوا لما يقع لأهل المن وللرؤساء من المنكات والمورات . كل ذلك بطريقة مقصودة تدل على أنه كان لهم برنامج خاص لم يعرفه أسلافهم . وهذا المذهب له عيوبه ومزاياه : فببأنه حملهم على التكلف والإسراف ، وحسنه أنه حملهم على تنظيم أفكارهم ، وترتيب أغراضهم ، فإن القارى يرى لهم قوة في تصوير المراتب والمعنويات لا يراها لمن سبقهم ، وذلك بفضل هذا الاتجاه الذى جعل في عصرهم مدرسة وصفية لا تراها في عصر الخلفاء ولا عهد بنى أمية ولا أوائل أيام بنى العباس .

ولا ننكر أن الكُتّاب السابقين أجادوا الوصف في كثير من الموضوعات



ولكننا نقرر أن كتاب القرن الرابع عمدوا إلى كل ما يقع عليه الحس ،  
أو يجرى في الخاطر ، أو ينقده العقل ، فوصفوه وصفا مفصلا مقصودا بطريقة  
لم يفكر في مثلها المتقدمون .

\*\*\*

وقد قدم لنا صاحب زهر الآداب شواهد كثيرة في مواطن متفرقة من كتابه  
عن الأوصاف التي عُنى بها كتابُ ذلك العصر . فلنثبت منها شيئا ليرى القارىء  
صدق ما نراه من قصد رجال ذلك العهد إلى إجادة الوصف .

من ذلك قولهم في وصف الماء :

ماء كالزجاج الأزرق .

غدير كمين الشمس .

طلسان الشمة ، في صفاء اللمعة ، يسبح في الرضراض ، سباح الضفادع .

ماء أزرق كمين السُّنور ، صاف كفضيب البلور .

غدير تفرقت فيه دموع السحاب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الفرائب .

وقولهم في وصف سكين :

« سكين كأن القدر ساقها ، أو الأجل سابحها ، مرفقة الصدر ، بمنطقة

الخضر ، يحول عليها فرند الميت ، ويموج فيها ماء الجوهر ، كأن النية تبوق من

دهدا ، والأجل يلعب من منبها ، رُكبت في نصاب آبنوس ، كأن الحلق فضت

عليه صبغها ، وحب القلوب كسنته لباسها ، أخذ لها حديد الناصع يحظ من الروم ،

وضرب لها نصابها الحالك بسهم من الزنج ، فكانها ليل من تحت نهار ، أو حجر

أبدى سنا مار ، ذات غرار ماض ، وذباب قاض .

سكين أحسن من التلاق ، وأقطع من القراق ، تفعل فعل الأعداء ، وتنفع

نفع الأصدقاء . »

وقولهم في وصف متكبر :

« قد أسكرته خمرة الكبر ، واستفرقه لثة التيه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل نفقته ، وبلقيس إحدى داياته ، وكان يوسف لم ينظر إلا بطلعته ، وداود لم ينطق إلا بنفسته ، ولقيان لم يتكلم إلا بحكته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ، والغمام لم يَبْدُ إلا من يمينه » .

وكان من أثر ذلك أن أصبح هذا العصر غنياً جداً بالتماير الوصفية الرائعة في أكثر أبواب الوصف . ومن ذا الذي يرتاب في جمال قولهم في وصف النثر والنظم مما اختاره صاحب زهر الآداب :

نثر كثير الورد ، ونظم كنظم العقده .

نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كالما . أو أرق .

رسالة كالروضة الأنيقة ، وقصيدة كالخُدَّرة الزشيقية .

نثر كما تفتح الزَّهر ، ونظم كما تنفس السَّحر .

وقولهم في أوصاف النساء :

هي روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبدر الأرض .

هي من وجهها في صباح شمس ، ومن شعرها في ليل دامس ، كأنها فلقه فر على بُرج فضة .

بدر التَّم يضيء تحت ثقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها .

لها عنق كإبريق اللجين ، وسرة كدهن العاج .

مطلع الشمس من وجهها ، ونبت الدر من فمها ، وملقط الورد من خدها ، ومنيع السحر من طرفها ، ومبادئ الليل من شعرها ، ومغرس الفصن من قدحها ، ومهيل الرمل من ردفها . . . إلخ .

وقولهم في صفات النملان :

جاءنا في غلالة تنم على ما يسترد ، ونحن مع رقتها على ما يظهره .  
الجنة مجتناة من قر به ، وماء الجلال يترقق في خده ، وعحاسن الربيع بين  
سحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه .  
له طرفة كالفسق ، على غرة كالفلق .  
الحسن ما فوق أزواره ، والطيب ما تحت إزاره .  
هو قر في التصوير ، وشمس في التأثير .

وجه بماء الحسن مضول ، وطرف بمروء السحر مكحول  
شادن فآثر طرفة ، ساحر لفظه ، تكاد القلوب تأكله ، والعيون تشربه .  
السحر في الخافه ، والشهد في أفاظه .. إلخ .  
ولقد ظلت هذه التماير الوصفية متبعا يستقى منه الكتاب إلى العصر  
الحديث والنقاد في مصر أعجبوا بقول حافظ إبراهيم في وصف الصهايا :

خمرة قيسل إنهم عصروها من خدود الملاح في يوم عرس  
وهو خيال سبق إليه كتاب القرن الرابع ، وردده ابن خفاجة إذ قال :  
وشربتها عذراء تحسب أنها معصورة من وجنتي عذراء  
وقد ظن أستاذنا الدكتور طه حسين أن حافظ إبراهيم أول من ألم بهذا<sup>(١)</sup>  
الخيال ففقدته وسقمه حين عرض لنقد ترجمة البؤساء . فليقل المعركة إذن إلى  
ميدان القرن الرابع ، وإن كنت لا أدري كيف يعاف الشراب المعصور من  
خدود الملاح .

وكذلك أعجب النقاد بقول السيد توفيق البكري في وصف النساء  
« صدور كالإغريض ، أو صدور البزاة البيض »

(١) التي أذكره أن أدباء مصر ذهبوا إلى أن حافظا امتاز بذكر قيد « في  
يوم عرس » فأما أصل التشبيه لما أحسب أنه غاب عنهم أن حافظا مسبوق به ، وإنما  
خص يوم العرس لكثرة ما خطى الحسان فيه وجوههن بالأصباغ وألوان التحاسين .  
ولهذا مدخل في التشبيه (م) .

وهي عبارة مأخوذة من قول الثعالبى فى وصف آثار السرى الرفاء :

« كأنها أطواق الحمام ، وصذور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسواف  
الفرلان ، ونهود المذارى الحسان ، وعزجات الخلق الملاح »

وكذلك يمكن رد أكثر التعابير الوصفية التى يُفهم بها كتاب الصنعة فى  
العصر الحاضر من أمثال الأساتذة : صادق عنبر ، ومحمد السباعى ، ومحمد هلال  
وكان القرن الرابع يودى للقرون التى تلتها ما أخذته عن القرون التى سبقتها ،  
فقد كان كتابه مولعين بحل الشعر لا يرون معنى بديعاً ، ولا حياءاً طريفاً إلا  
اقتبسوه ، وأضافوه إلى ثروتهم النثرية

وقد أشاع كتاب القرن الرابع نظرية ( الفن للفن ) وإن لم يدركوا ما لهذه  
النظرية من الأوضاع والتقاليد ؛ فقد عودوا القراء تذوق الكتابة البديعة ، وحببو  
إليهم النثر المصنوع ، فأصبح المتأدبون يتأملون مواقع الألفاظ وقرار التراكيب ،  
وصارت فنون البديع من تورية وجناس وطباق أصولاً فنية يجد القارئ لذة  
ومثمة حين يراها وقت موقفاً حسناً وأصابت الغرض الذى وضعت له ، ولو كان  
غرضاً لفظياً لا يتوقف عليه تمام المعنى المقصود

\* \* \*

ولكن أليس لهذا الزخرف قيمة فى فهم ذلك النص ؟ بلى ، إنه يدلنا على  
أن أولئك الناس عرفوا لغتهم معرفة جيدة ، ووقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ،  
وكان مهمهم أن يرتبوا الألفاظ والمعاني والتعابير والأخيلة ، حتى استطاع كاتبهم أن  
يمشأ أبواب الصناعات فى صيد واحد ثم ينطقهم بأسرار البلاغة ، كل على  
طريقته وبأسلوبه الذى يختاره فى مرميته ومهد عمله . وما نحسب كتاب  
القرون الأولى مثلاً كانوا يفكرون فى جميع شتات اللغة لتصبح طوع أفكارهم  
وأفلامهم ، وإنما كانوا قوماً يكتفون فى سبيل الوصول إلى أغراضهم بالعبارة

الواضحة الموجزة التي يفهمها عامة الناس وخاصتهم . أما كتاب هذا القرن فقد أصبحوا في حاجة إلى صفوة تقرأ لهم وتفهم عنهم ؛ إذ أصبح خيالهم قويا ، ولقمتهم غنية ، لا يدرك أسرارها الجمهور ؛ فليس كل قارئ ولا كل سامع يستطيع أن يتنوق تشبيه انخط الجليل بأزهار الربيع ، والألقاظ بقلائد النحر ، والمعاني بلا لى . ولا أن يدرك كيف تتمنى كل جارية أن تكون أذنا تلتقط دُرر الكلام وجواهره ، أو عينا تجتلي مطالعه ومناظره ، أو لسانا يدرس بحاسنه ومفاخره .

إذن فالصنعة التي عُرف بها كتاب القرن الرابع لها وجهان : وجه جميل يدل على حذقهم وبراعتهم ، ووجه آخر يدل على بعدهم من غاية البيان وهي الوضوح ، إذ كان الإغراق في الصنعة بابا من القموض



ومن أهم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر الخصومات العنيفة التي قامت بين الكتاب ؛ فقد كانت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت عن أطاعهم في الحياة المادية ، وكانوا يمثلون غالبا طوائف من الأفكار الدينية والسياسية يقومون في الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المفرضة في العصر الحاضر ، وكان لهم من القوة ما كان للشراء ؛ فلم يكن بد من أن يتنافس أصحاب الملك في تزيينهم ، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء في الاستئثار بالحظوة عند الوزراء والرؤساء والملوك

وفي الرسالة التي كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان قَرَّرات مُرة تمثل ما كان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع في المناصب الرسمية ومن ضعف الخلق عند الفنى ، ومن الثبيل عند الفقر : إذ « تنسيهم أيام الدونة ، أوقات الخشونة ، وأزمان العنوبة ، ساعات الصعوبة » وقد كانوا كما قال : « ما اتسمت دورهم ، إلا ضاقت صدورهم ، ولا أوقدت نارهم إلا انطفأ نورهم ، ولا زاد مالهم إلا :

معروضهم ، ولاؤرتهم أكيأهم إلا ورت أنوفهم ، ولا صلحت أحوالهم ، إلا  
فدت أعمالهم ، ولا فاض جاههم ، إلا غاضت مياههم ، ولا لانت برودهم ، إلا صلبت  
خودهم ،<sup>(١)</sup>

وفى تلك المنافسات الشديدة ، وتلك اللسائس للمعونة ، التى كانت تقع بين  
الكتاب ، دليل على جشعهم فى حب الحياة ، وفهمهم لها فما ماديأتناسب مع تلك  
العقريات الفنية التى ظهرت فى قعرهم ورسائلهم وأبحاثهم ؛ فإنه من المؤلم أن تظل  
قوة الحدو ويقظة الأثرة ، وشدة المداوة ، فى كل عصر من السّامات الغالبة على  
كبار الكتاب ، ومن النادر أن نجد كاتباً كريماً يعطف على زملائه ، ويجب لهم  
الخبر ، ويتمنى لهم السّداد . وقدما أفرغت هذه الظاهرة عبد الحميد بن يحيى — وكان  
رجلاً نبيلاً — فكتب وصيته المعروفة يدعو بها الكتاب إلى التعاون ونبد  
الأحقاد ، وفى أيامنا تُبعث تلك الشائيل من جديد ؛ فلا نجد كاتباً فى العالم العربى  
يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، بحيث نظن أن شوبب المقرية يوحى بالطمع ،  
والاستبداد بالفضل ، والاستتار بالجاه

وأهم الخصومات التى وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهذاني  
والخوارزمي ، وخصومة التوحيدى والصاحب بن عباد

أما خصومة الهذاني والخوارزمي فترجع إلى رغبة الهذاني فى الظهور ،  
وطمعه فى الانفراد بالشهرة ، وأهم مصدر لهذه الخصومة الرسالة المطولة التى كتبها  
الهذاني فى وصف المناظرة التى قامت بينه وبين الخوارزمي ، وهى رسالة مفرضة  
ملوءة بالتحامل والصّغرة ، وليس فيها أفكار جديّة تحمل خصومة بين عقليّن ،  
إنما هى محاورات لفظية تدل على غلبة الزخرف وتمكنه فى السيطرة على عقول أهل

ذلك الجليل . ولو أن الخوارزمي دون بدوره تلك المناظرة لرأينا وجهين في بسط ذلك الحادث الأدبي ، واستطعنا أن نستخلص من مقابلة النصين نفس الرجلين ، ولكن الهمداني تكلم وحده ؛ فعرفنا فقط مبلغ زهوه وكبرياته وطعمه في كَيْتِ كاتب كان يومئذ على رأس الكاتبيين .

أما خصوصية التوحیدی لابن عباد فترجع فيما ذكر كتاب التراجم إلى سبب مادی ، وذلك أن التوحیدی رَغِبَ في مال ابن عباد وجاهه ، فضاقت عنه صدره هذا ، فكتب التوحیدی كتابه « أخلاق الوزیرین » وهو كتاب جارح كشف به عورات ابن العميد وابن عباد . ثم عاد إليهما بالتجريح أيضا في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » وأسلوبه في الهجاء أسلوب خطر فظيع ؛ إذ يخلق الحوادث والإشارات وينطفئها برسائل ومقطوعات تهوى بهما إلى الحضيض . ويعتبر التوحیدی من الوجهة الفنية رجلا خصب الذهن ، غنى اللفه ، وافر الحصول ، قوى الخيال .

وقد تنبه المتأدبون إلى تحامل التوحیدی وإسرافه في التعصب والتحامل وشاع الاعتقاد بأن كتابه « أخلاق الوزیرین » كتاب مشئوم ، لا يملكه أحد إلا انمكست أحواله ، ويذكر ابن خلكان أنه جرب هذا وجرب به من يثق به <sup>(١)</sup> فإذا صح هذا الوهم كان التوحیدی قد عوقب على بفيه وظله وبهتانه ؛ فقد أنظر الصاحب بن عباد بعبارات محجلة يَنْدَى لها وجه القارى ، وينفر منها الطبع والذوق ، وإن كانت وضعت بأسلوب شائق خلاب .

\*\*\*

تلك ، أيها القارىء ، كلمة وحيدة أقدم بها الطبعة الثانية ، راجيا أن تكون كافية في وصف الإنجازات الفنية والعقلية التي عمل في خلالها مؤلف زهر الآداب ، وإننى لأمل أن يكون في هذه الطبعة من آثار الجهد والحرص على الصواب بعض ما يجب في خدمة الأدب العربي الذي أصبح إحياءه ونشره من أظهر محامد مصر في العصر الحديث ؟

زكى مبارك

مصر الجديدة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اختصَّ الإنسانَ بفضيلةِ البيانِ ، وصلى الله على محمدٍ خاتمِ  
النبيين ، المرسلِ بالنورِ المبينِ ، والكتابِ السَّتينِ ، الذى عدَّى الخلقَ أن  
يأتوا بمثله فجزوا عنه ، وأتمروا بقضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ؛ فهذا كتابٌ اخترتُ فيه قطعةً كاملةً من البلاغات ؛ فى الشعر  
والخبر ، والفصول والفقر<sup>(١)</sup> ، مما حسنَ لفظه ومعناه ، واستدلَّ بِفخْواه على  
مَنْزَاهِ<sup>(٢)</sup> ، ولم يكن شارداً حُوشِيًّا<sup>(٣)</sup> ، ولا ساقطاً سَوْقِيًّا<sup>(٤)</sup> ، بل كان جميع ما فيه ،  
من ألفاظه ومعانيه ، كما قال البحرى<sup>(٥)</sup> :

فى نظامٍ من البلاغةِ ما شئتَ أَمُرُّهُ أَنَّهُ نِظَامُ قَرِيدِ<sup>(٦)</sup>  
حُزْنٍ مَسْتَمَلِ الكلامِ اختياراً وَتَحَنُّنٍ ظِلْمَةَ التَّعْقِيدِ  
وَرَكْبِنِ اللَّفْظِ التَّريبِ فَأَدْرَكْنِ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ

ولم أذهب فى هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صَفْصَفَةٍ

(١) الفقر : جمع فقر ف بكسر الفاء وفتحها - وهى فصل أوبيت شعر ، وتقول :

ما أحسن فقر كلامه ، أى نكته ، وهى فى الأصل حلى تصاغ على شكل فقر الظهير

(٢) مغزى الكلام : هو المراد منه ، وفخواه : هو ما يشبه منه ذلك المراد

(٣) الحوشى : الوحشى ، وقد وصف زهير بأنه كان لا يتبع حوشى الكلام .

(٤) السوق : نسبة إلى السوق ، وهم عامة الناس

(٥) البحرى : شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية ، ولحقه منبج - بين القرات

وحسب - فى سنة ٢٠٦ وتوفى فى سنة ٢٦٤

(٦) القريد : هو البرادى يفصل بين الذهب فى القلادة الفصيلة ، فالبر فيها فريد .

والذهب مفرد ، بتثنية الراء .

ابن صُوحان<sup>(١)</sup> ، وخالد بن صفوان<sup>(٢)</sup> ، ونظائرهما ؛ إذ كانت هذه أجملَ لفظاً ، وأسهلَ حفظاً .

منهج المؤلف في الكتاب وهو كتابٌ بتصرف الناظر فيه من نثره إلى شعره ، ومطبوعه إلى مصنوعه ، ومحاورة إلى مفاخرته ، ومناقضته<sup>(٣)</sup> إلى مُساجلتِهِ<sup>(٤)</sup> ، وخطابه للبهت<sup>(٥)</sup> إلى جوابه المُشكّت ، وتشبيهاته للصيبة إلى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة ، وجده للمعجب<sup>(٦)</sup> إلى هزله المُطرب ، وجزله الرائع إلى رقيقه البارِع .

وقد تَرَعْتُ فهاجمت عن ترتيب البيوت<sup>(٧)</sup> ، وعن إبعاد الشكل عن شكله ، وإفراد الشيء من مثله ؛ فجلتُ بعضه مُسلسلاً<sup>(٨)</sup> ، وتركتُ بعضه مُرسلاً<sup>(٩)</sup> ؛ ليحصل مُحرَّرُ التقدير<sup>(١٠)</sup> ، مُقدَّرُ السرد<sup>(١١)</sup> ؛ وقد أخذ بطرقي التأليف ، واشتمل على حاشيتي التصنيف ؛ وقد لعمري المني ، فألحق الشكْلَ بنظائره ، وأعلّق الأول بآخره ، وتبقى منه بقية أفرقتها في سائرهِ<sup>(١٢)</sup> ليسمَّ من التطويل المملّ ، والتقصير المُخلّ ، وتظهر في التجميع إفادةُ الاجتماع ؛ وفي التفريق لذّاعة

(١) مصممة بن صوحان : خطيب بليغ من سادات عبد القيس . شهد صفين مع علي ، وناه للميرة من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين بأمر معاوية ، فمات فيها حوالي سنة ستين للهجرة (٢) خالد بن صفوان : كان من مشاهير الفضلاء وله أخبار مع عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، توفي نحو سنة ١١٥

(٣) ناقل الشاعر : ناقضه ، ورجل قل بفتح فكسر وذو قل بفتححتين ، إذا كان جليلاً مناقلاً (٤) الساجلة : الفاخرة (٥) للبهت : المثير (٦) المعجب : الذي يسببك جماله (٧) البيوت كالآليات : جمع بيت (٨) مسلسل : من السلسلة بفتح السين وهي وهي اتصال النثر بالثنى (٩) مرسل : غير مسلسل (١٠) التقد : الوزن (١١) السرد : النسخ ، والتحرير ، ومثله التقدير : الضبط (١٢) سائرهِ : باقيه

الإمتاع ، فيكمل منه ما يُؤنقُ القلوبَ والأسماع<sup>(١)</sup> ؛ إذ كان الخروجُ من حِدِّ إلى حَزَلٍ ، ومن حَزَنٍ إلى سَهْلٍ<sup>(٢)</sup> أنقى للكلِّ<sup>(٣)</sup> ، وأبعدُ من اللِّلِّ ؛ وقد قال إسماعيل بن القاسم [ هو أبو الصّاهية ]<sup>(٤)</sup> :

لا يُصلِحُ النفسَ إذ كانت مُدَابَرَةً إلا التَّنَقُّلُ من حالٍ إلى حالٍ<sup>(٥)</sup>

الداعي لتأليف  
الكتاب

وكان السببُ الذي دعاني إلى تأليفه ، ونَدَبَنِي إلى تصنيفه ، ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان — أطال الله مدَّته ، وأدام نعمته ! — في الأدب<sup>(٦)</sup> ، وإفناقِ عمره في الطلب وماله في الكتب ؛ وأن اجتهدَه في ذلك حمّله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأنغصَ في طلبها<sup>(٧)</sup> ، باذلاً في ذلك ماله ، مستذباً فيه تعبهُ ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريفة ، وغرائب غريبة ، وسألني أن أجمعَ لها من مُختارها كتاباً يكتفي به عن جملتها ، وأضيفَ إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قارَ به وقارَته ، وشابهه ومائله ؛ فسارعتُ إلى مراده ، وأعنته على اجتهداه ، وألّفتُ له هذا الكتاب ، ليستفيق به عن جميع كتبِ الآداب ؛ إذ كان موشحاً من بدائع البديع<sup>(٨)</sup> ، ولآلئ الميكال ، وشعَى الخوارزمي ، وغرائب الصاحب ، ونفيس قابوس ، وشذور أبي منصور<sup>(٩)</sup> بكلامٍ يمتزجُ بأجزاء النفس لطافة ، وبالهواء رقة ، وبالماء عذوبة .

(١) يؤنق : يعجب (٢) الحزن : ما غلظ من الأرض ، ويقابله السهل (٣) الكلل : الإعياء ، ومثله الكلال (٤) ديوان أبي الصّاهية ٢٢٣ ، وفيه « لن يصلح النفس إذ كانت مدبرة » وفي نسخة « إن كانت مصرفة » (م)

(٥) مدابة : ذات سأم وملال ، والمدابة في الأصل : الهزيمة (٦) في الأدب : متعلق بكلمة رغبة (٧) أنغص وغمص : ذهب ، وغمص السيف في اللحم : غاب

(٨) موشح : مرصع (٩) البديع والميكال والخوارزمي والصاحب وقابوس وأبو منصور كل هؤلاء أعلام سيور المؤلف طرفاً من مظلومهم ومثورهم ، وهم من رجال القرن الرابع ، وسنذكر تراجمهم حين يعود المؤلف إلى الحديث عن آثارهم الأدبية

وليس لى فى تأليفه من الافتخار، أكثر من حُسن الاختيار؛ واختيارُ المرء  
 بطلعة من عقله، تدلُّ على تحفُّفه أو فضله؛ ولا شك - إن شاء الله - فى استجادة  
 ما استجدت، واستحسان ما أوردت؛ إذ كان معلوماً أنه ما انجذبت نفسٌ،  
 ولا اجتمع حسنٌ، ولا مال ير، ولا جال فيكر، فى أفضل من معنًى لطيف، ظهر  
 فى لفظٍ شريف؛ فكساه من حسن الموقع، قبولاً لا يدفع، وأبرزه بمُخْتَالٍ من  
 صفاء السبك [ وثقاء التلك ] وصحة الديباجة، وكثرة المسائية، فى أجل  
 حلة، وأجل حلية :

يستبطن الروح اللطيف نسيه<sup>(١)</sup> أَرْجَا، ويؤكل بالضمير ويشرَبُ<sup>(٢)</sup>  
 وقد رغبتُ فى التجافى عن المشهور، فى جميع المذكور، من الأسلوب الذى  
 ذهبُ إليه، والنحو الذى عولتُ عليه؛ لأن أول ما يقرع الأذان، أدعى إلى  
 الاستحسان، مما مجَّته<sup>(٣)</sup> النفوس لطول تكراره، ولقظته<sup>(٤)</sup> القول لكثرة استمراره؛  
 فوجدت ذلك يتعدَّر ولا يتيسر، ويمتنع ولا يتسع<sup>(٥)</sup>؛ ويوجب ترك ما ندر إذا اشتهر؛  
 وهذا يوجب فى التصنيف دخلاً<sup>(٦)</sup>، ويكسب التأليف دخلاً؛ فلم أعرض إلا عما  
 أهانه الاستعمال، وأذَّاله الابتذال<sup>(٧)</sup>؛ والمعنى إذا استدعى القلوب إلى حِفْظِهِ،  
 ما ظهر من مُستَحْسَن لفظه؛ من بارع عبارة<sup>(٨)</sup>، وناصع استعارة، وعُدُوْبَةٌ مَوْرِد،  
 وسهولة مقصد، وحسن تفصيل، وإصابة تمثيل؛ وتطابق أنحاء، وتجانس أجزاء،  
 وتمكُّن ترتيب، ولطافة تهذيب، مع صحَّة طبع وجودة إيضاح، يتفنه  
 تنقيف القِداح، ويصوره أفضل تصوير، ويقدره أكمل تقدير؛ فهو مشرق

(١) يستبطن : يستخرج (٢) مجَّته : مقته (٣) لقظته : رمته (٤) يتسع : يسهل

(٥) الدخل والدخل : العيب، ونخلة مدخولة : غنة الجوف (٦) أذَّاله : أهانه

(٧) من إضافة الصفة للموصوف، أى عبارة بارعة، وكذلك ما بعده

في جوانب السمع ، لا يُخلقه عَزَّوَدَهُ عَلَى المستعِد<sup>(١)</sup> :

وهو المُشَيِّع بِالسَّمْعِ إِنْ مَقَى وهو المضاعف حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا  
وإِنْ كُنْتُ قَدْ اسْتَدْرَكْتُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ سِقْفِي إِلَى مِثْلِ مَا جَرَيْتُ إِلَيْهِ ،  
وَاتَّقَصَرْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ عَلَيْهِ ، لِمَلَحَ أَوْرَدْتُهَا كُنُوفَاتِ السَّحْرِ<sup>(٢)</sup> ؛ وَهَرَنْظَمْتُهَا  
كَالْفَنَى بَعْدَ الْفَقْرِ ، مِنْ أَلْفَاظِ أَهْلِ الْعَصْرِ ، فِي مُحَاوَلِ النَّثْرِ ، وَمَعْقُودِ الشَّعْرِ ؛  
وَفِيهِمْ مَنْ أَدْرَكَتُهُ بَمُزَى ، أَوْ لَحِقَهُ أَهْلُ دَهْرِي ؛ وَلَهُمْ مِنْ لَطَائِفِ الْإِبْتِدَاعِ ،  
وَتَوَلِيدَاتِ الْإِخْتِرَاعِ ، أَبْكَارٌ لَمْ تَقَرَّعْهَا الْأَسْمَاعُ<sup>(٣)</sup> ، يُصْبُو إِلَيْهَا الْقَلْبُ وَالْطَّرْفُ ،  
وَيَقْطُرُ مِنْهَا مَاهُ الْمَلَاةِ وَالطَّرْفِ ، وَتَمَزَّجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ ، وَتَسْتَرْجِعُ نَافِرَ الْأَنْسِ ،  
تَحْمَلَاتُ تَضَاعِيفِهِ ، وَوَشَحَتْ تَأْلِيفِهِ ، وَطَرَزَتْ دِيبَاجَهُ ، وَرَصَّصَتْ تَاجَهُ ، وَنَقَلَتْ  
عُقُودَهُ ، وَرَقَّتْ بُرُودَهُ ؛ فَنُورُهَا يَرِفُ ، وَنُورُهَا يَشْفُ ، فِي دَوْحٍ مِنَ الْكَلِمِ  
مُونِقٍ ، وَرَوْنِقٍ مِنَ الْحِكْمِ مُشْرِقٍ :

صَفَا وَتَقَى عَنْهُ الْقَدَى فَكَانَهُ إِذَا مَا اسْتَشَفَّتْهُ الْعِيُونَ مَصْنَعَهُ<sup>(٤)</sup>

فهو كما قلت :

بَدِيعٌ نَثَرَ رَقَّ حَتَّى غَدَا يَجْرِي مَعَ الرُّوحِ كَمَا تَجْرِي  
مِنْ مَذْهَبِ الْوَشْيِ عَلَى وَجْهِهِ دِيبَاجَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الشَّعْرِ<sup>(٥)</sup>  
كَرْهَرَةٍ الدُّنْيَا وَقَدْ أَقْبَلَتْ تَرَوْدُ فِي رَوْضِهَا النَّضْرِ<sup>(٦)</sup>  
أَوْ كَالنَّسِيمِ النَّضِ غِبَّ الْحَيَا يَحْتَالُ فِي أُرْدِيَةِ الْفَجْرِ<sup>(٧)</sup>  
وَلَعَلَّ فِي كَثِيرٍ مِمَّا تَرَكْتُ ، مَا هُوَ أَجْوَدُ مِنْ قَلِيلٍ مِمَّا أَدْرَكْتُ ؛ إِذْ كَانَ اتِّصَارًا  
مِنْ كُلِّ عَلَى بَعْضٍ ، وَمِنْ قَيْضٍ عَلَى بَرَضٍ<sup>(٨)</sup> ؛ وَلَكِنِّي اجْتَهَدْتُ فِي اخْتِيَارِ

(١) لا يخلقه : لا يذهب بمجده وروقه (٢) اللوح : جمع ملحمة ، وهي الكلمة  
المستلحمة المستعذبة . والنفاث : جمع نافثة ، وهي الساعرة (٣) اقترع البكر : فض بكارتها

(٤) تصعد : ارتفع (٥) وشى مذهب : مطرز بالذهب

(٦) ترود : تختال (٧) غب الحيا : عقب للطر (٨) فيض : كثير ، وبرض : قليل

ما وجدت ؛ وقد تدخل اللفظة في جماعة اللفظات ، ويمرُّ البيت في خلال الآيات ، وتعرض الحكاية في عرض الحكايات ، يتمُّ بها المعنى المراد ، وليست مما يُستجداد ، ويثبت عليها قرط الضرورة إليها [في إصلاح خلل] ؛ فهما تَرَهُ من ذلك في هذا الاختيار ، فلا تفرِّض عنه بطرف الإنكار ؛ وما أقلَّ ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب ، الموسوم بـ «زهر الآداب» ، ونمر الألباب» لكنني أردت أن أشارك من يخرج من ضيق الاغترار ، إلى فسحة الاعتذار :

ويسىء بالإحسان ظناً ، لا كمن يأتيتك وهو بشعره مفتون<sup>(١)</sup>  
والله المؤيد والمسدّد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

[ إنَّ من البيان لسيّراً ]

روى عن عبد الله بن عباس - رضوان الله عليهما ! - قال :  
وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ وَعَمْرُو بْنُ الْأَهِمِّ ؛  
فقال الزُّبْرَقَانُ : يا رسول الله ! أنا سيّدُ تميم ، والمطاعُ فيهم ، والمجابُ منهم ، أخذُ  
لهم بحقهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك - يعني عمراً .  
فقال عمرو : أجل يا رسول الله ؛ إنه مانعٌ لِحَوَازَتِهِ<sup>(٢)</sup> ، مُطَاعٌ في  
عشيرته ، شديدُ العارِضةِ فيهم<sup>(٣)</sup> .

فقال الزُّبْرَقَانُ : أمّا إنه والله قد علم أكثرُ مما قال ، ولكنه حسدني شرفي !  
فقال عمرو : أمّا لئن قال ما قال ؛ فوالله ما علمته إلا ضيقَ العطن<sup>(٤)</sup> ، زَمِرَ  
المروءة<sup>(٥)</sup> ، أحقَّ الأب ، لثيم الخال ، حديثُ الفتى .

(١) هكذا حور المؤلف البيت ، وهو لأبي تمام ، ونصه في الأصل :

ويسىء بالإحسان ظناً لا كمن هو بابه وبشعره مفتون

(٢) حوزة الرجل : ما يحوزُه ويملكُه (٣) العارضة : البديهة وقوة الكلام

(٤) العطن : اللناخ حول الورد ، وضيق العطن : كناية عن البخل

(٥) زمر المروءة - بالراء - أي قلبها ، وفي نسخة زمن : أي إلى

الزُّبْرَقَانُ بْنُ  
بَدْرٍ وَعَمْرُو بْنُ  
الْأَهِمِّ يَنْبَغِي  
رَسُولَ اللَّهِ

فرأى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ؛  
 قال : يا رسول الله ؛ رضيتُ قتلْتُ أحسنَ ما علنت ، وغضبتُ قتلْتُ أفبَحَ  
 ما علنت ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ من البيان لسحرا ، وإنَّ من  
 الشعر لحكمة . ويروى للحكما ، والأول أصح .

والذي روى أهل الثَّبت ، من هذا الحديث أنَّه قدِمَ رجلان من أهل للشرق  
 خطبا ؛ فعجِبَ الناسُ لبيانهما ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ من  
 البيان لسحرا ، أو إنَّ من بعض البيان لسحرا <sup>(١)</sup> .

ترجمة عمرو  
 ابن الأَهم

وعَمْرُو بن الأَهم هو : عَمْرُو بن سِنان بن سُمَيٍّ [ بن سِنان بن خالد ]  
 ابن مِثْرَ ابن عُبَيْد بن الحارث ، والحارث هو : مُقاعِس بن عمرو بن كعب  
 ابن سعد بن زيد مناة بن تميم . وسُمَيَّ سِنان الأَهم لأنَّ قيس بن عاصم المِثْغَرِي  
 سَيِّدُ أَهلِ الوَبَرِ ضربه بقوسه فهَمَّ فاه . هذا قولُ أبي محمد عبد الله بن مسلم  
 ابن قتيبة . وقال غيره : بل هُمَ قُومُ الكُلابِ الثاني ، وهو يومٌ كان  
 لبني تميم على أَهلِ اليمن . وكان عمرو يلقب المُكْحَلَّ لجلاله ، وبنو الأَهم أَهلُ  
 بيتِ بلاغةٍ في الجاهلية والإسلام . وعبد الله بن عمرو بن الأَهم هو جدُّ خالد  
 ابن صَفْوان وشَيْب بن شَيْبَة . وكان يقال : الخطابة في آلِ عَمْرُو ، وكان شعره  
 حَمَلًا مُنْشَرَةً عند الملوك تأخذُ منه ما شاءت . وهو القائل :

ذريني فإنَّ البخلَ يا أُمَّ مالِكٍ لصالحِ أخلاقِ الرجالِ سَرُوقُ

لَعَمْرُكَ ما ضاقت بلادُ بأهلها ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تَضيقُ <sup>(٢)</sup>

ترجمة الزبرقان  
 ابن بدر

والزبرقان : اسمه حُصَيْن بن بَدْر بن امرئ القيس [ بن الحارث ] بن

(١) أنظر القصة كما رواها أولا في مجمع الأمثال للبيداني ( ٦/١ بولاق ) (م)

(٢) هذا البيت ورد أيضا في أبيات بشار التي مطلعها :

خليلى إن العسر سوف يفيق وإن يسارا فى غد تخليق

بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ كَسْبٍ بْنِ سَعِيدٍ . وَسمى الزَّبْرَقَانُ لجلاله ؛ . وَالزَّبْرَقَانُ :  
القمر [قبل تمامه] وقيل : لآنه كان يُزْبَرَقُ عمامته ، أي يصفرها في الحرب .  
وكانوا يستون الكلام التريب « السحر الحلال » ، ويقولون : اللفظ الجليل  
من إحدى التفنات في العقد<sup>(١)</sup> .

وذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمرُ بْنُ عبد العزيز رضى الله عنه  
قَدِمَ عليه وفودُ أهل كل بلد ؛ فتقدم إليه وفدُ أهل الحجاز ، فأشربَ منهم  
غلامٌ للكلام<sup>(٢)</sup> ، فقال عمر : يا غلام ؛ ليتكلمَ مَنْ هو أَسَنُّ منك ! فقال الغلام :  
يا أمير المؤمنين ! إنما المرء بأصغرَ يو قلبه ولسانه ، فإذا منَحَ اللهُ عبده لساناً  
لافظاً ، وقلباً حافظاً ، قد أجاد له الاختيار ؛ ولو أن الأمور بالسِّنِّ لكان هاهنا  
مَنْ هو أحقُّ بمجلسك منك .

قال عمر : صدقت ، تكلم ؛ فهذا السحرُ الحلال ! فقال : يا أمير المؤمنين ،  
نحن وفد التهنئة لا وفد التمرِزة<sup>(٣)</sup> ، ولم تُقدِّمنا إليك رغبةً ولا رهبةً ؛ لأننا  
قد آمنا في أيامك ما خفنا ، وأدركنا ما طلبنا !

فسأل عمر عن سِنِّ الغلام ، فقيل : عشرين .

وقد روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضراً ، فنظر وجهه عمر قد تهلَّلَ  
عند ثناء الغلام عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا يفلتبَنَّ جملُ القوم بك معرفتك  
بنفسك ؛ فإن قوماً خدعهم الثناء ، وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم ، فهووا في  
النار<sup>(٤)</sup> . أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقت بسالف هذه الأمة ؛ فبكي عمر حتى  
خيفَ عليه ، وقال : اللهم لا تُخْلِنَا من واعظ !

(١) التفنات : جمع نفثة ، وهي أن تنفل الساحرة بريقها على ما تقدمه ، وفي  
نسخة « التفنات » جمع هامة وهي الساحرة نفسها (م) (٢) اشرب : تطلع  
(٣) الرزك : الاستجداء وطلب النوال (٤) هووا : سقطوا ، من هوى يهوى على  
وزن ضرب يضرب ، بخلاف هوى يهوى على وزن علم فإنه بمعنى أحب



وقد رُوي أن عمر قال للسلام: عظمي، قال هذا الكلام، وفيه زيادة يسيرة وقص  
ر أخذ قول عمر: « هذا السحر الحلال » أبو تمام قال يعاتب أبا سعيد  
محمد بن يوسف الطائي:

إذا ما الحاجةُ انبَعَثَتْ يَدَاها      جَعَلْتَ التَّمَنِّيَّ مِنْكَ لَهَا عَقَالًا  
فأين قصائدُ لي فيكَ تَأَبَّى      وتأنفُ أنْ أهانَ وأنْ أذْلا  
هي السَّخَرُ الحلالُ لِمُجْتَلِيهِ      ولم أرَ قبلها سِجْرًا حَلَالًا

وكتب أبو الفضل بن العميد<sup>(١)</sup> إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب ورد إليه من ابن العميد  
لبعض إخوانه [ فأجده ]:

وَصَلِّ ما وُصِّلَتْني به ، جعلني الله فداك ، من كتابك ، بل نعمتك التامة ،  
ومنتك العامة ؛ فقررت عيني بوروده ، وشفيت نفسي بوفوده ، ونشرتُه فصغى  
نسيمَ الرياضِ غبَّ المطر ، وتنفسَ الأنوارِ<sup>(٢)</sup> في السَّخَرِ ، وتأملتُ مُفْتَتِحَه ، وما  
اشتعل عليه من لطائفِ كَلِمِكَ ، وبدائعِ حِكْمِكَ ؛ فوجدته قد تحمّل من فنون  
البرِّ عنك ، وضروبِ الفضلِ منك ، جدًّا وهرًّا ، ملأ عيني ، وعمرَ قلبي ، وغلب  
فِكْرِي ، وبهرَ لُبِّي ؛ فبقيتُ لا أدري : أسموطُ ذرٍّ خَصَصْتَنِي بها ، أم عقود  
جوهرٍ منخَنيها ؟ كما لا أدري أبكرًا زَفَقْتَهَا فيه ، أم روضةً جَهَزْتَهَا منه ؛  
ولأدري أخذوداً ضُرِّجَتْ حياءُ ضَمَّتْهُ ؛ أم نجومًا طلعت عِشَاءً أودعته ؛ ولأدري  
أجدُّك أبلغَ وألطفَ ، أم هزلَك أرفعَ وأظرفَ ؛ وأنا أوْكَلُ بِدَتِّحِ ما انْغَطَوِي  
عليه نَفْسًا لا تَترى الحَظَّ إلا ما اقْتَنَزَتْهُ منه ، ولا تَعُدُّ الفضلَ إلا فيما أَخَذَتْهُ عنه ،  
وَأَمْتَعَتْ بِأَمَلِهِ عينا لا تَقْرَأُ إلا بِمِثْلِهِ ، مما يَصْدُرُ عن يَدِكَ ، ويرِدُ من عندك ،  
وأعْطِيهِ نَظْرًا لا يَملُه ، وطَرْفًا لا يَطرِفُ دونه ، وأَجعلُه مِثْلًا أَرْتَسُهُ وأَحْتَدِيهِ ،

(١) كان ابن العميد إمام الكتاب في عصره حتى قيل فيه « بدئت الكتابة بعد الحيد ،  
وختمت بابن العميد » . توفي سنة ٣٦٩ بعد أن تولى كثيرا من المناصب العالية

(٢) الأنوار : جمع نور - بفتح النون - وهو نوار الزهر

وَأَمْتَعْ خَلْقِي بَرَوَيْهِ ، وَأَغْذِيْ نَفْسِيْ بِبَهْجَتِهِ ، وَأَمْزِجْ قَرِيْحِيْ بِرَفَقَتِهِ ، وَأَشْرَحْ صَدْرِيْ بِقَرَاءَتِهِ ، وَلَيْسَ كُنْتُ عَنْ تَحْصِيلِ مَا قَلَّتْهُ عَاجِزًا ، وَفِي تَعْدِيدِ مَا ذَكَرْتَهُ مُتَخَلِّفًا ؛ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ مَا سَمِعْتُ بِهِ مِنَ السَّخْرِ الْحَلَالِ .

من وصف  
الكلام بالسحر

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ يَمْدَحُ كَاتِبًا :  
وَإِذَا جَرَى قَلَمُ لَه فِي مُهْرِقِ  
عَجَلَانَ فِي رَفْلَانِهِ وَوَجِيْفِهِ <sup>(١)</sup>  
نَظَمْتُ مَرَاثِفَهُ قَلَانِدَ نَظَمْتُ  
بَنَفِيسِ جَوَاهِرِ لَفْظِهِ وَشَرِيفِهِ  
يَذْعًا مِنَ السَّخْرِ الْحَلَالِ تَوَلَّدَتْ  
عَنْ ذَهْنِ مَصْقُولِ الذِّكَا مَشُوفِهِ <sup>(٢)</sup>  
مَثَلًا لِضَارِبِهِ وَزَادَ مُسَافِرِي  
جُعِلَتْ وَنَحْفَةَ قَادِمٍ لِأَلِيفِهِ  
وَعَلَى ذِكْرِ قَوْلِهِ «وَنَحْفَةَ قَادِمٍ» قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ : وَصَفَ رَجُلًا  
رَجُلًا قَال : كَانَ وَاللَّهِ تَمَحُّجًا سَهْلًا ، كَأَنَّمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُلُوبِ نَسَبٌ ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
الْحَيَاةِ سَبَبٌ ، إِنَّمَا هُوَ عِيَادَةُ مَرِيضٍ ، وَنَحْفَةُ قَادِمٍ ، وَوَاسِطَةُ عَقْدٍ .

وصف رجل  
محبوب

وَأَخَذَ بَعْضُ بَنِي الْعَبَّاسِ رَجُلًا طَالِيًّا ، فَهَمَّ بِعُقُوبَتِهِ ، فَقَالَ الطَّالِي : وَاللَّهِ لَوْلَا  
عُودِي إِلَى وَصْفِ  
الكلام بالسحر  
أَنْ أَتُفْسِدَ دِينِي بِفَسَادِ دُنْيَاكَ نَمَلَكْتُ مِنْ لِسَانِي أَكْثَرَ مِمَّا لَكْتُ مِنْ سَوَاطِكِ ،  
وَاللَّهِ إِنَّ كَلَامِي لَفَوْقَ الشَّعْرِ ، وَدُونَ السَّخْرِ ، وَإِنْ أَيْسَرَهُ لَيَنْقُبُ أَنْتَرُ ذَلَّ ،  
وَيَحِطُّ الْجَنْدَلُ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ <sup>(٣)</sup> يَصِفُ حَدِيثَ امْرَأَةٍ :

وَحَدِيثُهَا السَّخَرُ الْحَلَالُ نَوَّاهُ أَنَّهُ  
لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ التَّحَرُّزُ <sup>(٤)</sup>  
بِنْ طَالٍ لَمْ يُمَلَّلْ ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ  
وَدَّ الْحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزْ  
شَرَاءُ الْعُقُولِ ، وَنَزْهَةٌ مَا مِثْلُهَا  
لَمْ تُطْمِنْ ، وَعُقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِرِ <sup>(٥)</sup>

(١) المهرق يفتح الراء : الصحيفة ، والجمع مهارق — عجلان : مسرع — الرفلان :

السير في تبخر — الوجيف : السير السريع (٢) الشوف : الجلو

(٣) هو ابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٣ (٤) التحرز : التحفظ (٥) الشرك : الفسخ — العقلة

العقال ، المستوفز : الستعجل — والشاعر يذكر أن حديث هذه المرأة نزهة للعقل من  
وعقال لمن بهم بالانصراف .

ألم في بيته الآخر بقول الطائي :

كَوَاعِبُ أَتْرَابٍ لَمِيدَاءُ أَصْبَحَتْ      وليس لها في الحسن شكلٌ ولا تَرْبُ (١)  
لَهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّوَاطِرِ لَمْ يَرْكَلْ      يَرْوُحٌ وَيَفْدُو فِي خَفَارَتِهِ الْخُبُ (٢)  
وَأَوَّلُ مَنْ اسْتَارَ هَذَا الْمَعْنَى أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكَنْدِيُّ فِي قَوْلِهِ :  
وَقَدْ أَغْتَدَيْ وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا      بِمُنَجَّرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ (٣)  
وَقَالَتْ عُلَيَّةُ بِنْتُ الْمُهْدِي :

اشرب على ذكر الفزال      الأغيد الحلو الدلال  
اشرب عليه وَقُلْ لَهُ :      يا غُلَّ أَلْبَابِ الرِّجَالِ (٤)

وكانت عُليَّةُ لطيفةً للمعنى ، رقيقةً الشعر ، حسنةً مجازي الكلام ، ولها  
أَلْحَانٌ حِسَانٌ ، وَعَلِقَتْ بِنِلامِ اسمِهِ « رَشَاءُ » وفيه تقول :  
علية بنت المهدي  
الرشيد

أَضْحَى الْقِسْدُودَ بَرِينَا      عِبَاءُ كَثِيلاً مُنْجَبَا  
فَجَعَلْتُ زَيْنَ سُرَّةٍ      وَكُنْتُ أَمراً مُنْجَبَا  
[قولها : بزینب تريد برشأ .]

فَنَسِيَ الْأَمْرَ إِلَى أَخِيهَا الرِّشِيدِ ، فَأَبْهَمَهُ ، وَفِيلَ : قَتَلَهُ ، وَعَلِقَتْ بَعْدَهُ بِنِلامِ  
اسمِهِ « طَلٌّ » ، فَهَالِهَا الرِّشِيدُ : وَاللَّهِ لَئِنْ ذَكَرْتَهُ لَأَقْتُلَنَّكَ ! فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا

(١) الكواعب : جمع كاعب ، وهي الفتاة تكعب ثديها : أي ، تتأ كالكعب ،  
أتراب : خدينيات ، وتاربت الفتاة : خادتها ، قال كثير :

تأرب أيضاً إذا استلمت كأم الظباء ترف الكبائنا

وقد يراد بالأتراب الشبهات في السن والحسن — والقيداء : الناعمة

(٢) قيد النواظر : هو للنواظر كالقيد — الحفارة : الحماة (٣) الوكنات : جمع  
وكنة ، وهي العش ، والنجرد : الفرس سقط شعر من الضمور ، والأوادم : الوحوش  
النافرة ، والميسكل : الضخم (٤) القل : هو الطوق يوضع في عنق الأمير

على حين غفلة وهي تقرأ : فإن لم يصيها وابل فما نهي عنه أمير المؤمنين ، فضحك ، وقال : ولا كل هذا ، وهي القائلة :

يا عاذلي قد كنت قبلك عاذلا      حتى ابتليت فصرت صباً ذاهلا  
الحب أول ما يكون نجاة      فإذا تحكّم صار شغلا شاعلا<sup>(١)</sup>  
[أرضى فيغضب قاتلي فتمجبوا      يرضى القتل ولا يرضى القاتلا]

وهي القائلة :

وُضع الحب على الجور ، فلو أنصف المشوق فيه لسمّج<sup>(٢)</sup>  
[قليل الحب صرفاً خالصاً      لك خير من كثير قد مزج]  
ليس يتحسن في نعت الموى      عاشق يحسن تأليف الحجب  
وتأنها ذهبت في الأول إلى قول العباس بن الأحنف :  
وأحسن أيام الموى يومك الذي      تروّع بالهجران فيه وبالعتب  
إذ لم يكن في الحب خط ولا رضا      فإن حلاوات الرسائل والكُتب  
وقد زاد النخري في هذا فقال :

راحتي في مقالة المذال      وشفائي في قيلهم بعد قال  
لا يطيب الموى ولا يحسن الحب لصب      إلا يحسن خصال  
بسماع الأذى ، وعذل نصيح ،      وعتاب ، وهجرة ، وتقال<sup>(٣)</sup>  
وقال بعض المحدثين :

لولا اطراد الصيد لم تكن لذة      فتطاردى لي في الوصال قليلا<sup>(٤)</sup>  
هذا الشراب أخو الحياة وماله      من لذة حتى يصيب غليلا<sup>(٥)</sup>

أشبه الشعر على  
بنت المهدي

(١) المجانة : البت (٢) سمج : قبح (٣) التقال : التباض

(٤) اطراد الصيد : جره (٥) التليل : الظم الشديد

وقال آخر :

دَعِ الصَّبَّ يَصِلْ بِالْأَذَى مِنْ حَبِيْبِهِ      فَإِنَّ الْأَذَى مِنْ تُحْبٍ سُورُ<sup>(١)</sup>  
غُبَارُ قَطِيعِ الشَّاءِ فِي عَيْنِ ذَنْبِهَا      إِذَا مَا تَلَا آتَاهُنَّ دُرُورُ<sup>(٢)</sup>  
وَأُنْشِدَ الْأَصْبَعِي [لَجْلِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْمَذَرِيُّ] <sup>(٣)</sup> :

لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ وَقَفًّا لَا تَحْرُكُهُ      عَوَاضُ الْيَأْسِ أَوْ يَرْتَاخَهُ الطَّعْمُ  
لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي      لَكُنْتُ أُمْلِكُ مَا آتَى وَمَا أَدْعُ  
إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا دَاعٍ لِيَحْزَنِي      كَادَتْ لَهُ شُعْبَةٌ مِنْ مُهْجَتِي تَقَعُ<sup>(٤)</sup>

وهذا البيت كقول علي بن العباس الرومي :

لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامَةَ الْمَشَاقِ      فَكِفَاهُ بِالْوَجْدِ وَالْأَشْوَابِ  
إِنَّ الْبَلَاءَ يَطْلُقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ      فَإِذَا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقٍ  
لَا تُطْفِئَنَّ جَوَى بُلُوْمٍ ؛ إِنَّهُ      كَالرَّيْحِ تُقَرِّي النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ  
ويشبه بَيْتَ عَلِيَّةِ الْآخَرِ بَيْتُ أَنْشِدَ فِي شِعْرِ رُؤْيَى لِأَبِي نَوَاسٍ ، ورواه  
قوم لعنان جارية الناطقي<sup>(٥)</sup> وهو :

حَلَوُ الْعَتَابِ يَهِيْجُهُ الْإِدْلَالُ      لَمْ يَحُلْ إِلَّا بِالْعَتَابِ وَصَالُ  
لَمْ يَهَوْ قَطُّ وَلَمْ يُسَمَّ بِعَاشِقٍ      مَنْ كَانَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ التَّغْدَالُ<sup>(٦)</sup>

(١) يصل : يحترق (٢) القنور : هو الملح يذر على اللحم والقليل يوضع على الثريد وهو كذلك الدواء في العين . والمراد أن غبار الشاء في عين الذئب هو كالتوابل يوضع على الطعام

(٣) الأصمعي هو عبد الملك بن قريب ، ونسب إلى جده أصمع ، نشأ بالبصرة ، وأخذ عن فضحاء البادية ، واتصل بالرشيد ، وتوفي سنة ٢١٦ (٤) شعبة : قطعة

(٥) الناطقي : رجل من أهل بغداد ، وعنان : شاعرة ماجنة سمعها الرشيد فاشتراها بعد أن غالى بها سيدها ، ولها أخبار كثيرة مع أبي نواس توفيت في نحو سنة ٢٠٠  
(٦) التغدال : اللوم ، ومثله العذل

وجميع أسباب الترام بيرة  
تصف القضيب على الكتيب قناتها  
ولرب لابة قنّاع ملاحه  
كنت الحذائنة ظرفها وجلها  
وكانها والكأس فوق بناتها  
حتى إذا ما استأنست بحديثها  
قلنا لها : إن صدقت أقوالها  
قولي فليس تراك عين نعمة  
وضير ما اشتعلت عليه ضلوعنا  
وقد أخذ أبو الطيب المتنبي معنى «قيد الأوباد» ، فقال يصف كلباً :  
نيلُ المني وحكم نفس المرسل  
كانه من علمه بالقتل  
وقال في بنى حمدان :

ما قيل في معنى  
«قيد الأوباد»

متواضعين على عظيم الشأن<sup>(٥)</sup>  
يَتَقَبَّلُونَ ظلال كلِّ مُطَهَّمٍ  
أجل الظلم وريفة السرحان<sup>(٦)</sup>  
وقال أعرابي يصف فرساً : إنه لدَرَكَ الطالب ، وَمَنْجَى الهارب ،  
وقيد الزمان ، وزين الفناء .

(١) يخال: يترقق (٢) الجريال : الحمر ، يريد الشاعر أن يصف تلك الحسنة  
بعدم التحرز في الحديث وقد لعبت برأسها الصبياء .

(٣) التفل: التلب، وفي النسخ القديمة (التفل) وهو تصحيف (٤) بقرط : من  
كبار الأطباء القدماء ، والأكل : عرق في اليد (٥) متصلاك: متظاهراً بالفقر، والكثافة:  
الضخامة (٦) مطهم : مضمّر دقيق الجسم ، والظلم : ذكر النعام، والريفة : الرباط ،  
والسرحان الذئب . والمعنى أنهم يتقبلون ظلال كل جواد في عدوه أجل الظلم وقيد الذئب

وقال بعض أهل العصر في وصف غلام : وَجْهَهُ قَيْدُ الْأَبْصَارِ ، وَأَمْدُ  
الْأَفْكَارِ ، ونهاية الاعتبار .

وقال أبو القاسم إسماعيل بن عباد<sup>(١)</sup> :

وَقَدْ أَتَيْتُ لِلصَّيْدِ غَدُوءَ أَصِيدٍ أَعَاجِلُ فِيهَا الْوَحْشَ وَالْوَحْشُ هَجْدُ<sup>(٢)</sup>  
فَمَنْتُ ظَبْيًا خِفَنَ تَحْتِي مَطْلَقَ السَّيْدِينَ بِهِ أَيْدِي الْوَحُوشِ تَقِيدُ<sup>(٣)</sup>  
فَذَرَكْتُهَا وَالسَّيْفُ لَمَعَهُ بَارِقٌ وَلَمْ يُغْنِهَا إِحْضَارُهَا حِينَ تَجْهَدُ<sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ رُعْتُمَا إِذْ كَانَ شَعْرِي رَائِمًا وَطَرَفُ مِشْبِي عَنْ عِذَارِي أَرْمَدُ<sup>(٥)</sup>  
وَمَا بَلَّغْتُ حَدَّ الثَّلَاثِينَ مُدَّتِي وَهَذَا طِرَازُ الشَّيْبِ فِيهِ يُدَدُ<sup>(٦)</sup>

وأبيات ابن الرومي من أجود ما قيل في حسن الحديث ، وقد توسَّع الشعراء  
في هذا الباب ، وكثُر إحصائهم ، كما كثر افتنائهم ، وسأجرى شأواً في مختار  
ما قيل في ذلك ، وأعود إلى ما بدأتُ به .

قال القطامي - واسمه عُمَيْرُ بْنُ شَيْبَةَ التَّمَلِي<sup>(٧)</sup> ، وسمى القطامي لقوله :

يَحْطُلُنْ جَانِبًا جَانِبًا حَطَّ الْقَطَامِيُّ الْقَطَا الْقَوَارِبَا<sup>(٨)</sup>

وقال أبو عبيدة : ويقال للصقر قُطَامِي وقُطَامِي :

وَفِي الْخُدُورِ غِمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا حَتَّى تَصِيدُنَا مِنْ كُلِّ مُصْطَادٍ

يَقْتُلُنَا بِمَحْدِثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي<sup>(٩)</sup>

(١) هو صاحب بن عباد المشهور ، التوفي ٣٨٥ (٢) الأصيد : من يرفع رأسه كبرا

(٣) عنت : عرضت ، ومطقق اليدين : وصف للفارس بالسرعة

(٤) الإحضار : نوع من السير السريع ، وتجهد : تعب (٥) أرمَد : كليل البصر ،

يريد أن الشيب لم يسم يصره إلى عذاره

(٦) الطراز : الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد

(٧) في النسخ القديمة (التملي) وهو تحريف (٨) القوارب : طالبات الماء

(٩) يتقين : يخفن ، وباد : ظاهر .

فَهْنٌ يَنْبِذُنْ مِنْ قَوْلِ بَصِيْنٍ بِهِ مَوَاقِعُ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْفَلَةِ الصَّادِي (١)  
 وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيمِي ، وَاسَمَهُ الْهَيْثَمُ بْنُ الرَّبِيعِ :  
 وَخَبَرَكِ الْوَاشُونَ أَنَّ لَنَا أَحَبَّكُمْ بَلَى وَشَتَوَ اللَّهُ ذَاتِ الْحَارَةِ  
 وَإِنْ دَمًا ، لَوْ تَعْلَمِينَ ، جَنِينَةٍ عَلَى الْحَيِّ جَاءِي مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمٍ (٢)  
 أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ عَزَاءُ بَكُمْ إِلَّا ابْتِلَاعُ الْعَلَاقِمِ (٣)  
 حَيَاءٌ وَتَقْيَا أَنْ تَشِيْعَ نَمِيَّةٌ بِنَاوَبِكُمْ ، أَفَ لِأَهْلِ النَّعَامِ (٤)  
 أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ إِلَيْهِ الْقَنَا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَازِيَةِ (٥)  
 وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا طَلَّ مُسْلِمًا كَفَرُ الثَّنَائِيَا وَاضْجَعَاتِ الْمَلَاغِمِ (٦)  
 إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سَقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ كَفِّ نَازِلٍ (٧)

(١) مَوَاقِعُ الْمَاءِ مِنَ الظَّمَانِ : كَنَاءَةٌ عَنِ الْأَحْشَاءِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ حَدِيثَيْنِ يَشْفِي  
 الصَّبَّ الْمَغْرَمَ كَمَا يَطْفِئُ الْمَاءُ لَوْعَةَ الْقَلِيلِ !  
 (٢) «لَوْ تَعْلَمِينَ» جُمْلَةٌ مَقْرُضَةٌ ، وَلَوْ هُنَا لِلتَّمِيمِي (٣) الْعَلَاقِمُ : جَمْعُ عَلَقَمٍ ، وَهُوَ الْحَنْظَلُ  
 وَكُلُّ شَيْءٍ مَرٍ . وَرَوَايَةُ الْمُرْدُ :  
 أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ شَفَاءٌ لَنَا إِلَّا اجْتِرَاعُ الْعَلَاقِمِ  
 وَاجْتِرَاعُ : مَصْدَرُ اجْتَرَعَ الْمَاءُ أَيْ ابْتَلَعَهُ  
 (٤) تَقْيَا : خَوْفٌ ، وَرَوَايَةُ الْمُرْدُ بَقِيَا ، وَأَفَ لِأَهْلِ التَّهَامِ : تَبَاهُمُ !  
 (٥) أَرْقَلْتُ : أَسْرَعْتُ ، وَالرَّاعِفَاتُ وَالرَّوَاعِفُ : الرِّمَاحُ تَسِيلُ الرِّعَافَ - بَضْمُ  
 الرَّاءِ - وَهُوَ الدَّمُ ، وَاللَّهَازِمُ : الْقَوَاطِعُ ، وَالْمُقَرَّدُ لَهُنَّ عَلَى وَزْنِ جُضْفَرٍ (٦) الْفَرُ :  
 الْبَيْضُ ، وَالْمَلَاغِمُ : هِيَ طَرَفُ الْأَنْفِ وَمَا حَوْلَهُ إِلَى الشَّفَتَيْنِ ، وَالْوَضُوحُ : الْبَيَاضُ  
 وَالْإِشْرَاقُ ، وَطَلَّ : مِنْ قَوْلِهِمْ يَطْلُو لَوْ إِذَا مَضَى هَدْرًا . وَاتَّبَتْ هَذَا الْبَيْتَ فِي النَّسَخِ  
 الْقَدِيمَةِ هَكَذَا :

وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا ظَلَّ مُسْلِمًا لَعَرُ الثَّنَائِيَا وَاضْجَعَاتِ الْمَلَاغِمِ  
 وَهُوَ تَحْرِيفٌ . هَذَا وَرَوَايَةُ الْمُرْدُ «وَلَكِنْ لِمِصْرَاقِهِ» ، الْخُجْ ، وَالْكَافُ فَاعِلٌ «طَلَّ»  
 فِي قَوْلِهِ «مَا طَلَّ مُسْلِمًا كَفَرُ الثَّنَائِيَا» . (٧) وَقَعَ عَنِ الْمُرْدِ «سَقَطَ حَصَى الْمَرْجَانِ» (م)



رَمَتَيْنِ فَأَنْقَذَنَ الْقُلُوبَ ، وَلَا تَرَى دَمًا مَائِرًا إِلَّا جَوَى فِي الْحَيَازِمِ<sup>(١)</sup>  
وقال أيضاً :

حديثٌ - إذا لم تَحْشَ عَيْنًا - كأنه إذا ساقطته الشَّهْدُ أو هو أَطْيَبُ  
لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ من الموت كادت سَكْرَةُ الموت تَذْهَبُ  
إلى هذا ينظر قول الآخر وإن لم يكن منه :

أَقُولُ لِأَصْحَابِي وَهْمٌ يَمْذُوتُنِي وَدَمْعٌ جُفُونِي ذَائِمُ الْعَصَرَاتِ  
بِذِكْرِ مَتَى نَفْسِي فَبَلُّوا ، إِذَا دَنَا خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا ، جُفُوفٌ لَهَايَ<sup>(٢)</sup>  
وقال سديف مولى بنى هاشم يصف نساء :

وَإِذَا تَطَلَّعَ تَحَاظُّنَ نَوَاطِلًا دُرًّا يُقَصِّلُ لَوْلَا مَكْنُونًا  
وَإِذَا ابْتَسَمَ فَيَنْهِنُ غَمَامَةً أَوْ أَقْحَوَانِ الرَّمْلِ بَاتَ مَيِّينًا<sup>(٣)</sup>  
وَإِذَا طَرَفَتْ طَرْفِي عَنْ حَذَقِ اللَّهَى وَفَضْلُنِي تَحَاجَرًا وَجُفُونًا<sup>(٤)</sup>  
وَكُنَّ أَجْيَادَ الظُّبَاءِ تَمُدُّهَا وَخُصُورُهُنَّ لَطَافَةً وَلُدُونًا<sup>(٥)</sup>  
وَأَصْحٌ مَارَاتِ الْعِيُونُ تَحَاجَرًا وَلَهْنٌ أَمْرَضُ مَا رَأَيْتُ عِيُونًا<sup>(٦)</sup>

(١) أنقذت القلوب : من قولهم «رَمَيْتَهُ فَأَنْقَذْتَهُ» إذا أنقذت فيه السهم . ورواية  
للبرد «أَقْصَدَتِ الْقُلُوبَ» بمعنى أصبنا من قولهم أَصْدَتِ الرَّجُلُ إِذَا طَعَنَهُ فَمِنْ غَطَى مَقَاتِلَهُ ،  
وماثر : سائل ، والحيازيم : جمع حيزوم ، وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر  
(٢) الهاء : اللحمة الشرفة على الحلق ، وهذا البيتان من الشعر الرائع  
(٣) الأقحوان : زهر أبيض تشبه به الثغور الناصحة البياض ، وللعين :  
المطور ، والطر يزيد الزهر نضرة .

(٤) طرفن : حركن عيونهن ، والهيا : التزلان (٥) الأجياد : جمع جيد بكسر  
الجيم - وهو الضيق ، والدون والدونة - ضم اللام - الرقة

(٦) اللام في «لهن» لام الابتداء ، وللقصود بها التوكيد ، وفي هذا المعنى يقول جرير :  
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضف خلق الله إنسانا (م)

وكانتْهم إذا نهضن لحاجة ينهضن بالمعدات من يبرين<sup>(١)</sup>  
وقال الطائي<sup>(٢)</sup> :

تُعطيك منطقيها فتعلم أنه ليحني عذوبته يبري يشرها  
وأعلن حبلى وصلها لمحبها أوهى وأضعف قوة من خصرها  
أخذه أبو القاسم بن هاني<sup>(٣)</sup> ، قال يمدح جعفر بن علي ، إلا أنه قلبه قال :  
قد طيب الأفواء طيب ثنائه من أجل ذا نجد الثفور عذابا  
وكأنما ضربت السماء سرادقا بالزأب ، أورقع النجوم قبابا<sup>(٤)</sup>  
أرضا وطئت الدرر روضا بها والمسك ترابا والرياض جنابا<sup>(٥)</sup>

(١) القعدات : جمع عقدة ، وهي السفع والكتيب ، ويبرين : اسم مكان من  
أصقاع البحرين ، يقول فيه أبو زياد الكلابي .

أراك إلى كيثان يبرين صبة وهذا للمعري لو قمت كتيب  
وإن الكتيب القريدين أي من الحمى إلى ، وإن لم آته ، الحبيب

(٢) نسيه شاذة إلى طيء ، وكلا ذكر « الطائي » فالمراد أبو تمام ، وهو شاعر  
غل من شعراء الدولة العباسية . ولد في جاسم - وهي قرية قريبة من دمشق في سنة ١٩٠  
للهجرة ، ونقل صغيراً إلى مصر ، وأقام بهامدة يسقى الماء في جامع عمرو ، ثم رحل  
إلى مقر الخلافة بعد أن نبغ في الشعر والأدب ، فالتص بالمعتصم ووزره محمد بن الزيات ،  
ثم ولأه الحسن بن وهب بريد الوصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٣١ . وله ديوان  
(٣) محمد بن هاني : من أكبر شعراء الأندلس وأشهرهم . وكان يسمى  
« متفي القرب » لجزالة شعره وقوة عارضته ، وهو صاحب الكافية المشهورة التي  
يقول في مطلعها :

فكناك لحظك أم سيوف أيك وكؤوس خمر أم مراشف فيك  
توفي في سنة ٣٦٢ ، بعد أن جاب كثيراً من الأقطار واتصل بكثير من الرؤساء .  
أما جعفر بن علي ممدوحه فقد توفي سنة ٣٦٤ .  
(٤) الزأب : من أعمال أفريقية (٥) الرضراض : صغار الحمى

وقال الطائي :

بَسَطْتَ إِلَيْكَ بِنَانَةً أُنْرُوها      تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُقَلَّةً يَنْبُوها<sup>(١)</sup>  
كَادَتْ لِعِرْقَانِ النَّوَى أَلْقَانُها      مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى تَكُونُ دُمُوعُها  
وَمِنْ جَيِّدِ هَذَا الْمَعْنَى وَقَدِيمِهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي<sup>(٢)</sup> :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأُتَيْمِطٍ رَاهِبٍ      عَبَدَ إِلَهَهُ صَرُورَةً مُتَبَدِّ<sup>(٣)</sup>  
لَرَأَى لِلْهَيْجَتِهَا وَطَيْبِ حَدِيثِهَا      وَلِحَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدْ  
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمَاجَةٍ لَمْ تَقْضِها      نَظَرُوا السَّالِمِينَ إِلَى وَجْهِهِ الْعُودِ<sup>(٤)</sup>  
وَمِنْ مَشْهُورِ الْكَلَامِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا      أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّئُ لِي وَيَدُنُو بَعِيدِها  
مِنْ أَنْتَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسِها      إِذَا مَا انْقَضَتْ أُحْدُوْتُهُ لَوْ تُتَمِيدُها<sup>(٥)</sup>  
تَحْمَلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيتُها      وَرُمَى بِلَا جُرْمٍ عَلَى حُودِها<sup>(٦)</sup>  
وقال بشار :

وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثِها      قِطْعُ الرِّيَاضِ كَسِبَ زَهْرُها  
حَوْرَاهُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ سَقَتَكَ بِالْمَيْنِ حَمْرُها<sup>(٧)</sup>  
تُنْسِي النَّوَى مَعَادَهُ      وَتَكُونُ لِلْحِكْمَاءِ ذِكْرُها  
وَكَأَنَّهَا بَرَدُ الشَّرَا      بَصْفًا وَوَاقِفٌ مِنْكَ فُطْرُها<sup>(٨)</sup>

- 
- (١) الأسروع : دود أحمر الرأس تشبه به الأنامل المخضبة (٢) النابغة : شاعره جاهلي محب النعمان بن المنذر وأجاد القول في الاعتذار  
(٣) الأتيمط : من غلظت يابض شفره سواد ، وصرورة ، وصارورة ، وصرور : لم يزوج ، للواحد والجمع (٤) العود : جمع عائد ، والراد أنها تنظر بتكسر وفور كما ينظر السقيم إلى وجوه العواد - والمحنوظ «نظر السقيم» وهو نسخة ، وكذلك هو في ديوانه (م) (٥) الحفرات : من الحفر - بفتحين - وهو الحياء .  
(٦) تحلل : تحلل وتلذذ ، والأحقاد والحقود : جمع حقد ، والجرم : القذبة  
(٧) حوراء : من الحور - بفتحين - وهو شدة يابض العين مع شدة سواد سوادها (٨) في الأصل «وافق فيه قطراً» والذي أثبتناه أوفق

وَكَانَ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يُنْفِثُ فِيهِ سِحْرًا  
وَتَحَالُ مَا جَعَتْ عَلَيْهِ يُبَاهِيهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا<sup>(١)</sup>

وسمع بشارت قول كثير بن عبد الرحمن<sup>(٢)</sup> :

أَلَا إِنَّمَا لِي عَصَا خَيْرَ رَأَنَةٍ إِذَا نَعَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ  
قَالَ : قَاتِلَ اللَّهِ أَبَاصْغَرَ ! يَزْعِمُ أَنَّهَا عَصَا وَيَعْتَدِرُ بِأَنَّهَا خَيْرُ رَأَنَةٍ ، وَلَوْ قَالَ :  
عَصَا مُخْ ، أَوْ عَصَا زُبْدٍ : لَكَانَ قَدْ هَجَّجَهَا مَعَ ذِكْرِ الْعَصَا ، هَلَا قَالَ كَمَا قُلْتَ :  
وَدَعَجَبَاءَ لِلْحَاجِرِ مِنْ مَعْدَةٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا كَمَرُ الْجَنَانِ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَثْنَتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ زَانٍ

وبعد قول كثير : « أَلَا إِنَّمَا لِي عَصَا خَيْرَ رَأَنَةٍ » :

تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَقَتْكَ ، وَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ شَجَى فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ  
وَلِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ الْيَأْنَ فَإِنَّهَا لَأَخْرَجَتْ مِنْ خَلَاتِهَا سَتَلِينَ  
وَأِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَحْضُوبِ الْبَنَاتِ يَمِينُ  
وقال البحتري :

وَلَمَّا التَقَيْنَا وَالْوَلَى مَوْعِدٌ لَنَا تَعَجَّبَ رَأَى الدُّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً  
فِنْ لَوْ لَوْ تَجَنَّبَهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْ لَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ نُقَاطَةً  
وقال المتنبي :

أَمْنَصَةُ بِالْمَوَدَّةِ الظُّلْمِيَّةِ الَّتِي بَغِيرَ وَلِيِّي كَانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِيُّ<sup>(٤)</sup>  
تَرَشَّفْتُ فَأَهَا سُحْرَةٌ فَكَأَنِّي تَرَشَّفْتُ حَرًّا الْوَجْدِ مِنْ هَارِدِ الظُّلْمِ<sup>(٥)</sup>

(١) يصف جسمها بأنه قطعة من الذهب والعطر .

(٢) هو كثير عزة المتوفى في سنة ١٠٥ (٣) دجباء : حوراء .

(٤) الوسمي : الطر الأول ، والولي : المطر الذي يليه .

(٥) الظلم بفتح الظاء : الثغر ، قال كعب بن زهير :

تَجَلَّوْا عَارِضَ ذِي ظِلِّمْ إِذَا ابْتَسَمَ كَأَنَّهُ مِنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَمْلُوءٌ

وفي أساس البلاغة : الظلم كأنه ظلمة تركب متون الأسنان من شدة الصفاء

فتاةٌ تساوى عقدها وكلامها ومتبسمها الدرّى في الثرو والنظم.

تفسير حديث  
وضبط لفظه

عاد الحديث الأول - قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي :  
حدثنا يوسف بن يعقوب قال : أخبرني جدّي قراءة عليه ، عن أبي داود ، عن  
محمد بن عبيد الله ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يرفعه إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال : « إن من الشرّ الحُكْمَا ، وإن من البيان لِسِحْرًا » قال أبو القاسم :  
هكذا روينا الخبر ، وراجعت فيه الشيخ ، فقال : نعم ، هو : « إن من الشرّ الحُكْمَا »  
بضم الحاء وتسكين الكاف ، قال : ووجهه عندي إذا روى هكذا : إن من  
الشر ما يلزم القول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه ؛ إصا بة للمعنى ، وقصدًا للصواب  
وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْلَا سَبِيلُ سَهْمِ الشَّرِّ مَادَرَى بُغَاةَ الثُّلَى مِنْ أَيْنَ تُوَاتَى الْمَكَارِمُ <sup>(١)</sup>  
يُرَى حِكْمَةٌ مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاكُهُ وَيُرْضَى بِمَا يَقْفَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمُ  
اتمى كلام أبي القاسم .

الخطيئة  
وبنو أنف  
الناقة

وقد وجدنا في الشر أياتًا يخرى على رسمها ، ويُتَصَّى على حكمها ؛ قد كان  
بنو أنف الناقة إذا ذكّر أحدٌ عند أحد منهم أنف الناقة - فضلًا عن أن ينسبهم  
إليه - اشتدَّ غضبهم عليه ؛ فما هو إلا أن قال الخطيئة <sup>(٢)</sup> يمدحهم :  
سِيرِي أَمَامَ فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَى وَالْأَطْيَبِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا <sup>(٣)</sup>

(١) البغاة : الطلاب . وفي الأصل « بغاة الدى » وما أثبتناه أدق .

(٢) هو جروول بن أوس ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . كان سليط  
اللسان لم يكده إسلام من هجائه أحد ، وقد سجنه عمر بن الخطاب لذلك ، توفي  
بحو سنة ٣٠ .

(٣) سيري : أمر من السير المفردة المؤنثة ، وأغام - بضم الهيمزة - عرخها أمامة  
وهو اسم امرأة ، والأكثرين حصى : أى أكثر الناس عديدًا ، ومنه قول الأعشى :  
ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكثير (م)

قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا جَارَهُمْ شَدَّوا الْعِنَاجَ وَشَدَّوا قُوَّةَ الْكِرْبِ<sup>(١)</sup>  
قَوْمٌ مُمُّ الْأَنْفِ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يَنْسَوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا  
فَصَارَ أَحَدُهُمْ إِذَا سَتَلَ عَنْ اتِّسَابِهِ لَمْ يَبْدَأْ إِلَّا بِذِ

وَأَنْفِ النَّاقَةِ : هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن زيد مناة بن تميم .  
وكان بنو العجلان يَفْخَرُونَ بهذا الاسم ، ويتشرفون بهذا الوسم ؛ إذ كان  
عبدُ الله بن كعب جدُّهم إنما سَمِيَ العجلان لتعجيله القِرَى للضيَّفَانِ ؛ وذلك أن  
حيًّا من طيِّه نزلوا به ، فبِثَّ إليهم بِقِرَامِ عَبْدِ اللَّهِ ، وقال له : انجَلِ عليهم ،  
فَعَمِلَ الْعَبْدُ ، فَأَعْتَقَهُ لِعَجَلَتِهِ ، فقال القوم : ما ينبغي أن يسمي إلا العجلان ؛ فسمى  
بذلك ؛ فكان شرفًا لهم ، حتى قال النجاشي ، واسمه قيس بن عمرو بن حرن  
ابن الحارث بن كعب يهجوهم :

بنو العجلان  
والنجاشي  
الحارثي

أُولَئِكَ أَخْوَالُ اللَّيْنِ وَأُسْرَةُ الْحَمِيحِينَ وَرَهْطُ الْوَاهِنِ الْمُنْذَلِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِ خَذِ الْقَعْبَ وَأَحْلِبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ انْجَلِ

فصار الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال : كعبي ، ويكنى عن العجلان  
وزعمت الرواة أن بني العجلان استعمدوا<sup>(٣)</sup> على النجاشي - لما قال هذا الشعر - عمر  
ابن الخطاب رضي الله عنه ، وقالوا : هَجَانَا ، قال : وما قال فيكم ؟ فأنشدوه قوله :

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرِقَّةٍ ضَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطُ ابْنِ مُقْبِلٍ  
قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُمَادِي مُسْلِمًا ، قَالُوا : قَدْ قَالَ :

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَطْلُبُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) الصنّاج : جبل الدلو وزمام الناقة . والكرب أيضا : من جبال الدلو ، والمراد  
أنهم إذا عقدوا عقداً ربطوه بحبل بعد جبل ، وهذا كناية عن وثاقة العهد  
(٢) الأسرة والرهط بمعنى القوم ، والمهجين : غير الشريف ، والواهن : الضعيف  
(٣) استعانوا واستعصروا (٤) قبيلة تصغير : قبيلة ، وفي الأصل قبيلته وهو تعريف ؛  
والعنى أنهم لا يقدرون لضغيمهم على ظلم أحد .

قال : وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك ! قالوا : قد قال :

تَمَافُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لِحَوْمَهُمْ      وَتَأْكُلُ مِنْ عَوْفِ بْنِ كَبِّ بْنِ نَهْشَلٍ

قال : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه ! قالوا : قد قال :

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً      إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَهْلٍ<sup>(١)</sup>

قال : ذلك أصفى للماء ، وأقل للزحام ! قالوا : قد قال :

وَمَا سُمِّيَ الْمَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِ      خَذِ الْقَمْبَ وَاخْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ

قال : سيد القوم خادهم !

وكان جبر رضي الله عنه أعلم بما في هذا الشعر ، ولكنه درأ الحدود بالشبهات<sup>(٢)</sup>

وهؤلاء بنو نعيم بن عامر بن صمصمة من القوم أحد جرات العرب بنو نعيم وجري

وأشرف بيوت قيس بن عيلان بن مضر . وجرات العرب ثلاثة ؛ وإنما سُمُّوا

بذلك لأنهم متوافرون في أنفسهم ، لم يَدْخُلُوا معهم غيرهم ؛ والتجبر في كلام العرب :

التججيع ، وهم بنو نعيم بن عامر ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد . ففقت

جراتان ، وهما بنو ضبة لأنها حالفت الرباب ، وبنو الحارث لأنها حالفت مذحج ، جرات العرب

وبقيت نعيم لم تحالف ؛ فهي على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له :

مَنْ أَنْتَ ؟ قال : نيمري كما ترى ! إِدْلَالاً بِنَسَبِهِ ، واقتبازاً بمنصبه ، حتى قال جرير

ابن عطية بن الخطمي لثبيد بن حصين الراعي أحد بني نعيم بن عامر :

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ      فَلَا كُفْبًا بَلَفَتْ وَلَا كِلَابًا

كعب و كلاب : ابنا ربيعة بن عامر بن صمصمة ؛ فصار الرجل منهم إذا قيل له :

مَنْ أَنْتَ ؟ يقول : عامري ، ويكنى عن نعيم .

ومرّت امرأة بقوم من بني نعيم ، فأحدّثوا النظر إليها ، فقال منهم قائل : والله

(١) يريد أنهم لا يستطيعون ورود الماء إلا إذا انصرف عنه الناس — وذلك

كناية عن ضعفهم وعدم قدرتهم على المزاخرة للوصول إلى الماء (م)

(٢) هذا الحديث رواه ابن رشيقي في العمدة بشيء من التفصيل فليراجع هناك .

إِنهَا لَرَشْحَاءٌ<sup>(١)</sup>، قَالَتْ : يَا بَنِي نَعِيرٍ ، وَاللَّهِ مَا امْتَلِئْتُ فِيَّ وَاحِدَةً مِنْ اثْنَتَيْنِ ، لَأَقُولَ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنْبَارِهِمْ ) وَلَا قَوْلَ الشَّاعِرِ :

• فَضَّضَ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَعِيرٍ •

شريك بن عبد الله النخعي  
ابن هيرة الفزاري  
وساير شريك بن عبد الله النخعي يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، فَبَرَزَتْ  
بِفُتْلَةِ شَرِيكَ<sup>(٢)</sup> ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : غَضٌّ مِنْ لَجَامِهَا ، قَالَ : إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ أَصْلَحَ اللَّهُ  
الْأَمِيرُ ! فَضَحِكَ ، وَقَالَ : مَا ذَهَبَتْ حَيْثُ أُرِدْتُ

وَإِنَّمَا عَرَّضَ بِقَوْلِهِ : « غَضٌّ مِنْ لَجَامِهَا » بِقَوْلِ جَرِيرٍ :

• فَضَّضَ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَعِيرٍ •

فَعَرَّضَ لَهُ شَرِيكَ بِقَوْلِ ابْنِ دَرَّازٍ :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوبِكِ وَأَكْتُبْنَهَا بِأَشْيَارٍ<sup>(٣)</sup>

والفرزدقي يهجو ابن هيرة  
وبنو فزارة يُرْمَوْنَ بِأَتْيَانِ الْإِبِلِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْفَرَزْدَقُ لِيَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ  
لِأَوَّلَى عَمْرِو بْنِ هَبِيرَةَ<sup>(٤)</sup> الْعِرَاقِ :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنْتَ مَرَّةٌ  
أَوَّلَيْتَ الْعِرَاقَ وَرَأْفَدِيَّةَ  
وَلِإِيكَ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ  
أَمِينَ اسْتَبَطَعَ بِالطَّبَعِ الْحَرِيصِ  
فَزَارِيًّا أَحْذَى يَدَ الْقَمِيصِ<sup>(٥)</sup>  
لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرِكِي قُلُوصَ<sup>(٦)</sup>

(١) رشحاء : كثيرة العرق ، وذلك من عيوب النساء .

(٢) برزت : سبقت (٣) اكتنبا : مأخوذ من الكتبة - بضم الكاف وسكون  
التاء وهو سير يكتب به حياء الناقة ثلاثين عليها . وكتب الناقة يكتبها - بكسر التاء  
وضمها في الضارع - حتم حياءها .

(٤) عمر بن هيرة الفزاري : أمير من الدهاة الشجعان ، ولده عمر بن عبد العزيز  
الجزيري ، فأقام فيها إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك ، فولاه إمارة العراق  
وخراسان ، توفي نحو سنة ١٩٠ (٥) أخذ : مقطوع ، ومقطوع يد القميص كناية  
عن السارق (٦) القلوص : الناقة ، والخوف على وركي الناقة كناية عن الخوف عليها  
من أن يأتيها الفزاري !



تَفَيْهَقَ بالعراق أبو المثنى وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكَلَ الخبيص<sup>(١)</sup>

الرافدان : دجلة والفرات .

نمير بن  
جرير

وقال بعض النخعيين ينجب جريراً عن شِفْرِه :

نمير جرة العرب التي لم تزل في الحرب تلهب التهايا  
وإني إذ أسبُّ بها كليباً فتحت عليهم للخسف بابا  
ولولا أن يقال هجنا نميراً ولم يسمع لشاعرهم جوايا  
رغبنا عن هجاء بني كليب وكيف يشاتم الناس الكلابا

فانفع نميراً ، ولا ضرر جريراً ، بل كان قال الفرزدق :

ما ضرَّ تَلَبَّ وإثلي أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلَّتْ حَيْثُ تَنَاطَعَ الْبَحْرَانِ

وقال أبو جعفر محمد بن منذر مولى بني صبيح بن ربوع في هجائه لثقيف :

وسوف يزيدكم ضقة هجائي كما وضع الهجاء بني نمير

وسمع الراعي<sup>(٢)</sup> منشداً ينشد :

رَعَايَ عَوَى من غير شيء رَمَيْتُهُ بقافية أَغَاذُهَا تَقَطَّرُ الدَّمَا<sup>(٣)</sup>

خَرُوجٍ بِأَفْوَاهِ الرُّوَاهِ كُنْهَا قَرَى هُنْدُوَانِي إِذَا هَزَّ صَمَمًا<sup>(٤)</sup>

له ، وقال : لمن هذا ؟ قيل : لجرير ، قال : لمن الله من يلومني أن يظلمني مثل هذا !

قد بنى الشعر قوم بيوتاً شريفة ، وهدم لآخرين أبنية منيفة :

يا هو إلا القول يَمْتَرِي ففتدى له غُرْرِي أَوْجِهِي وَمَوَاسِمُ<sup>(٥)</sup>

ال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي<sup>(٦)</sup> سمعت أبا عمرو بن العلاء ورجل يقول :

( تَفَيْقُ : عاش عيشة الترف ، والخبيص : طعام يعمل من التمر والسمن .

( الراعي : هو عبيد بن حصين النخعي ، شاعر فحل كان يفضل الفرزدق على

جاء جرير ، واستمر بينهما العداة . توفي نحو سنة ٩٠

( أَغَاذُ : جمع فخذ ففتحين ، وهو الشق تحذنه الطعنة

( الهندواني : السيف ، والقرى : الشق والصنع ، وصم : أصاب الفصل وقطعه

( مواسم : جمع ميسم ، وأصله من الوسم ، وأراد به السك (م)

( كان من أبصر الناس بعلوم اللغة العربية توفي سنة ٣٠٩

فضل الشعر

إنما الشعر كاليسم<sup>(١)</sup>. قال: وكيف يكون ذلك كذلك؟ واليسم يذهب بذهاب الجلد  
ويُدْرُس مع طول المهْد، والشعر يَبْقَى على الأبناء بعد الآباء، ما بقيت الأرض والسماء!  
وإلى هذا نحا الطائي في قوله :

وأنى رأيتُ الوَسمَ في خُلُقِ الفَتَى      هو الوَسمُ لا ما كان في الشَّعر والجِلْدِ  
وقال عمر رَحِمَهُ اللهُ عليه : تَعَلَّمُوا الشَّعْرَ ؛ فَإِنَّ فِيهِ مَحَاسِينَ تُبْتَنَى ، وَمَسَاوِيءَ تُتَّقَى .  
وقال أبو تمام :

إِنَّ القَوَاقِيَّ والمَسَاعِيَّ لَمْ يَزَلْ	مِثْلَ النِّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا
هِيَ جَوْهَرٌ نَثَرْتُ فَإِنْ أَلْفَتُهُ	فِي الشَّعْرِ كَانَ قَلَانِدًا وَعُقُودَا
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتِ العَرَبُ الأُلَى	يَدْعُونَ هَذَا سُودَدًا مَجْدُودَا
وَتَنِدُّ عَنْدهُمْ المَلَأَ إِلا إِذَا	جُمِلَتْ لَهَا مِرْرُ القَصِيدِ قِيُودَا <sup>(٢)</sup>

وقال علي بن الرومي :

أرى الشعر يُحْيِي النَّاسَ وَالْجَدَّ بِالَّذِي تَبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطَرَاتُ  
وَمَا الْجَدُّ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدٌ . وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَغْطَمُ نَجْرَاتٍ (٢)  
[شذور من كلام الرسول]

رجعت إلى ما قطعت ، مما هو أحق وأولى ، وأجل وأعلى ، وهو كلامُ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الكريم النَّجْر (٣) ، العظيم القَدْر ، الذي هو النهايةُ في البيان ،  
والغايةُ في البرهان ، المشتغل على جوامع الكلم ، وبدائع الحكم ، وقد قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَتَى مِنْ قَرِيشَ ، وَاسْتَرْضَعْتُ فِي سَعْدِ  
ابْنِ بَكْرٍ ! وليس بعضُ كلامه بأولى من بعض الاختيار ، ولا أحقَّ بالتقديم والإيثار ؛  
ولكنني أورد ما تيسر منه في أول هذا الكتاب استفتاحاً ، وتيمناً بذلك واستنجاحاً .

(١) اللبسم : الكوادة . (٢) الرر : جمع مرة - بكسر الهمزة - وهي إحكام القتل ،  
وتند : تنفر وتشرذم . (٣) معاهد : أراد الأطلال الدارسة ، والمقصود أن الجَدَّ  
يفنى ويبلى بلاء الأطلال ما لم يدعمه الشعر . (٤) النجر : الأصل .

وهذه شذوذه من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الفصيح ، العزيز الوجيز ،  
للتضمن بقليل من المباني كثير الماني :  
قوله للأنصار : إنكم لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند القزع .

وقوله عليه الصلاة والسلام : المسلمون تنكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم  
أدناهم ، وهم يد على من سواهم . الناس كإبل مائة لا يجد فيها راحلة . إياكم وخضراء  
الدم<sup>(١)</sup> . كل الصيد في جوف القرا<sup>(٢)</sup> . قاله لأبي سفيان صخر بن حرب .  
الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا . المؤمن للؤمن  
كالبنيان يشد بعضه بعضا . أصبحاني كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . التشيع بما  
لم يعط كلابس ثوبي زور . المرأة كالضلع إن رمت قوامها كسرتها<sup>(٣)</sup> ، وإن  
داريتها استمتت بها . اليد العليا خير من اليد السفلى . مطلق الفنى عظم .  
يد الله مع الجماعة . الحياه شعبة من الإيمان . مثل أبي بكر كالفطر ، أينما وقع  
نفع . لا تجلوني في أعجاز كتبكم كقدح الراكب<sup>(٤)</sup> . أربعة من كنوز الجنة :  
كتمان الصدقة والمرض والمصيبة والفاقة . جنة الرجل داره . الناس نيام فإذا  
ماتوا انتبهوا . كفى بالسلامة داء . إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعواهم  
بأخلاقكم . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . كل ميسر لما خلق له .  
اليمين حنث أو مندمة<sup>(٥)</sup> . دغ ما يريك إلى مال يريك . أنصر أخاك ظالما كان

---

(١) السم : جمع دمنة ، وهى مربوط الإبل والحيل يثبت فيها النبات فيكون رائحة  
الخضرة لكثرة الماء والسماد ، وخضرء الهمز : كناية عن المرأة الوسيمة تدرج من  
بيت السوء .

(٢) القرا : حمار الوحش ، ( كل الصيد في جوف القرا ) مثل ، ومعناه أن من  
قال الأمر العظيم كان خليفا أن ينسى ما سواه مما ينال الناس .

(٣) القوام بالكسر : التقويم (٤) الأعجاز : الأواخر  
(٥) الحنث بكسر الحاء : الذنب ، والمضى أنك حين تهم تهم بين الذنب والتندم

أومظلوماً . احترسوا من الناس بسوء الظن . الندم توبة . انتظر الفرج عبادة . نعم صومعة الرجل يتنه . المستشير ممان والمستشار مؤتمن . المرء كثير بأخيه . إن القلوب صدأ كصدأ الحديد . وجلاؤها الاستغفار . اليوم الرهان وغدا السباق ، والجنة الغاية . كل من في الدنيا ضيف ، وما في يديه عارية ، والضيف مُرْمَلٌ ، والعارية مؤداة .

ومن جوامع كده عليه الصلاة والسلام مارواه أهل الصحيح عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه . »

قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكنانى : سمعت أهل العلم يقولون : هذا الحديث ثلث الإسلام ، والثلث الثانى مارواه النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمورٌ مشتهيات ، فمن تركها كان أوفى لدينه وعرضه ، ومن واقعها كان كالرائع حول الحمى ؛ ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » (١) .

قال : و [ الثلث ] الثالث مارواه مالك [ عن ] ابن شهاب عن على ابن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

(١) الحمى : الشيء المسمى للمنوع ، والمحارم : جمع محرم بمعنى الحرام ، يعنى أن المحرمات التى نهى الله ورسوله عنها تشبه الحمى ، فكأنه لا يجوز أحد على الاقتراب مما يحويه الملوك ينبى ألا يقرب أحد شيئاً مما حرمه الله ، وفى رواية « فمن تركها فقد استوفى لدينه وعرضه » (م)

وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعرَ وأُتِيَ عليه ، وَندَّبَ  
حَسَّانَ بنَ ثَابِتٍ إِلَيْهِ <sup>(١)</sup> ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَفَّحَ عَنْ نَبِيِّهِ <sup>(٢)</sup> .  
وَلَمَّا اتَّعَى شِعْرُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَقَّ عَلَيْهِ <sup>(٣)</sup> ، فَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ <sup>(٤)</sup> فَاسْتَنْشَدَهُ فَأَنْشَدَهُ قَالَ : أَنْتَ  
شَاعِرٌ كَرِيمٌ ، ثُمَّ دَعَا كُتَيْبَ بْنَ مَالِكٍ فَاسْتَنْشَدَهُ فَأَنْشَدَهُ ، قَالَ : أَنْتَ تَحْزِينُ صِفَةَ  
الْحَرْبِ ، ثُمَّ دَعَا بِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فَقَالَ : أَيْجِبْ عَنِّي ، فَأَخْرَجَ لِسَانَهُ فَضْرَبَ بِهِ  
أُذُنَيْتَهُ <sup>(٥)</sup> ؛ ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي بَيْنَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِهِ مِقُولًا فِي مَعَدٍّ ؛  
وَلَوْ أَنَّ لِسَانًا فَرَى الشَّعْرَ لَفَرَّاهُ <sup>(٦)</sup> . ثُمَّ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ  
يَمَسَّ مِنْ أَبِي سَفْيَانَ ، فَقَالَ : وَكَيْفَ ، وَيَبْنِي وَبَيْنَهُ الرَّحِمُ الَّتِي قَدْ عَلِمْتَ ؟ فَقَالَ :  
أَسْأَلُكَ مِنْهُ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ ! فَقَالَ : اذْهَبْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ أَعْلَمَ  
النَّاسِ بِأَنْسَابِ قُرَيْشٍ ، وَسَأَلَ الْعَرَبَ ، وَعَنْهُ أَخَذَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ عِلْمَ النِّسَبِ ،  
فَفَضَى حَسَّانُ إِلَيْهِ فَذَكَرَ لَهُ مَعَايِبَهُ ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

وإِنَّ سَنَامَ الْمُجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      بنو بنت مخزوم ووالدك العبد  
وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْهُمْ      كرام، ولم يقرب عجايزك للمجد<sup>(٧)</sup>  
وَلَسْتَ كَمُبَّاسٍ وَلَا كَبْنِ أُمِّهِ      ولكن نسيم لا يقوم له زند<sup>(٨)</sup>  
وإِنَّ امْرَأًا كَانَتْ سُمَيَّةُ أُمِّهِ      وسموا مغموز إذا بالغ الجهد<sup>(٩)</sup>  
وَأَنْتَ زَنْبٍ نَيْطَ فِي آلِ هَاشِمٍ      كما نيط خلف الراكب القدح الفرد<sup>(١٠)</sup>

- 
- (١) ندب : دعا (٢) نافع : دافع (٣) شق عليه : عظم عليه (٤) عبد الله بن رواحة : صحابي يمد في الأمراء والشعراء الراجزين ، كان يكتب في الجاهلية ، شهد العقبة وبدر وأحدا . واستخلفه النبي على المدينة في إحدى غزواته . توفي سنة ٨ .  
(٥) الأربة : طرف الأنف (٦) يفرى الشعر : يحويه ، ومحو الشعر : كناية عن غاية الإيذاء (٧) السجائر : جمع عجموز (٨) الزند : موصل طرف الذراع في الكف (٩) الجهد : التعب . وبلوغه : شدته ، وهذا كناية عن السعي للمجد ، وللمغموز : الحامل (١٠) زنب : دعى معلق بمن ليس منه ، ونيط بكسر النون : علق

فلما بلغ هذا الشر أباسفيان قال : هذا كلامٌ لم يَقْبِ عنه ابنُ أبي قُحافة<sup>(١)</sup> يعني بني بنت مخزوم عبد الله وأباطالب والزبير بنى عبد المطلب بن هاشم [بن عبد مناف] ، أمُّهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وأخواتهم بركة وأميمة والبيضاء ، وهى أم حكيم ، والبيضاء جدّة عثمان بن عفان أم أمه . وقوله : « ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام » يعني أميمة وصفية أم الزبير بن العوام أمّها هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة . وقوله : « ولست كعباس ولا كإبن أمه » أمّ العباس : ثقيلة امرأة من النّسب ابن قاسط ، وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب . وقوله : « وإن امرأة كانت سمية أمه » سمية أم أبي سفيان ، وسمراء : أم أبيه ، وليس هذا موضع إطناب فى رفع الأنساب . وكان عبدُ الأعلى بن عبد الرحمن الأموى عتّب على بعض ولد الحارث ، فقال له مُعرّضاً بما قال حسان :

إِخَالٌ بِالْمَمِّ وَبِالْجُدِّ      مَفْتَخِرٌ بِالْقَدَحِ الْفَرْدِ<sup>(٢)</sup>  
 الْهَجْجُ بِحَثَّانٍ وَأَشْعَارِهِ      فَإِنِّهَا أَدْعَى إِلَى الْمَجْدِ  
 لَوْلَا سَيْفُ الْأَزْدِ لَمْ تَوْمِنُوا      وَلَمْ تَقِيمُوا سُورَةَ الْحَمْدِ  
 فَتَوَعَّدُوهُ ، خَفَاهُمْ ، قَالَ :

بَنِي هَاشِمٍ عَفَوْا عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ      وَإِنْ كَانَ ثَوْبِي حَشَوْنِيهِ مُجْرِمٌ<sup>(٣)</sup>  
 لَكُمْ حَرَمُ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالْعَقَا      وَجَعَّ وَمَا ضَمَّ الْخَطِيمُ وَزَمَزَمُ  
 فَإِنْ قَلَسْتُمْ بِأَدْهَتِنَا بِعَظِيمَةٍ      فَأَحْلَاكُمْ مِنْهَا أَجْلٌ وَأَعْظَمُ

(١) ابن أبي قحافة : هو أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (م)

(٢) إخال - بكسر الهمزة - أظن ، واللى : أظنك مفتخراً بالقدر الفرد

(٣) حشو نثيه : أراد لابس ثوبه ، كناية عن نفسه ، وهذا مثل قولهم « المجدين رديه ، والجلود حشو ثوبه » ونحو ذلك (م)



وأسلم أبو سفيان - رحمه الله ! - وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين ،  
 وكان ممسكاً بقلته حين فرّ الناس ، وهو أحد الذين ثبتوا ، وم - على ما ذكره  
 أبو محمد عبد الملك بن هشام - أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، والعباس ، وأبو سفيان  
 ابن الحارث ، وابنه الفضل ، وريصة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن أم  
 أيمن بن عبيد قتل يومئذ ، وبعض الناس يعدّ فيهم قُثم بن العباس ، ولا يعدّ .  
 أما سفيان ، وكان أبو سفيان من أشعر قريش ، وهو القاتل :

لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ بَأَنَّا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حَصَانًا  
 وَأَكْثَرُهُمْ ذُرُوعًا بَنَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا<sup>(١)</sup>  
 وَأَدْهَمَهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنَهُمْ إِذَا نَقَعُوا لِسَانًا  
 ويروي أن ابن سيرين قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره  
 قد شق ناقته بزمامها حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرجل إذ قال : يا كعب  
 ابن مالك : احذ بنا ! فقال كعب :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ حَقٍّ وَخَيْرٌ نَمُ أَجْمَعُنَا السُّيُوفَ<sup>(٢)</sup>  
 نَحْبِرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِينٌ : دَوْسًا أَوْ قَتِينًا  
 فقال عليه السلام : والذي نفسي بيده لمي أشدّ عليهم من رشق النبل !  
 ويقال : إن دَوْسًا أسلمت فرقًا<sup>(٣)</sup> من كلمة كعب هذه<sup>(٤)</sup> ، وقالوا : اذهبوا فخذوا  
 لأنفسكم الأمان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم !

وقتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث ، وكان ممن أسير يوم بدر ،  
 النضر  
 ابن الحارث

(١) ساجات : طويلة صافية (٢) أجمنا : أرحنا (٣) فرقًا : خوطًا (٤) كان  
 كعب بن مالك جيد الشعر ، حتى قال روح بن زبياع : أشجع بيت وصف به رجل  
 ومه قول كعب :

صل السيف إذا قصرن مخطونا يوما ، ونلحقه إذا لم تلحق  
 وكانت وفاته سنة ٥٥

وكان شديد العداوة لله ولرسوله ، وقتله على بن أبي طالب رضى الله عنه صبراً<sup>(١)</sup>  
فعرضت النبی صلی الله علیه وسلم أخته قتيلة بنت الحارث - وفى بعض الروایات  
أن قتيلة أتته فأنشدته :

يا راكباً إن الأثيل مظنة<sup>(٢)</sup> من صبح غادية وأنت موق<sup>(٣)</sup>  
أبلغ بها ميتك بأن تحية ما إن تزال بها النجائب تمنق<sup>(٤)</sup>  
مق إلى وعبرة مسفوحة جادت بها كفها وأخرى تمنق<sup>(٥)</sup>  
هل يسمعى النضر إن نادته إن كان يسمع ميت لا ينطق<sup>(٦)</sup>  
ظلت سيف بن أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشق<sup>(٧)</sup>  
قسراً يقاد إلى اللية متعباً رشف المقيد وهو عان موق<sup>(٨)</sup>  
أحمد ما أنت صينو كريمة فى قوميا والفحل فحل مرق<sup>(٩)</sup>  
ما كان صررك لو منبت وربما من الفتى وهو للفيظ المحنق<sup>(١٠)</sup>  
فالنضر أقرب من قتلت قرابة وأحظم إن كان عتي يقتق<sup>(١١)</sup>  
أو كنت قابل فذبة فلفقدن بأعز ما يغنى به من ينفق

فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لها ودمعت عيناه ، وقال  
لأبي بكر : لو كنت سمعت شجرها ما قتلتها .

والنضر هذا هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلثة بن عبد مناف بن  
عبد الدار<sup>(١٢)</sup> . قال الزبير بن بكار<sup>(١٣)</sup> : وسمعت بعض أهل العلم يصرخ فى أبيات  
قتيلة بنت الحارث ويقول : إنها مصنوعة .

(١) صبراً : حبساً (٢) الأثيل : موضع بينه قتل فيه النضر (٣) موق : تنق : من  
الصق ، بفتحين ، وهو السير الخيث (٤) الواكف : الدائم الجريان (٥) تنوشه : تتاله  
بالطن (٦) قسراً : قهراً ، والرشف : مشى للقيد ، عان : أسير ، موق : مقيد (٧) يروى  
« ولأنت ضن » وصنو : ابن ، مرق : أصيل (٨) من : صفع ، والمحنق : الملعو بالفيظ .  
(٩) كان النضر حامل لواء للشركين يدبر فأسرهم المسلمون وقتلوه بعد انصرافهم  
من الواقعة (١٠) ولد الزبير بن بكار بالمدينة وولى قنصاً . مكة تنوفى فيها سنة ٢٥٦

[ من كلام أبي بكر رضى الله تعالى عنه ]

رثاؤه

لرسول الله

صلى الله عليه

وسلم

ودخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى بِثَوْبٍ<sup>(١)</sup> ، فكَشَفَ عَنْهُ الثَّوْبَ وَقَالَ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمَى ! طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَاقْطَعِ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ النَّبِوَةِ ، فَعَظُمْتَ عَنْ الصِّفَةِ ، وَجَلَّتْ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَخَصَصْتَ حَتَّى صَرْتَ مَسَلَةً ، وَعَمَّتْ حَتَّى صِرْنَا فِيكَ سَوَاءً . وَلَوْلَا أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ اخْتِيَارًا مِنْكَ لَجَدْنَا لِمَوْتِكَ مِنَ الْفَنُوسِ وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ لَأَقْدَنَّا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّوْنِ<sup>(٢)</sup> . فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ فِيهِ عَنَّا فَكَذَّبٌ وَإِدْنَانِ<sup>(٣)</sup> بِتَعَالَيْنِ وَلَا يَبْرَحَانِ . اللَّهُمَّ فَأَبْلِغْهُ عَنَا السَّلَامَ ، أَدْكُرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَلَنَكُنْ مِنْ بَالِكَ ؛ فَلَوْلَا مَا خَلَّفْتَ مِنَ السَّكِينَةِ لَمْ نُقِمِ مَا خَلَّفْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ؛ اللَّهُمَّ أَبْلِغْ نَبِيَّكَ عَنَا وَاحْفَظْهُ فِينَا ، ثُمَّ خَرَجَ .

قوله رضى الله عنه : « لَوْلَا أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ اخْتِيَارًا مِنْكَ » إِنَّمَا يَرِيدُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَسَمِعْتُهُ وَقَدْ شَخَصَ بِصَرِّهِ وَهُوَ يَقُولُ : فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى ! فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ ، فَقُلْتُ : لَا يَخْتَارُنَا إِذَنْ ، وَقُلْتُ : هُوَ الَّذِي كَانَ يَحْدِثُنَا . وَهُوَ صَحِيحٌ . وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مَاتَ وَفِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَرْضِهِ بِالْشَّنَحِ<sup>(٤)</sup> فَتَوَاتَرَتْ إِلَيْهِ الرِّسَالُ ، فَأَتَى وَقَدْ ذَهَلَ النَّاسُ ، فَكَانُوا كَالْخُرْسِ ، وَتَفَرَّقَتْ أَحْوَالُهُمْ ، وَاضْطَرَبَتْ أُمُورُهُمْ ، فَكَذَّبَ بَعْضُهُمْ بِمَوْتِهِ ، وَصَمَّتْ آخَرُونَ فَهَاتُوا تَكَلُّمًا بِالْأَبَدِ [ التَّنْغِيرِ ] . وَخَالَطَ آخَرُونَ فَلَا تُرَى<sup>(٥)</sup> الْكَلَامَ بِغَيْرِ بَيَانٍ ، وَحَقَّ لَهُمْ ذَلِكَ لِلرَّزِيَةِ

(١) مسجى : مغطى (٢) الشُّوْنُ : عروق السمع (٣) الإِدْنَانِ : المرض التقليل

(٤) الشَّنَحُ - جزم السين وسكون النون - موضع قرب المدينة . وَكَانَ بِمَنْزِلِ أَبِي بَكْرٍ

رضى الله عنه .

(٥) لَا تُرَى : خلطوا .

العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التي هي بيضة الشقر<sup>(١)</sup> ، وبيضة الدهر ، ومدى المصائب ، ومتى التواب ، فكل مصيبة بعدها جَلَلٌ عندها<sup>(٢)</sup> ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : لَتَبَزَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي مَصَائِبِهِمُ الْمَصِيبَةُ بِي .

حَالُ الصَّحَابَةِ  
عِنْدَ مَا بَلَغَهُمْ  
مَوْتُ الرَّسُولِ  
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممن كَذَّبَ بِمَوْتِهِ ، وقال : مَا مَاتَ ، وَلِيَرْجِعَنِي اللَّهُ ، فَلْيَقْطَعْ أَيْدِيَ النَّافِقِينَ وَأَرْجِمِهِمْ ، يَتَمَنُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَوْتَ ؛ وَإِنَّمَا وَعَدَهُ رَبُّهُ كَمَا وَعَدَ مُوسَى ، وَهُوَ بِأَيْتِكُمْ .  
وَأَمَّا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَانَ مِنْ أَخْرَسٍ ؛ فَجَلَّ لَا يَكَلِّمُ أَحَدًا ، فَيُؤْخَذُ يَدُهُ وَيُجَاهَدُ بِهِ فَيَنْقَادُ .

وَأَمَّا عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلُطِطَ بِالْأَرْضِ<sup>(٣)</sup> قَعْدٌ وَلَمْ يَبْرَحِ الْبَيْتَ حَتَّى دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ جَلْدُ الْعَقْلِ وَالْقَالَةِ<sup>(٤)</sup> ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ ، وَكَتَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَسَخَّه ، وَقَتَلَ جِئِنَهُ ، وَبَكَى بَكَاءً شَدِيدًا ، وَقَالَ الْكَلَامَ الَّذِي قَدَّمْتَهُ . وَلَمَّا خَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَهُمْ فِي شَدِيدِ غَمِّهِمْ ، وَعَظِيمِ سَكْرَتِهِمْ ، قَامَ فَخَطَبَ خُطْبَةً جُلُّهَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدُّهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا شَرَعَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ

خطبة أبي بكر  
يوم موت  
الرسول

(١) بيضة الشقر : مثل للحادث الذي يتكرر ، وهي في الأصل بيضة الدجاجة التي لا تبيض بعدها ، والذي في الأصل «بيضة الصر» وهو تحريف .  
(٢) جَلَلٌ : من أسماء الاستداد ، ويطلق على الأمر العظيم كما يطلق على الأمر الصغير . ومن أمثلة إطلاقه على الأمر الخطير قول الشاعر :

قَوْمِي هُم قَتَلُوا أُمِّمَ أَخِي      فَإِذَا رَمَيْتُ جِئِينَ سَهْمِي  
فَلَنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُونَ جَلَلًا      وَلَنْ ضَرَبْتُ لَأَوْهَنُ عَظْمِي

وَلَمَّا دَنَا الْمَوْتَ الْآخِرَ ، وَهُوَ الْحَقِيرُ مِنَ الْأُمُورِ ؛ لِأَنَّهُ يَقْصِدُ أَنَّ كُلَّ مَصِيبَةٍ تَهْوَنُ وَتُخَفَّرُ بَعْدَ الْمَصِيبَةِ الْكُبْرَى بِمَوْتِ الرَّسُولِ (م) .

(٣) لُطِطَ بِالْأَرْضِ ، وَلُطِطَ بِهِ : سَقَطَ مِنْ قِيَامٍ كَأَنْعَاصَرِعَ . وَالْعَابَرَةُ الثَّانِيَةُ بِصِيغَةِ تَفْعُولٍ (ع) جَلْدٌ : ثَابِتٌ .

الحق المين . في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ؛ مَنْ كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت ، وإنَّ الله قد تقدَّم إليكم في أمره ، فلا تدْعوه جَزَعاً ، وإنَّ الله قد اختار لِنبيه ما عنده على ما عنكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عَرَفَ ، ومن فَرَّقَ بينهما أَكْثَرُ ؛ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا تَشْغَلْكُمْ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَيُفْتِنَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ؛ فاجلوه بالذي تعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم .

فما فرغ من خطبته قال : يا عمر ! بلغني أنك تقول مامات نبيُّ الله ، أما علمت أنه قال في يوم كذا وكذا ، وفي يوم كذا وكذا : قال الله تبارك وتعالى : ( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَبِهِ مَيِّتُونَ ) ؛ فقال عمر : والله لكأني لم أسمع بها في كتابِ الله قَبْلُ ؛ ثُمَّ نَزَلَ بَنُو أَشْجَدٍ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! ثُمَّ جَلَسَ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ . فَمَاتَ عَائِشَةُ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا ؛ لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِمَ النَّفْقُ (١) . وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ كَالْفَمِّ الشَّارِدَةِ ، فِي اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ ، لَحَسَ ابْنُ مَوْحِمَةَ أَجْبَالَ لَهَا ضُحَاهَا (٢) فَوَاللَّهِ إِنْ اخْتَلَفُوا فِي مَعْظَمٍ إِلَّا ذَهَبَ بِحِفْظِهِ وَرَشْدِهِ . وَغَضَبُهُ . وَكَتَبْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى عَمْرِو عَلْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا خَلِقَ لِلْإِسْلَامِ ، فَكَانَ وَانَّهُ أَحْبَذُ نَسِيحَ وَحْدِهِ (٣) ، قَدْ أَعَدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا .

وحدث أبو بكر بن دريد عن عبد الأول بن يزيد قال : حدثني رجل في رثاء فاطمة الزهراء لأبيها محمد بن يزيد بن هرون (٤) بآبصرة قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله

(١) نعيم : نشأ (٢) هاضب : دكها وحطمها (٣) أحوذى : حاذق قاهر للأُمُور لا يشغبه شيء . - ونسج وحده : لا نظيره ، كأننا نسج على نول لم ينسج عليه سواه (٤) يزيد بن هرون : من حفاظ الحديث الثقات ، كان يهاج بالأُمُور توفي بواسط في سنة ٢٠٦

دُفِنَ ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ، ورجعت فاطمة إلى بيتها ؛ فاجتمع إليها نساؤها . فقالت :

أَغْبَرَ أَفَاقُ السَّمَاءِ ، وَكُوِّرَتْ شمسُ النَّهَارِ ، وَأَعْظَمَ الْمَصْرانِ<sup>(١)</sup>  
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفَا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجْفَانِ<sup>(٢)</sup>  
فَلْيَبْكِكِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلِيَبْكِكِ مُقَرَّرٌ وَكُلُّ يَمَانٍ  
وَلِيَبْكِكِ الطُّورُ الْمَعْظَمُ جَوْهُ وَالْبَيْتُ ذُو الْأَشْتَارِ وَالْأَرْكَانِ  
يَا خَاتِمَ الرِّسْلِ الْمُبَارِكِ ضَوْهٌ صَلَّى عَلَيْكَ مَنْزِلُ الْقُرْآنِ<sup>(٣)</sup>

وكان أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إذا أَثْنَى عَلَيْهِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، فَاجْعَلْني خَيْرًا مِمَّا يَحْسِبُونَ ، وَاغْفِرْ لِي بِرَحْمَتِكَ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَا تَوَاضَعْنِي بِمَا يَقُولُونَ .

وقال رحمه الله في بعض خطبه : إِنَّكُمْ فِي مَهَلٍ ، مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ . فبادرُوا فِي مَهَلٍ آجَالِكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَنْقَطَعَ آمَالِكُمْ ، فَتَرْكَبُوا إِلَى سُوءٍ أَعْلَمَ لَكُمْ .  
وذكر أبو بكر الملوكة فقال : إِنْ الْمَلِكُ إِذَا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللَّهُ فِي مَالِهِ ، وَرَغَبَهُ فِي مَالٍ غَيْرِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِشْفَاقَ ؛ فَهُوَ يَسْخَطُ عَلَى الْكَثِيرِ ، وَيَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، جَذِلُ الظَّاهِرِ ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، حَتَّى إِذَا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ، وَنَصَبَ عَمْرَهُ ، وَضَخَا ظِلُّهُ<sup>(٤)</sup> حَاسِبُهُ فَأَشَدَّ حَسَابِهِ وَأَقْلَ عَفْوِهِ .

وذكر أنه وصل إلى أبي بكر مائل من البحرين ، فسأوى فيه بين الناس . فنضبت الأنصار ، وقالوا له : قَضَلْنَا ! فقال أبو بكر : صَدَقْتُمْ ، إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَتُضْلَكُمْ صَارَ مَا عَلِمْتُمُوهُ لِلدُّنْيَا ، وَإِنْ صَبِرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ! فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَانصرفوا ؛ فَتَرَى أَبُو بَكْرٍ الْمُنْبَرِ . فَحَمِدَ اللَّهَ . وَأَثْنَى

(١) كورت : سقطت (٢) الرجفان : الإضطراب (٣) في نسخة « المبارك ضنؤه »  
أي الذي بارك الله نسله (٤) والظاهر أن هذه الأبيات مصنوعة (٤) وجبت نفسه : فاضت روحه ، ونضب : نفذ - وضحا ظله : كناية عن أنه مات (٥)

عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : يا معشر الأنصار ؛ إن شتم أن تقولوا : بئنا آويناًكم في ظلالنا ، وشاطرناكم في أموالنا<sup>(١)</sup> ، ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وإن لكم من الفضل مالا يحصيه العدد ، وإن طال به الأمد ، فنعن وأنتم كما قال طفيل الغنوي<sup>(٢)</sup> :

جزى الله عنا جفراً حين أزلت بنا ثقلنا في الواطين فزلت<sup>(٣)</sup>  
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا<sup>(٤)</sup> تُلَاقِي الذي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتْ<sup>(٥)</sup>  
هُمْ أَكُونُوا فِي ظِلَالِ بيوتهم ظلال بيوت أدفأت وأظلت

فقر من كلامه رضى الله عنه : صنائع المعروف تقى مصارع السوء . الموت أهون مما بعده . وأشد مما قبله . ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البنى ، والنكث ، والمكر . إن الله قرّن وعده ببعيده ؛ ليكون العبد راغباً وراهباً .

ولما توفى رضى الله عنه وقفت عائشة على قبره ؛ فقالت : نصر الله وجهك رثاء عائشة  
يا أبت . وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مُذِلًّا بإدبارك عنها ، أم المؤمنين  
وللاخرة مُمَزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه  
عليه وسلم رزؤك . وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعيد بحسن  
الصبر عنك حسن العوض منك ، وأنا أستعجز موعود الله تعالى بالصبر  
فيك ، وأستقصيه بالاستغفار لك ، أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قت بأمر  
الدين ما وهى شعبته<sup>(٦)</sup> وتفاقم صدعه<sup>(٧)</sup> ، ورجفت جوانبه<sup>(٨)</sup> ؛ فليكن

(١) آويناًكم في ظلالنا : جعلناها لكم مأوى ، وشاطرناكم أموالنا : قاسمناكم  
فيها فأعطيناكم شطرها : أى نصفها (م) (٢) شاعر جاهلي من الشجعان ، كان من  
أوصف الشعراء للخيّل ، عاشر النابتة الجمعدى وزهير بن أبى سلمى ، ومات نحو سنة  
١٣ ق هـ (٣) زلت : سقطت (٤) هذا البيت غاية الغايات في وصف اللواسة والبر  
الموصول (٥) وهى شعبة : تفرق شمله ، قال الطرماح \* شت شعب الحى بعد الشام \*  
(٦) تفاقم صدعه : اتسع كسره ، والصدع فى الأصل : كسر الزجاج  
(٧) رجفت : اضطربت

سلام الله توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك<sup>(١)</sup>  
وقال أبو بكر لبلال لما قُتل أمية بن خلف وقد كان يسوئه سوء العذاب  
بمكة فيخرجه إلى الرمضاء<sup>(٢)</sup> ، فيلقى عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام  
فيصسه الله من ذلك :

هَيْتَا زَاذَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرًا قَدْ أَدْرَكْتَ تَارَكَ يَا بِلَالُ  
فَلَا نَكْسَا وَجِدْتَ وَلَا جِيَانًا غَدَاةً تَنْوُشُكَ الْأَسَلُ الطَّوَالُ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا هَابَ الرِّجَالُ ثَبَتَ حَتَّى تَحْلَطَ أَنْتَ مَا هَابَ الرِّجَالُ  
عَلَى مَضَى الْكُلُومِ بِمَشْرِفِي جَلَا أَطْرَافَ مَتْنِيهِ الصَّقَالُ<sup>(٤)</sup>  
[ من كلام عمر ]

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ! - إلى ابنه عبد الله :  
أما بعد ؛ فإنه من أنقضى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له  
زاده ، ومن أقرضه جزاه ؛ فأجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه  
لا عمل لمن لا ية له ، ولا أجر لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له .  
ودخل عدى بن حاتم على عمر ، فسلم وعمر مشغول ، فقال : يا أمير المؤمنين !  
أنا عدى بن حاتم ؛ فقال : ما أعرفني بك ! أمنت إذ كفروا ، ووفيت إذ غدرؤا ،  
وعرفت إذ أنكروا ، وأقبلت إذ أذبرؤا !

وقال رجل لعمر : من السيد ؟ قال : الجواد حين يُثأل ، الحليم حين  
يُستجهل ، الكريم المجالفة لمن جالسه . الحسن الخلق لمن جاوره .  
وقال رضي الله عنه : ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال :

(١) زارية : عاتبة (٢) الرمضاء : هي الحجارة التي اشتد عليها وقع الشمس  
لحميت ، قال الشاعر :

الستجير بعمرو عند كربته كالستجير من الرمضاء بالنار

(٣) النكس : الرذل ، والأسل : الرماح (٤) الكلوم : الجروح ، والمشرقي : السيف



قَرَّ لَا يَذُرُّكَ غَنَاهُ ، وَمَنْ لَا يَنْقُضُ مَدَّاهُ ، وَشُئْلٌ لَا يَنْقَدُ أَوَّلَاهُ ، وَأَمَلٌ لَا يَبْلُغُ مَنَتهَا .

فصول قصار من كلامه رضى الله عنه

مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ . أَشَقُّ الْوَلَاءَةِ مِنْ شَقِيئَةٍ بِهِ رَعِيَّتُهُ .  
أَعْلَى النَّاسِ أَعْلَاهُمْ لِلنَّاسِ . مَا الْحَرَمُ مِرْفَأً<sup>(١)</sup> . بِأَذْهَبِ لِقَوْلِ الرَّجَالِ مِنَ الطَّمَعِ .  
لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا ، وَلَا بُغْضُكَ تَلْفًا . مَرَدُّوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا ، وَلَا  
يَتَجَاوَرُوا . قَلَّمَا أَذْبَرُ شَيْءًا . أَشْكُو إِلَى اللَّهِ ضَعْفَ الْأَمِينِ ، وَخِيَانَةَ الْقَوَى  
تَكْثُرُوا مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ بَيْنَ تَرْزَقُونَ . لَوْ أَنَّ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ  
بَعِيرَانِ مَا بَالَيْتَ أُتِيهَمَا أَرْكَبُ . مَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ كَانَ أَجْدَرَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .

وقال معاوية بن أبي سفيان لصمصمة بن صوحان : صِفْ لِي عُمرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؛ وصف مصمة  
فقال : كَانَ عَالِمًا بِرَعِيَّتِهِ ، عَادِلًا فِي قَضِيَّتِهِ ، عَارِيًّا مِنَ الْكِبَرِ ، قَبُولًا لِلْمَذْرُوعِ ، سَهْلًا  
الْحِجَابِ ، مَصُونًا الْبَابِ ، مَتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ ، رَفِيقًا بِالضَّعِيفِ ، غَيْرَ مُحَابٍ الْخَطَّابِ  
لِلْقَرِيبِ ، وَلَا جَافٍ لِلْغَرِيبِ .

وروى أن عمرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَجَّ فَلَمَّا كَانَ بِضَجَّانَ<sup>(٢)</sup> قَالَ :  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، الْمَعْلَى مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ ، كُنْتُ فِي هَذَا الْوَادِي فِي  
مِذْرَعَةِ صَوْفٍ أَرْعَى إِبِلَ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ فُظًّا يُتِمِّنِي إِذَا عَمِلْتُ ، وَيَضْرِبُنِي  
إِذَا قَصَرْتُ ، وَقَدْ أَمْسَيْتِ اللَّيْلَةُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبَقَّى بِشَاشَتُهُ      يَبْقَى الْإِلَهِ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ<sup>(٣)</sup>  
لَمْ تُنْعَمْ عَنْ هَرَمٍ يَوْمًا خَرَّائَتْهُ      وَأُخْلِدَتْ قَدْ حَاوَلَتْ أَنْ تَمَاحِلِدُوا  
وَالسَّيْلَانِ إِذْ تَجْرِي الرِّيحُ لَهُ      وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهُمَا تَرِدُ

(١) الحر للصرف : الخالصة (٢) ضجنان : جبل قرب مكة .

(٣) يودى : يذهب .

عمر  
يذكر ماضيه  
وحاضره

أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلَهَا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ إِلَيْهَا وَإِنِّي يَفِدُ<sup>(١)</sup>  
حَوْضُ هُنَالِكَ مَمْرُودٌ بِلاَ كَدَرٍ لَابِدٌ مِنْ وَرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

من شعر عمر  
يوم فتح مكة

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ :  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ قَبْلَ ذَلِكَ حَانِدُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَمَكْنَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بَعْدَمَا تَدَاعَوْا إِلَى أَمْرِ مِنَ الْغَيْبِ فَاسِدُ  
غَدَاةَ أَجَالِ الْخَلِيلِ فِي عَرَصَاتِهَا مَسُومَةٌ بَيْنَ الزَّيْبِ وَخَالِدِ<sup>(٣)</sup>  
فَأَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ قَدْ عَزَّ نَعْرُهُ وَأَمْسَى عِدَاهُ مِنْ قَتِيلٍ وَشَارِدِ  
يُرِيدُ الزَّيْبُ بْنُ الْعَوَامِ<sup>(٤)</sup> حَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَالِدُ  
ابْنُ الْوَلِيدِ سَيْفَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ<sup>(٥)</sup> .

وَلَمَّا قَتَلَهُ أَبُو لَوْلُؤَةُ غُلَامُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، قَالَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو  
زَوْجُ عُمَرَ تَرْثِيهِ :  
ابْنُ نَفِيلِ زَوْجَتِهِ تَرْثِيهِ :

عَيْنُ جُودِي بِعَقْرَةٍ وَتَحِيْبٍ لَا تَحْتَلِي عَلَى الْأَمِينِ التَّحِيْبِ  
فَجَعَلَنِي الْمُنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُعْبَلَمِ يَوْمَ الْمِجَاجِ وَالتَّوْبِ<sup>(٦)</sup>  
عَصَمَةَ النَّاسِ وَالْمَعِينُ عَلَى الدَّهْرِ وَغَيْثُ الْحَرَمِ وَالْمُحْرَبِ<sup>(٧)</sup>  
قَالَ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ مَوْتُوا قَدْ سَقَمَتِ الْمُنُونُ كَأْسَ شَعُوبِ<sup>(٨)</sup>  
وَقَالَتْ أَيْضًا تَرْثِيهِ :

وَفَجَعَلَنِي قَبْرُوزٌ لَا دَرْدَرُهُ بَأْيِضَ تَالِ الْكِتَابِ مُنِيبِ

- (١) النوافل: العطايا . في نسخة «من كل أوب» والصوب . ومثله للأوب : الجهة  
(٢) حائد : مائل (٣) مسومة : وضعت عليها العلامات  
(٤) الزبير بن العوام : أحد المبشرين بالجنة ، وأول من سار سيقه في الإسلام ،  
كان طويلاً جداً إذا ركب تخط رجله الأرض . توفي سنة ٣٦ .  
(٥) توفي خالد بن زيد سنة ٢١ .  
(٦) الفارس السلمي : هو الذي علق عليه صوف ملون في الحرب . والتوب : الدعاء .  
(٧) المحروب : السلوب (٨) شعوب : هي النية : لأنها تشعب الشمل وتبدده

رموف على الأدنى غليظ على المدأ أخى قصة في الثابت نجيب  
متى ما يُقُلْ لا يكذب القول فصله سريع إلى الخيرات غير قطوب

وعائكة هذه : هي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبي  
صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فأصابه سهم في  
غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر رضى الله عنه فقتل عنها ، فتزوجها الزبير  
ابن العوام فقتل عنها ؛ فكان على رضى الله عنه يقول : من أحب الشهادة  
الحاضرة فليزوج بعائكة !

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه :

ما يزعج الله بالسلطان ، أكثر مما يزعج بالقرآن<sup>(١)</sup> . سيجعل الله بعد عسري  
يسراً ، وبعد عيى بياناً ؛ وأتم إلى إمام فعال ، أحوج منكم إلى إمام قوال ،  
قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأرتج عليه<sup>(٢)</sup> .

وكتب إلى علي رضى الله عنه وهو محصور : أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز  
الحزام الطيبين<sup>(٣)</sup> ، وطعم في من كان لا يدفع عنه نفسه ، ولم يعجزك كلنيم ، ولم  
يفعل بك كغلب<sup>(٤)</sup> ؛ فأقبل إلى ، معى كنت أو على ، على أى أمر بك أحببت .  
فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكل ، وإلا فأذكر كنى وأما أمزق  
وهذا البيت للمزق العبدى ، و هو سمي للمزق ، واسمه شمس ، وإنما مثله به  
عثمان رضى الله عنه ؛ وخذائق أهل النظر يدفعون هذا ، ويستشهدون على فساد  
بأحاديث ثنائيه ليس هذا موضعها .

(١) يزع : يزعج ويردع (٢) أرتج عليه باب الكلام : أغلق .

(٣) الزبى : جمع زية وهي الراية لا يلوها ماء ، وبلوغ السيل الزبى كناية  
عن اشتداد الأمر ، والطبي - بالضم والكسر - حملات الضرع ، وبلوغ الحزام الطيبين  
كناية أيضاً عن الشدة (٤) مغلب : غلب كثيراً ، ولم يغلبك كغلب : يستعمل في  
الملح والدم .

قالوا : وكان عثمان رضى الله عنه أَتَقَى اللَّهَ أَنْ يَسْمَى فِي أَمْرِهِ عَلَى ، وَعَلَى أَتَقَى  
لَهُ أَنْ يَسْمَى فِي أَمْرِ عُثْمَانَ ، وهذا من قوله عليه السلام : أَشَقَّى النَّاسِ مَنْ قَتَلَ  
نَبِيَّ أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه وأكرم نزه ، وقد تنكر له الناس : أَمْرُ  
هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ رَاعٍ عَيْر ، تَطَاطَأَتْ لَهُمْ تَطَاطَأُ الدَّلَاءِ . وتلدت لهم تلدد المضطر ،  
رَأَيْتُهُمْ أَحْلَفَ إِخْوَانًا ، وَأَوْعَى الْبَاطِلَ لَهُمْ شَيْطَانًا . أجبرت المرسون رَسَنَهُ ،  
وَأَبْلَغْتَ الرَّائِعَ مَسَاعِيَهُ ، فَتَفَرَّقُوا عَلَى فُرْقَانِ ثَلَاثًا ، فَصَامَتْ صَمْتُهُ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلِ  
غِيَرِهِ ، وَشَاهَدَ أَعْطَانِي شَاهِدُهُ وَمَنْعَنِي غَائِبُهُ ، وَمَتَهَافَتٌ فِي فِتْنَةٍ زُيِّنَتْ فِي قَلْبِهِ ،  
فَأَنَا مِنْهُمْ بَيْنَ أَلْسِنٍ لِدَادٍ ، وَقُلُوبٍ شَدَادٍ ، عَذِرَى اللَّهِ مِنْهُمْ ، أَلَا يَنْهَى عَالِمُ  
جَاهِلًا ، وَلَا يَنْذِرُ حَلِيمٌ سَفِيهًا ؟ وَاللَّهِ حَسْبَى يَوْصِيهِمْ يَوْمَ لَا يَنْطُمُونَ ، وَلَا يُؤْذِنُ  
لَهُمْ فَيَعْنَدُونَ .

سئل الحكم بن هشام فقال : كَانَ اللَّهُ خِيَارَ الْخَيْرَةِ . أمير البررة ، قبل الفجرة ،  
مدبور النعرة ، مخذول الخذلة ، مقول القلة .

وَقَالِيبُ الْبَيْتِ الَّذِي أُنْشِدَهُ قَوْلُ صَخْرٍ الْجَمْدِ :

إِنْ كُنْتُ مَا أَكُولُ فَكُنْ أَنْتَ أَكَلِي فَإِنَّ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

فَالْمَتَوَكِّلِ : أَتَيْتُ بِأَسَارِي ، فَسَمِعْتُ امْرَأَةً مِنْهُمْ تَقُولُ :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَمَّا إِلَيْنَا نَسْمُو الْبَيْتَ أَخْرَجَهُ الْعَرِيفُ

فَإِنْ نَسَلِمَ فُضُوْنَ اللَّهِ نَرْجُو وَإِنْ نَقْتُلْ فَقَاتِلْنَا شَرِيفُ

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا يعرف لعثمان شعر ، وأنشده بعضهم :

غَنَى النَّفْسِ يُغْنِي النَّفْسَ حَتَّى يَكْفَتْهَا وَإِنْ عَضَّهَا حَتَّى يَضُرَّ بِهَا الْفَقْرُ

وَمَا عُسْرَةٌ - فَاضِرٌ لَهَا إِنْ تَتَابَعَتْ - بِبَاقِيَةٍ إِلَّا سَيَتْبَعُهَا يُسْرُ

وقول عثمان رضى الله عنه فيما روى : « وَلَمْ يَغْلِبْكَ كَعْلَبٌ » من قول

أمرئ القيس :

فإنك لم تَفْخَرْ عليك كفَاخر ضعیف ولم یقبلک مثل غلب  
وقال أبو تمام وذكر الخمر :

وضیفة فإذا أصابت فُرصةً قتلت ، كذلك قُدرة الضمَاء

ومن كلام علی بن أبی طالب رضى الله عنه

لا تَكُنْ من یَرْجُوا الآخرةَ بغير عمل ، ویؤخرُ التوبةَ لطولِ الأمل . ويقولُ  
فی الدنيا بقول الزاهدین ، ویصلُ فیها بعملِ الراغبین ، إن أُعْطِيَ منها لم یَشع ، وإن  
مُنِع لم یَقْنَع ، بمعجز عن شُکر ما أُوتی . ویبتنی الزیادة فیما بقی ، ینعی ولا ینتعی ،  
ویأمر بما لایأتی ، یحبُّ الصالحین ولا یعملُ أعمالهم ، وینفیضُ المسیتین وهو منهم ؛  
یکرم الموتَ لکثرة ذنوبه ، ویقیمُ علی ما یکره الموت له ، إن سقم ظَلَّ نادماً ، وإن  
صحَّ آمَنَ لآیاءها ، یُعجِبُ بنفسه إذا عَوفی ، ویقنطُ إذا ابتلی ، تغلبه نفسه علی ما یظنُّ ،  
ولا یُناهبُها علی ما یمتیقن ، ولا یشقُّ من الرزق بما ضنَّ له ، ولا یقتل من العمل  
بما فَرِضَ علیه ، إن استغنی یطروُقن ، وإن افتقر قنطَ وحزن ، فهو من الذنب  
والنعمة موقر<sup>(١)</sup> ، یمتنی الزیادة ولا یشکر ، یتکلف من الناس ما لم یؤمر ، ویضیع  
من نفسه ما هو أكثر ، ویبالغ إذا سأل ، ویقصر إذا عمل ، یخشی الموتَ ،  
ولا یبادر القوتَ ، یمتکر من معصية غیره ما یمتقلُّ أكثره من نفسه ؛ یمتکر  
من طاعة ما یمتقله من غیره ، فهو علی الناس طاعین ، ولنفسه مداهن ، اللغو مع  
الأغنیاء أحبُّ إلیه من الذکر مع الفقراء ، یحکم علی غیره لنفسه ، ولا یحکم علیها  
لنیره ، وهو یطاعُ ویمنعُ ، ویستوفی ولا یوفی .

وسئل رضى الله عنه عن مسألة فدخل مبادراً ، ثم خرج فی حذاء ورداء ، وهو  
یتبسّم ، فقیل له : یا أمیر المؤمنین ، إنک کنت إذا سئلت عن مسألة کنت فیها  
کالسکة للحماء<sup>(٢)</sup> ! فقال : إنی کنتُ حاقناً ولا رأی لحاقن<sup>(٣)</sup> ، ثم أنشأ یقول :

(١) موقر : متقل (٢) السکة : الحديدة (٣) الحاقن : هو الذی احتبس بوله

إذا للشكلاتُ تصدَّيْنِ لى كُثِفَتْ حَقَائِقُهَا بِالنَّظَرِ  
وإن برقتْ فى خيَلِ الصَّوَا بَ عَمِيَّاهُ لَا تَحْتَلِيهَا الذِّكْرُ<sup>(١)</sup>  
مِقْمَعَةً بِأُمُورِ التَّيُوبِ وَضَمَّتْ عَلَيْهَا صَحِيحَ الْفِكْرِ  
لِسَانًا كَثِيفَةً الْأَرْحَى أَوْ كَالْحَسَامِ الْيَمَانِيِّ الذِّكْرُ<sup>(٢)</sup>  
وَقَلْبًا إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ الْعَيُونُ أَمْرٌ عَلَيْهَا بِوَاهِي الدَّرِ<sup>(٣)</sup>  
وَلَسْتُ يَامَمَةً فِي الرِّجَالِ أَسْأَلُ عَنْ ذَا وَذَا مَا الْخَبَرُ<sup>(٤)</sup>  
وَلَكِنِّي ذَرِبُ الْأَصْفَرَيْنِ أَيْنَ مَعَ مَا مَضَى مَا غَيْرُ<sup>(٥)</sup>

وقال معاوية رضى الله عنه لغيرار الصَّدَائِي : يا ضرار ، صِفْ لى علياً ، فقال :

أَعَفْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لِتَصِفَنِي ، قَالَ : أَمَا إِذَا أَذْنَتْ فَلَا بَدْءَ مِنْ صِفَتِهِ :  
كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ اللَّذَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَصْلًا<sup>(٦)</sup> ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ،

وصف ضرار  
الصدائى لمعاوية  
علياً

يَفْجَرُ الْعِلْمَ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطَلِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا  
وَزَهْرَتِهَا . وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظِلَّتِهِ ، كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ،  
يَقْلِبُ كِفَّةً ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ ، يَمْنَعُهُ مِنَ اللَّبَاسِ مَا قَصَرَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ  
مَا خَشَنَ ، وَكَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا ، يُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَيُنْذِرُنَا إِذَا اسْتَنْبَأْنَاهُ ،  
وَنَحْنُ - مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا ، وَتَقَرُّبِهِ مِنَّا - لَا نَكَادُ نَكَلِمُهُ لِهَيْبَتِهِ ، وَلَا نَبْتَدِئُهُ  
لِعَظَمَتِهِ ، يَعْظُمُ أَهْلُ الدِّينِ ، وَيَحِبُّ الْمُسَاكِينُ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوَى فِي بَاطِلِهِ ،  
وَلَا يَتَأَسُّ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ ، وَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ ، وَقَدْ  
أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُودَهُ ، وَغَارَتْ نَجْمَتُهُ ، وَقَدْ مَثَلَ فِي مَحْرَابِهِ ، قَابِضًا عَلَى لَحْيَتِهِ  
يَتَمَلَّلُ تَمَلَّلَ السَّالِمِ<sup>(٧)</sup> ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، وَيَقُولُ : يَا دُنْيَا إِلَيْكَ

(١) خيَل : مظنون ، وهو السحاب تخالعه ماطرًا لرعده وبرقه .

(٢) الْأَرْحَى : الجمل ، وشققتة : هديره . (٣) نسخة « استنطقته القيوب » (م)

(٤) الإمعة : الرجل الذى لا خطر له - فهو يكون تاجاً لغيره ولا يكون مستقلاً (م)

(٥) ذرب الأصفرين : حديد القلب واللسان (٦) القول الفصل : هو الحق

(٧) السليم : اللدوغ . سمى بذلك تفاؤلاً .

عَنِّي ! غُرِّي غَيْرِي ، أَلِي تَمَرَّضْتُ ، أُمِّ إِلَى تَشَوَّفْتِ ؟ هِيَهَات ! قَدْ بَايَنْتُكَ  
ثَلَاثًا ، لَا رَجْعَةَ لِي عَلَيْكَ ؛ فَمُزِّكٍ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكَ حَافِيزٌ ، وَخُطْبُكَ  
يَسِيرٌ ؛ أَمِّ مِنْ قَلْبِ الزَّادِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ !  
فَبِكِي مَعَاوِيَةَ حَتَّى اخْضَلَّتْ دُمُوعُهُ لِحْيَتَهُ ؛ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ !  
فَلَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ خُزْنُكَ عَلَيْهِ يَا ضِرَّارَ ؟ قَالَ : حُزْنٌ مِنْ دُجْحٍ  
وَاحِدٍ هَذَا فِي حِجْرِهَا !

وَقَالَ سَنَنْ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ فَوَعَى ، وَدُعِيَ إِلَى  
الرَّشَادِ فَقَدَّأَ ، وَأَخَذَ بِخُجْرَةِ هَادٍ فَتَجَا<sup>(١)</sup> . وَرَاقِبَ رَبَّهُ ، وَخَافَ ذَنْبَهُ ، وَقَدَّمَ  
خَالصًا ، وَعَمَلَ صَالِحًا ، وَاسْتَسْبَذَ مَذْخُورًا ، وَاجْتَنَبَ مَحْذُورًا ، وَرَمَى غَرَضًا ،  
وَكَابَرَ هَوَاهُ ، وَكَذَّبَ مُتَنَاهُ ، وَحَذَرَ أَجَلًا ، وَدَآبَ عَمَلًا ، وَجَمَلَ الصَّبْرَ  
رَغْبَةً حَيَاتِهِ ، وَالتَّقَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ ، يُظْهِرُ دُونَ مَا يَكْتُمُ ، وَيَكْتُمِي بِأَقْلٍ مِمَّا  
يَعْلَمُ ، لَزِمَ الطَّرِيقَةَ الْفَرَاءَ ، وَالْحُجَّةَ الْبَيْضَاءَ ، وَاعْتَمَّ الْمَلْعَ ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ ،  
وَتَرَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

وَمَا رَجَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صِفَتَيْنِ ، فَدَخَلَ أَوَائِلَ الْكُوفَةِ إِذَا قَبْرُ<sup>(٢)</sup> ، عَلَى رِثَى خَبَابِ  
ابْنِ الْأَرْتِ : فَقَالَ : قَبْرُ مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ<sup>(٣)</sup> ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :  
رَحِمَ اللَّهُ خَبَابًا ! أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِمًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ، وَابْتَلَى فِي  
جِسْمِهِ أَحْوَالَ ، وَلَنْ يَضِيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

وَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِقَبْرِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ عَلَى أُمَامِ الْقُبُورِ  
الْمُوحِشَةِ ، وَالْحَالِ الْفَقْرَةِ ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبِيعٌ ، وَبِكُمْ — عَمَّا  
قَلِيلٍ — لَا حِقُّونَ ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوِزْ عَنَّا وَعَنْهُمْ بِغُفْرِكَ ! طُوبَى

(١) الْحِجْزَةُ : الْحُفْنُ ، وَأَخَذَ بِخُجْرَةِ فَلَانٍ : اسْتَظْهَرَهُ وَاسْتَمَاتَهُ (٢) خَبَابُ بْنُ  
الْأَرْتِ : صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ ، اسْتَظْفَهُ النَّسْرُ كَوْنَهُ فَعَذَّبُوهُ لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ فَصَبَرَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ  
الْحِجْزَةُ . تَوَفَّى سَنَةَ ٣٧ .

لن ذكرك للماك ، وعيل للحساب ، وقنع بالكفاف . ثم التفت رضى الله عنه إلى أصحابه ، فقال : أما إنهم لو تكلموا لقالوا : وجدنا خيراً الزاد القوى .

وذم رجل الدنيا بحضرة على رضى الله عنه ، فقال : دار صدق لمن على يصف الدنيا صدقها ، ودار نجاة من فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، مهبط وحي الله ، ومصلى ملائكة ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فن ذابنها ، وقد آذنت ببينها ، ونادت بفرأها ، وذكرت بسرورها السرور ، وبلانها البلاء ، ترغياً وترهياً ، فأيها الدائم لها ، الملل نفسه بفرورها ، متى خدعتك الدنيا ؟ أم بماذا استندمت إليك <sup>(١)</sup> ، أم بمصرع آياتك في اليل ؟ أم بمضجع أمهاتك في الثرى ، كم مررت بكفيك ، وكملت يديك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف الأطباء ، غداة لا ينفعه بكاؤك ، ولا يفي دواؤك .

من قصار كلام على  
قرر من كلامه رضى الله عنه : [ الباشة فغ اللودة . والصبر قبر القبون .  
والغالب بالظلم مغلوب . والحجر للنصوب بالدار رهن بخرابها . وما ظفرت بن ظفرت به الأيام . فسالم تسلم . رأى الشيخ خير من مشهد الغلام <sup>(٢)</sup> . الناس أعداء ما جهلوا . بقية عمر المؤمن لا تمن لها ، يدرك بها ما أفات [ ويحيى ما أمات ] .  
نقل هذا الكلام بعض أهل المصر ، وهو أبو الفتح على بن محمد البسقي <sup>(٣)</sup> .

(١) استندمت إليك : فلت ماتنمها عليه - وفي نسخة « استندت إليك » (م)

(٢) مشهد الغلام : ما يشهده ويراها رأى العين (٣) على بن محمد ، ويقال ابن أحمد كما

ذكر ياقوت في معجم الشعراء - شاعر ، كاتب مات في محاربي سنة ٤٠٠ هـ ، وفي أبي الفتح

البسقي يقول عمران بن موسى :

إذا قيل أى الأرض في الناس زينة      أجبنا وقلنا : أهبج الأرض بسنا  
فلو أننى أدركت يوماً عبيدا      لثمت يد البسقي دهرأ وبسنا



بقية العمر عندى ما لها من وإن غداً وهو محبوب من الثمن  
يستدرك المرء فيها ما أفات ويحسب ما أمانت ويخوض السوء بالحسن  
الدنيا بالأموال، والآخرة بالأعمال. لا تخافن إلا ذنبك، ولا ترجون إلا  
ربك. وجئوا آمالكم إلى من تحبه قلوبكم. الناس من خوف القتل في القتل.  
من أيقن بالتخلف جاد بالعطية. بقية السيف أئمنى عدداً، وأنجب ولداً. وقد  
تبينت صحة ما قال في بنه وبني المهلب - إن من السكوت ما هو أبلغ من  
الجواب. الصبر مطية لا تكبو، وسيف لا ينبو<sup>(١)</sup>. خير المال ما أغناك،  
وخير منه ما كفك، وخير إخوانك من واسك، وخير منه من كفك شره.  
وقال بعض أهل مصر ما يشاء كل هذا وهو أبو الحسن محمد بن نكك البصري :

عدياً في زماننا عَنْ حَدِيثِ الْكَارِمِ

مَنْ كَفَى النَّاسَ شَرُّهُ فَهُوَ فِي جُودِ حَاتِمٍ

أبو الطيب :

إنما لقي زمن ترك الصبيح به من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً  
إذا قدرت على عدوك فاجعلي العفو عنه شكراً للقدرة عليه. قيمة كل  
امريء ما يحسن.

ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هذه الكلمة في كتاب البيان فقال : تعيب الجاحظ  
فلو لم يقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية ، كافية ،  
ومجزية مفيدة ؛ بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، غير مقصرة عن الغاية ؛  
وأفضل الكلام ما كان قليلاً يفنيك عن كثيره ، ومضاه ظاهراً في لفظه ، وكأن  
الله قد ألهمه من ثيب الجلالة ، وشهد من نور الحكمة ، على حسب رتبة  
صاحبه . وتقوى فانه . فإذا كان انتهى شريفاً ، واللفظ بليفاً ، وكان صحيح الطبع ،

(١) الكبوة : السقاة ، والنبو : عدم الإصابة . ويقولون : لكل جواد كبوة ،  
ولكل سيف نبوة .

بعيداً من الاستكراه، منزها عن الاختلال، منصوناً عن التكلف؛ صنَّع في القلوب  
صَنِيْعَ النِّيْسِ في التَّزْيِيْنِ الكريمة، ومضى فَصَّلَتِ الكلمةُ على هذه الشريطة،  
وَعَدَّتْ من قائلها على هذه الصفة، أحسبها الله عز وجل من التوفيق، ومنَحَهَا  
من التأييد، ما لا يمتنع من تعظيمها به صدورُ الجبارة، ولا يذهل عن قهْمِها  
معه قولُ الجبهة<sup>(١)</sup>.

دعاء لعل  
في الحروب  
ومن دُعَايِهِ رضى الله عنه في حروبه : اللهم أَنْتَ أَرْضَى للرضا، وَأَسْخَطَ  
لِلسُّخْطِ، وَأَقْدِرَ على أَنْ تَتَبَرَّما كرهت، وأعلم بما تقدر، لا تُغْلِبْ على باطل،  
ولا تعجز عن حق، وما أَنْتَ بنافل عما يعمل الظالمون.

وقال على رضى الله عنه :  
لِيَنْ رَايَةً سَوْدَاهُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا  
إِذَا قِيلَ قَدَّعَهَا حُصَيْنٌ تَقْدَمَا  
فيموردها في الصَّفِّ حتى تردّها  
حياضُ المنايا تَقْطُرُ المَوْتَ والدَّما  
جزى الله قوما قاتلوا في لقائهم  
لدى الروعر قوماً ما أعزوا كُرمًا  
وأطيب أخباراً وأفْضَلَ شَيْعَةً  
إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَقَعَّمَا<sup>(٢)</sup>

حُصَيْنِ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ : أَبُو سَامَانَ الْحُصَيْنِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ  
الرَّقَاشِيِّ وَكَانَ صَاحِبَ رَايَتِهِ يَوْمَ صِفِّينَ .

ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها :  
أَرَى عَلِيَّ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ  
وَصَاحِبِهَا حَتَّى الْمَاتِ عَلِيلُ  
لِكُلِّ أَجْتِمَاعٍ مِنْ خُلَيْلِينَ فُرْقَةٌ  
وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْمَاتِ قَلِيلُ  
وَإِنْ انْقَضَى فَاطِمًا بَدَأَ أَحْمَدُ  
دَلِيلٌ عَلَى الْإِدْوَمِ خَلِيلُ

(١) انتهى المؤلف من الاستطراد الذي مضى فيه بمناسبة «قيمة كل امرئ ما يحسن»  
ثم عاد إلى الكلام عن علي بن أبي طالب .  
(٢) التضمين : الصوت عند القتال .

ولما قَتَلَ عمرو بن عبد ود سقط فانتكشت عَوْرَتَهُ<sup>(١)</sup> ، فتصَحَّى عنه وقال :  
 آتَى ابْنُ عَبْدِ - حين شدَّ - أَلِيَّةٌ وحلفتُ فاستمعوا من الكَذَّابِ<sup>(٢)</sup>  
 أَلَّا يَفْسِرَ ولا يَمْلِلَ فالتقى أَسَدَانِ يَضْطَرَّانِ كُلٌّ ضِرَابِ<sup>(٣)</sup>  
 اليوم يَمْنَحِي الفِرَارَ خفيظتى وَمَصَّمٌ فى الرَّأْسِ ليس بِنَابِ<sup>(٤)</sup>  
 أَعْرَضْتُ حين رَأَيْتُهُ مَتَقَطِّراً كَالْجُدْعِ بينَ دَكَاذِكِ وَرَوَابِي<sup>(٥)</sup>  
 وعفتُ عن أَثْوَابِهِ وَلَوَّأَتْنِي كُنْتُ المَقَطَّرُ بَرْنِي أَثْوَابِي<sup>(٦)</sup>  
 نَصَرَ الحِجَارَةَ من سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ<sup>(٧)</sup>  
 لا تَحْبِنَ اللهَ خَاذِلَ دِينِهِ وَنِيَّهِ يَامَقْشَرِ الأَحْزَابِ  
 فى أبيات غير هذه ، وبعضُ الرواة يُنْفِيها عن على رضى الله عنه .

وعمرُو هذا هو : ابن عبدوَيْدِ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، عمر بن ود  
 وكان قد جَزَعَ المِزَاجَ ، وهو موضع خِفِرَ فيه الخندقُ يومَ الأَحْزَابِ ، وفى ذلك  
 يقول الشاعر :

عمرُو بن ود كان أولَ فارسٍ جَزَعَ المِزَاجَ وكان فارسَ تَلِيلِ<sup>(٨)</sup>  
 ومنا صار مع المسلمين فى الخندقِ دعا [ إلى ] البراز ، وقال :  
 ولقد بَحِثْتُ من النِّدَا « بِجَمْعِهِمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ »<sup>(٩)</sup>  
 ووقتُ إذ نَكَلَ الشُّجَا عَ بِمَوْقِفِ البَطْلِ المُنَاجِرِ<sup>(١٠)</sup>

- 
- (١) عمرو بن عبدود : فارس قریش وشجاعها ، قُتِلَ على سَنَةِ ٥ الهجرة  
 (٢) آتَى : أَقْبَمَ ، والأَلِيَّةُ : الجَيْن (٣) يَمْلِلُ : يَتَقَلَّبُ ، والضَّرَابُ : الطَّارِدَةُ  
 (٤) الحَفِظَةُ : الحِمَى والنَّضْبُ عند حفظِ الحَرَمَةِ ، والمَصَّمُ : السِّيفُ لا يَبِينُو  
 (٥) مَتَقَطَّرٌ : صَرِيعٌ ، والدَكَاذِكُ : جَمْعُ دَكَاذِكٍ وهو الرَّمْلُ التَّلْبَدُ بالأَرْضِ  
 (٦) بَرْنٌ : سَلَبٌ . (٧) نَصَرَ الحِجَارَةَ : كُنَايَةُ عَنِ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ . (٨) جَزَعَ المِزَاجَ :  
 اجْتَازَهُ ، والمِزَاجُ : المَوْضِعُ الَّذِى يَذَاذُ فِيهِ عَنِ النَّفْسِ ، أَى مَوْضِعِ الحَرْبِ ، ويَلِيلُ : اسْمُ  
 وَادٍ فى بَدْرٍ (م) (٩) يَجُ صَوْتُهُ : ضَعْفٌ مِنْ كَثَرَةِ النِّدَاءِ (١٠) نَكَلَ : نَكَسَ ،  
 والمُنَاجِرُ : المُبَادِرُ إِلَى القِتَالِ

إني كذلك لم أزل متسرِّعاً نحو المزارع<sup>(١)</sup>  
 إنَّ السَّاحَةَ وَالشَّجَا عَةً فِي الْقَتْلِ خَيْرُ الْفَرَارِ<sup>(٢)</sup>  
 فبزع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : يا عمرو ! إنك عاهدت الله  
 لتريش ألا يدعوك أحدٌ إلى خلتين إلا أخذت إحداهما ، قال : أجل ! قال :  
 فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك ، قال :  
 فإني أدعوك إلى انبازة ، قال : يا ابن أخي ما أحبُّ أن أقتلك ! قال علي :  
 لكني والله أحبُّ أن أقتلك ، فحیی عمرو ، فاقصم عن فرسه وعرقه<sup>(٣)</sup> ثم  
 أقبل إلى علي :

فَجَاوَلَا كُضَامَتَيْنِ تَكْنُفُ مَتْنَيْهِمَا رِيحًا صَبَاً وَنَمَالٍ<sup>(٤)</sup>  
 فِي مَوْقِفٍ كَادَتْ نَفُوسُ كِمَاتِهِ تُبْتَزُّ قَبْلَ تَوَرُّدِ الْأَجَالِ<sup>(٥)</sup>  
 وعلت بينهما غيرة سترتهما فلم يزع المسلمين إلا التكيير ؛ فملوا أن علياً قتله .  
 ونا قتل عمرو جاءت أخته فقالت : مَنْ قَتَلَهُ ؟ فقيل : علي بن أبي طالب ،  
 فقالت : كف ! كريم ! ثم انصرفت وهي تقول :

لَوْ كُنْ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَكُنْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبَدِ  
 لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَا يَنْسَابُ بِهِ وَكَانَ يَذْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ  
 مِنْ هَاشِمٍ فِي ذُرَاهَا وَهِيَ صَاعِدَةٌ إِلَى السَّاءِ تُنْمِثُ النَّاسَ بِالْحَسَدِ  
 قَوْهَ أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَكَارِمُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِلَا أَمَدِ  
 يَا أُمَّ كَلْثَوِ بَكْيِهِ وَلَا تَدْعِي بَكَاءَ مُغْوَلَةٍ خَرَّتْ عَلَى وَلَدِ  
 أُمِّ كَلْثَوِ : بنت عمرو بن عبد ود . و « بيضة البلد » تمدحُ به العربُ

(١) المزارع : اشتدائد والحروب لأنها تهز الرجال (٢) الفرار : الطباع ،  
 واحدها غريزة . (٣) عرقه : قطع عرقه (٤) تجاولا : تصاولا (٥) الكفة :  
 الشجاة ، واحدهم كفى ، وتبتر : تسلب ، وتورد الأجل : ورود حياض اللوت ، يريد  
 أن الكفة يموتون من الهية (م)

وَتَذَمُّ ؛ فَن مَدَحَ بِهِ جَعْلَهُ أَصْلًا ، كَمَا أَنَّ الْبَيْضَةَ أَصْلُ الطَّائِرِ . وَمَنْ ذَمَّ بِهِ أَرَادَ أَنَّ لَا أَصْلَ لَهُ . قَالَ الرَّاعِي يَهْجُو عَدِيَّ بْنَ الرَّقَاعِ الْعَمَلِيَّ <sup>(١)</sup> :

يَا مَنْ تَوَقَّعْتَنِي جَهْلًا بَكَثَرْتَنِي      مَتَى تَهْدِنِي بِالْمَرْءِ وَالْعَدِيِّ  
أَنْتَ أَمْرٌ نَالٌ مِنْ عِرْضِي وَعِزَّتِي      كَمْزَةُ الْعَيْرِ تَرَعَى تَلْعَةً الْأَسَدِ <sup>(٢)</sup>  
لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يَنْهَجِي هَجْوَتَكُمْ      يَا بْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ  
تَنْبِي قَضَاعَةً أَنْ تَرَضَى لَكُمْ نَسَبًا      وَابْنَا نَزَارٍ ؛ فَأَتَمَّ بَيْضَةً الْبَلَدِ

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : عَامِلَةٌ بَنُ عَدِيَّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ أَدٍ [ بَنُ زِيَادٍ ] عَامِلَةٌ قَوْمِ  
ابْنِ شَيْحَبٍ ، يُطْعَمُ فِي نَسَبِهِ مِنْ قِحْطَانٍ ، وَيُقَالُ : هُوَ عَامِلَةٌ بَنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ قَاسَطٍ عَدِيَّ بْنِ الرَّقَاعِ  
ابْنِ أَهْبَبٍ ؛ فَبِذَلِكَ قَالَ الرَّاعِي هَذَا . وَيُقَالُ : إِنْ جَنَدِلَ بْنَ الرَّاعِي قَالَهَا وَقَدْ  
قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي حَنْصَةَ الْأُمَوِيُّ فِي عَامِلَةٍ :

وَلَسْنَا نَبَالِي نَأْيَ عَامِلَةٍ الَّتِي      أَجَدَّهَا مِنْ نَحْوِ بَصْرَى انْحَدَارُهَا  
تَدَاقَعَهَا الْأَحْيَاءُ حَتَّى مَكَانَهَا      ثِيَابٌ بَدَا لِلْمَشْتَرِينَ عَوَارُهَا  
قَذَفْنَا بِهَا لَمَّا نَزَتْ قَذَفَ حَاذِفٌ      بِسُودٍ حَصَى خَفَّتْ عَلَيْهِ صِفَارُهَا  
وَيُسَبِّحُ قَوْلَهُ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ « وَعَفَّتْ عَنْ أَثْوَابِهِ » قَوْلَ عَنَتَرَةَ بْنِ شَدَادٍ  
الْمَبْسِيِّ :

هَلَّا سَأَلْتُ انْخِيلَ يَابِتَّةَ مَالِكٍ      إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَقْلَمِي  
يُخْبِرُنِي مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنِّي      أَغَشَى الْوَعْيَى وَأَعَفَّ عِنْدَ الْغَمِّ  
وَقَالَ حَيْبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي :  
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا      يَوْمَ الْكُرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ <sup>(٣)</sup>

(١) عَدِيَّ بْنُ الرَّقَاعِ : شَاعِرٌ كَبِيرٌ ، كَانَ مَقْعَدًا عِنْدَ بَنِي أُمَيَّةَ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٩٥ .  
(٢) الْعَيْرُ : الْخَمَارُ ، وَتَلْعَةُ الْأَسَدِ : الرَّايَةُ الَّتِي يَعْصِمُهَا ، وَلَيْسَ لِلْحَارِغَةِ فِي تَلْعَةِ  
الْأَسَدِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثَالُ الْهَوَانِ (٣) السَّلْبُ : التَّيْنَةُ ، وَيَجْمَعُ عَلَى أَصْلَابٍ

عزم المؤلف على ضروب من الاختيار قد علقت بذيل ما أوردته ، وألحقت بطرف ماجرته ، من كلام سيد الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار الطيبين الطاهرين ، قطعة من كلام الخلفاء الراشدين ، قدمتها أمام كل كلام ، لتقدمهم على الخلق ، وأخذهم بقصص السبق<sup>(١)</sup> ، وهم كما قال بعض التكميين يصف قوما من الزهاد الواعظين . جَلَوْا بكلامهم الأبصار العلية ، وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكلية ، وَنَبَّهُوا القلوبَ من رَقَدَتِهَا ، وَنَقَلُواها عن سوء عَادَتِهَا ، فَشَقَّوْا من داء القسوة ، وَغَبَّأُوا الغفلةَ ، وَدَاوَوْا من العيِّ الفاضح ، وَنَهَبُوا لنا الطريقَ الواضح . وَآثَرَتْ أَنْ ألحقَ بعد ذلك جملة من سلم كلام سائر الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأدرج في درج كلامهم وأثناء نثرهم ونظمهم ، ما التفت عليه والتفت إليه ، وتعلق بأغصانه ، وَتَشَبَّهَ بِأَفْنَانِهِ ، كما تقدم ، وأخرج إلى صفات البلاغات ، وَأَخَذَ بعد ذلك في نظم عقود الآداب ، وَرَقَمَ برود الأبواب .

من كل معنى يكاد الميثُ يَفْهَمُهُ حُسْنًا وَيَعْبُدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ  
[ من كلام الصحابة والتابعين ] .

من كلام معاوية قال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله : أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ التَّقْوُ وَالْحِلْمُ ؛ فَإِذَا ذُكِرَ ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أُنْجِزَ .

وصف معاوية الوليد بن عتبة فقال : إنه لبعيد القور ، ساكن القور<sup>(٢)</sup> ، وَإِنْ الْعُودَ مِنْ سَلِيَّانِهِ<sup>(٣)</sup> ، والولد من آبائه ، والله إنه لنبات أصل لا يخلف ، ونجل

(١) السبق : هو السباق ، وأخذ قصب السبق : كناية عن الفوز

(٢) القور : القمر من كل شيء ، وبعد القور : كناية عن أصالة الرأي وعمق التفكير ، والقور : الغضب ، ويقال : فلان ثار ثائرة ، وفار فائرة ، إذا اشتد غضبه . وبنو فلان ثور علينا قدرهم ، قال الشاعر :

ثور علينا قدرهم فندعها وتغوثها عنا إذا حميا غلا

وسكون القور : كناية عن الحلم (٣) اللحاء : القشر ، ومنه قولهم ( لحاء الله ) أي قشره ، وَإِذَا قَشَرَ الْإِنْسَانُ هَلَكَ !

فَخَلَّ لَا يَقْرَفُ<sup>(١)</sup> .

بين معاوية  
ومصقلة بن  
هيرة

ومرض معاوية مرضاً شديداً فأَرْجَفَ<sup>(٢)</sup> به مصقلة بن هيرة وسأعده قَوْمٌ على ذلك ، ثم تماثل وم في إرجافهم<sup>(٣)</sup> ، فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه : « إنه يَجْمَعُ مَرَأَةً مِنْ مَرَأَاتِ الْعِرَاقِ<sup>(٤)</sup> فَيُرْجِفُونَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وقد حملته إليه لِيَرَى رَأْيَهُ فِيهِ » .

فقدم مصقلة وجلس معاوية للناس ؛ فلما دخل عليه قال : اذْنُنْ مِنِّي اِفْدِنَا مِنْهُ ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَذَبَهُ فَسَقَطَ مَصْقَلَةٌ ؛ فقال معاوية :

أَبْقَى الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيلِكَ مِثْلَ جَذْدَلَةِ الْمَرَاثِمِ<sup>(٥)</sup>

صُلْبًا إِذَا خَارَ الرَّجُلُ لُ أَيْلٌ مَمْتَنِعِ الشَّكَاثِمِ<sup>(٥)</sup>

قد رافى الأعداء قَبْلَكَ فامْتَنَعْتُ عَنْ الْمَغَالِمِ

قال مصقلة : يَا أَسِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قد أَبْقَى اللَّهُ مِنْكَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ [بَطْشًا] وَجِلًا [رَاجِحًا] وَكَلًّا وَمِرْعَى لِأَوْلِيَاكَ ، وَسَمَا نَقَمًا لِأَعْدَاكَ ، كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ فَكَانَ أَبُوكَ سَيِّدَ الشَّرْكَينَ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مُسْلِمِينَ ؛ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَامَ .

فوصله معاوية ، وَأَذَنَ لَهُ فِي الْإِنْصِرَافِ إِلَى الْكُوفَةِ . فقيل له : كَيْفَ تَرَكْتَ معاوية ؟ فقال : زَعَمْتُ أَنَّهُ لَمَّا بِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَاللَّهِ لَقَدْ غَرَزَنِي غَرَزَةٌ كَادَتْ يَخْطِمُنِي ، وَجَذَبَنِي جَذْبَةً كَادَتْ يَكْسِرُ عَضْوًا مِنِّي !

(١) لا يقرف : من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعير ، يريد أنه قوى متين لا تهزبه الأمواء

(٢) الإرجاف : الخوض في أخبار الفتن ، ومنه ( والمرجفون في المدينة )

(٣) مرق : جمع مارق ، وهو الخارج على الجماعة

(٤) الجندلة : الصخرة (٥) الشكاثم : جمع شكمة ، وهي الحديد المعلقة في فم

الفرس ، وفلان شديد الشكيمة : أنف أفي لا ينقاد

(٦) زعمت أنه لما به : يريد زعمت أنه ضف لما به من السقم

وَدَخَلَ الْأَحْنَفُ بْنُ قُيسٍ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَافِداً لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَدَخَلَ مَعَهُ  
 الثَّمَرُ بْنُ قُطَيْبَةَ ، وَعَلَى الثَّمَرِ عِبَادَةُ قَطَوَايَّةٌ <sup>(١)</sup> ، وَعَلَى الْأَحْنَفِ مِذْرَعَةُ صَوْفٍ  
 وَتَمَلَّةٌ ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيِ مَعَاوِيَةَ اقْتَحَمَتْهُمَا عَيْنُهُ <sup>(٢)</sup> ؛ قَالَ الثَّمَرُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !

بين معاوية  
والأحنف بن  
قيس

إِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَكَلِّمُكَ ، وَإِنَّمَا يَكَلِّمُكَ مَنْ فِيهَا ! فَأَوَمَّ إِلَيْهِ جُلُوسٌ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى  
 الْأَحْنَفِ فَقَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَدَدُ سِيرٍ ، وَعَظْمٌ  
 كَسِيرٌ ، مَعَ تَتَابُعٍ مِنَ الْمُحُولِ <sup>(٣)</sup> ، وَاتِّصَالٍ مِنَ الدُّحُولِ <sup>(٤)</sup> ؛ فَالْمُكْثَرُ فِيهَا قَدْ  
 أَطْرَقَ ، وَالْقَلِيلُ قَدْ أَمْتَأَقَ <sup>(٥)</sup> ، وَبَلَغَ مِنْهُ الْمُخَنَّقُ ؛ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْشُفَ الْفَقِيرَ ،  
 وَيَجْعَلَ الْكَسِيرَ ، وَيَسَهِّلَ السَّيْرَ ، وَيَصْنُفَحَ غِنَى الدُّحُولِ ، وَيُدَاوِيَ الْمُحُولَ ، وَيَأْمُرَ  
 بِالْعَطَاءِ ؛ لِيَكْشِفَ الْبَلَاءَ ، وَيُزِيلَ اللَّأْوَاءَ <sup>(٦)</sup> . وَإِنَّ السَّيِّدَ مِنْ يَعْمَ وَلَا يَحْصُرُ  
 وَمَنْ يَدْعُو الْجَفْلَى ، وَلَا يَدْعُو النَّقْرَى <sup>(٧)</sup> ؛ إِنَّ أُخْرَيْنَ إِلَيْهِ شُكْرٌ ، وَإِنْ أُسِيءَ  
 إِلَيْهِ غَفَرٌ ، ثُمَّ يَكُونُ رِوَاءُ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِهِ عِمَاداً يَدْفَعُ عَنْهَا الْمُلَمَّاتَ ، وَيَكْشِفُ  
 عَنْهُمْ الْمَضَلَّاتَ .

قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : هَاهُنَا يَا أَبَا بَحْرٍ ! ثُمَّ تَلَا : ( وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ  
 لَقَمُولٍ ) .

مَحَاوِرَةُ بَيْنَ  
 مَعَاوِيَةَ وَأَهْلِ  
 الْعِرَاقِ  
 وَمِنْ جَمِيلِ الْمَحَاوِرَاتِ مَا رَوَاهُ الْمَدَائِنِيُّ ، قَالَ : وَقَدْ أَهْلَ الْعِرَاقَ عَلَى  
 مَعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَمَعَهُمْ زَيْادٌ ، وَفِيهِمُ الْأَحْنَفُ ، فَقَالَ زَيْادٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛  
 أَشْخَصْتَ إِلَيْكَ أَقْوَاماً الرِّغْبَةُ ، وَأَقْصَدَ عَنْكَ آخِرِينَ الْعُذْرُ ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ  
 تَعَالَى فِي سَمَةِ فَضْلِكَ مَا يُجْعِلُ بِهِ الْمُتَخَلِّفَ ، وَيَكْفِي بِهِ الشَّائِخَ . قَالَ مَعَاوِيَةُ :

(١) نسبة إلى قطوان وهو موضع بالكوفة

(٢) اقتحم : احتقر (٣) المحول : جمع محل ، وهو الضيق (٤) الدحول : جمع

ذحل ، وهو التآثر (٥) أملتق : من الإملاق ، وهو الفقر (٦) اللأواء : الشدة

(٧) يدعو الجفلى : يدعوا الجماعة ، والنقري : دعوة الفرد . قال طرفة :

نحن في اللأواء ندعو الجفلى لا ترى الأدب منا ينتقر



مرحباً بكم يا مشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعكم  
الرحيم ؛ إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم  
بأن تحيروكم بلائاً يجتاز عليها للنازل ، حتى صفاكم من الأمم كما تصفى النفقة  
البيضاء من حبيثها ؛ فصونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم ،  
فإن الحسن منكم أحسن ليقر بكم منه ، والقيح منكم أقبح لبعدم عنه .

قال الأحنف : والله يا أمير المؤمنين ، ما نعدم منكم قائلاً جزيلاً<sup>(١)</sup>  
ورأياً أصيلاً ، ووعداً جميلاً ؛ وإن أخاك زياداً لم يتبع آثارك فينا ، فستمتع الله  
بالأمر والمأمور ، فإنكم كما قال زهير ، فإنه ألقى على الداهين فصول القول :

وما يك من خير أتوه فأعما توارثته آباء آبائهم قبل  
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتفرس إلا في منابيتها النخل<sup>(٢)</sup>

وهذان البيتان لزهير بن أبي سلى المزني في قصيدة يقول فيها :

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية يفتأها القول والفعل  
على مكثيريهم رزق من يفتريهم وعند اللقيلن السامحة والبدل  
سقى بعدهم قوم لكى يذركوهم فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا<sup>(٣)</sup>

قال بعض أهل العلم بالمعاني : أعجب بقوله : « ولم يألوا » ؛ لأنه لما  
ذكر السى بعدهم ، والتخلف عن بلوغ مساعيهم ، جازأن يتوهم السامع أن  
ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم ؛ فأخبر أنهم لم يألوا ، وأنهم كانوا غير مقصرين  
وأنهم — مع الاحتياط — في التأخيرين ؛ ثم لم يرض بأن يحمل مجدهم طارفاً

(١) القائل الجزيل : الذى يقول جزل الكلام ، وهو العاقل الأصيل الرأى ،  
وفى نسخة « نائلا جزيلا » (م)

(٢) الخطي : نسبة إلى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين وتنسب إليه الرماح ،  
لأنها تباع به لأنه منبهاً — والوشيح : عروق القصب (٣) لم يألوا : لم يقصروا .

فيهم ، ولا جديداً اليهم ، حتى جله إرثاً عن الآباء ، يتوارثه سائر الأبناء ،  
ثم لم يرض أن يكون في الآباء حتى جله موروثاً عن آبائهم ، وهذا لو تكلفه  
متكلف في المنثور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع هذا الاختصار .

منزلة شعر زهير  
ابن أبي سلمى  
وكانت قريش معجبةً بشعر زهير ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا  
قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء ، وكلام ابن أبي سلمى ، فما سمعنا مثلاً كلامه  
من أحد ؛ فجعلوا ابن أبي سلمى نهايةً في التجويد ، كما ترى .

وذَكَرَ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إن من أشعر شعرائكم  
زهيراً ، كان لا يُعَاطَلُ بين الكلام<sup>(١)</sup> ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل  
إلا بما يكون في الرجال .

وأخذ معنى قول زهير : \* سعى بدمهم قوم لكي يدركوهم \*  
طُريح بن إسماعيل التقي<sup>(٢)</sup> ، فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن  
على السفايح :

قَدْ طَلَبَ النَّاسُ مَا بَنَيْتُ وَلَمْ يَأْخُذُوا فَمَا قَارَبُوا وَقَدْ جَهِدُوا<sup>(٣)</sup>  
فِهِمْ مَنُوزٌ مَا لَهُ يَرَوْنَهُ ، فَإِنْ لَاحَ لَمْ مِنْكَ بَارِقٌ سَخَدُوا  
تَمَرَوْهُمْ رِيعَةً لَدَيْكَ كَمَا قُرُفٌ تَحْتَ الدَّجَنَةِ الصَّرْدُ<sup>(٤)</sup>  
لَا خَوْفَ ظُلْمٍ وَلَا قَلِي حُلُقِي لَكِنْ جَلَالًا كَمَا كَهُ الصَّمَدُ<sup>(٥)</sup>  
مَا يُبْقِيكَ اللَّهُ لِلْأَنَامِ قَا يُفْقِدُ مِنَ الْعَالَمِينَ مُفْتَقِدُ<sup>(٦)</sup>

معاوية يمين  
النبيل والمروءة  
وقال معاوية رحمه الله : المروءة : احتمالي الجريرة<sup>(٧)</sup> ، وإصلاح أمر العشيرة ؛  
والنبيل : الحلم عند الغضب ، والصفو عند المقدرة .

(١) يعاظم : يكرر ويردد . وفي الأصل « يفاصل » وهو تحريف

(٢) شاعر حميد توفي نحو سنة ١٧٠ (٣) جهموا : تعبوا

(٤) قُرُفٌ على صيغة المفعول : أرعد ، والدجنة : الظلمة ، والصد : الذي

يشكو قسوة البرد (٥) التلي : البغض (٦) ما في هذا البيت شرطية (٧) الجريرة :

الجنابة ، واحتمال الجريرة : كناية عن دفع الريبة لئلا يؤخذ الجاني بجنابته

فَقَرَّ مِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ تُبْذِرًا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَنْبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ . أَتَمَّعُ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونُهُ . أَوَّلَى النَّاسِ بِالْقَوْرِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . التَّسَلُّطُ عَلَى الْمَالِيكَ مِنْ لَوْحِ الْمَقْدَرَةِ وَسُوءُ الْمُلْكَةِ .

وقال يحيى بن خالد : مَا حَسَنَ أَدَبُ رَجُلٍ إِلَّا سَاءَ أَدَبُ غِلْمَانِهِ <sup>(١)</sup> .

وقال معاوية : إِصْلَاحُ مَا فِي يَدِكَ أَشْلَمُ مِنْ طَلَبِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ . غَضَبِي عَلَى مَنْ أَمْلِكُ ، وَمَا غَضَبِي عَلَى مَنْ لَا أَمْلِكُ ؟ .

\*\*\*

ولما تَوَفَّى معاوية رحمه الله واستُخْلِفَ يزيدُ ابنه اجتمع الناسُ على بابهِ ، ولم يقدرُوا على الجمعِ بينِ تهنئَةٍ وتعمِيزَةٍ ، حتَّى أتى عبدُ الله بنُ همام السُّلُوى ، فدخل عليه فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى الرَّزِيَةِ ، وَبَارَكَ لَكَ فِي الْعَطَايَةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّعِيَةِ ، قَدْ رَزَيْتَ عَظِيمًا ، وَأَعْطَيْتَ جَسِيمًا ، فَاشْكُرْ اللَّهَ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ ، وَاصْبِرْ لَهُ عَلَى مَا رَزَيْتَ ؛ قَدْ قَدَّمْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ ، وَمُنَحْتَ خِلَافَةَ اللَّهِ ؛ فَفَارَقْتَ جَلِيلًا ، وَوَجَّهْتَ جَزِيلًا ؛ إِذْ قَضَى مُعَاوِيَةُ نَحْبَهُ ، فَغَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ ؛ وَوَأَيَّتِ الرِّيَاسَةَ ، فَأَعْطَيْتِ السِّيَاسَةَ ؛ فَأَوْرَدَكَ اللَّهُ مَوَارِدَ السُّرُورِ ، وَوَقَّكَ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ ، وَأَنْشَدَهُ :  
 اصْبِرْ يَزِيدُ قَدْ فَارَقْتَ ذَاتَ قَمَرٍ      وَاشْكُرْ حَيَاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ أَضْفَا كَا <sup>(٢)</sup>  
 لَأَرْزُءُ أَصْبَحَ فِي الْأَهْوَامِ نَقْلَهُ      كَمَا رَزَيْتَ وَلَا غَضَبِي كَمُغْنِيَا كَا  
 أَصْبَحْتَ وَإِلَى أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ      فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَا كَا  
 وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِيَ لِنَاخِلٍ      إِذَا نُصِيتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَتْنَمَا كَا <sup>(٣)</sup>  
 يريدُ أبا لى معاوية بن يزيد ، ووُلِّيَ بَعْدَ أَبِيهِ شَهْرًا ، ثُمَّ انْخَلَعَ عَنِ الْأَمْرِ ، فَقَالَ الْقَائِلُ :

(١) يظهر أن هذه الكلمة وقعت استطرادا من المؤلف ، وإذ كان الغرض ذكر قفر من كلام معاوية  
 (٢) الحياء : العطاء (٣) «لا» حرف دعاء ، ولذلك جزم بها القمل إلحافا به الناهية

• والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا •

الجمع بين التهنئة وأول مَنْ فَتَحَ الباب في الجمع بين تهنئة وتزينة عبد الله بن همام، فَوَلَّجَهُ الناس، ومن جَيِّد ما قيل في ذلك قصيدة أبي تمام الطائي يمدح الواقفي ويرثي المنصم يقول فيها :

إِنْ أَصْبَحَتْ هَضْبَتُ قَدَسٍ أَرَاهَا      قَدَرًا فَمَا زَالَتْ هِضَابُ شِمَامٍ<sup>(١)</sup>  
أَوْ بَنَقْدُ ذُو النُّونِ فِي الْمَيْجَا قَدْ      دَفَعَ الْإِلَهُ لَنَا عَنِ الصَّمْعَامِ  
أَوْ كُنْتُ مَنَا غَارِبَا غَدَوَا قَدْ      رُخْنَا بَأْسُنِي غَارِبٍ وَسَنَامٍ<sup>(٢)</sup>  
تِلْكَ الرِّزْيَةُ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا      وَالْقَسْمُ لَيْسَ كَسَائِرِ الْأَقْسَامِ<sup>(٣)</sup>  
وهذا المعنى كثير.

وكان معاوية رحمه الله قد تركَ قولَ الشعر في آخر عمره، فنظر يوماً إلى جارية في داره ذات خَلْقٍ رَائِعٍ، فدعاها فوجدتها يَكْرَهُ فافترعها، وأنشأ يقول :

سَمْتُ غَوَائِقِي فَأَرَخْتُ حُلِي      وَفِيَّ عَلَى تَحْمِلِي اعْتِرَاضُ  
عَلَى أَنِّي أُجِيبُ إِذَا دَعَنِي      ذَوَاتُ الدَّلِّ وَالْخَذَقُ لِلِرِاضِ  
فَقَرَّ لِمَاعَةُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ

ابن عباس : الرخصة من الله صدقة ، فلا تردُّوا صدقته<sup>(٤)</sup> . لكل داخل هية فابدهوه بالتحية ، ولكل طاعم حشمة فابدهوه باليمين .  
ابن مسعود رحمه الله : الدنيا كلها همومٌ ، فما كان منها في سرور فهو ربح .  
عمرو بن العاص : مَنْ كَثُرَ إِخْوَانُهُ كَثُرَ غُرْمَاؤُهُ . وقال : أَكْرِمُوا سَفَهَاءَكُمْ ، فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَكُمْ الْعَارَ وَالنَّارَ .

المثيرة بن شعبة : العيشُ في بقاءِ الحَشَمَةِ . في كل شيء سَرَفٌ إلا في المعروف .

(١) شمام : اسم جبل لباهلة (٢) التارب : الكاهل (٣) القسم : النصيب  
(٤) الرخصة : تسهيل الله للعبد فيما يخففه عليه كتقصير الصلاة ، وإباحة الفطر للمسافر

هذا كقول الحسن بن سهل<sup>(١)</sup> — وقد أُنْفَقَ في دخول ابنته بُورَانَ على  
لِأُمُونِ أموالاً عظيمة — قِيلَ لَهُ : لَا خَيْرَ فِي السَّرَفِ . قَالَ : لَا تَسْرِفَ فِي  
الْخَيْرِ . فَرَدَّ اللَّفْظَ وَاسْتَوَى الْمَعْنَى :

مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : الَّذِينَ هَذَمَ الدِّينَ .

زِيَادٌ : أَرْضَ مَنْ أَخِيكَ إِذَا وَلَّى وَلَايَةً بَشَرُودَهُ قَبْلَهَا .

مَصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ<sup>(٢)</sup> : التَّوَاضَعُ مِنْ مَصَائِدِ الشَّرَفِ .

الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : مَنْ لَمْ يَنْصِرْ عَلَى كُلِّ سَمِيعٍ كَلَّتْ ! وَقِيلَ لَهُ : مَنْ السَّيِّدُ ؟  
قَالَ : الَّذِي إِذَا أَقْبَلَ هَابُوهُ ، وَإِذَا أَدْبَرَ عَابُوهُ . وَلَهُ : سَرُّكَ مِنْ دَمِكَ<sup>(٣)</sup> . وَلَهُ : مَنْ  
تَسَرَّعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ . وَلَهُ : الْكَامِلُ مَنْ عُدَّتْ حَفْوَاتُهُ .  
وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ<sup>(٤)</sup> :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرَضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الرَّهْ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

الحسن البصري : أَلَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ طَوْلِ مَا لَا تَسْتَحْيُونَ ! ابْنُ آدَمَ رَاحِلٌ  
إِلَى الْآخِرَةِ كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً . مَا أَنْصَقَكَ مَنْ كَلَّفَكَ إِجْلَالَهُ ، وَمَنْعَكَ مَالَهُ . بَدَنُ  
لَا يَشْتَكِي مِثْلَ مَالٍ لَا يَزْكِي . إِنْ أَسْرَأَ الْيَسْبِيْنَةُ وَبَيْنَ آدَمَ أَبْحَى لِمُرْقٍ فِي الْمَوْتِ .  
قَالَ الطَّائِي :

تَأْمَلْ رَوِيْدًا هَلْ تَمْدَنَ سَلْمًا إِلَى آدَمَ أَوْ هَلْ تُعْدُّ ابْنَ سَالِمٍ  
وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْمَالِكِينَ عَرِيْقٍ

(١) كَانَ وَزِيرَ الْأُمُونِ ، وَمِنْ أَعْلَامِ زَمَانِهِ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٢٣٦ هـ بَدَنًا ضَرِيعَةً بِعَرَضِ  
السُّودَاءِ (٢) أَحَدُ الْأَبْطَالِ الْمَشَاهِيرِ ، وَلَهُ مَوَاقِفٌ مَعْرُوفَةٌ فِي التَّارِيخِ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٧١  
(٣) تَصَحَّفَتْ هَذِهِ الصِّيَاغَةُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَشَرَ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ  
فَقَرَأُوهَا « سَرُّكَ مِنْ دَمِكَ » وَضَبَطُوهَا عَلَى أَنَّ أَوَّلَهَا فَضْلٌ مَاضٍ مِنَ السُّرُورِ وَآخِرُهَا  
فَضْلٌ مَاضٍ مِنَ الْقَتْلِ ، وَأَيُّ سُرُورٍ يَدْخُلُ عَلَى مَنْ يَسْمَعُ ذِمَّةً ؟ وَإِنَّمَا هِيَ كَاضْبِطَانِهَا  
وَالْمُرَادُ الْوَصِيَّةُ بِكَيْفَانِ السَّرِّ (م)

(٤) كَانَ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ شَاعِرَ التَّوَكُّلِ وَقَدَرْنَاهُ بِحَدُوثَاتِهِ أَيْلُوحًا . تَوَفَّى بِضِدَادِ سَنَةِ ٢٥٩ هـ

إذا أُمْتُحَنَ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ  
وكان المأمون يقول : لو قيل للدنيا : صِفِي نَفْسَكَ مَا عَدَّتْ هَذَا الْبَيْتَ ؛  
وهو مأخوذ من قول مُزَاهِمِ الثَّقَلَيْنِ :

قَضَيْنَ الْهَوَى ثَمَّ ارْتَمَيْنَا قُلُوبَنَا بِأَنْسَهُمْ أَعْدَاءَ وَهْنِ صَدِيقٍ  
عمر بن عبد العزيز رحمه الله : مَا الْجَزَعُ مِمَّا لَا بَدَّ مِنْهُ؟ وَمَا الطَّمَعُ فِيمَا لَا يَرْجَى؟  
لَا تَكُنْ مَن يَلْمِسُ إِبْلِيسَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَيُؤَالِيهِ فِي السِّرِّ .  
الشعبي : إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ إِذَا عَرَفْتُهُ إِلَّا أَرْجِعُ إِلَيْهِ .

وصف أهل البيت  
قطعة من كلامِ لَبْنِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَهْلِي الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : [ أَهْلِي  
الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَنَبْعَةِ الْإِيمَانِ ، وَصُورِ شَهْرِ رَمَضَانَ ] وَلَهُمْ  
كَلَامٌ يَرُضُ فِي حَلِيِّ الْبَيَانِ ، وَيُنْقَشُ فِي فَصِّ الزَّمَانِ ، وَيُحْفَظُ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ ،  
وَيُفَضَّحُ قَلَانِدَ الدُّرِّ ، وَتُخْجَلُ نَوْرُ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ ، وَلَمْ لَا يَطْثُونَ ذُبُولَ  
الْبَلَاغَةِ ، وَيَمْرُثُونَ فَضُولَ الْبِرَاعَةِ ، وَأَبْوَاهُ الرُّسُولِ ، وَأُمَّهُمُ الْبَتُولُ <sup>(١)</sup> ، وَكَلِمُهُمْ  
قَدْ غَدَى بِدَرِّ الْحَكْمِ <sup>(٢)</sup> ، وَرُبُّنِي فِي حَيْجَرِ الْعِلْمِ :

مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَرْبِي بِالْحَيَاةِ أَوْ مُبَشِّرٌ بِالْأُخْرَى مُؤَدِّمٌ <sup>(٣)</sup>

آخر :

نَمَتُهُ الْمَرَانِينَ مِنْ هَاشِمٍ إِلَى النَّسَبِ الْأَضْرَحِ الْأَوْضَحِ <sup>(٤)</sup>

(١) البتول : لقب مريم عليها السلام لأنها انقطعت عن الزواج وظلت عذراء . ثم

قبل لقائمة البتول تشبيها بها في المنزلة عند الله

(٢) الحكم : بضم الحاء هو الحكمة ، ومنه ( وآتيناها الحكم صبيا )

(٣) الأخوذية : الحنفى والخفة ، وهو مبشر بالأخوذية ومؤدم : يعنى أن بشرته

وأصم أى جلده حتى بالمهارة والنشاط (٤) المرانين : الأوائل

إلى نَبْطَةَ فَرُغَهَا فِي السَّمَاءِ وَتَغْرِسُهَا فِي ذُرَى الْأَبْطَحِ<sup>(١)</sup>

وم كما قال مسلم بن بلال المدي — وقد قيل له : خطب جفر بن سليمان خطبة لم يرَ أحسن منها ، فلا يُدري أوجه أحسن أم خطبته ؛ فقال : أولئك قوم بنور الخلقة يُشْرِقُونَ ، ولسان النبوة ينطقون ، وفيهم يقول القائل :

لَوْ كَانَ يُوجَدُ عَرَفٌ مَجْدٍ قَبْلَهُمْ لَوَجَدْتَهُ مِنْهُمْ عَلَى أُمِّيالٍ<sup>(٢)</sup>  
إِنْ جِئْتَهُمْ أَبْصَرْتَ بَيْنَ بَيوتِهِمْ كَرَمًا يَفِيكَ مَوَاقِفَ النَّسَالِ  
نورُ النبوة والمكارم فيهم متوقد في الشَّيْبِ والأطفالِ<sup>(٣)</sup>

وسئل سعيد بن السيب : مَنْ أبلغُ النَّاسِ ؟ قال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . قال السائل : إنما أعنى مَنْ دونه . فقال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ، وإنَّ ابنَ الزبير لحسنُ الكلام ، ولكن ليس على كلامه ملح . فقال له رجل : فأين أنتَ من عليّ وابنه ، وعباس وابنه ؟ قال : إنما عُنيتُ من تَقَارَبَتْ أَشْكَالُهُمْ ، وتَدَانَتْ أحوَالُهُمْ ، وكانوا كَسِيحَامِ الْجَمْعَةِ<sup>(٤)</sup> ، وبنو هاشم أعلامُ الأنام ، وحُكَّامُ الإسلامِ<sup>(٥)</sup> .

### فصل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

في ذكر قريش ، وبنى هاشم

قد علم النَّاسُ كَيْفَ كَرَّمَ قريش وسخاؤها ، وكيف عَقَلُوا ودَهاؤها ، وكيف رَأَتْهَا وذَكَوْهَا ، وكيف سَاسَتْهَا وتَدِيرُهَا ، وكيف إِيَّازَتْهَا وتَحِيرُهَا<sup>(٦)</sup>

(١) الأبطح : ميل واسع فيه دقاق الحصى (٢) العرف بالفتح : الرمح (٣) الشيب جمع أشيب (٤) الجمبة : السكّانة توضع فيها السهام والفتاب (٥) يلاحظ القارىء أن المؤلف لم يذكر ماسباء «قطعة من كلام لبي بن أبي طالب» وإفادتكم عن أهل البيت وما قيل فيهم . ثم انتقل إلى الكلام عن قريش . ولكن سئى كيف يعود إلى أبناء علي بعد قليل (٦) في نسخة «وتحيرها» والمراد ما يقابل الإيَّاز ، وهو الإطباب والغرض وصف قريش بأنها تجيد إطالة القول حين تشاء

وكيف رجاحة أعلامها إذا خفَّ الحليم ، وحدة أذهانها إذا سلك الحديد<sup>(١)</sup>  
 وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها في اللاأواء<sup>(٢)</sup> ، وكيف وقاؤها إذا استُخِز  
 التذرُّ ، وكيف جودها إذا حُبَّ المال ، وكيف ذِكْرُها لأحاديثٍ غدير  
 وقلة صدورها عن جهة التصدِّ<sup>(٣)</sup> ، وكيف إقرارها بالحق ، وصبرها عليه ،  
 وكيف وصفها له ، ودعاؤها إليه ، وكيف سماحة أخلاقها ، وصونها لأعراقها ،  
 وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم  
 وقولهم قتلهم . وهل سلامة صدر أحدهم إلا على قدر بُمد غوره<sup>(٤)</sup> ؟ وهل  
 غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره ؟

وقال عمر : إنك لا تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه .

قال أوس بن حجر<sup>(٥)</sup>

الألعي الذي يظنُّ لك السطن كان قد رأى وقد سمى

وقال آخر :

مليح نجيح أخو مازن فصيح يحدث بالنائب

وقال بلقاء بن قيس :

وأبني صواب الرأي أعلم أنه إذا طاش ظنُّ للنس طاشت مقاديرُه

بل قد علم الناس كيف جماها وقوامها ، وكيف نماؤها وبهاؤها ، وكيف

سرؤها ونجابتها<sup>(٦)</sup> ، وكيف بيانها وجهارتها ، وكيف تفكيرها وبداهتها ،

(١) الحديد : القوى القهن (٢) اللاأواء : الشدة

(٣) القصد : الغرض (٤) الغور : القمر من كل شيء . وفلان جيد الغور : متمم

النظر ، وهو بحر لا يدرك غوره ، وفي الأصل « بعد غدره » بالدهال ، وأحسب أنه

تحريف (٥) أوس بن حجر : هو شاعر تميم في الجاهلية ، مات قبيل الإسلام ، وهو

صاحب الصينة التي قيل في مطلعها إنه أشجى بيت ، وهو قوله :

أيتها النفس أجلى جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

(٦) السرو : الشرف . والنجابة : كرم الحسب



فالمزب كالبدن وقريش روحها ، وقريش روح" وبنو هاشم سرها ولثها ،  
وموضع غاية الدين والدينامها ، وبنو هاشم ملح الأرض ، وزينة الدنيا ، وحلى  
العالم ، والسنام الأسخ ، والكاهل الأعظم ، وأب كل جوهر كريم ، وسر  
كل غنصر شريف ، والعلمة البيضاء ، والمفرس المبارك ، والنصاب الوثق<sup>(١)</sup> ،  
ومعدن العظم ، ونبوغ العلم ، وشأن ذو المصطب في الحلم<sup>(٢)</sup> ، والسيف الحسام  
في العزم<sup>(٣)</sup> مع الأمانة والخزيم ، والصفح عن الجرم ، والقصد عند المعرفة ،  
والعفو بعد المقدرة ، وهم الأنف المقدم ، والسنام الأكرم ، وكلاء الذي  
لا ينحسبه شيء ، وكالشمس التي لا تخفى بكل مكان ، وكالذهب لا يعرف  
بالنقصان ، وكالنجم للخيّران ، والبارد للظمان ، ومنهم الثقلان ، والشيدان ،  
والأضيان ، والسبطان ، وأسد الله ، وذو الجنّاتين ، وذو قرّانها ، وسيد  
الوادي ، وساقى الحجيج ، وخايم البطحاء ، والبحر ، والحبر<sup>(٤)</sup> ، والأنصار  
أنصارهم ، والمهاجرون من هاجر إليهم أو معهم ، والصدّيق من صدقهم ،  
والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيه ، والحواري حواريهم ، وذو الشهادتين  
لأنه شهد لهم ، ولا خير إلا لهم أو فيهم أو معهم ، أو يُضاف إليهم ، وكيف  
لا يكونون كذلك ومنهم رسول رب العالمين ، وإمام الأولين والآخرين ،  
ونجيب المرسلين ، وخاتم النبيين ، الذي لم يمت لنبي نبوة إلا بعد التصديق  
به ، والبشارة بمجيئه ، الذي عمّ برسالته ما بين الخافقين ، وأظهره الله على الدين  
كله ولو سكرة المشركون؟

قال الحسن بن علي عليهما السلام لحبيب بن مسعدة الفهري : رُبّ مَسِيرٍ لك بين الحسن بن  
على السبط

وحبيب بن  
مسعدة الفهري

(١) النصاب : الأصل (٢) ثهلان : اسم جبل (٣) الحسام : القاطع  
(٤) تلك ألقاب اختص بها فريق من أشراف قريش ، يرجع إليها من شاء في كتب

السيرة والغزوات

في غير طاعة الله ! قال : أَمَا مَسِيرِي إِلَى أَيْكَ فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ ! قال : بلى !  
أَطَلْتُ فَلَانًا عَلَى دُنْيَا بِسِيرَةٍ ، وَلَعُمْرِي لَئِنْ كَانَ قَامَ بِكَ فِي دُنْيَاكَ لَقَدْ قَعَدَ بِكَ  
فِي دِينِكَ ، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ قُلْتَ شَرًّا قُلْتَ خَيْرًا كُنْتَ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :  
( خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ) وَلَكِنَّكَ كَمَا قَالَ :  
( كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) .

صفة الحسن بن علي السبط  
وكان الحسن عليه السلام جواداً ، كريماً ، لا يردُّ سائلاً ، ولا يقطع نائلاً ،  
وأعطى شاعراً مالا كثيراً فقيل له : أَتُعْطِي شَاعِرًا بَعْضِي الرَّحْمَنُ ، | وَيُطِيعُ  
الشَّيْطَانُ | ، ويقولُ الْبُهْتَانُ ؟ فقال : إِنَّ خَيْرَ مَا بَدَلْتَ مِنْ مَالِكَ مَا وَقَّيْتَ بِهِ  
عِرْضَكَ ، وَإِنْ مِنْ ابْتِغَاءِ الْخَيْرِ انْقَاءَ الشَّرِّ .

وقد روى مثل ذلك عن الحسن رضى الله عنه ، وقيل : إِنَّ شَاعِرًا مَدَحَهُ  
فَأَجْزَلُ تَوَابِهِ ، فَلِمَ عَلَى ذَلِكَ ، فقال : أَتَرَانِي خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لَسْتُ ابْنَ فَاطِمَةَ  
الزَّهْرَاءِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا ابْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ! وَلَكِنِّي  
خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لَسْتُ كَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا كَعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛  
فَيُضَدَّقَ ، وَيُحْمَلَ عَنْهُ ، وَيَبْقَى مُخْلَدًا فِي الْكُتُبِ ، مُحْفُوظًا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّوَاةِ . فقال  
الشاعر : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَفُ بِالْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنِّي .

محمد بن الحنفية  
برئ أخاه  
الحسن بن علي  
ولما توفى الحسن أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس  
رضي الله عنهم ، ثم وقف محمد بن علي قبره وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وقال :  
رَحِمَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ ! فَلَنْ عَزَّتْ حَيَاتُكَ ، لَقَدْ هَدَّتْ وَفَاتُكَ ، وَلَنِعْمَ الرُّوحُ  
رُوحٌ تَضَمَّنَتْ بِدُنُوكَ ؛ وَلَنِعْمَ الْجَسَدُ جَسَدٌ تَضَمَّنَتْهُ كَفَنُكَ ، وَلَنِعْمَ السَّكَنُ كَفَنُ  
تَضَمَّنَتْهُ لِحْدُوكَ ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَأَنْتَ سَلِيلُ الْمُهَدِيِّ ، وَخَاسِصُ أَصْحَابِ  
الْكِسَاءِ ، وَخَلَفَ أَهْلُ النَّبِيِّ لِلضُّعْفَى ، وَأَبُوكَ عَلَى الْمُرْتَضَى ،  
وَأُمَّكَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ ، وَعَمَّتُكَ جَفَرُ الطَّيَّارِ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى ، وَغَدَّتْكَ أَسْكُفُ  
الْحَقِّ ، وَرَبَّيْتَ فِي جَبْرِ الْإِسْلَامِ ، وَرَضْتَ تَدْنَى الْإِيمَانِ ، فَلَبِثْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ؛

فلئن كانت الأنفس غير طيبة لرافاك ؛ إنها غير شاكّة أن قد خير لك ، وإنك وأخاك لبيداً شباب أهل الجنة ، فليك يا أبا محمد منا السلام .

وقام رجلٌ من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب على قبره ، قال : رجل من ولده إن أقدامكم قد نقلت ، وإن أعناقكم قد سحلت إلى هذا القبر ولما من أولياء الحارث يرث الله يبشّر نبي الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبهج الحور العين الحسن بن علي بقلائه<sup>(١)</sup> ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل الحجا والدين فقده ، رحمة الله عليه ، وعنده تمتصب للمصيبة به .

### ألفاظ لأهل العصر في ذكر المصيبة بأبناء النبوة

قد نعى سليل من سلالة النبوة ، وفرغ من شجرة الرسالة ، وعُصو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصيِّ والبتول<sup>(٢)</sup> . كتبت وليتقى ما كتبت وأنا ناعي الفضل من أنظاره ، وداعي المجد إلى شقّ ثوبه وصداره ، وغبر أن شمس الكرم واجبة<sup>(٣)</sup> والمآثر مودعة ، وبقايا النبوة مرتفعة ، وآمال الإمامة منقطعة ، والدين منخزل واجم<sup>(٤)</sup> ، وللتقوى دمعان هام وساجم . كتابي وقد شلت يمين الدهر ، وفقت عين المجد ، وقصرت باع الفضل ، وكسفت شمس المساعي ، وخسفت فر المعالى ، وتجدد في بيت الرسالة رزء جدّد المصائب ، واستعاد التوائب ؛ كل هذا لفقد من حظ الكرم برّبه ، ثم أدرج في برّده ، وامتزج المجد به ، فدفع بدقنه ، إنها لمصيبة عمت بيت الرسالة ، وغضت طرّف الإمامة ، وتحيفت جانب<sup>(٥)</sup> الوحي المنزل ، وذكّرت بموت النبي المرسل . كتبت والدهر ينعي مُهجته

(١) الحور العين : لقب نساء أهل الجنة ، والحور : جمع حوراء ، من الحور بالتحريك وهو أن يشتدّ يياض يياض العين وسواد سوادها ، أو هو اسوداد العين كلها مثل عيون الطباء ، والعين : جمع عيناء وهي الحلوة العينين

(٢) الوصي : هو علي بن أبي طالب ، والبتول : لقب فاطمة الزهراء (ع)

(٣) وجبت الشمس : غابت (٤) واجم : مطرق عبوس (٥) تحيفت : انتقصت (م)

والجُدُّ يَنْدُبُ بِهَجَّتِهِ ، ومهايط الوَخْيِ والرسالة تخفى ظهورها أسفاً ، وما قَى الإمامة  
والوصية والرسالة تُذْرى دموعها لهما ؛ وذلك أن حادث قضاء الله استأثر بفزع  
النبوة ، وعنصر الدين وللرودة .

[ رجع إلى كلام أهل البيت ]

بين الحسن بن علي وأخيه محمد بن الحنفية  
وقع بين الحسن وعبد بن الحنفية<sup>(١)</sup> لحاء ، ومشي الناس بينهما بالتمائم ،  
فكتب إليه محمد بن الحنفية : أما بعد فإن أبي وأباك علي بن أبي طالب ؛ لا تفضلني  
فيه ولا أفضلك ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، فلو ملئت الأرض بمثل أمي لكانت أمك خيراً منها ؛  
فإذا قرأت كتابي هذا فأقدم حتى تترضاني ، فإنك أحق بالفضل مني .

خطبة للحسين بن علي  
خطب الحسن بن علي رضي الله عنهما غداة اليوم الذي استشهد فيه ،  
فحمد الله تعالى وأثنى عليه ؛ ثم قال : يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا  
على حذر ؛ فإن الدنيا لو بقيت على أحد [ أو بقي عليها أحد ] لكانت  
الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالبقاء ، [ وأرضي ] بالقضاء ؛ غير أن الله تعالى  
خلق الدنيا للفناء ، فجديدها بال ، ونسيمها مضجج<sup>(٢)</sup> ، وسرورها مكفهر<sup>(٣)</sup> ،  
منزل تله ، ودار قلمة<sup>(٤)</sup> ؛ فتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله  
لعلكم تفلحون .

(١) محمد بن الحنفية : هو محمد بن علي ، أخو الحسن والحسين ، وأمه خولة بنت جعفر  
الحنفية ينسب إليها تمييزاً له عن أخويه . ولد في المدينة سنة ٢١ وتوفي بها سنة ٨٠  
(٢) مكفهر : مقيم (٣) التلة : ما ارتفع من الأرض ، وما انبط منها ، فهي من  
الأضداد ، وهي كذلك سبيل الماء وما اتسع من فوهة الوادي ، ومنازل التلاع لآليات  
لها لأنها عرضة لهجات السيل ، ودار قلمة : أي اتلاع وذهاب . وفي الأصل « والنزلة  
تلة والدار قلمة » وما أثبتناه أنسب .

وكان لمعاوية بن أبي سفيان عَيْنٌ بالمدينة يكتبُ إليه بما يكونُ من أمورِ بين معاوية الناس وقرش ، فكتب إليه : إِنَّ الحَسينَ بنَ عَلِيٍّ أَعْتَقَ جَارِيَةً لَهُ وَتَزَوَّجَهَا ؛ والحسين بن علي فكتب معاوية إلى الحسين : مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ معاوية إلى الحسين بن علي .  
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَزَوَّجْتَ جَارِيَتَكَ ، وَتَرَكْتَ أَكْفَاءَكَ مِنْ قُرَيْشٍ ،  
مَنْ تَسْتَنْجِبُهُ لِلْوَلَدِ ، وَتَعْبُدُهُ فِي الصَّهْرِ ، فَلَا لِنَفْسِكَ تَقَرَّرَتْ ، وَلَا لَوْلَدِكَ  
انْتَقَبَتْ .

فكتب إليه الحسين بن علي : أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ ، وَتَعْمِيرُكَ  
يَدَيَّ بِأَنِّي تَزَوَّجْتُ مَوْلَايَ ، وَتَرَكْتَ أَكْفَاءِي مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَيْسَ فَوْقَ  
رَسُولِ اللَّهِ مَنْتَهَى فِي شَرَفٍ ، وَلَا غَايَةَ فِي نَسَبٍ ؛ وَإِنَّمَا كَانَتْ مَلَكَ يَمِينِي ،  
خَرَجَتْ عَنْ يَدِي بِأَمْرِ التَّمَتُّ فِيهِ ثَوَابَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ ثُمَّ ارْتَجَعْتُهَا عَلَى سَنَةِ نَبِيهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ الْخُصِيَّةَ ، وَوَضَعَ عَنَاءَهُ بِالنَّفِيسَةِ ؛  
فَلَا لَوْءَ عَلَى أَمْرِي . سَلِمَ إِلَّا فِي أَمْرِ مَائِمٍ ، وَإِنَّمَا الْيَوْمُ لَوْءُ الْجَاهِلِيَّةِ .  
فَقَرَأَ معاويةُ كِتَابَهُ نَبَذَهُ إِلَى يَزِيدَ قَرَأَهُ ، وَقَالَ : لَشَدَّ مَا فَخَّرَ عَلَيْكَ  
الحسين ! قُلْ . لَا ، وَلَكِنَّمَا أَلَسْتُ بِبَنِي هَاشِمٍ الْحِدَادِ الَّتِي تَفْلِقُ الصَّخْرَ ،  
وَتَقْرِفُ مِنَ الْبَحْرِ !

واخمين - رضى الله عنه ! - هو القائل :

تَعْمِيرُكَ إِنَّنِّي لِأَحِبُّ دَارًا تَحْمِلُ بِهَا سُكَيْنَةُ وَالرَّيَّابُ  
أُحِبُّهُمَا وَأَبْذُلُ كُلَّ مَالِي وَلَيْسَ لِلْأَثَمِ عِنْدِي عِتَابُ

من شعر  
الحسين بن علي

سُكَيْنَةُ : ابنته ، والرَّيَّابُ : أُمُّهَا ، وَهِيَ بِنْتُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ [بَنِ الْجُرُولِ] الْكَلْبِيِّ .  
وَفِي سُكَيْنَةَ يَقُولُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِيْعَةَ الْحَزْرَمِيُّ كَذِبًا عَلَيْهَا <sup>(١)</sup> :

(١) بحر نخبه الثالثة من كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » فيه فصل  
بمطلع عن نسيده سُكَيْنَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ وَحَيَاتُهَا الْأَدْبِيَّةُ وَالْوُجْدَانِيَّةُ وَعِلَاقُهَا بِعُمَرَ بْنِ  
أَبِي رِيْعَةَ لَتَرَى أَكْبَنَ يَكْذِبُ عَلَيْهَا كَمَا يَحْدِثُنَا صَاحِبُ زَهْرِ الْأَدَبِ ؟

لابن أبي ربيعة  
في سكية بنت  
الحسين

قالت سَكِينَةُ وَالنَّمُوعُ دَوَارِفُ  
لَيْتَ النُّمَيْرِيَّ الَّذِي لَمْ أَجْزِهِ  
كَانَتْ تَرُدُّ لَنَا النَّفَى أَأَيَّامَنَا  
خَبِرْتُ مَا قَالَتْ فَفَيْتُ كَأَنَّمَا  
أُسْكِينَ مَا مَاءَ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ  
بِالَّذِ مِنْكَ ، وَإِنْ نَأَيْتِ ، وَقَلَّ  
إِنْ تَبَدَّلِي لِي نَائِلًا أَشْفَى بِهِ  
وَعَصَيْتُ فَيْكَ أَقَارِبِي وَتَقَطَعْتُ  
فَتَرَكْتَنِي لَا بِالْوَصَالِ مُتَمَّا  
قَعَمْتُ كَالْمُهْرِيْقِ فَضْلَةَ مَا نَه

سكية تروي - وكانت سكية من أجل ناء زمانها وأغلظن ، وكان مصعب بن ازيير  
مصعب بن ازيير قد جَمَعَ بينها وبينَ عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ؛ فلما قُتِلَ مصعب  
قالت سكية :

فَإِنْ تَقْتُلُوهُ تَقْتُلُوا الْمَاجِدَ الَّذِي يَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِالسَّيْفِ حَرَامًا  
وَقَبْلَكَ مَا خَاضَ الْحَسِينُ مَنِيَّةً إِلَى الْقَوْمِ حَتَّى أَوْزَدُوهُ حِمَامًا  
لعل بن الحسين وقال علي بن الحسين (١) رحمه الله : لو كان الناسُ يعرفونَ جُمْلَةَ أَخِي  
في فضل الاستبانة ، وجُمْلَةَ الْحَالِ في فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما سَنَجَلِّجُ  
في صدورهم ، وَلَوْ جَدُّوا من بَرْدِ اليقين ما يفيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى

(١) كان علي بن الحسين مضرب المثل في الحلم والتقوى والسخاء . أحصى بعد  
موته عدد من كان يقوتهم سرا فإذا هم نحو مائة بيت . قال محمد بن إسحاق : كن  
ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم وما كلمهم ، فلمأت عبي بن  
الحسين قدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم . ولد أُنَابَةُ الله بالمدينة سنة ٣٨  
وتوفي سنة ٩٤ .

حالمهم ، على أن إدراك ذلك كان لا يسدّهم في الأيام القليلة السدّة ،  
والفكرة القصيرة للدّة ، ولصكّهم من بين مضمور بالجهل ، وضغون  
بالمُغْتَبِ ، وممدّول بالهوى عن باب الثبّت ، ومصرف بسوء العادة عن  
فضّل التعلم .

وقال رضى الله عنه : المرء يُفْسِدُ الصداقة القديمة ، ويَحُلُّ العقدة الوثيقة ، —  
وأقلّ مافيه أن تكون به المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطعية .  
ومن دعائه : اللهم ارزُقْنِي خوفَ الوعيد ، وسرورَ رجاء الموعود ، حتى لا أَرْجُو  
إلا ما رَجَيْتُ ، ولا أخاف [ إلا ] ما خُوفْتُ .

وحجّ هشام بن عبد الملك ، أو الوليد أخوه ، فطاف بالبيت وأراد استلام الفرزدق يمدح  
عليه زين العابدين ابن الحسين  
الْحَجْرَ فلم يقدر ، فنصّب له مِنبَرٌ فجلس عليه ؛ فينا هو كذلك إذ أقبلَ على بن  
الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في إزار ورداء ، وكان أحسن الناس  
وجهاً ، وأعظم راحة ، وأكترهم خشوعاً ، وبين عينيه سجادة <sup>(١)</sup> ، كأنها رُكبة  
عنز ، وطاف بالبيت ، وأتى لِيَسْتَلِمَ الحجرَ ، فتعقّى له الناسُ هَيْبَةً وإجلالاً ،  
فناظ ذلك هشاماً ؛ قال رجلٌ من أهل الشام : مَنْ الَّذِي أكرمهُ الناسُ هذا  
الإكرام ، وأعظموه هذا الإعظام ؟ قال هشام : لا أعرفه ، لئلا يُعْظَمَ في صدور  
أهل الشام ؛ قال الفرزدق وكان حاضراً :

هذا ابنُ خيرٍ عبادِ الله كلّمهُ	هذا النقيُّ الطاهرُ التّمُّ
هذا الذى تَعْرِفُ البطْحَاءَ وطأتهُ	والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والعَرَمُ
إذا رأيتهُ قرِيشٌ قال قائلُها	إلى مكارمِ هذا يتعقّى اليكْرَمُ
يكادُ يَمِينُكهُ عِرْفَانُ راحتهِ	رُكنُ الحطيمِ إذا ما جاء يستلمُ <sup>(٢)</sup>

(١) المراد بالسجادة أثر السجود .

(٢) يريد أن ركن الحطيم يكاد يمسكه لعرفان راحته ويخفيه بأنها من سلاة الرسول

فِي كَفِّهِ خَيْرُ زَانٍ رِيحُهُ عَقِيْقٌ  
 يُنْفِضِي حَيَاةَ وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ  
 مُسْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَبَعْتُهُ  
 يُنَمِّي إِلَى ذِرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ  
 يَنْجَابُ نُورُ الْمُهْدَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ  
 حَمَالُ أَقْفَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَحُوا  
 هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ  
 اللَّهُ فَضْلُهُ قَدِيمًا وَشَرَفُهُ  
 مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ  
 عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَاقْشَعَتْ  
 كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا  
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ  
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مِيْمُونٌ بِفَرْقَتِهِ  
 مَا قَالُ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدُهُ  
 مِنْ مَقْشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ، وَبِضْهِمْ  
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالْيَلْوَى بِحَبِّهِمْ  
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ  
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أَيْمَتَهُمْ  
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بَعْدَ غَايَتِهِمْ

فِي كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عِرْسَيْنِهِ شَمٌّ<sup>(١)</sup>  
 فَا يُكَلِّمُ إِلَّا حَسِينَ يَنْبَسِمُ  
 طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخِيَمُ وَالشِّمُّ<sup>(٢)</sup>  
 عَنْ تَيْلِهَاتِ عَرَبِ الْإِسْلَامِ وَالْمَعْجَمِ<sup>(٣)</sup>  
 كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِسْرَافِهَا الْقَتَمُ<sup>(٤)</sup>  
 حُلُوُ الشَّمَالِ تَحُلُوُ عِنْدَهُ نَقَمٌ  
 بِحُدَّةِ أَنْبِيَائِهِ اللَّهُ قَدْ خُتِمُوا  
 جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ  
 وَقَضَى أَمْرَهُ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ  
 عَنْهَا الْغِيَابَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلُمُ<sup>(٥)</sup>  
 تَسْتَوَكِفَانِ وَلَا يَمُرُّمَا الْعُدَمُ<sup>(٦)</sup>  
 تَزِينُهُ الْأَيْتَانِ الْحَيْلُ وَالْكَرَمُ  
 رَحِبُ الْقَنَاءِ أَرِيْبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ<sup>(٧)</sup>  
 لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَأَهْ نَقَمٌ  
 كَفَرٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنَجِي وَمَقْتَصِمُ  
 وَيَسْتَرْبُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ<sup>(٨)</sup>  
 فِي كُلِّ بَذْءٍ وَمُخْتَوِمٌ بِهِ الْكَلِمُ  
 أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ  
 وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

(١) أَرْوَعٌ: ذِكْرُ الرُّوعِ، بِضَمِّ الرَّاءِ، وَهُوَ الْقَوَادِرُ. وَالْمَرْنِينَ: الْأَنْفُ، وَالشَّمُّ: الارتفاع  
 (٢) الْحَيْمُ: الْأَصْلُ (٣) يَنْبَسِمُ: يَنْسِبُ (٤) الْقَتَمُ وَالْقَتَامُ: الْغَابِرُ (٥) الْغِيَابَةُ: غِيَابَةُ  
 الرُّشْدِ، وَالْإِمْلَاقُ: الْفَقْرُ (٦) تَسْتَوَكِفَانِ: تَجَرَّيَانِ، وَالْعَدَمُ بِضَمِّ الْعَيْنِ: الْفَقْرُ.  
 (٧) الْأَرِيْبُ: وَافِرُ الْعَقْلِ (٨) يَسْتَرْبُ: يَصْلَحُ.



مُ الْفَيْوْتُ إِذَا مَا أَرْمَتْ أَرْمَتْ      الْأَسْدُ اسْدُ الشَّرَى وَالْبَاسُ مُحْتَدِمٌ <sup>(١)</sup>  
يَأْتِي لَمْ أَنْ يَحُلْ الدَّمُ سَاحَتِهِمْ      خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالْأَيْدِي هُفْمٌ <sup>(٢)</sup>  
لَا يَنْقُصُ الْعَصْرُ تَطْلَمُنْ أَكْفَهُمْ      سَيِّانُ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا  
أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ      لِأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ رِنَمٌ <sup>(٣)</sup>  
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوَّلِيَّتَهُ      فَالْدَيْنُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمُ  
وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بِضَائِرِهِ      الْعُرْبُ تُعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ  
وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْحَزِينَ الْكِنَانِي وَقَدْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ  
وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرَ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

لَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي الْجُمُوعِ ضُحًى      وَقَدْ تَعَرَّضْتُ الْحُجَابُ وَالْخُدُمُ  
حَيْثُهُ بِسَلَامٍ وَهُوَ مُرْتَفِقٌ      وَضَجَّةُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْبَابِ تَزْدَحِمُ <sup>(٤)</sup>  
فِي كَفِّهِ خَيْرَ زَانٍ ... - وَالْبَيْتُ الَّذِي يَلِيهِ .

وَيَقَالُ : لَهَا لِدَاوُدَ بْنِ سَلَمٍ فِي قُتَمٍ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ  
عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْأَخْطَلُ :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى التَّجَارِ بِمَسَاحٍ      هَرَّتْ عَوَاذِلُهُ هَرِيرَ الْأَسْكَبِ <sup>(٥)</sup>  
لَذَّةً يُقَبَّلُ النِّمِّ ، كَأَنَّمَا      مُسِحَتْ تَرَائِبُهُ بِمَاءٍ مُذْهَبٍ <sup>(٦)</sup>  
لِبَاسٍ أَرْدِيَةِ الْمُلُوكِ تَرَوْقُهُ      مِنْ كُلِّ مَرْتَقَبٍ عِيُونُ الرِّبَرِّ رَبِّ <sup>(٧)</sup>  
يَنْظُرْنَ مِنْ خَلْلِ الشُّنُورِ إِذَا بَدَا      نَظَرَ الْمُهْجَانِ إِلَى الْفَنِيْقِ انْصُغَبِ <sup>(٨)</sup>

- (١) الأزيمة : الشدة ، والشرى : جيلٌ بهامة كثير السباع .  
(٢) هضم : جمع هضم ، وهو كثير الإغثاق (٣) الراد بالأولية الآباء والأجداد  
(٤) مرتفق : متكئ على مرقفه (٥) هرت : صاحت .  
(٦) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، والذهب : المزوج بالذهب .  
(٧) الربرب : الظباء . والمراد بها النساء (٨) انصعب : الجمل الذي لم يركب .  
والفنيق : للسكر . والمهجان : الإبل الأبيض .

ويقال : بل قالها في علي بن الحسين اللعين المقرئ ، وسمى اللعين لأن عمر سمعه يُشد شعرًا والناس يُصلُّون ، فقال : مَنْ هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم <sup>(١)</sup> وليقله مَنْ شاء ، فقد أحسن منشاء وأجاد وزاد <sup>(٢)</sup>.

.. وقال ذو الرمة في بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري :

لدى الرمة يمدح  
بلال ابن أبي  
بردة

مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ كَتَمِهِمُ الْكِرْوَانُ عَيْنٌ بَازِيَا <sup>(٣)</sup>  
فَا يَعْرِفُونَ الضَّحْكَ إِلَّا تَبَسُّمًا وَلَا يَنْسُونَ الْقَوْلَ إِلَّا تَنْجِيًا <sup>(٤)</sup>  
وَمَا الْقَحْشَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ ، وَلَا تَلُكُ عَيْوَهُ ، وَلَكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَا هِيَ  
فَتَى السَّنِّ ، كِبَالُ الْحِلْمِ ، يَسْمَعُ قَوْلَهُ يُوزِنُ أَدَانَهُ الْجِبَالُ الرُّوَاسِيَا

ومن أجود ما للمحدثين في ذلك قول أبي عبادة البحرى في الفتح

للبحرى يمدح  
الفتح ابن  
خاقان

ابن خاقان :

وَلَمَّا حَضَرَ نَاسِدَةُ الْإِذْنِ أَخْرَجَتْ رَجُلًا عَنِ الْبَابِ إِذْىَا دَاخِلُهُ  
فَقَضَيْتُ مِنْ قُرْبِ إِلَى ذِي حِيَابَةٍ أَقْبَالُ بِدُرِّ التَّمِّ حِينَ أَقْبَالُهُ  
بَدَأَ لِي عَمُودَ السَّجِيَّةِ شَمَرَتْ سَرَّابِلُهُ عَنْهُ وَطَالَتْ خِمَابِلُهُ <sup>(٥)</sup>  
كَمَا انْتَصَبَ الرَّمْحُ الرَّذِيئِيُّ تَقَفْتُ أَنَابِيَّةً وَاهْتَرَأَ لِلضُّعْنِ عَامِيَّةُ <sup>(٦)</sup>  
وَكَالْبِدْرِ وَافَتْهُ لَتَمُ مَسْعُودُهُ وَتَمَّ سَنَدُهُ وَاسْتَهْتِ مَنَازِلُهُ  
فَسَلَمْتُ فَاعْتَقَتْ جَنَانِي هَيْبَةُ نَازِعِي الْقَوَى الَّذِي أُوْقِنْتُهُ <sup>(٧)</sup>

- (١) اللعين اشعري : هو أبو الأكيكر مبارز بن زمعة . وفي الأصل « اللعين اشعري » وهو تحريف (٢) يريد أن الشعر جيد بعض نظر عمن ينسب إليه من الشعراء (٣) الكروان بكسر الكاف جمع الكروان بفتحهم مع سكون الراء . وهو طائر مفرد . والبازي : الصقر (٤) ينسون : ينطقون .  
(٥) السرايل : الثياب . والجدال : جمع حمالة بالكسر . وهي علاقة السيف  
(٦) عمل الرمح : صدره  
(٧) اعتاق وعاق : منع ، والجنان : القلب .

إلى مُسْرِفٍ في الجود لو أنَّ حاتمًا  
فلمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَ وَانْتَقَى  
ذَنُوبٌ قَبَّلْتُ النَّدى مِنْ يَدِ امْرِئٍ  
صَفَّتْ مِثْلُ مَا نَصَفُوا لِلدَّامِ خِلَالَهُ  
لَذِيذٍ لِأَضْحَى حاتمٌ وهو عاذِلُهُ  
إلى يَدِيشِ آتَتْني مَحَالِلُهُ<sup>(١)</sup>  
جَمِيلٌ عَيْتَاهُ سَبَاطٌ أَنَامِلُهُ<sup>(٢)</sup>  
وَرَقَّتْ كَمَارِقُ النَّيْمِ شَمَائِلُهُ

ووقعت حرب بالجزيرة بين بني تغلب، فتولى الإصلاح بينهم افتتح بن خاقان  
قال البحرى فيما تعلق بفضله بذكر الهيبة :

بني تغلب أعزُّ علىَّ بأن أرى  
خَلَّتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَارِكِنِهَا وَأَوْحَشَتْ  
إِذَا مَا التَّقْوَا يَوْمَ الْمِجَاجِ تَحَاجَزُوا  
كُنِيَ مِنَ الْأَحْيَاءِ لَأَقَى كَفِيَّةً  
إِذَا مَا أَخْجَزَ الرِّمَاحَ اتَّعَى لَهُ  
نَحْوُهُمُ الْبَيْضُ الرِّقَاقُ ، وَضَمَّرُ  
بَطْنِي يَكْبُ الدَّارِعِينَ دِرَاسُهُ  
نَجَافِي أَمْ—يَرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ النَّيْ  
دِيَارِكُمْ أَمْتٌ وَلَيْسَ لَهَا أَهْلٌ<sup>(٣)</sup>  
مِرَابِعٌ مِنْ سِنَجَارٍ يَهْمِي بِهَا الْوَيْلُ<sup>(٤)</sup>  
وَالْمَوْتُ فِيهَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ  
وَمِثْلُ مِنَ الْأَقْوَامِ زَاخِفُهُ مِثْلُ<sup>(٥)</sup>  
أَخٍ لَا بَلِيدٌ فِي الطَّمَانِ وَلَا وَغْلُ<sup>(٦)</sup>  
عِتَاقٍ ، وَأَنْسَابُهَا يَدْرِكُ التَّنِيلُ<sup>(٧)</sup>  
وَضَرْبُهَا تَرْغُو الْحَزْمَةُ الْبُزْلُ<sup>(٨)</sup>  
عَلِمْتُ ، وَلِلْجَانِينِ فِي مِثْلِهَا الْكُشْلُ<sup>(٩)</sup>

(١) الخايل : جمع مخيلة ، وهى الدلالة (٢) سباط : طول ، كناية عن الكرم

(٣) هذه القطعة من قصيدة جيدة طويلة مطلعها :

ضبان على عينيك أتى لا أسلو وأن فؤادى من جوى بك لا يغلو

(٤) سنجار : مدينة فى نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، والويل :

الطر الشديد ، وهى : ينسكب (٥) كنى : نظير ، زاخفه : نازله ، من الزحف .

وفى الأصل « راجه » وهو تحريف (٦) الوغل : الضميف النذل (٧) البينى

الرقاق : السيوف المرفعة ، والضمير المتناق : الحيل الضامرة الكريمة ، والتيل : الثأر

(٨) الدارعون : لابسو الدروع ، ودراكه : تاجه ، وترغو : تصيح ، والحزمة :

التي وضع فى شدقها الحرام ، والبزل : جمع بزل . وهو البعر يبلغ تسع سنين

(٩) الشكل : القصد

وكانت يدُ الفتح بن خاقان عندكم  
ولولاهُ طَلَّتْ بالشقوق دِمَاؤُكُمْ  
تَلَفَيْتَ يَا فَتْحُ الْأَرَاغِمِ بعدما  
وَهَبْتَ لَهُمْ بِالسَّلَامِ باقى نفوسهم  
أَتَاكَ وَفُودُ الشُّكْرِ يُثْنُونَ بِالَّذِى  
فَلَمْ أَرَ . يَوْمًا كَانَ أَكْثَرُ سُودًا  
تَرَاءَوْثٌ مِنْ أَقْصَى السَّمَاءِ قَفَصُوا  
وَلَمَّا قَفَضُوا صَدَرَ السَّلَامُ تَهَنُّتُوا  
إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَعْتِمْ  
إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ  
نَصَبَتْ لَهُمْ طَرَفًا حديدًا ، وَمُنْطَقًا  
وَسَلَّتْ سَخِيَّاتِ الصُّدُورِ فَعَتَاكَ السُّكْرِيْمُ ، وَأَبْرَأَ غَلْهَا قَوْلُكَ الْفُضْلُ (١)  
بِكَ الْتَأَمَّ الشَّعْبُ الَّذِى كَانَ بَيْنَهُمْ  
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى نَعَاطَتْ أَسْكَفَهُمْ  
وَجَرُّوا ذُبُولَ الْعَصَبِ نَحْفُو ذُبُولَهَا

يَدَ الْفَيْثِ عِنْدَ الْأَرْضِ أَجْدَبَهَا الْحُلُ (١)  
فَلَا قَوْدَ يُعْطَى الْأَذَى وَلَا عَقْلَ (٢)  
سَقَامُ يَا وَحَى نَحْمُ الْأَرْقَمُ الصَّلَ (٣)  
وَقَدْ أَشْرَفُوا أَنْ يَسْتَمْتَهُمُ الْقَتْلُ (٤)  
تَقَدَّمَ مِنْ نُمَاكَ عِنْدَهُمْ قَبْلُ  
مِنَ الْيَوْمِ صَمَّتَهُمْ إِلَى بَابِكَ الثُّبُلُ (٥)  
خَطَامُ ، وَقَدْ جَاوَزُوا السُّتُورَ وَهُمْ عَجَلُ (٦)  
عَلَى يَدِ بَسَامٍ سَجِيَّتُهُ الْبَذْلُ  
جَلَانَةُ طَلَّقَ الْوَجْهَ جَانِبَهُ سَهْلُ (٧)  
وَمَالُوا بِلَحْظٍ خَلَّتْ أُنْهَمُ قَبْلُ (٨)  
سَدِيدًا ، وَرَأَى أَمْلًا مَا انْتَضَى الْفُضْلُ (٩)  
عَلَى حِينَ بَعْدَ مِنْهُ ، وَاجْتَمَعَ الشَّمْلُ (١٠)  
قِرَائَتُ ، فَلَا ضَيْقَ لِلْيَمِّ وَلَا ذَخْلُ (١١)  
عَطَا ، كَرِيمٌ مَا نَكَاهُ دَهْ يُخْلُ (١٢)

(١) الحُل: الجذب (٢) طَلَّتْ : هدرت ، والقود: القصاص ، والعقل : الدية  
(٣) أَوْحَى : أَمَرَ ، والسلم الوحى : السريع ، والأرقم الصل : الحية التى لاتنفع  
فيها الرق (٤) شارفوا : قاربوا . وفى الأصل (اسرفوا) وهو منحرف (٥) السبل :  
جمع سبيل ، وهو الطريق ، والمراد به الحاجة (٦) عجل : جمع أعجل وهو السرعة  
(٧) طلق الوجه : وافر البشر (٨) قبل : جمع أقبل ، وهو الذى ينظر بأعراف  
كأنما ينظر إلى أنفه (٩) الفضل : السيف (١٠) السخيات : جمع سخيمة ،  
وهى الحث  
(١١) التأم الشعب : اجتمع (١٢) الترى بكسر التاف : ما يتناوله الضيفان ، والنحل:  
النحل (١٣) نكاهه : منه وشة غله (١٤)

وما عَمَّهُمْ عَمْرُو بْنُ غَنَمٍ بِنْتُهُ  
فَهِمَا رَأَوْا مِنْ غِبْطَةٍ فِي اصطلاحهم  
عَمْرُو بْنُ غَنَمٍ بِنْتُهُ بْنُ قَلْبِ بْنِ وَائِلِ بْنِ قَاسِطٍ .

وللطائيين [ أبى تمام والبحرى ] فى ذلك أشعار كثيرة مختارة . منها قول  
البحرى يَحْدُرُ عَاقِبَةُ الْحَرْبِ <sup>(١)</sup> :

أَمَّا لِرَبِيعَةِ الْفَرَسِ أَنْتَهَاءُ	عَنِ الزَّلْزَالِ فِيهَا وَالْخُرُوبِ <sup>(٢)</sup>
وَكَاوُوا رَقْعُوا أَيَّامَ سِلْمٍ	عَلَى نَلَكِ الضَّغَائِنِ وَالنَّدُوبِ <sup>(٣)</sup>
إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَّ عَلَى فِئَادٍ	تَبَيَّنَ فِيهِ تَقْرِيطُ الطَّيْلِيبِ
رَزِيَّةٌ هَالِكٌ جَلَبَتْ رَزَايَا	وَحَطَبُ بَنَاتٍ يَكْشِفُ عَنْ خُطُوبِ
يُشَقُّ الْجَيْبُ ثُمَّ يَجْمَعُ أَمْرٌ	يُصَغَّرُ فِيهِ تَشْقِيقُ الْجُيُوبِ
وَقَبْرٍ عَنْ أَيَّامٍ بِرَقْعٍ	إِذَا هِيَ نَاخَرَتْ أَفْقَ الْجَنُوبِ <sup>(٤)</sup>
بِسُحْبٍ تَرَابُهُ أَبَدًا عَلَيْهَا	عِبَادًا مِنْ مُرَاقٍ ذِمٍّ صَبِيبِ <sup>(٥)</sup>
فَهَلْ لِابْنِ عَدِيٍّ مِنْ رَشِيدٍ	يَرُدُّ شَرِيدَ حُلُمَيْهَا الْعَرِيبِ <sup>(٦)</sup>
أَخَافُ عَلَيْهِمَا إِسْرَارَ مَرْعَى	مِنَ الْكَلَامِ الَّذِى عُقْبَاهُ تَوْبَى <sup>(٧)</sup>
وَأَعْلَمُ أَنَّ حَرْبَهُمَا خَبَالٌ	عَلَى الدَّاعَى إِلَيْهَا وَالْمُحِيبِ
لَعَلَّ أَبَا الْمَعَرِّ يَتْلِيهَا	يَبْعُدُ الْهَمُّ وَالصَّدْرُ الرَّحِيبَ <sup>(٨)</sup>

(١) اختار المؤلف هذه القطعة من بائية البحرى التى مطلعها :

أَمْنُكَ نَاوِبُ الطَّيْفِ الطُّرُوفُ حَيْبٌ جَاءَ يَهْدِي مِنْ حَيْبِ

(٢) ربيعة الفرس : أبو قبيلة . وهوا بن زرار بن معد بن عدنان

(٣) فى الأصل (وتنوا) والتصحيح عن الديوان والندوب : جمع ندب . وهو الجرح

(٤) ربيعة : بلدة الموصل ، وناخرت : قابلت ، وفى الأصل «ناخرت» وهو تحرف .

(٥) العهد : أمطار الربيع ، وأحدثها عيدة : تقول : حديقة معودة بوستان . د

(٦) العريب : من العزوب وهو الضيق والذهاب ، وفى الأصل (الغريب) وهو الغنى

(٧) توبى : تهلك . (٨) يتلها : يتبعها . والهم ها : معنى الهمة

فكم من سُوءٍ قد بات يُعطى عطيةً مُكثِرٍ فيها مُطِيبٍ  
 أَهَيْمٌ يَا بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، دعوى مشيرٍ بالنصيحةِ أَوْ مُهَيِّبٍ<sup>(١)</sup>  
 تناسُ ذُنُوبَ قومكَ إِنْ حَفِظَ الذُّنُوبَ إِذَا قَدِمَ مَنْ مِنَ الذُّنُوبِ<sup>(٢)</sup>  
 فَلَسْتُمْ السَّيِّدُ أَحَبُّ غِيًّا إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمَصِيبِ<sup>(٣)</sup>  
 متى أَحْرَزْتَ نصرَ بنِي عبيدٍ إِلَى إِخْلَاصِ وَدٍّ بَنِي حَيِّبٍ  
 فقد أَصْبَحْتَ أَغْلَبَ تَغْلِيٍّ عَلَى أَيْدِي الشَّيْثَةِ وَالْقُلُوبِ  
 يناسب قوله :

• إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَّ عَلَى قَسَادٍ •

قولُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ لِمُتَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّوْخِيِّ أَحَدِ بَنِي الْقَصِيصِ :

فَلَا تَقْرُرْكَ أَلْسَنَةُ مَوَالٍ تَقْلِبُنْ أَفْئِدَةً أَعَادِي<sup>(٤)</sup>  
 وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْنِي لِبَالٍ بِكَ مِنْهُ، وَبِرَّوَيْ وَهُوَ صَادٍ  
 فَإِنَّ الْجَرْحَ يَنْفِرُ بِمُدْحِيهِ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى قَسَادٍ<sup>(٥)</sup>

وفي هذه القصيدة :

كَأَنَّ الْمَامَ فِي الْمَيْجَا عِيُونَ وَقَدْ طُبِّمَتْ سِيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ  
 وَقَدْ صُنِفَتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنَّ إِلَّا فِي فُؤَادٍ

كَأَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَيْنِ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ

وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَ  
 قَوْمٌ إِذَا احْرَأَ الْمَجِيرُ مِنَ الرَّغْيِ جَعَلُوا الْجَاهِمَ لِلْسَيْفِ مَقِيلًا<sup>(٦)</sup>

(١) مهيب: داعي (٢) في هذا البيت حكمة بالغة (٣) غيا : عاقبة

(٤) اللوالى : جمع مولى وهو الصديق (٥) ينفر : يجيش بالدم

(٦) احمرار المجير - وهو وقت الظهر - كناية عن سيل الدماء فيه

ولأنما أخذ [ أبو الطيب ] من قول منصور النيرى ، وذ كر سيفاً :  
 ذَكَرَ ، بِرَوْقِهِ الدَّمَاءَ ، كأنما يَمْلُؤُ الرِّجَالُ بَارِجُونَ نَاقِعٌ <sup>(١)</sup>  
 وترى مساقطَ شَفَرَتَيْهِ كأنها مِلْحٌ تَبَدَّدَ مِنْ وَرَاءِ الدَّارِيعِ  
 وترأه مُتَمَتِّئاً إِذَا جَرَّدَتْهُ بَدَمُ الرِّجَالِ عَلَى الْأَدِيمِ النَّاقِعِ <sup>(٢)</sup>  
 وكأنَّ وَقْعَتَهُ بِمُجْمَعَةِ النَّقَى خَذَرُ الدَّمَاءِ أَوْ نَعَاسُ الْمَاجِعِ <sup>(٣)</sup>  
 أردت هذا البيت ، وقول النيرى :

• وَتَرَاهُ مُتَمَتِّئاً إِذَا جَرَّدَتْهُ •

يشير إليه قول أبي الطيب ، وذ كر سيفاً :

يَبْسُ النَّجِيعُ عَلَيْهِ فَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غِيَمِهِ وَأَنَّمَا هُوَ مُقَدَّدٌ <sup>(٤)</sup>  
 رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بِحَرٍّ مُزِيدٍ <sup>(٥)</sup>

وبنو عبيد ، وبنو حبيب - اللذان ذكرهما البحتري - م : بنو عبيد  
 ابن الحارث بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب ، وحبيب بن المجرس  
 ابن تيم بن سعد بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب ، وفيهم  
 حبيب بن حرقه بن ثعلب بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب ، فلا  
 أدري أيهما أراد !

(١) سيف ذكر : من الذكرة بضم الدال وهي الحدة . والأرجوان : صمغ أحمر ،  
 وفاقع : صفة تراد بها بالغة . وكل ناصع اللون فاقع ، وأكثر ما يوصف به الأحمر والأصفر  
 (٢) متمم : جمد انهم عليه حق صار له كالجمامة ، والنائع : القى تروى بالهم .  
 وفى الأصل (الفاقع) وهو تحريف (٣) يصف إمالة السيف للرؤوس ويشهفه بخل  
 للدم والنعاس (٤) النجيع : الدم يتجمد

(٥) ريان : يمثل بالرى ، وقذف : ألقى وطرح ورمى ، وبحر مزبد : يرم  
 بالزبد ، وذلك كناية عن كثرة ما يجري فيه وعن شدة موجه (م)

للبحترى أيضا

وقال البحترى :

أُسيبت لأخوالي ربيعة أن عفت  
بكرهمي أن يأت خلاء ديارها  
إذا افترقوا من وقعة جمعهم  
تذم القدة الزود شمة بعدها  
حمية شبيب جاهلي وعزة  
وفرسان هيجاء تحيدش صدورهم  
تقتل من وتر أعز نفوسها  
إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها  
شواجر أرماع تقطع بينها  
فكنت أمين الله مولى حياتها  
وقال أبو تمام الثاني :

لأبي غام

مَهْلًا بَنِي مَالِك لَا تَجْعَلُنَّ إِلَيَّ  
لَمْ يَأْلِكْكُمْ مَالِكُ صَفْعًا وَمَغْفِرَةً  
أَخْرَجْتُمُوهُ بِكْرِهِ مِنْ سَجِيَّتِهِ  
أَوْ طَأْتُمُوهُ عَلَى بَحْرِ الْعَتَقِ ، وَهُوَ  
حَى الْأَرْقَامِ ذُو لَوْنِ ابْنَةِ الرَّقَمِ (٧)  
لَوْ كُنْ يَنْفَخُ قَيْنُ الْحَيِّ فِي فَحْمِهِ (٨)  
وَالنَّارُ قَدْ تَلْتَقَى مِنْ نَافِثِ السَّلْمِ (٩)  
لَمْ يُخْرِجِ اللَّيْثُ لَمْ يُخْرِجِ مِنَ الْأَجَمِ (١٠)

(١) أُسيبت : حزنت ، والمصايف : جمع مصيف ، وفي الأصل «مصانعا» وهو تحريف ، والتصحيح عن الديوان ، وأقوت : خلت .

(٢) الثاني : جمع مغنى ، وهو اللؤلؤ الذى غنى به أهله : أى أقاموا .

(٣) يطل : يهدر (٤) الزود : الجملة الوافرة الحياء (٥) الوتر : الثاين .

(٦) الشواجر : القواطع ، أو الروابط ، فعلى من أسماء الأضداد .

(٧) الأرقام : حى من تغلب ، وابنة الرقم : الحية ، والدؤلؤل : السلم ، يريد لا تقسموا السلم بأنفسكم إلى حى الأرقام ليقتلوك به (٨) القين : الحداد .

(٩) تنفضى : تستخرج ، والسلم : اسم شجر (١٠) الأجم : مأوى الأسد



لولا مناشدةُ القرْبَى لفادركم  
لا تجعلوا البقي ظهراً إنه جَلِيٌّ  
وقال أيضاً :

مهلاً بنى عمرو بن عُثْمَرُ ؛ إنكم  
ما منكم إلا مُرْدَى بالحِجَى  
عمرو بنُ كلثوم بن مالك بن  
خَلِيفَتِ رَيْبَعَةَ مِنْ لَدُنْ خَلِيفَتِ يَدَا  
تَفَرُّو فَنُتَلِبُ تَنْتَلِبُ مِثْلَ اسْمِهَا  
وستذكرون غداً صنائعَ مالكٍ  
مالي رأيتُ قَرَأَ كُمْ يَسْأَلُ  
ما هذهِ القرْبَى التي لا تُصْطَفَى  
حَسَدُ القَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرَحَةٌ  
تلكم قريشٌ لم تكن أباًؤها  
حتى إذا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ  
عَزَبَتْ عَقُولُهُمْ ، وما مِنْ مُعْشِرٍ  
لِما أَقامَ الوَحْيُ بينَ ظهورهم

هَدَفُ الْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا تَتَحَطَّمُ <sup>(١)</sup>  
أَوْ مُبَشِّرٌ بِالْأَحْزُونَةِ مُؤَدِمٌ <sup>(٢)</sup>  
عُتَّابُ بْنُ سَعْدٍ سَهْمِكُ لَا يَسْهُمُ <sup>(٣)</sup>  
جُثْمٌ مِنْ بَكْرِ كَفْهًا وَلِلْمَعْمِ <sup>(٤)</sup>  
وتسبح غنمٌ في البلاد فتضمُّ  
إِنْ جَلَّ خَطْبُ أَوْ تُدَوِّغُ مَغْرَمٌ <sup>(٥)</sup>  
مالي أرى أطوادَ كُمْ تَهْدُمُ <sup>(٦)</sup>  
ما هذه الرحيمُ التي لا تُرَحَّمُ ؟  
أَغَيْتُ عَوَائِدَهَا وَجَرَحَ أَقْدَمُ <sup>(٧)</sup>  
تَهْفُو وَلَا أَحْصَا لَهَا تَقْصَمُ <sup>(٨)</sup>  
فيهم غَدَتِ شَحَنَاوُهُمْ تَضْرَمُ <sup>(٩)</sup>  
إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ أَلْبٌ وَأَجْزَمُ <sup>(١٠)</sup>  
ورأوا رسولَ اللهِ أَحَدَهُ مِنْهُمْ

- (١) الهدف : الفرض (٢) مردى بالحجا : يتخذ رداءً ، والأحزونية : الحفة والنشاط ، ومبشر بها ومؤدم : اتخذ منها بشرته وأدمه ، ولأدم : الجلد  
(٣) لا يسهم : لا يغلب (٤) من لدن : من منذ (٥) الصنائع : جمع صنيع وهو المعروف (٦) من معاني البسالة لهلاكه ، ورأيتُ تراكم يسالة : أي في بسالة - كذا ، والذى في الديوان « مالي رأيتُ تراكم يسالة » يريد جافاً لا يليه ندى ؛ فليس يثبت شيئاً ، وهذا معنى جيد (م) -  
(٧) يريد من الموائد النكسات التي تعود بها القروح (٨) لاتقسم أحلامها : لاتفرق آراؤها (٩) الشحناء : البضياء (١٠) عزبت : غابت ، ألب : أعقل  
(٦ - زهر الآداب ١)

ومن الحزامة لو تكون حزاماً ألا تؤخر من به تتقدم<sup>(١)</sup>  
ومالك هو : ابن طوق<sup>(٢)</sup> بن مالك بن عتاب بن زُفَر بن مرة بن شرح  
ابن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك [ بن عتاب ] بن سعد بن [ زهير  
ابن ] جشم بن بكر [ بن وائل ] بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيه  
يقول دِغِيل<sup>(٣)</sup> يهجو :

الناس كلهم يندو لحاجته من بين ذى فرج منها ومهموم  
ومالك ظل مشغولا بنسبته يرم منها بناء غير مرموم<sup>(٤)</sup>  
يبنى بيوتاً خراباً لا أنيس بها ما بين طوق إلى عمرو ابن كلثوم  
والتكثير من المعنى المتعريض ، يرمح عن ثغرة التعريض<sup>(٥)</sup> ، لكنني أجزى  
منه إلى حلبة الإجابة ، وأقصد قصد الإفادة ، ثم أعود حيث أريد :

وقال ابن الخياط المكي - واسمه عبد الله بن سالم - في باب الهية ، في مالك  
ابن أنس<sup>(٦)</sup> الفقيه ، رحمة الله عليه ؛ وقيل : إن هذا من قول ابن المبارك :  
لابن الخياط  
يدع الإمام  
مالك بن أنس

### (١) الحزامة : الحزم

(٢) كان مالك بن طوق من الفرسان ، وهو الذي بقى « رجة مالك » على  
شاطئ الفرات ، وله مع هرون الرشيد موقف مشهور ، وهو صاحب التائفة  
لحق يقول فيها :

وماني خوف أن أموت ، وإنني لأعلم أن الموت شيء مؤقت  
ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من خشية تفتت

وتوفي سنة ٢٥٩

(٣) هو دعبيل بن علي ، الحزاعي ، المتوفى سنة ٢٤٦ ، كان دعبيل بذي اللسان  
مولداً بالهجو والخط من أقدار الناس ، وكان يتعرض للشر والموت ، ولكنه عمر  
طويلاً مع تعرضه للخطأ .

(٤) يرم : صلح (٥) الثغرة : الطريق

(٦) هو الإمام مالك ، أحد الأئمة الأربعة ، المتوفى سنة ١٧٩

يَأْتِي الْجَوَابَ فَيُزَاجُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِي الْأَذْقَانِ<sup>(١)</sup>  
أَدَبُ الْوَقَارِ، وَعِزُّ حُلَاطِنِ التَّقَى، فَهُوَ اللَّيِّبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ



وقول الفرزدق :

• يَكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ •

قَدْ تَجَمَّأَبَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشَّرَاءِ ؛ قَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السُّلَمِيِّ<sup>(٢)</sup> لَجُفْرِ الْبَرَمَكِيِّ : لِأَشْجَعِ السُّلَمِيِّ  
حَبِيدًا أَنْتَ قَادِمًا زَرْدُ الشَّامِ مَ فَتُخَالُ بَيْنَ أَرْحَلٍ عِيرِكَ  
إِنْ أَرْضًا تَسْرَى إِلَيْهَا لَوَاسِطًا عَتَ لَسَارَتِ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِ سَيْدِكَ  
وَالِيهِ أَشَارَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِي فِي قَوْلِهِ :

دِيمَةٌ تَمَحَّةُ الْقِيَادِ سَكُوبُ مُسْتَنِيثُهَا التَّعْرَى لِلْكُرُوبِ  
لَوْسَتَ بَقْعَةً لِإِعْظَامٍ نَمَى لَسَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ  
وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي وَصْفِ الدَّيْمَةِ ، وَمَدَحِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَيْرِيِّ<sup>(٣)</sup> :

(١) نَوَاسِي الْأَذْقَانِ : مَطْرُقُونَ إِلَى الْأَرْضِ خَشُوعًا

(٢) كَانَ أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ شَاعِرًا خَلَا بِعِيْدِ الدَّبَجِ ، وَلَهُ فِي الْجَمَاعَةِ ، وَنَشَأَ فِي الْبَصْرَةِ ،  
وَمَدَحَ الْبَرَامِكَةَ ، وَاقْطَعَ إِلَى جُفْرِ بْنِ يَحْيَى ، قَرَبَهُ مِنَ الرَّشِيدِ .  
وَمِنْ آيَاتِهِ السَّائِرَةِ قَوْلُهُ :

وَعَلَى عِدْوِكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانُ ضَوْءِ الصَّبْحِ وَالْإِظْلَامِ

فَلِذَا تَبَنَّى رَعْتَهُ ، وَإِذَا غَفَا سَلَتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامِ

وَكَانَتْ وَفَاةُ أَشْجَعٍ نَحْوَ سَنَةِ ١٩٥

(٣) هُوَ وَزِيرُ الْمُتَعَمِّمِ وَالْوَاتِقِ ، وَأَحَدُ مَشَاهِيرِ الْكُتَّابِ وَالشُّعْرَاءِ ، عَرَفَ حُلُ

الْحَيَاةِ وَمَرَهَا ، وَهُوَ الْقَاتِلُ فِي سَجْنِهِ :

مَنْ لَهُ عَهْدُ بَنُوْمٍ يَرْشِدُ الصَّبَّ إِلَيْهِ

رَحِمَ اللَّهُ رَحِمًا دَلَّ عَيْنِي عَلَيْهِ

سَهَرَتْ عَيْنِي وَنَامَتْ عَيْنٌ مِنْ هُنْتَ لَهُ بِهِ

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٢٣٣

لَذَّةُ شُؤْبُوبِهَا وَطَلَبَ فُلُو تَسْلِيعُ قَامَتْ فَما نَقَتَهَا الْقُلُوبُ<sup>(١)</sup>  
 فَهَوَّ مَاءٌ بِمَجْرَى وَمَاءٌ يَلِيهِ وَعَزَّالٍ تَنَشَّأُ وَأُخْرَى نَصُوبُ<sup>(٢)</sup>  
 أَيُّهَا النَّبِيُّ حَيَّ أَهْلًا بِمَعْدَاكَ وَعِنْدَ الشَّرَى وَحِينَ تَوْوَبُ<sup>(٣)</sup>  
 لِأَبِي جَعْفَرٍ خَلَّاقٍ مُحْكِمِينَ قَدْ يَشْبُهَانِجِبَ النَّجِيبِ

بين أبي تمام وابن الزيات  
 وأنشدنا أبا جعفر بن الزيات ، قال : يا أبا تمام ؛ والله إنك لتحلّي  
 تمرّك من جواهر لفظك وبنائع معانيك ، ما يزيد حُسنًا على بهيّ الجواهر  
 في أجياد الكواعب ؛ وما يدُخِرُ لك شيء من جزيل المكافأة إلاّ يقَعُرُ  
 عن شعرك في الموازنة . وكان بحضرته رجل من الفلاسفة ، قال : هذا الفتى  
 يموتُ شابًا ! قليل له : من أين حَكَمْتَ عليه بهذا ؟ قال : رأيتُ فيه من  
 الحِدَّةِ والذكاء والفتنة مع لطافة الخس ما علّتُ به أن النفسَ الروحانية  
 تأكل عمره كما يأكلُ السيفُ للمهندُ غَدَه ! قال الصولي : مات وقد نَيْفَ  
 على الثلاثين .

لأبي تمام في أبي دلف  
 وقال في أبي دلف العجلي القاسم بن محمد بن عيسى<sup>(١)</sup> :  
 تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جَنُونَهَا إِذَا لَمْ يَمُودْهَا بِنَفْعٍ مَطَالِبِ  
 تَكَادُ مَنَاقِبُهُ تَهْشُرُ عِرَاضَهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ<sup>(٢)</sup>

(١) الشؤبوب : الدفعة من الطر .

(٢) عزال : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء ، والمراد بها السحابة ، وتصوب : تنكب

(٣) تَوَوَّبُ : ترجع (٤) أبودلف : كان أمير الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد قواد

المؤمنون الشجعان ، ولشعراء فيه مدائح كثيرة ، من أروعها هذا البيتان :

إنما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره

فلذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وكانت وفاته سنة ٢٢٦ (٥) المراسم : جمع عرصة ، وهي : ساحة الدار

وقال البُخْتَرى :

لَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْمِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ لِلنَّبَرِ

وقال أبو العليّ المنبى لبدر بن عمار :

طَرَبْتُ مَرَاكِبَنَا فَخَلْنَا أَنَّهَا لَوْلَا حَيَاةُ عَاقِبَتِ رَقَمْتِ بَنَا

لَوْ تَمَلَّ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلَتْهَا مَدَّتْ مُحْيِيَةَ إِلَيْكَ الْأَغْصَنَا

رجع ما انقطع

قال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين<sup>(١)</sup> رضى الله عنه : هل رأيت لمحمد بن علي

الله حين عَيْدَتُهُ ؟ فقال : لَمْ أَكُنْ لِأَعْبُدْ مَنْ لَمْ أَرَهُ ، قال : فكيف رأيتَهُ ؟ ابن الحسين

قال : لَمْ تَرَهُ الْأَبْصَارُ بِمُشَاهِدَةِ الْعَيْنِ ، وَرَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِمُحَاقِقِ الْإِيمَانِ ، لَا يَدْرِكُ (أبي جعفر) الْبَاقِرُ

بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُشَبِّهُ بِالنَّاسِ ، مَعْرُوفٌ بِالْآيَاتِ ، مَعْمُورٌ بِالْعَلَامَاتِ ، لَا يَجُورُ

فِي التَّضَيَّاتِ ، ذَلِكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . فقال الأعرابي : الله أعلمُ حيثُ

يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ .

قال الجاحظ : قال محمد بن علي : صلاحُ شَأْنِ الدُّنْيَا بِمُخَافَتِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ؛

لَأَنَّ صَلَاحَ شَأْنِ جَمِيعِ النَّاسِ [ فِي التَّعَاشِيشِ وَ ] التَّعَاشُرِ وَهُوَ يَلِ ، مِثْكَالُ : ثَلَاثُ

فِطْنَةٍ ، وَثَلَاثَةُ تَقَافُلٍ .

قال الجاحظ : لَمْ يَجْعَلْ لِنَبِيِّ الْفِطْنَةِ نَصِيحًا مِنَ الْخَيْرِ ، وَلَا حِفْظًا مِنَ الصَّلَاحِ ؛

لَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَنَافَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَفَهُ وَفُطِنَ لَهُ ، قال الطائي :

لَيْسَ النَّبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنْ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَنَافِي

وقال ابن الرومي لأبي محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان :

تَظَلُّ إِذَا نَامَتْ عَيُونُ ذَوِي الْعَمَى وَإِنْ حَدِّدُوا زُرْقًا إِلَيْكَ جَوَاحِظًا<sup>(٢)</sup>

(١) ولد محمد بن علي بالمدينة سنة ٥٧ ودفن بها سنة ١١٤ ، وكان مشهوراً بالعلم

والتقى ، وله آراء في تفسير القرآن

(٢) جواخظ : جمع جاحظة ، وهي : الناقة الحذقة

تَفَاضَى لَمْ وَسَنَانَ ، بِلِ مَتَوَاسِنَا ، وَتَوَقَّفُظُهُمْ يَقْطَلُفُ بِلِ مَتِيَاظِلُ<sup>(١)</sup>  
 [ وأبو جعفر هذا هو الباقر ] ، وكان أخوه زيد بن علي رضي الله عنه ديناً ،  
 زيد بن علي شجاعاً ، ناسكاً ، من أحسن بني هاشم عبارةً ، وأجلهم شأراً .  
 ابن الحسين

وكانت ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن يمنع أهل الكوفة  
 من حضور زيد بن علي ؛ فإن له لساناً أقطع من طبة السيف وأحد من شيا  
 الأسيئة<sup>(٢)</sup> ، وأبلغ من السحر والكهانة<sup>(٣)</sup> ، ومن كل نفث في عقدة .

وقيل لزيد بن علي : الصمت خير أم الكلام ؟ فقال : قبح الله المساكنة ،  
 ما أفسدها للبيان ، وأجلها للعي والخصم<sup>(٤)</sup> ! والله للممارة أسرع في هدم العي<sup>(٥)</sup>  
 من النار في تفس العرفج ، ومن السيل إلى الحدود<sup>(٦)</sup> .

وقال له هشام بن عبد الملك : لفتى أهلك تروم انلالة وأنت لا تصلح لها  
 لأنك ابن أمة ؟ قال زيد : قد كان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ابن أمة ،  
 وإسحاق ابن حرة ؛ فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم ! فقال له : قم !  
 قتل : إذا والله لا ترائي إلا حيث نكره ! فلما خرج من الدار قال : ما أحب  
 أحد الحياة قط إلا ذل ، فقال له سالم مولى هشام : لا يسمع هذا الكلام منك  
 أحد ، وكان زيد كثيراً ما ينشد :

شرده الخوف وأزرى به كذاك من يكره حر الجلاء<sup>(٧)</sup>  
 منخرق الخفين بشكو الوجي تنكبه أطراف مرو حداد<sup>(٨)</sup>

(١) متواسن : متناوم وليس بنائم ، ومتياظف : متظاهراً بالقطعة (٢) طبة السيف :  
 طرفه ، وكذلك شبا السنان (٣) الكهانة : نوع من فتنة الناس باسم البحث عن الغيب  
 (٤) العصر : عصر الكلام (٥) في الأصل «هدم اتقى» وهو تحريف (٦) الحدود :  
 للتخدرات يجرى إليها الماء (٧) الجلاء : الحرب .

(٨) الرو : الحجارة البيض الرقاق ، والحداد : جمع حديد .

قد كان في الموت له راحة والموت حَمٌّ في رقاب العباد  
وقد رُوِيَتْ هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وقد  
رُوِيَتْ لأخيه موسى .

قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد : حدثني رجل من بني هاشم قال : كنا  
عند محمد بن علي بن الحسين ، وأخوه زيد جالس ، فدخل رجلٌ من أهل الكوفة زيد بن علي  
فقال له محمد بن علي : إنك لقرؤى طراف من نوادر الشعر ، فكيف قال  
الأنصاري لأخيه ؟ فأنشده :

لَمَعْرُكٍ مَا إِنَّ أَبَا مَالِكٍ      بَوَانٍ وَلَا بِضَعِيفٍ قُوَاهُ  
وَلَا بِاللَّهِ لَهُ نَارِعٌ      يُعَادِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَاهُ  
وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مَخْلَافٍ      كَرِيمٍ الطَّبَائِعُ حَلَوُ نَهَاهُ<sup>(١)</sup>  
وَمِنْ سُدَّتِهِ سُدَّتْ مَطْوَعَةٌ      وَمِمَّا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

فوضع محمد يده على غيِّف زيد ، فقال : هذه صِفَتُكَ يَا أَخِي ؛ وَأَعِذُكَ  
بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ قَتِيلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ !

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي وبين زيد رضوان الله  
عليهم منازعة في وصية ، فكانا إِذَا تَنَازَعَا انشأَلَ النَّاسُ عَلَيْهِمَا لِيَسْمَعُوا  
مَحَاوَرَتَهُمَا ؛ فكان الرجلُ يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ، ويحفظ  
الآخر اللفظة من كلام زيد . فإذا انفصلا وتفرق الناس عنهما قال هذا  
لصاحبه : قال في موضع كذا وكذا ، وقال الآخر : قال في موضع كذا وكذا ؛  
فيكتبون ما قالوا ، ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض ، والناذر من الشر ،  
والسائر من المثل ! وكانا أعجوبة دهرهما وأخذومة عصرهما .

ولما قتل زيداً يوسف بن عمر<sup>(٢)</sup> وصلب جثته بالكِنَاسَةِ<sup>(٣)</sup> وبث برأيه

(١) النشأ : الحديث عنه . يريد أنه لا يقال عنه غير الخير (م)

(٢) أحد الولاة في العصر الأموي ، كانت وفاته سنة ١٢٧ (٣) الكِنَاسَة : محلة  
بالكوفة يقول فيها الشاعر :

مع شُبَّة بن عقال ، وكَلَف آل أبي طالب البراءة من زيد . وقام خطباؤهم بذلك : فكان أولَ مَنْ قام عبدُ الله بن الحسن بن الحسين بن علي رحمة الله عليه فأوْجَز في كلامه ثم جَلَس ، وقام عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي حنبل فأثْب - وكان شاعراً خطيباً سينا ناسباً - فأنصرف الناسُ وهم يقولون : إن الطيارَ من أخطبِ الناس ، قليل لعبد الله بن الحسن في ذلك : قتل : فوسَّيت أن أقولَ لقلت ، ولكن لا يكن مقامَ سرور ، وإنما كان مقامَ مُعْيبة !

من كلام عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي : أبو محمد وإبراهيم الطارحين علي أبي جعفر المنصور . وهو القائل لابنه محمد أو إبراهيم : أي بُني ! إني مؤدَّ حق الله في تاديبك . وقد إلى حق الله في الاستماع مني ؛ أي بُني ! كُتِبَ الأذى ، وارفَضِ البُذَى (١) واستمعني على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام ، فإن للقول ساعات يضرُّ فيها النطقُ ، ولا ينفعُ فيها الصواب . واحذرْ شورة الجاهلي وإن كان ناصحاً ، كما تحذرْ مشورة العاقل إذا كان غاشياً : لأنه يُرْذِلُكَ بِمُشُورته : واعلم يا بُني أن رأيك إذا احتجبت إليه وجدته ناعماً ، ووجدته هواك يفضُّن ، فإياك أن تستبدَّ برأيك ؛ فإنه حينئذ هواك : ولا تفعلْ فِعْلاً إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا تُرْذِلُكَ ، وأن تبعته لا تُجْنِي عليك . وهو القائل : إياك ومُعَاداة الرجال فإنك لن تعدَمَ مكرَ حليم ، أو مُعَاداة لئيم . وكتب إلى صديق له : أوصيك بتقوى الله تعالى ، فإنَّ الله تعالى جعل من اتقاء الخرج من حيث يكره . والرزق من حيث لا يحتسب .

وعبدُ الله هو القائل :

.. يا أيها الراكب القادى لطينه يوم بالقوم أهل البلية الحرم  
أبلغ قبائل عمرو إن أثبتهم أو كنت من دارهم يوماً على أديم  
إنا وجدنا قفروا في دياركم أهل الكناسه أهل اللؤم والعدن  
(١) البذى : مقصور البذاء . وهو غش القول .. ومن حقه أن يكتب بالأدب (٥)



أَنْسُ حَرَائِرُ مَا هَمَّنَ بِرَبِيَّةٍ كَطَبَاءِ مَكَّةَ صِيدَهُنَّ حَرَامٌ<sup>(١)</sup>

يُحَسِّنُ مِنْ لَيْلِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَيَصْدَهُنَّ عَنِ الْخَلْفَاءِ الْإِسْلَامِ<sup>(٢)</sup>

قَالَ : وَهَذَا كَمَا رَوَى أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ اسْتَقْبَلَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
أَبِي رَيْمَةَ الْحَزْزَمِيَّ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتُ قَرِيضُ أَنْتَ أَطْلُوهَا صَبُوءَ ، وَأَبْعَدُهَا  
تَوْبَةَ ، وَيَحْكُ ! أَمَّا لَكَ فِي نِسَاءِ قَرِيضٍ مَا يَكْفِيكَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ<sup>(٣)</sup> ؟ رَيْمَةُ  
أَلَسْتُ الْقَائِلُ :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْحَصْبِ مِنْ مَنَى وَلِي نَظَرْتُ لَوْلَا التَّحَرُّشُ عَارِمٌ<sup>(٤)</sup>

قُلْتُ : أَصْبِيحُ أَمْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ بَدَلْتُكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ<sup>(٥)</sup>

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ<sup>(٦)</sup>

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ بَدَّ هَذَا :

طَلَبَنِ الْمَوَى حَتَّى إِذَا مَا وَجَدْتَهُ صَدَرْنَ وَهْنٌ لِلْسَّلَاتِ الْكِرَامِ<sup>(٧)</sup>

فَاسْتَحْيَا مِنْهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَضَى غَوَائِجَهُ وَوَصَلَهُ .

وَقَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

تَقَطَّلْنَ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِ أَوْجِيهِ فَنَهْنَ حَوَالِي فِي الصَّفَاتِ عَوَاطِلُ<sup>(٨)</sup>

كَوَاسٍ عَوَارٍ صَامِتَاتٍ نَوَاطِقُ بَغْفُ الْكَلَامِ بِاخِيلَاتٍ بَوَازِلُ<sup>(٩)</sup>

بَرَزْنَ غَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ نَسْرًا وَشَيْبَ بِحَقِّ الْقَوْلِ مِنْهُنَّ بَاطِلُ<sup>(١٠)</sup>

(١) أَنْسُ : آتَسَات (٢) الْخَنَاءُ : الْفَحْشَى ، وَفِي نَسْخَةِ « زَوَانِيَا »

(٣) كَذَا ، وَأَعْتَقَدُ أَنَّ مِثْلَهُ « مَا يَكْفِيكَ عَنْ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ » (م)

(٤) عَارِمٌ بِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ : طَامِعٌ شَرَسٌ وَفِي الْأَصْلِ « عَازِمٌ » بِالزَّيِّ الْمُهْمَلَةِ ،

وَأُرْجِحُ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ (٥) السَّجْفُ بِفَتْحِ السِّينِ أَوْ كَرَاهَا : السَّرُّ (٦) الْقُرْطُ : حُلِيٌّ

يُحْلَقُ فِي الْأُذُنِ . وَبَعْدُ مَهْوَى الْقُرْطِ : كُنَايَةٌ عَنْ طَوْلِ الْعُنُقِ (٧) صَدَرْنَ : رَجَعْنَ

(٨) حَوَالٍ : جَمْعُ حَالِيَةٍ ، وَالْمَوَاطِلُ : جَمْعُ عَاطِلٍ ، وَهِيَ الَّتِي تَتَطَلَّعُ مِنَ الْحُلِيِّ .

(٩) كَوَاسٍ : جَمْعُ كَاسِيَةٍ ، وَالْعَفْ : الضَّيْفُ (١٠) شَيْبَ : مِزْجٌ

فدو الحلم مرتادٌ وذو الجمل طامعٌ وهن عن الفخشاء جيدٌ نواكل<sup>(١)</sup>

وقال المدبِّل بن الفرخ فيما يتطرف طرفاً من هذا المعنى :

للمدبِّل  
ابن الفرخ

لعبَ النسيمُ بينَ في أطلاله حتى لبسَ زمانَ عيش غافل<sup>(٢)</sup>

ياخذن زيتهم أحسنَ ما ترى فإذا عطشانَ فهنَّ غيرَ عواطل

وإذا خبانَ خدودهن أريفتني حدقَ لها وأخذن نبلَ القاتل<sup>(٣)</sup>

يرميننا لا يستترنَ بحجةٍ إلا الصبا وعلمن أئنَ مقاتلي<sup>(٤)</sup>

يلبس أرديةَ الشباب لأهلها ويجرِ باطلهنَّ ذنبَ الباطل

وترضى لعبد الله بن الحسن رَجُلٌ بما يكرهه ، فقال فيما أنشده طلب :

بين عبد الله بن  
الحسن ورجل  
تعرض له بما  
يكره

أظنَّت سفاها من سفاقة رأيا أن أهجوها لما هجنتي محارب<sup>(٥)</sup>

فلا وأيهما إني بشيرقي ونسي عن ذاك المقام لراغب<sup>(٦)</sup>

وأنشد هذين البيتين أبو العباس اللبزد لرجل لم يسمه في رجلٍ يُعرفُ بابز

البعير ، وقبلهما :

يقولون أبناءَ البعير وما لهم سنامٌ ولا في ذروة المجد غارب<sup>(٧)</sup>

وسائر عبد الله بن الحسن أبا العباس السفاح بظهور مدينة الأنبار وهو

بين السفاح  
وعبد الله بن  
الحسن

يُنظرُ إلى بناءه أبو العباس ويدور به ، فأنشد عبد الله :

ألم ترَ جوشنا لما تبني بناءً نفعه لبني بُقيلة

يوئملُ أن يعمّرَ عمرَ نوحٍ وأمرُ الله يحدثُ كلَّ ليلة

وكان أبو العباس له مُكرِّماً ، ولحقه محظوماً ؛ فتبسّم مضطرباً ، وقال : لو علمنا

(١) حيد : جمع حيداء ، وهي القى تحيد عن مواطن التهم ، والنواكل : جمع

ناكلة ، وهي النافرة من القبحى .

(٢) الأطلال : تجمع طلل ، وهو الدار ، والمراد أنهم نشأوا في مدارج النعم :

وفي نسخة « في أطلاله » (م) (٣) لها : واحداً مائة ، وهي الظبية

(٤) الجنة : ما يتقى به الرء السهام (٥) محارب : اسم قبيلة (٦) رغبة

عن الشيء : زهدت فيه (٧) الغارب : الكاهل ، وذروة الشيء : أعلاه .

لا شترطنا حقَّ المسأرة ! فقال عبدُ الله : بواذرُ الخواطر ، وأغفالِ السانح ؛ والله ما قلُّنا عن رويّة ، ولا عارضَنا فيها فكر ؛ وأنتَ أجلُّ من أقال ، وأولى من صفّح ، قال : صدقت ؛ خذْ في غير هذا .

النصور  
وعبد الله  
ابن الحسن

ولما قتل النصورُ ابنه محمداً - وكان عبدُ الله في السجن - بثَّ برأسه إليه مع الربيع حاجبه ؛ فوضع بين يديه ، فقال : رحلك الله أبا القاسم قد كنت من « الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَتَخَفُونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ! ثم تمثّل :

فَقَيَّ كَأَن يَحْتَمِيهِ مِنَ النَّارِ شَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ - وَهَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابَهَا  
ثم التفت إلى الربيع فقال له : قل لصاحبك قد معفى من بؤسنا مدة ، ومن نعيمك مثلها ؛ والموعودُ الله تعالى ! قال الربيع : فإ رأيت النصور قط أ كثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة <sup>(١)</sup> .

أخذ العباس بن الأحنف <sup>(٢)</sup> هذا المعنى ، وقيل : عمارة بن عقيل بن بلال ابن جرير <sup>(٣)</sup> فقال :

فَبِإِن تَلَحَّظِي حَالِي وَحَالِكَ مَرَّةً  
بِنَفْثَةِ عَيْنٍ عَنْ هَوَى النَّفْسِ مُجْتَنِبُ  
تَجِدُ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّ مِّنْ بُؤْسٍ عِشْتِي يَمُرُّ يَوْمٌ مِّنْ نَّيْمِكَ يُجْتَنَبُ

ولما قتل النصورُ محمداً بن عبد الله اعترضته امرأةٌ معها صبيان ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا امرأةٌ محمد بن عبد الله ، وهذان ابناؤه ، أيتهمما سيفك ، وأضرعهما خوفك <sup>(٤)</sup> . فناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تُصَرَّ لهما خذك ، ابن النصور  
وامرأة محمد  
ابن عبد الله  
ابن الحسن

(١) كانت وفاة عبد الله بن الحسن في سجن النصور سنة ١٤٥ .

(٢) العباس بن الأحنف : شاعر غزل رقيق الإحساس ، توفي سنة ١٩٢ .

(٣) عمارة بن عقيل : شاعر فصيح ، كان النحويون في البصرة يأخذون عنه اللغة ،

توفي سنة ٢٣٩ . (٤) أضرعه : أذله

أَوْ يَأْنِي عَنْهُمَا رِفْدُكَ<sup>(١)</sup>؛ وَلَتَمُطِّفُكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النَّسَبِ، وَأَوَّاصِرُ الرَّحِمِ<sup>(٢)</sup>  
فَالْتَقَتَ إِلَى الرَّبِيعِ، قَالَ: ارْدُدْ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ: كَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ  
أَنْ تَكُونَ نَسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ.

بين النصور وكان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب النصور، ونصر محمد؛ -  
وجعفر الصادق فلما غلب النصور أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق، فقال له:  
قد رأيت إطباق أهل المدينة على حرّبي، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يُمَوِّرُ  
عيونهم<sup>(٣)</sup>، ويَجْمُرُ نَجْلَهُمْ<sup>(٤)</sup>. فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين؛ إن سليمان  
أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَإِنْ أَبُوبَ الْبُتْلَى فَصَبَرَ، وَإِنْ يُوسُفَ قَدَرَ فَفَقَرَ؛ فَاقْتَدِرْ بِأَيْهِمْ  
شئت، وقد جعلك الله من نسل الذين يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ:  
إِنَّ أَحَدًا لَا يُتَمَنَّأُ الْحِلْمَ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ. وَإِنَّمَا قُلْتُ هَمَمْتُ، وَلَمْ تَرَنِ فَعَلْتُ؛  
وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قَدَرْتُ عَلَيْهِمْ تَمَنَعَنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ.

وعزّى جعفر بن محمد رجلاً، قَالَ: أَعْظِمَ نِعْمَةً فِي مَصِيبَةٍ جَلَبَتْ أَجْرًا  
لجعفر الصادق <sup>تعزية</sup> وَأَفْطَحَ بِمَصِيبَةٍ فِي نِعْمَةٍ أَكْبَتْ كُفْرًا  
هذا كقول الطائي:

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْدُلِي اللَّهُ بِمَقْصَرِ الْقَوِيمِ بِالنَّعَمِ  
وكان جعفر بن محمد يقول: إِنِّي لَأُتْلِقُ أَحْيَانًا فَأَتَا جَرَّ اللَّهُ بِالصَّدَقَةِ فَيُرْبِحُنِي.

وقال جعفر رضى الله عنه: مَنْ تَخَلَّقَ بِالْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَهُ خُلُقٌ سَوْءٌ أُصِيلَ  
من كلام جعفر الصادق فَتَخَلَّقْ لَا حِمَاةَ زَائِلٍ، وَهُوَ إِلَى خُلُقِهِ الْأَوَّلِ آيِلٌ، كَطَلَى الذَّهَبَ عَلَى النَّحَاسِ  
يَنْسَحِقُ وتظهر صفرته للناس.

وهذا كقول العرجي:

يَأْيَاهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرَ شَيْئِهِ وَمِنْ خِلَاقِهِ الْإِقْصَارُ وَاللِّقْ<sup>(٥)</sup>

(١) الرِّفْدُ: العطاء (٢) الشَّوَابِكُ والأوصار: هي الروابط

(٣) يَمَوِّرُ عِيُونَهُمْ: يطمسها ويذهب ما بها بالعين المهملة أو بالعين الموحدة (٤)

وفي الأصل «ينور» وهو تحريف. (٥) جمر النخلة تجمرها قطع جوارها.

(٥) المراد من الإقصار القصور والضعف، واللقى: إظهار الودذلة وخضوعا.

ارجع إلى خلقك المعروف وارضَ بِهِ. إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ انْخَلَقَ<sup>(١)</sup>  
 وكان يقول : ما توَّسَّلَ إلى أَحَدٍ بوسيلة هي أقرب إلى من يدرِ سَبَقَتْ مني  
 إليه أُنْتَبِهَا أَخْتَبَهَا لتحسن رَبِّهَا وَحِفْظَهَا<sup>(٢)</sup> ؛ لأنَّ مَنْعَ الآخرِ يقطع لسان الأوائِل .  
 وقيل لجعفر رحمه الله : إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ لِلنَّصُورِ لَا يَلْبَسُ مَذْ صَارَتْ إِلَيْهِ  
 الْخِلَافَةُ إِلَّا الْخُشْنَ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا الْجُشِبَ<sup>(٣)</sup> . قَالَ : يَا وَيْلَهُ ! مع ما مَسَكَنَ  
 له من السلطان ، وَجِئَ إِلَيْهِ مِنَ الْخُرَاجِ ! قَالُوا : إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بُخْلًا وَجَمًّا لِلْمَالِ .  
 قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّمَ مِنْ دُنْيَاهُ مَا تَرَكَ لَهُ مِنْ دِينِهِ . انتهى .

قال : ومن دعاء جعفر رضي الله عنه : اللهم إنيك بما أنت أهلٌ له من العفو  
 أولى بما أنا أهلٌ له من العقوبة .

وكان عبدُ الله [ بن معاوية بن عبد الله ] بن جعفر علماً ، ناسباً ، وكان من عبد الله  
 ابن معاوية خليفياً مَعُوْهاً ، وشاعراً مجيداً ، وكتب إلى بعض إخوانه :  
 أما بعدُ ، فقد عاقبني الشكُّ في أمرِك عن عزيمة الرأيِ فيك ، وذلك أنك ابن جعفر إلى  
 ابتدأتني يُلْطَفُ عن غير خِيَرَةٍ ؛ ثم أعقبْتَنِي جفاءً عن غير جَرِيرَةٍ ؛ فَأَطَمْتَنِي أَوَّلَكَ  
 في إْحَانِكَ ، وَأَبَاسَتِي آخِرُكَ عن وفائِكَ ؛ فلا أنا في غير الرجاء مجعٌ لك  
 أطراحاً ، ولا أنا في غَدِّ وانتظاره منك على ثقة ؛ فصبحتُ من لَوْ شَاءَ كَشَفَ  
 بياضُ الشكِّ في أمرِك عن عزيمة الرأيِ فيك ؛ فَاجْتَمَعْنَا على اختلاف ، أو افترقنا  
 على اختلاف ، والسلام .

وهو القائل :

رَأَيْتُ مُضِيلاً كَانَ شَيْئاً مُلْفَماً فَكَشَفَهُ التَّمَحِيصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا<sup>(٤)</sup>

(١) التخلق : تكلم للرء ما ليس فيه من حسن الخلق . (٢) رب الشيء : أصلحه

(٣) الجشب : هو الطعام القفار الذي لا إدام فيه (٤) ملفع : مغطى ، وتقول :

نفع الشجر بالحضمة - ولعل الأصل « ملففا » جفاءً بن (م) .

فانت أخى ما لم تكن لى حاجة  
فإن عرّضت أيقنت أن لا أخاليا  
كلانا غنى عن أخيه حياته  
و نحن إذا متنا أشدّ تقائنا  
فلا زاد ما بينى وبينك بعدما  
بلوتك فى الحاجات إلّا ما بدا  
فمن الرضا عن كل عيب كيلة  
كما أن عين السخط تبدى المساويا  
والقائل أيضاً :

لست وأين أحسبنا كرمتم  
يوماً على الأحساب نتكل  
نبنى كما كانت أوائلنا  
تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

وهذا كقول عامر بن الطفيل ، قال أبو الحسن على بن سليمان الأਖش :  
أنشدنى محمد الحسن بن الحرون لعمرو بن الطفيل (١) :

تقول ابنة الصرمى : مالك بئد يا  
أراك صحيحاً كالسليم المذب (٢)  
فقلت لها : همى الذى تعرفينه  
من الثأر فى حى زبيد وأرحب  
إن أغر زبيداً أغر قوماً أعزة  
مركبهم فى الحى خير مركب  
وإن أغر أغر حتى ختم فداؤهم  
شفاء وخير الثأر للتأوب (٣)  
فا أدرك الأوتار مثل عتقى  
بأجرده طائر كالسيب المذب (٤)

لعمرو  
ابن الطفيل

(١) عمرو بن الطفيل : أحد تارك العرب وشعرائهم فى الجاهلية ، ولد ونشأ بنجد وكان يامر منادياً ينادى فى عكاظ : هل من راجل فتحمله ، أو جائع فنطعمه ، أو خائف فنؤمنه ؟ أدرك الإسلام وهو شيخ ، فوفد على الرسول وهو فى المدينة بعد فتح مكة يريد القدر به ، ولكنه لم يجرؤ عليه ، ودعاه الرسول إلى الإسلام ، فاشتراط أن يحمله له نصف ثمار المدينة ، وأن يحمله إلى الأمر من بعده ، فردّه النبي ، فرجع مضطراً محضاً ، ومعه أحدهم يقول : لأملأها خيلاً جرّداً ، ورجالا مردداً ، ولأربطن بكل نخلة فرساً ! فمات فى طريقه قبل أن يبلغ قومه سنة ١١ (٢) السليم : اللدوغ .

(٣) أصل التأوب : الذى يطرق ليلاً ، وأراد الثأر (م)

(٤) الطاوى : الضامر ، والأجرد : الحصان سقط شعره من الضمور ، والعيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط حوصها ، والشذب : القلم . .

وَأَتَمَّرَ خَطِيئَةً وَأَيُّضَ بَاتِرٍ وَزَغَفٍ دِلَاصٍ كَالْقَدِيرِ لِلتُّوبِ<sup>(١)</sup>  
وإني وإن كنت ابن سيد علم وفي السر منها والصريح للهدب  
فا - - - ودتي علم عن ورائتي أبي الله أن أسمو بأب ولا أب  
ولكنني أحمي حملاها، وأنقي أذاها، وأرى من رماها بمنكب

وقال أيضاً يعني بعض الهاشميين بإملاك<sup>(٢)</sup> : زاد الله في نعمته ، وبارك  
في قواضيه ، وجعل نوافله ؛ ونسأل الله - الذي قسم لكم ما تحبون من السرور -  
أن يحببكم ما تكرهون من المحذور ، ويحمل ما أحدثه لكم زينا ، ومتاعاً حسناً ،  
ورشداً ثابتاً ، ويحمل سبيل ما أصبحت عليه ، تماماً لصالح ما سموت إليه ؛ من  
اجتماع الشئل ، وحسن موافقة الأهل ؛ ألف الله ذلك بالصلاح ، وتمه بالنجاح ،  
ومتد لك في ثروة العدد ، وطيب الولد ، مع الزيادة في المال ، وحسن السلامة في  
الحال ، وقرة العين ، وصلاح ذات البين .

وهجا أبو عاصم محمد بن حمزة الأسدي للذي الحسن بن زيد بن الحسين<sup>(٣)</sup> بن علي  
ابن أبي طالب رحمة الله عليه ، قال :  
بن أبي عاصم  
الأخى الشاعر  
والحسن بن زيد

له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجليل  
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسول

فلما ولي الحسن المدينة أتاه متكرراً في زى الأعراب ، قال :

سأني مدحتي الحسن بن زيد وتشهد لي بصفين القبور<sup>(٤)</sup>  
قبور لم تزل مذكراً غاب عنها أبو حسن تعاديهما الدهور  
قبور لو بأحمد أو علي بلوذ يحيرها حمي المجير  
هما أبواك من وضعا فضعه وأنت برقع من رما جدير

(١) الأتمر الخطي : هو الرمح ، والأبيض الباتر : السيف القاطع ، والزغف ،  
الدروع ، والدلاص : اللينة اللساء ، والقدير للتوب : التبر المثلث . (٢) الإملاك : الزواج  
(٣) في نسخة « الحسن بن زيد بن الحسن » والذي تولى المدينة هو الحسن بن زيد  
ابن علي بن أبي طالب ؛ فكلمة « بن الحسن » زائدة (٤) صفتين : موضع واقعة مشهورة

قال : من أنت ؟ قال : أنا الأسلى . قال : اذن حيّاك الله ! وبسط له رداءه ، وأجلسه عليه ، وأمر له بشرة آلاف درهم .

بين الحسن بن زيد قد عوّد داود بن سلم مولى بنى تميم أن يصله ، فلما مدح داود جعفر بن سليمان بن علي - وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد - أغضبه ذلك<sup>(١)</sup> ، وقدم الحسن من حجج أوعدة ، فدخل عليه داود بن سلم مهتأ ، فقال : أنت القاتل في جعفر بن سليمان بن علي :

وكنّا حديثاً قبل تأمير جعفر      وكان للى في جعفر أن يؤمرا<sup>(٢)</sup>  
حوى للنبرين الطاهرين كليهما      إذا ما خطا عن منبر أم منبرا<sup>(٣)</sup>  
كأن بنى حواء صفوا أمامه      فخير في أنسابهم فخيّرا  
قال داود : نعم ، جعلني الله فداك ، فكنتم خيرة اختياره ! وأنا القاتل :  
لمصرى لن عاقبت أو جدت منمما      بغير عن الجاني وإن كان مُمذرا<sup>(٤)</sup>  
لأنّ بما قدمت أولى بملحة      وأكرم فخراً إن فخرت وعصرا  
هو القرة الزهراء من فرع هاشم      ويدعو عليا ذا اللعالي وجعفر<sup>(٥)</sup>  
وزيد الندى والسبط سبط محمد      وعمك الطف الزكي المطهر  
وما نال منها جعفر غسير مجلس      إذا ما نفاه الـزل عنه تأخرا<sup>(٦)</sup>  
بحكم نالوا ذراها وأصبحوا      يرون به عسراً عليكم ومظهرا  
فعدله الحسن بن زيد إلى ما كان عليه ، ولم يزل يصله ويحسن إليه إلى أن مات .

(١) في الأصل «غضه ذلك» وهي عبارة جيدة (٢) يؤمر : يولى الإمارة  
(٣) أم : قصد (٤) المنبر : ذوالعنبر (٥) القرة : في الجبين ، ولها جمال خاص  
(٦) العزل : الضف - وما أراه أراد غير العزل عن الولاية (م)



وقوله : « وإن كان مُنْذِرًا » ، لأن جعفرًا أعطاه على آياته الثلاثة ألف دينار .  
ولما ولي الحسن بن زيد المدينة دخل عليه إبراهيم بن علي بن هُرْمَةَ ، فقال  
له الحسن : يا إبراهيم ! لستُ كمن يباع لك دينه رجاء مدحك ، أو خوف ذمك ،  
قد رزقني الله تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم للملاح ، وَجَنَّبَنِي الْمَقَابِحَ ،  
وإنَّ من حقّه عليّ ألا أغضَى على تقصير في حقّ وجب ؛ وأنا أقسم لئن آتيتُ  
بك سكران لأضربنك حدًّا للخمر ، وحدًّا للسكر ؛ ولأزيدن لموضع حرمتك  
في ، فليكن تركك لها لله عز وجل تُنْعَ عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم .  
فهذه ابن هرمة ، وهو يقول :

نهاني ابنُ الرسولِ عن اللُدَامِ      وأدبني بآداب الكرام  
وقال ليّ أصطبر عنها ودعها      تخوف الله لاخوف الأنام  
وكيف تصبّري عنها وحي      لها حُبٌّ تمكّن في عظامي  
أرى طيف الخيال على خُبْنًا      وطيب العيش في خبث الحرام  
وكان إبراهيم منهومًا في الخمر ، وطلحه خَنِيمَ بن عِرَاحٍ<sup>(١)</sup> صاحبُ شُرْطَةِ  
المدينة لرباع بن عبد الله الحارثي في ولاية أبي العباس .

ولما وفد على أبي جعفر النصور ومدحه استحسّن شعره ووصله ، وقال له :  
سَلِّ حاجتك ، قال : تكتب لي إلى عامل المدينة ألاَّ يحدّني إذا أتاني في سكران  
فقال أبو جعفر : هذا حدٌّ من حدود الله تعالى لا يجوز أن أعطله ، قال : فاحتل  
لي يا أمير المؤمنين ! فكتب إلى عامل المدينة : « من أتاك ابن هرمة سكران  
فاجلده مائة ، واجلده ابن هرمة ثمانين » .  
فكان الشرط يمرّون به مطروحًا في سِكَكِ المدينة ، فيقولون : مَنْ يشتري  
مائة بثمانين ؟

وقال موسى بن عبد الله<sup>(٢)</sup> بن علي بن أبي طالب :

(١) في نسخة « عثيم بن عراق » (م)

(٢) في نسخة « بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي » (م)

من شعر موسى  
ابن عبد الله  
الطاهي

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما  
إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم  
تصودت من الضر حتى ألفت  
ووسع صدى للأذى بالآذى  
وصيرني يائس من الناس راجياً  
وموسى بن عبد الله هو القاتل :

تولت بهجة الدنيا  
وخان الناس كلهم  
رأيت معالم الخيرا  
فلا حسب ولا نسب  
فلست مصدق الأقوا  
م في شيء وإن صدقوا

بعض أخبار  
موسى

وكان للنصور حبة نخر وجهه عليه مع أخويه ، ثم ضرب بألف سوطه ، فما  
نطق بحرف واحد : فقال الربيع : عذرت هؤلاء القساق في صبرهم ؛ فما بال  
هذا الفتى الذى نشأ فى النعمة والدعة ؟ قال :

لأنى من القوم الذين يريدون  
وولدت هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمة موسى ، ولها ستون سنة ،  
ولا يعلم امرأة ولدت بنت ستين سنة إلا قرشية .

اجتاز على بن محمد العلوى بالجسر بمحذنان<sup>(١)</sup> قتل عمر بن يحيى بن عبد الله  
ابن الحسين ، وقاتله الحسين بن إسماعيل هناك قد جرد رجالا للقتل ، فلما رأت  
أم الرجل عليها سألته أن يشفع فيه ، قال على<sup>(٢)</sup> إلى الحسين فأنشده :

بين على بن  
محمد العلوى  
والحسين بن  
إسماعيل

(١) الخلق - يفتحان - البالى .

(٢) حدثان الأمر : أوله ، وهو بكسر الحاء وسكون الدال - والباء بمعنى فى (م)

قُلْتُ أَرَمَنْ رَكِبَ اللَّطَايَا وَجُئْتُكَ أَشْتَلَيْتُكَ بِالْكَلَامِ  
وَعَزَّ عَلَى أَنْ أَتَاكَ إِلَّا وَفِيَا بَيْنَا حَدُّ الْخَتَامِ  
وَلَكِنَّ الْجَنَاحَ إِذَا أُحْيِيَتْ قَوَادِمُهُ يَرْفُ عَلَى الْإِسْكَامِ<sup>(١)</sup>  
قَالَ لَهُ : وَمَا حَاجَّتُكَ ؟ قَالَ : الْغَوُّ عَنْ ابْنِ هَذِهِ الرَّأَةِ افْتَرَكَهُ .

وَسُئِلَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ رَجُلٍ ، قَالَ لَجَلِيصِهِ : أَطْرَبُ مِنَ الْإِبْلِ عَلَى  
الْخُدَّاءِ ، وَمَنْ الْمَثَلُ عَلَى الْفِتَاءِ .

العباس بن  
الحسين  
المهاشمي

وَذَكَرَ الْعَبَّاسُ رَجُلًا قَالَ : مَا الْجَاهُ عَلَى الْأَخْرَارِ ، وَطُولُ السَّعَمِ فِي  
الْأَشْفَارِ ، وَعِظَمُ الدَّيْنِ عَلَى الْإِحْتَارِ ، بِأَشَدِّ مِنْ لِقَائِهِ .

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ لِلْأَمُونِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ لَسَانِي يَنْطَلِقُ  
بِمَدْحِكَ غَائِبًا ، وَقَدْ أُحْيِيْتُ أَنْ يَتَزَيَّدَ عِنْدَكَ حَاضِرًا ، أَتَأْذَنُ لِي يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلَامِ ؟ قَالَ لَهُ : قُلْ ؛ فَوَاقَهُ إِنَّكَ لَتَقُولُ فَخْصِينَ ، وَتَخْصُرُ  
قَتْرَبِينَ ، وَتَتِيْبُ فُتُوْخَيْنِ ، قَالَ : مَا بَعْدَ هَذَا كَلَامٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَتَأْذَنُ  
بِالسَّكُوتِ ؟ قَالَ : إِذَا شِئْتُ .

وَذَكَرَ رَجُلًا بَلِيغًا قَالَ : مَا شَبَّهْتُ كَلَامَهُ إِلَّا بِشَبَابٍ يَنْهَالُ بَيْنَ رِمَالٍ ،  
وَمَا يَنْغُلُ بَيْنَ جِبَالٍ .

وَسَمِعَ الْمُتَتَبِعُ بْنُ نَهْجَانَ كَلَامَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : هَذَا كَلَامٌ  
يَذَلُّ سَائِرَهُ عَلَى غَايِرِهِ<sup>(٢)</sup> وَأَوَّلُهُ عَلَى آخِرِهِ .

وَسَأَلَ الْأَمُونُ الْعَبَّاسَ بْنَ الْحُسَيْنِ عَنْ رَجُلٍ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ لَهُ حِلْمًا وَأَنَاةً ،  
وَلَمْ أَسْمَعْ لَحَنًا وَلَا إِحَالَةً<sup>(٣)</sup> ؛ يَمْدَحُكَ الْحَدِيثَ عَلَى مَطَاوِيهِ<sup>(٤)</sup> ، وَيُنَشِّدُكَ الشُّعْرَ  
عَلَى مَدَارِجِهِ .

(١) القوام: مقدم الرضى ، ولا كذلك الخوافى ، والإكام : جمع أكمة .

(٢) سائرهُ : باقيه ، وغايِرهُ : ماضيه (٣) الإحالة: التكلم بالحال

(٤) على مطاويه: على خفاياه

وكان للآمون يقول : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ لَهَوًا بَلَا حَرْجَ فَلْيَسْمَعْ كَلَامَ الْعَبَّاسِ  
وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ مِنْ أَشْتَرِ الْمَشْمِينَ ؛ وَهُوَ يُدْعَى طَبَقَةَ إِبْرَاهِيمَ

ابن المهدي ، وهو القاتل :

أَتَاكَ لَكَ الْمَوِي بِبَيْضِ حِثَانٍ      سَيِّئَتِكَ بِالْعِيسُونَ وَبِالشُّعُورِ<sup>(١)</sup>  
نَظَرْتُ إِلَى النُّحُورِ فَكَلَّمْتُ تَقْفِي      وَأَوَّلَى لَوْ نَظَرْتُ إِلَى الْخُصُورِ<sup>(٢)</sup>

وهو القاتل أيضاً :

صَادَتْكَ مِنْ بَعْضِ الْقُصُورِ      بَيْضُ نَوَاعِمُ فِي الْخُصُورِ  
حُورٌ تَحْمُورُ إِلَى صَبَا      كَ بَاعَيْنِ مِنْهُنَّ حُورِ<sup>(٣)</sup>  
وَكَاثِمًا بَنِي سُوْرَهْنَ      جَنَى الرُّضَابِ مِنَ الْخُجُورِ<sup>(٤)</sup>  
يَتَصَبَّحْنَ تَفْاحِ الْخُصُورِ      دِ بِنَاءِ رُفَاتِ الصُّدُورِ

وهو : العباسُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عبيدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأُمُّ عبيدِ اللَّهِ جَدَّةُ بِنْتُ عبيدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمُّ  
مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَبِي الْخَلَفَاءِ .

وكان الرشيدُ واللامونُ يُقَرَّبَانِ الْعَبَّاسَ غَايَةَ التَّضَرُّبِ ؛ لِتَسْبِيهِ وَأَدْبِهِ ؛  
قَالَ أَبُو دَلْفٍ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ فِي طَارِمَةِ عَلَى طَنْفَسَةٍ<sup>(٥)</sup> وَمَعَهُ عَلَيْهَا شَيْخٌ  
جَمِيلٌ الْمَنْظَرُ ؛ قَالَ لِي الرَّشِيدُ : يَا قَاسِمُ ؛ مَا خَبَرُ أَرْضِكَ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
خَرَابٌ يَبْكَ ، أَخْرَجَهَا الْأَكْرَادُ وَالْأَعْرَابُ . قَالَ قَاتِلُ : هَذَا آفَةُ الْجَبَلِ ،  
وَهُوَ أَفْسَدُهُ ، قُلْتُ : أَنَا أَصْلَحُهُ ، قَالَ الرَّشِيدُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : أَفْسَدَتْهُ  
وَأَنْتَ عَلَى أَصْلَحِهِ وَأَنْتَ مَعِي ! قَالَ الشَّيْخُ : إِنْ هَمَّتْ لَتَرِي بِهِ مِنْ وَرَاءِ سَنَةِ

(١) أُلَاحَ : هَيَّا ، وَسَيِّئَتِكَ : أَسْرَنَكَ (م) (٢) تَقْفَى : تَهْلِكُ .

(٣) حُورٌ : تَمِيلُ (٤) الرُّضَابُ : الرِّيقُ

(٥) الطَّارِمَةُ : بَيْتٌ مِنْ خَشَبٍ كَالْقَلْبَةِ

مَرَمَى بَعِيداً ؛ فَسَأَلَتْ عَنْ الشَّيْخِ قَبِيلَ : الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ أَبُو دُفْلَفَ  
ذَلِكَ الْوَقْتِ صَغِيرَ السِّنِّ .

وَلَقِيَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ <sup>(١)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحَمَّدَ بْنَ الرَّشِيدِ الْأَمِينِ بِالْمَدِينَةِ وَمُوسَى  
بَيْنَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَالْفَضْلِ بْنِ الرِّبِيعِ : عَاتَبَ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : كَيْفَ لَقِيتَ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذِهِ الدَّابَّةِ الَّتِي إِنْ طَلَبَتْ عَلَيْهَا لَمْ تَسِيْقْ ، وَإِنْ طُلِبَتْ عَلَيْهَا  
تَلْحَقُ ، قَالَ : لَسْتُ أَحْتَاجُ أَنْ أُطَلَّبَ ، وَلَا إِلَى أَنْ أُطَلَّبَ ؛ وَلَكِنَّهَا دَابَّةٌ تَنْحُطُ  
عَنْ خَيْلَاءِ الْخَلِيلِ ، وَتَرْتَفِعُ عَنْ ذِلَّةِ الْمُتَوَكِّلِ <sup>(٢)</sup> ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا .

أَصِيبَ عَلَى بْنِ مُوسَى بِمَصِيبَةٍ ، فَصَارَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : إِنَّا لَمْ نَأْتِكَ  
مُتَزِينَ ؛ بَلْ جِئْنَاكَ مُفْتَدِينَ ؛ فَاجْلُدْهُ اللَّهُ الَّذِي جَمَلَ حَيَاتِكُمْ لِلنَّاسِ رَحْمَةً ،  
وَمَصَاتِبِكُمْ لَهُمْ قُدُوةً .

وَكَانَ عَلَى بْنُ مُوسَى الرِّضَا رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ وُلَّاهُ الْمَأْمُونُ عَهْدَهُ ، وَعَقَدَ لَهُ الْخُلَافَةُ  
بَعْدَهُ ، وَزَعَّ السَّوَادَ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَأَمَرَهُمْ بِلِبَاسِ الْخُضْرَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَمَاتَ عَلَى بْنِ مُوسَى  
فِي حَيَاةِ الْمَأْمُونِ بَطُوسٌ ، فَشَقَّ [ الْمَأْمُونُ ] قَبْرَ الرَّشِيدِ وَدَفَّنَ فِيهِ تَبْرَكَ بِهِ ،  
وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ مَاتَ بَطُوسٌ فَدَفَّنَ هُنَاكَ <sup>(٤)</sup> ؛ وَلَقَدْ قَالَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُرَاعِيُّ :  
أَرْزَنُ بَطُوسٍ عَلَى قَبْرِ الزُّكِيِّ بِهَا . إِنْ كُنْتُ تَرْبِعُ مِنْ دِينَ عَلَى وَطَرٍ <sup>(٥)</sup>  
مَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قُرْبِ الزُّكِيِّ ، وَلَا عَلَى الزُّكِيِّ قُرْبَ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرٍ  
هِيَ بَاتِ كُلُّ أَمْرٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبْتَ لَهُ يَدَاهُ فَتُخَذُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ فَذَرِ

(١) كَانَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَإِمَامًا مُقَدِّمًا فِي الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ  
وُلِدَ فِي الْأَبْوَاءِ - قَرِبَ الْمَدِينَةِ - سَنَةَ ١٢٨ وَتَوَفَّى فِي بَغْدَادَ سَنَةَ ١٨٣ (أ) الْعَمِيرُ : الْحَارِثُ  
(٣) وَكَانَ لِبَاسُ الْخُضْرَةِ شِعَارَ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَكَانَ مِنْ أَرْزَعِ السَّوَادِ عَنْ بَنِي  
الْعَبَّاسِ أَنْ اضْطَرَبَ الْعِرَاقُ ، وَثَارَ أَهْلُ بَغْدَادَ ، فَغَلَمُوا الْمَأْمُونُ وَهُوَ بَطُوسٌ وَبَايَعُوا أَمَّهُ  
لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّيِّ ، فَصَدَّهُمُ الْمَأْمُونُ بِحَيْثِهِ ، فَاخْتَبَأَ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ اسْتَسْلَمَ وَعَفَا عَنْهُ الْمَأْمُونُ .  
(٤) كَانَتْ وَفَاةُ عَلَى بْنِ مُوسَى سَنَةَ ٢٠٣ (٥) رُبِعٌ : أَقَامَ ، وَالْوَطَرُ : الْحَاجَةُ

قبران في طُوس : خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وقبر شَرِّهِمْ ، هَذَا مِنَ الْعَبَرِ  
وكان دَعْبِل مَداحاً لِأَهْلِ الْبَيْتِ ، كَثِيرُ التَّعْصِبِ لَهُمْ ، وَالْفُؤَادُ فِيهِمْ . وَلَهُ  
لِلرِّثَةِ الْمَشْهُورَةِ ، وَهِيَ مِنْ جَيْدِ شَعْرِهِ ، وَأَوَّلُهَا :

رثاء دَعْبِل  
لَأَلِ الْبَيْتِ  
مَدَارِسَ آيَاتٍ غَفَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَخِي مُقْفَرُ الْقِرْصَاتِ (١)  
لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَلِيفِ مِنْ مَنِي وَبَالِيَتِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ  
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالحُسَيْنِ وَجَنَفَرِ وَحِزَّةِ وَالسَّجَادِ ذِي الثَّنَائَاتِ  
قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَتْ أَهْلَهَا مَتَى عَهْدُهَا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ  
وَأَيْنَ الْأُولَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى أَفَانِينَ فِي الْأَفَاقِ مُفْقَرَاتِ (٢)  
أَحِبُّ قَعَمِي الدَّارِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِمْ وَأَهْجُرُ فِيهِمْ أُسْرَتِي وَفَقَاتِي  
وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

يُنِ دَعْبِل  
وَاللَّامُونُ  
ولما دخل اللَّامُونُ بَنَدَادُ أَخْضَرَ دَعْبِلًا بَدَأَ أَنْ يُعْطَاهُ الْأَمَانَ ، وَكَانَ قَدْ  
هَجَاهُ وَهَجَا أَبَاهُ ، قَالَ : يَادَعْبِلُ ، مِنَ الْخَضِيزِ الْأَوْهَدِ ! قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
قَدْ غَضِبْتَ عَنِّي هُوَ أَشَدُّ جُرْمًا مِنِّي ! أَرَادَ اللَّامُونُ قَوْلَ دَعْبِلِ يَهْجُوهُ :  
إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُفْنُهُمْ قَطَلَتْ أَخَاكَ وَشَرَفَتْكَ بِمَقْعَدِ  
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طَوْلِ مُخُولِهِ . وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الْخَضِيزِ الْأَوْهَدِ  
يَفْتَخِرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصَنَّبِ ذِي الْيَمِينِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا ،  
وَطَاهِرَ مَوْلَى نَزْرَاعَةَ ، فَاسْتَنْشَدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الثَّانِيَةَ (٣) ، فَاسْتَمَعَاهُ ، قَالَ : لَا بَأْسَ  
عَلَيْكَ ، وَقَدْ رَوَيْتَهَا ، وَإِنَّمَا أَحْبَبْتَ أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْكَ ، فَأَنْشَدَهَا دَعْبِلُ ؛ فَلَمَّا  
انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

أَلَمْ تَرَأْنِي مِثْلَ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أَرْوَحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ

(١) الرِّمَاتُ : السَّاحَاتُ (٢) غُرْبَةُ النَّوَى : بَعْدُ  
(٣) فِي اللَّطَبَاتِ كُلِّهَا « الثَّانِيَةِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا أُثْبِتَاهُ (م) .

أرى فَيَنهم في غيرهم مُتَّصِمًا      وأيديهم من فيهم صِفَرَات<sup>(١)</sup>  
 إذا وُبروا مَدوا إلى أهل وِزْم      أَكْفًا عن الأوتار مُنْقَبَضَاتِ  
 وآلُ رسول الله نُحِفَ جُسُومهم      وآل زياد غُلْظُ القَصَراتِ<sup>(٢)</sup>  
 بناتُ زيادٍ في القصورِ مَعُونَةٌ      وبنت رسول الله في الفلواتِ  
 بكى المأمون ، وجدَّ دله الأمان ، وأحسن له الصَّلَّة .

والشيء يستدعى ما قرع بابه ، وجذب أهدابه<sup>(٣)</sup> ، قال سليمان بن قتبية :  
 لم يمسد الله الديارَ وأهلها      لم يمسد آل عميدٍ  
 فمَرَّتْ على آيات آل عميدٍ      فلم أرَ ما عَهْدِي بها يوم حُلَّتْ<sup>(٤)</sup>  
 فلا يمسد الله الديارَ وأهلها      وإن أصبحت من أهلها قد تَخَلَّتْ<sup>(٥)</sup>  
 وكانوا رجاءً ثم عادوا رِزِيَةً      ألا عَظُمْتَ تلك الرِزَايا وجَلَّتْ<sup>(٦)</sup>  
 وإن قَتَلَ العُفَّ من آلِ هاشمٍ      أذلَّ رَقَابَ المسلمين فَذَلَّتْ<sup>(٧)</sup>  
 ويشبه قوله : « وكانوا رجاءً ثم عادوا رزية » قول امرأة من العرب مرَّتْ  
 بالجرس بجثة جعفر بن يحيى البرمكي مَعْلُوبًا<sup>(٨)</sup> ؛ فقالت : لئن أصبحت نهاية في  
 البلاء ، لقد كنت غاية في الرجاء .

### الفاظ لأهل العصر في أوصاف الأشراف

لها في هذا للوضع مَوَاقِع

فلان من شَرَفِ العنصرِ الكريم ، ومعدن الشرف الصميم . أصل راسخ ،

- 
- (١) صفرات : خاليات (٢) القصرات : أصول النقب ، جمع قصرة بفتحين  
 (٣) هكذا وقع هذا الكلام في النسخ التي بأيدينا والظاهر أن سقطت بعض عبارات  
 يراد بها التمهيد للمضي في ذكر بعض الشواهد التي تتحدث عن بكاء أهل البيت .  
 (٤) رواية الحماسة « فمأرهما مثلها » (٥) رواية الحماسة « وإن أصبحت منهم برغمي  
 تَخَلَّتْ » (٦) رواية الحماسة « وكانو غيائنا » (٧) العف : موضع قرب الكوفة ، ورواية  
 الحماسة : « إلا إن قتل العف من آل هاشم أذلت » (٨) جعفر بن يحيى : كان وزير  
 الرشيد ، يرمو بنقض في الدولة لما شاء ، إلى أن ثار الرشيد بالرامكة قتلته فيمن قتل منهم ،  
 وكان جعفر فصيح النطق بليغ القول ، ولد في بغداد سنة ١٥٠ ، وتوفي سنة ١٨٧

وفرع شامخ ، ومجددٌ بآذخ<sup>(١)</sup> ، وحَسَبُ شاذخ .

فلان كريمُ الطرفين ، شريفُ الجانبين ، قد رَكِبَ الله دَوْحَتَهُ في قرارة  
الْجَدْرِ ، وغَرَسَ نَبْتَهُ في محلِّ القُضْلِ . أصلُ شريف ، وعِرْقُ كريم ، ومَغْرَسُ  
عظيم ، ومَغْرَزُ صميم . الجدلُ لسانُ أوصافه ، والشرفُ نَسَبُ أسلافه . نسبُ فَخْمٍ ،  
وشرفُ ضَخَمٍ . يستوفى شرفَ الأرومة<sup>(٢)</sup> بكرم الأبوَّة والأُمومة ، وشرف  
الْخَوْلَةِ والعُمومة . ما أَتَتْهُ الْحَاسِنُ عن كَلَالَةٍ<sup>(٣)</sup> ، ولا ظَفِيرٍ بالهدى عن ضلالة ،  
بل تناول المجدَّ كابرًا عن كابر ، وأخذ الفخرَ عن أسيَرَةٍ ومنابر :

شرفٌ تَنَقَّلَ كابرًا عن كابر كالرمح أنبوا على أنوب<sup>(٤)</sup>

استقى عِرْقَهُ من منبعِ النبوة ، ورضعت شجرَتَهُ من ثُدَيِ الرسالة ، وتمهدت  
أغصانه عن نَبْهة الإمامة ، وتبججت أطرافُهُ في عَرَصَةِ الشرفِ والسيادة<sup>(٥)</sup> ،  
وتفقات بيضته عن سُلالةِ الظهارة<sup>(٦)</sup> ، قد جذِبَ القرآنُ بَضْبِهِ<sup>(٧)</sup> وشقَّ الرُوحَى عن  
بصره وشمِّه ، مختار من أكرمِ المناسب ، منتخَب من أشرفِ الناصر ، مُرْتَفَعٍ  
من أعلى المهاد<sup>(٨)</sup> ، مُؤَثَّر من أعظمِ المشائر ، قد وِثِرَ الشرفَ جامعًا عن جامعٍ ،  
وشهد له نداه الصوامع ، هو من مَنَصَّر في سُوَيْدَاء قَلْبِهَا ، ومن هاشم في سَوَادِ  
طَرَفِهَا ، ومن الرسالة في مَهَبِطٍ وَخِيَّهَا ، ومن الإمامة في موقف عَزَّهَا ، ينزع إلى  
الحامِدِ بنفسِ وعِرْقٍ ، وينحني إلى المكارمِ بوراةٍ وخلقٍ ؛ يتناسب أصلُهُ وقَرَعُهُ ،  
ويتناصف تجرُّهُ وطَبْئُهُ ، وهو الطَّيِّبُ أصلُهُ وقَرَعُهُ ، الزَّاكِي بذره وزَرَعُهُ ، يجمع

(١) شامخ وباذخ وشاذخ : مترادفات بمعنى عال (٢) الأرومة : الأصل .

(٣) الكلاله : ماعدا الولد والوالد من الأقرباء (٤) الأنوب : القصة

(٥) تبججت : تمكنت ، والمرصة : الساحة (٦) تفقات : فطحت

(٧) جذِب بضمه : نوه به

(٨) المناسب : جمع منسب ، والناصر : جمع عنصر ، والمهاد : جمع مهد ،

وكُلها بمعنى الأصل (م)



إلى عزّ النصاب، مزية الآداب، لا غزو أن يجرى الجواد على عرقه، وتلوح محابيل  
 الليث في شبّله، ويكون التجيب قرعاً مشيداً لأصله. له مع نباهة شرفه، نزاهة  
 سلفه، ومع كرم أرومته وحزمه، مزية أدبه وعلمه، لن تخلف ثمرة غرس ارتيد  
 لها من المنابت أزكاه، ومن المنارس أطيبها وأغذاها وأنماها؛ قد جمع شرف  
 الأخلاق، إلى [شرف الأعراق، وكرم الآداب، إلى] كرم الأنساب؛ له في المجد  
 أول وآخر، وفي السكرم تليد وطارف، وفي الفضل حديث وقديم؛ لا غزو أن  
 ينضم فضله، وهو نجل الصيد الأكارم، أو يغزر علمه وهو فيض البحور الخضارم<sup>(١)</sup>  
 دوحه رَسب عرقها، وسمق فرعها<sup>(٢)</sup>، وطاب عودها، واعتدل عمودها،  
 وتفتأت ظلالها، وتهدأت ثمارها، وتفرغت أغصانها، وبرد مقيلها. يمجّد  
 يلحظ الجوزاء من عال، ويطول النجم كلّ مطال. شرف تضع له الأفلاك  
 خدودها وجباها، وتلثم النجوم أرضه بانفواها وشفاها. نسب المجد به  
 عريق، وروض الشرف به أنيق. ولسان الثناء بفضله نطوق. فلك المجد عليه  
 يدور، ويد الشلا إليه تشير. محله شاقق، ومجده باسق.

(١) الخضارم: جمع خضرم بكسر الخاء والراء، وهو الواسع (٢) سمق: ارتفع

## بدء الكتاب

الكلام في  
حمد الله

قد تمَّ ما استفتحت به التأليف ، وجعلته مقدمة التصنيف ، مع ما اقترن به ،  
وانضاف إليه ، والتف به ، وانمطف عليه ، ورأيتُ أن أبتدىء مقدمات  
البلاغات بفرر التحاميد وأوصافها<sup>(١)</sup> ، وما يتعلق بأثنائها وأطرافها .

وقد قال سهل بن هارون في أول كتاب عمله : يجب على كل مبتدىء  
مقالة أن يبتدىء بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بديء بالنعمة قبل استحقاقها .  
ولأهل العصر : أولى ما فخر به الناطقُ فيه<sup>(٢)</sup> واقتبح به كليمه ، حمدُ الله  
جل ثناؤه ، وتقديسُ أسمائه . حمدُ الله خيرُ ما ابتدىء به القول وختم ،  
وافتح به الخطابُ وتتم .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله : إنَّ الله جل ثناؤه لا يمثَّلُ بنظير ،  
ولا يُغلبُ بظهير<sup>(٣)</sup> ، جلَّ عن موقع تحصيل أدوات البشر ، ولطَّفَ عن الحافظ  
خطرات الفكر ، لا يُغْنَدُ إلا بتوفيقٍ منه يفتضى حداً ، فحقُّ تعصى نماؤه ،  
وكفاؤُ الآلوه ؟ عجزَ أقصى الشكر عن أداء نعمته ، وتضائل ما خلق في  
سمو قدرته ؛ قدرَ فقَدَّر ، وحكم فأحكم ؛ وجعل الدين جامعاً لشملي  
عباده ، والشرائع مَناراً على سبيل طاعته ؛ يَتَّبِعُهَا أهل اليقين به ، ويمجِّدُ  
عنها أهلُ الشك فيه .

أخذ أبو العباس قوله : « ولا يحمَدُ إلا بتوفيقٍ منه يقتضى حداً » من قول  
محمود بن الحسن الوراق :

إذا كانُ شُكْرِي نعمةَ اللهِ رِثْمةً      علىَّ له في مثْلِها يجبُ الشُّكْرُ  
فكيف بلوغُ الشُّكْرِ إلا بفضلِهِ      وإن طالت الأيامُ واتَّصلَ العمرُ

(١) كذا في المطبوعات كلها ، ولو كان « وأوصافها » لكان أطرف ، وإن لم  
يتم بالتسبيح على الشائع من طريقة المؤلف (م) (٢) قرر : فتح (٣) الظهير : المين

إذا عمَّ بالسَّراء عمَّ سرورها      وإن مَسَّ بالضراء أعقَبها الأجرُ  
فما منها إلا له فيه رِثمةٌ      تَضيقُ بها الأوهامُ والبُحرُ  
وإنما أخذه محمود من قول أبي التَّاهية :

أحمد الله فهو المنى المحمدُ على الحمد والمزيدُ لَدَيْهِ  
كم زمانٍ بكيتُ فيه فلما      صرْتُ في غيره بكيتُ عليه  
وقد اضطربت الروايةُ في هذين البيتين وقائلهما، وهذا البيت الثاني كثيرٌ<sup>(١)</sup>،  
قال إبراهيم بن العباس :

كذلك أيامنا لاشكَّ نندُبها      إذا تَقَضَّتْ وعنَّ التَّيَوْمُ تَشْكُروها  
آخر :

وما رمَّ يومٍ أرتجى فيه راحةً      فأقْدَهُ إلا بكيتُ على أمرٍ  
ومحمود هو القائل أيضاً :

من شعر  
محمود الوراق

تَمِصِي الإلهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ      هَذَا مَحَالٌ فِي الْقِيَامِ بَدِيعُ  
لو كان حُبُّكَ صادقاً لَأُطْفِئَتْ      إِنَّ الْحُبَّ لَمِنْ أَحَبِّ مَطِيعُ  
وكان كثيراً ما ينقلُ أخبارَ الماضين ، وحِكَمَ المتقدمين ، فيحلى بها  
نظامه ، ويُرِيُّ بها كلامه ، وهو القائل :

إِنِّي وَهَيْتُ لظَالِي ظُلْمِي      وَشَكَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي  
ورأيتُه أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا      لَمَّا أَبَانَ بِجَهْلِهِ حِلْمِي  
رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ ، وَلِي      فَضْلُ فُضَادٍ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ  
فكأنما الإخْتَانُ كانَ لَهُ      وَأَنَا السَّيْءُ إِلَيْهِ فِي الزَّعْمِ  
ما زال يَغْلِيْنِي وَأَرْحَمُهُ      حَتَّى رَتَيْتُ لَهُ مِنَ الظَّالِمِ

(١) يريد أن الشعراء ردوا هذا للمنى كثيراً . ومن جيد ماصور به هذا المنى  
قول سعيد بن جريد :

لم أبك من زمن ذمت صروقه      إلا بكيت عليه حين يزول

وهو القائل :

أرأني إذا ما ازددتُ مالا وثروةً      وخَيْراً إلى خَيْرٍ تَزِيدْتُ في الشرِّ  
فكيف بَشْكْرِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا      أقومُ مقامَ الشُّكْرِ لله بالكُفْرِ  
بأَيِّ اعتذارٍ أوْ بآيَةٍ حُجَّةٍ      يقولُ الذي يدري من الأمرِ ما أدري  
إذا كان وجهُ العَذْرِ ليس يَبِينُ      فَإِنَّ أطْرَاحَ العَذْرِ خَيْرٌ من العَذْرِ

[ البيان والبلاغة ]

ولابن المعتز: البيان ترجمان القلوب، وصيقل العقول، ومجلى الشبهة،  
في فضل البيان موجب الحجة، والحاكم عند اختصام الظنون، والمفرق بين الشك واليقين،  
وهو من سلطان الرُّسُل الذي اتَّقاد به المصمب<sup>(١)</sup>، واستقام الأُصَيْد<sup>(٢)</sup>،  
وبُهِت الكافر، وسَلَّم الممتنع، حتى أَشْبَ الحقُّ بأنصاره<sup>(٣)</sup>، وتَخَلَّ رَنَجُ الباطلِ  
من عُجَّارة؛ وخيرُ البيان ما كان مصرِّحاً عن المعنى؛ يُسَرِّع إلى الفهم تلقيةً،  
وموجزاً ليخفَ على اللفظ تعاطيه.

وفَضْلُ القرآن على سائر الكلام معروفٌ غيرٌ مجهول، وظاهرٌ غيرٌ خفي؛  
يشهدُ بذلك نَجْمُ المتعاطين، ووَهْنُ المتكفين<sup>(٤)</sup>، وتَعَبُّرُ الكذابين، وهو المبلغُ  
الذي لا يُبل، والجديد الذي لا يَخْلُق<sup>(٥)</sup>، والحقُّ الصادع، والنورُ الساطع،  
والماسحُ لظلم الضلال، ولسانُ الصِّدْقِ النافي للكذب، ونذيرُ قَدَمَتِهِ الرحمةُ  
قبل الهلاك، وناعيُ الدنيا المنقولة، وبَشِيرُ الآخرةِ المخلَّدة، ومِفْتَاحُ الخير، ودليلُ  
الجنة. إنْ أَوْجَزَ كان كافياً، وإنْ أَكْثَرَ كان مُدْكَراً، وإنْ أَوْماً<sup>(٦)</sup> كان  
مُفْهِماً، وإنْ أَطْلَلَ كان مُفْهِماً، وإنْ أَمَرَ فَنَاصِحاً، وإنْ حَكَمَ فَمَدِيداً، وإنْ أَخْبَرَ  
فَصَادِقاً، وإنْ بَيَّنَّ فَنَاصِحاً، سَهْلٌ على الفهم، صَمْبٌ على المتعاطي<sup>(٧)</sup>، قَرِيبُ التَّأَخُّدِ،

فضل القرآن  
على سائر  
الكلام

(١) الصمب: القمحل الصمب القياد. وفي الأصل «المستصمب» وأرجح أنه مخرف  
(٢) الأُصيد: اللاتل العنق كبرا (٣) أشب: تجمع وقوى (٤) الوهن: الضعف (٥)  
(٥) لا يخلق: لا يلي (٦) أوماً: أشار (٧) يريد بالمتعاطي التكلف مجاراته (٨)

بيدُ اللّام ، سِرَاجٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ الْقُلُوبُ ، حُلُوهٌ إِذَا تَذَوَّقْتَهُ الْقَوْلُ ، بَخْرٌ الْعُومُ ،  
وَدِيْوَانُ الْحُكْمِ ، وَجَوْهَرُ الْكَلَمِ ، وَزُجَرَةُ الْمُتَوَسِّمِينَ ، وَرَوْحُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ ،  
فَخَضَمَ الْبَاطِلَ ، وَصَدَعَ بِالْحَقِّ ، وَتَأَلَّفَ مِنَ الثُّغْرَةِ ، وَأَنْقَذَ مِنَ الْهَلَكَةِ . فَوَصَلَ  
اللَّهُ لَهُ النِّصْرَ ، وَأَضْرَعَ بِهِ خِذَّ الْكُفْرِ <sup>(١)</sup> .

قال علي بن عيسى الرمانى <sup>(٢)</sup> : الْبَلَاغَةُ مَا خُطَّ التَّكْلُفُ عَنْهُ <sup>(٣)</sup> ، وَبُنِيَ عَلَى النَّبِيِّينَ ، تَفْسِيرُ الرِّمَانِ  
لِلْبَلَاغَةِ  
وَكَانَتِ الْفَائِدَةُ أَغْلَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَافِيَةِ ، بَأَن تَجَمَّعَ مَعَ ذَلِكَ سَهُولَةُ الْخُرْجِ ، مَعَ قُرْبِ  
الْتِمَازِ ؛ وَعُذُوبَةُ الْفَلْظِ ، مَعَ رَشَاقَةِ الْمَعْنَى ؛ وَأَن يَكُونَ حُسْنُ الْإِبْتِدَاءِ كَحُسْنِ  
الْإِتْمَاءِ ، وَحُسْنِ الْوَصْلِ ، كَحُسْنِ الْقَطْعِ ، فِي الْمَعْنَى وَالسَّمْعِ ، وَكَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ  
قَدْ وَقَعَتْ فِي حَقِّهَا ، وَإِلَى جُنْبِ أَخْتِهَا ، حَتَّى لَا يَقَالَ : لَوْ كَانَ كَذَا فِي مَوْضِعٍ  
كَذَا لَكَانَ أَوَّلِي ! وَحَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِ لَفْظٌ مُخْتَلِفٌ ، وَلَا مَعْنَى مُسْتَكْرَهَةٌ ؛  
ثُمَّ أَلْبَسَ بَهَاءَ الْحِكْمَةِ ، وَنُورَ الْمَرْفَعَةِ ، وَشَرَفَ الْمَعْنَى ، وَجَمَزَ اللَّفْظَ ، وَكَانَتْ  
حُلَاوَتُهُ فِي الصَّدْرِ وَجَلَالَتُهُ فِي النَّفْسِ تَتَّقَى الْقَهْمَ ، وَتَنْتَرِذُ دَقَائِقَ الْحُكْمِ ، وَكَانَ  
ظَاهِرُ النِّفْعِ ، شَرِيفَ الْقَصْدِ ، مُعْتَدِلَ الْوِزْنِ ، جَمِيلَ الْمَذْهَبِ ، كَرِيمَ الْمَطْلَبِ ،  
فَصِيحًا فِي مَعْنَاهُ ، بَيِّنًا فِي فِعْوَاهُ ؛ وَكُلُّ هَذِهِ الشَّرُوطِ قَدْ حَوَاهَا الْقُرْآنُ ، وَلَهَذَا  
عَجَزَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ جَمِيعُ الْأَنَامِ .

#### (١) أَضْرَعَ : أَذَلَّ

(٢) وَكَانَ يُعْرَفُ أَيْضًا بِالْإِخْشِيدِ ، وَبِالْوَرَاكِ ، وَهُوَ بِالرِّمَانِيِّ أَشْهَرُ - كَمَا ذَكَرَ  
السِّيُوطِيُّ فِي بَيِّنَةِ الْوَعَاةِ - كَانَ إِمَامًا فِي الْعَرَبِيَّةِ عِلَامَةً فِي الْأَدَبِ فِي طَبَقَةِ الْفَارَسِيِّ وَالسِّيَرَانِيِّ  
وَكَانَ يَمْزِجُ النَّحْوَ بِالْمُنْطَلَقِ حَتَّى قَالَ الْقَارِسِيُّ : إِنْ كَانَ النَّحْوُ مَا يَقُولُهُ الرِّمَانِيُّ فَلَيْسَ  
مَعْنَاهُ شَيْءٌ ، وَإِنْ كَانَ النَّحْوُ مَا يَقُولُهُ نَحْنُ فَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ . وَكَانَ مَقْرَبًا لِجَمِيلِ  
جَمَلِ الْكَلَامِ . وَلَدَ سَنَةَ ٢٧٦ وَتَوَفَّى فِي ١١ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ٣٨٤

(٣) الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْكَلَامِ الْبَلِيغِ الْفَهْمِ مِنَ الْبَيَانِ

## ألفاظ لأهل المصر في ذكر القرآن

القرآن حَبْلُ اللَّهِ الممدود، وعَهْدُهُ الممدود، وظَلُّهُ الميم، وصِرَاطُهُ المستقيم، وَحُجَّتُهُ الكبرى، ومحجته الوُسْطَى، وهو الواضح سبيله، الراشد دليله، الذي مَنْ استضاء بمصابيحه أَبْصَرَ ونَجَا، وَمَنْ أَعْرَضَ عنه ضَلَّ وهَوَى؛ فضائل القرآن لَا تُسْتَفْقَى فِي أَلْفِ قَرْنٍ، حجة الله وعَهْدُهُ، ووَعِيدُهُ ووَعْدُهُ، به يعلمُ الجاهلُ، ويعملُ المايلُ، وينتَبِه الساهي، ويتذَكَّرُ اللاهي، بِشَيْرِ الثواب، وَنَذِيرِ العقاب، وشفاة الصدور، وَجَلَاءَ الأمور؛ من فضائله أَنَّهُ يُقْرَأُ دَائِمًا، وَيُكْتَبُ، وَيُمْلَى، وَلَا يَمَلُّ. ما أَهْوَنَ الدُّنْيَا عَلَى مَنْ جَلَّ القرآنُ [إمامه، وتصور الموت أمامه، طوبى لمن جَلَّ القرآنُ] مصباحَ قَلْبِهِ، ومفتاح لُبِّهِ. من حق القرآن حِفْظُ ترتيبه، وحسنُ ترتيله.

قال بعض الحكماء: الحكمة مُوقِفَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ سِنَةِ<sup>(١)</sup> النَفْثَةِ، وَمُنْقِذَةٌ لِلْبَصَائِرِ مِنْ سَكْرَةِ الْخَيْرَةِ، وَوَحْيِيَّةٌ لَهَا مِنْ مَوْتِ الْجَهْلَةِ، وَمُسْتَخْرِجَةٌ لَهَا مِنْ ضَيْقِ الضَّلَالَةِ؛ وَالْعِلْمُ دَوَاءٌ لِلْقُلُوبِ الطَّيْلَةِ، وَمُسْحَدٌ لِلْأَذْهَانِ الْكَلِيلَةِ<sup>(٢)</sup>، وَنُورٌ فِي الظُّلَّةِ، وَأَنْسٌ فِي الْوَحْشَةِ، وَصَاحِبٌ فِي الرَّحْدَةِ، وَسَمِيرٌ فِي الْغُلُوفَةِ، وَوَسْلَةٌ فِي الْمَجْلِسِ، وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ، وَتَلْقِيحٌ لِلْفَهْمِ، وَنَافٍ لِلْعَمَى الْمُزْرِي بِأَهْلِ الْأَخْسَابِ، لِلْقَصْرِ بِذَوِي الْأَلْبَابِ؛ أُنْطِقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَهُ بِالْبَيَانِ الَّذِي جَلَّهُ صِفَةً لِكَلَامِهِ فِي تَنْزِيلِهِ، وَأَيَّدَ بِهِ رُسُلَهُ إِيضَاحًا لِلْمَشْكَلَاتِ، وَفَضْلًا بَيْنَ الشَّبَاهَاتِ؛ شَرَفَ بِهِ الْوَضِيعَ، وَأَعَزَّهُ بِهِ الذَّلِيلَ، وَسَوَّدَ بِهِ السُّودَ، مِنْ تَحَلٍّ بِخَيْرِهِ فَهُوَ مُعْطَلٌ، وَمَنْ تَعَطَّلَ مِنْهُ فَهُوَ مُعْطَلٌ، لَا تُبْلِيهِ الْأَيَّامُ، وَلَا تُخْرِقُهُ الدَّهُورُ، يَتَجَدَّدُ عَلَى الْإِبْتِدَالِ، وَيَرَى كَوْنَهُ عَلَى الْإِنْفَاقِ؛ اللَّهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ.

(١) السنة - بكسر السين - أول النوم، ومثله الوسن - بالتحريك (م)

(٢) الكليية: وصف من الكلال، وهو الإعياء، وأراد غير الماضية فيها تبحث،

شبهها بالسكين التي لا تنفذ في خريستها (م)

## [أقوال في البلاغة]

قيل لعمر بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بَلَغَكَ الجَنَّةَ ، وَعَدَلَكَ بِكَ عَنِ النارِ ، وَبَعَثَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبَ غِيَتِكَ . قال السائل : ليس هذا أريد ، رأى عمرو بن عبيد في البلاغة قال : من لم يُخَيِّنْ أَنْ يَسْكُتَ لم يُخَيِّنْ أَنْ يَسْتَمِيعَ ، ومن لم يُخَيِّنِ الاستماعَ لم يُخَيِّنِ القولَ ، قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا بَكَءٌ » أَيْ قَلَّةُ كَلَامٍ <sup>(١)</sup> ؛ وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ ، قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ السَّكُوتِ ، وَسَقَطَاتِ الصَّمْتِ ، قال : ليس هذا أريد ، قال عمرو : يَا هَذَا ؛ فَكَأَنَّكَ تَرِيدُ تَحْمِيلَ اللَّفْظِ <sup>(٢)</sup> فِي حَسَنِ الْإِفْهَامِ ، قال : نعم ، قال : إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُقُولِ الْمُكَلَّفِينَ ، وَتَخْفِيفِ الْمُؤَنَةِ عَنِ الْمُسْتَمِيعِينَ ، وَتَرْبِيَةِ تِلْكَ الْمَنَافِي فِي قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي الْأَذَانِ ، الْمَقْبُولَةِ فِي الْأُذْهَانِ ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ إِبَاجَتِهِمْ ، وَتَقْيِ الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ - كُنْتُ قَدْ أُوتِيتُ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ ، وَاسْتَوْجَبْتِ مِنْ اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ ، قِيلَ لَعَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ رُوحِ الْفِغَارِيِّ : مَنْ هَذَا الَّذِي صَبَّرَ لَهُ عَمَرُو هَذَا الصَّبْرَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ أَبَا حَفْصٍ الشَّمْرِيَّ ، فَقَالَ : وَمَنْ يَجْتَزِيهِ عَلَيْهِ هَذِهِ الْجُرْأَةُ إِلَّا حَفْصُ بْنُ سَالِمٍ ؟

وعمر بن عبيد بن باب هو رئيسُ المعتزلة في وقته ، وهو أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى عَمَرُونَ عبيد الخلق ، واعتزل مجلسَ الحسن البصري ، وهو أولُ المعتزلة .

(١) وفي الأصل « قِينَاتِلْكَ » وهو تحريف

(٢) تحمير اللفظ : تحسينه ، قالوا : « كَانَ مَهْلَهُلٌ يَجْبِرُ شِعْرَهُ » - وفي نسخة

« تَخْيِر » بمعنى الاختيار (م)

ودخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور، فقال: عِظْنِي، قال: يا أمير المؤمنين؛ إن الله أعطاك الدنيا بأمرها، فاشتر نفسك منه ببعضها؛ يا أمير المؤمنين؛ إن هذا الأمر لو كان باقياً لأحد قبلك ما وصل إليك، ألم تر كيف قتل ربك بعماد يرم ذات العماد! قال: فبكي المنصور حتى بل ثوبه. ثم قال: حاجتك يا أبا عثمان! وكان للمنصور لما دخل عليه طرح عليه طيساناً، قال: يرفع هذا الطيسان عني! فرفع، قال أبو جعفر: لاتدع إتياننا! قال: نعم، لا يضمني وإياك بلد إلا دخلت إليك، ولا بدت لي حاجة إلا سألتك، ولكن لا تمنعني حتى أسألك، ولا تدعني حتى آتيك، قال: إذا لآتيننا أبداً! وقد روى مثل هذا لابن الساج مع الرشيد

وقوله «لو كان هذا الأمر باقياً لأحد قبلك ما وصل إليك» كقول ابن الرومي:  
لمررك ما الله نيبا بدار إقامة  
إذا زال عن عين البصير غطاؤها  
وكيف بقاء الناس فيها وإنما  
ينال باستجاب القناء بقاؤها؟  
ووعظ شيب بن شبة المنصور، قال: يا أمير المؤمنين؛ إن الله لم يجعل فوقك أحداً، فلا تجعل فوق شكره شكراً.

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدي فقال له: هذا ابن أخيك المهدي، ولي عهد المسلمين، قال: سميت اسماً لم يستحق حمله، ويفض إليك الأمر وأنت عنه مشغول<sup>(١)</sup>.

وكان عمرو بن عبيد يقول: اللهم أغني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك.

وقال له المنصور: يا أبا عثمان؛ أعنى بأصحابك: قال: يا أمير المؤمنين؛ أخبر الحق بدينك أهله.

وقال عمر الشمرى: كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم، وإن تكلم لم يكذ

(١) كذا في الطبوعات كلها، ولعل أصل العبارة «يفض إليه الأمر وأنت عنه مشغول» يريد بالأمر الذي يصل إليه الخلافة، ولن تصل إليه إلا وقد مات أبوه (م)



يُطِيلُ ؛ وكان يقول : لا خيرَ في التَّكَلُّمِ إذا كان كلامُهُ لمن يَشْهَدُهُ دونَ قائِله ،  
وإذا طال الكلامُ عَرَضَتْ للتَّكَلُّمِ أسبابُ التَّكَلُّفِ ، ولا خيرَ في شيءٍ يَأْتِيكَ  
به التَّكَلُّفُ <sup>(١)</sup> .

قال معمر بن الأشعث : قلت لبَهْلَةَ الهنديِّ أيامَ اجتَلَبَ يَمِي بنُ خالدٍ أطبَاءَ  
الهند : ما البلاغةُ عند أهلِ الهند ؟ قال بهلة : عندما في ذلك صحيفةٌ مكتوبةٌ ،  
ولكنني لا أحسنُ ترجمتها ، ولم أعالِجْ هذه الصناعةَ ، فأثِقُ من نفسي بالقيامِ  
بخصائصها ، ولطيفِ معانيها . قال ابنُ الأشعث : فقلت بتلك الصحيفة التراجمة  
فإذا فيها : أولُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ ، وذلك أن يكونَ الخطيبُ رابطاً  
الجأش <sup>(٢)</sup> ، ساكناً الجوارحَ ، قليلَ اللَّحْظِ ، متخيرَ اللَّفْظِ ، لا يكلمُ - سيدَ الأئمةِ  
بكلامِ الأئمةِ ، ولا للوَلَكِ بكلامِ الشُّوقِ ، ويكونُ في قُوَاهُ فَضْلُ التَّصَرُّفِ في  
كلِّ طبقةٍ ، ولا يدققُ للماني كلَّ التدقيقِ ، ولا يَنْقَحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ ،  
ولا يصفِيها كلَّ التصفيةِ ، ولا يهذِّبها غايةَ التهذيبِ ، ولا يفعلُ ذلكَ حتى  
يصادفَ حكماً ، أو فيلسوفاً عليماً ، ومن قد تعودَ حَذَفَ فُضُولَ الكلامِ ،  
وإسقاطَ مشترَكَاتِ الألفاظِ ؛ وقد نظر في صناعةِ المنطقِ على جهةِ الصناعةِ والمبالغةِ ،  
لا على جهةِ التصفحِ والاعتراضِ <sup>(٣)</sup> ، ووجهَ النظرِ والاستطرافِ .

قال إسحاق بن حسان بن قومي : لم يفسر أحدُ البلاغةِ تفسيرَ عبد الله  
ابنِ القفِّعِ إذ قال : البلاغةُ اسمٌ لمعانٍ تَجَرِّي في وجوهٍ كثيرةٍ ، فمنها ما يكونُ  
في الاستماعِ ، ومنها ما يكونُ في السكوتِ ، ومنها ما يكونُ في الإشارةِ ، ومنها  
ما يكونُ في الحديثِ ، ومنها ما يكونُ في الاحتجاجِ ، ومنها ما يكونُ شعراً ،

(١) وكانت وفاة عمرو بن عبيد سنة ١٤٤

(٢) الجأش : الصدر ، ومثله الجؤشوش بضم الجيم

(٣) التصفح : تليق الصفحات .

ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رسائل ؛ فإني هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى ؛ والإيجاز هو البلاغة ، فأما الخطب فيما بين السامعين<sup>(١)</sup> وفي إصلاح ذات البين ، فالإيجاز في غير خطب<sup>(٢)</sup> ، والإطالة في غير إملال ، ولكن ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته (كأنه يقول فرّق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العبد وخطبة الصلح وخطبة التواضع ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه<sup>(٣)</sup>) فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناه ، ولا يشير إلى مفرك ، وإلى العمود الذي إليه قصدت ، والنرض الذي إليه ترعت .

ف قيل له : فإن ملّ المستمع الإطالة التي ذكرت أنها أحقّ بذلك الموضع ؟ قال : إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقت بالذي يجب من سياسة الكلام ، وأرأيت من يعرف حقوق ذلك ، فلا تهم لما فاتك من رضا الحاسد والمدو ؛ فإنهما لا يرضيان بشيء ؛ فأما الجاهل فليست منه وليس منك ، ورضا جميع الناس شيء لا ينال .

### [ الإطالة والإيجاز ]

وقد مدحوا الإطالة في مكانها ، كما مدحوا الإيجاز في مكانه . قال أبو داود [ ابن جرير ] في خطباء إيلاد :

يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ ، وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حَظِ خَيْفَةِ الرِّقَاءِ<sup>(٤)</sup>  
قال أبو جزة السدي يصف كلام رجل :

(١) بين السامعين : الصنفين . (٢) الخطل : السخف

(٣) ما وضناه بين قوس أثبتته المؤلف توضيحاً لكلام ابن المقفع

(٤) المراد من وحى الملاحظ إشارة الميون .

يَكْفِي قَلِيلُ كَلَامِهِ ، وَكَثِيرُهُ ثَبَتَ ، إِذَا طَالَ النَّصْلُ ، مُصِيبٌ <sup>(١)</sup>  
وَأَشَدُّ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ <sup>(٢)</sup> وَلَمْ يَسْمَعْ قَائِلُهُ ، وَهُوَ مَوْلِدُهُ وَلَمْ يَنْقُصْهُ  
تَوَلِيدُهُ مِنْ حَقِّ الْقَدِيمِ شَيْئًا :

طَبِيبٌ بَدَأَ فُنُوفَ الْكَلَا لَمْ يَمُتْ يَوْمًا وَلَمْ يَهْزُرْ  
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلطُّبْلِ عَلَى الْمُنَزَّرِ <sup>(٣)</sup>  
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْقُلِّ عَلَى الْكُثْرِ  
وَقَالَ آخِرُ يَصِفُ خَطِيبًا :

فَإِذَا تَكَلَّمَ خِلَّتَهُ مَتَكَلَّمَ بِمَجْمَعِ عِدَّةِ السُّنَنِ الْخَطْبَاءِ  
فَكَانَ آدَمُ كَانَ عَلَيْهِ الَّذِي قَدْ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ  
وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يَقُولُ : تَلْخِصُ الْمَنَانِي رِفَقًا ، وَالِاسْتَعَانَةَ بِالرَّيْبِ عَجْزًا ،  
وَالْتَشَدُّقَ فِي الْإِعْرَابِ نَقْصًا ، وَالنَّظْرُ فِي عَيُونِ النَّاسِ عِيًّا ، وَمَسُّ اللَّحْيَةِ هُلْكًَا ،  
وَالخُرُوجُ عَمَّا يُبْنَى عَلَيْهِ الْكَلَامُ إِسْهَابًا .  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو رَجُلًا بِأَلْفٍ :

مَلِيًّا يَهْجُرُ وَالتَّفَاتِ وَمَسَلَةٍ وَمَسْحَةٍ عَثْنُونَ وَقَتْلُ الْأَصَابِعِ <sup>(٤)</sup>  
وَوَصَفَ الْغَتَابِي <sup>(٥)</sup> رَجُلًا بَلِيغًا فَقَالَ : كَانَ يُظْهِرُ مَا تَغْمُضُ مِنَ الْحَبَّةِ ،  
الغَتَابِي يَصِفُ  
الرجل البليغ

(١) ثَبَتَ : مَثَبَتَ (٢) كَانَ الْمُبَرَّدُ إِمَامَ الْعَرَبِيَّةِ يَشْدَادُ فِي زَمَانِهِ ، وَكَانَ فُضِيحًا  
بَلِيغًا مَفُوهًا صَاحِبَ نَوَادِرٍ وَظَرْفٍ ، وَكَانَ جَمِيلًا ، لَاسِيًا فِي صَبَاهُ ، وَلَمَّا صَنَفَ الْمَازِنِي  
كِتَابَ الْأَنْفُسِ وَالْأَلَامِ سَأَلَ الْمُبَرَّدَ عَنْ دَقِيقَةِ وَعَوْصِهِ ، فَأَجَابَهُ بِأَحْسَنِ جَوَابٍ ، فَقَالَ لَهُ :  
قَدْ فَانَتْ الْمُبَرَّدُ ، بِكسر الرَّاءِ ، أَيْ الْمَثَبَتُ لِلْحَقِّ ، فَفِيهِ الْكُوفِيُّونَ وَفَتَحُوا الرَّاءَ . وَلَهُ  
فِي سَنَةِ ٢١٠ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٨٥ (٣) الْمُنَزَّرُ : الْقُلُّ .

(٤) الْبَرَّ : تَابَعَ النَّفْسَ وَاقْطَعَهُ مِنَ الْإِعْيَاءِ . وَالتَّوْنُ : اللَّحْيَةُ .  
(٥) الْغَتَابِي : هُوَ كَثُومُ بْنُ عَمْرٍو . أَصْلُهُ مِنَ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ قَنِسَرِينَ ، صَاحِبُ  
الْبَرَامِكَةِ ، ثُمَّ صَاحِبُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعَلَى بْنِ هِشَامِ الْقَائِدِينَ ، وَكَانَ حَسَنَ الْاعْتِدَارِ =

ويصور الباطل في صورة الحق ، ويُفهِمُ الحاجة من غير إعادة ولا استئانة .  
 قيل له : وما الاستئانة ؟ قال : يقول عند مقاطع كلامه يا هناة ، واسمع ، وفهمت !  
 وما أشبه ذلك . وهذا من أمارات العجز ، ودلائل الحصر ! وإنما ينقطع عليه  
 كلامه فيحاول وصله بهذا ، فيكون أشدَّ لانشطاعه .

وكان أبو داود يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدثرة ، وجناحها  
 رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تحيُّر اللفظ ؛ والحجة مقرونة  
 بقلة الاستكرام .

عدة الخطابة  
 عند أبي داود

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : قال بعض جهابذة الألفاظ ، ونقاد  
 المعاني : المعاني القائمة في صدور الناس ، المختلجة في نفوسهم ، والمنصورة في أذهانهم  
 للتصلة بخواطرم ، والحادثة عن فكرهم ، تستور خفية ، وبسيدة وحشية ،  
 ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ،  
 ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمأون له على أمره ، وعلى  
 ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بشيره ، وإنما يحكي تلك المعاني ذكركم لها ، وإخبارهم  
 عنها ، واستعمالهم لها .

منزلة الذنظ  
 من المعنى عند  
 الجاحظ

وهذه الخصال هي التي تقرَّبها من الفهم ، وتجلبها للعقل ، وتجمل الخلق منها  
 ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً . وهي التي تلخص للتلخيص ، وتحمل للمعقد ،  
 وتجمل المهمل مقيداً ، والقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوَحْشَى مألوفاً ،  
 [والنفل موسوماً<sup>(١)</sup> ، والموسوم معلوماً] ؛ وعلى قدر وضوح الدلالة ، وصواب

== في زوائله وشعره ، يشبه في المحدثين بالناخبة في الجاهلية . ومن جيد شعره قوله في  
 جعفر بن يحيى وقد كان بلغ الرشيد عنه ما أهدر به دمه غلظه جعفر :

ما زلت في غمرات الموت مطرحة      يضيق عن فسيح الرأي من حيل  
 فلم تزل دائماً تسعى بلطفك لي      حتى اختلست حياتي من يدي أجلى

وكانت وفاة الثاني سنة ٢٢٠

(١) النفل : القى لعلامة له ، والموسوم : ذو العلامة ، من الموسم (م)

الإشارة ، وحُسن الاختصار ، ودقة للدخَل ، يكون ظهورُ المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أَيْبَنَ وأَنور ، كانت أضع وأجَمع في البيان . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمى الله يَمْدَحُه ، ويدْعُو إليه ، ويمحُثُ عليه ؛ بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف المعجم .

والبيان : اسمٌ لكل شئ. كُفِّفَ لك عن قناع المعنى ، وهَتَكَ لك المُجِبِّ دون الضمير ، حتى يُفِصِّلَ السامعُ إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله ، كأنما ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان ذلك الدليل ؛ لأن مدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائلُ والسامعُ إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأى شئ بُلِّغَتِ الإفهامُ وأُوضِحَتِ عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع .

ثم اعلمْ - حَفِظَكَ اللهُ ! - أنْ حُكِّمَ المعانى خلافُ حِكْمِ الألفاظ ؛ لِأَنَّ المعانى مبسوطة إلى غير غاية ، وأسماء المعانى محصورة محدودة ، ومحسلة محدودة . وجميعُ أصنافِ الدلالات على المعانى من لفظٍ أو غيره خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللَّفْظُ ، ثم الإشارة ، ثم القصد ، ثم الخطأ ، ثم الحال التى نُسِىَ نُسْبَةُ . والنُسْبَةُ هى الحالُ الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تَقْصُرُ عن تلك الدلالات .

ولكل واحدة من هذه الدلائل الخمسة صورةٌ باثنة<sup>(١)</sup> من صورةٍ صاحبها ، وَجَنِيَّةٌ مخالفةٌ لِجَنِيَّةِ أُخْتِهَا ؛ وهى التى تكشف لك عن أَعْيَانِ المعانى فى الجملة ، وعن حقائقها فى التفسير ، وعن أجناسها وأقْدَارِها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها فى السارِّ والظاهر ، وعمما بكبرين منها لقواً بِهِرَجًا<sup>(٢)</sup> ، وساقطاً مُطَرِّحًا .

(١) صورة باثنة : متميزة يظهر فرق ما بينها وبين صاحبها (م)

(٢) بهرج : ردى° .

وفي نحو قول أبي عثمان « إِنَّ الماعى غير مقصورة ولا محصورة » يقول  
 أبو تمام الطائى لأبى دُلَف القاسم بن عيسى المِجَلِّ :  
 ولو كان يَفْقَى الشعرُ أَفَنَتَهُ ما قَرَّتْ حَيَاضُكَ مِنْهُ فى المصورِ الذَّوَاهِبِ <sup>(١)</sup>  
 ولكنه فىضُ القولِ إذا انجَلَتْ سحابُ مِنْهُ أُعْجِبْتَ بِسَحَابِ  
 كما أشار إلى قول أوس بن حجر الاسدى :  
 أقول بما صَبَّتْ على غمامتى وجهدى فى جبل العثيرة أحطِب <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

فضل اللسان وقال بعضُ البلغاء : فى اللسان عشرُ خصال <sup>(٣)</sup> محمودة ، أدأة يظهر بها البيان ،  
 وشاهدٌ يخبر عن الضمير ، وحاكمٌ يفصل الخطاب ، وواعظٌ ينهى عن القبيح ،  
 وناطقٌ يرُدُّ الجواب ، وشافعٌ تُدرك به الحاجة ، وواصفٌ تعرف به الأشياء ،  
 ومُغربٌ يُشكر به الإحسان ، ومُزَيِّرٌ تذهب به الأُخْزان ، وحامدٌ يذهب الضغينة  
 وموفقٌ يلهم الأسماع .

صلة اللفظ بالمعنى وقال أبو العباس بن المعتز : لحظة القلب أسرعُ خطرةً من لحظة العين ، وأبعدُ  
 عند ابن المعتز مجالاً ، وهى العائصة فى أعماق أودِيَةِ الفكر ، والمناقلة لوجوه العواقب ، والجامعة  
 بين ما غاب وحَصَرَ ، والميزانُ الشاهدُ على ما نفع ومَرَّ ، والقلبُ كالمُنَى للكلامِ  
 على اللسان إذا نطق ، واليد إذا كتبت ، والعاقل يكسو الماعى وثنى الكلام فى  
 قلبه ، ثم يُبديها بالقَافِزِ كَواسٍ فى أحسن زينة ، والجاهلُ يستجملُ بإظهار الماعى  
 قبل العناية بتزيين مَعَارِضِها ، واستكمال محاسنها .

البيان وقيل لجعفر بن يحيى البرمكى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط  
 عند جعفر بن يحيى البرمكى بمعناك : ويكشف عن مَعْرَاكَ ، ويخرجه من الشركة ، ولا يُستعان عليه

(١) قرت : أخذت (٢) يحطب فى جبل العثيرة : أى يستعين بها كاستعين  
 الحاطب بالحبل . (٣) إذا عدت ما ذكره وجدته إحدى عشرة خصلة (م)

بالفكر ، ويكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل .

وذ كر سهل بن هارون <sup>(١)</sup> - وقيل ثمامة بن أشرس - جعفر بن يحيى قال : قد  
 جمع في كلامه وبلاغته الهدى والتمهل <sup>(٢)</sup> والجرالة والحلاوة ، وكان يفهم إيهاماً  
 يفنيه عن الإعادة للكلام . ولو كان يستغنى مستغنى عن الإشارة بمنطقه لاستغنى  
 عنها جعفر . كما استغنى عن الإعادة فإنه لا يتجسس <sup>(٣)</sup> ولا يتوقف في منطقته  
 ولا يتجملج ، ولا يتسئل ، ولا يترقب لفظاً قد استدعاه من بعد . ولا يتلمس  
 معنى قد عصاه بعد طلبه له .

\*\*\*

وقيل لبشار بن برد : يَمُّ قَتَّ أَهْلَ عَمْرِكَ ، وسبقت أَهْلَ عَمْرِكَ ، في  
 حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ فقال : لأني لم أقبل كلَّ ما تُورِّدُهُ عليَّ  
 قريحتي ، ويتأججني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرت إلى مفارس الفطن ،  
 ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسيرت إليها بفهم جيد ، وغريزة قوية ،  
 فأحكمت سبْرَهَا ، وانتقيت خُرْهَا ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من متكلفها  
 ولا والله ما ملك قيادي قطُّ الإعجابُ بشيء مما آتَى به .

وكان لبشار بن برد خطيباً ، شاعراً ، راجزاً ، سجعاً ، صاحب منشور ومزدوج ،  
 ويلقب بالمرعث لقوله :

(١) كان سهل بن هرون من الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل  
 الطوال والقصار . وقت آراؤه في الأدب وتدير الملك مفرقة في الكتب ، ولم يصل  
 إلينا من مؤلفاته الكثيرة شيء . يستحق الذكر . وقد أطلعني السيوطي في باريس  
 على مذكريات مهمة قيد فيها ما عثر علي من آثار ذلك الكاتب البليغ . وكانت وفاته سهل  
 ابن هرون في سنة ١٧٣ (٢) الهد : السرعة (٣) في الأمل (يتحسن) وهو تحريف

مَنْ رَلَّيْني مُرَعَّثٍ سَاحِرِ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ<sup>(١)</sup>  
 قَالَ لِي لَنْ تَنَالَنِي قَلْتُ أَوْ يَنْظُبُ الْقَدَرُ

وليس هذا موضع استقصاء ذكره ، واختيار شعره ، وسأستقبل ذلك إن شاء الله .

### [ وصية أبي تمام للبحترى ]

وقال الوليد بن عبيد البحرى : كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَرْوَمُ الشَّعْرَ ، وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَعْنٍ ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى تَسْهِيلِ مَأْخِذِهِ ، وَوَجْهِهِ اقْتِضَابِهِ ، حَتَّى قَصَدْتُ أَهْأَتَامَ ، وَانْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ ، وَاتَّكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ ؛ فَكَانَ أَوَّلُ مَا قَالَ لِي : يَا أَبَا عُبَادَةَ ؛ تَحْجِزِ الْأَوْقَاتَ وَأَنْتِ قَلِيلُ الْمَعْنَى ، صَفَرٌ مِنَ النُّعُومِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَادَّةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ الشَّعْرِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ ، وَقَبْضَتْهَا مِنَ النُّعُومِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ التَّشْيِيبَ فَاجْعَلِ اللَّفْظَ رَشِيقًا ، وَالْمَعْنَى رَقِيقًا ، وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الْعَبَابَةِ ، وَتَوَجُّعِ الْكَآبَةِ ، وَفَلَقِ الْأَشْوَاقِ ، وَلَوْعَةِ الْفِرَاقِ ، فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدْحِ سَيِّدٍ ذِي أَجَادٍ فَأَشْهِرْ مَنَاقِبَهُ ، وَأَظْهِرْ مَنَاسِبَهُ ، وَأَبْنِ مَعَالِمَهُ ، وَشَرَفْ مَقَامَهُ ، وَنَصِّدْ الْمَعْنَى<sup>(٢)</sup> ، وَاحْذَرْ الْجَهْلُولَ مِنْهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شِعْرَكَ بِالْأَنْقَاطِ الرَّدِيئَةِ ، وَلِتَكُنْ كَأَنَّكَ خَيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ . وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجَرُ فَأَرِخْ نَفْسَكَ ، وَلَا تَمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ قَارِعُ الْقَلْبِ ، وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ الذَّرِيمَةِ<sup>(٣)</sup> إِلَى حَسَنِ نَظْمِهِ ؛ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ

(١) مرعّث : يلبس الرعة - بالضم - وهي القُرط .

(٢) نصّد : حمن التضيد ، وهو ضم بعض الشيء إلى بعض .

(٣) الذرمة : الوسيعة .



نعم المين . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء قاصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله .  
قال : فأعلنت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقالوا : البليغ من يحوكم الكلام على حسب الأمانى ، ويخيط الألفاظ على وصف البلغ فدود المعاني .

ولذكر الطائي الليل ذكر بعض أهل مصر - وهو أبو علي محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمي<sup>(٢)</sup> - الليل فقال : فيه تحيم الأذهان<sup>(٣)</sup> ، وتنقطع الأشغال ، ويصبح النظر ، وتؤلف الحكمة ، وتندب الخواطر ، ويتسع مجال القلب ، والليل أضوأ في مذاهب الفكر ، وأخفى لعمل البر ، وأعون على صدقة السر ، وأصح لتلاوة الذكر ، ومذبزو الأمور يختارون الليل على النهار ، فيما لم تصف فيه الأناة رياضة التدبير وسياسة التقدير ، في دفع الملم ، وإمضاء المهم ، وإنشاء الكتب ، وتصحيح المعاني ، وتقويم المباني ، وإظهار الحجج ، وإيضاح المنهج ، وإصابة نظم الكلام ، وتقريبه من الأفهام .

وقال بعض رؤساء الكتاب : ليس الكتاب في كل وقت على غير

(١) ارجع إلى نقد هذه الوصية في كتاب ( الموازنة بين الشعراء ) .

(٢) كان الحاتمي حسن التصرف في الشعر ، يجمع بين البلاغة في الثر والبراعة في النظم ، وكان من خصوم المتنبي ، وله في شعره عدة أبحاث . ومن جيد شعره قوله في وصف الثريا :

وليل أفتنا فيه نعمل كأننا      إلى أن بدا للصبح في الليل عسكر  
ونجم الشريا في السماء كأنه      على حلة زرقاء جيب مدبر  
مات في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨ (٣) نجم : تستريح .

نسخة لم تُحرَّرْ بصواب ؛ لأنه ليس أحدٌ أولى بالأناة وبالروية من كاتب يقرض عقله ، وينشر بلاغته ؛ فينبغي له أن يصل النسخ ويرويه ، ويقبل عفو القريحة ولا يشكرها ، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له ، عارفون بكتابه ، منتقدون عليه ، متفرغون إليه .

فضل الروية  
والأناة

وقال آخر : إنَّ لابتداء الكلام فتنةً تروق ، وجدةً تعجب ، فإذا سكنت القريحة ، وعدل التأمل ، وصفت النفس ، فليعد النظر ، وليكن قرحةً ياحسانه ، مساوياً لثمِّه يأساه ؛ قد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسي : نبايعك الساعة قد رأينا ذلك ، قال : دَعُوا الرَّأْيَ حَتَّى يَبْلُغَ أَثَانَهُ ، فإنه لا خيرَ في الرَّأْيِ الفطير ، والكلام القضيبي<sup>(١)</sup> .

وقال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله لعبد الله بن جعفر : ما عندك في كذا وكذا ؟ قال : أريد أن أصفَلَ عَلى بَنُوْمَةِ القائلَةِ<sup>(٢)</sup> ، ثم أروح فأقول بعد ما عدى قال الشاعر :

إِن الْحَدِيثَ تَقْرَأُ الْقَوْمَ جَلَوْتُهُ حَتَّى يَغْيِرَهُ بِالْإِزْنِ مَضْمَارُ<sup>(٣)</sup>  
فَسَدَ ذَلِكَ تَسْكِنِي بِلَاغَتُهُ أَوْ يَسْتَمِرُّ بِهِ عَيٌّْ وَإِكْثَارُ  
وَقَالُوا : كُلُّ مُجْمِرٍ بِالْخَلَاءِ يُسْرُ<sup>(٤)</sup> ، وقال أبو الطيب المتنبي :  
وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّمَنَ وَحْدَهُ وَالْإِزَالَ

\*\*\*

وكان قلم بن المقفع يعِفُ كثيراً ، ف قيل له في ذلك ، قال : إنَّ الكلامَ بَرْدٌ دِيمٌ في صدرى ، فيقف قلبي ليتخَيَّر .

تغير ابن المقفع  
ما رده عليه  
من الكلام

(١) الرَّأْيُ الفطير : الذى لم ينضج ، والكلام القضيبي : الرئيل (٢) نومة القائلة : نومة الظهيرة (٣) الجلوة : الزينة (٤) يريد أن الذى يجرى فرسه بالخلاء يسر بظفره حيث لا مناغل ، وهو مثل فى التهمك .

وقالوا: الكتابُ يُتَصَفَّحُ أكثر مما يتَصَفَّحُ الخطابُ؛ لأنَّ الكاتبَ متخَيِّرٌ،  
والخطابُ مضطَرٌّ، ومن يَزِدُّ عليه كتابك فليس يعلمُ أنَّسَرَعْتَ فيه أم أبطأتُ؛  
وإنما ينظرُ أخطاءَ أم أصبَتْ؛ فأبطلوك غيرَ قاذحٍ في إصابتك، كما إنَّ إسرَاعَكَ  
غيرُ مُعْطٍ على غَلَطِكَ.

ووصف بعضُ الكتاب النسخَ فقال: ينبغي أن يصحَّحَ الفكر إلى استقرارها،  
ثم تُستَبْرَأ بإعادة النظر فيها بعد اختيارها<sup>(١)</sup>، ويوسَّع بين سُطُورِها، ثم تحرر على  
بِقَمَرِ بصحتها، وتُتأمل بعد التحرير حرَفًا حرَفًا إلى آخرها.

فقد كتب المأمونُ مُصَحِّفًا اجتمع عليه؛ فكان أوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحِيمِ، فأنفقوا  
الرحم؛ لأنَّ العينَ لا تَمْتَبِرُ ذلك؛ ثقةً أَنه لا يُغْنِطُ فيه، حتى فُطِنَ المأمونُ له.  
وقال محمد بن عبد الملك الزيات للحسن بن وهب: حرَّرْ هذه النسخة وكرِّرْ  
بها، فتصبَّح الحسنُ<sup>(٢)</sup> فقال له: لم تصبَّحت؟ قال: حتى تصفحت!

وقال أحمد بن إسماعيل بطاحَة: كان بعضُ العلماء الأعياء ينظر في نسخهِ  
بعد نفوذ كُتُبِهِ، فقال بعضُ الكتاب:

مُسْتَلَبُ اللَّبِّ غَوِيُّ الشَّبَابِ      عَذَّبَهُ الْهَجْرُ أَشَدَّ الْعَذَابِ  
يُؤْمَلُ الصَّبْرُ وَأَتَى لَهُ      بِهِ وَقَدْ مُكِّنَ مِنْهُ التَّصَانِبُ  
كناظرٍ في نسخةٍ يبتغى      إصلاحها بعد نفوذ الكنايبِ

## أوصاف بليغة في البلاغات

### على السنة أفوام من أهل الصناعات

قال بعضُ من ولَّد عقائل هذا المنثور، وألَّف فواصل هذه الشذور: تجمَّع

(١) تستبرأ: تجفد كذا وليس مقصود، ولكن المراد معاودة النظر فيها ليتعرف  
كاتبها ما فرط منه إن كان في تداركه (م) (٢) تصبَّح: تأخر عن الحضور صباحاً.

قوم من أهل الصناعات ، فوصفوا بلاغاتهم ، من طريق صناعاتهم <sup>(١)</sup> :  
 قال الجوهري : أحسنُ الكلامِ نظاماً ما عتبه يدُ الفكرة ، ونظمته الفطنة ،  
 ووُصِّلَ جوهرُ معانيه في سُموط <sup>(٢)</sup> أَلْفَاظُهُ ، فاحتملتُه محورُ الرواة .  
 وقال المطار : أطيَّبُ الكلامِ ما عَجِنَ عَنَبَرُ أَلْفَاظِهِ بِمِثْكَ مَعَانِيهِ ، فَنَاحَ  
 نَسِيمُ نَشَقِهِ ، وَسَطَعَتْ رَاثِحَةُ عَيْبِهِ ، فَتَمَلَقَتْ بِهِ الرُّوَاةُ ، وَتَمَطَّرَتْ بِهِ السَّرَاةُ .  
 وقال الصائغ : خَيْرُ الكلامِ مَا أُحْيِيَتْهُ بِكَبِيرِ الْفِكْرِ <sup>(٣)</sup> ، وَسَبَكْتَهُ بِمَشَاغِلِ  
 النَّظَرِ ، وَخَلَّصْتَهُ مِنْ خَبَثِ الْإِطْنَابِ ، فَهَرَزَ بَرُوزَ الْإِبْرِيْزِ <sup>(٤)</sup> ، فِي مَعْنَى وَحِيزِ .  
 وقال الصيرفي <sup>(٥)</sup> : خَيْرُ الكلامِ مَا قَدَّتَهُ يَدُ الْبَصِيرَةِ ، وَجَلَّتْ عَنْ الرُّوِيَةِ ،  
 وَوُزِنَتْ بِمِثْيَارِ الْفَصَاحَةِ ، فَلَا نَظَرَ زَيْفِهِ <sup>(٦)</sup> ، وَلَا سَمَاعَ يُبْهَرِجُهُ <sup>(٧)</sup> .  
 وقال الحداد : أَحْسَنُ الكلامِ مَا نَصَبْتَ عَلَيْهِ مِنْفَخَةَ الْقَرِيحَةِ ، وَأَشْطَلْتَ عَلَيْهِ  
 نَارَ الْبَصِيرَةِ ، ثُمَّ أَخْرَجْتَهُ مِنْ غَمِّ <sup>(٨)</sup> الْإِلْهَامِ ، وَرَقَّقْتَهُ بِفُطَيْسِ الْإِنْهَامِ <sup>(٩)</sup> .  
 وقال النجار : خَيْرُ الكلامِ مَا أَحْكَمْتَ نَجْمَ مَعْنَاهُ بِقُدُومِ التَّقْدِيرِ ، وَنَشَرْتَهُ  
 بِمَنْشَارِ التَّدِيرِ ، فَصَارَ بَاباً لِيَتِ الْبَيَانُ ، وَعَارِضَةً لِسَقْفِ السَّانِ .  
 وقال النجاد : أَحْسَنُ الكلامِ مَا لَطَفْتَ رَفَارِفَ أَلْفَاظِهِ <sup>(١٠)</sup> ، وَحَسُنْتَ مَطَارِحَ

(١) هذا نوع من فن المقامات الذي ذاع في القرن الرابع بفضل أبي بكر بن دريد  
 وبديع الزمان ، وقد ترجمت هذا الحديث إلى اللغة الفرنسية في كتابي .

La prose arabe au IV<sup>e</sup> siècle de l'hégire

- (٢) السموط : جمع سبط - بالكسر - وهو خيط النظم  
 (٣) الكبير بالكسر : هو منفخة الحداد (٤) الإبريز : هو الذهب الخالص  
 (٥) الصيرفي : صراف الدراهم ، والجمع صيارفة ، وجاء في الشعر صياريف  
 (٦) زاف الدراهم وزفها : حكم برداءتها (٧) يهريج : يحكم بأنه يهريج ،  
 والبهريج : الباطل والردى . (٨) الإلهام : العجز عن البيان ، ومنه : شاعر  
 مفهم ، على صيغة للمفول (٩) الفطيس : المطرقة  
 (١٠) الرفارف : الأطراف ، مفرد هارفر - وهي ثياب خضر تبسط (م)

معانيه، فنزهت في زُرَابِي محاسن عيون الناظرين<sup>(١)</sup>، وأصلخت لنفاريق<sup>(٢)</sup> بهجته  
أذان السامعين .

وقال الماتح : أَبْنَى الكلام ما علقت وَدَمُ أَلْفَاظِهِ بِيَكْرَةِ معانيه<sup>(٣)</sup> ، ثم  
أرسلته في قَلْبِيبِ الْفِطَنِ<sup>(٤)</sup> فتحت به سقاء يكشِفُ الشَّهَاتِ ، واستنبطت به  
معنى يروى من ظُلْمِ الْمَشْكَلاتِ .

وقال الخياط : البلاغة قيص ؛ فَجُرْبَانُهُ الْبَيَانُ<sup>(٥)</sup> ، وَجَبِيْهُ الْمَعْرِفَةُ ، وَكُدَّاهُ  
الْوَجَازَةُ ، وَدَخَارِيصُهُ الْإِنْفَاهُ<sup>(٦)</sup> ، وَدُرُوزُهُ الْحَلَاوَةُ<sup>(٧)</sup> ، وَلَا بَسُ جَسَدُهُ الْفِظُ ،  
وَرَوْحُهُ الْمَعْنَى .

وقال الصَّبَاغُ : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا لَمْ تَنْصَرْ بِهِجَةً بِإِعْجَازِهِ<sup>(٨)</sup> ، وَلَمْ تَكْشِفْ  
صِفَةً بِإِعْجَازِهِ ، قَدْ صَفَلَتْهُ يَدُ الرَّوْيَةِ مِنْ كُدُودِ الْإِشْكَالِ ، فَرَأَعَ كَوَاعِبَ  
الْآدَابِ ، وَأَلْفَ عَدَارَى الْأَلْبَابِ .

وقال الْحَاكِي : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا انْتَصَلَتْ لُحْمَةُ أَلْفَاظِهِ بِسَدَى معانيه<sup>(٩)</sup>  
فَخَرَجَ مُنَوَّعًا مَنِيْرًا ، وَمَوْشَى مَحْبَرًا .

وقال الْبَرَّازُ<sup>(١٠)</sup> : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَقْمُ أَلْفَاظِهِ ، وَحَسَنَ نَشْرُ معانيه  
فَلَمْ يَسْتَعْجِمْ عَنْكَ نَشْرٌ ، وَلَمْ يَسْتَبْهَمْ عَلَيْكَ طَى .

وقال الرَّائِضُ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ حَدِّ التَّخْلِيْعِ<sup>(١١)</sup> ، إِلَى مَنْزِلَةِ

(١) الزرابي : واجدها زربي - بالكسر ويضم - وهو كل ما بسط واتكى ، عليه

(٢) النفارق : واحدها النفارقة - بالتثنية - وهي الوسادة الصغيرة

(٣) الودم : الدوم (٤) القلب : البئر

(٥) الجربان : الطوق (٦) الدخاريس : فتحات الأزرار

(٧) الدروز : الأطراف الرقاق (٨) لم تنص : لم تمنع

(٩) اللحمة والسدى : ما يسدى ويلحم به الثوب (١٠) البراز : بائع البز . بالفتح ،

وهو الثياب أو متاع البيت من الثياب (١١) التخليع : هز المشكبين في المعنى (م)

التَّقَرُّبُ<sup>(١)</sup> إلَّا بَدَّ الرِّيَاضَةَ ، وَكَانَ كَالْمُهْرِ الَّذِي أُطْعِمَ أَوَّلُ رِيَاضَتِهِ فِي تَمَامِ تَهَانَتِهِ .  
 وَقَالَ الْجَمَّالُ : الْبَلِغُ مِنْ أَخَذَ بِخَطِّامِ كَلَامِهِ ، فَأَنَاحَهُ فِي مَتْرَكِ الْمَعْنَى ، ثُمَّ  
 جَلَّ الْاِخْتِصَارَ لَهُ عَقَالًا ، وَالْإِيْمَازَ لَهُ تَجَالًا ، فَلَمْ يَنْدَ عَنْ الْآذَانِ ، وَلَمْ يَشْذِ  
 عَنْ الْآذَانِ .

وَقَالَ الْحَنَّا : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا تَكَسَّرَتْ أَطْرَافُهُ ، وَتَنَتَّ أَعْطَافُهُ ، وَكَانَ  
 لَفْظُهُ حُلَّةً ، وَمَعْنَاهُ حِلْيَةً .

وَقَالَ الْخَلَّارُ : أْبْلَغُ الْكَلَامِ مَا طَبَّخْتَهُ مَرَّاجِلُ الْعِلْمِ ، وَصَفَّاهُ زَاوُوقُ الْفَهْمِ ،  
 وَضَمَّتْهُ دِنَانُ الْحِكْمَةِ ، فَتَمَّتْ فِي الْمَفَاصِلِ عُدُوبَتُهُ ، وَفِي الْأَفْكَارِ رِقَّتُهُ ، وَفِي  
 الْغُرُفِ حَدَّثُهُ .

وَقَالَ الْفَقَاحِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا رَوَّحَتْ أَفْطَاهُ غَبَاوَةُ الشُّبْكَ ، وَرَفَتِ  
 رِقَّتُهُ فِظَافَةَ الْجَهْلِ ، فَطَابَ حَيَاةُ فَطْنَتِهِ ، وَعَدُّبَ مَعَسَ جُرْعَتِهِ .

وَقَالَ الطَّيِّبُ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا إِذَا بَاشَرَ [دَوَاهِ] بَيَانِهِ سَقَمَ الشُّبْهَةُ اسْتَطَلَقَتْ  
 طَبِيعَةُ النَّبَاوَةِ ؛ فَشَفِي مِنْ سَوَاءِ التَّنْهَمِ ، وَأَوْرَثَ سَحَابَةَ التَّوَهُّمِ .

وَقَالَ الْكَحَّالُ : كَأَنَّا رَمَدَ قَدَى الْأَبْصَارِ ، فَكَذَلِكَ الشُّبْهَةُ قَدَى الْبَصَائِرِ ،  
 فَكَحَّلْ عَيْنَ اللَّسْكَةِ بِمِثْلِ الْبَلَاغَةِ ، وَاجْلُ رَمْعَ الْفَقْلَةِ<sup>(٢)</sup> بِمِرْوَدِ الْبِقْطَةِ .

ثُمَّ قَالَ : أَجْمَعُوا كُلَّهُمْ عَلَى أَنْ أْبْلَغُ الْكَلَامِ مَا إِذَا أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ ، انْكَشَفَ  
 لَبْسُهُ ، وَإِذَا صَدَقَتْ أَنْوَاؤُهُ<sup>(٣)</sup> اخْضَرَّتْ أَحْمَاؤُهُ<sup>(٤)</sup> .

### فَقَرُّ فِي وَصْفِ الْبَلَاغَةِ لِمَعْرِ وَاحِدٍ

قَالَ أَعْرَابِي : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْبَعِيدِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الْكَلْفَةِ ، وَالِدَلَالَةُ  
 بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ .

(١) التَّقَرُّبُ : صَرَبٌ مِنَ التَّعْدُو . أَوْ هُوَ أَنْ يَرْفَعَ الْجَوَادُ يَدَيْهِ مَعَ وَيَضْمَعُهُمَا مَعَ

(٢) الرَّمْعُ : وَشَخْ أَيْضًا يَجْتَمِعُ فِي مَوْقِ الْعَيْنِ

(٣) الْأَنْوَاءُ : جَمْعُ نَوْءٍ ، وَهُوَ النُّجُومُ مَالٌ لِلْغُرُوبِ ، وَالْمِرَادُ بِهِ هُنَا الْمَطَرُ

(٤) الْأَحْمَاءُ : جَمْعُ حَمَى ، وَهُوَ الْمَكَانُ يَحْمِيهِ الرَّجُلُ وَيَعْنِيهِ

قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغةُ تَقرِيرُ المعنى في الأفهام ، من أقرب وجوه الكلام .

ابن المعتز : البلاغةُ البلوغُ إلى المعنى ولم يطل سَفَرُ الكلام .

سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، ورؤوس القلوب ، وقال : العقل رائدُ الروح ، والعلم رائدُ العقل ، والبيان ترجمان العلم .

إبراهيم بن الإمام : يكفي من البلاغة ألا يُوتَى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يُوتَى الناطق من سوء فهم السامع .

المُتأني : البلاغة مَذْ الكَلام بمعانيه إذا قصر ، وحسن التأليف إذا طال .

أعرابي : البلاغة إيجاز في غير عَجْز ، وإطناب في غير خَطَل .

[ وكتب إبراهيم بن المهدي إلى كاتب له ورآه يتبع وخشيَّ الكلام : إياك وتتبع الوحشي طمعاً في نيلِ البلاغة ؛ فإن ذلك اليمىُّ الأكبر ، وعليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفلى .

وقال الصولي : وصف يحيى بن خالد رجلاً فقال : أخذ بزمام الكلام ، فقاده أسهل ممّاد ، وساقه أجمل مساق ؛ فاسترجع به القلوب النافرة ، واستصرف به الأبصار الطامحة .

وسمع أعرابي كلامَ الحسن البصري رحمه الله ، فقال : والله إنه لفصيح إذا نطق ، نصيح إذا وعظ .

قال الجاحظ : ينبغي للكاتب أن يكون رقيقَ حَواشي الكلام ، عَذْبَ ينابيع اللسان ؛ إذا حاور سدّد سهم الصواب إلى غرض المعنى ، لا يكلم الخاصة بكلام العامة ، ولا العامة بكلام الخاصة .

وقال أبو العباس المبرد : قال الحسن بن سهل لسالم الحراري : ما المنزلة التي إذا أنزل بها الكاتب كان كاتباً في قوله وفضله واستحقاقه ؟ قال : أن يكون مطبوعاً على المعرفة ، مُحْتَشِكاً بالتجربة ، عارفاً بجلال الكتاب وحرامه ، وبالدهور في تصرفها

وأحكامها، وللملوك في سيرها وأيامها، وأجاس الخط، وبادية الأعلام، منع  
تشاكل اللفظ وقرب المآخذ. قال الحسن: فليس في الدنيا إذاً كاتب [

وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والفرازة  
يوم الإطالة.

وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، واتهاز الفرصة،  
وحسن الإشارة.

وقيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.

وقال علي بن عيسى الرّماني: البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن  
صورة من اللفظ.

ومن كلام أهل المصر، في صفة البلاغة والبلغاء

[قال علي بن عيسى الرّماني]: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل تجارده،  
وكثر إعجازه، وتناست صدوره وأعجازه.

أبلغ الكلام ما يؤنس مُسمِعه، ويؤنس مضيقه.

البلغ من يحتج من الألفاظ أنوارها<sup>(١)</sup>، ومن المعاني ثمارها.

ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سيناه، أو يبسط رِهان القول  
وميدانه، بل هي أن يبلغ أمد المراد بألفاظ أعيان، ومعان أفراد، من حيث  
لا تزيّد على الحاجة، ولا إخلال يُفني إلى القاعة.

البلاغة ميدان لا يقطع إلا بسوابق الأذهان، ولا يثلك إلا بصفات البيان.  
فلان يعبث بالكلام، ويقوده بالين زمام، حتى كأن الألفاظ تتعاسد  
في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتفاير في الانقيال على أنامله.

هذا كقول أبي تمام الطائي:

تتأير الشعر فيه إذ سهرت له حتى غلنت قوافيه مستقتل

(١) الأنوار: جمع نور. يفتح النون وسكون الواو. وهو الزهر، أو الأيض منه (م)



فلان مشرفى للشرق ، وصيرَفَى المنطق . البيانُ أَصغر صفاته ، والبلاغةُ عَفْوُ خطراته . كأنما أوحى بالتوفيق إلى صدره ، وحن الصواب بين طبعه وفكره .

فلان يميز مفاصِل الكلام ، ويسبق فيها إلى دَرَكَ المرام ، كأنما جمع الكلام حوله حتى انتقى منه وانتخب ، وتناول منه ما طَلَب ، وترك بعد ذلك أذناناً لا رءوساً ، وأجساداً لا نفوساً .

فلان يَرَضَى بعفو الطَّبَع ، ويقنع بما خفَّ على السمع ، ويوجز فلا يُغِثُ ، ويُغْثِبُ فلا يُعِيلُ ، لله فلان أخذ بَرَمَةَ القول يقودها كيف أراد ، ويجذبها أُنَى شاء ، فلا تمصيه بين الصَّعب والدَّلول ، ولا تسلمه عند الخزونة والسهول ، كلامه يشتد مرّة حتى تقول الصَّخَرُ الأملس ، ويلين تارة حتى تقول لسانه أو ألسنه ، يقول فيصُول ، ويحبب فيصيب ، ويكتب فيطبّق للفصل ، أو يُنَسِّق الدرّ للفصل ، ويردّ مشاريع الكلام ، وهي صافية لم تطرُق ، وجامّة لم ترتق<sup>(١)</sup> ، خاطره البرق أو أسرع لما ، والسيّف أو أهدّ قطعاً ، واللسان أو ألسن جرّياً ، والفلك أو أقوم هدياً ؛ هو من يسهل الكلام على لفظه ، وتراحم المعاني على طبعه ، فيتناول المرعى البعيد بقريب سقيه ، ويستنبط المشرع العميق بيسير جرّيه ، لسانه يغلِق الصَّخُور ، ويفيض البحور ، ويُسمع الصَّم ، ويستزل الصَّم<sup>(٢)</sup> ، خطيب لا تناله حُبّة ، ولا ترتبه لُكْنَة ، ولا تمشى في خطابه رنة ، ولا تتحيّف بيانه عَجَمَة ، ولا تعترض لسانه عُقْدَة .

فلان رقيق الأسئلة ، عذب العذبة<sup>(٣)</sup> لو وضع لسانه على الشمر حلّقه ، أو

(١) جملة لم ترتق : ساكنة لم تحرك (٢) الصم : جمع أعصم ، وهو الواعل بعصم بالجبال (٣) المراد من الأسئلة والعذبة طرف اللسان

على الصخر قلته ، أو على [ الجر أحره ، أو على ] الصفا خرقه<sup>(١)</sup> ؛ قد أحسن  
 التفارة ، واستوفى المبارة ، وأدّى الألفاظ ، واستغرق الأغراض ، وأصاب  
 شواكل المراد<sup>(٢)</sup> ، وطبّق مفاصيل السداد ، وبسط لسان الخطاب ، ومدّ أطناب  
 الإطناب<sup>(٣)</sup> ، وطلب الأمد في الإسهاب ، قال حتى قال الكلام : لو أُعفيت !  
 وكتب حتى قالت الألفاظ : قد أُحفيت ، قد اتسع له مَشْرَعُ الإطناب ، وانفجرت له  
 مَسَلَكُ الإسهاب ، أرسل لسانه في مِيدَانِهِ ، وأرخص له من عنانه ، قال وأطال ،  
 وجال في بَسْطِ الكلام كلَّ مجال ، إذا استخفّر في الكلام طَمَحَ آدِيهِ ، وسأل  
 آتِيَهُ<sup>(٤)</sup> ، واتّال عليه الكلام كاشيئال الغمام ، واستجاب له الخطاب كصوب  
 الرّباب<sup>(٥)</sup> . ألفاظٌ كضمرات الألفاظ ، ومعانٍ كأنها فكٌ عانٍ<sup>(٦)</sup> ! ألفاظ  
 كما نورّت الأشجار ، ومعانٍ كما تنفّست الأشجار . ألفاظ قد استعارت حلاوة  
 العتاب بين الاحباب ، واستلانت كشكو مشاق يوم الفراق . كلام قريب  
 شامع<sup>(٧)</sup> ومطعم مانع ، كالشمس تقرب ضياء ، وتبعد علا . أو كأنها  
 يرخص موجوداً ، ويفتقر مفقوداً . كلام لا تمجّه الآذان ، ولا تبليه الأزمان ،  
 كالشّرى مسموعة ، أو أزهير الرياض مجموعة ، ومعانٍ كأنفاس الرياح ،  
 تعبق بالريّحان والراح .

كلام سهل متسلسل ، كالندام بماء الغمام ، يقرب إذنه على الأفهام .

كلام كثير الشراب على الأكباد الحزاز ، وجرّد الشباب في خلع العذار .

كلام كثير العيون ، سليم المتون ، رقيق الحواشي ، سهل النواحي .

(١) الصفا : الصخر (٢) الشواكل : جمع شاكلة ، وهي ما بين الأذن والصدر

(٣) الأطناب : الحبال ، واحدها طنّب بضمّتين ، نظير عنق وأعناق (م)

(٤) الآدى : اللوح ، والآى : السيل ، واستخفر : اتسع - وأصل معناه مضى

مسرعاً (م) (٥) الرّباب : السحاب . (٦) عان : أسير . (٧) شامع : بريد

كلامٌ هو السَّحَرُ الخلالُ ، والماء الزُّلال ، والبُرود والحَبَر ، والأمثال والعَبَر ،  
والنعم الحاضر ، والشباب النَّاصِر .

نظرت منه إلى صورة الظرف بَحْتًا ، وصورة للبلاغة سَبْكا ونَحْتًا ، ألفاظ  
هي خُدْع الدهر ، وعَقْد السحر .

كلامٌ بِسَر الحزون ، وَيُسَهِّلُ الحزون<sup>(١)</sup> ، يعطل البر الحزون . كلامٌ بِمِيد  
من الكَلَف ، نَقِيٌّ من الكَدَف<sup>(٢)</sup>

كلامٌ كما تنفس السَّحَر عن نسيه ، وتبسم الدُّرْ غن نظيه . ألفاظ تَأَنَّقْ  
الخطر في تَذْهيبها ، ومعانٍ عُنِي الفهمُ تهذيبها . ألفاظ حسبها من رِقَّتْها منسوخة  
في صحيفة الصَّبَا ، وظلنتها من سلاستها مكتوبة في نَحْر الهوى .

كلامٌ كالْبُشْرَى بالولد الكريم ، قُرْعَ به سَمْعُ الشيخ القيم .

كلامٌ قُرْب حتى أُلْطِع ، وَبَعْدَ حتى اِمتنع ، وقُرْب حتى صار قاب قَوْسَيْنِ  
أو أدنى ، ثم [مما و] علا حتى صار بالمنزل الأعلى . رقيق المزاج ، حُلُو السماع ،  
نَقِي السَّبْكَ ، مقبول اللَّفْظ . قرأت لفظًا جليًا ، حَسَوَى معنى خفيًا ، وكلامًا  
قريبًا ، رَمَى غرضًا بعيدًا . لو أَنَّ كلامًا أَذِيبَ به صَخْر ، أو أَطْفِئَ به جَعر ،  
أو عَوَى به مريض ، أو جَبِرَ به مَهِيض<sup>(٣)</sup> لكان كلامه القوي يقودُ سامعيه إلى  
السجود ، ويمجى في القلوب كَجَرَى الماء في السُّود . ألفاظه أنوار ، ومعانيه  
ثمار . كلامه أنسُ القيم الحاضر ، وزادُ الراحل المسافر . كلامه يُضْنِي إلى القبور ،  
وينشِئُ له المصفور . كلامٌ يَقْضِي حقَّ البيان ، ويملك رِقَّ الحُسْنِ والإحسان ،  
كلامٌ منه يَحْتَنِي الدُّر ، وبه يُعْقَدُ السَّحَر ، وعنده يُعْتَبِ الدهر<sup>(٤)</sup> ، وله  
يَنْشَرِحُ الصدر .

(١) الحزون : جمع حزن — بفتح الحاء — وهو ماغلظ من الأرض .

(٢) الكلف : نمش في الوجه ، لم تسلم منه صفحة القمر (٣) مهيض : مكسور

(٤) يَتَب : يصفو ، من أعتب إذا ترضى وأزال أسباب الضب

## ومن ألقاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء

نَثَرُ كَثْرَ الْوَرْدِ ، نَظْمٌ كَنَظْمِ الْعِقْدِ . نَثَرُ كَالشَّعْرِ أَوْ أَدَقُّ ، وَنَظْمٌ كَالْمَاءِ  
 أَوْ أَرْقُ . رسالة كَالرَّوْضَةِ الْأَنْيَقَةِ ، وَقَصِيدَةٌ كَالْحُدْرَةِ الرَّشِيقَةِ . رسالة تَقَطَّرُ غُرْفًا ،  
 وَقَصِيدَةٌ تَمْزُجُ بِمَاءِ الرِّيحِ لَطْفًا . نَثَرُهُ سِحْرُ الْبَيَانِ ، وَنَظْمُهُ قِطْعُ الْجَمَانِ . نَثَرٌ  
 كَمَا تَفْتَحُ الزَّهْرُ ، وَنَظْمٌ كَمَا تَنْفَسُ السَّحَرُ . نَثَرٌ تَرَقُّ نَوَاحِيهِ وَخَوَاشِيهِ ، وَنَظْمٌ  
 تَرَوُّقُ أَلْقَاضِهِ وَمَعَانِيهِ . نَثَرٌ كَالْحَدِيقَةِ تَفْتَحُ أَخْدَاقَ وَرْدِهَا ، وَنَظْمٌ كَالْخَرِيدَةِ  
 تَوَرَّدَتْ أَسْرَارُ خَدَّهَا<sup>(١)</sup> . رسالة تَضْحَكُ عَنْ غُرَرِ زَهَرٍ ، وَقَصِيدَةٌ تَنْطَوِي  
 عَلَى حَبَرٍ وَدُرَرٍ . لَمْ تَرْضَ فِي بَرَكٍ ، بِأَخَوَاتِ النَّثَرَةِ مِنْ نَثَرِكَ ، حَتَّى وَصَلَتْهَا  
 بَيْنَاتُ الشَّعْرِ مِنْ شِثْرِكَ<sup>(٢)</sup> . كَلَامٌ كَأَهْبٍ نَسِيبُ السَّحَرِ ، عَلَى صَفْحَاتِ الزَّهَرِ ،  
 وَلَقَدْ طَمِعُ الْكَرَى بِدَرْجِ السَّهَرِ<sup>(٣)</sup> . وَشِعْرٌ فِي نَفْسِهِ شَاعِرٌ ، تُوسِمُ بِهِ لِلْوَاسِمِ  
 وَالْمُشَاعِرِ . كَلَامٌ أَنْتَى حِلَاوَةَ الْأَوْلَادِ بِحِلَاوَتِهِ ، وَمُلَاوَةَ الرَّبِيعِ بِطَلَاوَتِهِ ، وَشِعْرٌ مِنْ  
 حَلَقَةِ الشَّبَابِ مَسْرُوقٌ ، وَمِنْ طَيِّبَةِ الْوِصَالِ تَخْلُوقٌ . قَصِيدَةٌ ، فِي فَنِّهَا فَرِيدَةٌ ، هِيَ  
 عُرُوسٌ كُتِبَتْهَا الْقَوَافِي ، وَحَلِيَّتُهَا لِلْمَافِي . شِعْرٌ يَتَرَقَّرُ فِيهِ مَاءُ الطَّبْعِ ، وَيَرْتَفِعُ  
 لَهُ حِجَابُ الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ . شِعْرٌ لَا عَزِيَّةَ الْإِعْجَازِ أَخْطَأْتُهُ ، وَلَا فَضِيلَةَ الْإِيْجَازِ  
 تَخْطِئْتُهُ . شِعْرٌ رَوَيْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُهُ ، وَحَفِظْتُهُ لَمَّا لَحِظْتُهُ . أَيْبَاتٌ لَوْ جُعِلَتْ خَلْعًا  
 عَلَى الزَّمَانِ لَتَحَلَّى بِهَا مُكَاتَرًا ، وَتَجَمَّلَ فِيهَا مُتَأَخِّرًا . شِعْرٌ رَاقِيٌّ ، حَتَّى شَاقِيٌّ ،  
 فَإِنَّهُ مَعَ قُرْبِ لِقَظِهِ بَيْدُ الْمَرَامِ ، مُتَمَرِّ النَّظَامِ<sup>(٤)</sup> ، قَوِي الْأُسْرِ<sup>(٥)</sup> ، صَافِي الْبَخْرِ .  
 نَظْمٌ قَدْ أَلْبَسَ مِنَ الْبِدَاوَةِ فَصَاحَتَهَا ، وَغَشَّى مِنَ الْحَضَارَةِ مَجَاحَتَهَا<sup>(٦)</sup> ؛ فَإِنْ

(١) الحريدية : الفتاة الحديدة (٢) النثرة : اسم كوكب ؛ وكذلك الشعرى

(٣) برج السهر : شدته (٤) ممر النظام : قويه محكمه (م)

(٥) الأسر ، إحكام الحلقة (٦) السجاجة : استواء الصورة

شنت قلت عبيد وليد، وإن شنت حبيب والوليد<sup>(١)</sup>. قصيدته روضة تجنى  
بالأنكار، وقُلْ يَتَنَوَّلُ بالأسماع والأبصار<sup>(٢)</sup>، وقُلْ العلم والأدب، أَلَدُّ من قُلْ  
للأكل والشرب، وفاكهة الكلام، أطيَّب من فاكهة الطعام. نظم كنظم  
الجنان، وروّض كالجنان، وأمن القواد، وطيب الرقاد. قصيدة لم أرَ غيرها بكرةً،  
استوفت أقسام الحنكة، واستكملت أحكام الدرّبة<sup>(٣)</sup>؛ فليها رونق  
شباب، ولها قوة المذكيات الصلاب<sup>(٤)</sup>، روح الشعر، وتاجُ الشعر، ومقدمة  
سائر الشعر. كل بيت شعر خير من بيت تثر. شعر يُحْكَم له بالإيجاز والتّبريز،  
ويشبه في صفاء سبكه بالذهب الإبريز. شعرٌ تاتلف القلوب على دُرّيه التلافاً،  
وتعبر الآذان له أصدافاً. لله دُرّهُ ما أحلى شعره! وأتقى دُرّهُ، وأعلى قدره، وأعجب  
أمره! قد أخذ برقاب القوافي، وملك رِقَ الماعى، فضله بُرهان حق، وشعره  
لسان صدق. فلان يُفرب بما يُحلب، ويُبدعُ فيما يصنع، حسنُ السبك،  
مُحكَمُ الرَّصف، بديع الوصف، مرغوب في شعره، متناسف في سحره. هو  
ضرب في قِداح الشعر بأعلى السهام، أخذ في عيون الفضل بأوفى الأقسام، شِماره  
أشعاره، ودابه آدابه، هومن يبتدعه فيتدع، طبعه يُملى عليه، مالا يُملأ الاستماع  
إليه. قريحة غير قريحة، وطبع غير طبع<sup>(٥)</sup>، وخيم غير وخيم، لبيد عنده بليد،  
وعبيد لديه من العبيد، والفرزدق عنده أقل من فرزدقة تخير<sup>(٦)</sup>، وجريز يُقاد  
بِه بجريز<sup>(٧)</sup> قد نسج خللاً لا يُنبلي جدتها الجديدان، ولا تزداد إلا حسناً على

- 
- (١) عبيد بن الأبرص: شاعر جاهلي وليد بن ريمة العامري: شاعر مخفوم،  
وحبيب هو أبو تمام بن أوس الطائي. والوليد هو أبو عبادَةَ الوليد البحرى: شاعران  
من شعراء العصر العباسي (م). (٢) التّقل: ما يتقل به من أنواع القواكه على الشراب  
(٣) الحنكة: التجربة، والدرّبة: التمرين  
(٤) المذكيات والمذاكي: الحيل بلغت سن القوة  
(٥) غير طبع: غير لقيم، وهى من طبع السيف، على وزن علم، إذا ركب  
الصدأ الكثير (٦) الفرزدقة: القطعة من المعين (٧) الجريز: الجبل.

تَرْدُدِ الْأَزْمَانِ . نَفْلُهُ قَدْ نَظَمَ حَاشِيَتِي الْبَرَّ وَالْبَحْرَ ، وَأَدْرَكَ نَاحِيَتِي الشَّرْقِ  
وَالْغَرْبِ . أَشْعَارُهُ قَدْ وَرَدَتْ لِلْيَاءِ ، وَرَكِبَتْ الْأَفْوَاهُ ، وَسَارَتْ فِي الْبِلَادِ ، وَلَمْ تَسِرْ  
بِرَّاءٍ ، وَغَازَتْ فِي الْأَقَالِي ، وَلَمْ تَمْسُ عَلَى سَاقٍ . شَعْرُهُ أَشْبَهَ مِنَ الْأَمْثَالِ ، وَأَسْرَى  
مِنَ الْخِلَالِ ، سَارَ مَسِيرَ الرِّيحِ ، وَطَارَ بَغِيرَ جَنَاحٍ . أَشْعَارُهُ سَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ ،  
وَهَبَتْ هُبُوبَ الرِّيحِ ، وَطَبَقَتْ نُحُومَ الْأَرْضِ ، وَانْتَضَمَتْ الشَّرْقَ إِلَى الْغَرْبِ .  
قَدْ كَادَتْ الْأَيَّامُ تَنْشُدُهَا ، وَاللَّيَالِي تَحْفَلُهَا ، وَالْجَنُّ تَدْرُسُهَا ، وَالطَّيْرُ تَتَقَنَّ بِهَا .  
أَيَّاتٌ أَشْفَرُ عَنْهَا طَعْمُ الْجَدِّ ، فَصَلَتْ كَيْفَ يَتَكَثَّرُ الزَّهْرُ عَلَى صَفَحَاتِ الْحَدَائِقِ ،  
وَكَيْفَ يَنْفَسُ اللَّزْزُ فِي رِيَاضِ الْمَهَارِقِ <sup>(١)</sup> . شَعْرُهُ قَدْ أَحْسَنَ خِدْمَتَهُ بِكَالٍ فِكْرُهُ ،  
وَوَقَفَ كَيْفَ شَاءَ عِنْدَ عَالِي أَمْرِهِ . شَعْرُهُ يُعَلِّقُ فِي كَعْبَةِ الْمَجْدِ ، وَيَتَوَجَّعُ بِهِ مَفْرِقُ  
الدَّهْرِ . جَاءَتْ الْقَصِيدَةُ وَمَعَهَا عِزَّةُ الْمَلِكِ ، وَعَلَيْهَا رَوَاهُ الْعَدُوُّ ، وَفِيهَا سِيَاءُ الْعِلْمِ ،  
وَعِنْدَهَا لِسَانُ الْمَجْدِ ، وَلَهَا صِيَالُ الْحَقِّ ، لَا غُرُوءَ إِذَا قَاضَى بَحْرُ الْعِلْمِ عَلَى لِسَانِ  
الشُّعْرِ أَنْ يَنْتِجَ مَا لَا عَيْنَ وَقَفَتْ عَلَى مِثْلِهِ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ بِشَبْهِهِ . شَعْرُهُ يَكْتُبُ  
غُرَّةَ الدَّهْرِ ، وَيُشْرِحُ فِي جَبْهَةِ الشَّمْسِ [ وَالْبَدْرِ ] .

### وهذه جملة من فصول أهل المصر تليق بهذا الموضع

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي محمد خلاد الرامهرمزي القاضي

«وصل كتابك الذي وصلت جدته بفنون صلاتك وتفقدك ، وضروب برّك  
وتعمدك ؛ فارتحت لكل ما أوتيت ، وابتهجت بجميع ما أهديت ، وأصفت  
إحسانك في كل فصل إلى نظائره التي وكلت بها ذكري ، ووقفت عليها  
شكري ، وتأملت النظم فلكني النجب به ، وبهرتني التعجب منه ، وقد  
رمت أن أجرى على العادة في تشبيهه بمستحسن من زهر جني ، وحلل وحلّ ،  
وشذور القرائد ، في مخور الخرائد .

من ابن العميد  
إلى خلاد  
الرامهرمزي

(١) للهارق: جمع مهرق - على صفة المفعول - وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها .

والغذاري غَدَوْنَ في الحلال اليه من وقد رُحْنَ في الخطوط السُّود  
فلم أَرِدْ شَيْءَ عَدْلًا ، ولا أَرْضِي ما عَدَدْتُهُ له مثلاً ؛ والله يزيدك من فضله  
ولا يُخْلِكَ من إحسانه ، ويلهمك من بَرِّ إخوانك ما تَتِمُّ به صنيعةَ لديهم ،  
ويُرَبِّبْ معه إحسانك إليهم .

وكتب أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب إلى أبي سعيد الشيبى :

« قد رأى شيخُ الدولتين كيف الكَلَفُ بسادِّي من أهل ميكال - أيدهم من الصاحب  
ابن عباد إلى الله ! - بين ودَّ أَصْبَرَهُ على البُعد ، وإشَارَ أَظْهَرَهُ على تراخى المزار ، وتقرَّيظُ تيميه على الشيبى  
للوان<sup>(١)</sup> ، ومَدَّحَ أَنْطَقَ فيه بلسان الزَّمَانِ ، حتى إن ذِكْرَهُمْ إذا جَرَى على  
لساني اهْتَزَّتْ له نَفْسِي ، وَفَضَّلَهُمْ إذا جَرَى على سَمْعِي انْفَرَجَ له صَدْرِي ، ففلك  
عَصْبَةُ خَيْرِ فَضْلُهُمَا بَاهِرٍ ، وَشَرْفُهَا على شرف النماء زَاهِرٍ ، وشجرة طيبة أصلُها  
ثابت وفرعُها في السماء [ ناظر ] ، والله يتَمُّ أَعْدَادُهَا ، ولا يعدمنى وِدَادُهَا .  
وإذا كان إكباري لهم هذا الإكبار فكلُّ منتسب إلى جنبهم أَثِيرٌ لَدَيَّ<sup>(٢)</sup> ، كثير في  
يَدَيَّ . وطراً على فلان منتسباً إلى جملتهم ، وحبذا الجلالة ، ومُعْتَزِيّاً إلى  
خدمتهم ، وَنِعْمَتِ الخُدْمَةِ ، وفررناهُ عن طَمَعٍ سَمَّحٍ<sup>(٣)</sup> ، وَلَقَطِ عَذْبٍ ، وَصَلَةِ  
نَثَرٍ بنظم ؛ فإِن شاء قال : أنا الوليد ، وإِن شاء قال : أنا عبد المجيد ؛ ولم أعْظِمْ مِنْ  
خُرُوجِهِ تلك النعمة وتحت تلك السُّدَّةِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ حَسَنَةٍ بِمُرُوءَةٍ ، ويقدح  
في كل نارٍ بِجَدْوَةٍ ؛ وَأَنْتَنَا بِالْمَقَامِ مُدَّةً ، أَكْثَرُهَا شَوَافِعَ عِدَّةً ، إلى أن تذكُرَ  
مَمَاهِدَ رَأَى فيها الدَّهْرَ طَلْقاً ، والزمان غَلَاماً ، والفضل رِهناً ، والإفضال إِزَاماً ؛  
لَحْنٌ حَنِينٌ الرَّكَّابِ ، وَرَكْبٌ عَزِيمٌ الإِيَابِ<sup>(٤)</sup> .

فعل [ من كتاب ] كتبه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحد الميكالى إلى

(١) للوان : الليل والنهار (٢) أثير : عزيز (٣) فررناه : اختبرناه ، والفر  
في الأصل : اختبار أسنان العذابة ليعرف مبلغها من القوة (٤) العزيم : الجري الشديد

أبي القاسم الداودي جواباً عن كتاب له ورد عليه . وأبو الفضل رئيس قيسابور وأعمالها في وقتنا هذا<sup>(١)</sup> ، وسينر من كلامه ونثره ونظامه ما ينفي عن التنويه ، ويكتفي عن التنبيه ، ويحيل عن التشبيه ، ويكون كما قال أبو الحسن الأخفش على بن سليمان : [ استهدى إبراهيم بن اللدبر ] أبا العباس محمد بن يزيد جليلاً يَجْمَعُ إلى تأديب ولده الإمتاع يابنائه ؛ فندبني لذلك ، وكتب إلي معي : قد أغذت إليك - أعزك الله - فلانا ، وجملة أمره أنه كما قال الشاعر :

إذا زُرْتُ الملوك فإن حسي شفيحاً عندهم أن يخبروني

وفصل أبي الفضل : وقتُ على ما أتحفى به الشيخ : من نظمِ الرائع البديع ، وخطِّه الزُّرَي بَهر الريح ، مُوشِحاً بغيرِ الفاظه ، التي لو أُعيرت حينها لعلَّتْ قلائد النحور ، وأبكارِ معانيه التي لو قُستْ حلاوتها لأعذبتْ مَوَارِدَ البحور ، فسرَّحتْ طُرْفِي منها في رياضِ جادتها سحائبُ العلوم والحقم ، وهبَ عليها نسيمُ الفضل والكرم ، وابتسمتْ عنها ثغورُ العالی والهمم ، ولم أدِر - وقد حيرتني أصنافها ، وبهرتني ثغورها - وأوصافها ، حتى كسفتني اهتزازاً وإعجاباً . وأنشأت بيني وبين التماسك سِتراً وحجاباً ، ولم أدِر<sup>(٢)</sup> أدفتني لها شوقاً راح ، أنه لزد هنتي نعمة ارتياح ، وانتظم عندي منها عقد ثناء وقرىض<sup>(٣)</sup> ، أم قرع سَمِي منها غداً مَقْبِدٌ وغريص ، وكيف كان قد حوى رتبة الإعجاز والإبداع ، وأصبح نزهة القلوب والأسماع ، فما من جاريةٍ إلا وهي تؤدُّ لو كانت أذناً فلتنقِط دُرره وجواهره . أوعيت تجلتي مطالقه ومناظره ، أولسا تابدُرُ من محاسنه ومفاخره .

ونه فعل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي : « وصل كتاب مولاي وسي . أبدع الكتب هوادي وأعجازاً<sup>(٤)</sup> ، وأبرعها بلاغة

من أبي الفضل  
الميكاني إلى أبي  
القاسم  
الداودي

ومنه  
إلى الثعالبي

(١) توفي أبو العاصم نيكالي سنة ٤٣٦ هـ ، وقد توفي مؤلف هذا الكتاب في سنة ٤٥٣ هـ (م)

(٢) هكذا . وكلمة « ولم أدِر » تكرارها التي سبقت (م) (٣) كذا ، ولعل لأصل « عقد شر وفريص » (م) (٤) الهوادي والأعجاز : البدايات والنهايات



وإيجازاً ، فحسبت ألفاظه دَرَّ السحاب ، أو أصفى قطراً وديته ، وسمانيه دَرَّ السحاب<sup>(١)</sup> ، بل أوفى قَدَرًا وقيمة . وتأملت الأبيات فوجدتها فائقة النظم والزمج ، عِبْقَ النسيم والعَرَفَ ، فائِزَةً بِقَدَاحِ الحُسْنِ والطَّرَفَ ، مالكة ليزام القلب والطَّرَفَ ؛ ولا غَرْوَانْ يصدر مثلها عن ذلك الخاطر ، وهو هَدَفَ الفَقْرَ والنوادر ، وصَدَفَ الدرر والجواهر ، والله يُنْتَعَمُ بما منحه من هذه الغرر والأوضاع ، كما أطلق فيه ألسنة الثناء والامتداح .



وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا [ على طريق التخمين لا على حقيقة اليقين ] وهو فريدُ دهره ، وقريع عصره ، ونسيجُ وُحْدِهِ ، وله مصنفات في العلم والأدب ، تشهدُ له بأعلى الرتب ، وقد فرقت ما اخترته منها في هذا الكتاب ، مع ما تعلق بشأكلته من الخطاب<sup>(٢)</sup> ؛ منها كتاب سماه « سحر البلاغة » قال في صدر هذا الكتاب : « أخرجتُ بعضه من غُررِ نجوم الأرض ، ونُكَّتْ أعيان الفضل ، من بُلغَاءِ العصر ، في النثر ، وجللت بعضه من نظم أمراء الشعر ، الذين أوردت مُلَحَّ أشعارهم في كتابي المترجم ببيتمة الدهر ، فلفقت جميع ذلك وحررتَه ، وسقته ونسقته ، وأنفقت عليه مارزقته ، وعملت به كدَّ الناظر ، وجهد الخاطر ، وتعبَ اليمن ، وعرقَ الجبين ، وتمعدتُ فيه لَذَّةَ الجِلْدَةِ ، وروَّنتُ الخدائنة ، وحلاوة الطراوة ، ولم أشبهُ بشيء من كلام غير أهل العصر ، إلا في قلائل وقلائد من ألفاظِ الجاحظ وابنِ المتمرز ، تخللت أثنائه ، وتوشحت تضاعيفه ، ولم أُخلِ كلماتي - التي هي وسائطُ الآداب ، وصياقلُ الألباب ، وما تستنمته أنفُسُ

(١) السحاب : قلادة من القرقرل

(٢) كان العالي فراءً يخطط جلود العالي ، فنسب إلى صناعته ، ثم أُقبل على الأدب والتاريخ فنبغ ، وترك طائفة من المؤلفات القيمة أشهرها بيتمة الدهر ، وكانت وفاته

الأدباء ، وتلذذ أعين الكتاب - من لفظ صحيح ، أو معنى صريح ، أو تجنيس أنيس ، أو تشبيه بلاشبيه ، أو تمثيل بلا تمثيل ولا عدليل ، أو استعارة مُختارة ، أو طباق ، ذى رَؤْيٍ باق ؛ فنزاعَ هذا الكتاب قُرْبَ تناوُلِهِ من الكتاب ، إذا وشوا ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من بُورِهِ ، وساحة قيادِهِ لأفراد الشعراء إذا رصعوا عقودَ نظائهم بما يلتقطونه من شذُورِهِ ، فأما الخطابات والمحاورات ، فإنها تتبرَّج بفرقة من غرره ، وتُتَوَجَّج بكرة من دُرَرِهِ .

وقد ذكر جملة من أخرج معظم كتابه من ثمرهم ونظمهم ، وهم : الصايان<sup>(١)</sup> ، والخالديان<sup>(٢)</sup> ، وديع الزمان ، وأبونصر بن المرزبان [وعلى بن عبد العزيز القاضي ، وأبو محمد القاضي ، وأبو القاسم الزعفراني ، وأبو فراس الحمداني] ، وابن أبي العلاء الأصبهاني ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو الفتح البستي ، وأبو الفضل الميكالي ، وشمس المعالي ، والصاحب بن عباد ، وجماعة يكثر بهم التعداد ، قد ذكرهم في كتابه ، فكل ما مرَّ أو يمر من ذكر ألقاظ أهل العصر من كتابه نقلتُ ، وعليه عَوَّلت .

وفي أبي منصور يقول أبو الفتح علي بن محمد البستي :  
 قلبي رهين بنيساور عند أخ ما مثله حين تُستقرى البلادُ أخُ  
 له صحائف أخلاق مهذبة من الحجاج والعلا والظفر تنتسخ  
 وأما الذين ذكر أسماءهم في كتابه فساظهر من سرائر شعرهم الرصين ، وأجنو من جواهر ثمرهم الثمين ، ما أخذ من البلاغة باليمين .

(١) هما إبراهيم بن هلال المتوفى سنة ٣٨٤ ، وهلال بن الحسن المتوفى سنة ٤٤٨

(٢) هما سعيد بن هاشم المتوفى سنة ٤٠٠ ، ومحمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠

وكان هذان الأخوان يعرفان بالخالدين ، وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة وتنسب إليهما معا ، أصلهما من الخالدية - من قرى الموصل - وكانا من خواص سيف الدولة بن حمدان ، ولهما مع أهل عصرهما أخبار كثيرة

فصل لأبي الفضل : وصل كتاب الشيخ للبشر من خير سلامته التي هي غرة  
الزمان البهيم<sup>(١)</sup> ، وهذر الدهر المليم<sup>(٢)</sup> ، بما أشرقت له آفاق الفضل والكرم ،  
وتمت به نفائس الآلاء والنعم ، فسرحت طرقي من محاسن أفضاله ، في أنوار  
تروق أزيارها ، وقلايد تروع دُررها وجواهرها ، ومبار يسترق الرقاب بامانها  
وظاهرها<sup>(٣)</sup>

وله إلى أبي سعيد بن خلف الحمداني :

وصل كتابك متحامل من أخبار سلامتك ، وآثار نعم الله بساحتك ، ما أدى  
روح البر ونسيمة ، وجمع فنون الفضل وتقاسيمه ، ومجدداً عندى من عمر مواصلته ،  
ومصول كلامه ومحاورته ، ما ترك غصن المقة غصن تروق أوراقه<sup>(٤)</sup> ، ووجه البقة  
طلقاً ينهل إشراقه ، فكم جنبته عنه من ثمرة سر كانت عوائق الأيام تحاذي بنيته ،  
وحويت به من علق مصنعة قلما يحود الدهر بمثله لبنيه<sup>(٥)</sup> .

وله فصل إلى بعض الحكام بجوين<sup>(٦)</sup> :

وصل كتاب الحاكم وقد وشحه بمحاسن فقره ، ونتائج فكره ، من لفظ  
شهي أعطته القلوب فضل المقادة ، ومعنى سني جاده صوب الإصابة والإجادة ،  
وبرهني اتفقت على الاعتراف بفضله السنة الثناء والشهادة ، فسرحت طرقي  
فيما حواه من بدائع وطرف ، قد جمعت في الحسن والإحسان بين واسطة  
وطرف ، حتى لم تبق في البلاغة بقيمة إلا جبرتها وتممتها .

وله إلى الأمير السيد أبيه يهنئه بالقدوم .

كتبت وأنا بمنزلة من ارتد إليه شبابه بعد اللثيب ، وارتدى برداء من العمر

(١) البهيم : المظلم (٢) المليم : المذنب

(٣) مبار : جمع مبرة (٤) المقة : الحب (٥) الطلق : الشيء النفيس

(٦) جوين : كورة كبيرة في خراسان

قَتِيب<sup>(١)</sup> ، والحمد لله رب العالمين ، وصل كتاب مولاي مبشراً من خبر عَوْدِهِ  
إلى مقرِّ عَزَّهِ وشَرَفِهِ ، محروساً في حفظ الله وكَنَفِهِ ، بما لم تزل الآمال تتسَّم  
روائحه ، وتترقب غادى صُنْعَ الله فيه ورائحه ، واثقة بأنَّ عادةَ الله الكريمةَ عنده  
تُسايرُهُ وتُرافقه ، وتلازمُ جنبه فلا تُفَارِقُهُ ، حتى تخرجه من غَمْرَةِ الغَماءِ خروجَ  
السيف من الغمدِ ، والبدر بعد السَّرارِ<sup>(٢)</sup> إلى الانجلاء ، فعددتُ يومَ وُروْدِهِ عيداً ،  
أعاد عيدَ الشُّرورِ جَدِيداً ، وردَّ طَرْفَ الحُسودِ كليلاً وقد كان حديداً ،  
ولم أَشَبِّهْهُ في إهداءِ الرُّوحِ والشَّفاءِ ، وتلافي الرُّوحِ بعد أنْ أَشَقَى على المكروهِ  
كلَّ الإِشْفاءِ<sup>(٣)</sup> إلَّا بقميصِ يوسف حين تلقاه يعقوبُ عليه السلام من البشير ،  
وَأَلْقَاهُ على وجهه فغَطَّرَ بِعَيْنِ البصير ، فكَم أوسمتهُ لَمَعاً واستلاماً ، والتفتتُ منه  
بَرْدُاً وسلاماً ، حتى لم تبقَ غَلَّةٌ في الصدرِ إلَّا بَرَدَتْهَا ، ولا غَمَّةٌ في النفسِ  
إلَّا طَرَدَتْهَا ، ولا شريعة من الأنسِ إلَّا وَرَدَتْهَا .

وله فصل من رسالة :

وكان فرطُ التعجبِ مرَّةً وعَظَمُ الإعجابِ تارةً يقفُ بي عند أولِ فصلٍ  
من فصوله ، ويثبطني عن استيفاءِ غُرَرِهِ وحُجُولِهِ ، ويُوهمني أنَّ الحَاسَنَ ما حَوَتْهُ  
قَلَانْدُهُ ، ونَقَمَتُهُ فرائدُهُ ؛ فليس في قوسِ إحسانِ وراءِها مِيزَانُ<sup>(٤)</sup> ، ولا لاقتراحِ  
جَنَانٍ فوقها مُتَعَطِّعٌ ، حتى إذا جاوزته إلى ثَقَفِهِ وتَزْيِينِهِ ، وأَجَلْتُ فِكْرِي  
في نُكْتِهِ وعِيُونِهِ ، رأيتُ ما يُحَيِّرُ العُرْفَ ، ويُمَجِّزُ الوَصْفَ ، وَيَفُوقُ على الأولِ  
مَحَلًّا ومَكَانًا ، ويفوقه حَسَنًا وإحسانًا ، فَرَفَعْتُ كَيْفَ شِئْتُ في رِياضِهِ وحدَائِقِهِ ،  
واقبستُ نُورَ الحِكْمِ من مطالعِهِ ومُشارِقِهِ ، وسلَّمتُ لمعانيهِ وألفاظِهِ فضيلةَ السَّبَقِ

---

(١) قَتِيب: جديد (٢) السَّرار: بكسر السين - آخر ليلة من الشهر ، ولا يظهر فيها القمر (م) (٣) أَشَقَى على المكروه : أشرف عليه (٤) ميزان - على وزن منبر - السير الذي يترعرع به ، ويقولون : ذيق في قوس الصبر مِيزَع ، يريدون أن الصبر تقدت أسبابه .

والبَرَاعَةِ ، وتلقيتها بواجبها من النَّشْرِ والإِذَاعَةِ ؛ فإنها جمعت إلى حُسْنِ الإِيحَازِ  
درجةَ الإعْجَازِ ، وإلى فضيلة الإِبْدَاعِ جلالَةَ الموقعِ في القلوب والأَسْماجِ .

وله من فصل :

وصل كتابُ الشيخِ فَذَّشَرَ عِنْدِي مِنْ حُلُلِ إِفْضَالِهِ وَإِكْرَامِهِ ، وَمَحَاسِنِ خُطَابِهِ  
وَكَلَامِهِ ، مَا لَمْ أَشَبِّهِهُ إِلَّا بِأَنْوَارِ النُّجُودِ<sup>(١)</sup> ، وَحَبَرِ الْبُرُودِ ، وَقِلَائِدِ الْقُودِ .

أبو منصور  
التمالي يصف  
أبا الفضل  
النيكالي

وذكر أبو منصور التمالبي الأُميرُ أبا الفضل في كتاب أَلْفِهِ ، قَالَ فِي بَعْضِ  
فُصُولِهِ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ سِرِّ النِّظْمِ ، وَيَسْخَرَ الشَّعْرِ ، وَرُقِيَةَ الدَّهْرِ ،  
وَيَرَى صَوْبَ الْقَلْبِ ، وَذَوْبَ الظُّرْفِ ، وَتَبِيحَةَ الْقُضْلِ ؛ فَلْيَسْتَشِدْ مَا أَشْفَرَ عَنْهُ  
طَبِيعُ بَحْدِهِ ، وَأَثْمَرَهُ عَلَى فِكْرِهِ : مِنْ مُلَحٍّ تَمَزَّجُ بِالنَّفُوسِ لِنَفَاسَتِهَا ، وَتَشْرَبُ  
بِالْقُلُوبِ لِنَافَسَتِهَا :

قَوَافٍ إِذَا مَا رَوَّاهَا الْمَشْوُ قِ هَزَّتْ لَهَا الْغَانِيَاتُ الْقُدُودَا

كَسَوْنَ عَيْدًا ثِيَابَ الْعَيْدِ وَأَضْحَى لَبِيدٌ لِسِيهَا بَلِيدَا

وَأَيْمُ اللَّهِ مَا مَرَّ يَوْمٌ أَصْغَفَنِي فِيهِ الزَّمَانُ بِمُوجِبَةِ وَجْهِهِ ، وَأَسْمَدَنِي بِالْإِخْتِصَابِ  
مِنْ نُورِهِ وَالْإِغْتِرَافِ مِنْ بَحْرِهِ ، فَشَاهَدْتُ نِمَازَ الْمَجْدِ وَالسُّودَ تَنْتَشِرُ مِنْ  
شَمَائِلِهِ ، وَرَأَيْتُ فُضَائِلَ الدَّهْرِ عِيَالًا عَلَى فُضَائِلِهِ ، وَقَرَأْتُ نُسْخَةَ الْقُضْلِ وَالسَّكْرِ  
مِنْ أَلْحَانِهِ ، وَانْتَهَبْتُ فَضَائِلَ الْفَوَائِدِ مِنْ أَلْفَانِهِ ، إِلَّا تَذَكَّرْتُ مَا أَنْشَدَنِي  
أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ لَابِنِ الرُّؤْيَى :

لَوْلَا عَجَائِبُ صُنْعِ اللَّهِ مَا ثَبَتَتْ تِلْكَ الْفُضَائِلُ فِي لَحْمٍ وَلَا عَصَبٍ

وَقَوْلُ الطَّائِي :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطُّبَاعِ

(١) النجود : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، وفيه يوضع الزهر .

وقول كشاجم :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عَيْبِ بُؤَيِّهِ مِنَ التَّيْنِ  
وربمت بقول أبي الطيب :

فَإِنْ تَقَى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْفَزَالِ  
ثم استمرت فيه بيان أبي إسحاق الصابي حيث يقول للصاحب « وَرَبَّمَهُ  
اللهُ أَعْمَارَهَا ، كما يُلْقِنُهُ فِي الْبَلَاغَةِ أَنْوَارَهَا »

اللهُ حَسْبِي فَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا تَعَوَّدُ الْعَبْدُ عَلَى الْمَوْلَى  
فَلَا تَزَلْ تَرْفُلُ فِي نِعْمَةٍ أَنْتَ بِهَا مِنْ غَيْرِكَ الْأَوَّلَى

وقال في فصل منه : وما أنسى - لا أنسى - أيامي عنده بغير وزائد إحدى قرأه  
برستاق جوين ، سقاها الله ما يحكي أخلاق صاحبها من سَيْلِ الْقَطْرِ ، فإنها  
كَات - بَطْلَمَتِهِ الْبَذْرِيَّة ، وَعِشْرَتِهِ الْعِطْرِيَّة ، وآدابه العلوية ، وألفاظه اللؤلؤية  
مع جلائل نعيمه المذكورة ، ودقائق كرمه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ،  
وحسين أقواله وأفعاله التي يعيا بها الراضفون - أنموذجات من الجنة ، التي وعد  
المنقون ، وإذا تذكرتها في للرايع التي هي مَرَايِعُ التَّوَاضُّعِ ، والمصانع التي هي  
مطالع العيش الناضر ، والبساتين التي إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت  
طرائف مطايفها ، طوى لها الديباج الخشرواني ، ونقى معها الزنبي الصنماني ،  
فلم تشبه إلا بشيئيه ، وآثار قله ، وأزهار كله ، تذكرت سحرًا وسيا ، وخيرًا  
عميًا ، وإرتياحًا مقيا ، وروحًا ورثاءًا وسميًا

عود إلى ذكر  
فصول من كلام  
الميكاني

وكثيراً ما أحبكي للاخوان أني استرفت أربعة أشهر بعرضته ، وتوقرت  
على خدمته ، ولازمت في أكثر أوقاتي عالي كبحه ، وتطرت [عند ركوبه]  
بفبار موكبه ؛ فبالله يميناً كنت غنيا عنها لو خفت حينئذ فيها إني ما أنسكرت  
طريقاً من أخلاقه ؛ ولم أشاهد إلا سجداً وشرفاً من أحواله . وما رأيته اغتتاب

غائباً ، أو سبَّ حاضرًا ، أو حرَّم سائلاً ، أو خيَّب آملاً ، أو أطلع سلطانَ  
النفسِ في الحضر ، أو تسلى بنار الصَّجَر في السَّمر ، أو بطش بطشَ التجبُّر ؛  
ولا وجدت المآثر إلا ما يتعاطاه ، ولما تمَّ إلا ما يتخطَّاه .

وقال في فصل منه يصفه : وأما فتونُ الأدب فهو ابنُ بجدتها<sup>(١)</sup> ، وأخو  
جملتها ، وأبو عُذْرَتها<sup>(٢)</sup> ، ومالكُ أزمِنتها ، وكأنا ما يُوحى إليه في الاستئثار بمحاسنها ،  
والفرث بدائنها ، والله هو إذا غرس الدُّرَّ في [ أرض ] القراطيس ، وطَرَزَ  
بأنفلاذ رِداءِ النهار ، وألقت بِحَنَزٍ خواطره جواهرَ البلاغة على أنامله ، فهناك  
انلُحْنُ برُمَّته ، وانلُحْنُ بكَيِّته .

وذكر عربن على المطوحي في كتابِ ألقه في<sup>(٣)</sup> شعر أبي الفضل ومثوره المطوحي يذكر  
والشراء ، فقال : رأيتُ أهل هذه الصناعة قد تشبَّهوا على طُرُق ، وانقسموا على أنواعِ الشراء  
ثلاث فرق ، فهم من اكتسب كلامه شرف الاكتساب دون شرف الانتساب . ثم يذكر البكول  
كالمكتسبين من الشراء بالمدايح ، المترشحين بها لأخذ الجوائز والمنافع ، وهم  
الأكثر من أهل هذه الصناعة ؛ ومنهم من شَرُفَتْ بناتُ فكره عند أهل  
العقول ، وجلبت لسيهم فضائل القبول ، لَشَرَفَ قائلها ، لا لِكثرة عقائلها ، وكرم  
واشياءها ، لا لِرقة حواشيها ، كالعدد الكثير ، والجم الفقير ، من الخلفاء والأمراء  
والجيلة والوزراء ؛ ومنهم من أخذ بحبل الجؤدة من طَرَفَيْه ، وجمع رداء الحنين  
من حاشيتَيْه ، كأمري القيس ابن حُجْر الكندي في المتقدمين ، وهو أميرُ الشراء  
غير مُنازع ، وسيدهم غير مُخادَّب ولا مدافع ، وعبد الله بن المعتز بالله أمير المؤمنين  
في المولدين ، وهو أشمر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع أنشاء الدولة العباسية ، ومن

(١) ابن بجدتها : هو الخير بها ، وتقول : فلان عالم يبجدة أمرك ، أي بحقيقته

(٢) أبو عذرتها . العذرة : البكارة ، وأبو عذرها : أول من احتضنها ، كناية عن

التفوق في أمر من الأمور (٣) لعل كلمة « في » هذه مقحمة (م)

جلَّ كلامه في التشبيه ، عن أن يُمثَّلَ بنظائر أوشبيهه ، وعَلَّتْ أشعاره في الأوصاف .  
عن أن تصاطعها السُّنة الوُصَّاف ؛ والأمير أبي فراس بن سَحْدَان فارس البلاغة .  
ورجل الفصاحة ، ومن حكمت له شعراء مصر قاطبةً بالسيادة ، واعترفت لكلامه  
بالإحسان والإجادة ، حتى قال أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب : بُدِيَ .  
الشعرُ بملك وخِمْ بملك ، يعنى امرأ القيس وأبا فراس ؛ وهذه الطائفة أشهر  
الثلاثة تقدماً ، وأثبتها في مواطن الفخر ومواطن الشرف قَدْماً ، وأسبق الشعراء  
في ميدان البلاغة ، وأرجحهم في ميدان البراعة ؛ فإنَّ الكلام الصادر عن الأعيان  
والصدور ، أقرُّ للعيون وأشقى للصدور ، فشرف القلائد بمن قلدها ، كما أن شرف  
الحقائل بمن ولَّدها :

وَحَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا      وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ  
وإذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط ، وانتظمت عنده هايك الحامض .  
كان خليقاً بأن تخلد في صحائف القلوب أشعاره ، وتُدَوِّنَ في ضمائر النفوس  
آثاره ، وتكتب على الأحداق والعيون أخباره ، وجديراً بأن يختصر بسرعة  
المجال في المجالس ، وخيفة المدار في المدارس ، كالأمر الجليل السيد مولانا :  
أبي الفضل من نال السماء بفضلِهِ      ومن وعدته نفسه بمزيدِ  
تودُّ عقود الدرِّ لو كنَّ لفظُهُ      فينظمها من تَوَاضَعٍ وفريدِ

وهذه مقطعات لأهل مصر في وصف البلاغة

قال أبو الفتح البُتِّي :  
مدحتك فالتامت قلائدُ لم يَفِزْ      أماهل الصَّيدِ الكِرَامِ الأعظمِ  
لأنك بحمرةٍ والمعاينِ لآلي :      وفكري غَوَاصٍ وشعري ناضِمْ  
وقال أيضاً :

ما إن سمعت بنوًا له نمرٌ      في الوقت يُمنع تمنع المرء والبصرا

لأبي الفتح  
البُتِّي



حتى أتاني كتابُ منك مبتمٍ  
فكان لفظك في آلائه زهراً  
تباهاً فأصاباً التصد في طلق  
وقال أيضاً :

لَمَّا أَتَانِي كِتَابُ مِنْكَ مَبْتَمٍ  
حَكَتْ مَعَانِيهِ فِي أَتْنَاءِ أَشْطَرِهِ  
كَأَنَّهُ أَلَمَ بِقَوْلِ الطَّائِي :

يَرَى أَفْجَحَ الْأَشْيَاءِ أَوْبَةَ أَمَلٍ  
وَأَحْسَنَ مِنْ نُورٍ تَفْجَعُ الصَّبَا  
كَتَبَهَا يَدُ الْمَأْمُولِ حَلَّةَ خَانِبٍ  
بِيَاضِ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ

وقال أبو الفتح البستي في أبي نصر أحمد بن علي الليكالي :

جَمَعَ اللَّهُ فِي الْأَمِيرِ أَبِي نَصْرِ خِصَالاً نَمْلُو بِهَا الْأَقْدَارُ  
رَاحَةً بَزَتْ وَصَدْرًا فُضَاءً وَذَكَاءً بَدَدُوا لَهُ الْأَسْرَارُ<sup>(١)</sup>  
خَطَهُ رَوْضَةً ، وَأَلْفَاظُهُ الْأَزْ هَارٍ يَضْمُكُنْ ، وَالْعَانِي تِمَارُ  
وقال عمر بن علي الطلوعى يمدحُ أبا الفضل الليكالي من قصيدة :

وإلى الأمير ابن الأمير المعلى  
وطئت بي الوجته وجنة منه  
كيا ألاحظ منه في أفق الملا  
كالبدور غير دوايه متكامل  
بالفضل يكتفى وهو فيه كامن  
يا من إذا خطَّ الكتابَ يمينه  
بكمال سُودده على الأمراء  
متقاذف الأكناف والأرجاء<sup>(٢)</sup>  
فلكا يدير كواكب التياء  
كالبحر غير عذوبة وصفاء  
كالرعى يكتن في زلال الماء  
أهدى إلينا الوشى من صنماء

للطلوعى  
مدح الليكالي

(١) في نسخة «عن كل بروفضل» (م) (٢) في نسخة «راحة» و«الراحة : اليد ،  
والثرة : التي تفيض بالعطاء» (م) (٣) الوجناء : الناقة الصلبة ، من الوجين ، وهي  
الأرض النليظة ، والمهمة : الوادى القفر ، ومتقاذف الأكناف : متباعد الأطراف  
(١٠ - زهر الآطاب ١)

لم تجرِ كفك في البياض موقعا : إلا تحأت عن يد بياضه  
فمرم دماه وقائه مامنهما : في النظم والإعطاء . إلا الثاني<sup>(١)</sup>  
وقال فيه أيضا :

كلام الأمير التدب في ثنى نظمه : يوب عن الماء الزلال لمن نظما<sup>(٢)</sup>  
وتروى متى تروى بدائع نظمه : ونظما إذا لم تروى موهاله نظما  
وكتب إليه أيضا :

أقول وقد جادت جفوني بدمع : كأي قد استماتت من التدب  
وقد علفت بي للنزاع نوازغ : كمتبن معانة الضياء على فني  
إلى سيد أوفى على الشمس قدره : وراحتي تروى على عدد الترب<sup>(٣)</sup>  
أبي الفضل من راحت فواصل كفه : كنائله الفياض أول نظمه العذب  
سقى الله أرضا حل فيها سحاب : ويقدمها ترق كضارمه القصب<sup>(٤)</sup>  
سحاب يخذوها نسيم كخلفه : بخضرتة تتابها وهو كالقطب  
ولا زال أفلاك السعد مطيفة : وقال أبو منصور الثعالبي للأمير أبي الفضل :

لك في الفضائل معجزات جمة : أبدا أميرك في الورى لم تجتمع  
بحران بحر في البلاغة شابة : شير الوليد وحسن لفظ الأنصبي<sup>(٥)</sup>  
كالنور أو كالسحر أو كالدرر أو : كالوشى في برز عليه موشع<sup>(٦)</sup>  
شكرا فكم من قرة لك كالنقى : وافي الكريم بغير مدقع<sup>(٧)</sup>

للثعالبي مدح  
الميكالي

(١) القمر : السيد . والطائي في الكرم هو حاتم الطائي . وفي النظم أبو تمام

(٢) التدب : الشهم - وهو أيضا الخفيف في الحاجة . والنحيب (م)

(٣) تروى : تزيد (٤) الصارم الضب : السيف القاطع (٥) الوليد : هو البحري

(٦) موشع : ذي رقوم وطريق (٧) قمر مدقع : شديد . فسق صاحبه بالدق

وهي التراب .

وإذا تفتق نورُ شعرك ناضراً فالحسنُ بينَ فرصَعٍ ومُصرَعٍ  
أرجلتُ فُرسانَ الكلامِ ورُضتُ أفراسَ البدیعِ وأنتَ أُمجدُ مُبدیعِ  
ونُشتُ في فصِّ الزمانِ بدائعاً تُزري بآثارِ الربيعِ المُرِيعِ<sup>(١)</sup>  
وقال في وصف فرس أهداه إليه ممدوحه :

وللتعالي في  
وصف فرس

يَهْدِي الطرفَ الجوادِ كأنما قد أعود بالرياح الأربَعِ<sup>(٢)</sup>  
لاشيءَ أسرعُ منه إلا خاطري في شكر نائلِك اللطيفِ الموقِعِ  
وَأَنْتَى أَنْصَفُ في إكرامِهِ جلالُ مُهْدِيهِ الكريمِ الأَرْوَغِ<sup>(٣)</sup>  
أَنْظَمَهُ حَبَّ القلوبِ لِحَبِّهِ وجعلتُ مرطبه سوادَ الدَمْعِ  
وخلعتُ ثم قطعْتَ غيرَ مضيقٍ بُردَ الشبابِ لِحُلَّةِ والبزْمِجِ  
وكتب إليه في جواب كتاب ورد عليه :

للتعالي جواباً  
على الميكالي

أَسِيرُ الرِّياضِ حَوْلَ القديرِ ما رَجَّهَ رِيَّ الحبيبِ الأُميرِ<sup>(٤)</sup>  
أَمْ وَرُودُ البشيرِ بالنَّجْعِ مِنْ فَكِّ أسيرٍ أَوْ بَسْرٍ أَميرٍ عَيرِ  
في مَلاءَ مِنَ الشَّبابِ جَدِيدِ تَحْتَ أَيْدِكَ مِنَ الصَّانِ نَصيرِ<sup>(٥)</sup>  
أَمْ كَتَبَ الأَميرُ سَيِّدنا القَرَّ دِي فِيا جِذا كِتابُ الأَميرِ  
وَمَما الصَّادورِ ما أَجَنِيهِ مِنْ سَطوِزٍ فِيها شِفاءُ الصَّدورِ  
تَمَقَّتْها أَنامِلٌ تَفْتِقُ الأَنوارَ وَالزَّهْرَ في رِياضِ السَّطوِزِ  
كَلَمْنِي قَدْ جُئِني في النِّعمِ الفَرِّعِ مَعَ الأَمْنِ مِنْ صَروفِ الدَّهْورِ  
يَا أبا الفَضْلِ وابْنَهُ وَأَخاهُ جَنَّ بِدَرِكَ مِنْ لَطيفِ خَيْرِ  
شَيْءٍ يَرْتَضَعُ دُرَّ المَعالِي وَبَهيرُني عَنْ نَسَمِ العَيرِ

(١) المُرِيعُ : المَعْلُو . بِالْكَلاُ : العُتْبُ (٢) الطرفُ : الحِصانُ

(٣) الأَرْوَغُ : تَدَكِّي لِرَوْعٍ . بِضَمِّ الرَّاءِ . وَهُوَ القَوادِ

(٤) الأُميرُ : العَزيزُ (٥) الأَيْدِ : الشَّجَرُ شَتَفَ

وَسَجَّاتٍ كَانِهِنَّ لَدَى النَّسْرِ رُضَابُ الْحَيَا بِأَرْمَى مَسُورٌ<sup>(١)</sup>  
 وَمُحْيَا لَدَى الْمَلُوكِ مَحْيَا صَادِقُ الْبُشْرِ مُخْجِلٌ لِلدُّوَرِ  
 فَأَجَابَهُ أَبُو الْفَضْلِ بِأَيَّاتٍ يَقُولُ فِيهَا فِي صِفَةِ أَيَّاتِهِ :  
 وَهَدْيٌ زَقَّتْ إِلَى السَّمْعِ يَكْرِ تَهَادَى فِي حِلْيَةٍ وَشَذُورٌ<sup>(٢)</sup>  
 عَجِبَ النَّاسُ أَنْ بَدَتْ مِنْ سَوَادِهِ فِي بَيَاضِ كَانِيكَ فِي الْكَافُورِ  
 نَظُمَتْ فِي بِلَاغَةٍ وَمَعَانٍ مِثْلَ نَظْمِ الْعُقُودِ فَوْقَ النَّحُورِ  
 كَمْ تَذَكَّرْتَ عِنْدَهَا مِنْ عُهُودٍ لِلتَّلَاقِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ نَضِيرِ  
 فَذَمَّمْتَ الزَّمَانَ إِذْ ضَنَّ عَنَا بِاجْتِمَاعِ يَضْمٍ شَمَلِ السُّرُورِ  
 وَلَتَنَ رَاعَيْنَا الزَّمَانَ بَيِّنٍ أَلْبَسَ الْأُنْسَ ذِلَّةَ الْمُهْجُورِ  
 فَسَى اللَّهُ أَنْ يُمِيدَ اجْتِمَاعًا فِي أَمَانٍ مِنْ حَادَثَاتِ الدُّهُورِ  
 إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى رَدِّ مَا قَاتَا تَوَيْسِيرُ كُلِّ أَمْرٍ عَسِيرِ  
 وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ الصَّابِيُّ فِي الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ :  
 قُلْ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي قَدْ عَجَزَتْ كُلُّ الْوَرَى أَوْصَافُهُ  
 لَكَ فِي الْمَجَالِسِ مَنْطِقٌ يَشْفِي الْجُوعَى وَيَسُوعُ فِي أَذُنِ الْأَدِيبِ سُلَافُهُ<sup>(٣)</sup>  
 وَكَأَنَّ لَفْظَكَ جَوْهَرٌ مَتَخَلٌّ وَكَأَنَّكَ أَذَانُنَا أَصْدَافُهُ<sup>(٤)</sup>

جواب المكي  
على آيات  
الصابي

لصابي محمد  
الوزير المهلب

\*\*\*

والمهلبى هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد  
 ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وَزَرَ لَأَحَدِ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيَّ ، وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ  
 وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْ سَرَوَاتِ النَّاسِ وَأَدْبَانِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ وَأَعْقَابِهِمْ :  
 وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ :

ترجمة الوزير  
المهلب

(١) الْأَرَى : الْعِل ، وَالشُّور : الصَّقِي ، قَوْلُ : شَارَعَ الْعِلَّ وَاشْتَارَهُ ، إِذَا صَفَلَمَ  
 مِنَ الْأَقْرَاسِ (٢) الْهَدْيُ - عَلَى وَزْنِ غَنَى - هِيَ الْعُرُوسُ ، وَالشُّذُورُ : قَطْعُ النَّهْبِ -  
 وَاحِدُهَا شَذْرَةٌ (٣) السَّلَافُ - بَضْمُ السَّيْنِ - فِي الْأَصْلِ : الْحَر (٤)  
 (٤) مَتَخَلٌّ - بِالْخَاءِ الْمَجْمُوعَةِ - مَخْتَارٌ

رَنِمَ اللهُ كالوحوش فانا      لَفْ إِلَّا الْأَخَايِرَ النَّاسُ كَا  
 نَفَرَتْهَا آثَلُمُ قَوْمٌ وَصِيْرٌ      نَ لَهَا الْبِرَّ وَالْفَقْرَ أَشْرَا كَا  
 وكان قبل انصّاله بالسلطان سائحا في البلاد ، على طريق الفقر والتسوّف ،  
 قال أبو علي الصوفي : كنت معه في بعض أوقاته ، أماسيّه في إحدى طرقاته ،  
 فضجّر لضيق الحال ، فقال :

الْأَمَوْتُ يَبْتَاعُ فَأَشْتَرِيهِ      فهِذَا الْعَيْشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ  
 أَلَا رَحِمَ الْمُهَيَّمَنُ نَفْسَ جَرَّةٍ      تَصَدَّقَ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

ثم تصرف بما يُرِيضيه الدهر ، وبلغ للمهلى مبلغه . قال أبو علي : دخلت البصرة  
 فاجترت بسرّ من رأى ، وإذا أنا بناشطيات وحراقات وزّارِب وطّيّارات في  
 عُدّة وعُدّد ، فسألت : لِمَنْ هَذَا ؟ قيل : للوزير المهلى ، ونبتوا لي صاحبي ؛  
 فوصلتُ إليه حتى رأيت ، فكتبتُ إليه رقعة ، وتوصّلت حتى دخلتُ فدلت ،  
 وجلستُ حتى خلا مجلسه ، فدفتُ إليه الرقعة وفيها :

أَلَا قُلْ لِلْوَزِيرِ بَلَا اخْتِشَامٍ      مَقَالَ مُذَكَّرٍ مَا قَدَ تَسِيهِ  
 أَتَذْكُرُ إِذْ تَقُولُ لَضَيْقِ عَيْشٍ      « الْأَمَوْتُ يَبْتَاعُ فَأَشْتَرِيهِ »

فنظر إلى وقال : نعم ، ثم نهض وأنهضني معه إلى مجلس الأُنس ، وجعل  
 يذّاكرني ما مضى ، ويذكّر لي كيف ترقّت حاله ، وقُدّم الطعام فطعمنا ،  
 وأقبل ثلاثة من الزلمان على رأس أحدهم ثلاث يدَر<sup>(١)</sup> ، ومع الآخر نخوت  
 وثياب ، ومع الآخر طيب وبخور ، وأقبلت بَغْلَةٌ رائحة بسرّيج قليل ؛ فقال :  
 يَا أَبَا عَلِيٍّ ؛ تَفَضَّلْ بقبول هذا ، ولا تتخلّف عن حاجة تَقْرَضُ لك ، فشكرته  
 وانصرفت ، فلما هممت بالخروج من الباب استردّني وأنشدني بديها :

رَقَى الزَّمَانُ لِقَاتِي      وَرَقَى لَطُولُ تَحَرُّقِي

(١) البدر : جمع بدرة . وهي كيس الدنانير

وَأَنَا نِي مَا أَرْتَمِي وَأَجَارَ عَمَّا أَتَقِي  
فَلَا غَفْرَ لَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الذُّنُوبِ الشَّدِيدِ  
إِلَّا جَنَابَتَهُ الَّتِي فَعَلَ الشَّيْبَ بِتَغْفِيرِي<sup>(١)</sup>

\*\*\*

مِرَّةُ الْعَقْلِ      قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الْعُقُولُ لَهَا صُورَةٌ مِثْلُ صُورِ الْأَجْسَامِ ، فَإِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْلُكْ  
وَطَرِيقَ رِيَاذَتِهِ      بِهَا سَبِيلَ الْأَدَبِ حَارَتْ وَضَلَّتْ ، وَإِنْ بَعَثْتَهَا فِي أَوْدِيَّتِهَا كَلَّتْ وَمَلَتْ ، فَاسْلُكْ  
بِقَلْبِكَ شِعَابَ الْمَعَانِي<sup>(٢)</sup> وَالْفَهْمَ ، وَلَسْتَنْتَفِيقَ بِالْجَاهِ لِلْعِلْمِ<sup>(٣)</sup> ، وَارْتَدَّ لِعَقْلِكَ أَفْضَلُ  
طَبَقَاتِ الْأَدَبِ ، وَتَوَقَّ عَلَيْهِ آفَةُ التَّعَطُّبِ ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ شَاهِدُكَ عَلَى الْفَضْلِ ،  
وَحَارِسُكَ مِنَ الْجَهْلِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَقَارِسَ الْعُقُولِ كَمَقَارِسِ الْأَشْجَارِ ؛ فَإِذَا طَابَتْ بِقَاعُ الْأَرْضِ  
لِلشَّجَرِ زَكَامَتُهَا ، وَإِذَا كَرِهَتْ النُّفُوسُ لِلْعُقُولِ طَلَبَ خَيْرُهَا ، فَاعْمُرْ نَفْسَكَ  
بِالْكِرَامِ ، تَسْلَمْ مِنَ الْآفَةِ وَالسَّعَمِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَقْلَ [ الْحَسَنَ ] فِي النَّفْسِ اللَّثِيمَةِ ، مِثْلُةُ الشَّجَرَةِ الْكَرِيمَةِ فِي  
الْأَرْضِ اللَّذِيمَةِ ، يَنْتَفِعُ بِشَرَاهَا عَلَى خُبَشِ الْمَغْرَسِ ؛ فَاجْتَنِبْ ثَمَرَ الْعُقُولِ وَإِنْ أَتَاكَ  
مِنْ لِنَامِ الْأَنْفُسِ . [ وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « رَبٌّ حَامِلٌ قَهْرٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْعَى  
لَهُ » . وَقِيلَ : رَبٌّ حَامِلٌ قَهْرٍ غَيْرِ قَهْرِهِ ، وَرَبٌّ رَمِيَهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ] .

وَقِيلَ : الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، أَيْنَمَا وَجَدَهَا أَخَذَهَا . وَسَمِعَ الشَّعْبُ الْحُجَّاجَ  
ابْنَ يُونُسَ وَهُوَ عَلَى الْمَنِيرِ يَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ ، وَعَلَى  
الْآخِرَةِ الْبَقَاءَ ، فَلَا فَنَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ ، وَلَا بَقَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ ،  
فَلَا يَفِرُّ نَعْمَ شَاهِدُ الدُّنْيَا عَنْ غَائِبِ الْآخِرَةِ ، وَأَقْصِرْ رَأْسَ الْأَمَلِ ، لِتَقْصُرَ الْأَجَلَ .

اخْصَاة  
وَوَاجِبُ الْعَاقِلِ  
إِزَافُهَا

(١) وَكَانَتْ وَفَّةُ ابْنِ زَيْدٍ الْهَلَالِي حَتَّى ٣٥٢ (٢) الشَّعْبُ : جَمْعُ شَعْبٍ - بَكْرُ الشَّيْبِ -  
وَهُوَ الْطَرِيقُ فِي الْجِدْلِ (٣) الْجَمَامُ - بَكْرُ الْجَمِيمِ - الرَّاحَةُ .

قال : كلام حكمة خرج من قلب خراب<sup>١</sup> وأخرج ألواح فكتب  
وقد روى ذلك عن سفين الثوري .

وقد سمع إبراهيم بن هشام وهو يخطب على المنبر ويقول : إن يوماً أشاب  
الصغير ، وأُسْكِرَ الكبير . ليوم تُشْرَهُ مُشْطِير !  
وصف الكتب .

قال الجاحظ : الكتب وعاء ملى . علماً . وظرف خشى ظرفاً ، وبُستان وصف الكتاب  
يُعمَلُ في رَدْن<sup>(١)</sup> ، وروضة تَقَلَّبُ في جِبر ، ينطق عن الموتى ، ويُتَرَجِمُ كلامه  
للأحياء .

وقال : من صَنَّفَ كتاباً قد استهدف<sup>(٢)</sup> : فإن أحسن قد استعطف ، وإن  
أساء ، فقد استغذف<sup>(٣)</sup> .

وقال : لا أعلم جاراً أبر ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا مُعَمِّلاً  
أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل حناية ، ولا أقل إملالا وإبراما ، ولا  
أقل خلافاً وإجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عضيه<sup>(٤)</sup> ، ولا أكثر أعجوبة  
وتصرفة ، ولا أقل صلفاً وتكلفاً ، ولا أبعد من مراء . ولا أترك لشغب ، ولا أزهد  
في جدال ، ولا أكف عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قريباً أحسن مؤاناة . ولا  
أعجل مكافأة ، ولا أخضر مغونة ، ولا أقل مئونة . ولا شجرة أضول عمراً . ولا  
أجمع أثراً . ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مُحَقَّق . ولا أسرع إدراكاً لكل أوانٍ ،  
ولا أوجد في غير يَدَن . من كتاب . ولا أعلم تتجافى حدائنه سنة . وقرب ميلاده ،  
ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التداوير الحسنة ، والعمود القارية . ومن  
آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار عن القرون الماضية . والبلاد المتراخية ،  
والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يجمع الكتاب .

(١) الرَدْن : السِّم . (٢) استهدف : حير نفسه هدف ليهام .

(٣) استغذف : عرض نفسه للغدق . (٤) العضية : الإله . ومحمد السكندري

ودخل الرشيد على المأمون وهو ينظر في كتاب ، قال : ما هذا ؟ قال :  
كتاب يصف المأمون بصف  
كتاب لأبيه الرشيد  
كتب يشهد الفكرة ، ويحسن المشرة . قال : الحمد لله الذي رزقني من يرى  
بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه .

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بأدبك وكُتُبِكَ ؟ قال : هي إن  
مض العلماء ،  
ف سروره  
بالكتب  
خلوت لذي ، وإن اهتمت سلقى ، وإن قلت : إن زهر البستان ، ونود  
الجان ، يحلوان الأبعاد ، ويتمعان بحسهما الألفاظ ؛ فإن بستان الكتب  
يحلوا العقل ، ويشحد الذهن ، ويعبى القلب ، ويقوى القريحة ، ويعين الطيعة .  
ويبعث نتائج العقول ، ويستثير فأن القلوب ، ويتمتع في الخلق ، ويؤنس في  
الروحة ، ويضحك بنواده ، ويسر بفرائه ، ويقيد ولا يستفيد ، ويعطى ولا  
يأخذ ، وتصل لذته إلى القلب ، من غير سامة تدر كك ، ولا مشقة  
تغير ضلك .

وقال أبو الطيب المتنبي :

وللشر مني مَوْضِعٌ لَا يَنْأَلُهُ  
لَأَبِي الطيب المتنبي  
وَلِلْخَوْدِ مِنْ سَاعَةٍ ، ثُمَّ يَمِينُنَا  
وَمَا الْعَشْقُ إِلَّا غَيْرَةٌ وَمَلَاعَةٌ  
وغير فؤادي لِلْفَوَازِي رَمِيَّةٌ  
تَرْكُنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ نَذَّةٍ  
نصرته لِلطُّغْيَانِ قَوْفَى سَوَاحِرِ  
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي اللَّهِ نَا سَرِجُ سَابِحِ  
نديم ، وَلَا يَفِضُ إِلَيْهِ شَرَابُ  
فَلَاةٍ إِلَى غَيْرِ الْقَاءِ مُجَابُ<sup>(١)</sup>  
يُعَرِّضُ قَلْبُ نَفْسِهِ فَيَصَابُ  
وغير بنيان للرخاخ ركاب<sup>(٢)</sup>  
فليس لنا إِلَّا بهن لِمَ صَابُ<sup>(٣)</sup>  
قد انصرفت فيهن منه كِمَابُ<sup>(٤)</sup>  
وخير جليس في الزمان كِتَابُ

(١) انحدود : القنات الجميلة . ونجاب : قطع (٢) رمية : فرسة ، والرخاخ : جمع  
رج . وهو من أدوات الشطرنج (٣) اللعاب : هو اللعبة (٤) السواح : الخيول .  
ونكد : أطراف القنا



## يُقر في الكتب

إشفاق النضة على كتب الآداب ، يُخلفك عليه ذهاب الألباب . إن هَذَا الآداب  
شَوَّارِد ، فاجعلوا الكتب لها أزيمة . كتاب الرجل عنوان عقله ، ولسان فضله .  
ابن المتمر : مَنْ قرأ سطرًا من كتاب قد خطَّ عليه قد خان كاتبه ؛ لأن الخطَّ  
يُعزِّز مآخذه .

بزرجمهر : الكتب أصداف الحكم ، تنشق عن جواهر العلم  
بعض الكتاب : إعجام الخط يمنع من استجماعه ، وشكله يؤمن من إشكاله .  
كأن هذا الكاتب تبعًا إلى قول أبي تمام :  
ترى الحادث المستعجم الخطب ممجِّبًا لديه ، ومشكولًا إذا كان مُشكِلاً  
ما كتب قر ، وما حفظ فر . الخطوط المجدبة ، كالبرود الملمة .  
وقال ابن المتمر يصف كتابًا :

وذى نكت موثى نقتنه وحاكنه الأناملُ أى حوكنه  
بشكل يرفع الإشكال عنه كأن سطورَه أغصانُ شوك

## جملة من ألفاظ أهل العصر

في صفة الكتب وتهاديبها ، وما يتعلق بأسمائها ومعانيها

حضرة مولاي تجلَّ عن أن يُهدى إليها غير الكتب ، التي لا يترفع عنها  
كبير ، ولا يمتنع منها خليل ، وقد فكرت فيما أغذت به مقيا للرسم في جملة  
الخدم ، وحافظ الاسم في غمار الخشم ، فلم أجد إلا الرق الذي سبق لمنك له ، والمال  
الذي منحه وحوَّله ، فعدت إلى الأدب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا ولا تنكس .  
وتهب ريحه بجانبه ولا تتركه . وأغذت كتابي هذا راجيًا أن أشرَّف بقبوله ، ويوقع  
إليَّ بمصوله ؛ وأما وجب على ذوى الاختصاص لسيدنا إهداء ما جرت العادة بتسابق  
الأولياء إلى الاجتهاد في إهدائه <sup>(١)</sup> ، وجب المدلول في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع

(١) في نسخة « بتسابق الأولياء ، إلى الاحتشاد في إهدائه » (م)



فما تحطى به النفوس العلية ، وعمد الخلق في سوقهم العمية . إلى ما تنفق في  
سوقه الخاصة . إفراداً لترتبته العليا ، وغاية التقصى . وتميزاً له عن لا ينفك  
معه في هذا المضمار ، ولا يتعلق منه بالقيار : وقد حملت إلى الخزانة - عمرها الله ! -  
شيئاً من الدفاتر وآلة النجوم . فإن رأى مولانا أن يتطوّل<sup>(١)</sup> على عبده بالإذن  
في عرض ذلك عليه مشرفاً له وزائداً في إحسانه إليه فقل إن شاء الله تعالى .

وأهدى أبو الطيب النبي إلى أبي الفضل بن العمد في يوم نوروز قصيدة من أبي غيب  
مدحه فيها<sup>(٢)</sup> يقول في آخرها :

كثر الفِكَرُ كيف تُهْدَى كاتِهْدَى إلى ربها الرئيس عبده  
والَّذِي عندنا من المانِ والخيالِ فَمِنَهُ هِبَةٌ وبيدة  
فبشاً بأربعين مهيارٍ سلكَ مَهْرَ مَيْدَانِهِ بِشَادَةٍ  
فَارْتَبِعْهَا فَمِنْ قَلْبًا نَمَاهَا مَرْبَطُ تَسْقِيقِ الْجِيَادِ جِيَادَةٍ

وفي هذه الكهـ يقول وقد احتفل فيها ، واجتهد في تجويد ألفاظ ومعانيها .  
فمقَّب عليه أبو الفضل في مواضع وقف عيباً فقال<sup>(٣)</sup> :

هل تُعْذِرِي إلى الهَمَاءِ أَيْ الْفَيْسَلِ قَبُولَ سَوَادِ غَيْبِي . . .  
أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيْبِ عَيْلٍ مَكْرُمَاتٍ مُعْنَةٍ . . .  
مَا كَفَانِي تَقْصِيرٌ ، مَا قَاتَ فِيهِ عَنْ عِلَادَةٍ حَتَّى تَمُوتَ . . .

(١) يتطوّل : يتفضل (م) (٢) مطلع هذه القصيدة :

حاج نـهـ وزنا وأنت مراده وورب الذي أراد زناده

(٣) ليس الأمر كما ذكر المؤلف . وإنما لاحظ ابن عميد ملاحظته في . . . في

... بقية الرائية التي سبقه بها المؤلف بعد ذلك . فذهب بعد ذلك . . .

في تصانيفه التالية التي قصد بها تهنئة ابن عميد في نوروز

(٤) إنشائه : من إضافة ضم الخنوع إلى مضمونه

ما تَوَدَّتْ أَنْ أَرَى كَأَبَى الْفَضْلِ ، وَهَذَا الَّذِي أَتَاهُ اعْتِيَادُهُ  
عَمَّرَتْهُ فَوَائِدُ شَاءَ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ بِمَا أَفَادَهُ  
مَا سَمِعْنَا مِنْ أَحَبِّ الْمَطَالِيَا فَاشْتَمَى أَنْ يَكُونَ مِنْهَا فَوَادُهُ  
وَقَدْ كَانَ مَدَحُهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَاهَا :

بَادِرُ هَوَاكَ صَبْرَتْ أَمْ لَمْ تَغْبِرَا وَبُكَاءُكَ إِن لَمْ يَجْرِدْ مُمَكَّ أَوْ جَرَى  
وَفِيهَا مَمَانٌ مَخْتَرَةٌ ، وَأَيَّاتٌ مُبْتَدَعَةٌ ، يَقُولُ فِيهَا :

مِنْ مُبْلَغِ الْأَعْرَابِ أَتَى بِنْدَهَا جَالَتْ رَسْطَالِيْسُ وَالْإِسْكَندَرَا  
وَمَلَّتْ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِي مِنْ يَنْفَحِرُ الْبِدَرِ النَّضَارِلُنْ قَرَى <sup>(١)</sup>  
وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتِبِهِ مَتَلَّكَ مَتَبْدِيَا مُحَضَّرَا <sup>(٢)</sup>  
وَرَأَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُهُ نَفْوَسَهُمُ وَالْأَعْصَرَا  
نُسِقُوا لَنَا نَسْقَ الْحِسَابِ مَقْدَمًا وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتُ مُؤَخَّرَا  
وَفِيهَا يَقُولُ :

فَدَعَاكَ حُجْدُكَ الرَّيْسَ وَأَمْسَكُوا وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّيْسَ الْأَكْبَرَا  
خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الصِّيُونِ كَلَامُهُ كَاخْلَطَ يَمْلًا مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرَا  
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الطَّائِي يَصِفُ قِصَائِدَهُ :

بَقُرْبِ يَرَاهَا مِنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ وَيَدْنُو إِلَيْهَا فَوَالْحِجَا وَهُوَ شَاعِرٌ <sup>(٣)</sup>

[ قَرَى فِي وَصْفِ الْكُتُبِ ]

كِتَابُ كَتَبَ لِي أَمَانًا مِنَ الدَّهْرِ ، وَهَتَانِي فِي أَيَّامِ الْعَمْرِ . كِتَابُ أَوْجِبَ  
مِنِ الْإِعْتِدَادِ فَوْقَ الْأَعْدَادِ ، وَأَوْدَعَ بِيَاضِ الْوَدَادِ سَوَادَ الْقَوَادِ . كِتَابُ النَّظَرِ فِيهِ

(١) البدر : جمع بدرة ، وهي الكيس فيمئذنة آلاف دينار ، والنضار - بالضم - الذهب ، وقري : أضاف (٢) متبديا : في أخلاق أهل البداوة (٣) شاعر : جيد

نسيم مقيم ، والظفرُ به فتح عظيم . كتاب ارتحت لعيانه ، واهتززت لمُتَوَانِه .  
 كتاب هو من الكتب الميامين <sup>(١)</sup> ، التي تأتي من قبل الميمن . كتاب عدده  
 من حُجُول الثميرِ وغرره <sup>(٢)</sup> ، واعتدَدته من فُرُص العيشِ وغُسرره <sup>(٣)</sup> .  
 كتاب هو أنفُس طالع ، وأكرم متطلع ، وأحسن واقع ، وأجملُ  
 متوقع . كتاب لو كُرى . على الحجارة لانفجرت ، أو على الصكاوب  
 لانتشَرت . كتاب كدتُ أبليه طيًّا ونشراً ، وقبلته ألفاً ، ويدَ حامله  
 عسراً . كتاب نسيْتُ لحسنه الرُّوضَ والزهر ، وغفرتُ للزمان ما تقدم من  
 ذنبه وما تأخر . كتاب أملتُهُ هِزَّة المجدِ على بنانك ، ونطقَ به لسانُ الفضلِ  
 عن لسانك . أنا ألتقطُ من كلِّ حرفٍ تديرُهُ أناملك تحفة ، وأخذُ  
 من كل سطرٍ تتجشَّمُ تخطيطه نزهة . إذا قرأت من خطك حرفاً ، وجدتُ  
 على قلبي خيفاً <sup>(٤)</sup> ، وإذا تأملت من كلامك لفظاً ، ازددتُ من أنسي خطأ .  
 كتاب كتبَ لي أماناً من الزمان ، وتوقيع وقعَ مِسي مؤقَّع الماء من  
 العطشان . كتاب هو تَفِلَّةُ المسافر <sup>(٥)</sup> ، وأَنَسَةُ المستوحش ، وزبدة الوصال ،  
 وغفلة المستوفز <sup>(٦)</sup> . كتاب هو رُقية القلب السليم <sup>(٧)</sup> ، وغرة العيش البهيم <sup>(٨)</sup> .  
 كتاب هو سَمَرٌ بلا سَهَر ، وصَفْوٌ بلا كَدَر . كتاب تمتعتُ منه بالنعيمِ  
 الأبيض ، والعيش الأخضر ، واستلته استلام الحجر الأسود <sup>(٩)</sup> ، ووكلتُ  
 طرفي من سطوره بوشى مُهلل ، وتاج مُكَلَّل ، وأودعتُ سمى من محاسنه

(١) الميامين: جمع ميمون (٢) الحجول: جمع حجل، وهو يياض في القوائم يحمل به  
 الخيول ، والفرر: جمع غرة، وهي يياض في الجبهة (٣) غرر: جمع غرة بكسر الفين وهي  
 النزق ، وقد يحلو في الشباب (٤) الخف والخفة: الارتياح (٥) تفة المسافر :  
 ما يتلوه به لقطع الوقت (٦) المستوفز: المتهيء للوثوب (٧) السليم: الملبدوغ  
 (٨) البهيم: الظلم (٩) يريد أنه استلمه متبعنا باستلامه كما يتقرب الحاج إلى  
 الله باستلام الحجر الأسود

ما أنساني سماع الأغاني من مطريات النوائ<sup>(١)</sup>. نشأت سحابة من لفظك ،  
 غيظت نعمة سابقة ، وغيثها حكمة بالغة ، سقت روضة القلب ، وقد  
 جهدها يد الجذب<sup>(٢)</sup> ؛ فاهتزت ووربت ، واكتست ما اكتسبت .  
 كتاب حبته ساقطاً إلى من السماء ، اهتزأزاً لمطلعه ، رابتهاجاً بمنى  
 موقفه ، تناولته كما يتناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يفض الرحيق  
 الخنوم<sup>(٣)</sup> . كتاب كالشترى شرف به المير ، وقميص يوسف جاء به  
 البشير . كتاب هو من الحسن ، روضة حزن ، بل جنة عدن ، وفي شرح  
 النفس وبسط الأنس برز الأكياد والقنوب ، وقميص يوسف في أجناف  
 يقوب . قد أهديت إلى محسن الدنيا مجموعة في ورقه ، ومباهج الحلى والحلل  
 محصورة في طبقه . كتاب ألصقته بالقلب والكبد ، وشمته شم الولد .  
 وزد منك أنيسك ذكيا ، واتزهري جتياً ، والماء مرياً<sup>(٤)</sup> ، والعيش هنياً ،  
 والسحر بابلياً<sup>(٥)</sup> . كتاب مطلعه أهلة الأعياد ، وموقفه موقع نيل المراد .  
 كتاب وجدته قصير العمر ، كليالي الوصال بعد المجر ، لم أبدأ به حتى  
 استكمل . وقارب الآخر منه الأول . كتاب منتفض الأطراف ، منقطع  
 الأكتاف ، أبقر الجوارح ، مضطرب الجوانح ، كتاب كأنه توقيع  
 متحرز ، أو تعريض متبرز<sup>(٦)</sup> . كاد يلتقي طرقاته ، ويتقارب مُنتحه  
 ومُنْتَهَاهُ . كتاب التقت طرقاته صغراً ، واحتضمت حاشيته قصرًا . ما أظنني

---

(١) النوائ : جمع غانية ، وأصلها المرأة التي استغنت بحملها عن الزينة ، أو التي  
 استغنت بيت أبيها عن الأزواج ، وأراد هنا القيان (م)  
 (٢) أجهدها : أشقتها ، والجذب : القفل (٣) الرحيق الخنوم : الحمر المصفى التي لم  
 يفسد عن دنائها الأختام (٤) مري : هنيئ . . . بابل : مدينه يابس إليها البحر ،  
 وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم (م) (٦) متبرز : متعفف : ورجل برز ،  
 وأمرته برزة : عفيف وعفيفة : وكلاهما سيكون نر .

ابتدأته حتى ختمته ، ولا استفتحته حتى أتمته ، ولا ألحته حتى استوفيته ،  
ولا نشرته حتى طويته ، وأحسبني لو لم أجود ضبطه ، ولم ألزم يدي حفظه ،  
نغاز حتى يختلط بالجو ، فلا أرى منه إلا هباءً منثوراً ، وهواء منشوراً .  
كتاب حبيبته يطير من يدي نلغته ، ويلطف عن حنني لقلته ، وعجبت  
كيف لم تعمله الرياح قبل وصوله إلي ، وكيف لم يختلط بالهوا عند وصوله لدي .  
كتاب قصر الاختصار أجنحته ، فلم يدع له قوادم ولا خسوافي . وأخذ  
الاختصار جثته ، فلم يبق ألفاظاً ولا معاني . طلع كتابك كزئيماء بطرفي ،  
أو وحي بكف .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز : استمرت من علي بن يحيى المنجم جزءاً فيه  
أخبار مفيد بخط حماد بن إسحاق الموصلي ، وكان وعدني به ، فبعث إلي بست  
ورقات لطاف ، فردتها وكتبت إليه : « إن كنت أردت بقولك جزءاً الجزء  
الذي لا يتجزأ فقد أصبت ، وإن كنت أردت جزءاً فيه فائدة للقارى ، ومثمّة  
للسامع ، قد أحلت<sup>(١)</sup> ؛ وقد ردّدته عليك بعد أن طار اللحظ  
عليّ طيرة » .

فأجابني : إذا كان السّفر عندك منجدة فما أصنع<sup>(٢)</sup> ؟

[ المحادثة والمخالبة ]

وقال أبو العباس : دخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخر عنه أياماً .  
فقال : ما ينقضي يوم من عمري لأراك فيه إلا علفت أنه مبنو القدير المنحوس  
الحظ ، مغبون الأيام .

فقال الحسن : هذا لأنك توصل إلي بحضورك سرور لا تجد عند غيرك .

(١) أحال : نسكهم بالخال (٢) المحاجة : مدّ يده . من ورور أو مد .

وَأَتَقَسَّمُ مِنْ أَرْوَاحِ عِشْرَتِكَ مَا تَجِدُ الْخَوَاسِ بِهِ يُغَيِّبُهَا ، وَنَسْتَوْفِي مِنْهُ لَدُنَّهَا ،  
فَنَفْسُكَ تَأْتِي مَنِي مِثْلَ مَا آتَتْهُ مِنْكَ .

وكان يقال : محادثة الرجال تلقيح الألباب<sup>(١)</sup> .

وقال ابن الرومي :

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَارِي فَكَأَنَّ أَطْيَهَا خَبِيثُ  
إِلَّا الْحَدِيثَ ؛ فَإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبْدَأُ حَدِيثُ

قال مخارق : لقيني أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم قبل نسكه ، فقال : أنا والله  
صَبَّ بكَ ، وَلَوْعَ إِلَيْكَ ، مغمور القلب<sup>(٢)</sup> بشكرك ، واللسان بذكرك ، متشوف إلى  
رؤيتك ومذاومتك ، وقد طالَّت الأيامُ على ما أَعِدُّهُ نَفْسِي مِنَ الاجْتِمَاعِ مَعَكَ ،  
وَمِنْ قَضَاءِ الْوَطَرِ مِنْكَ ؛ فَمَا عِنْدَكَ ؟ أَنَا الْفِدَاءُ لَكَ ! وَتَزُورُنِي أَمْ أَزُورُكَ ؟

قلت : جلستني الله فذاك ! ما يكونُ عند مَنْ هو منك بهذا الوضع وفي هذا  
الحلِّ إلا الاتياد إلى أمرِكَ ، والسمعُ والطاعةُ لَكَ ، ولولا أن أَسُوَّ الْأَدَبِ فِي  
أَمْرِ بَدَأْتُ فِيهِ بِالْفَضْلِ لَقُلْتُ : إِنْ كَثِيرٌ مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ يَقُلُّ فِيمَا عِنْدِي  
مِنَ الشَّوْقِ إِلَيْكَ ، وَالشَّمَفُ بِكَ ، دُونَ مَاحِرِّكَ هَذَا الْقَوْلُ مَنِي ، فَوَجَبَتْ لَكَ بِهِ  
الْمَنَّةُ عَلَيَّ ، وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَأَنْتَ عِنَايَ إِلَى مَا أَرَدْتُ ، وَقَدْ نِيَّ كَيْفَ شِئْتُ ،  
تَجِدُنِي كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

مَا تَشْبِيهِ فَاذْنِي الْيَوْمَ فَاعْلُهُ وَالْقَلْبُ صَبَّ فَا جَشَمَتُهُ جِشْمَا  
وَذَكَرَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ رَجُلًا ، قَالَ : لَمَّا أَرَادَ أَحْسَنُ مِنْهُمَا الْجَلِيلُ ، وَلَانْتَهَمَا لِلدَّقِيقِ  
أَشَارَ إِلَيْهِ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

وَكُنْتُ أَعْرَ عِرًا مِنْ قَنُوعٍ تَعْرَضُهُ صَفُوحٌ مِنْ مَعُولٍ  
فَصَرْتُ أَذْلَ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ قَصْرٌ إِلَى ذِهْنٍ جَلِيلٍ<sup>(٣)</sup>

(١) التلقيح : ما تلقح به النخلة لثمر (٢) كذا . وأحسبه «مغمور القلب» بين

بين (٣) في ديوان أبي تمام (ص ٥٠٣) «به قصر إلى فهم جليل» (٤)



وقال سعيد بن مسلم للمؤمنون : لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن بين المؤمنين وسعيد بن مسلم ما أبلاني من أمير المؤمنين من قصده إلى بحديثه ، وإشارته إلى بطرفه ؛ لقد كان في ذلك أعظم الرقعة ، وأرفع ما توجب الحزمة . فقال : يفعل أمير المؤمنين ذلك ؛ لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت وحسن الفهم إذا حدثت ما لا يجده عند أحد من مضي ، ولا يظن أنه يجده عند أحد من بقي ، فإنك لتستقصي حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتخبر بما كنت أغفانه منه .

وقال المتوكل لأبي العينا : ما عسن ؛ قال : أفهم وأفهم .  
 وقال بعض الحكماء لتلميذه ، وقد صرّب الموسيقى : أفهم ؛ قال : نعم ،  
 قال : بل لم تفهم ؛ لأنني لا أرى عليك سرور الفهم ؛ وقد قيل : من نظر إلى  
 الربيع وأنواره ، والروض وأصباغه ، ولم يتبهج كان عديم حس ، أو سقيم نفس .  
 وروى أبو تمام بابر شهر من أرض فارس ، فسمع جارية تغني بالفارسية ، أبو تمام يعف  
 فشاقه شجي الصوت ، فقال :

ونسيمت تروق السمع حسناً ولم تصمه ، لا يصم صداها ؛  
 لوت أوتارها فشجت وشاقت فلو يطيع حادها فذاها ؛  
 ولم أفهم معانيها ، ولكن ورت كبدى فلم أجعل شداها ؛  
 فكنت كأنتي أعمى معني يحب الغانيات ولا يراها ؛

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : قلت لأبي تمام : أخذت هذا المعنى  
 من أحد ؛ قال : نعم ، أخذته من قول بشار بن برد :

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة والأذن تشق قبل العين أحيانا  
 قالوا : بمن لا ترى تهدي ؟ قلت لهم : الأذن كالمعين توفي القلب ما كانا  
 وقال بشار أيضاً في هذا المعنى :

قالت عليل بن كعب إذ تملقها قلبي فاضحى به من حبها أتر ؛

التوكل  
 وأبو العينا .

بين حكميم  
 وتلميذه

أبو تمام يعف  
 جارية تغني  
 بالفارسية

أبو تمام يذكر  
 أنه أخذ المعنى  
 من بشار

أَنْىَ وَلَمْ تَرَهَا تَهْذَى ! قُلْتَ هُمْ : إِنَّ الْفُؤَادَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْبَصَرُ  
وَقَالَ :

يُرْهِدْنِي فِي حُبِّ عَبْدَةٍ مَعَشَرٍ قُلُوبُهُمْ فِيهَا مَخَالِفَةٌ قَلَسِي  
قُلْتَ : دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَأَرْتَعَى فَيَا قَلْبُ لَا بِالْعَيْنِ تُبْصِرُ ذُو الْقَلْبِ  
وَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى وَلَا تَسْمَعُ الْأَذْنَانِ إِلَّا مِنْ الْقَلْبِ

أشياء علمي بشار وقد قال أبو يعقوب الخريزي في هذا المعنى ، وكان قد أعور ثم عمى ، وقيل :  
إنها للخليل بن أحمد :

قَالَتْ أَنْهَرَا بِي غَدَاةَ لَقِيْتَهَا بِالرِّجَالِ لَصُوبَةَ الْعِيَانِ  
فَأَجَبْتَهَا : ضَى فِدَاؤُكَ إِنَّمَا أَذْنِي وَعَيْنِي فِي الْهَوَى سَيَّانِ

وقريب من هذا قول الحكم بن قنبر : بِنَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ :  
إِنْ كُنْتُ كَسْتُمْ مَعِي قَالِدُ كَرَمَتِكَ مَعِي يَرَعَاكَ قَلْبِي وَإِنْ غُيِّبَتْ عَنِ بَصَرِي  
الْعَيْنُ تُبْصِرُ مِنْ هَوَايَ وَتَفْقِدُهُ وَنَاطَرُ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنَ النَّظَرِ  
وَقَالَ آخَرُ :

أَمَّا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ الْهَوَى لَنْ غَيَّبَتْ عَنِ عَيْنِي فَأَغْيَبْتَ عَنِ قَلْبِي  
تُرِي نَيْفِكَ عَيْنُ الْوَهْمِ حَتَّى كَأَنِّي أَنَا جِيكَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبِي <sup>(١)</sup>

وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم :

لَنْ كَانَ عَنْ عَيْنِي أَحَدٌ غَائِبًا فَهَوَى عَنْ عَيْنِ الضَّمِيرِ بِنَانِ  
لَهُ صُورَةٌ فِي الْقَلْبِ لَمْ يَقْصِمِهَا النَّوَى وَلَمْ تَتَخَفْهَا أَكْفُ النَّوَابِ

(١) ومن هذا الباب قول أحمد بن يوسف :

تَطَاوَلَ بِالْقَاءِ الْعَهْدُ مَنَا وَطُولُ الْعَهْدِ يَدْحُ فِي الْقُلُوبِ  
أَرَاكَ وَإِنْ نَأَيْتَ بَيْنَ قَلْبِي كَأَنَّكَ نَسَبَ عَيْنٍ مِنْ قُرْبِ  
فَهَلْ لِي فِي الرُّوْحِ إِلَى حَبِيبٍ يَفْرُجُ بَيْنَهُ قُرْبُ الْحَبِيبِ

إذا ساءنى منه شُحوطُ مزاره وضلقت بقلبي في نَوَاهِ مَذَاهِبِ<sup>(١)</sup>  
 عطفتُ على شَخِصٍ له غير نازح تحلتهُ بين العَشَا والْتَرَابِ<sup>(٢)</sup>  
 وذكر أبو عبيدة كيسان مُتَمَلِّيه في بعض الأمر ، قال : مَا قَهَمَ ، ولو كيسان مستمل  
 فهم لَوَمَ<sup>(٣)</sup> . وكان كيسانُ يوصف بالبلادة والغفلة .

قال الجاحظ : كان يكتبُ غيرَ ما يسمع ، ويستغنى غيرَ ما يكتب ،  
 ويقرأ غيرَ ما يستغنى<sup>(٤)</sup> ، ويُملئ غيرَ ما يقرأ ، أملت عليه يوماً :  
 عجبتُ لمُشرِ عدلوا بمعتمر أبا عمر  
 فكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستغنى أبا زيد .

ما يجب  
 للمحدث على  
 جليبه

قال أبو عباد : للمحدث على جليبه ، السامع لحديثه ، أن يَجْمَعَ له بآله ،  
 ويُضِنِّي إلى حديثه ، ويكتم عليه سرُّه ، ويبسط له عذره .  
 وقال : ينبغي للمحدث إذا أنكر عين السامع أن يستغنى عن متغنى حديثه ، فإن  
 وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حرمةُ حُضْرِ  
 الإقبال عليه ، ونفعُ المُواظاة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث .  
 وقال : نَشَاطُ المحدث على قَدْرِ فهم المستمع .

وكان عبد الله بن مسعود<sup>(٥)</sup> - رضي الله عنه - يقول : حَدِّثِ النَّاسَ مَا حَدَّثُوكَ  
 بِأَسْمَاعِهِمْ<sup>(٦)</sup> ، ولخُطُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ ، فإذا رأيت منهم فتوراً فأَمْسِك .

وقال أبو الفتح البستي :  
 إذا أَحَسَّتْ في لَفْظِي فتوراً وحفظي والبلاغة والبيان

- (١) الشحوط : البعد (٢) النازح : البعيد (٣) وم : غلط (٤) استغنى : سود  
 (٥) صحابي جليل ، كان من السابقين إلى الاسلام ، وكان أول من جهر بقراءة  
 القرآن في مكة . وتولى بعد وفاة الرسول بيت مال الكوفة ، كان رضي الله عنه  
 يكثر من التطب . وكان من المتفوقين في رواية الحديث . توفي سنة ٣٢  
 (٦) حديثك بأسماعهم : وجهوها نحوك

فلا تَرْتَبْ بَقَتِي إِنَّ رَقِي على مقدار إيقاع الزمان  
وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب .  
وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان .  
وقال الحسن — وقد سمع متكلمًا يعطُ فلم تقع موعظته من قلبه وه يرق لها — : يا هذا ! إن قلبك لشرٌّ ، أو بقلبي !

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن اسماك لجاريته : كيف ترين ما أعطى  
الناس به ؟ قالت : هو حسن ، إلا أنك تكرره ، قال : إنما أكرره ليفهمه من  
لم يكن فهمه ، قالت : إلى أن يفهمه البطي . يتقل على سمع الذكي .  
واشعبد ابن عباس حديثًا فقال : لولا أني أخافُ أن أغضَّ من بهائه ،  
وأريق من مائه ، وأخلق من جدته ، لأعدته .  
وقال أبو تمام الطائي يصف قصائده :

منزّهة عن السرّق المؤدّي مكرّمة عن المصنّى المعاد  
أخذه البحرى فقال :

لا يعمل اللفظ المكروّ فيه واللفظ المرذوّ  
والإطالة مملولة كما يملّ التكرير .

وقد قال الحسن بن سهل : الآداب عشرة ؛ فثلاثة شهرجانية ، وثلاثة  
أنوشروانية ، وثلاثة عربيّة ، وواحدة أُرِبت عليهن ؛ فأما الشهرجانية فغريبُ العود .  
ولسب الشطرنج ، ولسب الصّوالج . وأما الأنوشروانية فالطب ، والهندسة .  
والقروسية . وأما العربية فالشعر ، والنسب ، وأيام الناس . وأما الواحدة التي  
أُرِبت عليهنّ : فقطعات الحديث ، والسر ، وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس .  
وكان يُقال : خُذ من العلوم نتفها ، ومن الآداب طُرْفها .

وكان يُقال : مقطّعاتُ الأدب ، قرّاضاتُ الذهب .

وحضر بشار بن بزید مجلداً فقال : لا تجملوا مجلستنا غنا . كله ، ولا شعراً كله ، ولا سمراً كله ، ولكن اتبهوه انتهاباً .

وقال الحسن رحمه الله : حدثوا هذه القلوب فإسها سريعة الدنور ، وأقدعوا<sup>(١)</sup> هذه الأنفس فإنها طلعة<sup>(٢)</sup> ؛ وإنكم إلا ترعوها<sup>(٣)</sup> تنزع بكم إلى شر غاية .

وقال أزدشير بن بابك : إن للأذهان كلالا ، وللقلوب مالا ، ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما .

ويروى في حكمة آل داود : لا ينبغي للعالم أن يخلى نفسه من أربع : عذة ليماديه ، وصلاح ليماشه ، وفكر يقف به على ما يصلحه من فساد ، ولذة في غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث .  
وما أحسن ما قال أبو الفتح بن كنجاه<sup>(٤)</sup> :

عَجِبِي مِمَّنْ تَنَاهَتْ حَالُهُ	وكفاه الله ذِلَّاتِ الطَّلَبِ
كَيْفَ لَا يُقَسِّمُ شَطْرِي عَمْرَهُ	بين حَاتِنِ نَسَمٍ وَأَدَبٍ؟
سَاعَةً يُبْتَسِعُ فِيهَا نَفْسَهُ	من غِذَاءٍ وَشَرَابٍ مُتَخَبِّ
وَدُنُوهُ مِنْ دُمَى هُنَّ لَهُ	حين يَشْتَلِقُ إِلَى اللَّعِبِ لُصْبٍ <sup>(٥)</sup>
فَإِذَا مَا نَالَ مِنْ ذَا حَظِّهِ	مُغْدِثٌ وَنَشِيدٌ وَكُتُبٌ
مَرَّةً جِدَّةً ، وَأُخْرَى رَاحَةً	فَإِذَا مَا غَسَقَ اللَّيْلُ انْتَصَبَ
فَقَضَى الدُّنْيَا نَهَاراً حَقّاً	وَقَضَى لِلَّهِ لَيْلاً مَا وَجَبَ

(١) من التمتع . بالقفاف ، وهو ازجر . وفي الأصل (أفدعوا) بالفاء ، وهو تحريف

(٢) طلعة : كثير التطلع (٣) يزغ - بالزاي المجمة - يزجر ، وفي الأصل (ترعوها) بالراء المهملة وهو تحريف - وفي نسخة «تقدعوها» وفي أخرى «تنزعوها» بزيادة نون بين حرف الضارعة والزاي ، وفي أخرى «لا تطيعوها» وهذه لا يصح المعنى عليها (م)

(٤) هو محمود بن محمد ، الشاعر الكاتب ، التوفي سنة ٣٥٠ .

(٥) الدمي : جمع دمية . وهي الصورة توضع في الخراب لتمثل الحور العين

تلك أقسام متى يعقل بها دهره يستعد ويرشد ويصيب

نظام كسرى  
في حياته  
وقال أبو العباس محمد بن يزيد : قسم كسرى أيامه فقال : يصلح يوم  
الريح للنوم ، ويوم القسم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس  
لقضاء الحوائج .

قال الحسن بن خالويه<sup>(١)</sup> : ما كان أعرفهم بسياسة دنيائهم ، يملكون ظاهراً  
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد  
جزأ نهاره ثلاثة أجزاء : جزءاً لله ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزءاً لجزأه  
بينه وبين الناس ؛ فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغوني  
حاجة من لا يستطيع إبلاغي ؛ فإنه من أبلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع  
إبلاغها آمنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر .

أعوذ إلى الإطالة والإيجاز !

وقال شبيب بن شيبه<sup>(٢)</sup> : إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة فقدّم  
إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطأ ، قبل التقدم من إحكام البلوغ في

(١) هو الحسين « لا الحسن كما ورد في الأصل » ابن أحمد ، إمام اللغة والعريضة في  
عصره ، طلب العلم في بغداد ، ثم سكن حلب واختص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده ،  
وهناك انتشر علمه وروايته . وكانت وفاته سنة ٣٧٠ . قال السيوطي في بنية الوعاة :  
سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسماً ممدوداً  
وجمه مقصوراً ؟ قالوا : لا ، قال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟ فقال : أنا أعرف أسين  
قال : فاما ؟ قال صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى . فلما كان بعد شهر من أصاب  
حرفين آخرين هما صلفاء وصلافي وهي الأرض المليظة ، وخبراء وخباري وهي أرض  
فيها ندوة ، ثم بعد عشرين سنة وجد حرفاً خامساً . وهو سبتاء وسباني وهي الأرض الحشنة  
(٢) كان شبيب بن شيبه مشهوراً بالقصاحة والدهاء ، وكان يتادم خلفاء بني أمية  
ويغزوهم إليه أهل بلده في حوائجهم . توفي سنة ١٧٠ .

شَرَفَ التَّجْوِيدَ ؛ ثُمَّ إِذَاكَ أَنْ تَمْدِلَ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا ، فَطَلِيلٌ كَافٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ .

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يَقُولُ لِكُتَّابِهِ : إِنْ اسْتَطَقْتُمْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُكُمْ كُلُّهُ مِثْلَ التَّوْقِيعِ فَافْضَلُوا .

وَقَالَ ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ : لَمْ أَرَقَطْ أَتَقَلَّقْ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، وَكَانَ صَاحِبَ لِيَحْيَا .

وَكَانَ أَبُو وَائِلَةَ إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَلَى تَقْدُّمِهِ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَفَضْلِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ - بِالْإِكْتِسَادِ تَعْيِيًا ، وَإِلَى التَّلْوِيلِ مَتَسُوبًا ، وَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شُهْرَةَ : أَنَا وَأَنْتَ لَا تَتَّفَقُ ، أَنْتَ لَا تَشْتَعِي أَنْ تَسْكُتَ ، وَأَنَا لَا أَشْتَعِي أَنْ أَتَمْتَعَ . وَقِيلَ لَهُ : مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثْرَةُ كَلَامِكَ ، قَالَ : أَقْسَمُونَ صَوَابًا أَمْ خَطَأً ؟ قَالُوا : بَلْ صَوَابًا ، قَالَ : فَازِيدَهُ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ .

قَالَ الْجَاهِظُ : وَلَيْسَ كَمَا قَالَ ، بَلْ لِلْكَلامِ غَايَةٌ ، وَلِنَشَاطِ السَّامِعِينَ نَهَايَةٌ ، وَمَا فَضَّلَ عَنْ مَقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ ، وَدَعَا إِلَى الْإِسْتِقْمَالِ وَالْكَلَالِ ؛ فَذَلِكَ هُوَ الْفِضَالُ <sup>(١)</sup> وَالْمَذَرُ وَالْخَطْلُ وَالْإِسْهَابُ الَّذِي سَمَّيْتُ الْخَطْبَاءَ يَعْيبُونَهُ .

وَذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ ابْنَ هُبَيْرَةَ لَمَّا أَرَادَ إِيَّاسًا عَلَى الْقَضَاءِ قَالَ : إِبْنِي وَاللَّهِ لَا أَضْلَحُ لَهُ ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي دَمِيمٌ حَدِيدٌ ، وَلَأَنِّي عَمِيٌّ ، قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : أَمَّا الْحِدَّةُ فَإِنَّ السَّوْطَ يُقَوِّمُكَ ؛ وَأَمَّا الْعَمِيُّ فَقَدْ عَبَّرْتَ عَمَّا تَرِيدُ ؛ وَأَمَّا الدَّمَامَةُ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَحَاسِنَ بِكَ .

وَلَمَّا بَصَفَهُ أَحَدُ الْعَمِيِّ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُنَابُ بِالْإِكْتِسَادِ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ الْمَدَافَةَ عَنْ نَفْسِهِ وَالْحَدِيثَ ذُو شَجُونٍ <sup>(٢)</sup> .

(١) الفضال ، على وزن كتاب ، البتذل من قول أو غيره

(٢) شجون : ضروب

إِيَّاسُ بْنُ  
مَعَاوِيَةَ يُحْتَجُّ  
لِلْأَطْنَابِ

الْجَاهِظُ يَرُدُّ  
عَلَيْهِ

ابْنُ هُبَيْرَةَ  
يُرِيدُ إِيَّاسًا  
عَلَى الْقَضَاءِ

أبو العيناء قال أبو العيناء ، ذُكِرْتُ لبعض القِيَّانِ فشقتني على السماع ، فلما رَأَيْتُني وبعض القِيَّانِ استجبحتني ، قلت :

وشاطرة لما رَأَيْتُني تنكَّرتُ وقالت : قبيحٌ أخوانٌ ماله جسمٌ  
فَإِنْ تُنْكَرُني مَنِي أَخَوِي لَأَفَاتِنِي أديب أريب لا عيبٌ ولا قَدَمٌ<sup>(١)</sup>  
[ فاتصل بها الشعر ، ] فكتبْتُ إلى : إِنَّا لم نرد أن نُؤَلِّكَ ديوانَ الزمام !  
وكان عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب إلى عدى بن أُرطاة<sup>(٢)</sup> : إن  
قَبْلَكَ رَجُلَيْنِ من مُزَيْنَةٍ — يعني بكر بن عبد الله ، وإياس بن معاوية — قَوْلُ  
أَحَدِهِما قِضاءُ البَصْرَةِ ؛ فأحضرهما ، قال بكر : والله ما أحسنُ القضاء ؛ فَإِنْ كُنْتُ  
صَادِقًا فما تَحِلُّ تَوَلَّيْتِي ، وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَذلكَ أَوْجِبُ لِرَجُلِي ، فقال إياس :  
نَكمَ وَقَفَّيْتُمُوهُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَاتَّقِدْني مِنْها بِيَمِينٍ يَكْفِرُها ، وَيَسْتَغْفِرُ اللهُ تَعَالَى  
إِمنها ، فقال له عدى : أَمَا إِذا هَتَدَيْتَ لَهَا فَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَا ، فَوَلَّاهُ .

وَدَخَلَ إِيَّاسَ الشَّامَ وهو غلامٌ صغير ، قَدَّمَ خَصَمًا لَهُ إلى بعض القضاة ،  
وكان الخَصَمُ شَيْخًا ، فَصَالَ عَلَيْهِ إِيَّاسٌ بِالْكَلَامِ ، فقال له القاضي : خَفَضَ عَلَيْكَ  
فَإِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، قال : الحقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ ، قال : اسكت ! قال : فَمَنْ يَنْطَلِقُ بِحُجَّتِي ؟  
قال : ما أراك تقولُ حقًا ، قال : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ! فَدَخَلَ القاضي على عبد الملك  
فأخبره ؛ فقال : اقضِ حاجتَهُ السَّاعَةَ وأخْرِجْهُ مِنَ الشَّامِ لَا يُفْسِدِ أَهْلُهَا<sup>(٣)</sup> !

\*\*\*

الحديث المملول وقال أحمد بن الطيب السُّرخسِيُّ تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي<sup>(١)</sup> :

(١) القدم : الذي عن الكلام (٢) عدى بن أُرطاة : أمير من أهل دمشق ، ولاء  
عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ فاستمر إلى أن قتله معاوية ابن يزيد سنة ١٠٢ .  
(٣) وكانت وفاة إياس سنة ١٢٢ (٤) كان الكندي فيلسوف العرب في عصره ،  
وأحد أبناء اللؤلؤ من كندة ، نشأ في البصرة ، وانتقل إلى بغداد ، وكان من أعرف  
الناس بالطب والفلسفة واللوسيقى والهندسة والفلك . وقد ترجم عدد من كتبه إلى  
اللاتينية ، وكانت وفاته نحو سنة ٢٦٠ هـ



كنتُ يوماً عند العباس بن خالد ، وكان ممن حَبَّبَ اللهُ إليه أن يتحدَّثَ ، فأخذ يتحدثني ، وينقلُ من حديثٍ إلى حديث ، وكنا في صَحْنٍ له ، فلما بَلَغتنا الشمس انتقلنا إلى موضعٍ آخر ، حتى صار الظلُّ قَيْئاً ؛ فلما أَكْثَرَ وَأَصْجَرَ ، ومَلَّتْ حُسْنُ الأدبِ في حُسْنِ الاستماعِ ، وذكرت قول الأوزاعي : إن حَسَنَ الاستماعِ قُوَّةٌ للمحدث ، قلتُ له : إذا كنتُ وأنا أسمعُ قد عَيَّيتُ مما لا كَلْفَةَ علىَّ فيه ، فكيف أراك وأنتَ للمتكلم ؟ فقال : إنَّ الكلامَ يَحُلُّ الفضولَ اللُّزجةَ العالِقةَ التي تَمرُضُ في اللِّهَوَاتِ وأضلَّ اللسانَ ومَنَياتِ الأسنانِ ، فوثبْتُ وقلت : لا أرايَ مَعَكَ اليومَ إلَّا « يَبَارِجُ الْفُقَرَا » ؛ فَأَنْتَ تَتَفَرَّغُ غَيْرُ بِي ! فَاجْتَهِدْ . في أن أَجْلِسَ فلم أَفْعَلْ .

قال أحمد بن الطيب : كنا مرَّةً عند بعض إخواننا ، فتكلَّم وأعجبه من نفسه البيان ، ومِنَّا حَسَنُ الاستماعِ ، حتى أَفْرَطَ ، فمَرَضَ لبعض مَنْ حَضَرَ مَلَلٌ ، فقال : إذا بَارَكَ اللهُ في الشيءِ لم يَفْنِ ، وقد جَمَّلَ اللهُ تعالى في حديث أخينا البركة ! .

ولمجد الله بن سالم الخياط في رجل كثير الكلام :  
 لي صاحبٌ في حديثه البركة    يزيدُ عند السكونِ والحَرَكةُ  
 لو قال لآ في قليلٍ أُخْرِفُهَا    لَرَدَّهَا بِالْحُرُوفِ مُشْتَبِكُهُ  
 ومن طرائف التطويل ما أنشأه البديع ، وسيمر من كلامه ما هو آتق من زهر الربيع .

### [ الملح ]

قال الأصمعي : بالعلم وصلنا . وبالملح نلنا ، وقال الأصمعي أيضاً : أنشدت منزلة الملح محمد بن عمران قاضي المدينة ، وكان أغفلَ مَنْ رَأَيْتُهُ :  
 بأيها السائلُ عن مَنزِلِي    نزلتُ في الخِلافِ على نَفْسِي

يَسْئَلُ عَلَى الْخَيْرِ مِنْ خَيْرٍ لَا يَقْبَلُ الرَّهْنُ وَلَا يُنْسَى<sup>(١)</sup>  
 آكَلُ مِنْ كَيْسِي وَمِنْ كَيْسِي حَتَّى لَقَدْ أَوْجَعَنِي فِرْسِي  
 قَالَ : اكِتُبْ لِي هَذِهِ الْآيَاتِ ، قُلْتُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! هَذَا لَا يَشْبَهُ مَثَلًا ،  
 وَإِنَّمَا يَرَوِي مِثْلَ هَذَا الْأَحَادِيثُ ، قَالَ : اكِتُبْهَا فَالْأَشْرَافُ تُخَفِّجُهُمُ الْمَلَحُ .  
 وَقَدْ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي لَا سَتَجِمُ نَفْسِي بِبَعْضِ الْبَاطِلِ ،  
 لِيَكُونَ أَقْوَى لَهَا عَلَى الْحَقِّ .

[ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْقُلُوبُ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ، فَاطْلُبُوا لَهَا  
 طَرِيقَ الْحِكْمَةِ ] .

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْجِشُونِ : لَقَدْ كُنَّا بِالْمَدِينَةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُعِدُّنِي بِالْخَدِيثِ مِنْ  
 الْفَقْهِ فَيُطْلِعُنِي عَلَيْهِ ، وَيَذْكُرُ الْخَبَرَ مِنَ الْمَلَحِ فَاسْتَعِيدُهُ فَلَا يَفْعَلُ ، وَيَقُولُ : لِأَعْطَيْكَ  
 مَلَحِي ، وَأَهْبِكَ ظَرْفِي وَأَدْبِي .

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْجِشُونِ : إِنِّي لَا تَمُتُ بِالْكَلِمَةِ لِلْمَلِيحَةِ وَمَالِي إِلَّا قَيْصَرٌ وَاحِدٌ ؛  
 فَادْفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهَا ، وَأَسْتَكْسِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَالَ الزَّيْزِرُ بْنُ بَكَارٍ<sup>(٢)</sup> : رَأَى الْفَاضِرِيَّ يُنْزِعُ أَشْمَبَ الطَّعْمِ عِنْدَ بَعْضِ  
 الْوُلَاةِ ، وَيَقُولُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! إِنَّ هَذَا يَدْخُلُ عَلَيَّ فِي صِنَاعَتِي ، وَيَطْلُبُ  
 مِشَارَكَتِي فِي بِضَاعَتِي ، وَهَيَاتَهُ هَيَاةُ قَاضٍ ، وَالْأَمِيرُ يَضْحَكُ ، وَكَانَا جَمِيعًا فَرَسِي  
 زَهَانَ وَرَضِيْعِي لِبَانٍ فِي بَيَانِهِمَا ؛ إِلَّا أَنَّ الْفَاضِرِيَّ [ كَانَ ] لَا يَتَخَلَّقُ بِالطَّعْمِ  
 تَخَلَّقُ أَشْمَبًا ..

بعض ملح  
الفاضري

وَأَتَى الْفَاضِرِيَّ يَوْمًا الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ : جُمِلْتُ فِدَاكَ ! إِنِّي عَصَيْتُ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ ، قَالَ : بَشْ مَا صَنَعْتَ ! وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) ينسى : ينسى ، من النسيئة وهي التأخير .

(٢) كان الزيزير بن بكار عالما بالأنساب وأخبار العرب ، وهو من أحفاد الزبير  
 ابن العوام ، ولد في المدينة ، وتولى قضاء مكة فتوفي فيها سنة ٢٥٦

عليه وسلم قال : لا يَفْلَحُ قومٌ وَلَوْ أَمَرَهُم امرأة ، وأنا أطمعُ امرأتى ، فاشتريتُ غلاماً فحرب .

قال الحسن : فاختر واحدةً من ثلاث : إن شئتَ فَمَنَّ الغلام ، قال : بأبى أنت ! إِفْ عند هذه ولا تتجاوزَها ! قال : أَعْرِضْ عليكِ الخصلتين ، قال : لا ، حَسْبى هذه .

وقد رَوَى نحوه هذا عن أشعب ، أنه قال له بعضُ إخوانه : لو صرتَ إلى المشية تنفج ؟ قال : أخاف أن يحمى . قيل ، قلت : ليس معنا ثالث ، فضى معى ، فمنا صلينا الظهر ودعوتُ بالطعام ، فإذا بَدَأَتْ يدقُ البابُ ، قال : ترى أن قد صرنا إلى ما نكره ، قلت له : إنه صديق ، وفيه عشرُ خصال إن كرهتَ واحدةً منهم لم آذنْ له ، قال : هاتِ ، قلت : أولها أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسعُ لك ! قل له يدخل !

ورأى سفيان الثوري<sup>(١)</sup> الناضري وهو يضحكُ الناس ؛ فقال : يا شيخُ ! وما عمتُ أن الله يوماً يختبرُ فيه المُبْطِلون ؟ فوجمَ الناضري ، وما زال ذاك يُعزِفُ فيه حتى بقي الله عز وجل .

وأشعب الطلمع هو أشعب بن جبير ، مولى عبد الله بن الزبير ، وكان أخفى أشعب المشهور بالناس . قال الزبير بن أبى بكر : كان أهلُ المدينة يقولون : تغيَّر كلُّ شئٍ ، إلا مُنَحَ أشعب ، وخيَّر أبى الفيث ، ومشيئة بَرَّة<sup>(٢)</sup> ؛ وكان أبو الفيث يعالج الخيبرَ بمدينة ، وبرة بنت سعيد بن الأسود كانت من أجملِ النساء وأحسنَ مشيةً ، وأشعب يضربُ به المثلُ في الطلمع ، وكان أشعبُ قد نشأ في حجرِ عائشة

(١) ونسفيان الثوري في الكوفة سنة ٩٧ ، ونشأ نشأة أهل التقى والدين المولعين برواية الحديث . وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٦١ .

(٢) انظر حمد المشية وما قيل في ذلك من الشعر الجليل في كتاب (أفان الجلال)

بت عثمان - رحمة الله! - مع أبي الزناد<sup>(١)</sup>، قال أشعب: فلم يزل يعلو وأنحط حتى بلغنا الناية.

وقال أشعب: أسلتني أمي إلى برّاز، فالتقي بدستة، أين بلغت؟ قلت: في نصف الصل، قالت: وكيف؟ قلت: تعلت النثر وبقى الطي، قالت: أنت لا تنلح.

وسأله صديقه له خاتماً، فقالت: أذكرك به، قال: اذكري أنك سألتني ومنعتك!

وقيل له: كم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر؟ قال: ثلثائة عشر درهما! ثم تنسك في آخر عمره، وغزّاء ومات على خير، رحمه الله تعالى!

وقيل لأشعب: أرايت أطمع منك؟ قال: نعم، كلبه آل فلان، رأيت رجلين يمشعان على كفا<sup>(٢)</sup>، فنبهتهما فرسخين فظنّ أهما يا كلان شيئاً.

وأهدى رجل من ولد عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج قالودجة وأشعب حاضر، فقال: كل يا أشعب، فأكل منها؛ فقال: كيف ترأها؟ فقال: عليه الطلاق إن لم تكن عملت قبل أن يوحى ربك إلى النخل! أي: ليس فيها خلوة<sup>(٣)</sup>.

وزي أبو هفان قال: دخل أبو نواس الحسن بن هاني، على يحيى بن خالد ظرف  
أبي نواس فقال له: أشدني بعض ما قلت، فأنشده: وسرعة بديته

إني أنا الرجل الحكيم بطبعه ويريدني على حكاية من حكى  
أتبع الظرفاء. أكتب عنهم كما أحدث من أحب فيضحك

(١) أبو الزناد هو: عبد الله بن ذكوان القرشي المدني، كان من كبار المحدثين. وكان كثير الأتباع من طلاب الفقه والشعر والعرية، توفي فجأة بالمدينة سنة ١٣١  
(٢) المال: اللبان (٣) وكانت وفاة أشعب بالمدينة سنة ١٥٤

فقال له يحيى [ بن خالد ] : إن [ أول ] زندق ليورى بأول قذحة ، قال  
ارتجالا في معنى قول يحيى :

أما وزندق أبي علي إنه زندق إذا استوزنت سهل قذحا  
إن الإله ليعلم عبادَه قد صاغ جدك للماح ومنحكا  
تأبى الصنائع همتي وقريحتي من أهلها وتماف إلا مدحكا

ووصف أبو عبد الله الجواز أبا نواس فقال : كان أطرف الناس منطقاً ،  
وأغزرم أدبا ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم جواباً ، وأكثرهم حياءً ،  
وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النعمة والإشارة ، ملتف الأعضاء ،  
بين الطويل والقصير ، مسنون الوجه<sup>(١)</sup> ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك<sup>(٢)</sup> ،  
خو العشرة ، لطيف الكف والأطراف ؛ وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ،  
عذب الألفاظ ، حلو الشائل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلمت  
العرب . رأوية للأشعار ، علامة بالأخبار ، كأن كلامه شعرٌ موزون .

وأقبل أبو شراعة العبسي ، والجماز في حديثه ، وكان أقبح الناس وجهاً ،  
وكانت يد أبي شراعة كأنها كربة تحل<sup>(٣)</sup> ؛ فقال الجماز : فلو كانت أطرافه على  
أبي شراعة لم حُسنه ؛ فغضب أبو شراعة وانصرف يشتبه .

والجز هو : أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر وكانوا ترجمة الجماز  
يزعمون أنهم من حنيفة ، نالهم سياء في خلافة أبي بكر ، رضى له عنه ،  
وم مواليه . وسلم الخاسر عنه<sup>(٤)</sup> ، وكان الجماز من أخص الناس حكاية ،  
وأكثرهم ندرة .

قال بعض جنء التوكل : كنا نكثر عند المتوكل ذكر الجماز حتى

(١) مسنون : مخروط (٢) المضحك : المم (م) (٣) الكربة — بله ، كان  
نسخة (٤) سلم الخاسر هو : سلم بن عمرو بن حماد  
شاعرا مجد خبيد . وسمى الخاسر لأنه باع معضاه واه

اشتاقه ، فكتبَ في حمله إليه ، فلما دخل أغمى ، قال له المتوكل : تكلم  
 فأبى أن أشتبك ، قال : بغيضة أو بغيضة يا أمير المؤمنين ؟ قال  
 له الفتح <sup>(١)</sup> : قد كلمتُ أمير المؤمنين يؤيِّك على القرد والكلاب ! قال :  
 أفلتست سائماً مطيعاً ؟ فضحك المتوكل وأمر له بشرة آلاف درهم  
 وكان لا يَدْخُلُ بيته أكثر من ثلاثة لضيقة ؛ فدعا ثلاثة ، أجهاد ستة ،  
 وقرعوا الباب ، ووقفوا على رجل رجل فعدَّ أرجلهم من خلف الباب ؛ فلما  
 حصلوا عنده ، قال : اخرجوا عني ، فأبوا دعوت ناساً ولم أدعُ كراكي .

وقال الطائي في عمرو بن طوق التغلبي :	لأبي تمام يمدح عمرو بن طوق
الجُدُ شَيْبَتُهُ ، وفيه فكاهةٌ سجعٌ ولا جد لمن لم يَلْعَبِ <sup>(٢)</sup>	
شرسٌ ، ويتبع ذاك لبن خَلِيقَةٍ لا خير في الصَّبا ، مالم تنطَبِ <sup>(٣)</sup>	
وقال في الحسن بن وهب :	وله يمدح الحسن بن وهب
يَلُو أيامٌ خَطَبْنَا لَيْتَهَا في ظله بالحدريس السِّلِ <sup>(٤)</sup>	
بمدامة نغم السماع خفِيرُها لا خير في العلول غير معلل <sup>(٥)</sup>	
ينشئ عليها وهو يَجْمُو مُقْلَى بازٍ ، وينفل وهو غير مُنْفَل	
لا طائشٌ تهفُو خلائقه ، ولا خَشِنُ الوَقَارِ كأنه في محفل	
فبكه يجمُ الجُدُ أحياناً ، وقد ينقَى ويهزل عيشٌ من لم يَهْزَل	
وال فيه :	
ولم رأيتك والكلامُ لآلئ ، تومٌ فيسُكِرُ في النِّظَامِ وثَيْب <sup>(٦)</sup>	
وكأن قفاً في عكاظٍ يَنْطَبُ وابن القفع في اليقِمة يسب <sup>(٧)</sup>	

- (١) الفتح : هو الفتح بن خاقان ، وزير التوكل ونديعه ، وقتل معه في ليلة واحدة (م) (٢) سجع : سهل ، وفي الديوان (ص ١٣) « سجع » بالميم (م)  
 (٣) تنطَب : تنزعج (٤) الحدريس : الحمر (٥) العلول : الذي يشرب العسل  
 بفتحين ، وهو الشرب الثاني ، بخلاف النهل فهو الشرب الأول  
 (٦) توم : أشاء البئر (٧) اليقِمة : اسم كتاب لابن القفع

وَكَاْنُ كَيْسَلِ الْأَخِيلَةِ تَنْدُبُ      وَكَثِيرَ عَزَّةَ يَوْمَ بَيْنِ يَنْسِبُ  
يَكْسُو الْوَارِدَ وَيَسْخَفُ مَوْفَرًا      طَوْرًا فَيَبْكِي سَامِعِهِ وَيُطْرِبُ

لأبي الفتح  
البسقي

وقال أبو الفتح البسقي :

أَفِذْ طَبَّتْكَ لِلْكَدِّ وَدَالِمُ رَاحَةٍ      بِرَاحٍ ، وَطَلَّةُ بَشْيَةٍ مِنَ الزَّرْحِ  
وَلَكِنْ إِذَا أَعْلَيْتَهُ لِلزَّرْحِ فَلْيَكُنْ      بِمَقْدَارٍ مَا تُطْغِي الطَّعَامُ مِنَ الْمَلْحِ

الكلام في الزراح

[الزراح]

وما زال الأشراف يَمْزَحُونَ ، ويسمحون بما لَا يَقْدَحُ فِي أَدْلَانِهِمْ ،  
ولا يَنْضُ مِنْ مَرْوَاتِهِمْ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بَشَتْ بِالْخَنِيْفَةِ السَّمْحَةُ .

وقال : إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا .

وقيل لسعيد بن النسيب <sup>(١)</sup> : " إِنِّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَزَوْنَ إِشَادَةَ الشَّرِّ إِشَادَةَ الشَّرِّ .  
قَالَ : لِحَمْدِ نَسْكَوْا نُسْكَأَ أَجْمَعِيًّا .

وقيل لابن سيرين : " إِنِّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ إِشَادَةَ الشَّرِّ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ ، فَأَنْشَدَ :  
لَقَدْ أَصْبَحْتُ عَرْسَ الْفَرَزْدَقِ نَاشِرًا      وَلَوْ رَضِيتُ رَشَحَ اسْتِهَ لَا سَتَرْتُ <sup>(٢)</sup>  
وَقَامَ يُصَلِّي ! وَقِيلَ : بَلْ أَنْشَدَ :

أُنَيْتُ أَنْ عَجُوزًا جِثْتُ أَخْطِبُهَا      عُرْقُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ وَالطَّوْلِ

[النسيب]

وقيل لأبي السائب الخزومي : أَرَى أَحَدًا لَا يَسْتَعِي النَّسِيبَ ؟ قَالَ : أَمَا مِنْ  
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا .

(١) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة : جمع بين الحديث والفقہ والزهد ، وكان يجهل  
من التجارة بالزيت ، وكان أخف الناس لأحكام عمر بن الخطاب . رَأَيْتُ  
راوية عمر ، وكانت وفاته سنة ٩٤ هـ .

(٢) عرس الرجل — بكسر العين وسكون الراء .

لعروة بن أذينة وروى مصعب بن عبد الله الزيري<sup>(١)</sup> عن عروة بن عبيد الله بن عروة الزيري قال : كان عروة بن أذينة<sup>(٢)</sup> نازلاً في دار أبي العقيق ، فسمعه يُنشد لنفسه :

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادُكَ مَلَّهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا  
فِيكَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهَا ، وَكَلَّا كَلَّا أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا  
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا يَوْمًا وَقَدْ ضَحَّيْتَ إِذْنًا لِأَطْلَمَهَا<sup>(٣)</sup>  
فَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلَوَةٍ شَفَعَ الضَمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَّهَا  
يِضَاءً بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ قَادَقَهَا وَأَجْلَهَا<sup>(٤)</sup>  
لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلَّمًا ، لِي حَاجَةٌ أَخْشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو ذُلَّهَا<sup>(٥)</sup>  
مَنْتَ تَحْتِهَا قُلْتُ لِصَاحِبِي : مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا  
فَدَنَا وَقَالَ : لَمَلَّهَا مِنْ ذَوْرَةٍ فِي بَعْضِ رِقَبَتِهَا ، قُلْتَ : لَمَلَّهَا<sup>(٦)</sup>

قال : فَأَتَانِي أَبُو السَّائِبِ الْخَزَوِيُّ فَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ التَّرْجِيحِ بِهِ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ .

(١) راوية أديب محدث ، وهو عم الزبير بن أبي بكر ، وكان شاعرا ، وكان أبوه عبد الله بن مصعب من أشرار الناس ، وكانت وفاة مصعب بن عبد الله في ٢ شوال سنة ٣٣٣ ، وفي الطبعة الثالثة من كتاب «حب ابن أبي ربيعة وشعره» بحث مفصل عن طريق مصعب بن عبد الله في النقد ، ورأى الدكتور طه حسين فيه ، فليرجع إليه القارئ . (٢) (٣) هو عروة بن يحيى التوفي سنة ١٣٠ ، كان شاعرا غزلا ، فضلا عن تبحره في الفقه والحديث ، وهو القائل :

لَا رُكْبَ الْأَمْرِ تَزِي بِعَوَاقِبِهِ وَلَا يَجَابُ بِهِ عَرْضِي وَلَا دِينِي  
كَمْ مِنْ قَصِيرٍ غَيَّ النَّفْسُ تَرْفَهُ وَمِنْ غَيِّ قَصِيرِ النَّفْسِ مَسْكِينِ  
(٣) ضَحَّتْ : تَأَذَّتْ مِنَ الشَّمْسِ ، وَفِي الْأَغَانِي قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

وَيَسِيرُ بَيْنَ جَوَانِحِي حُبُّ لَهَا لَوْ كَانَ تَحْتَ فَرَاشِهَا لِأَقْلَهَا  
(٤) أَدَقَّهَا وَأَجْلَهَا : أَدَقَّ الْوَاضِعُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ دَقِيقَةً ، وَأَجَلَ الْوَاطِنَ الَّذِي  
أَنْ تَكُونَ جَلِيلَةً ، فَهِيَ مَثَلُ دَقِيقَةِ الْحَصْرِ ، وَثِيْرَةِ الرِّدْفِ .

(٥) لَهَا : أَرَادَ سَهْلَةً يَتَمَلَّكُهَا وَيَتَذَلَّلُهَا (م)

— بِكسر الراء وسكون القاف — هُنَا الْحَذَرُ وَالْخَوْفُ (م)



فقال : نعم آياتٌ لمرؤة بلخى أنك سمعته يُنشدُها ، فأنشدته الآيات ، فلما بلغت قوله :

\* فدنأ وقال لملها معذورة ... البيت \*

طرب ، وقال : هذا والله الدائم الصَّباية ، الصادق العهد ، لا الذى يقول :  
 إن كان أهلك يمتونك رغبةً عني فأهلى بى أضنُّ وأرغبُ  
 لقد عدا هذا الأعرابى طوره ، وانى لأرجو أن يغفر [ الله ] لصاحب هذه  
 الآيات لحسن الظن بها ، وطلب النذر لها : قال : فمرضت عليه الطعام فقال :  
 لا والله ما كنتُ لأخلط بهذه الآيات طعاماً حتى الليل ، وانصرف .

ترجمة  
 أبى السائب  
 الخزومى

وكان أبو السائب غزير الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهاتٌ مذكورة ،  
 وأخبارٌ مشهورة ، وكان جدُّه يكنى أبا السائب أيضاً ، وكان خليطاً لرسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : نعم الخليط  
 كان أبو السائب ! لا يُشارى ولا يمارى <sup>(١)</sup>

واسمُ أبى السائب عبدُ الله ، وكان أشرفُ أهل المدينة يستظرفونه ويقدمونه  
 لشرف منصبه ، وحلاوة ظرفه .

وكان عروة بن أذينة - على زهدِهِ ، وورعِهِ ، وكثرةِ علمِهِ وفههِ - رقيقَ  
 الفكركثيره ، وهو القائل :

إذا وجدتُ أوارَ الحب فى كبدى      أقبلتُ نحو سقاءِ الصوم أبقرِدُ  
 هبْنى برَدْتُ ببردِ المساء ظَاهِرُهُ      فَمَنْ لِنَسَارِ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ ؟  
 وقد روى هذان البيتان لغيره

(١) الشارة والمباراة : الصنف فى المجادلة

ومرت به سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم! -  
فقلت له : أنت الذي تزعم أنك غير عاشق ، وأنت تقول <sup>(١)</sup> :

قالت وأبشنتها يرى فبُحْتُ به قد كنت عندى تحب السرا فاستتر  
أنت تبصر من حولى؟ قلت له غطى هواك وما ألقى على بصري  
والله ما خرج هذا من قلب سليم .

وروى الزبير عن رجل لم يسته ، قال : قال لي أبو السائب : أنشدني  
للأحوص <sup>(٢)</sup> فأنشدته :

قالت - وقلت : تحرّجى وصل	حبلى امرئ بوصالكم صب - :	للأحوص .
صاحب إذن بعلى؟ قلت لها :	الندى شئ ليس من صرئ <sup>(٣)</sup>	في الغزل
شيثان لا أذنو لوصلهما	عرس الخليل وجارة الجنب	
أما الخليل قلت فاجعه	والجار أوصاني به ربى	
عوجا كذا نذكر لثانيه	بعض الحديث مطيعكم صخبى <sup>(٤)</sup>	
وقل لها : فيم الصدود ولم	تذنب، بل أنت بدأت بالذنب؟	
إن تقبلى قبيل ونزلكم	منا يدار السهل والرخب	
أو تهجرى تكدر ميثنا	وتصدعى متلاثم الشف	

قال : هذا والله الحب حقا ، لا الذي يقول :

وكنك إذا حبيب رام هجرى وجدت ورأى مُنفسحا عريضا

(١) عبارة الأغاني «أنت الذي تزعم أنك مسروء وأن غزلك من وراء غفة وأنت  
تمى؟ قال : نعم، قالت : أفأنت الذي تقول ، إلخ» (٢) الأحوص هو : عبدالله بن  
محمد الأنصاري ، شاعر هجاء رقيق النسيب، كان معاصرا لجرير والفرزدق ، وهو من  
سكان المدينة ، وضاء الوليد بن عبد الملك إلى اليمن ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر  
عينه ، وله أخبار كثيرة بين الجند والمجون ، وكانت وفاته سنة ١٠٥ . (٣) ليس من  
ضربى : ليس من طبعى وخلق (٤) عوجا مطيعكم : قما مطيعا أوميلوا بها

ثم قال : اذهب ، فلا صَحبَكَ الله ، ولا وَسَّعَ عليك <sup>(١)</sup> !

وخرج أبو حازم يوماً برزى الجار ، فإذا هو بامرأة حليز <sup>(٢)</sup> قد فتنت ظرف أهل الناس بحسن وجهها ، وألهمتهم بمخالها ، فقال لها : يا هذه ، إنك بمشعر حرام ، وقد فتنت الناس وشغلتهم عن مناسكهم ، فاتق الله واستترى ؛ فإن الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز : ( وَلْيَضْحَكُنَّ يَخْمُرِينَ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ) ؛ فقالت : إني من اللاتي قيل فيهن :

أماطت كساءها عن حر وجهها وأزاحت على المتنين برداً مهلهلاً  
من اللاء لم يحجبن بينين حسبة ولكن ليقتلن البرى المغفلة <sup>(٣)</sup>

الشعر للحارث بن خالد الخزومي . قال أبو حازم لأصحابه : تعالوا نذغ الله لهذه الصورة الحسنة ألا يعذبها الله تعالى بالنار ! فجعل أبو حازم يدعوا وأصحابه يؤمنون ، فبلغ ذلك الشعبي ، قال : ما أرتكم بأهل الحجاز وأظرفكم ! أما والله لو كان من قرى العراق لقال اعزبى عليك لعنة الله !

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين ، وله مقامات جميلة من الملوك ، وكلام محفوظ يدل على فضله وعقله ، وهو القائل : كل عمل تكره من أجله الموت فأتزكه ، ولا يضرك متى مت . وكان يقول : ما أحبت أن يكون ملك غدا قدومه اليوم . وكان يقول : إنما بيني وبين الملوك يوم واحد ، أما أس فلا يجدون لذته ، وأنا وإياهم من غد على وجل ؛ وإنما هو اليوم ، فما عسى أن يكون اليوم ؟ وقال أبو الصاهية :

لأبي الصاهية

حتى متى نحن فى الأيام نحسبها وإمسا نحن فيها بين يومين  
يوم تولى ، ويوم نحن نأمله لطفه أجلب اليومين للحين <sup>(٤)</sup>

(١) الخطاب لقائل البيت الأخير (٢) امرأة حازم وسافر : ليس على وجهها قناع  
(٣) المغفل : الطيب القلب (٤) الحين — فتح الحاء وسكون الياء — الهلاك

وروى الزبير بن أبى بكر قال : قدمت امرأة من هُذَيْل المدينة ، وكانت  
جيلةً ، ومهما ابن لها صغير ، وهى أُمِّمٌ <sup>(١)</sup> ، فخطبها الناسُ وأكثروا ، فقال فيها  
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أَحِبُّكَ حُبًّا لَا يَحِبُّكَ مِثْلُهُ	لَمِيدُ اللَّهِ
أَحِبُّكَ حُبًّا لَوْ عَلَتِ بَعْضُهُ	ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ
وَحَبْلُكَ يَا أُمَّ السَّلَاءِ مُتَّعِي	ابْنُ عَتَبَةَ
وَيَعْلَمُ وَجْدِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ	
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَى سَلْيَانُ كُلَّهُ	
مَتَى تَأْتِي عَمَّا أَقُولُ فَخَيْرِي	

فقال له سعيد بن المسيب : قد أبى . أن تسألنا ، ولو سألنا ما شهدنا لك بزور .  
وكان عبيد الله أحدَ الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علمُ المدينة ، وقد  
ذكرهم عبيد الله في هذه الأبيات ؛ وهم : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام  
ابن المنيرة المخزومي . والقاسم بن [ محمد بن ] أبى بكر الصديق ، وعروة بن الزبير  
ابن العوام ، وسعيد بن المسيب بن حزن ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد  
ابن ثابت الأنصاري .

وقيل لمبيد الله : أتقول الشر على شَرِّكَ ؟ قال : لا بد للمصدر أن  
يَنْفُثَ <sup>(٢)</sup> ؛ وعبيد الله هو القاتل :

شَقَقَتِ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَزَتْ فِيهِ	لَمِيدُ اللَّهِ
تَتَلَقَّلُ حُبُّ عَتَمَةَ فِي فَوَادِي	السَّمُودِي أَيْضًا
تَتَلَقَّلُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ	

(١) أُمِّم : لازوج لها (٢) هذا مثل ، والمصدر : الرضى صدره ، وأصل النفث .  
نقل الرق ، وقال « هذه نفثه مصدر » أَيْضًا (م) .  
(٣) لِمَ والتَّامُ مضاهما واحد ، والفتور : جمع فطر - بالفتح - وهو الصدع .

آخيه

لقول السعدي

أخذه سلم بن عمرو الخمار قال :

سقتي بينيها الموى وسقيتها  
وقال أبو نواس :أحبُّ اللومَ فيها ليس إلا  
ويَدْخُلُ حبُّها في كلِّ قلبٍ  
ومنه قول المتنبي :وللسرِّ متى مؤرَّضٌ لا يَنْفَلُ  
نديمٌ ، ولا يُفْضَى إليه شرَّابٌ

وقال بعضُ المحدثين :

مارلت تنويفي وتطلب خلتي  
حتى حلت بحيثُ حلَّ شرابي<sup>(١)</sup>  
ثم انصرفت بغير جرِّم كان لي  
ما هكذا الأخبابُ للأخبابِأخذ أبو نواس قوله : « أحب اللوم فيها » . . . البيت من قول أبي محمد  
ابن أبي أمية :وحديثي عن مجلس كنت زينة  
رسول أمين ، والنساء شهود  
قلت له ردِّ الحديث الذي مضى  
وذِّكرْ لي من بين الحديث أريد  
أناشدُهُ بالله إلا أعذتْهُ  
كأني بطيء القهم عنه بعيدُ

وقول أبي نواس في البيت الأول كقوله :

إذا غاديتني بصبح لوم  
فمزوجاً بسميمة أخيب  
فإني لا أعذُّ اللومَ فيها  
عليك ، إذا فعلت ، من الذنوب  
ولأنا إن عدت أرى جنانا  
وإن ضنت بمبخوس النصيب  
مقنعة بتوب الحسن ترعى  
بغير تكلف ثمر القنوب  
وفي جنان هذه يقول أبو نواس :

١٠ / لا تضلها للدام : لا تضلها فيها . (٢) الحلة - بالضم - الصداقة والمحبة (م) .

إذا الذي عن جنان علَّ يُخَيِّرُنَا      بالله قُلْ وَأَعِذْ يَا طَيْبُ الظَّهِيرِ  
قالوا اشتكتك وقالت ما ابتليت به      أراه من حيث ما أقبلت في أثرى  
ويرفع الطرف نحوى إن مررت به      حتى ليخجلني من شدة النظر  
وإن وقت له كما يكلفني      في الموضع الخلو لم ينطق من الحصر<sup>(١)</sup>  
ما زال يفعل بي هذا ويذمُّهُ      حتى لقد صار من همى ومن وطَّرى<sup>(٢)</sup>

وفي جنان أيضاً يقول أبو نواس، وكان بها صفاً، ولها محباً :

جنان تسبني ذكَّرتُ بخير      وزعم أتى رجلٌ خبيث  
وأن مودتي كدبٌ ومينٌ      وأنى لكذي تطوى بثوث<sup>(٣)</sup>  
وليس كذا، ولا ردُّ عليها،      ولكن اللؤلؤ هو التكوُّثُ  
ولى قلبٌ يَنَازِعُنِي إليها      وشوقٌ بين أضلاعي خثيث  
رأتُ كلفي بها وقديمٌ وجدي      فلفتني، كذا كان الحديث

[ وكانت جنان مولاة لبعض الثقفين ] .

وفي معنى قول ابن أبي أمية يقول العباسُ بن الأحنف :

وحديثي يأسد عنها فزدني      جنونا فزدني من حديثك يأسدُ  
وأهل المدينة أكثر الناس ظرفاً ، وأكثرم طيباً ، وأحلام مزاجاً ،  
وأشدَّهم اهتزازاً للسباع ، وحسن أدب عند الاستماع . وقال عبد الله بن جعفر :  
إن لي عند السباع هزة لو سئلت عندها لأعطيتُ ، ولو قاتلت لأبليتُ .

شيم  
أهل المدينة

وروى أبو العيَّاء قال : قال الأصمعي : مررت بدار الزبير بالبصرة ، فإذا شيخٌ  
قديم من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أبا ريمانة جالس بالباب عليه شملة  
تَشْرُوهُ ، فسلمتُ عليه ، وجلستُ إليه ؛ فيينا أنا كذلك إذ طلعت علينا سويداء

طرب  
أبي ريمانة

(١) الحصر : المي (٢) الوطر : الحاجة

(٣) بثوث : كثير البث لسره والتحدث عنه .

تَحْمِلُ قَرْبَةً ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا لَمْ يَتَأَلَّكْ أَنْ قَامَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : يَا اللَّهُ غَنَى صَوْتَا .  
 قَالَتْ : إِنْ مَوَالِيَّ أَعْجَلُونِي ، فَقَالَ : لَا بَدْءَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَتْ : أَمَا وَالْقَرْبَةَ عَلَى  
 كَتْفِي فَلَا ، قَالَ : فَأَنَا أَحْمِلُهَا ، فَأَخَذَ الْقَرْبَةَ مِنْهَا ، فَانْدَفَعَتْ نَفْسِي :  
 فَوَادَى أُسَيْرَ لَا يُبَيْتُكَ ، وَمُهَجَّتِي تَفِيضُ ، وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَطُولُ  
 وَلِي مُقَلَّةٌ قَرَحَتْ لِطَوْلِ اسْتِيقَايَا إِلَيْكَ ، وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ مُهْمُولُ  
 فَدَيْتِكَ ، أَعْدَانِي كَثِيرٌ ، وَشَقِي بَعِيدٌ ، وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلٌ <sup>(١)</sup>  
 فَطَرِبَ وَصَرَخَ صَرَخَةً ، وَضَرَبَ بِالْقَرْبَةِ إِلَى الْأَرْضِ فَشَقَّهَا ؛ قَامَتِ الْجَارِيَةُ  
 تَبْكِي ، وَقَالَتْ : مَا هَذَا يَجْزَأُنِي مِنْكَ ؛ أَسْتَفْنُكَ بِحَاجَتِكَ فَرَضْتَنِي لِمَا أَكْرَهَ  
 مِنْ مَوَالِي . قَالَ : لَا تَفْتَنِي فَإِنَّ الْمَصِيبَةَ عَلَيَّ حَصَلَتْ ، وَنَزَعَ الشَّمْلَةَ وَوَضَعَ يَدَا  
 مِنْ خَلْفِ يَدَا مِنْ قُدَامَ ، وَبَاعَ الشَّمْلَةَ وَابْتَاعَ لَهَا قَرْبَةً جَدِيدَةً ، وَقَدْ بَلَكَ  
 الْحَالُ ؛ فَاجْتَازَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ! - فَعَرَفَ  
 حَالَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا رِيحَانَةَ ! أَحْسَبُكَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ( فَأَرَبِحْتَ  
 تِجَارَتَهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ) . قَالَ : لَا يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَكِنِّي مِنَ الَّذِينَ  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ( فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ )  
 فَضَحَكَ ، وَأَمَرَهُ بِالْأَلْفِ دِرْهَمِ .

ومرّ بالأوقص المخزومي ، وهو قاضي المدينة ، سكران [ وهو ] يتفق بليل ،  
 فأشرف عليه ، وقال : يا هذا ، شربت حرّاما ، وأيقظت نياما ، وغنيت خطأ ؛  
 خذْهُ عَنِّي ، وَأَصْلَحْ لَهُ الْفَنَاءَ .

وسمع سعيد بن المسيب منشدا ينشد :  
 فلم ترَ عيني مثلَ مِرْبَرٍ رأيتُهُ خرجن من التَّعْمِ مُتَمَرِّاتٍ <sup>(٢)</sup>  
 ابن المسيب  
 يستمع إلى  
 منشد شعر

(١) فديتك : كنت فداء لك . وشقي جيد : أي أن ما بيني وبين أهلي جيد ،  
 والأشياء : الأنصار ( م ) .  
 (٢) السرب : القطيع من البقر والظباء ، وللرأبه هنا جماعة من حسان النساء

مَرَزْنَ يَفْعُ ، ثُمَّ رُخْنٌ عَشِيَّةٌ      يُلَبِّسِينَ لِلرَّخْمَنِ مُوَنْجِرَاتٍ<sup>(١)</sup>  
 وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضَتْ      وَكُنْ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ  
 دَعَتْ نَسْوَةَ شُمِّ الْمَرَانِينَ بَرْزَلًا      نَوَاعِمَ ، لَا شَعْنًا وَلَا غَبَرَاتٍ<sup>(٢)</sup>  
 فَأَبْرَزْنَ لَهَا قِنْ يَحْبِجْنَ دُونَهَا      حِجَابًا مِنَ الْقَسَى وَالْجَهْرَاتِ<sup>(٣)</sup>  
 تَصَوَّعَ طَلِيحًا بَلْعَنُ نَعْمَانٍ إِذْ مَشَتْ      بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةِ عَطِرَاتٍ  
 يُحَبِّتُنْ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى      وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ<sup>(٤)</sup>  
 قَالَ سَعِيدٌ : هَذَا وَاللَّهِ مَا يَلِدُ أَسْمَاعَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى وَسَعَتْ حَبِيبَ دِرْعِمَا      وَأَبْدَتْ بَنَانَ الْكَفِّ لِلجَمَرَاتِ  
 وَغَالَتْ بَيَانَ الْمَسْكِ وَخَفَا مَرْجَلَا      عَلَى مِثْلِ بَدْرِ لَاحٍ فِي الظُّلُمَاتِ<sup>(٥)</sup>  
 وَقَامَتْ تَرَاوِي بَيْنَ جَمْعٍ فَأَقْتَنَتْ      بِرُؤَيْتِهَا مِنْ رَاحٍ مِنْ عَرَافَاتِ  
 قَالَ : فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الشَّعْرَ الثَّانِي لَهُ ، وَالْأَوَّلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُبَيْرٍ  
 التَّقِيُّ يَقُولُهُ فِي زَيْنَبِ بِنْتِ يَوْسُفَ أُخْتِ الْحِجَاكِ ؛ [ وَطَلَبَهُ الْحِجَاكِ ] حَتَّى  
 ظَفِيرِهِ فَقَالَ : أَنْتِ الْقَائِلُ مَا قُلْتِ ؟ قَالَ : وَهَلْ قُلْتُ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأُمِيرَ إِلَّا :  
 يُعَبِّتُنْ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى      وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ  
 قَالَ لَهُ : كَمْ كُنْتُمْ إِذْ تَقُولُ :

بين الحجاج  
والنميرى

• وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضَتْ •

(١) فَعُ : موضع عكة (٢) المرانين : جمع عرين وهو الأنف ، وبزل : جمع بازل وهو البعر يبلغ تسعين فيكتمل قوته ، والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن يلقن السن التي يلقن فيها القلب من مكان إلى مكان .  
 (٣) القسى : نوع من اللباس ينسب إلى قرية مصرية بقرب العريش ، وأهو القزى فأبدلت الزاى .

(٤) الاعتجار : لبسة خاصة لمرأة (٥) وحف : أسود ، وهو صفة الشعر ، ونخرج : انشرح .



قال : والله ما كنت إلا أنا وصاحب لي على حمار هزيل ! فضحك وعفاهه ،

وهو القائل :

أَهَاجَتِكَ الطَّعَانُ يَوْمَ بَانُوا      بَذَى الزَّمَى الْجَلِيلُ مِنَ الْأَمَلِ <sup>(١)</sup>  
طَعَانٌ أَسْلَسْتُ فِي بَطْنِ قَوْ      تَحْتُ إِذَا رَتَّتْ أَى اخْتِثَاثِ  
كَأَنَّ عَلَى الْمَوَادِجِ يَوْمَ بَانُوا      نِمَاجًا تَرْتَمَى بِقَلِّ الْبِرَاثِ <sup>(٢)</sup>  
يَهَيِّجُكَ الْخَمْسَامُ إِذَا تَفَنَّى      كَمَا جَعَّ التَّوَادِبُ بِالْمَرَاثِ

[ من أدب ابن المعتز ]

وقال ابن المعتز : وَغَدُ الدُّنْيَا إِلَى خَلْفٍ ، وَبَقَاوُهَا إِلَى تَلَفٍ ، وَبَعْدَ عَطَانِهَا  
لَمْنَعٍ ، وَبَعْدَ أَمَانِهَا الْفَجَعُ ، طَوَّاحَةٌ طَرَّاحَةٌ ، آسِيَّةٌ جَرَّاحَةٌ ، كَرَّاقِدٌ فِي ظُلُمَانِهَا  
قَدْ أَيْقَنْتُهُ ، وَوَاتَّقَ بِهَا قَدْ خَانَتْهُ ، حَتَّى يَلْفِظَ نَفْسَهُ ، وَيُوَدِّعَ دُنْيَاهُ ، وَيَسْكُنَ  
رَسْمَهُ ، وَيَنْقُطِعَ عَنْ أَمَلِهِ ، وَيُشْرِفَ عَلَى عَمَلِهِ ، وَقَدْ رَجَّحَ الْمَوْتَ بِنَجَاتِهِ <sup>(٣)</sup> ، وَنَقَضَ  
قَوْى حَرَكَاتِهِ ، وَطَمَسَ الْبَلَى جَمَالَ مَهَيَّجَتِهِ ، وَقَطَعَ نِظَامَ صُورَتِهِ ، وَصَارَ كخَطٍّ مِنْ  
رَمَادٍ تَحْتَ صَفَائِحِ أَنْضَادٍ <sup>(٤)</sup> ؛ وَقَدْ أَسْلَمَهُ الْأَحْبَابُ ، وَافْتَرَشَ التُّرَابُ . فِي بَيْتِ  
نَجْرَتِهِ الْمَعَاوِلِ <sup>(٥)</sup> ، وَفَرُشَتْ فِيهِ الْجُنَادِلُ ، مَا زَالَ مَضْطَرِبًا فِي أَمَلِهِ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ  
فِي أَجَلِهِ ، وَحَمَتِ الْأَيَّامُ ذِكْرَهُ ، وَاعْتَادَتِ الْأَخْلَاطُ قَعْدَهُ .

وكتب وهو معتقل إلى أستاذه أبي العباس أحمد بن يحيى  
ثعلب <sup>(٦)</sup> يتشوقه :

مَا وَجَدُ صَادِقَ الْجِبَالِ مُوَقِّئِي      بِمَاءِ مَرْزِيٍّ بَارِدٍ مُصَفِّئِي <sup>(٧)</sup>

(١) الطعان : جمع طعنة ، وهي الرأفة في المودج ، والأثاث : متاع البيت .  
(٢) البراث : الأرض السهلة . (٣) رجح : مال كما ترجح كفة لليزان (م) .  
(٤) صفائح أنضاد : انصفايح الحجارة العريضة ، وأنضاد : جمع تضد ، وهو المنحوت  
باستواء (٥) المعاول : جمع معول ، وهو آلة كالقدوم (٦) كان ثعلب من أصدق أهل  
العريية لسانا ، وأبدهم ذكرا ، وأثبتهم حفظا ، وكان في رأي اللرد أعلم الكوفيين . توفي  
في جمادى الآخرة سنة ٢٩١ (٧) مصفق : صفقته الريح : أى لبت به حتى لكأنه يصفق

بين ابن المعتز  
وأستاذه ثعلب

بالرَّيحِ لَمْ يَكْدُرْ وَلَمْ يُرْتَقِ جَادَتْ بِهِ أَخْلَافُ دَجْنٍ مُطْبِقِ<sup>(١)</sup>  
 بِصَخْرَةٍ إِنْ تَرَّ شِمَا تَبْرُقِ مَادَ عَلَيْهَا كَالزُّجَاجِ الْأَزْرَقِ<sup>(٢)</sup>  
 صَرِيحٌ غَيْثٌ خَالِصٌ لَمْ يُمَذَّقِ إِلَّا كَوَجْدِي بِكَ، لَكِنْ أَتَقِي<sup>(٣)</sup>  
 يَا قَاتِمًا لِكُلِّ بَابٍ مُخْلَقِ وَصَيْرَ قِيًّا نَاقِدًا لِلنَّطْقِ<sup>(٤)</sup>  
 إِنْ قَالَ هَذَا بَهْرَجٌ لَمْ يَنْفُقِ إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ  
 لَنَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

فأجابه : أخذتَ أطالَ اللهُ بقاءك أولَ هذه الأبياتِ مما أُمليتُ عليك من قول جميل<sup>(٥)</sup> :

وَمَا صَادِيَاتٌ تُحْنُ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى الْمَاءِ يَحْشِنُ الْعَصَى حَوَائِي  
 كَوَاعِبٌ لَمْ يَصْدُرْنَ عَنْهُ لَوِجُهُ لَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْخِيَاضِ دَوَائِي  
 يَرَيْنَ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ فَمِنْ لَأْصَوَاتِ الشَّقَاةِ رَوَائِي  
 بَأَكْثَرِ مَنَى غُلَّةٍ وَصَبَابَةٍ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ عَرَائِي  
 وَأَخَذَتْ آخِرَهَا مِنْ قَوْلِ رُوْبَةِ بْنِ الْعِجَاجِ<sup>(٦)</sup> :

(١) الأخلاف : الأتداء يفيض منها اللبن ، والدجن المطبق : هو السحاب التراكم  
 (٢) ماد : مال (٣) لم يمدق : لم يمزج ، يشبه الغيث القوي بالبحر الصرفة تصرع الشارين  
 (٤) الصيرى : الرجل الحاذق في تمييز النقود ، ويريد به هنا البصير بقصد القول  
 (٥) هو جميل بن عبد الله بن معمر المذرى ، وهو شاعر أذاب قلبه بالحنين إلى  
 معشوقته بثينة ، وكانت سكينه بنت الحسين تقدمه على الشعراء الغزلين ، لقوله :

يقولون : جاهد يا جميل بنزوة ، وأى جهاد غيرهن أريد ؟  
 لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

وكانت وفاته سنة ٨٢

(٦) راجز فصيح من غصنرى الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه بالبصرة ،  
 ومات في البادية سنة ١٤٥ قال الخليل : دقا الشعر واللغة والقصاحة .

إِنِّي وَإِنْ لَمْ تَرَني فإِنِّي أَخوكَ وَالرَّاعِي إِذَا اسْتَعَيْنِي  
أَرَاكَ بِالْوَدِّ وَإِنْ لَمْ تَرَني

قال : فاستخفني في ذلك ونسب إلى سوء الأدب .

بعض أخبار  
ابن المعتز  
والخيار من  
قوله

وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز في النصب العالي من الشعر والنثر ، وفي  
النهاية في إشراق ديباجة البيان ، والفاية من رقة حاشية اللسان . وكان كما قال  
ابن للرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بحلال السحر ،  
وليس بعد ذي الرمة<sup>(١)</sup> أكثر اختنافاً وأكبر تصرفاً وإحساناً في التشبيه منه .  
وإنما فرقت جُملة ما اخترت من شعره ونثره في جملة هذا الكتاب ؛ لئلا أخرج  
عما تقدم به الشرط في البسط ، وآتي ههنا ببعض ما اختاره له ، قال :

وَفَتَيَانُ سَرَوْا وَاللَّيْلُ دَاجِرٌ      وضوء الصبح متهم الطلوع  
كَأَنُّ بَرَأَتِهِمْ أَمْرٌ مَجِيشٌ      على أكتافهم صدأ البروع  
وقال أيضاً :

فِي لَيْلَةٍ أَكَلَ الْحَقُّ هِلَالَهَا      حتى تبدى مثل وقف الماج<sup>(٢)</sup>  
وَالصَّبْحُ يَتَلَوُّ لِلشَّرَى فَكَأَنَّهُ      عُرْيَانٌ يَمْشِي فِي الدُّجَا بِسِرَاجٍ<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضاً يصف فرساً :

وَلَقَدْ غَدَدْتُ عَلَى طَيْرٍ سَاحِرٍ      عقدت سنابكه بحجاجة قنطاري<sup>(٤)</sup>

(١) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة أحد فحول النثر في عصره ، قال فيه أبو عمرو  
ابن العلاء : « فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة » ولعل ذلك لأنه كان يكثر  
من التشبيب وبكاء الأطفال ، ولأن ديباجته كانت بدوية خالصة ، توفي بأصبهان سنة ١١٧

(٢) وقف الماج : هو القطة من الماج يسلك بها الثوب كالدبوس ونحوه .

(٣) الدجى : جمع دجية ، وهي الظلة (٤) طمر : حسان سريع الجري كأنما يهوى  
من طيار : أى من مكان مرتفع ، وسنابك الجواد : حوافره ، والعجاجة : السحابة ،  
والقنطار : الثبار .

مثلهمُ الجلمَ الحديدُ يوكها . لوك الفتاة مساوِكاً من إنجل<sup>(١)</sup>  
 ومُحجلٌ غيرَ اليمينِ كأنه . متبخترٌ يمشي بكم مُسبلٌ  
 وقال :

قد أغتري بقرح . مسوّمٌ يغنوب<sup>(٢)</sup>  
 ينفي الخصى بخافرٍ . كالقدح المكبوب  
 قد ضحكت غُرته . في موضع التّطبيب<sup>(٣)</sup>  
 وقال أيضاً :

وتقد وطئتُ الفيثَ يحملني طُرفٌ كلونِ الصبح حين وقد  
 حُماح أطرافِ الصّوّارِ فما ألُخرى عليه إذا جرى بأشد<sup>(٤)</sup>  
 يمشي فيعرض في العنان كما . صدف للمشق ذو الدلال وصد  
 فكانه مسوّجٌ يذوبُ إذا . أطلقته فإذا حبست جمد  
 وقال أيضاً يصف سيفاً :

ولي صارمٌ فيه المنايا كوامن . فـ ينقضي إلّا لنفك دِناه  
 ترى فوقَ متّنيه الفيرُ ندَ كأنه . بقية غسيمٍ رَقّ دُونَ سماء  
 وقال يصف ناراً :

مُشْمرةٌ لا يحجب النخلُ ضوءها . كأنَّ سيوفاً بين عيدانها تُنبلي  
 يفرّج أغصانِ الرّعود اضطرابُ . كاشتت الشقراء عن متهاجلاً<sup>(٥)</sup>

(١) اللجم : جمع لجام ، والإسحل بالكسر : شجر يستاك به

(٢) القارح من ذى الحافر : ما طلع نابه . وذلك في السنة التاسعة . والنسوء

العلم ، والعيوب : السهل الجرى في مدوه

(٣) التّطبيب . العبوس (٤) الصّوار : القطيع

(٥) الشقراء : فرس زهيه بن جذعة ومنه : ظهرها . والجل بالضم اسرج (٢)

السرى الرفاء

وقال بعض أهل العصر، وهو السرى الموصلى<sup>(١)</sup> :

يوم رذاذ مُمَّكَ الحُجُبِ      يَصْنَعُكَ فِيهِ السُّرُورُ مِنْ كَثَبِ<sup>(٢)</sup>  
 ومجلسٍ أُسِيتَ سِتَارُهُ      على شُمُوسِ البهاءِ والحسبِ  
 وقد جرت خيلُ راحا خَتَبًا      في حُلِيِّهَا أَوْ هَمَمِ بِالْحُبِّ<sup>(٣)</sup>  
 والتهبت نارنَا فنظَرُهَا      يُفْنِيكَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ عَجَبِ  
 إذ ارتمت بالشرارِ قاطِرُوت      على ذَرَاها مَطْلَرُ اللَّهَبِ  
 رأيتُ ياقوتةً مشبَّكَةً      تطيرُ عنها قِرَاضَةُ الذَّهَبِ  
 فانهض إلى المجلس الذي ابست      فيه رياضُ الجلالِ والأدبِ  
 وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الفرج البينا<sup>(٤)</sup> :

لأبي الفرج  
البينا

فَحَمَّا قَدِمَ السَّلَامُ فَأَهْدَى      فِي كَوَانِيهِ حَيَاةَ النُّفُوسِ  
 كَانَ كَالْأَبْنُوسِ غَيْرَ عَمَلٍ      فَنَدَا وَهُوَ مُذْهَبُ الْآبُوسِ  
 لَقِيَ النَّارَ فِي ثِيَابٍ حِذَادٍ      فَكَسَتْهُ مُصَبَّغَاتِ غُرُوسِ  
 وقال أبو الفضل الليكالي :

لأبي الفضل  
الليكالي

كَانَ الشَّرَارَ عَلَى نَارِنَا      وَقَدِ رَاقَى مَنْظَرُهَا كُلَّ عَيْنِ  
 سَحَابَةٌ تَبِيرُ إِذَا مَا عَلَا      فَلِأَيِّ هَوَى فَفَتَاتِ اللَّجَيْنِ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

لأبي المعز

وقال ابن المعز يصف سحابة :

(١) هو السرى الرفاء، للتوفى ببغداد سنة ٣٩٦ . وصمى أرفاء لأنه كان في صباه يرفو الثياب ، وهو جيد الشعر، كثير الوله بالأوصاف والتشبيهات (٢) الرذذ : نظر الضعيف . والكعب بالتحريك : القرب (٣) الحجب : ضرب من الصمو ، وهو أن ينقل القرس أيا منه جيما وأياسره جيما ، أو أن يراوح بين يديه (٤) هو عبد الواحد بن نصر، التوفى سنة ٣٩٨ . كان من أهل نصيبين ، واتصل بسيف الدولة ، ودخل الموصل وبغداد ونادم للوك والرؤساء . (٥) السحابة : النخالة

وَمُوقَرَّةٌ بِثِقَلِ الْمَاءِ جَاءَتْ : تَهَادَى فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّيحِ (١)  
فَبَاتَتْ لَيْلَهَا سَحًا وَوَبْلًا : وَهَلًا مِثْلَ أَفْسَاءِ الْجُرَّاحِ  
كَأَنَّ سَمَاءَهَا لَمَّا تَجَلَّتْ : خِلَالَ نَجْمِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ  
رِيَاضُ بَنَفْسَجٍ خَضِلٍ ثَرَاءُ : تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَفَاحِ (٢)  
وَقَالَ :

وَأَجَبَةٌ لِلْمَنَاسِكِ خُضَّتْ غَمَرَتَهَا : بِصَارِمٍ ذَكَرَ صَمْعَامَةَ خَذِمَ (٣)  
وَقَارِحَ صَبَّغَ الْخِلَانَ دُعَمَتَهُ : بِشَبْهَةٍ كَاخْتِلَاطِ الصُّبْحِ بِالظُّلَمِ (٤)  
وَقَالَ :

وَلَيْلٍ كَكُلِّ الْعَيْنِ خُضَّتْ ظِلَامَتُهُ : بَازِرُقَ لَمَاعٍ وَأَيُّضَ صَارِمٍ  
وَمَضْبُورَةُ الْأَعْضَادِ حَرْفٍ كَأَنَّهَا : تَصَافِحُ رَضَارِضَ الْحَصَى بِمَنَاسِمٍ (٥)  
وَقَالَ يَصِفُ حَيَّةً :

نَمَتْ رِقَطَاءُ لَا تَحْيَا لَدْرِيقَتَهَا : لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَطْلُقْ بِهِ بَلَلٌ (٦)  
تَلْقَى إِذَا انْسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا : كَأَنَّهَا كَمْ دِرْعٍ قَدَّهٗ بَطْلٌ  
وَقَالَ أَيْضًا :

وَأَسَارَ مِنَ الدَّهْرِ عَضْبًا مُتَدًّا : يُقْلُ شَبَابًا حَظِيَّ ، وَقَلْبًا مَشِيئًا (٧)  
وَرَأَى كَرَامَةَ الصَّنَاعِ أَرَى يَرِ : سِرَازِغِيْبِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ مَاسَتِي

(١) موقرة: مقلة (٢) خضل: ندى (٣) خزم: قاطع (٤) قارح: الفارح من  
ذي الحافر بمنزلة البازل من الإبل، وهو الذي قوى يبلوغه تسع سنين، والخيلان:  
جمع خن وهو شامة في البدن. والدهمة: السواد، والشبهة: لون بين السواد والياض  
(٥) الأعضاد: جمع عضد، ومضبورة: محكمة الخلق مكثرة اللحم. وحرف:  
ضامة. ورضاراض الحصى: صفارها، والناسم: جمع منم وهو خف البعير

(٦) رقطاء: منقطة - وانظر ديوانه (١١٣/٤) (٧) أسار: أبقى، والشيع: الشجاع

أخذه من قول النصور لابنه المهدي : لا تُبْرِمَنَّ أُمّاً حتى تفكر فيه ؛ فإن  
فيكثرة العاقل مرآته ، تربه قبحه وسنه .

ولما دُفِنَ للنصور وقف الريح على قبره قال : رَحِمَكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وغفر لك ! قد كان لك رحمي من العقل لا يطيرُ به الجبل ، وكنت ترى باطن  
الأمر بمرآة من الرأي ، كما ترى ظاهره . ثم انفت إلى يحيى بن محمد أخى النصور  
قال : هذا كما قال أبو دَهَبَل الجحى <sup>(١)</sup> :

عُقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ    إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقِمَ <sup>(٢)</sup>  
وبعد <sup>(٣)</sup> :

مِثْلُهُ بِنَفْسٍ ، بِأَلَمْتَبَاعِدَ    سَيِّئَانِ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعَدَمُ <sup>(٤)</sup>  
نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَحَالَهُ    ضَمِنًا ، وَلَيْسَ بِجَمْعِهِ سَقَمُ <sup>(٥)</sup>  
أخذ البيت الأخير من قول ليلي الأخيلية <sup>(٦)</sup> :

لَا تُقَرِّبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ    إِنَّ ظُلْمًا يَوْمًا وَإِنْ مَظْلُومًا

(١) في الأصل «أبو دعبل» وهو تحريف (٢) عقم : جمع عقيم ، وهى المرأة العاقرة  
وقبل هذا البيت كما فى الحماسة :

إِنَّ الْيُوتَ مَعَادِنَ فَنَجَارُهُ    ذَهَبٌ وَكُلُّ يَوتِهِ ضَحْمٌ

والنجار : الأصل (٣) هذا استطراد من المؤلف (٤) الوفور والعدم : التنى والفقر

(٥) ضمن : مريض (٦) هى ليلي بنت عبد الله ، اشتهرت بأخبارها مع توبة ، وله

فيها شعر جميل ، وهى أشهر النساء الشواعر بعد الخنساء ، توفيت نحو سنة ٧٥

وأول هذه المقطوعة كما فى ديوان الحماسة :

يَا أَيُّهَا السِّدْمُ الْمَلُوءُ رَأْسُهُ    لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ بَرِيْمَا

أَتُرِيدُ عَمْرُو بْنَ الْخَلِيعِ وَدُونَهُ    كَمْبُ ؟ إِذْنِ لَوْجَدْتَهُ مَرْدُومَا

إِنَّ الْخَلِيعَ وَرَهْطَهُ فِي عَامِرٍ    كَالْقَلْبِ أَلْبَسَ جَوْجُوا وَحَزِيمَا

السدم : النحل 'هائج' . والبريم : الجيش المؤلف من أخلاط الناس . والمردوم :

مخوَّط بالعطف ، والجؤجؤ : الصدر

قوم رباط الخيل حول بيوتهم وأسنة زرقٌ يُخَلَّنُ نُجُومًا  
ومزقٌ عنه القميصُ تخالهُ حتى إذا رُفِعَ اللواءُ رأيتُهُ  
وقال :

يُشَبِّهُونَ ملوكًا في تجلتهن وطول أنصبَةِ الأعناقِ واللِّمَمِ<sup>(١)</sup>  
إذا بداً للسلْكِ يُجْرَى في مقارِقهم راحوا كأنهم مُرَضًى من الكرم  
وقال أبو علي الحاتمي : وما أحسن أبيتا أنشدها أبو عمر المطرز غلام ثعلب  
يعترض في أنثائها هذا المعنى :

تخالهُمُ للعلمِ ضَمًّا عن الخنا وخُرُسا عن الفَحْشاءِ عند التَّهاتُرِ<sup>(٢)</sup>  
ومَرَضًى إذا لاقوا حياءَ وعِفَّةً وعند الحروب كالليوث الخواذِرِ<sup>(٣)</sup>  
لهم عزٌّ إنصافٍ وذُلٌّ تواضع بهم وَلَهُمْ ذَلَّتْ رِقَابُ العُشَاةِ  
كَأَنَّ بِهِمْ وَضَمًّا يخافون عاره وليس بهم إِلَّا اتقاء المعايِرِ<sup>(٤)</sup>  
وأنشد :

أحلام عادٍ لا يخافُ جَلِيسَهُمْ سوإن نطق العوزام عَيْبَ لسانٍ  
إذا حَدَّثْتُمَا لم يُخَشَّ سوءَ استماعهم وإن حَدَّثْتُمَا أَدَّوْا بِمُخَشَّنِ بَيَانٍ

\*\*\*

(١) اللواء: الراية، والخميس: الجيش؛ لأنه خمس فرق: المقعدة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة. والزعيم: الرئيس

(٢) الأنصبه: جمع نصاب، وهو الأهل الذي ركب فيه العنق

(٣) التهاتر: تبادل السباب الباطل (٤) الخواذر: جمع خاذر، وهو الليث يذرم

أجمته (٥) المعايير: المعايير



وقال ابن المعتز:

وعقيد زُنَّارٍ على غُصْنِ الْأَسْرِ      دَقِيقُ الْمَكَايِ مُخْطَفُ الْحَصْرِ مَيَّاسٍ<sup>(١)</sup> لابن المعتز  
سَقَانِي عُقَاراً صَبَّ فِيهَا مِرْاجِبَا      فَأَضْحَكَ عَنْ تَتَرِّ الْجَبَابِ فَمَ الْكَاسِ  
وقال:

يَالَيْلَةَ نَسِيَ الزَّمَانُ بِهَا      أَخَذَاتِهِ، كُونِي بِلَا فَجْرِ  
فَاجِ الْمَاءِ يَبْدُرُهَا، وَوَشَّتْ      فِيهَا الصَّبَا بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ  
ثُمَّ اقْتَضَتْ وَالْقَلْبُ يَنْتَبِهُهَا      فِي حَيْثُ مَا سَقَطَتْ مِنَ الدَّخْرِ<sup>(٢)</sup>

وقال:

يَا رَبُّهُ إِخْوَانِ صَحْبِهِمْ      لَا يَمْلِكُونَ لِيْلَوْ قَلْبًا  
لَوْ تَطْلُعَ قُلُوبُهُمْ نَفَرَتْ      أَجْسَامُهُمْ فَصَافَتْ حُبًّا<sup>(٣)</sup>

هذا كقول ابن الرومي:

أَعَاظُهُ وَالنَّفْسُ بَعْدَ مَشُوقَةٍ      إِلَيْهِ، وَهَلْ بَعْدَ النِّاقِ تَدَايِ؟ لابن الرومي  
وَالنِّمَ فَاهُ كَيْ تَزُولَ حَرَارِي      فَيَشْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ التَّهْمَانِ  
وَلِمَلِكٍ مَقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْهَوَى      لِيُروِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفْتَانِ  
كَأَنَّ فِرَادَى لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ      سَوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانُ بِمَرِّ جَانِ

ومن منشوره: لَا يَزَالُ الْإِخْوَانُ يُسَافِرُونَ فِي الْمَوَدَّةِ، حَتَّى يَلْبَسُوا الشُّقَّةَ، مِنْ تَرَابِ الْمَعْرِ  
فَإِذَا بَلَّغُوا أَلْقَوْا عَصَا التَّسْيَارِ، وَأَطْمَأْنَنَتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَأَقْبَلَتْ وَفُودُ النَّصَاحِ،  
وَأَمِنَتْ خَبَايَا الضَّمَائِرِ، فَحُلُّوا عَقْدَ التَّحَفُّظِ، وَتَزَعُّوا مَلَابِسَ التَّخَلُّقِ.  
وله: سَارَ فُلَانٌ فِي جَبُورِشٍ عَلَيْهِمْ أَرْدِيَّةُ السُّيُوفِ، وَأَقْبَصَةُ الْحَدِيدِ،

(١) الزنار: رباط يشد به الحصر - ومخطف الحصر: ضامره، ومثله أخطف وعطوف (٢) هذا البيت غاية في روعة الخيال (٣) نفرت: سعت - والذي في الديوان (١٢٦) فقدت \* أجسادها وتناقت حبا (م)  
(١٣ - زهر الآداب ١)

وَكُنْ رِمَاحَهُمْ قُرُونُ الْوُغُولِ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ دُرُوعُهُمْ زَبَدُ الْحَيُولِ، عَلَى خَيْلٍ  
تَأْكُلُ الْأَرْضَ بِمَوَافِرِهَا، وَتَمْدُّ بِالْقَتْعِ سُرَادِقَهَا<sup>(٢)</sup>، قَدْ نُشِرَتْ فِي وَجْهِهَا  
غُرُرُ كَانِهَا مَحَافِ الرُّقِ<sup>(٣)</sup>، وَأَمْسَكَهَا عَجَبِلُ<sup>(٤)</sup> كَانَهُ أَسُورَةُ اللَّجِينِ<sup>(٥)</sup>، وَفُرُطَتْ  
مُذْرَأُ كَانِهَا الشَّنْفِ<sup>(٦)</sup>، تَتَلَقَّفُ الْأَعْدَاءَ وَأَوَائِلُهُ وَلَمْ تَنْهَضْ أَوَاخِرُهُ، قَدْ نَسَبَ  
عَلَيْهِمْ وَقَارُ الصَّبْرِ، وَهَبَّتْ مَعَهُمْ رِيحُ النَّصْرِ.

وله في عليل: آذَنَ اللَّهُ فِي شَفَاثِكَ، وَتَلَقَّى دَامَكَ بِدَوَانِكَ، وَمَسَحَ يَدِي  
الْعَاقِيَةَ عَلَيْكَ، وَوَجَّهَ وَقْدَ السَّلَامَةِ إِلَيْكَ، وَجَعَلَ عِلَّتَكَ مَاحِيَةً لَذُنُوبِكَ،  
مُضَاعِفَةً لثَوَابِكَ.

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب<sup>(١)</sup> في يوم عيد: أَخْرَجْتَنِي الْمِلَّةَ  
عَنِ الْوَزِيرِ أَعَزَّهُ اللَّهُ، فَخَضِرْتُ بِالْدُّعَاءِ فِي كَرْبِ<sup>(٢)</sup> رُوبٍ غَنَى، وَيَقْمُرُ مَا أَخْلَتْهُ  
الْعَوَائِقُ مِنِّي، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ أَعْظَمَ الْأَعْيَادِ السَّالِفَةِ  
بِرَكَّةٍ عَلَى الْوَزِيرِ، وَدُونَ الْأَعْيَادِ لِلْمُسْتَقْبَلَةِ فِيمَا يُحِبُّ وَيُحِبُّ لَهُ، وَيَقْبَلُ مَا تَوْسَلُ  
بِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ، وَيَضَاعَفَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ، عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ، وَيَتِمَّتْ بِصَحْبَةِ  
النِّسَةِ وَلِبَاسِ الْعَاقِيَةِ، وَلَا يُرْبِيهِ فِي مَسْرَةٍ هَضْمًا، وَلَا يَقْطَعُ عَنْهُ مَزِيدًا، وَيَحْطِي  
مِنْ كُلِّ سُوءٍ فِدَاءً، وَيُصْرِفُ عَيُونَ النَّيَّيرِ عَنْهُ، وَعَنْ حَظِي مِنْهُ.

(١) الوعول: جمع وعل، وهو التيس الجبلي. (٢) القمع: غبار الحرب

(٣) الرق، بالفتح ويكسر: جلد رقيق يكتب فيه (٤) اللجين: الفضة

(٥) الشنف، بالفتح: القرط، والعذر بضمين: جمع عذار

(٦) وزير من أكابر الكتاب، استوزره المعتضد على الله وأقره بعده المعتضد،

واستمرت وزارته عشر سنين وخمسين يوما، وكانت وفاته سنة ٢٨٨. وهو الذي قال

فيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين وزير للمعتضد:

أبي مهرانا إصافنا في قومنا وأنصنا فيمن نحب ونكرهم

قلنا له: نهارك فيهم آتيا ودع أمرنا؛ إن الأمم مقدم

وله إلى بعض الرؤساء : لَاتَشْنِ حُسْنَ الظَّفَرِ بِقُبْحِ الانتقامِ ، وتجاوز عن كل مذنب لم يسلك من الإعذار طريقاً<sup>(١)</sup> حتى اتخذ من رجاء عفوكَ رقيقاً .

وله اعتذار إلى القاسم بن عبيد الله : ترفع عن ظنمي إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً ، فوالله إني لأطلبُ عفو ذنب لم أجبه ، وألتبس الإقالة مما لا أعرفه ؛ لئزددت طويلاً ، وأزداد تدللاً ؛ وأنا أعيذُ حالي عندك بكرمك من وائش يكيدُها ، وأخسبها بوفائك من بارغ يحاولُ إفسادها ، وأسألُ الله تعالى أن يجعلَ حظي منك ، بقدر ودِّي لك ؛ ويحلي من رجائك ، بحيث استحقَّ منك .

وله إليه : لو كان في الصمت موضع يُسَعُ حالي لخففت عن سمع الوزير ونظره ، ولم أشغل وجهها من فكره ، وما زالت الشكوى ، تُقربُ عن لسان التبوي ، ومن اختلت حاله ، كان في الصمتِ هكته ، وقد كان الصبرُ ينصرني على شتر أنفري حتى خذلني .

وهذا كقول أحمد بن إسماعيل : فصاحةُ الشكوى ، على قدرِ البلى ، إلا أن يكونَ بالشاكي انقباض ، وبالشكرُ إليه إغراض .

[ وصف الماء وما يتصل به ]

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز في صفة للماء في أرجوزته التي أنشدتها آنفاً ، لابن المعتز  
وقد قال في قصيدة له وذكر إبلاً :

فَبَدَّيْ لَهْنٌ بِالنَّجْفِ الْمُدِّ بِرِ مَاءِ صَافِي الْجَمَامِ عَرِيٌّ<sup>(٢)</sup>

(١) الإعذار : إبداء العذر ، وفي الأصل «الأقدار» وهو تحريف

(٢) النجف ، محر كدوبها ، مكان لا يحلوه الماء . مستطيل متقاد ويكون في بطن الوادي وقد يكون يطن من الأرض . والجمام : جمع جم . وهو الماء الكثير ، والري : المنية .

يَسْتَشِي عَلَى حَصَى يَسْلُبُ لَنَا  
وإذا داخلته دُرَّةُ تَمَسُّ  
وقال (٣):

لا مثل منزلة الدُّورَةِ منزلِ  
يُوسُفَ لَدَهْرٍ غَيْرَتِكَ صُرُوفُهُ  
لَمْ يَحُلْ لِلنِّينِ بِدِكَ مَنَظَرُ  
أَيَّ الْمَاعِدِ أَتَذُبُ طَيِّبُهُ  
أَمْ رَدَّ ظِلَّكَ خِيَالِ النَّصُونِ وَذِي الْجَنَى  
وَكأَنَّمَا سَطَتْ عَجَامُ عَنَبٍ  
وَكأَنَّمَا حَصَبُهُ أَرْضِيكَ جَوَاهِرُ  
[وَكأَنَّمَا أَيْدَى الرِّيحِ ضَحِيحُ  
وَكأَن دِرْعًا مُفْرَعًا مِنْ فِصَّةِ  
وعشقت عاتكة الربية ابنَ عَمٍّ لها فراودها عن نفسها قالت :

فَإِطْمَ مَاءُ أَيْ مَاءُ قَوْلِهِ  
بِمَنْعَرَجٍ مِنْ بَطْنٍ وَإِذْ تَهَابَلَتْ  
قَفَّتْ جَرِيَّةُ لُؤَاءِ الْقَدَى عَنْ مَتُونِهِ  
بِأَطْيَبِ مَنْ يَقْصِرُ الطَّرْفُ دُونَهُ  
وَأَنشد الأَصْمَى قال : أَنشدني أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ الْجَابِرُ بْنُ الْأَرْقِ ، وَقَالَ :  
هُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مِثْلِهِ :

(١) من حق الرمية عليه أن يقول « فتنه مجلو » فإن فعله جلاء مجلوه (م) .  
(٢) هذه الكافية من أروع ما قال ابن المعتز ، وقد ترجمتها إلى الفرنسية في كتابي

La prose arabe au I<sup>er</sup> siècle de l'égire

(٣) النبوة : حجة يثخدا (٤) رواية الديوان (٥) أم برد ظلك ذي الميون وذو  
الحيا (٦) واليثار : اللينة (٧) فأرالمسك : ما يحمى من دم الفزال (٨) ضحية : تضحية  
ضحية ، واتصاه على الظرفية الزمانية (٩) مفرغ : مصبوب

وله أيضاً  
عن النبوة  
وصف ماء

عاتكة للربية  
في وصف ماء

أَيَاوَيْحَ نَفْسِي كَمَا التَحْتُ لَوْحَةً<sup>(١)</sup> عَلَى شَرَبَةٍ مِنْ مَاءِ أَخَوَاضِ مَارِبَ<sup>(٢)</sup>  
 بَقَايَا نَظَافٍ أَوْدَعَ النِّيمَ صَفْوَهَا مَصْقَلَةُ الْأَرْجَاءِ زُرْقَى الشَّارِبِ<sup>(٣)</sup>  
 تَرْتَقِي دَمْعَ الْمُرْنِ فِيهِنَّ وَالتَّوْتُ عَلَيْهِنَّ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْفَرَابِ  
 وَأَشَدُّ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ لِلْأَيْدِ الْيَرْبُوعِي ، وَرَوَيْتُ لِمُصْرَسَ بْنِ رَبِيعٍ  
 الْأَسَدِي :

فَالْتَقَتْ عَصَا النَّسْتَارِ عَنْهَا ، وَخَبِثَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ زُرْقَى مَحَافِرُهُ  
 أَزَالَ الْقَذَى عَنْ مَائِهِ وَافِدُ الصَّبَا يَرْوَحُ عَلَيْهِ نَاسِمًا وَيُبَاكِ كَرَهُ  
 وَأَوَّلُ مَنْ أَتَى هَذَا زَهْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ فِي قَوْلِهِ :  
 فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرْقًا رَجَاهُمُ<sup>(٤)</sup> وَضَعْنَ عَصَى الْخَاضِرِ الْمُنْتَحِمِ<sup>(٥)</sup>  
 وَقَالَ ابْنُ الرَّوْمِيِّ :

وَمَاءٌ جَلَّتْ عَنْ حُرِّ صَفْحَتِهِ الْقَذَى مِنَ الرِّيحِ يَمُطَّارُ الْأَصَانِلِ وَالْبَكْرِ  
 بِهِ عَبَقٌ يَمَّا تَحَبَّبَ فَوْقَهُ نَسِيمُ الصَّبَا يَجْرِي عَلَى الثَّوْرِ وَالزَّهْرُ  
 [ وَصَفِ الدُّورِ وَالْقُصُورِ ]

وَيَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ يَصِفُ بَرَكَةَ الْجَعْفَرِيِّ<sup>(٦)</sup> وَهُوَ قَصْرُ  
 ابْنَتَاهُ الْمُتَوَكِّلُ فِي شَرِّ مَنْ رَأَى :

الْبَحْتَرِيُّ يَصِفُ  
 بَرَكَةَ الْجَعْفَرِيِّ

(١) التحت : عطشت ، من قولهم لاحت العطش ولوحيه إذا غيره ، وهو ملتحاح ،  
 وبه لوح شديد ، ويجوز ملواح وإبل ملاويح : سرعة العطش  
 (٢) مارب : هي بلاد الأزد باليمن ، وهي غير مهموزة لأنها وردت كذلك في الخطوط  
 الجيرية كما أخبرنا السيور نلينو . وهذا لا ينافي أنها همزت في بعض الأشعار ، ولقد  
 مارب وسيل العرم قصص طويلة ذكر بعضها في معجم البلدان .  
 (٣) النظاف والنظف : جمع نظمة ، وهي الماء الصافي قلأو أكثر (٤) للتخيم : التقيم  
 (٥) الجعفري : اسم قصر بناه المتوكل قرب سامراء ، فلما انتقل إليه انتقل معه  
 أهل سامراء حتى كادت تخلو ، وفي هذا القصر قتل المتوكل في شوال سنة ٢٤٧ ، وسُميت  
 البركة بركة لإقامة الماء فيها ، من برك الماء

يَا مَنْ رَأَى الْبِرْكََةَ الْحَسَنَاءَ وَنَفَهَا      وَالْأَنَسَاءَ إِذَا لَاحَتْ مَقَانِيهَا<sup>(١)</sup>  
 مَا بَالُ دَجَلَةٍ كَالْفَيْزَى سُنَافِهَا      فِي الْحَسَنِ طَوْرًا وَأَطْوَارًا تُبَاهِيهَا  
 إِذَا عَاتَبَهَا الصَّبَا أَبَدَتْ لَهَا حُبَّكََا      مِثْلَ الْجَوَاشِنِ مَصْقُولًا خَوَاشِيهَا<sup>(٢)</sup>  
 فَجَابَ الشَّمْسُ أَحْيَانًا يُفَازَاهَا      وَرَبِّقُ الْغَيْثِ أَحْيَانًا يُبَاكِيهَا<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا النُّجُومُ تَرَامَتْ فِي جَوَانِهَا      أَيْلًا حَسِبْتَ سَمَاءَ رَكَبْتَ فِيهَا  
 كَأَنَّمَا الْفَيْضَةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ      مِنَ السَّبَانِكِ تُبْزَى فِي سَحَابِيهَا  
 تَنْصَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُنْجَلَةٌ      كَالنَّحْلِ خَارِجَةً مِنْ حُبْلٍ مُجْرِيهَا<sup>(٤)</sup>  
 كَأَنَّ جَنِّ سَلِيَابِ الدِّينِ وَلُوا      إِبْدَاعَهَا فَأَدَقُّوا فِي مَقَانِيهَا  
 فَلَوْ تَمَرَّ بِهَا بَلْقَيْسُ عَنْ عَرْضٍ      قَالَتْ : هِيَ الصَّرْحُ تَمْثِيلًا وَتَنْشِيهَا<sup>(٥)</sup>  
 [ لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْقُصُورَ غَايَتَهَا      لُبْدٍ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا ]  
 يَعْصَنَ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنِّحَةٍ      كَالطَّيْرِ تَنْشُرُ فِي جَوْيِ خَوَافِيهَا  
 وَلَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعِيسَى فِي الْبِنَاءِ مَا أَتَفَقَّهُ الْمُتَوَكِّلُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ  
 أَتَفَقَّ فِي أَبْنِيَّتِهِ ثَلَاثَةَ أَلْفِ أَلْفٍ ، وَفِي أَبْنِيَّتِهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ<sup>(٦)</sup> :

(١) رَايَةُ الدِّيَّوَانِ « الْحَسَنَاءُ رُؤْيَاهَا »

(٢) الْجَوَاشِنُ : جَمْعُ جَوْشَنَ ، وَهُوَ الدَّرْعُ ، وَفِي الْأَصْلِ « مِنَ الْجَوَاشِنِ » وَهُوَ

تَحْرِيفُ (٣) رَايَةُ الدِّيَّوَانِ « يَضَاحِكُهَا » وَهِيَ أُنْسَبُ

(٤) الْوُفُودُ : جَمْعُ وَفْدٍ ، وَهُوَ هُنَا تِيَارُ الْمَاءِ (٥) عَنْ عَرْضٍ : مِنْ جَانِبٍ ، وَفِي

الْأَصْلِ « مَعْرُضَةٌ » وَقَدْ أَثَرْنَا رَايَةَ الدِّيَّوَانِ .

(٦) شَاعِرُ فَعْلٍ مِنْ مَعَاصِرِ أَبِي تَعَامٍ وَابْنِ بَحْتَرِي ، وَهُوَ صَاحِبُ الرَّائِيَةِ الْمَشْهُورَةِ

الَّتِي يَقُولُ فِي أَوَّلِهَا :

عَيُونَ الْمَهَا بَيْنَ الرِّصَاقَةِ فَالْجِسْرِ      جَلْبَنُ الْمُهْوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرَى وَلَا أَدْرَى

أَعْدَنُ فِي الشُّوقِ الْقَدِيمِ ، وَلَمْ أَكُنْ      سَلَوْتُ ، وَلَكِنْ زِدَنُ جَمْرًا إِلَى جَمْرٍ

اِخْتَصَ بِالتَّوَكُّلِ . ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ فَفَاهَ إِلَى خِرَاسَانَ ، فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، وَرَحَلَ إِلَى

حَلَبَ ، فَقَتَلَهُ بِقَرَاهَا حُضَيْنُ بْنُ كَلْبٍ سَنَةَ ٢٤٩ .

لعن بن الجهم  
يصف قصور  
التوكل

وما زلتُ أَسْمَعُ أَنَّ اللُّو  
وَأَعْلَمُ أَنَّ عَقُولَ الرِّجَالِ  
صُحُونٌ تَسَافِرُ فِيهَا السُّيُوفُ  
وَقَبَّةٌ مَلَكِيَّةٌ كَأَنَّ النَّجْوَى  
إِذَا أُوقِدَتْ نَارُهَا بِالْعِرَاقِ  
لَهَا شُرَفَاتٌ كَأَنَّ الرِّيحَ  
فَهَنَ كَمَصْلِحَاتٍ خَرَجْنَ  
نَظْمِ الْقَيْسِ كَنَظْمِ الْحَلِيِّ  
فَمِنْ بَيْنِ عَاقِصَةِ شَعْرِهَا  
وَالْبَحْتَرَى فِيهَا شَعْرٌ كَثِيرٌ مِنْهُ :

والبحتري

أَرَى التَّوَكُّلِيَّةَ قَدْ تَعَالَتْ  
قُصُورَ كَالْكُوَاكِبِ لَا مِثَالَتْ  
وَرُوضٍ مِثْلَ بُرْدِ الْوَشْيِ فِيهِ  
غُرَائِبُ مِنْ فَنُونِ النَّوْرِ فِيهَا  
تُضَاحِكُهَا الضُّحَى طَوْرًا وَطَوْرًا  
وَوَلَدٌ يَسْتَهْلِكُ لَهَا غَمَامًا  
وَقَالَ أَيْضًا :

قَدْ تَمَّ حُسْنُ الْجُمْفَرَى وَلَمْ يَكُنْ لِيَتِمَّ إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ

- (١) تحسر : تكل ، والأقطار : النواحي والأرجاء (٢) الفصح : من أعياد النصارى  
(٣) عون : جمع عوان ، على وزن سحاب ، وهى التى كان لها زوج .  
(٤) الزنار : رباط يشد به الحصر (٥) مصانعها : مبانيها ، وفى الديوان « محاسنها »  
(٦) الحوذان والخزاي : من النباتات الزهرة (٧) فى الأصل « يضحك نورها »  
وقد آثرنا رواية الديوان (٨) ريق القطر : الفزير منه .

ملكٌ تبوأَ خيرَ دارٍ نشئت  
[ في رأس مشرفة حصاها لؤلؤ ]  
وتراها منك يئسب بمنبر<sup>(١)</sup>  
ومضيت والليل لبس بمنبر  
ظلل الغمام الصيب المستعر<sup>(٢)</sup>  
ورفت بمنحرو الرياح، وجاورت  
وبعد :

ورفت بُنْفاذا كأن زُهاءه  
عال على لحظِ الصيونِ كأنما  
ملأت جوانبه الفضاء، وعانت  
وتسل دجلة تحته ففناؤه  
شجر تُلَاعِبُه الرياح فتثنى  
أخذ أبو بكر الصنوبري<sup>(٣)</sup> قولَ البحترى في صفة البركة فقال يصف موضعاً :

سقى حليلاً سافك دمه  
مياذنه بُطْطِنَ الرياض  
ترى الريح تنسج من مائه  
كان الزجاج عليها أذيب  
هي الجو من رقة غير أن  
وقد نظم الزهر نظم النجوم  
يعلو الرقوة إذا مسفك<sup>(٤)</sup>  
وساحاته ينهن البراك  
دروعاً مضاعفة أو شبك  
وماء الأبحر بها قد سبك  
مكان الطيور يطير السمك  
ففترق النظم أو مثبك

للصنوبري  
يصف موضعاً  
في حلب

- (١) يشاب : يمزج (٢) الصيب : الكثير الانهمال ، ورواية الديوان :  
ظهرت لتهترق الشمال وجاورت ظلل الغمام الصائب المستعر  
(٣) رضوى وضير : جبلان ، وفي الأصل « شواحق منبر » وهو تحريف  
(٤) للشرى : اسم نجم . (٥) هو أحمد بن محمد الحلبي التوفي سنة ٣٣٤  
(٦) الرقوة : السكون ، يقال : رقاً دمه ودمه ، ولا رقأت دمة فلان ، ولا  
أرقاً الله عنه . ومن كلامهم : اليأس رقوة الدمع ، وقال ذو الرمة :  
لئن قطع اليأس الحنين فإنه رقوة لتدرف الدموع السوافك



كَمَا دَرَجَ الْمَاءُ مَرَّةَ الصَّبَا      وَدَبَّحَ وَجْهَ السَّمَاءِ الْخُبُكَا  
يُبَاهِينَ أَعْلَامَ قُمْصِي الْقِيَان      وَنَقَشَ عَصَائِبَهَا وَالتَّكَا  
وأخذ قوله :

• إذا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا •

فقال :

ولما تعالى البدرُ وامتدَّ ضوههُ      بدجلة في تشرين في الطول والعرض  
وقد قابل الماء الفضض نوره      وبعضُ نجوم الليل يَقْفُو سَنًا بَعْفِي<sup>(١)</sup>  
توهم ذو العين البصيرة أنه      يرى باطن الأفلاك مِنْ ظَاهِرِ الْأَرْضِ  
ولأهل العصر في هذا النَّحْوِ كلامٌ كثير :

قال الأمير أبو الفضل الميكالي ، يصف بركة وقع عليها شعاع النّص فأتته  
على مَهْوٍ مَطْلٍ<sup>(٢)</sup> عليها يقول :

أما ترى البركة الفراء قد لَبِيتَ      نوراً من الشمس في حافاتها سطفاً  
والمهْو من فوقها يُبْلِهِيكَ مَنْظَرُهُ      كأنهُ مَلَكٌ فِي دَسَمِيهِ ارْتَفَعَا  
والماء من تحته ألقى الشعاع على      أعلى سَمَاوَاتِهِ فَارْتَجَّ مُلْتَمِعَا  
كأنه السيفُ مصقولاً نُقِلَبُهُ      كَفَّ الْكَمَى إِلَى ضَرْبِ الْكَمَى سَتَى<sup>(٣)</sup>  
وفال على بن محمد الإيادي يمدح المَرْزُ ويصف دار البحر بالمنصورية<sup>(٤)</sup> :

ولما استطال المَجْدُ واستولت البُني      على النّجْم واشتدَّ الرّواق المَرْوَقُ<sup>(٥)</sup>  
بنى قبةً للملك في وَسْطِ جَنَّةٍ      لها مَنْظَرٌ يَزْهِي بِهِ الطَّرْفُ مُوْتَقُ  
بمَشْوَقة السّاحات ، أَمَّا عِرَاصُهَا      فَخُضْرٌ ، وَأَمَّا طَيْرُهَا فَهِيَ نَفَقُ<sup>(٦)</sup>

(١) يَقْفُو : يَتَّبِعُ ، وَالسَّانَا : الضَّوْءُ . (٢) الْمَهْو : الْحَصَى الْأَبْيَضُ (م)

(٣) الْكَمَى : الشَّجَاعُ (٤) الْمَنْصُورِيَّةُ : مَدِينَةُ بَقْرَبِ الْقَيْرَوَانِ (٥) الْبُنَى : جَمْعُ

بُنْيَةٍ ، بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ (٦) الْعِرَاصُ : هِيَ الْبَاحَاتُ

تَحَفَّ بِقَصْرِ ذِي قُصُورٍ كَأَنَّمَا  
 لَهُ بَرَكَةٌ لِلدَّاءِ مِلَّةٌ فَضَّائِلُهُ  
 لَهَا جَدُولٌ يَنْصَبُ فِيهَا كَأَنَّهُ  
 لَهَا مَحَلْسٌ قَدْ قَامَ فِي وَسْطِ مَائِهَا  
 كَأَنَّهُ صِنَاءُ الْمَاءِ فِيهَا وَحُسْنُهُ  
 إِذَا بَثَّ فِيهَا اللَّيْلُ أَشْخَاصَ نَجْمِهِ  
 وَإِنْ صَافَتْهَا الشَّمْسُ لَاحَتْ كَأَنَّمَا  
 كَانَ شُرَافَاتُ الْقَوَاصِرِ حَوْلَهَا  
 يَذُوبُ الْجَفَاءُ الْجَعْدُ عَنْ وَجْهِ مَائِهَا  
 وَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ :

لعبد الكريم  
 ابن إبراهيم  
 يصف موضعا

وَالشَّمْسُ كَالدَّيْفِ الْمَشُوقِ فِي الْأَفَقِ  
 تَرُوحُ الْفُصْنُ الْمَطُورُ فِي الْوَرَقِ  
 تَقَلَّدَتْ عِقْدَ مَرْجَانٍ مِنَ التَّزْرِيقِ  
 كَأَنَّمَا نَفْسُهُ صِيغَتْ مِنَ التَّلْدِقِ  
 قَالُوا مَا بَيْنَ مَحْبُوسٍ وَمُنْطَلِقِ  
 وَأَبْيَضَ نَعْتِ قَيْطَى الضَّحَى يَقُقُ<sup>(١)</sup>  
 لِلزَّجْرِ خَفَقَ فَوَادِ الْمَاشِقِ الْقَائِقِ  
 مَنَاطِقًا رُصِّعَتْ مِنْ لَوُؤْلِ نَسَقِ  
 يَارَبُّ فِتْيَانِ صِدْقِ رُحْتُ بَيْنَهُمْ  
 مَرَضَى أَصَالِهَا حُسْرَى شَمَالِهَا  
 مَعَاطِيَا شَمْسٍ إِذَا مُرْجَتْ  
 عَنْ مَاحِلِ طَافِعِ بِأَسَاءِ مُعْتَلِجِ  
 تَضَمُّهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا، وَتَفَرُّقُهُ  
 مِنْ أَمْخَضِرِ نَاضِرٍ وَالطَّلُّ يَلْحَقُهُ  
 تَهْزُهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا فَيَمْنَحُهَا  
 كَأَنَّهُ خَافَتِهِ نَطَقْنَ مِنْ زَبَدِ

(١) مثاق : ملآن (٢) تحب وتمنق : من الحب والتمنق بفتحين وهما من أنواع السير (٣) القين : الحداد (٤) الحورنق : اسم قصر (٥) الصمصحان : موضع بين حلب وتدمر ، والآل : السراب (٦) قيطى : منسوب إلى القيط وهو الحر الشديد . وفي الأصل « قيطى » وهو تحريف ، واليقق : الناصع البياض .

كَانَ قِيَّتَهُ مِنْ سُندُسٍ نَظِيرٍ      حَسَنَاءَ مَجْلُوءَةٍ اللَّبَّاتِ وَالْعُنُقِ  
 إِذَا تَبَلَّجَ فَجَسْرٌ فَوْقَ زُرْقَتِهِ      حَبْتَهُ فَرَسًا دِهَابٍ فِي بَلَقٍ (١)  
 أَوْ لَا زَوْرَدًا جَرَى فِي مَتْنِهِ ذَهَبٌ      فَلَاحَ فِي شَارِقٍ مِنْ مَائِهِ شَرْقِ  
 عَشِيَةِ كَلَّتْ حُسْنًا وَسَاعَدَهَا      لَيْلٌ يُمَدِّدُ أَطْنَابًا عَلَى الْإِفْقِ  
 تَجْلَى بَغْرَةٌ وَضَلَحَ الْجَبِينُ لَهُ      مَا شَتَّ مِنْ كَرَمٍ وَافٍ وَمِنْ خُلُقِ

### ألفاظ لأهل العصر في وصف الماء وما يتصل به

ماء كالزجاج الأزرق ، غدير كمين الشمس ، مَوَارِدُ كالمبارد ، وماء كالماء  
 الشعمة ، في صفاء الدَّمْعَةِ ، يسبح في الرِّضْرَاضِ ، سَبَحَ النَّضْنَضُ ، ماء أزرق  
 كمين السُّنُورِ (٢) ، صاف كفضيب البلور ، ماء إذا مَسَّتْهُ يَدُ النَّسِيمِ حَكِي سَلِيلِ  
 المعسة ، ماء إذا صاغه راحة الريح ، لبس الدَّرْعِ كالنسيج ، كَانَ الْغَدِيرُ بِتَرَابِ  
 الْمَاءِ دَاءً مُعْتَدِلَ ، بركة كأنها امرأة السماء ، بركة مَفْرُوزَةٌ بِالْخُضْرَةِ ، كأنها  
 مِرْآةٌ مَحْلُوءَةٌ ، على دباحة خضراء ، بركة ماء كأنها مِرْآةُ الصَّبَاحِ (٣) ، غدير  
 تَرَقَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ ، وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْفَرَّانِبِ ، ماء زُرْقِ  
 رِجَامِهِ ، طَافِيَةٌ أَرْجَاوُهُ ، يَنْبُوحُ بِأَسْرَارِهِ صَفَاوُهُ ، وَتَلُوحُ فِي قَرَارِهِ حَضْبَاوُهُ ،  
 ماء كأنما يفقده مَنْ يَشْهَدُهُ ، يَسْتَلْسِلُ كَالزَّرَافِينِ (٤) ، وَيَرْضِعُ أَوْلَادَ الرِّيَّاحِينَ ،  
 انْخَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ ، وَوَهَى عَقْدُ الْأَنْوَاءِ ، انْخَلَّ سَلَكُ الْقَطْرِ عَنْ دُرِّ الْبَحْرِ ، أَسْعَدَ  
 السَّحَابُ جَفُونَ السَّاقِ (٥) ، وَأَسْكَفَ الْأَجْوَادَ ، وَانْخَلَّ حَيْطُ السَّمَاءِ ، وَانْقَطَعَ

(١) البلق : ارتفاع التحجیل إلى الفخذین (٢) السنور : القطر .

(٣) الصنوع : المرأة للاهرة فيما تصنع وكأنما يراد بها المرأة التي تهم بزينة النساء

(٤) الزرافين : الآلات يرفع بها الماء ، فترى له عليها بريقاً ولما نأى

(٥) أسعد : من الإسعاد ، وهو المشاركة في البكاء

شِرْيَانُ الْقَامِ ، سحابة يتجلى عليها ماء البحر ، وتنفذ علينا عقود الدّر ، سحابٌ  
 حكي المحب في انسكاب دموعه ، والتهاب النار بين ضلّوعه ، سحابة تحمد من القيوم  
 جمالاً ، وتمدّ من الأمطار حبّالاً ، سحابة ترسل الأمطار أمواجاً ، والأمواج  
 أفواجاً ، تحملت نقد السماء بالدّيمة المطّلاة ، غيث أجش<sup>(١)</sup> يروى المصائب  
 والآكام<sup>(٢)</sup> ، ويحمي النبات والسّوام<sup>(٣)</sup> ، غيث كغزاة فضلك ، وسلاسة طبعك ،  
 وسلامة عذك ، وصفاء ودك ، وبلى كالنبل ، سحابة يضحك من بكائها الرّوض ،  
 وتخصّر من سوادها الأرض ، سحابة لا تحفّ جفونها ولا تحفّ أنينها ، ديمة  
 روّت أديم الثرى ، ونبت عيون النّور من الكرى ، سحابة ركب أعناق الرياح ،  
 وسجّت كأفواه المراح ، مطر كأفواه القرب ، وحل إلى الركب ، أنذية من الله  
 معاً على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف ، أقبل السيل ينحدر انحداراً ،  
 ويحمل أحجاراً وأشجاراً ، كأن به جنة ، أو في أحشائه أجنة .  
 وبعض ما سر من هذه الألفاظ محلول نظام ما تقدم إنشاده .

### ولهم في مقدمات المطر

لبست السماء جلبابها ، وسحبت السحاب أذيالها ، قد احتجبت الشمس في  
 سُرّادق القيم ، ولبس الجو مطرّفه الأدكن ، باحت الريح بأشرار الندى ،  
 وضربت خيمة الغمام ، ورش جيش النسيم ، وابتل جناح الهواء ، واغروقت مقلة  
 السماء ، وبشّر النسيم بالندى ، واستعدت الأرض للقفار ، هبت شمائل الجنائب ،  
 لأنثى شمل السحاب . تالفت أشات القيوم ، وأسبلت الشّور على النجوم .

(١) أحش : ذو صوت (م) (٢) الآكام : جمع أكمة وهي التل .

(٣) السوام : جمع سائمة ، وهي اللاشية (م)

## وفي الرعد والبرق

قام خطيب الرعد، ونبض عرق البرق، سحابة ارتجزت<sup>(١)</sup> رَواعدها، وأذهبت  
بيروقها مطاردوها، نطق لسان الرعد، وخفق قلب البرق، فالرعد ذو صخب،  
والبرق ذو لهب، ابتسم البرق عن قهقهة الرعد، زارت أشد الرعد، ولمت سيوف  
البرق، رعدت [سيوف] الغمام، وبرقت، وانحلت عزالي السماء فطبقت،  
هدرت رَواعدها، وقربت بأعدها، وصدقت مَواعدها. كأن البرق قلب مشوق،  
بين التهاب وخفق.

## ويتصل بهذه الأنحاء

ما حكاه عمر بن على الطوسي قال: رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله  
ابن أحد - أدام الله عزه! - أيام مئة أمه بمجوتين أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى  
نجماب على سبيل التزه والتفرج، فكنت في جملة من استصحبه إليها من  
أصحابه، واتفق أنا وصلنا والسماء مُصْحِيّة، والجو صاف لم يطرز ثوبه بلم الغمام،  
والأفق قَبْرُوزَج لم يعبق به كافور السحاب؛ فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة  
الفروع<sup>(٢)</sup>، متسقة الأوراق والنصون، قد سترت ما حواليتها من الأرض طولاً  
وعرضاً، فزنا تحتها مستظللين بَسَاوَةِ أَفْنَانِهَا<sup>(٣)</sup>، مستترين من وهج الشمس  
بتارة أغصانها، وأخذنا تتجاذب أذيال المذاكرة، وتسابل أهداب المناشدة  
والمحاور؛ فما شعرنا بالسماء إلا وقد أَرَعَدَتْ وأبرقت، وأظلمت بعدما أشرقت، ثم جادت  
بمطر كَأَفْوَاهِ الْقِرْبِ فَأَجَادَتْ، وحكت أنامل الأجواد ومدامع العشاق<sup>(٤)</sup>، بل

(١) ارتجزت: أراد صوت (م) (٢) باسقه: عالية مرشقة (م).

(٣) السماوة: السماء وهو السقف - والأفنان: جمع فتن، بالتحريك، وهو

التفنن (م) (٤) اللدامع: جمع ملمع، وهو هنا مكان السمع.

أَوْقَتْ عَلَيْهَا زَادَتْ، حَتَّى كَادَ غَيْثُهَا يَعُودُ عَيْنًا<sup>(١)</sup>، وَهَمْ وَبَلْهَا أَنْ يَسْتَحِيلَ وَنَيْلًا  
فَصَبَرْنَا عَلَى أَذَاهَا، وَقُلْنَا: سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَمَّا قَلِيلٍ تَقْشَعُ، فَإِذَا نَحْنُ بِهَا قَدْ أَمْطَرْنَا  
بَرْدًا كَالْتَنْفُورِ، لَكُمَا مِنْ نَمُورِ التَّدَابِ، لَا مِنْ النُّمُورِ الْعَذَابِ، فَأَيْقَنَّا بِالْبَلَاءِ،  
وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ؛ فَامْرَتْ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ، حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ،  
وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الرَّبِّيَّ<sup>(٢)</sup>، وَالْمَاءُ قَدْ غَمَرَ الْقَيْعَانَ وَالرُّبِّيَّ<sup>(٣)</sup>؛ فَبَادَرْنَا إِلَى  
حِصْنِ الْقَرِيَةِ لِأَذْيَنِ مِنَ السَّيْلِ بِأَفْنِيتِهَا، وَعَائِذِينَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَبْنِيتِهَا، وَأَنْوَابِنَا  
قَدْ صَنَدَلُ كَافُورِهَا مَاءَ الْوَبْلِ، وَغَلَّفَ طِرَازِيهَا طِينُ الْوَحْلِ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ  
اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ الْأَيْدِي، وَإِنْ فَقَدْنَا بَيَاضَ الْأَكْهَامِ وَالْأُورْدَانِ، وَنَشْكُرُهُ  
عَلَى سَلَامَةِ الْأَنْفُسِ وَالْأَرْوَاحِ، شُكْرَ التَّاجِرِ عَلَى بَقَاءِ رَأْسِ الْمَالِ إِذَا فُجِيعَ  
بِالْأَرْبَاحِ؛ فَيَتَنَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ فِي سَمَاءِ تَكْفٍ وَلَا تَكْفٍ<sup>(٤)</sup>، وَتَبْكِي عَلَيْنَا إِلَى الصَّبَاحِ  
بِأَذْمُعِ هَوَايِمِ<sup>(٥)</sup>، وَأَرْبَعَةِ سِجَّامٍ؛ فَلَمَّا سَلَّ سَيْفُ الصَّبْحِ مِنْ غَيْدِ الظَّلَامِ،  
وَصُرِفَ بِوَالِي الصَّحْرِ عَائِلُ الْغَنَامِ؛ رَأَيْنَا صَوَابَ الرَّأْيِ أَنْ تُوسِعَ الْإِقَامَةَ بِهَا  
رَفَضًا، وَتَتَّخِذَ الْإِرْتِمَالَ عَنْهَا فَرَضًا؛ فَازَلْنَا نَطْوِي الصَّحَارَى أَرْضًا فَأَرْضًا، إِلَى  
أَنْ وَافَيْنَا الْمَسْعَرَ رَكْعًا؛ فَلَمَّا نَفَضْنَا غُبَارَ ذَلِكَ الْمَسِيرِ، الَّذِي جَعَلَنَا فِي رُبُقَةٍ  
الْأَسِيرِ، وَأَفْضَيْنَا إِلَى سَاحَةِ التَّيْسِيرِ، بَعْدَ مَا أُصِيبْنَا بِالْأَمْرِ الْمَسِيرِ، وَتَذَاكُرْنَا  
مَا لَقِينَا مِنَ التَّعَبِ وَالشَّقَةِ، فِي قَطْعِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ وَطَى تِلْكَ الشَّقَّةَ، أَخَذَ الْأَمِيرُ  
السَّيْدَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - الْقَلَمَ فَضَلَقَ هَذِهِ الْآيَاتِ ارْتِجَالًا:

دَهَنَّا السَّمَاءَ غَدَاةَ السَّحَابِ      بَنِيَتْ عَلَى أَفْقِهِ مُسِيلِ  
فَجَاءَ بَرَعْدٍ لَهُ رَنَّةٌ      كَرَنَةً تَسْكُلِي وَلَمْ تَسْكُلِي

(١) الميث: الفصاد (٢) الربِّي جمع زينة، وهي الراية لا يجلوها ماء،  
(٣) القيعان: جمع قاع، والربِّي جمع ربوة (٤) تكف: تسيل، وتكف: تمنع  
(٥) هوام: جمع هامة، وسجّام: جمع ساجمة، أي عطرة

وَتَقَى بَوَيْلِي عَدَا طَوْرَهُ  
وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَذَاهُ  
فَإِنْ لَا يَزِيدُ بِنَاءَهُ الْخِدَارُ  
وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يُنَادِي: الْفَرِيقَ  
وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السُّقُوفِ  
كَأَنَّ خَرَابًا لَهَا أَنْ تَرَى  
وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ  
يُقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ  
كَأَنَّ بِأَحْشَاءِهِ إِذْ بَدَا  
فَإِنْ عَامِرٍ رَدُّهُ غَاسِرًا  
كَفَانَا بَلِيَّتُهُ رَبَّنَا  
فَقُلْ لِلسَّمَاءِ ارْعُدِي وَابْرُقِي  
فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى النَّزْلِ<sup>(١)</sup>

أخذ المطوع بقوله : « فَمَا سَلَّ سَيْفُ الصَّبْحِ مِنْ غَدِ الظَّلَامِ » من قول

أبي الفتح البقي :

لَأَبَى الْفَتْحِ  
الْبَقِي

رُبَّ لَيْلٍ أَنْغَسَدَ الْأَنْوَارَ إِلَّا  
قَدْ نَمْنَا بِدِيَا جِيهِ إِلَى أَنْ  
[ وقال بعض أهل مصر ، وهو أبو العباس الناشي : ]  
تَوَرَّ تَقَرَّرَ أَوْ مَدَامَ أَوْ نَدَامَ  
سَلَّ سَيْفُ الصَّبْحِ مِنْ غَدِ الظَّلَامِ

لَأَبَى الْعَبَّاسِ  
النَّاشِي

خَلِيلِي هَلْ لِلْمَرْءِ مُقَلَّةٌ عَاشَتْ  
أَشَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ فَاصْبَحَتْ  
أَمْ النَّارُ فِي أَحْشَائِهَا وَهِيَ لَا تَنْدَرِي  
وَكَاللَّوْلُو لِلْمَشْوَرِ أَدْمَعُهَا تَجْرِي

(١) الممحل : المحدث (٢) النفق : السرداب

(٣) غامر : خراب ، ومعلم ومجهول : معلوم ومجهول

(٤) هذا البيت غاية في خفة الروح

سحاب حَكَتْ تَكَلَّى أُصِيبَتْ بِوَاحِدٍ  
تَسْرِبِلَ وَشَيْئاً مِنْ حُزُونٍ تَطْرُزَتْ  
فَوْشَى بِلَا رَقْمٍ، وَرَقْمٌ بِلَا يَدٍ،  
وَقَالَ آخَرُ :

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ شَدِيدِ الْوَمِيزِ  
كَأَنَّ نَائِقَهُ فِي السَّمَاءِ

تَرَامَى غَوَارِبُهُ بِالشَّهْبِ  
سُطُورُ كُتَيْبٍ بِمَاءِ الذَّهَبِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

كَانَ الرَّيَابُ الْجَوْنَ دُونَ سَحَابِهِ  
إِذَا لَحِقَتْهُ خَيْفَةٌ مِنْ رَعُودِهِ  
وَقَدْ قَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ :

كَانَ الرَّيَابُ دَوْنَيْنِ السَّحَابِ  
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

بَاكِةٌ يَضْحَكُ فِيهَا بَرْقُهَا  
رَأَيْتُ فِيهَا بَرْقَهَا مِنْذُ بَدَا  
جَرَتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا حَتَّى بَدَا  
تَحْبَهُ طَوْرًا إِذَا مَا انْصَدَعَتْ  
وَتَارَةً تَحْسِبُهُ كَأَنَّهُ

مُوصَلَةٌ بِالْأَرْضِ مَرْخَاةُ الطُّنْبِ  
كَثَلُ طَرَفِ الْعَيْنِ أَوْ قَلْبِ يَتِيمٍ<sup>(٣)</sup>  
مِنْهَا لِيَ الْبَرْقُ كَأَمْثَالِ الشَّهْبِ<sup>(٤)</sup>  
أَحْشَاؤُهَا عَنْهُ شَجَاعًا يَضْطَرِبُ<sup>(٥)</sup>  
أَبْلَقُ مَالٍ جُلُهُ حِينَ وَتَبُ<sup>(٦)</sup>

(١) الرِّيَابُ : السَّحَابُ ، وَالْجَوْنُ : الْأَسْوَدُ

(٢) دَوْنِ : تَصْغِيرُ دُونَ (٣) يَجِبُ : يَضْطَرِبُ (٤) رَوَاةُ الدِّيَوَانِ :

ثُمَّ حَدَّثَ بِهَا الصَّبَا كَأَمْثَالِ الشَّهْبِ

(٥) الشَّجَاعُ : التَّجَانُّ . وَرَوَاةُ الدِّيَوَانِ :

إِذَا تَمَرَّى الْبَرْقُ فِيهَا خَلَّتْ بَطْنُ شَجَاعٍ فِي كَثِيبٍ يَضْطَرِبُ

(٦) الْأَبْلَقُ : الْجَوَادُ يَرْتَفِعُ تَحْمِيلُهُ إِلَى الْقَضْدِ ، وَالتَّحْمِيلُ : يَبَاضُ فِي الْقَوَائِمِ ،

وَالْجُلُّ : مَا يَوْضَعُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ وَالْجَوَادِ



وتارةً تحسبه كأنه سلاسل مفصولة من الذهب  
وقال الطائي :

ياسهمُ العِزُّ الذي استطارا صار على رغم الدجى نهاراً  
أض لنا ماء وكان ناراً<sup>(١)</sup>

وينشد أصحاب المعاني :

نارٌ تجدد للعنين نضرتها والنار تطفح عيدانا فتهترق  
وقال ابن المعتز يمدح الشرب في الصَّخْرِ ، ويذمّه في المطر :

أنا لا أشتى سماء كبطن السَّمَر والشَّربُ تحتها في خراب<sup>(٢)</sup>  
بين سَقْفٍ قد صار مُنْخَلَّ ماء وجدار ملقى وتلُّ رُباب  
ويوت يوقع الوَكْفُ فيهِنَّ وإيقاعُهُ بغير صواب<sup>(٣)</sup>  
إنما أشتى الصُّبُوح على وَجْهِ سماء مَصْقولة الجَلْبَابِ  
وتسب من الصَّبا يتسنى فوق رَوْضٍ تَدِيدُ الشَّبابِ  
وكان الشمس المضيئة دينا رُجَّتْ حَدَائِدُ الضَّرَابِ  
في غداة وكأسها مثل شمسٍ طَلَعَتْ في ملاءة من شَرَابِ<sup>(٤)</sup>  
أو عروس قد ضُمَّتْ بِمَخْلُوقٍ فهي ضَرَّاءُ في قيصِرِ حَبَابِ  
وغناء لا عُذْرَ للعود فيه بَقْنَدَى الأوتار والمضرب  
ونقاء البساط من وَضِرِ الطَّيْنِ وَسَمْعِ الأقدام في كلِّ بابِ  
ونشاط الفلمن إن عرِضَتْ حَا جاتنا في مجيهم والذَّهَابِ  
وجفاف الرِّيحان والدرجس النضْ بِأَيْدِي انْطِلان والأصْحَابِ  
لا تَنْدَى أنوفهم كَلَّا حَيْثُ وَاْبَضَّتْ ندى أنوف الكلاب

(١) آض : رجع وصار (٢) الشرب - بالفتح - جماعة الشاربين (م) .

(٣) في الديوان (٥٣/٤) « وإيقاع الوكف غير صواب » . التوقيع : الضرب على

آله الغناء ، والوكف : إهمال المطر (م) (٤) هذا البيت ملفق من بيتين وهما كافي الديوان .

في غداة قد تمتك يرد الـ ساء في يومها وضو الشراب

من غفار في الكأس تشبه شمساً طلعت في غلالة من شراب (م)

(١٤) - زمر الأدب ١

لابن المعتز  
يمدح الشراب  
في الصخر

ذلك يومٌ أراه غناً وحفظاً من عطاء المهيمن الوهاب  
وقال المتنورى :

أنيس ظباء بوحش الضبا وصبغ حياً مثل صبغ الحيا  
ويوم تكلله الشمس من صفاء الهوى وصفاء افوا  
بشمس الدنان وشمس التبان وشمس الجنان وشمس السما  
وشبيهه بالآيات التي كتبها ثقلب إلى أبي العباس بن المعتز لجيل<sup>(١)</sup> قول الآخر:  
وما وجد مباح من الميم خنت عن الورد حتى جوفها يتصلصل<sup>(٢)</sup>  
تخوم وتمشأها المعى وحولها أفاطع أنمايم تعل وتهل  
بأكثر منى لوعة وصباة إلى الورد إلا أننى أنجمل<sup>(٣)</sup>  
وقال أبو حية النخري :

وصف شدة  
الشوق

لأبي حية  
في هذا المعنى

كفى حزناً أنى أرى لئله مغرض لعبى ونكين لاسبيل إلى الورد<sup>(٤)</sup>  
وما كنت أخصى أن تكون منيتى بكف أعز الناس كلهم عندي

: وصف رجل حازم لابن المقفع [

قال ابن المقفع : كان لى أخ أعظم الناس فى عيني<sup>(٥)</sup>، وكان رأس ما عظمه  
فى عيني صغير الدنيا فى عينه . وكان خارجاً من سلطان بطينه ، فلا يشتغى مالا

(١) قد مررت هذه الأبيات فى ص ١٨٦ (٢) اللواح : الناقة أصابها اللوح وهو  
الظما الشديد ، والميم : جمع هيم . وهى التى أصيبت بداء الهيام ، وهو شدة الضمأ .  
ويتصلصل : يصوت (٣) ومثل هذا أيضا قول الشريف الرضى :

وما حاتمات يلتعن من الصدى إلى الماء قد موطنن بالرشقان  
إدا قيل هذا الماء فـ يملكوا لها معاضا بأقران ولا بمشان  
ظما إلى الأجباب مى وهم عريم إذا رمت الديون لوانى  
(٤) ومن هذا الباب قول الآخر :

إنى وإياك كانهادى رأى نهلا ودونه هوى يغنى سها اتلفا  
يرى جيفه ماء غر مورده وليس بمالك دون الماء منصرفا  
(٥) علوة اليتيمة : « إنى محبك عنى وحلى بمن أعظم الناس فى عيني »

يُحَدِّدُ، وَلَا يُكَيِّدُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ قَرْجِه، فَلَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مُؤَنَّةً، وَلَا يَسْتَخَفُّ لَهُ رَأْيًا وَلَا بَدَنًا. وَكَانَ لَا يَتَأَثَّرُ عِنْدَ تَعَمُّدٍ، وَلَا يَسْتَكِينُ عِنْدَ مَصِيْبَةٍ. وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ لِسَانِهِ، فَلَا يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُجَارِي فِيهَا عِلْمَ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ الْجَهْلَةِ، فَلَا يَتَقَدَّمُ<sup>(١)</sup> أَبَدًا إِلَّا عَلَى تَهْمَةٍ بِمَنْفَعَةٍ، وَكَانَ أَكْثَرُ دَهْرِهِ صَامِتًا، فَإِذَا قَالَ بَرُّ الْقَاتِلِينَ<sup>(٢)</sup>، وَكَانَ ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا، فَإِذَا جَدَّ الْجَدُّ<sup>(٣)</sup> فَهُوَ اللَّيْثُ عَادِيًا<sup>(٤)</sup>. وَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي دَعْوَى، وَلَا يُشَارِكُ فِي مِرَاءٍ<sup>(٥)</sup>، وَلَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِيًا فَيَهْمَا<sup>(٦)</sup> وَشُهَدَا عُدُولًا. وَكَانَ لَا يُلَوِّمُ أَحَدًا فِيهَا يَكُونُ الْمَذْرُوعُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَعْلَمَ مَا عَذَرُهُ.

وَكَانَ لَا يَسْكُو وَجْهَهُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبُرْءَ، وَلَا يَسْتَشِيرُ صَاحِبًا إِلَّا أَنْ يَرْجُوَ مِنْهُ انْتَصِيحَةً. وَكَانَ لَا يَتَبَرَّمُ<sup>(٧)</sup> وَلَا يَتَسَخَّطُ، وَلَا يَتَشَكَّى وَلَا يَتَشَعَّى، وَلَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْعَدُوِّ، وَلَا يَقْفُلُ عَنِ الْوَلِيِّ، وَلَا يَحْصُصُ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ دُونَ إِخْوَانِهِ مِنْ أَهْمَامِهِ وَحِيلَتِهِ وَقُوَّتِهِ. فَصَلِّكَ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ إِنْ أَطَقْتَهَا، وَأَنْ تَطْلُقَ، وَلَكِنْ أَخْذُ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْجَمِيعِ.

وعلى ذكر قوله: «وإن قال بَرُّ الْقَاتِلِينَ» قال ابن كُنَاسَةَ — واسمه محمد بن عبد الله، ويكنى أبا يَحْيَى — فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَمَ<sup>(٨)</sup> الزَّاهِدِ:

رَأَيْتُكَ لَا تَرْضَى بِمَا دُونَهُ الرِّضَا وَقَدْ كَانَ يَرْضَى دُونَ ذَلِكَ ابْنَ أَدَمَ

لَابْنِ كُنَاسَةَ  
يُصِفُ ابْنَ أَدَمَ

(١) عبارة التَّيْمَةِ «فَلَا يَقْدَمُ إِلَّا عَلَى تَهْمَةٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ»

(٢) نَزَّ: غَلَبَ، بِالْهَالِ وَالزَّيْ، وَمِنْهُ: مَنْ عَزَزَ (٣) فِي الْأَصْلِ «فَلِذَا وَجَدَ الْجَدَّ»

وَهُوَ مُحَرِّفٌ. وَعبارة التَّيْمَةِ «فَلِذَا جَاءَ الْجَدُّ» (٤) عَادِيًا: مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ

(٥) الْمِرَاءُ: الْجِدَالُ (٦) رَوَايَةُ التَّيْمَةِ «قَاضِيًا عَدْلًا» (٧) يَتَبَرَّمُ: يَتَضَجَّرُ

(٨) إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَمَ: شَخْصِيَّةٌ قَوِيَّةٌ تَرَى أَثَرَهَا فِي كُتُبِ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ. كَانَ

يُحِيشُ مِنْ عِرْقِ جَبِينِهِ، وَيَشْتَرِكُ مَعَ الْفَزَاةِ فِي قِتَالِ الرُّومِ، تَخَفَ عَنْ مِيرَاثِ أَبِيهِ

وَأَكْتَفَى بِحِمَاةِ التَّقَشِفِ وَالْحَشُونَةِ، وَكَانَ مَعْرُوفًا بِالْقَصَاحَةِ وَالْحَرَصِ عَلَى صَوَابِ الْقَوْلِ؛

فَكَانَ إِذَا حَضَرَ مَجْلِسَ سَفِيَانَ الثُّورِيِّ وَهُوَ يَعْطُ أَوْ جَزَ سَفِيَانَ فِي كَلَامِهِ عَظَافَةً أَنْ

يَزِلُّ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ نَحْوَ سَنَةِ ١٦١ هـ.

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها      وكان لأثر الله فيها م عظيماً  
وأكثر ما تلقاه في الناس صليتها      وإن قال برّ القاتلين فأضماً  
يُشيعُ النقي في الناس إن مسه النقي      وتلقى به البأساء عيسى بن مريم  
أهان الهوى حتى تجنبه الهوى      كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

### ألفاظ لأهل مصر في ذكر التقى والزهد

فلان عَذِبَ المَشْرَب ، عَفَ المَطْلَب ، نَقِيَ الساحة من المآثم ، برى .  
الذمة من الجرائم ، إذا رضى لم يَقُلْ غير الصدق ، وإذا سخط لم يتجاوز جانب  
الحق ، يرجع إلى نفس أمارة بالخير ، بعيدة من الشر ، مدلوله على سيل البر :  
أعرض عن زبرج الدنيا وخدعها ، وأقبل على اكتساب نعم الآخرة ومُتَمِعِها .  
كفَّ كَفَّهُ عن زُخْرَفِ الله      نَفَرَتْهَا ، وَغَضَّ طَرَفَهُ عن متاعها وزهرتها :  
وأعرض عنها وقد تَرَضَّتْ له بزيتها ، وصدَّ عنها وقد تصدَّتْ له في حليتها .  
فلان ليس بمن يَقِفُ في ظِلِّ الطمع ، فَيُسِفُّ إلى خَضِيضِ الطبع <sup>(١)</sup> ، نَقِيَ  
الصحيحة ، عَلَيَّ عن القضيحة ، عَفَ الإزار ، طاهرٌ من الأوزار ، قد عاد لإصلاح  
المعاد ، وإعداد الزاد .

\*\*\*

وكان ابن المقفع من أشراف فارس ، وهو من حكماء زمانه ، وله مصنفات  
كثيرة ، ورسائلٌ مختارة ؛ وكان مُخْجِجاً عن قول الشعر ، وقيل له : لم لا تقول  
الشعر ؟ فقال : الذي أَرْضاه لا يَحِيثُنِي ، والذي يَحِيثُ لا أَرْضاه <sup>(٢)</sup> .

من أخبار  
ابن المقفع

(١) الطبع - بفتح الباء - الحسة . وفي الأصل ( التصنع ) وهو تحريف .

(٢) ومع هذا فقد تيسرت له الإجابة ، حتى اختار له مؤلف الحاسة الأبيات الآتية

رزنا أباعمرو ، ولاحي مثله      فله ريب الحادثات بمن وقع  
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا      ذوى خلة ما في انسداد لها طمع  
قد حررنا قعدنا لك أننا      أننا على كل الرزايا من الجزع

أخذ هذا بعضهم قال :

أَبَى الشَّرُّ إِلَّا أَنْ يَفِيَّ رَدِيَّهُ إِلَى ، وَيَأْتِي مِنْهُ مَا كَانَ مُحْكَمًا  
فَبَالَيْتِي إِذْ لَمْ أَجِدْ حَوْلَكَ وَشِيهِ وَلَمْ أَكُ مِنْ قُرْسَانِهِ كُنْتُ مُنْعَمًا<sup>(١)</sup>  
وَكُنْ ظَرْفًا فِي دِينِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مَرَّ بَيْتَ النَّارِ فَقَالَ :  
يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أَمْرًا لُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْقَوَاضِ مُوَكَّلُ<sup>(٣)</sup>  
أَصْبَحْتَ أَمْنُحَكَ الصَّدُودَ ، وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمُتِيلُ<sup>(٤)</sup>

البنان للأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري أخى  
ترجمة  
للأحوص بن عمرو بن عوف . وعاصم بن ثابت حمى الدَّبر<sup>(٥)</sup> قتل بنو لحيان من هذيل  
يوم الزَّجِيع ، فَرَادُوا أَنْ يَبْعُثُوا بِرَأْسِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَتْ سَلَافَةُ بِنْتُ سَعْدِ نَذَرَتْ  
كَشْرَ بِنْتِ فِي رَأْسِهِ أَخْضَرُ . وَكَانَ قَتْلَ بَعْضَ وَلَدِهَا مِنْ طَلْحَةَ بِنْتُ أَبِي طَلْحَةَ أَحَدُ  
بَنِي عَبْدِ الْمَدَارِ يَوْمَ أَحَدَ . فَسَأَرَادُوا أَخْذَ رَأْسِهِ حَتَّى الدَّبرُ . وَهِيَ النُّحْلُ - فَلَمْ  
يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَجَمَعُوا يَقُولُونَ : إِنَّ الدَّبرَ لَوْ قَدْ أَمْسَى صِرْنَا إِلَى حَشَوَاتِهِ ،  
فَمَا أَمْسَوْا بَعَثَ اللَّهُ أَيْتًا فَوَارَاهُ مِنْهُمْ<sup>(٦)</sup> . وَعَاتِكَةُ الَّتِي ذَكَرَ هِيَ عَاتِكَةُ  
بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ .

[ أُنْطِفَ تَعْرِيفُ . وَأَدَقَ فُهْمُ ]

وَمَادَخَلُ أَبُو جَعْفَرٍ لِلصُّورِ الدِّبْيَةِ قَالَ لِلرَّبِيعِ : أُنْفِي رَجُلًا سَاقِلًا عَانَا  
بِأَذْمَةِ لَيْفَتِي عَلَى دُورِهَا ؛ فَقَدْ بَعْدَ عَهْدِي بِدِيَارِ قَوْمِي ؛ فَالْتَمَسَ لَهُ الرَّبِيعُ فُقَى

- 
- (١) منعم : مملوك . (٢) يريد أنه كان متهمًا ؛ لأنه كان قبل إسلامه محسوباً  
جيد النار . وفي سنة ١٤٢ (٣) أُنْزِلَ : أُنْخَبَ . وَفِي الْأَصْلِ (أُنْزِلَ) وَهُوَ تَعْرِيفُ  
(٤) انظر ما كتب عن هذا الشعر في كتب البلاغ تحت عنوان (الأدب الجديدي)  
(٥) الدَّبر - بالفتح - جماعة النحل والزنابير (٦) الآي - على وزن غي - هو السيل

من أعقل الناس وأعلمهم ، فكان لا يتدري به بإخبار حتى يأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة ، وأجود بيان ، وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به ، وأمر له بمال ، فتأخر عنه ، ودعته الضرورة إلى استنجازه ، فاجتاز بيت عائكة ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هذا بيت عائكة الذي يقول فيه الأحموس : « يا بيت عائكة الذي أنزل » . . . البيت ، فسكر المنصور في قوله ، وقال : لم يخالف عادته مابتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يردّد القصيدة ويتصفحها بيتا بيتا حتى انتهى إلى قوله فيها :

وأراك تَقُولُ ما تقولُ وبغفهم    مذقُ اللسان يقولُ ما لا يَقُولُ<sup>(١)</sup>  
فقال : ياربيع ، هل أوصفت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ فقال : أخرتني عنه - لعلّ ذكرها الريح فقال : عَجَّاهُ له ، مُصَافَعًا ، وهذا ألف تمر يض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور .

### [ الحسد والحساد ]

ومن كلام ابن المقفع : الحاسدُ لا يزالُ زاراً على نعمة الله ولا يجِدُ لها مَزَالاً ،  
ومكدرًا على نفسه ما به من النعمة فلا يجدُ لها طَلَمًا ، ولا يزالُ سَاخِطًا على مَنْ لا يقرضاهُ ، ومتسَخِّطًا لما [ لا ] ينال ، فهو كظوم هُلُوعِ جَزُوع ، ظالم أشبه شئ .  
بمظلوم ، محروم الطَلْبَةِ ، منقُص العيشة ، دائم التسخُّط ، لا بما قُسم له يَقْنَع ، ولا على ما لم يُقَسِّمْ له يَنْقَلِب ، والمحسودُ يتقلبُ في فضلِ نعم الله مباشرًا للسرور .  
عملاً فيه إلى مُدَّةٍ لا يقدر الناسُ لها على قطعٍ ولا انتقاص ، ولو صبر الحاسدُ على ما به لكان خيراً له ؛ لأنه كلما أراد أن يُعطى ، نور الله أغلادهُ وَيَأْتِي اللهُ إلا أن يُبَيِّنَ نوره ولو كره الكافرون .

لابن المقفع في  
صفة الحاسد

قال الطائي :

لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْمَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ  
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ  
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيهَا جَاوَرَتْ  
أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ :

وَلَنْ تَدْتَبِينَ الدَّهْرَ وَتُضَعِ نِعْمَةً  
وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

إِنْ يَحْدُونِي فَايُّ غَيْرٍ لَا يَمِمْهُمْ  
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ  
أَنَا الَّذِي يَحْدُونِي فِي صَدُورِهِمْ  
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ لِمُصَاعِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ :

وَصَدُّ لَكُمْ لَا زَالَ يَنْفُلُ جَدُّهُ  
يَرَى زُرْجَ الدُّنْيَا يُرْفُ إِلَيْكُمْ  
وَلَوْ قَاسَ بِاسْتِحْقَاقِكُمْ مَا مُنِحَكُمْ  
وَأَتَقُوا مِنْ عِدِّهِ الْعَقِيلَةِ جِيدُهَا  
وَقَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ :

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي  
مَا يُحْسَدُ لِلرَّهْ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ

لَأَنِّي تَمَامٌ فِي  
فَضْلِ الْحَاسِدِ  
عَلَى الْمَحْسُودِ

لِلْبَحْتَرَى  
فِي هَذَا الْمَعْنَى .

لِلْحَاسِدِ الثُّغْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ  
طَوِيَتْ أَتْلَحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودِ  
مَا كَانَ يُعْرِفُ طُيْبَ عَرَفِ الْمُودِ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلَّلْ عَلَيْهَا بِحَايِدِ

قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُيِّدُوا  
وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَحْدُ  
لَا أُرْتَقَى صَدْرًا عَنْهَا وَلَا أُرْدُ<sup>(١)</sup>

لِابْنِ الرُّومِيِّ

وَلَا بَرَحَتْ أَفْأَسُهُ تَتَصَعَّدُ<sup>(٢)</sup>  
وَيُفْضِي عَنْ اسْتِحْقَاقِكُمْ فَهُوَ يُفَادُ<sup>(٣)</sup>  
لَأَطْلَقًا نَارًا فِي الْخُشَا تَتَوَقَّدُ  
وَأَحْسَنَ مِنْ يَسْرِهَا الْتَجَرُّدُ<sup>(٤)</sup>

لِمَعْنُ بْنِ زَائِدَةَ

لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُودِ  
بِالْعِلْمِ وَالظُّرْفِ ، أَوْ بِالْجَبَسِ وَالْجُودِ

(١) لَا أُرْتَقَى صَدْرًا وَلَا أُرْدُ : لَا أَمُود وَلَا أَهْطُ ؛ فَأَنَا كَالشَّيْءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا سَلَامَةَ  
لِأَعْدَائِهِ مِنْهُ . وَهَذِهِ الْآيَاتُ غَايَةٌ فِي جَمَالِ الْبَيَانِ (٢) الْجِدْ - بِالْفَتْحِ - الْخَطْ  
(٣) يُفَادُ : يَحْرَقُ فَوَادِهِ .

(٤) يَقُولُ : إِنْ جِدَّ الْعَقِيلَةُ أَجْمَلَ مِنَ الْعَدِّ الَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ يَزِيهِ ، وَالتَّجَرُّدُ -  
أَيُّ الْجِسْمِ الْغَرِيْبَانِ - أَجْمَلُ مِنَ السَّرْبَالِ وَهُوَ الْقَعِيمُ .

## ألفاظ لأهل مصر في ذكر الحسد

دَبَّتْ غُلاَبُ الحَسَدَةِ ، وَكُنْتُ أَفَاعِيهِمْ بِكُلِّ مَرَصِدٍ . فَلَان مَمْجُونٍ مِنْ  
طَبِيعَةِ الحَسَدِ وَالْمُنَافَةِ ، مَضْرُوبٌ فِي قَالِبِ الصِّيقِ وَالْمُنَافَةِ . قَدْ وَكَلَنِي لَحْظًا  
يَنْتَضِلُ بِأَسْهُمِ الحَسَدِ . فَلَان جَسَدُ كُلِّ حَسَدٍ ، وَعَقْدُ كُلِّ حَسَدٍ . الحَسَدُ يُعْنَى  
عَنِ مَحَاسِنِ الصِّبْغِ ، بَيْنَ تَذَرِكِ حَقَائِقِ الصِّبْغِ .

[ التلطف في الطلب ]

كتب محمد بن حماد يُعْرِضُ فِي حَاجَةٍ لَهُ يَبْتَغِي شَرًّا إِلَى الْوَاقِقِ يَقُولُ :  
يُنِ الْوَاقِقِ  
وَمُحَمَّدُ بْنُ حَمَادٍ جَذِبَتْ دَوَاعِي النَّفْسِ عَنْ طَلْبِ الْوَقْفِ وَكُنْتُ لَهَا كُنْفِي عَنْ الطَّلَبِ الزَّرِيِّ  
فَلَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُفِّهِ مَدَارُ رَحَى بِالرَّزْقِ دَانِسَةٌ تَجْرِي  
فَوْقَ تَحْتَهَا : جَذِبَكَ نَفْسُكَ عَنْ امْتِنَانِهَا بِالسَّالَةِ دَعَانِي إِلَى صَوْنِكَ بِسَمَةِ  
فَضْلِي عَلَيْكَ ، فَخُذْ مَا طَلَبْتَ هُنَا .

يُنِ الْحَسَنِ بْنِ  
سَهْلٍ وَعَلَى  
ابْنِ عِيْدَةَ قَالَ عَلَى بْنِ عِيْدَةَ : أَتَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ بِغَمِّ الصَّلَاحِ ؛ فَأَقَمْتُ بِيَابَهُ ثَلَاثَةَ  
أَشْهُرٍ لَا أُحْطِي مِنْهُ بِطَائِلٍ ، فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

مَدَحْتُ ابْنَ سَهْلٍ ذَا الْأَيْدِي وَمَالَهُ بِذَلِكَ يَدٌ عِنْدِي وَلَا قَدَمٌ بَعْدُ  
وَمَا ذَنْبُهُ ، وَالنَّاسُ - إِلَّا أَقْلُهُمْ - عِيَالُهُ ، إِنْ كَانَ لَمْ يَكُنْ لِي جَدُّ  
سَاحِدُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَهُ فِي رَأْيٍ عَادَ لِي ذَلِكَ الْحَدُّ

فَكُتِبَ إِلَيْهِ : بَابُ السُّلْطَانِ يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ : عَقْلٌ وَصَبْرٌ وَمَالٌ ،  
فَقُلْتُ لِلْوَاسِطَةِ : تَوَدَّى عَنِّي ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : تَقُولُ لَهُ : لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَا غِنَانِي  
عَنِ الطَّلَبِ إِلَيْكَ ، أَوْ صَبْرٌ أَصْبِرْتَ عَنِ الذُّلِّ بِيَابِكَ ، أَوْ عَقْلٌ لَا اسْتَدَلَّتْ بِهِ عَلَى  
الْبُزَاهَةِ عَنْ رِفْدِكَ ! فَذَمَّرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .



وقال علي بن عبيدة الريماني يوما ، وقد رأى جارية يتوَّاهَا : لولا البقياء على الضمائر لبُخْنَا بما حُجِنَتِ السرائر ، لكنَّ نيرانَ الحبِّ تَنفُذَارِكُ بالإخفاء ، ولا تُعَايَلُ بالإبداء ؛ فإنَّ دوائِها مع إغلاق أبواب الكتمان ، وزوالها في فَنَحْصِ مَصْلُوحِ الإعلان .  
وقد قال محمد بن يزيد الأُموي :

لا وَحْبِيكَ لَا أَصَا      فِجْ بِالِدِّمْعِ مَدْمَعَا  
مِنْ بَكِي حَبَّةً اسْتَرَا      ح وَإِنْ كَانَ مُوجَّعَا

ومن كلام علي بن عبيدة : اجعل أنسك آخرَ ما تَبَذَّلُ مِنْ وَدُّكَ ، وَصُنْ الاسترسال منك ، حتى تَجِدَ له مستحقاً ؛ فإنَّ الأنسَ لباسُ العِرضِ ، وَنُحْفَةُ الثَّغَةِ ، وَحِبَاءُ الأكفَاءِ ، وَشِمَارُ الْخَاصَّةِ ، فَلَا تُنْطَلِقْ جِدَّتَهُ إِلَّا لِمَنْ يَعْرِفُ قَدْرَ مَا بِذَلِكَ لَهُ مِنْكَ .

وقال : لولا حركاتُ من الابتهاج أَجِدَ حَسْبَهَا عِنْدَ رُؤْيَيْكَ فِي نَفْسِي لَا أَغْرِفُهَا مُتَبَوِّراً مِنْ مِطَافِهَا إِلَّا مَوْأَسَتْكَ بِي ، لَا بَقِيَّتْ عَلَيْكَ مِنَ الْعَنَاءِ ، وَخَفَّتْ عَنْكَ مَوْوَنَةُ الْفَقَاءِ ؛ لَكِنِّي أَجِدُ مِنَ الزِّيَادَةِ بِكَ عِنْدِي أَكْثَرَ مِنْ قَدْرِ رَاحَتِكَ فِي تَأْخُرِكَ عَنِّي ، فَأُضِيقُ عَنِ اخْتِيَالِ الْخُسْرَانِ بِالْوَحْدَةِ مِنْكَ .

وقال : لِيُوجِلْ مِنْ طُلُوعِ الْمَلَالَةِ بِكَرِّ الْفَقَاءِ أَسْتَخِفُّ التَّجَاعِي مَعَ شِدَّةِ الشَّوْقِ ، لَتُنْقِ جِدَّةَ الْحَالِ عِنْدَ مَنْ أَحَبُّ دَوَامَهُ لِي ؛ وَرَدُّ طَرَفِ الشَّوْقِ بَاطِنًا أَيْتَرُ مِنْ مُسَانَةِ الْجَفَاءِ مَعَ الْوَدِّ ظَاهِراً .

بعض المحبين  
من الشعراء  
في الشوق

وقال بعض المحدثين :

كَمْ اسْتَرَحَّ إِلَى صَبْرٍ فَلَمْ يَرْحَ      صَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَشْوَاقِ فِي تَرَحٍّ  
تَرَكْتُمْ قَلْبِي مِنْ حُزْنٍ فَرَقْتُمْ      لَوْ يَرْزُقُ الْوَصْلَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْفَرَحِ  
وقال أعرابي :

أَلَا قُلْ لِدَارِي بَيْنَ أَ كَثْبَةِ الْحَمَى      وَذَاتِ النَّفَى : جَادَتْ عَلَيْكَ الْمَوَاضِبُ <sup>(١)</sup>

أَجَدَدَنِي لَا آتِيكَ إِلَّا تَتَابَعَتَ دُمُوعٌ ، أَضَاعَتْ مَا حَفِظْتُ . سَوَاكِ بَ  
 دِيَارٍ تَسْمَتْ لِمَنَى نَحْوُ أَرْضِهَا وَطَلَوْنِي فِيهَا أَهْوَى وَأَخْبَابُ  
 لِيَالِي لَا الْمَجْرَانِ مُخْتَكِمٌ بَهَا عَلَى وَصَايَ مَنْ أَهْوَى وَلَا الظُّلَّ كَاذِبٌ  
 (الأدب في مجلس الحكم)

بين إبراهيم بن أدهم والطبيب ابن بخيشوع عند ابن أبي دؤاد  
 تنازع إبراهيم بن المهدي وابن بخيشوع الضبيب بن ردي أحمد بن أبي دؤاد  
 في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ، فَرَضَى عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ وَأَغْلَقَ لَهُ . فحفظ  
 ذلك ابن أبي دؤاد ، قُل : يَا إِبْرَاهِيمَ ، إِذَا نَازَعْتَ فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ خَضِرْنَا أَمْرًا  
 فَلَا أَعْلَنُ أَنَّكَ رَضْتَ عَلَيْهِ صَوْتَنَا ، وَلَا أَشْرَتْ يَدٌ ، وَلَيْكِنْ قَطَعْتَ أَمْرًا (١) .  
 وَرَيْخُكَ مَا كُنْتَ ، وَكَلَامُكَ مَعْتَدِلًا ، مَعَ وَفَاءِ مَجَالِسِ الْخَفِيفَةِ حَقُوقَهَا مِنَ النَّفْطِ  
 وَالتَّوْقِيرِ ، وَالْإِسْكَنْةِ ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الْوَاجِبِ : فَبِنَ ذَلِكَ أَشْكُرُكَ بِكَ . وَأَشْمَلُ  
 لِمَذْهَبِكَ فِي مَحْتَدِكَ ، وَعَظِيمُ خَطَرِكَ . وَلَا تَعْجِنَنَّ ، فَرُبَّ مَجْلَمَةٍ تَهَبُ رَيْثًا ، وَاللَّهُ  
 يَعْصِمُكَ مِنْ خَطَايَا الْقَوْنِ وَالْعَمَلِ . وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبِيكَ مِنْ قَبْلُ .  
 لَنْ رُبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِ .

قُلْ إِبْرَاهِيمَ : أَضْلَعَكَ اللَّهُ نَعَالِي : أَمَرْتَ سَدَادًا ، وَحَضَضْتَ عَلَى رِشَادٍ :  
 وَلَسْتُ عَانِدًا مَا يَشِلُّ مُرُوءَتِي عِنْدَكَ . وَيُسْقِطُنِي مِنْ عَيْنِكَ . وَيُخْرِجُنِي مِنْ  
 مَقْدَارِ الْوَاجِبِ إِلَى الْإِعْتِذَارِ ، فَهَآنَا مَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْبَادِرَةِ اعْتِدَارُ مُقَرَّرٍ  
 بِذَنْبِهِ ، مُعْتَرِفٌ بِجُرْمِهِ ، وَلَا يَزَالُ الْغَضَبُ يَسْتَفْرِقُنِي بِمَوَادِهِ ، فَيُرِدُنِي مِثْلَكَ بِمَجْلَمِهِ .  
 وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَكَ وَعِنْدَنَا مِنْكَ : وَقَدْ جَعَلْتُ حَقِّي مِنْ هَذَا الْعَقَارِ لابْنَ بَخِيشُوعٍ ،  
 فَلَيْتَ ذَلِكَ يَكُونُ وَافِيًا بِأَرْشِ الْجَنَافَةِ عَلَيْهِ (٢) : وَلَمْ يَتَأَمَّلْ مَا لَفَادَ مَوْعِظَةً :  
 وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (٣) .

(١) أُمُّ : قَرِيبٌ

(١) الأَرُشُ : الدِّينِيَّةُ (٢) هَذَا الْحَدِيثُ يَمَثُلُ جَانِبًا مِنَ الْحِفْظِ الَّذِي ظَفَرَ بِهِ أَحْمَدُ  
 ابْنُ أَبِي دَوَادٍ فِي عَصَرِهِ . وَقَدْ صَحِبَ هَذَا الرَّجُلُ الْإِيمَانَ وَالْعَقْلَ وَالْوَأَقْنَ وَعَمِلَ مَعَهُمْ  
 جَمِيعًا . تَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٠

## [ حكمة أردشير وحضه على العلم ]

لما استوفى أمر أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف . وتم له ملكه : جمع الناس فخطبهم خطبة حضر فيها على الألفة والطاعة ، وحذرهم المصيبة ومفارقة الجماعة ، وصف الناس أربعة صفوف ؛ فخرّوا له سجداً ، وتكلم متكلمهم فقال :

لازلت أيها الملك محبواً من الله تعالى ببرّ النصر ، ودرك الأمل ، ودوام المافية ، وتمام التهمة : وحسن المزيد . ولازلت تتابع لديك المكرمات ، وتشفع إليك الذمامات <sup>(١)</sup> حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ، وتصل إلى دار القرار التي أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلّتي عنده والمساكنة منه ، ولازال ملكك وسلطانك باقين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة النجوم والأنهار ، حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوّ قدرِك عليها ، ونفاذ أمرِك فيها ، قد أشرق علينا من ضياء نورِك ما عمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ؛ فأصبحت قد جمع الله بك الأيدي بعد افتراقها ، وألف القلوب بعد تفرق نيرانها ، فضلتك التي لا يدرك بوصف ، ولا يحصى بنفث .

قال أردشير : طوبى للممدوح إذا كان للمدح مستحقاً ، وللداعي إذا كان للاجابة أهلاً .

وقيل لأردشير : أيها الملك الرفيع الذي حلب المصور ، وجرب الدهور ، أي الكنوز أعظم قدراً ؟ قال : العلم الذي خف محمله ، فتقلت مفارقه ، وكثرت مراقبته ، وخفي مكانه ، فأمن من السرّاق عليه ؛ فهو في الملأ جال ، وفي الوحدة أنيس ، يرأس به أنفيس ، ولا يمكن حلسدك عليه انتقاله عنك . قيل له : فالمال ؟ قال : ليس كذلك . محمله ثقیل ، والهم به طویل ؛ إن كنت في ملا شغلك الفكر فيه ، وإن كنت في خلوة أتعبتك حراسته .

(١) الذمامات : جمع ذمام — بكسر الهمزة ، بزنة كتاب — وهو العهد ونحوه

## [ أخلاق الملوك ]

وصف ملك الروم قال الجاحظ : حدثني الفضل بن سهل قال : كانت رسلُ الملوك إذا جاءت بهذا إلى يُعْمَلُ اختلافهم إلى ، فتكون المؤامرات فيأمرهم من ديوان ، فكنت أسأل رجلاً رجلاً منهم عن سيرة ملوكهم ، وأخبار عظائهم ، فالتُّ رسولُ ملك الروم عن سيرة ملكهم ، قال : بذل عُرْفَه ، وجرّد سَيْفَه ، فاجتمعت عليه القلوبُ رغبةً ورهبةً . لا يُنْظَرُ جُنْدُه ، ولا يُخْرَجُ رعيته : سهلُ النّوال ، خزنُ النكال ، الرجا والخوفُ ، مقودان في يده .

قلت : فكيف حكمه ؟ قال : يرذ الظلم ، ويزدغ الظالم ، ويعطي كل ذي حق حقه ؛ فالرعية اثنان : راضٍ ، ومضبط .

قلت : فكيف هيئتهم له ؟ قال : يُعْمَرُ في القلوب ، فتفتق إلى العيون .

وصف ملك الحبشة قال : فنظر رسولُ ملك الحبشة إلى إصغاني إليه ، وإقبال عليه ، فسأل الترجمان : ما الذي يقوله الرومي ؟ قال : بذكركُ ملكهم . وبيّضُ سيرته ؛ فكلم مع الترجمان حي . فقال لي الترجمان : إنه يقول : إن ملكهم ذو أناة عد القدرة ، وذو حلم عد الغضب ، وذو سطوة عد المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام ، قد كسار عيته جميل رعيته ، وخوفهم عسف رعيته ؛ فهم يقرأونه رأي الملأل خيالا ، ويخافونه بحفة الموت نكالا ، وسبهم عدله ، وردعتهم سطوته ، فلا تمتحنه مزاحه ، ولا تؤمنه عفته ؛ إذا أعطى أوسع ، وإذا عاقب أوجع ؛ فالتنسان اثنان : راج وخائف ، فلا الراجي خائب الأمل ، ولا الخائف بعيد الأجل . قلت : فكيف هيئتهم له ؟ قال : لا ترفع إلى العيون أجفانها ، ولا تنبيه الأبصار إنسانها ، كن رعيته قطار فرفت عليها صقور صوائد .

فحدثتُ المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتهما عندك ؟ قلت : ألفا درهم . قال : يا فضل ؛ إن قيمتهما عندي أكثر من الخلافة ، أما عرفت قول علي بن

أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ ؛ مَا يَحْسُنُ . أَتَعْرِفُ أَحْسَدًا مِنْ  
الْخَطْبَاءِ الْبُلْبَاءِ يُحْسِنُ أَنْ يَصِفَ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ؟  
قُلْتُ : لَا . قَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَهَا بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَاجْعَلِ الْعُذْرَ مَادَّةَ بَيْنِي  
وَبَيْنَهَا فِي الْجَائِزَةِ [ عَلَى الْعُوزِ ] ؛ فَلَوْلَا حَقُوقُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُهُ لَرَأَيْتُ إعْطَاءَهَا مَا فِي  
بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ دُونَ مَا يَسْتَحَقُّنَهُ .

وقال الجاحظ : حَدَّثَنِي حَمِيدُ بْنُ عِطَاءٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ سَبَّاحٍ ،  
وَعِنْدَهُ رَسُولُ مَلِكِ الْخَزَرِ ، وَهُوَ يَحْدُثُنَا عَنْ أُخْتٍ لِمَلِكِهِمْ ، قَالَ : أَصْبَحْنَا  
سَنَةً احْتَدَمَ شَوَاطِئُهَا عَلَيْنَا بِحَرِّ الْمَصَائِبِ ، وَصَنُوفِ الْأَقَاتِ ؛ فَفَرَّعَ النَّاسُ إِلَى  
الْمَلِكِ ، فَلَمْ يَذَرْ مَا يُجِبُهُمْ بِهِ ، فَقَاتَلَتْ أُخْتَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ؛ إِنْ الْخُوفُ لِلَّهِ خَافَ  
لَا يَخْلُقُ جَدِيدُهُ ، وَسَبَبُ لَا يَمْتَنِعُ عَزِيزُهُ ، وَهُوَ دَالُّ الْمَلِكِ عَلَى اسْتِصْلَاحِ رَعِيَّتِهِ .  
وَوَازِيرُهُ عَنْ اسْتِفْسَادِهَا ، وَقَدْ فَرَّعَتْ إِلَيْكَ رَعِيَّتَكَ بِفَضْلِ الْعَجْزِ عَنِ الْإِنْبَاءِ  
إِلَى مَنْ لَا تَزِيدُهُ الْإِسَاءَةُ إِلَى خَلْقِهِ عِزًّا ، وَلَا تَنْقُصُهُ التَّوَدُّ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مُلْكًا .  
وَمَا أَحَدٌ أَوْلَى بِحِفْظِ الْوَصِيَّةِ مِنَ الْمَوْصِي ، وَلَا بِرُكُوبِ الدَّلَالَةِ مِنَ الدَّالِّ ، وَلَا يُحْسِنُ  
الرَّعَايَةَ مِنَ الرَّاعِي . وَلَمْ تَزَلْ فِي نِعْمَةٍ لَمْ تَغْيِرْهَا رِقْمَةً ، وَفِي رِضًا لَمْ يَكْذُرْهُ سُخْطٌ ،  
إِلَى أَنْ جَرَى الْقَدَرُ بِمَا عَمِيَ عَنِ الْبَصَرِ ، وَذُهِلَ عَنْ الْحَذَرِ ، فَسَلَبَ الْمَوْهُوبُ ،  
وَالْوَاهِبُ هُوَ السَّالِبُ ؛ فَذُئِلَ إِلَيْهِ بِشُكْرِ النِّعَمِ ، وَعُذِيَ بِهِ مِنْ فَطْيَعِ الثَّقَمِ ، فَتَنَّى  
تَنَنِي يَنْسَكَ ، وَلَا يَحْمِلُنَّ الْحَيَاءُ مِنَ التَّذَلُّلِ الْمَعْرَ اللَّذِلِ سِتْرَا يَنْتَكِ وَ مِنْ رَعِيَّتِكَ ،  
فَتَسْتَحِقُّ مَذْمُومَ الْعَاقِبَةِ ؛ وَلَكِنْ مَرُّهُمْ وَنَفْسُكَ بِصَرْفِ الْقَنُوبِ إِلَى الْإِقْرَارِ لَهُ  
بَكُنْهُ الْقُدْرَةِ ، وَتَذَلُّ الْأَلْسُنِ فِي الدَّعَاءِ بِمَحْضِ الشُّكْرِ لَهُ : فَإِنَّ الْمَلِكَ رَبَّنَا  
عَاقَبَ عَبْدَهُ لِيَرْجِعَهُ عَنْ سَيِّئٍ فَعَالٍ إِلَى صَالِحِ عَمَلٍ ، أَوْ لِيَنْبَعِثَهُ عَلَى دَائِبِ شُكْرِ  
لِيُخْرِزَ بِهِ فَضْلَ أَجْرِهِ .

فضل أخت  
ملك الخزر

فَأَمَرَهَا الْمَلِكُ أَنْ تَقُومَ فِيهِمْ فَتَنْذِرَهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ ، فَفَعَلَتْ ، فَرَجَعَ الْقَوْمُ وَقَدْ

علم الله منهم قبيل الوغظ في الأمر والنهي ؛ فعال عليهم الخول وما مهم مفقد  
 رِفعةٍ كان سُلْبُهَا ، وتوارثت عليهم الزيادات بجعل الصنع ؛ فاعترف لها الملك  
 بالفضل ، فقلدها الملك ؛ فاجتمعت الرعية لها على الطاعة في المكروه والمحبوب  
 قال : وهذا هم أعداء الله تعالى ، وضرائر رِفته ، ومستوجبو رِفته ، أعاد لهم  
 بالشكر ما أرادوا ، وأعطاهم بالإقرار له بكنه قدرته ما تمنوا ، فكيف بمن نجمه على  
 الشكر نوران اثنان : قرآن منزل ، ونبي مرسل ، لو صدقت النيات ، واجتمعت  
 على الاقتدار إليه الطلبات ؛ لكنهم أنكروا ما عرفوا ، وجعلوا ما علوا ، فانقلب  
 جدم هزلا ، وسكوتهم خيلا .

قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبمدحهم

غضب كسرى أنوشروان على بعض مرازبه ، فقال : يُحطُّ عن مرتبته ،  
 ولا ينقص من صلته ؛ فإن الملوك تؤدّب بالمعرجان ، ولا تعاقب بالحرمان .  
 واصطنع أنوشروان رجلا قتيلا له : إنه لا قديم له . قال : اصطنعنا  
 إياه شره .

قال معاوية رضى الله عنه : نحن الزمان ، من رفعتنا ارتفع ، ومن وضعنا  
 انضاع . وكان يقول : إني لآنف من أن يكون في الأرض جهل لا يسمه حلي ،  
 وذنب لا يسمه عفو ، وحاجة لا يسمها جود .  
 عبد الملك بن مروان - أفضل الناس من تواضع عن رِفته ، وعفا عن قدره ؛  
 وأنصف عن قوته .

زياد - استشفعوا بِن ورائكم ؛ فليس كل أحد يصل إلى السلطان ، ولا كل  
 من وصل إليه يقدّر على كلامه .

المهلب - عجت لمن يشتري الممالك بماله ، كيف لا يشتري الأحرار

بمعروفه ! وقد روى هذا لابن المبارك . وقال لبنه : يا بني ؛ أحسن ثيابكم ما كان على غيركم .

قال أبو تمام الطائي يَسْتَهْدِي فَرَوْا ، وعرض بقول المهلب :  
 فهل أنت مُهْدِيه بمثل شكير<sup>(١)</sup> من الشكر يعلو مصدا أو يصب<sup>(٢)</sup>  
 فانتَ العليمُ الطب أي وصية بها كان أوصى في الثياب للمهلب<sup>(٣)</sup>  
 يزيد بن المهلب — استكثروا من الحمد ؛ فإنَّ الدَّمَّ قُلٌّ من ينجو منه .  
 السفاح — ما أفتَحَ بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من أمرها .  
 المؤمن — إنما تَطْلُبُ الدنيا لثَمَلِك ، فإذا مُلِكت فلتوهب . وقال : إنما  
 يَتَكَثَّرُ بالذهب والفضة من يَقلَّان عنده .

الحسن بن سهل — الأطراف مَنَازِلُ الأشراف ؛ يتناولون ما يزيدون بالقُدرة ،  
 وينتابهم مَنْ يريدُهم بالحاجة . وتعرض له رجل فقال له : من أنت ؟ قال : أنا  
 الذي أحسنتُ إلى يوم كذا وكذا . فقال : مرحباً بمن توصل إلينا بنا .  
 ولما أراد المنتعم أن يشرف أشناس التركي بعقب فتَحَ الخزمية أمر أصحاب  
 المراتب بالترجل إليه ، فترجل إليه الحسن بن سهل ، فنظر إليه حاجبه يمشي ويتعثر  
 في مشيه ، فبكي ، فقال : ما بيكيك ؟ إن الملوك شرفتنا وشرفت بنا .

### ومن كلام أهل المصر

للأمير شمس المالك قابوس بن وشمكير<sup>(١)</sup> — مَنْ أَقْدَمَتْهُ نِكَايَةُ الأَيَّامِ أَقَامَتْهُ  
 إِغَاثَةُ الكَرَامِ ؛ ومن ألبسه الليلُ ثوب ظلماته نزعته النهار عنه بضياته .

(١) شكير : شعرة ، يريد أن هديتك لاتساوي شعرة من شكره ، ويعلو ويصب :  
 يرتفع وينخفض :

(٢) الطب — بالفتح — الماهر الحاذق بجملة ؛ وهو أيضا الفحل الحاذق بالضراب

(٣) له ترجمة في ابن خلكان ( رقم ٥١٢ بتحقيقنا ) وبتيمة الدهر للتالي (م)

وله : ابتناه المناقب باحتال المتاعب ، وإحرازُ الذِّكر الجليل بالسَّعى في  
الخطب الجليل .

الصاحب بن عباد :

وقائلة : لِمَ عَرَّكَ المومُ وأَمَرَكُمُتَّشَلٌ في الأَمَمِ ؟

قلت : ذَرَيْتِي لِمَا أَشْتَكِي فَإِنَّ المومَ يَقْدِرُ اليَمَمُ

أبو الطيب المتنبي :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لِدَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الهمِّ أَخْلَاهُمُ مِنَ النِّعَاطِ

أبو الفتح البسي :

صَاحِبُ السُّلْطَانِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ هُمُومٍ تَقَرِّبُهُ وَغُتْمٍ  
وَالَّذِي يَرْكَبُ بَغْزاً سَبَرَى قُتَمَ الْأَهْوَالِ مِنْ بَعْدِ قُتَمِ (١)

ومن كلام الملوك الجاري مجرى الأمثال

أردشير - إذا رغبت للوك عن القَدَلِ رَغِبْتَ الرَعِيَّةَ عَنِ الطَّاعَةِ .

أفريدون - الأَيَّامُ صَحَائِفُ أَجَالِكُمْ ، تَخْلُدُهَا أَحْسَنُ أَعْمَالِكُمْ .

وقيل للإسكندر : مَا بَالُ تَغْظِيكَ لِمُؤَدِّبِكَ أَكْثَرَ مِنْ تَغْظِيكَ لِأَيِّكَ ؟

قال : لِأَنَّ أَبِي سَبَّبُ حَيَاتِي الْفَانِيَّةَ وَمُؤَدِّبِي سَبَّبُ حَيَاتِي الْبَاقِيَةَ .

ودخل محمد بن زياد مؤدِّبُ الوائق على الوائق ، فأظهر إكرامته ، وأكثَرَ

إِعْظَامَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ هَذَا أَوَّلُ مَنْ قَتَقَ لِسَانِي  
بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَأَذَنَانِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .

وأشير على الإسكندر بتبيت الفرس (٢) ، فقال : لِأَجْلِ غَلْبَتِي سَرِقَةٍ . وقيل

له : لَوْ تَزَوَّجْتَ بِنْتَ دَارَا ؟ قَالَ : لَا تَغْلِبُنِي امْرَأَةٌ غَلَبَتْ أَبَاهَا .



أبوشروان - الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يصر سطح بيته بما يقتلعه من قواعد بنيانه .

أبريز - أطيع من [ فوقك يطلعك من ] دونك .  
 السفاح - لأن من أذق الناس ووضأهم من عد البخل حرماً ، والفو ذل .  
 وكان يقول : إذا كان الحلم مفسدة كان الفو متعجزة ، والصبر حن إلا على ما أوقع بالدين ، وأوهى السلطان ؛ والأناة عمودة إلا بعد إمكان الفرصة .  
 وقد قال ابن المعتز :

كم فرصة ذهبت فادت غصة تشجي بطول تلحف وتندم<sup>(١)</sup>  
 ولما عزم النصور على القتلك بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى ،  
 فكتب إليه :

إذا كنت ذارأي فكن ذاندبر فإن فاد الرأي أن تتحلا  
 فأجابه للنصور :  
 إذا كنت ذارأي فكن ذاعزيمة فإن فاد الرأي أن ترددا  
 ولا تهمل الأعداء يوما بشدوة وبادرهم أن يلكوا مثلها غدا<sup>(٢)</sup>  
 وهذا في موضعه كقول الإمام علي كرم الله وجهه : من فكر في العواقب  
 لم يشجع  
 وقال سعد بن نشب فأفرط<sup>(٣)</sup> .

- (١) النص : ما اعترض في الخلق ، وتشجي : تحدث الشجا وهو النص ، وغصمت ، بالكسر والفتح ، نص ، بالفتح ، غصما ، فأنت غاص وغصان .  
 (٢) في نسخة « ولا تهمل الأعداء يوما بجدرة » (م) .  
 (٣) وأول هذه القطعة :

سأغسل عني السار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا  
 وأذهل عن دارى وأجل هدميا لمرضى من باقى اللزمة حاجيا  
 (١٥) - زهر الآداب (٩)

لسعد بن ناسب

عليكم بدارى فهدموها ؛ فليها<sup>(١)</sup> تراث كريم لا يحذف العواقب<sup>(٢)</sup>  
 إذا هم ألقى بين عينه عزيمته ونكب عن ذكر العواقب جانباً  
 ولم يستشِرْ رأيه غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً  
 ساعِل عن العار بالسيف جالباً على قضاء الله ما كان جانباً  
 ويعصفر عيني تلادري إذا انتنت يعني يذراثر الذي كنت صاحباً  
 وكان سعد من مردة العرب وشياطين الإنس . وفيه قول آخر :  
 وكيف فنيق الدهر سعد بن ناسب وشيطانه عند الأهنة يخمرغ  
 كتب مروان بن محمد الجعدي إلى عبد الله بن علي بن أبي حفصة حرمة . فقال  
 له : الحق لنا في دمك ، وعلينا في حرمتك .

وقال الرشيد لإسماعيل بن صبيح : إياك والدالة<sup>(٣)</sup> فينب نفس حرمة ، ومنها  
 ألقى البرامكة .

وقال المأمون : لنلوك تحتل كل شيء ، إلا ثلاثاً : إفتاء السر ، والقدح  
 في الملك ، والتعرض للحرم .

المتنصم إذا نصير الهوى بطل الرأى .

المتنصر - لذّة العفو أطيب من لذّة التشقّ . وذلك لأنّ لذّة العفو يلحقها  
 حقد العاقبة ، ولذّة التشقّ يلحقها ذمّ الندم .

(١) رواية الخامسة : « فإن تهتموا بالنذر داري »

(٢) وبعد هذا البيت . وي صاحب الخامسة :

أخى غمرات لا يريد على القى بهم به من مضطح الأمر مسج

إذا هم لم تردع عزيمته ولا بات ما يأت من لأمر هب

فيا لوزام رشحوا في منمما إلى اللوت خواصاً به نكثنا

(٣) الدالة : ما مل به على سديك من خير قدمه . وفي الأصل (الدة) وهو خريف

والمتصر يقول عن تجربة ؛ لأنه قتل أباه المتوكل ، والأمر في ذلك أشهر  
من أن يُذكر ، ولكني أليح منه باليسير :

مقتل المتوكل  
العباسي

كان المتوكل قد عقد لولده المتصر والمتمز والزيد ولاية العهد ، ثم تغير على  
المتصر دون أخوينه ، وكان يسميه المنتظر ، ويقول له : أنت تمنى موتي ،  
وتنتظر وقتي ! ويأمر الندماء أن يعيثوا به ، إلى أن أوغر صدره ، وأقل صبره ؛  
فلما كانت ليلة الأربعاء ثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان  
المتوكل يشرب مع الفتح في قمره المعروف بالجفري ، ومعه جماعة من الندماء  
والغنيين ، وكان المتصر معهم ، فلما انصرفت ثلاث ساعات من الليل قال لزدلفة  
التركي : ألا تسمي ساعة حتى أشكو إليك ما يمر بي ؟ قال : بلى ، وجعل يحاطله  
و يلدوه ، وعلق بها الشرائب الأبواب كلها إلا باب الماء ، ومنه دخل الذين قتلوه ،  
فوق من ضربه باغر التركي ضربة قطع بها حبل عاتقه ، وتلقاه الفتح بنفسه  
فاكب عليه ، فقتلا جميعا ، وبويع المتصر من ساعته ، وكانت مدة المتصر في  
الخلافة مدة شيرويه ابن كسرى — حين قتل أباه — ستة أشهر .

لإبراهيم بن  
أحمد الأسدي  
يرى المتوكل

وقال إبراهيم بن أحمد الأسدي يرى المتوكل :

هكذا فلتسكن متايلا الكرام بين ناي ومزهر ومُدام  
بين كأسين أروثاه جميعا كأس لذاته وكأس الحِمام  
يقط في السرور حتى أتاه - قدر الله - حنقه في المنام  
والمدايا تراب يفاضلن ويلزهنات موت الكرام  
لم ير نفسه رسول اللإيا بصوف الأوجاع والأستقام  
هابة مُعلنا فدب إليه في سُتور الدُجى بحد الحسام

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن إبراهيم التيمي ، قال يرى عيسى بن خلف لعبد الكريم  
صاحب خراج المغرب ، وكان قد تناول دواء فأت بسببه :

التيمي يرى  
صاحب خراج  
المغرب

متايلا سدوت الطوق عنها ولم تدع لها من ثنأيا شاعقي متطلما

فلما رأت سُورَ المهابة دونها  
ترقت بأسبابٍ لطافٍ ولم تكذب  
فجاءتك في سيرٍ الدواء خفيفة  
فلم أر مالا يُتقى مثل سَهْمِها

وقد رثاه البحري ويزيد المهلبى بمرثيتين من أجود ما قيل في مئامها ، وكافا  
حاضرين ليلة قتلِه . فاخفى أحدهما في طي الباب ، والآخر في قناة الشاذروان ؛  
فن قصيدة البحري :

تفسير حسن الجفري وأنت  
تمحل عنه ما كنوه فجاءة  
ولم أر مثل القصير إذ بيع سيره  
وإذ صيغ فيه بالرحيل فهتكت  
إذا نحن زُرناه أجد لنا الأسي  
فأين عيّد الناس في كل نوبة  
نحني له مُقتاله تحت غيرة  
صريع تقاضاه السيوف حشاشه  
حرام على الراح بكك أو أرى  
وهل دُرُجتي أن يطلب الدم طالب  
فلا ملئ الباقي تراث الذي مضى

البحري في رثاء  
التوكل

وقوس هادي الجفري وحاضرة  
فأصت سواء دُورُه ومقابرُه<sup>(١)</sup>  
وإذ ذُيعرت أطلاؤه وجاذرُه<sup>(٢)</sup>  
على عجل أشتاره وستاره  
وقد كان قبل اليوم يهتج زائرُه  
تنوب ونالهم الدهر فيهم وأمرُه<sup>(٣)</sup>  
وأولى لمن يقتاله لو يحاهرُه  
يمود بها والموت حُرُّ أظافرُه  
دما بدم يجرى على الأرض مائرُه  
مدى الدهر والموتور بالدم وآثرُه<sup>(٤)</sup>  
ولا حلت ذاك الدعاء متآبره

(١) آصت: صارت (٢) الأطلاء: جمع طلاء، وهو ولد الظلة ، والجآذر: جمع  
جؤذر، وهو ولد البقرة (٣) قبل هذا البيت :

فأين الحجاب الصب حيث تمت بهبتها أبوابه ومقاصره  
وأين عيّد الناس — إلخ (٤) الموتور هو الوارث ؛ لأن الذي قتل للتوكل هو ابنه

وهي طويلة<sup>(١)</sup>، وكان أبو العباس يطلب يقول فيها : ما قيلت هاشمية أحسن منها ، وقد صرح فيها تصريح<sup>(٢)</sup> من أذهله المصائب عن مخوف المواقب .

وإذا كان البحترى يرتفع في كثير من شعره إلى ذكره وذكر الفتح بن خاقان ، فمن ذلك قوله لبعض من بعده :

تداركي الإحسان منك ، ونالني  
ودافعت عني حين لا الفتح يرتجى  
على فاقية ذاك الندى والتطويل  
لدفن الأذى عني ولا للتوكل  
وقال :

مضى جفر<sup>(٣)</sup> والفتح بين مؤسدي  
أأطلب أنصاراً على الدهر بعدما  
وبين قتيل في السماء مفرج  
توى منها في التراب أوسى وخزرجي<sup>(٤)</sup>  
وقال في غلام له :

عسى آيس من رجعة الوصل يوصل  
أيا سكناً فات الفراق بنفسه  
ودهر<sup>(٥)</sup> تولى بالأحبة يُفعل  
وحال<sup>(٦)</sup> التلادى دونه والتزيل  
ولم يحترم نفس الحيام المعجل  
وقارنى شفعاً له للتوكل  
فأبلغ الفتح منى مودعاً  
ولا فصل التوكل الذي خلت بفعل  
وقال أبو خاند يزيد بن عماد المهلبى في قصيدة أولها :

لا وجد إلا أراه دون ما أجد  
ولا كمن هددت غيناي مفتقد  
يزيد بن محمد  
المهلبى يرقى  
التوكل

(١) ومن جيدها قوله :

أدافع عنه بالدين ، ولم يكن  
ولو كان سيف ساعة الفتك في يدي  
لثنى الأعادى أعزل الليل حاسره  
دري القاتك العجلان كيف أساوره  
فمن هب أن ولي العهد غادره

(٢) مات أومه وخزرجه : مثل في قد التصير لأن الأوس والخزرج يضرب بهما للث العالي في الصرة .

يقول فيها :

لا يَبْمَدَنَّ هَالِكٌ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ      كَاهَرَى مِنْ عَضَاهِ الزَّيْةِ الْأَسَدُ (١)  
 جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْمَيْنُ هَادِيَةٌ      هَلَّا أَتَتْهُ لِلنَّالِ وَالْقَنَا قَصْدُ (٢)  
 غُرٌّ فَوْقَ سَرِيرِ الْمَلِكِ مُنْجَدٍ لَا      لَمْ يَحْمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمْدُ  
 لَا يَدْفَعُ النَّاسُ ضَيْمًا بَعْدَ لَيْلَتِهِمْ      إِذْ لَا يَهْرُ إِلَى الْجَانِي عَلَيْكَ يَدُ  
 عِنْدَكَ أَسِيفٌ مَنَ لَا دَوْتَهُ أَحَدٌ      وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمَدُ  
 إِذَا بَكَيْتُ فَإِنَّ السَّمْعَ مُنْهَلٍ      وَإِنْ رَقَيْتُ فَإِنَّ الشَّعْرَ مُطَرَّدُ  
 إِنَّا قَدْ نَاكَ حَتَّى لَا اصْطَبَرَ لَنَا      وَمَاتَ قَبْلَكَ اقْوَامٌ فَمَا قَدْ دَا  
 قَدَكُنْتُ أَشْرَفُ وَمَالِي فَتُخْلِفُهُ      فَصَلَّتْنِي الْبَالَى كَيْفَ أَتَصِيدُ

وقال فيها يذكر الأتراك . ويحضر على اصطناع العرب :

لَمَّا اعْتَقَدْتُمْ أَنَّنَا لَا حِفَاطَ لَكُمْ      ضَيْمٌ وَضَيْمٌ مَنَ كَانَ يُعْتَقَدُ  
 وَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى الْأَحْرَارِ شَعْمَتَكُمْ      حَتْمُ الدَّادَةِ الْمُنْسُوبَةِ الْحَشْدُ (٣)  
 قَوْمٌ مِمَّنْ الْأَصْلُ وَالْأَسْلَمُ يَجْمَعُكُمْ      وَالِدِينَ وَالْجُدَّ وَالْأَرْحَامَ وَالْبَلَدُ  
 بِنَ الْعَيْدِ إِذَا أَظْلَمَتْهُمْ صَلَحُوا      عَلَى الْهَوَانِ وَإِنْ أَكْرَمَتْهُمْ قَدُوا  
 وَقَالَ أَبُو حَيَّةٍ الْبَغْدَادِيُّ (٤) :

رَمَتْهُ نَفَاةٌ مِنْ رَيْبَةٍ عَامِرٍ      تَوْهَمُ الْعَشَى فِي مَأْتَمٍ أَيْ مَأْتَمٍ (٥)

لأبي حية  
البحري

(١) الضاه : جمع عاضة . وهي الحية تقتل لساعتها ، والزية : تلمة الأسد

(٢) قصد : جمع قصد - على وزن كنف - أى متكرر .

(٣) الدادة : جمع ذات دوهو المدافع ، والحشد جزمين جمع حشد ، على وزن كنف ،

وهو من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة والمال (٤) هو الهيم بن ربيع

لتوفى نحو سنة ١٦٠ (٥) رواية الحماسة «رمت نفاة» والأناة : المرأة فيها تورع عند القيام .

وللأتم : كل مجتمع في حزن أو فرح ، أو هو خاص بالنساء . أو بالشواب من =

فَقَنَّ هَاقِ السَّرَّ: فَذِيكَ لَا تَرَحْ صَحِيحًا وَإِلَّا تَقْتَلِيهِ فَأَلْيَسِي  
فَأَلَقْتُ قَنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَتَقْتُ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفِّ وَمَعْتَمِ  
وَقَلْتُ فَلَا أُرَغْتُ فِي فُؤَادِهِ وَعَيْنِي مِنْهَا الْحَرَّ قَالَتْ لَهُ تَحْمِ  
فَأَصْبَحَ لَا يَذُرُّ أُنْفَى طَلَّةِ الضَّحَى تَرَوِّحْ أَمْ دَلِجْ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ<sup>(١)</sup>  
أَخَذَ قَوْلَهُ: « فَأَلَقْتُ قَنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ » مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي :  
فَأَمْتُ تَرَأَى بَيْنَ سَجْفَى كِلْتَا كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْمَدِ<sup>(٢)</sup>  
سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْ وَأَتَقْنَا بِالْيَسَدِ  
وَقَالَ أَبُو حِيَّةَ يَرْبَى سَلْمَةُ بْنُ عِيَّاشَ :  
كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ فِي الْبَاسِ لَمْ يُجِبْ بِهِ اللَّيْلَ وَالْبَيْضَ الْقِلَاصُ الْجَنَابُ  
إِلَى النِّصَابِ الْقَعْوَى ، وَلَمْ تَهْدِ قَتِيَّةً كَرَامًا وَنَحْطُوهُ الْخَطُوبُ النَّوَابُ  
وَيُمِيلُ عَتَاقَ الْعَيْسِ حَقِّي كُنْهَا إِذَا وَضِعَتْ عَنْهَا الْعَلَايَا الْمَشَاجِبُ<sup>(٣)</sup>

لَأَبِي حِيَّةَ  
الْقَمِيرِي يَرْبَى  
سَلْمَةُ بْنُ عِيَّاشَ

= النِّبَاءُ ، وَتَوْحُودٌ : كَثِيرَةُ النَّوْمِ ، وَتَوْحُودُ الضَّحَى كُنَايَةُ عَنِ الْمَرَاةِ التَّرَفَةِ . وَبَعْدَ هَذَا  
الْبَيْتِ كَمَا فِي الْحَمَاسَةِ :

جَاءَ تَحْطُوطُ الْبَسَانِ لَا مَتَابَعٍ وَلَكِنْ بِسَاءِ ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمٍ  
وَالْحَوُطُ : النَّصْنُ الرُّطِيبُ ، وَالْيَمِيسَمُ - بِالْكَسْرِ - آثَرُ الْحَسَنِ ، وَمِثْلُهُ الْوَسَامَةُ .  
(١) مَوْدَى الْبَيْتَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ أَنَّهُ نَامَ فِي حَمَى تِلْكَ الْقَتَاةِ ، وَلَكِنْ رَوَايَةُ الْحَمَاسَةِ  
تَوْدَى مَعْنَى يَخَافُ هَذَا ؛ إِذْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ رَحَلَ مَزُودًا بِالْحَسْرَةِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ :  
وَقَالَتْ فَلَا أُرَغْتُ فِي فُؤَادِهِ وَعَيْنِي مِنْهَا الْحَرَّ قُلْتُ لَهُ قَمْ  
فَوَدَّ بِجَمْعِ الْأَنْفِ لَوْ أَنَّ حَبْبَهُ تَنَادَوْا وَقَتَلُوا فِي الْمَنَاحِ لَهُ نَمْ  
فَرَّاحٌ وَمَا يَذُرُّ أُنْفَى سَاعَةِ الضَّحَى تَرَوِّحْ أَمْ دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ  
وَالظَّاهِرُ أَنَّ سَابِغَ زَهْرِ الْأَدَابِ كَانَ يَسْتَمَلُّ ذَاكَ رَتَبَهُ فَخْوَئِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ .  
(٢) الْكَلَّةُ : النَّامُوسِيَّةُ (٣) الْعَيْسَى : الْجَمَالُ ، وَالْعَلَايَا : الْأُمْتَةُ ، مَفْرَدُهَا عَلِيَانُ ،  
بِالْكَسْرِ . وَالْمَشَاجِبُ : أَعْوَادٌ مِنْ خَشَبٍ تَطْلُقُ عَلَيْهَا الثِّيَابُ ، مَفْرَدُهَا مَشْجَبٌ ،  
وَفِي نَسْخَةٍ « إِذَا وَضِعَتْ عَنْهَا الْوَلَايَا » وَالْوَلَايَا : جَمْعُ وَلِيَّةٍ - بوزن عطية - وَهِيَ الْبُرْذَعَةُ .

بمسد مثاني المم يُنسي وماله  
 يروم جسيات التلا فيلما  
 فلف ينس وحشا باه ظربما  
 يحون بساما كان جينسه  
 وما غلب من غلب يرجى لياه  
 ولكنه من ضمن اللعد غائب

وزعم الصولي أن أبا حية إنما قالها في محمد بن سليمان بن علي بن عبيد الله بن عباس .  
 وكان أبو حية جيد الطبع ، مألوف الكلام ، رقيق حواشي الشعر .

[ مجنون بن عامر ]

وسئل الأصمعي عن قيس بن الملوح المجنون ، قال : لم يكن مجنونا ، وإنما  
 كانت به لؤة كلوة أبي حية <sup>(٣)</sup> ، وهو القاتل :

رمتي وسرغ الله بيني وبينها  
 رميم التي قالت لجلوات بيتها :  
 ألا رب يوم لورمتني رمتها  
 ولكن عدى بالنضال قديم  
 فيا عجبا من قاتل لي أوده  
 أشاط دمي شخص على كريم <sup>(٤)</sup>  
 يرى الناس أني قد سلوت ، وإنني  
 لمدت أخواه الضلوع سقيم <sup>(٥)</sup>  
 وأنشدني إسحاق بن إبراهيم اللؤلؤي في مثله ، ولم يسم قاتله :

هل الأدم كالآرام والزهر كالنسي معاودتي أيامهن الصواجم <sup>(٦)</sup>

(١) السريجي : نسبة إلى سريج ، وهو قين كان مضرب المثل في صنع السيوف  
 (٢) وحش : موحش لا أنيس به (٣) اللؤة — بالضم — مس الجنون  
 (٤) أشاط : أحرق (٥) لمدت : هو المريض تقل عليه المرض ، والأخاء : جمع  
 أخو ، بالكسر والفتح ، وهو كل ما فيه اعوجاج من عظم البدن (٦) الأدم : جمع أدماء  
 وهي السمراء ، والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء . وفي الأصل (الزهر) وهو تحريف  
 و « كالآرام » متعلق بمحذوف حال من الأدم ، ومثله « كالدمي » وقوله « معاودتي »  
 خبر المبتدأ (م)



زَمَانٌ يَسْلَحِي بَيْنَهُنَّ شَيْبَقُ لَهَا سَافٌ مِنْ حَسَنٍ وَرَامِحٌ<sup>(١)</sup>  
فَاتَمَسْنَ لَا يَسْقِيْنِي قَطْرَ مَرْثَةٍ لِشَيْبِي وَلَوْ سَأَلْتُ بِهِنَ الْأَطْحَ  
وَقَالَ هَارُونَ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ يَحْيَى النَّجَّمَ<sup>(٢)</sup>

لهارون بن علي  
ابن يحيى النجم  
في الشباب

الْقَانِيَاتِ عَهْدُهُنَّ إِلَى انْصِرَامِ وَأَخْصَلَبَ  
مَنْ شَابَ شَيْبَنَ لَهُ الْمَوْدُ بِالْخُدَيْمَةِ وَالْكَذَّابِ<sup>(٣)</sup>  
فَاتَمَسَ بِهِنَّ وَزَدُنَّ سَيْكََ فِي الشَّيْبَةِ غَيْرُ خَابِي<sup>(٤)</sup>  
مَا دُمْتُ فِي رَوْقِ الصَّبَا وَغَصْوَةِ الْخَضِرِ الرَّطَابِ<sup>(٥)</sup>  
فَافْتَحَرُ بِأَيَّامِ الصَّبَا وَاخْلَعُ عِذَارَكَ فِي التَّصَابِي  
وَاعْطِ الشَّبَابَ نَصِيهَ مَا دُمْتُ تَعْدِرُ بِالشَّبَابِ

لأشجع السلي  
في الشباب

وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السُّلِيِّ :  
وَمَا لِي لَا أُعْطِيَ الشَّبَابَ نَصِيهَ وَغَصْنَاهُ يَهْتَزُّانِ فِي عُودِهِ الرُّطَبِ  
رَأَيْتُ الْيَالِيَّ يَتَمَهَّنُ شَيْبَقُ فَأَسْرَعْتُ بِالذَّاتِ فِي ذَلِكَ التَّهْنِ  
فَلِنْ بَنَاتِ الدَّاهِرِ يَخْطُلْنَ لَدُنِّي قَدْ جَزُنَ سَلَمَى وَاتَمَّتْ لِي إِلَى حَرَبِي  
وَقَدْ حَوَّلَتْ حَالِي الْيَالِيَّ وَأَسْرَجَتْ عَلَى الرَّأْسِ أَمْثَالَ الْقَتِيلِ مِنَ الْقَطَبِ  
وَمَوَتْ الْقَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ إِذَا كَانَ ذَا حَلَيْنَ يَصْبُؤُونَ وَلَا يُعْنِي  
وَقَالَ آخَرُ :

مَا التَّيْشُ إِلَّا أَنْ تَحْسَبَ وَأَنْ يَحْبِكَ مَنْ تُحْبَةُ

فَقَرَّرْتُ تَصِلَ بِهِذِهِ الْآيَاتِ . فِي وَصْفِ الشَّبَابِ

أَطَاعَ الشَّبَابَ وَغَرَّتُهُ ، وَأَجَابَ الصَّبَا وَشَرَّمَتْهُ . جَرَّ لِزَارِ الصَّبَا ، وَأَذَالَ

(١) سَافٌ : اسم الفاعل من « ساف يسيف » أي ضرب بالسيف ، ورامح :

اسم الفاعل من « رمح يرمح » أي ضرب بالرمح ، والكلام على الاستعارة (م)

(٢) هو منجم اشتهر بجم الهيئة وعمل آياتها ، توفي في سنة ٣٧٦

(٣) شَبَنَ : مزجن (٤) غير خاب : غير منطفيء ، وقال خبابه إذا سكن فورغضبه

(٥) رَوْقِ الصَّبَا : أوله ، وفي الأصول « ورق » تحريف جله ذكر الصون (م) .

ديول الهوى<sup>(١)</sup>، ورَكض<sup>(٢)</sup> في ميدان التصابي، وحنى نمرات الملاهي. هو في اقتبال  
شبابه، وحدائه أترابه<sup>(٣)</sup>، ورَيَّانُ عمره، وعُنفوانُ أمره، هو في إِيَّانِ شبابه واعتداله  
ورِيَّانُ إقباله واقتباله. بَشَّه على ذَلِكَ أَشْرُ العبا، ولينُ الفُضن، وشرَحُ الشيبية  
وسكر الحداثة. فَتَى السن، رطيب الفُضن، عمره في إقباله، ونشاطه في استقباله،  
وشبابه في اقتباله، وماؤه بحاله. فلان في حكم الأطفال، الذين لم يَفْضُوا على  
تَوَاحِدِ الرجال. هو في عُنْفوانِ شيبية تخاف سقطاتها وهفواتها، ولا يؤمن  
جَمِحاتها وترواتها. هو في سُكْرِي الشباب والشراب. وبين نزوات الشبان.  
وتَرَعَّاتِ الشيطان. شبابُه أَعْمَى عن الرشد، أَسْمَمَ عن القُدل، قد لَبَّى دَائِعِي  
هواه، وانغمس في لَعَجَةِ صباه. قد هَجَمَ بِسُكْرِ الحداثة على سكرات الحوادث.  
يَجْرِي إلى الصَّبَا جَرَى الصَّبَا. فلان غَفَلَ من سِمَةِ التَّجَرُّبَةِ، جامع في عِذار  
القَفْلة، صَنَبُ الرَأْسِ<sup>(٤)</sup> على لجام العظلة. هو مِنْ سُلْطانِ الصَّبَا في التَّوْبَةِ الأولى.  
قد خلع عِذاره ومقوده، وأَلْقَى إلى البطالة يَدَهُ وَيَدَهُ. هو بين حُمَارِ القِدَاة وسكر  
الصَّبِي<sup>(٥)</sup> لا يعرف الصَّحْو، ولا يفارق اللهو. فلان لا يَفِيق، ولا يذكر التوفيق.  
هو بين غَرَرِ الشباب، وغَرَرِ الأحباب.

ويتعلق بهذه الألفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترشحهم للمعالي  
قد جمع نَصَارَةَ الشباب إلى أُنْبِيَةِ الشَّيْبِ، وهو على حدوث ميلاده وقرب  
إسنده شيخ قَدَرٍ وَهَيْبَةٍ، وإن لم يكن شيخَ سِنَّةٍ وَشَيْبَةٍ. هو بين شباب مُتَبَلِّغٍ،  
وعقل مُكْتَمِلٍ. قد نَبَسَ بُرْدَ شبابه على عَقْلِ كهل، ورَأَى جِزْلَ، ومتعلق بفصل.  
لدهرفه مقاصد، وللأيام فيه مَوَاعِدَ، أرى له في فصل ضمانِ الأيام ودوائع الحظوظ

(١) أذال : أهان (٢) ركض : جرى

(٣) الأتراب : للتساوون في السن. (٤) أحبه « معب الراس » (م)

(٥) الحمار بالمضم - ما يهترى - : ائثارب من الأم عند فقد الشرب

والأقسام ، تبشيرة نجيح ، وتحاييل نصري وضع . قد استكمل قوة القضاة ، ولم  
يتكامل له سائر الكمال . مازالت تحاييله وليدا وناشئا ، وشماله صغيراً وباضاً ،  
فواطىء بالحسن عنه وضوايمن النجح فيه ! قد سما إلى مراتب أعيان الرجال ،  
التي لا تدرى إلا مع الكمال والاكتمال . تحدث عزائمه ، قبل أن حلت تمامه ،  
وشهدت مكرامته ، قبل أن تدرج لدانته <sup>(١)</sup> .

البحري

وقال البحري :

لا تنظرون إلى الباس من ضرر      في السن وانظر إلى المجد الذي شاداً  
إن النجوم نجوم الأفق أصغرها      في العين أذهبا في الجو إسناداً  
وقال آخر :

رأيت القل لم يصكن انتهاياً      ولم يقسم على قدر الدنيا  
فلو أن السنين تقسمته      حوى الأباه أنصبه البنينا  
وقال الفضل بن جعفر الكاتب :

الفضل بن جعفر  
الكاتب

فإن خلقته السن فالتقل بالغ      به رتبة الكمال النوهل لمجد  
قد كان يعنى أوق الحكم قبله      صيباً وعيسى كلم الناس في المهد

[ عما قيل في أثر الأيام والليالي ]

وكان أبو حية كثير الرواية عن الفرزدق ، وعمر حتى التقى بآبن مناذر  
فاستنده شعره ، فأنشده أبو حية :

بين أبي حية  
وآبن مناذر

ألا حتى من أجل الحبيب الفانيا      ليسن اليلى مما ليسن الليالي  
إذا ما تقاضى المرء يومه وليلة      تقاضاه شيء لا يملأ التقاضيا  
حتنك الليالى بعدما كنت مرة      سوى المعصا لو كنن ينفين باها

(١) اللغات : جمع لغة وهو الترتيب بالكسر ، أى تماثل في السن وفي الأصل  
« اللغات » بالتدال لمعجمة وهو تحريف - وندرج : تنى ، وهو خامس بالعبي والشيخ ،  
ونسخة « تدج » - بتشديد الجيم . وغير واه - ومعناه تدب (م)

قال ابن منذر: أو شمر هذا؟ قال أبو حية: ما في شعري عيب، غير أنك نسمة.

وفي هذه القصيدة يقول أبو حية:

ولما أبنت إلا التواء يودّها      وتكديرها الشرب الذي كان صافيا  
شربت برثقي من هواها مكدر      وكيف يعاف الرثق من كان صاديا<sup>(١)</sup>  
وقد قال عمرو بن قبيصة<sup>(٢)</sup> في معنى قول أبي حية:  
كانت قناني لا تلين لفاخر      فالأنا الإصباح والإنساء  
ودعوت ربي في السلامة جاهداً      ليصحيني فإذا السلافة داه  
وقال النمر بن تولب<sup>(٣)</sup>:

يودّ الفتي طول السلامة والبق      فكيف يرى طول السلامة يقتل  
يسودّ الفتي من يئد حن وصحة      ينوء إذا رام القيام ويحتمل<sup>(٤)</sup>  
وقد روى في الحديث الشريف: «كني بالسلامة داه» .  
وقد أحسن حميد بن ثور في قوله:  
أرى بصري قد رأيته بعد صحة      وحسبك داه أن تصع وتسلما

(١) ماء رثق - فتح فسكون، وفي نسخة أخرى بفتح فسكون - أي غير صاف، ويقول:  
رثق الماء - بالتضعيف - أي كدبه، وكأنه ذهب بروقه وحسنه، ويعاف: يكره (م) .  
(٢) شاعر جاهلي، نشأ بتيما، وأقام في الحيرة مدة، وخرج مع امرئ القيس حين  
توجه إلى قيصر، فمات في الطريق . وفيه يقول امرؤ القيس:

بكي صاحبي لما رأى انقلب دونه      وأيقن أنا لاحقان بقيصرا  
قلت له: لا تبك عينك؛ إنما      نحاول ملكاً أو نموت فقعدرا  
وقد سمته العرب «عمرا الضائع» لموته في غربة وفي غير مطلب ولا أرب

(٣) شاعر مخضرم، من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية، أدرك الإسلام، وهو  
كبير السن، فوفد على الرسول، وكتب عنه كتاباً قومه، وكان جواداً واسع القري  
كثير الأسلاف (٤) ينوء: ينهض يتأقل وإعياء

ولن يَلْبَثَ المصيران يومٌ وليلةٌ إذا طلبا أن يدركا ما تيمما  
وهذان البيتان من قصيدة طويلة ، وهي أجود شعر حميد<sup>(١)</sup> ، ومن أجود ما فيها :

وما هاج هذا الشوق إلا حانةً دَعَتْ ساق حِرَ رِجَّةً وَتَرَنًا  
ثُرُوحٌ عليه والماء ثم تَقْتَدِي مولدةً تَبْنِي له الدهرَ مطلقًا  
تؤمل منه مؤنسًا لا يَفِرَادِها وتَبْكِي عليه إن زَقَا وَتَرَنًا  
كأنَّ على إشارته نورَ خمريةٍ إذا هوَ تدَّ الجيد منه لِيَطْعَمَا  
فلما كَتَسَ الرِّيشَ الشَّحَامَ ولم يَحْذُ لها مَعَهُ في ساحةٍ الحى مَجْمَعًا<sup>(٢)</sup>  
تَنَحَّتْ قَرِيبًا فَوْقَ غُصْنٍ تَدَأُّ بَتَّ به الريحُ صِرْفًا أَى وجهه تَبَيَّنَا<sup>(٣)</sup>  
فأهوى لها صَفَرُ سَيْفٍ فلم يَدْعُ لها وَلَدًا إلا رِمَامًا وَأَعْظَمَا  
فأَوَقَّتْ على غُصْنٍ ضَعِيفًا ولم يَدْعُ لنا مَحْمَدَ في نَوْحِهَا مُتَلَوَّمَا  
عَجِبْتُ لها أَى يكونُ غِنَاؤها فصيحًا ولم تَنْفَرْ بِمَنْطِقِهَا فَا<sup>(٤)</sup>  
فلم أَرِ مِثْلَ شاقه صَوْتٌ مِثْلُها ولا عَرِيًّا شاقه صَوْتٌ أَعْظَمَا

ومن حيث المجاء قوله في هذه القصيدة يخاطب رجلين بهما :

وقولا إذا جاوزتما أرضَ عامرٍ وجاوزتما الحيينَ نَهْدًا وَخَشَمًا  
تريمانِ مِن جَرَمِ بنِ زَيْبَانَهم أبوا أن يريقوا في المَزاوِرِ عَجَبًا<sup>(٥)</sup>  
وما هَجِيتَ جَرَمَ بأشدَّ من هَذَا ، يريد أنهم لذلهم لم يرقوا أحداً  
فيطالبهم بِدَخَل .

(١) من شعراء الإسلام ، أدرك عمر بن الخطاب ، وقال الشعر في أيامه ، وقد أدرك الجاهلية أيضاً

(٢) الشحام : الأسود ، والحجم : مكان الرقاد (٣) تذابت : أتت من كل جانب كما ضل الذئب (٤) تنفر : تفتح (٥) المزاوِر : الحروب ، والحجم : وعاء الحجامة والتصد

وقال الأصمى : قيل لبعض الصالحين : كيف حالك ؛ قال : كيف حال من  
يُفنى ببقائه ، ويستمر بسلامته . ويؤتى من تأمته

لحمود الوراق

وقال عمود الوراق :

يُحِبُّ القى طولَ البقاء كأنه على ثقة أن البقاء بقاءه  
إذا ما طوى يوماً طوى اليوم بعصه  
زيادته في الجسم قصُ حياته  
جديدان لا يبقى الجميع عليهما  
وقال المتنبي :

زيادة شيب وهي قصُ زيادتي وقوة عشق وهي من قوتي صفُ  
وبيت عمود الأخير كقول البحري :

للمتنبي

للبحري

أناة أيها الفلك المندار . أنتهب ما تُصرف أم جبار<sup>(٢)</sup>  
ستفنى مثل ما تفنى وتبلى كما تبلى فيدرك منك نارُ  
تُنابُ النَّائِلَاتِ إذا تناهت ويدمر في تصرفه الدمارُ  
وما أخل للنازل غير كبر مطاياهم رواحُ وابشكارُ  
ويقول فيها :

لنا في الدهر أملٌ طوالُ أما وأبى بنى حارٍ بني كبر  
تقد طرد الزمان بهم فساروا ونال الليل منهم والنهارُ  
أصاب الدهرُ دولة آل وهب أعازهم رداء السحر حتى  
وقد كانوا وأوجهم بذورُ لبصرها وأيديهم يبحارُ<sup>(٣)</sup>

أخذ قوله : « ستفنى مثل ما تفنى » أبو القاسم بن هاني . قال :  
تفنى النجوم الزهر طالمة . والتبرك الشمس والقمر

لابن هاني

(١) الخفاء : الزيادة (٢) حار : مهمل لا قود فيه

(٣) في دجوان البحري « وأيديهم يحور تحتبط » والمختبط : ها : السائر بلا (م)

ولئن تبدت في مطالعها      منظومة فلسوف تتشبه  
ولئن سعى الفلك للدار بها      فسوف يُسلمها وينفطر

وقد استقصى على بن عباس الرومي للمنى الأول فقال :

والدهم يُبيل القى من حيث يُشئت      حتى تكبر عليه ليلة القرب<sup>(١)</sup> لابن الرومي  
يخذوه في كل آن وهو يا كله      وينسى نقبا منه على نصب<sup>(٢)</sup>  
يودى بحال فحال من شيتته      تسرب الماء في متناف الكنب<sup>(٣)</sup>  
حسب امرى من حق دهر تطاوله      وإن أجبر فلم ينكسب وه يسب  
في هذه نقر الدهر كاف من وقايمه      والعمر أقدم مبراة من الوصب

وقال أيضا :

يكبلني الحصن لرسله وشيده      حريزا بشعير من الأعداء مشجون<sup>(٤)</sup>  
انظر إلى الدهر هل فاتته بنيه      في مطمح السر أو في مسبح النون<sup>(٥)</sup>  
ومن تعصن منغوبا على وجار      فيما حصنه سجن لسجون  
أشكو إلى الله جهلا قد أضرب بها      بل ليس جهلا ولكن علم مصون  
وقال الطائي :

ابن عامر

وإن تبين حيطان عليه وإنما      أولئك عقالاته لا ماقله

ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله في التغير ، فأخبر أنه مشغول ، فرجع ، فبعث إليه الرشيد : خنفتي فانهتني ، قال : إذا انقضت المدة كان تخلف في الحيلة ، ولقد ما انصرفت إلا بتحقيقا .

أخذه ابن الرومي فقال وقد ضده بعض الأطباء ، فزعم أن الفصد زاد في علته : غلط الطيب على غلطة مورد عجزت محالته عن الإصدار<sup>(٦)</sup>

(١) ليلة القرب - بفتح القاف والراء جميعا - أن تسير الليل كلمته لئلا غدك (م) .

(٢) نصب - بضم قفتح - جمع قبة . وهي الجرعة (م) . (٣) الكنب : جمع

كنبة ، وهو السير الذي تخرز به قربة الماء (م) .

(٤) شلون : جزاء ، ومشجون : مشعوب ومكسور (هـ) النون : الحوت (٦) الحالة :

الحيلة . ومنه « المرء يجز لا الحالة » ويخطئ . من يقول : المرء يجز لا حالة

والناس يُلْعَنُونَ الطيب، وإنما غَلَطَ الطيب إصابةُ القَدَارِ

[ وصف النور ]

وقال أبو حنيفة النخعي :

لأن جية  
النخعي

مَقَّتْنِي بِكَأْسِ الْحَبِّ مِرْفَاقِي وَمَرَوْقًا رِقَاقِ الثَّيَابِ عَذْبَةً الْمَرْقُوقِ (١)  
وَحُمَامَةً تَفْقَرُ عَنْ مَتَشَقِّ كُنُوزِ الْأَقَامِي طِيبِ الْمَتَنُوقِ (٢)  
إِذَا امْتَضَتْ بَدَامَتَاكَ مِنَ الضَّحَى أَنْيَابَ مِنْ عُودِ الْأَرَاكِ الْخَلْقِ (٣)  
سَقَتْ شُجْبَ السَّوَاكِ مَاءَ غَلَامَةٍ خَضِيضًا بِخَرْطُومِ الرَّحِيقِ الْمَرْوَقِ (٤)

وَأَنشَدَ التَّوْرِي :

تَرَى اللَّذَرَ مَشْتَوِرًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ وَكَالَذَرَ مَنْظُومًا إِذَا مَا تَكَلَّمَ  
تُعْبِدُ أَحْرَارَ الْقُلُوبِ بِدَلَّتِهَا وَتَعْلَأُ عَيْنَ النَّاسِطِ الْمَتَوَسِّمِ

وَالْيَتِ الْأُولَ مِنْ هَذِينَ كَقَوْلِ الْبَحْتِيِّ :

فَنِ لَوْ لَوْ تَجَلَّوْهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْ لَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ نَسِاقُهَا (٥)  
وَقَدْ تَقَدَّمَ .

لدى الرمة قال أبو الفرج الرازي : سمعت الأصمعي يقول : أحسن ما قيل في وصف النور قول ذى الرمة :

وَتَجَلَّوْهُ بِفَرْجٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَلِلْسَكِّ يُصْبَحُ (٦)

(١) للترق : العين ، وقول : رفق التوم في عينه خالطهما (٢) خصاصة : ضامرة  
البطن ، والمتشقق : الثغر ؛ لأنك تتشق منه نكهة الطرة ، والمتنوق : هو الريق  
لأنك لا تنوقه (٣) الخلق : الدهون بالخلق ، وهو ضرب من الطيب  
(٤) الخضيض : ما تأثر من الماء (٥) قبل هذا .

ولما اتفينا واللوى موعد لنا تعجب رأتى النور حنا ولاقطا  
(٦) أراد فرج من أراك السواك تجلوه أسنانها ، وكفى بما وصف به السواك  
عن طيب رائحة لها (م) .



دُرَى أَفْخُونَ وَاجِهَ اللَّيْلَ وَازْتَقَى إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَاسَةِ الْقَرُوحِ  
هَبَّانَ الثَّنَائَا مُعْرِبٌ لَوْ تَبَسَّمتُ لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصَحُ<sup>(١)</sup>  
وَمِنْ قَدِيمِ هَذَا الْمُنَى وَجِيدُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِ فِي صِفَةِ لِلتَّجَرَّدَةِ امْرَأَةٍ

النَّصَانِ بْنِ النَّذَرِ : النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِ

تَجَلُّوْا بِقَادِمَتَيَّ حَامِئَةً أَبْكِيْ بَرْدًا أَيْفَ لِنَاتِهِ بِالْإِنْمَدِ<sup>(٢)</sup>  
كَالْأَفْخُونَ غَدَاةَ غِبٍّ سَمَائِهِ جَفَتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى  
زَعَمَ الْمَسَامُ بِأَنْ فَلَعَا بَارِدٌ عَذَبٌ مُقْبِلُهُ شَيْءُ الْمَوْرِدِ  
زَعَمَ الْمَسَامُ وَلَمْ أَذْقه أَنَّهُ يَشْنَى بِرِيَّاقِهَا التَّطِيشُ الصَّدَى  
وَمِنْ قَوْلِهِ : « وَلَمْ أَذْقه » أَخَذَ كُلٌّ مِنْ أَمَى هَذَا الْمُنَى ، فَتَقَهُ النَّاسُ بَعْدَهُ ،

قَالَ لِلتَّوَكُّلِ اللَّيْثِي :

كَانَ مَدَامَةً صِهْبَاءَ صِرْفًا تَرَقَّرَتْ بَيْنَ رَاوُوقٍ وَدَنٍّ  
تَمَلَّ بِهَا الثَّنَائَا مِنْ سَلِيٍّ فِرَاسَةٌ مُنْقَلَتِي وَصَحِيحُ ظَنِّي  
وَقَالَ بَشَّارٌ :

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَاوِيكِ  
قَدْ زُرْتِنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً تَقَى وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةً الدُّمَيْكِ  
يَا رَحِمَةَ اللَّهِ حُسْلَى فِي مَنَازِلِنَا حَسْبِي بَرَاغِمَةُ الْفَرْدُوسِ مِنْ فَيْكِ  
وَقِيلَ لِبَشَّارٍ : يَا أَبَا مَعَاذٍ ، كَمْ بَيْنَ قَوْلِكَ ، وَأَنْشُدْ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَبَيْنَ أَنْ تَقُولَ :  
لَا مَعْظَمَ سَلَمِيْنِي خُلْنِي قَصَبُ الْكَرِّ لَا عَظَمُ الْجَلْمِيْنِ  
وَإِذَا قُرْبٌ مِنْهَا بَصَلٌ غَلَبَ لِكَ طَلِي رِيحُ الْبَصَلِ

(١) هَبَّانَ الثَّنَائَا : يريد أن ثناياها ناسمة الياض . من قولهم : إبل هَبَّان ، أي

يضي كرام

(٢) الإِنْمَد . الكحل

قال : إنما الشاعر للطبوع كالبحر : مرة يَغْذِفُ صَدْفَهُ ، ومرة يَتَذَفُّ بِجَيْفِهِ <sup>(١)</sup> .

[ تفضيل السواد ]

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن علي بن العباس الرومي من أقرب تناول  
قال وكشفه بأوضح عبارة - في صفته لجارية أبي الفضل عبد الملك بن صالح  
السوداء بعد أن استوفى جميع صفاتها وكان قد اقترح عليه وصفها :

وصفت فيها الذي هويت على السوم ولم تختبر ولم تذوق  
إلا بأخبارك التي رقت منك إلينا عن طيبة البرق <sup>(٢)</sup>  
حاشا لسوداء منظر سكت ذاك إلا عن مختبر يقوق <sup>(٣)</sup>

لابن الرومي  
في وصف  
جارية

وهذه الأبيات من قصيدته له وصف فيها السواد ، واحتج بتفضيله على  
البياض ، حتى أغلق فيه الباب بعده ، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده ، إلا كان  
مقصر السهم عن غرض الإحسان . وقد تبه على بن عبد الله بن العباس [الليث  
على فضائلها ، وأجاد التشبيه ، وكشف عن وجوه الإبداع ، وضروب الاختراع  
وقد مدح الناس السواد والسود فأكثروا ؛ فمن جسد ما قالوا فيه قول  
أبي حنيفة الشطرنجي :

لأبي حنيفة  
الشطرنجي

أشبهك للسك وأشبهته قاعة في لونه قاعده  
لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة  
فأخذ ابن الرومي هذا المعنى ، وأضاف إليه أشياء أخرى توسماً واقتداراً ، قال :  
يذكرك للسك والنوالى والسك ذوات النسيم <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>

لابن الرومي

(١) يريد أن الشاعر للطبوع له سقطات ، ومن هنا كانت سقطات للتبني مثلا  
فاضة ؛ لأن الإجابة الطلقة فوق طاقة الإنسان ، وقد يطرد هذا الحكم في كثير من  
نواحي الحياة الإنسانية . (٢) البرق : جمع برقة - بالضم - وهي مكان تكثر  
فيه الغطاء (٣) يقق : ناصع البياض (٤) السك : نوع من الطيب - والبقي ،  
يختص العن والباء جميعا ، طيب الرائحة (٥) م .

وهذه الأشياء وإن كانت نازقة عن السك ، فهي مدحوة بالطيب ، غير  
متنى عن ذكرها في التشبيه ؛ فأما يادته على جميع من تامل لدح السواد قوله :  
سوداء لم تنسب إلى برص البشقر ولا كلفة ولا بهق<sup>(١)</sup>  
والأبيض الشديد البياض مريب ، وقد دل عليه قوله :

وبعض ما فضل السواد بر والحق ذو سلم وذو نقى  
ألا يريب السواد خلكته وقد يملب انبياض بالبهق<sup>(٢)</sup>

قوله : « الحق ذو سلم وذو نقى » أراد أن الحق يتصرف في جهات ،  
وضرب الصعود والنزول لذلك مثلا ؛ ثم قصد لوصف هذه السوداء بالكمال في  
الصفة ؛ ومن عيب السودان أن أكتفهم عابة<sup>(٣)</sup> متشقة ، وأطرافهم ليست بناعمة  
لينة ، وكذلك لا يزال القلح في شغلهم ، وهي الشقوق للنمومة للوجود في  
أكثر السودان في أوساط الشفاء ، وأيضا فإن الأسود مهبو بجث الترق ، ففى  
هذه الصفات للنمومة للوجود في أكثر السودان عنها ، قال :

ليست من الشبي الأكت ولا الفلح الشفاء الخبائث الترقى

ثم علاج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك الصفات للنمومة ، قال :  
في لين تمورة مخيرها إل فرأه أولين جيد الدلق<sup>(٤)</sup>  
ومن يديع مدح السوداء قوله :

أكسها الحب أنها صبت صبغة حب القلوب والخطدق

فانصرفت نحوها الضائر والأبصار ينشقن أيما عشق  
فأخير أن القلوب إنما أحببتها بالجمانة التي بينها وبين حب القلوب من  
السود ، وكذلك الخطدق .

(١) الكلفة : النمش يوجد في الوجه ، والبرص والبقي مروغان

(٢) الحلسكة : شمة السواد ، ومنقولهم : ظلام حالك (٣) عابة : يابة ، وصفه

عيسى - من باب فرج - أى ييس (٤) الدلق : دوية كالسورة

ومن جيد تشبيهات أبي نواس وقد شبه ديماء بمسحوق فأخبر عن حاله وقال :  
 قام والليل يملؤه الصباح كما جبالا التبسم عن غر التنيات  
 ولعل بن الباس عليه التقدم بقوله :  
 لا بن الرومي أيضا

يفقر ذاك السواد عن يقق من ثمرها كاللاليء الفسق<sup>(١)</sup>  
 كأنها لولم——زاح يصحكها ليل تفرى دجاء عن قلبي<sup>(٢)</sup>  
 وفضل هذا الكلام على ذاك أن هذا قدّم لمناه في التشبيه مقدمة أيّدته ،  
 ووطأت له الآذان<sup>(٣)</sup> ، وأصفت الأنهم إلى الاستحسان ، وهي قوله :  
 \* يفقر ذاك السواد عن يقق \*

وفي هذه السوء يقول ، وقد سأله أبو الفضل الهاشمي أن يسترق صفات  
 محاسنها الظاهرة والباطنة ، قال :

لها حيرٌ بسمير وقفته من قلب صبيّ وصدر ذي خلق<sup>(٤)</sup>  
 كأنما حمره ليعابره ما ألهمت في حشاه من خرق  
 يزّداد ضيقاً على للراس كما تزّداد ضيقاً أنشوطه الوحق<sup>(٥)</sup>  
 ثم فكّرَ فيما فكّرَ فيه النابغة ، وقد أمره التمنن بوصف المتجرّدة ،  
 فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ، ثم كره أن يذكر من فضائلها ما لا  
 يسوغ بمثله أن يذكر منها ، فردّ الإخبار عن تلك الفضائل إلى صاحبها ، وهو  
 للك ، قال :

زعم ألهام بأن قلها بارد عذب إذا قبّلت عقلت ازدد  
 فاحتذى على بن الباس هذا ، قال بعد ما سأله أن يسترق في وصف  
 فضائلها الظاهرة والباطنة :

خذها بأفضل كسوة لك من خزر الأمدح لا من اعترق

(١) نسق : مقسق (٢) تمرى : تكشف (٣) وطأت : مهدت (٤) الحر - بكسر  
 الحاء هو الترج (٥) الوحق : الجبل يرى في أنشوطه تتوخذ به العنابة والإنسان

وصفت فيها التي هويت على السومر ولم تختبر ولم تدق  
 إلا بأخبارك التي وقعت منك إلينا عن ظبية الهرقي  
 حاشا لسوداء منظر سكت ذراك إلا عن خبر يقي  
 وهذا المعنى أوما إليه النابعة إسماء خفيا تذهب معرفته عن أكثر الناس ،  
 ولو أتر النابعة ترك الاختصار ، وم بكشف المعنى وإيضاحه ، ما زاد على هذا  
 الكشف الذي كشفه ابن الرومي :

وأصحاب المعاني يشدون للفرزدق :

للفرزدق

وجفن سلاج قد رزنت فلم أنح عليه ولم أبت عليه التواكيا  
 وفي بطنه من داريم ذو خيطة<sup>(١)</sup> لو أن الناي أنشأه لياليا<sup>(٢)</sup>  
 ومعناه عندهم أنه رعى امرأة توفيت حاملا ، قال علي بن العباس وقد وصف  
 هذه المرأة السوداء :

لابن الرومي

أخيلق بها أن تقوم عن ذكري كالسيف يفرى مضاعف الجلقى  
 إن جنون السيوف أكثرها أشود والحق غير معتلق  
 فهذه زيادة بينة ، وعجالة واضحة ، لم تحتج إلى تفاسير أصحاب المعاني ،  
 وقال مما لم ينشده المتنبي :

عُصْنُ من الأبنوس رُكِبَ في مؤثرٍ مُعْجَبٍ ومنتلق  
 يهتز من ناهديه في ثمر ومن دواحي ذراه في ورق  
 وهذا معنى قد بلغ قائله من الإجماع ، فوق الإرادة ، وامتلأ أبو الفضل الهاشمي  
 ما أشار به ابن الرومي ، فأولدها ، فأنجبت .

وفي معنى معنى قول الفرزدق قال الطائي وأحسن وذكروا دين توأمتنا ما لبعدها  
 ابن طاهر :

(١) الخيطة : قوت الإباء سول الناي : جمع منية ، وهي اللوت . وأنشأه : أخربه (م)

إن تُرْزَقَ في طَرْقَى نهارٍ واحدٍ      رُزِئْتَ حَاجَةً لَوَعَةٍ وَبَلَايَا  
 فَالْتَقَلُّ لَيْسَ مَضَاعِفًا لِحَظِيَّةٍ      إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بِإِزَالَةٍ<sup>(١)</sup>  
 لَهْفَى عَلَى تِلْكَ لِلشَّاهِدِ مِنْهَا      لَوْ أَهْلَتْ حَقِّي تَكُونُ شِمَاتِلَا  
 لَنَذَا سَكُونَهَا جِئْتِي ، وَصَبَاها      حُكَّاءَ ، وَتِلْكَ الْأَرِيحِيَّةُ نَائِلَا  
 إِنْ اللَّحْلَالُ إِذَا رَأَيْتَ نَمَاءَهُ      أَقْنَعْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلَا

### وعلى ذكر التوأمين ألفاظ لأهل المصر في التهنئة بتوأمين

تيسرت مِنحَتَانِ في وطن ، وانتظمت مَوهِبَتَانِ في قَرَنٍ<sup>(٢)</sup> ، طلع في أفق  
 الكمال نَجْمَانِ سَمَد ، وشبهَاها بِزَرٍ ، وَكَوْكَبَانِ جَمَد ، فتأهلت سَهْمَانِ بِرُوحِ المحاسن ،  
 ووُطئت لهما أَسْكَافُ المكارم ، واستشرقت إليهما صدورُ الأَسْرَةِ والنَّابِر . بلغنى  
 خَيْرُ اللُّوْجَةِ للشَّفُوعَةِ بِمِثْلَا ، والنَّعْمَةُ المَقْرُونَةُ بِبَدَلَا<sup>(٣)</sup> في الفارسين المَقْبِلِينَ ،  
 رَضِيحِي المَرْزِ والرَّضَى ، وَقَرِيْبِي المَجْدِ واللَّعْنَةِ ، فشملى من الاغْتِبَاطِ مَا يُوجِبُهُ  
 اِزْدِجَاجُ البَشَرِي ، واقتِرَانُ غَادِيَةٍ<sup>(٤)</sup> بِأُخْرَى .  
 والشَّيْءُ يُذَكِّرُ بِمَا قَارِبَ نَاحِيَةٍ مِنْ أَنْحَاةِ ، وَجَازِبَ حَاشِيَةٍ مِنْ  
 رِدَائِهِ<sup>(٥)</sup> .

[ شئ من المجهاء يشتمل على تضمين ]

وقال بعض أهل المصر يهجو رجلا وضمن قول النابنة :

• كَالْأَحْمَوَانِ عَدَاةَ رَغَبٍ سَمَائِهِ •

(١) الوهم : الجمل الضخم القوي ، والبازل : المكمل السن

(٢) القرن : الجبل القنول من لحاء الشجر أو من الصوف

(٣) العدل - بالكسر - النظر .

(٤) القادية : السحابة تملط غدوة ، وفي نسخة «عارفة» (م) .

(٥) ههنا العبارة من كلام للوقت ، لبيان موجب الاستطراد في الكلام عن التوأمين

وأزاحه عن بابه ؛ فجاء مليحاً في الطبع ، مقبولا في السمع :  
 يسألي عن جفر ، عَزَى بِدِرْ رَطْبِ الْجَنِّ وَكَفَّهُ كَالْجَدِّ<sup>(١)</sup>  
 كَالْأَقْحَوَانِ غَدَاةِ غَيْبِ سَمَانِهِ جَعَتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى<sup>(٢)</sup>  
 ومن مستحسن ما روى في هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتاً للهلhel  
 ابن ربيعة :

وسألك عن الحسن بن وهبٍ وَعَمَّا فِيهِ مِنْ كَرَمٍ وَغَيْرِ  
 قُلْتَ هُوَ الْمَذْبُوحُ ، غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ كَثِيرَ إِدْخَاءِ السُّتُورِ  
 وَأَكْثَرَ مَا يَنْضِيهِ فَتَاءُ حَتَّى حِينَ يَخْلُو بِالشُّرُورِ  
 فَوَلَا الرِّيحَ أَسْبَحَ مِنْ مِجْبَرٍ صَلِيلِ الْبَيْضِ تُفْرِغُ بَالِدَهُ كُورِ  
 وهذا البيت للهلhel مما يثبته من أول كذب العرب ، وكانت قبل ذلك  
 لا تكذب في أشعارها<sup>(٣)</sup> ، وكان بين الوضع الذي كانت فيه هذه الرقيقة وهي  
 بالجزيرة وبين حُجْرٍ وهي قَصَبَةٌ باليمامة مسافةً بعيدة ، فأخرجته هذا الشاعر بقوة  
 مُنْتَه ، وغَاذٍ فُطْنَتَهُ ، إلى معنى آخر مستظرف في بابه . وهذا للذهب أحسن مذاهب

(١) المجان : الاست . والجلد : الصخر (٢) هذا التضمين يذكر بقول  
 بعض اللولدين :

تصدى إلى ابرى قتلته اشد وعينك لو أبصرته وهو نازر  
 رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بضه أنت صابر  
 والأصل :

وكنتم إذا أرسلت طرفك رايما قلبك يوماً أحببتك الناظر  
 رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بضه أنت صابر

(٣) هذا ترديد لفكرة الشهيرة من أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يتجاوزون  
 الواقع حين يصفون ، وهذا فيما أرى غلو في تقدير أهل البادية ، والمقول أن طينة  
 الناس تبيح للقتال ، بلا تفريق بين الطبقات الاجتماعية

التضمين . ومن ملحق ما في هذا الباب تضمينات المحدثين في طيلسان أحد بن حرب اللهلي ، وسيأتي ما أختاره من ذلك في غير هذا الموضع .

[ عَوَدَ إِلَى وَصْفِ الثَّوَرِ وَتَحَابِهَا ]

وقد جاء في صفة الثور والأفواه والريق شعر كثير . قال جميل :

تَمَيَّتُ مِنْهَا نَظْرَةً وَهِيَ وَاقِفٌ      تُرِيكَ تَقِيًّا وَارِضَحَ الثَّرَاشُنْبَا<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ عَرِيضًا مِنْ قَضِيضِ غَمَامَةٍ      هَزِيمُ الدَّارِي تَمُورِي لَهُ الرِّيحُ هَيْدَا<sup>(٢)</sup>  
يُصَتَّقُ بِالسَّكِّ الذِّكْيُ رُضَابُهُ      إِذَا التَّجَمُّ مِنْ بَعْدِ الْهَدْوِ تَصَوَّبَا<sup>(٣)</sup>

جميل بن معمر  
العمري

وقال :

وَكُنْ طَارِقَهَا عَلَى عَالِي الْكَرَى      وَالنَّجْمُ بَوْهًا تَدَّ بَدَا لِنَثَوْرِ  
يَسْتَأْفُ رِيحٌ مُدَامِيَّةٌ مَعْلُوَّةٌ      رُضَابٍ مَسْكٍ فِي ذِكْيِ الْعَنْبَرِ

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي :

يَمِجُ ذِكْيُ الْيَسَكِ مِنْهَا تَفْلَجٌ      تَقِيَّ التَّلَامِدُ غُرُوبُ مُؤَشَّرِ<sup>(٤)</sup>  
يَرِفُ إِذَا تَفَتَّرَ عَنْهُ كَأَنَّهُ      حَصَى يَرْدِي أَوْ أَقْحَوَانُ مُنَوَّرُ .

لعمرو  
ابن أبي ربيعة

وقال الهذلي :

وَمَا صَهْبَاهُ صَافِيَةٌ لُصْبِي      كَلَوْنَ الْعَرَفِ مُنْجَابٌ قَذَاهَا  
تَشِيعُ بِنُطْقَةٍ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ      أَحْلَتْهُ بَرَضَارِي عُرَاهَا  
بِأَطْيَبِ مَشْرَعًا مِنْ طَمَرٍ فِيهَا      إِذَا مَا طَارَ عَنْ سِنَةِ كَرَاهَا

للهمذلي

(١) أشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان

(٢) المرض : القطعة من السحاب ، والقض : ما تاتر من المطر والماء ، والمزيم :

الصوت ، والقرى : الأعلى ، والمهيدب : ذيل السحاب (٣) تصوب : إنحدر (٤) مؤشر : من

الأشهر - بالتحريك - وهو تحزير أطراف التنايا ، والغروب : جمع غرب : بالفتح - وهو الريق



وقال آخر :

وشقَّ عنها قناع الخرز عن برد  
كانه أنصوان بلى بضربة  
كان مبرقاً كيت اللون صافية  
فوها إذا ما قصت من نومهاينة  
وقال الآخر :

هجان اللون واضعة الحيا  
تبسم عن أعز له غروب  
كان صبيب غادية لصبي  
على فيها إذا الجوزاء عالت  
وقال ابن المعتز :

يا نديمي أشربا واسقيانا  
واقلا هي بعرف غاري  
إن للسكروه لذعة شيرة  
وامزجا كنسي بريقة ألي  
من فمر قد غرس الدُر فيهِ  
وقال ابن الرومي :

يأرب ريق بات بدر الدجى  
يمجبه بين كنانا  
لابن الرومي

- (١) الكسي : قصر الأسنان . والطل : زيادة سن أو دخول سن تحت سن .  
(٢) كيت اللون : فيها سواد وحمرة ، وشجت : مزجت ، وشنه : صبه متفرقا وبرده  
(٣) هجان اللون : يضاء ، وقطيع الصوت : هي التي يتكرر كلامها لرقته .  
(٤) فرات : عذب (٥) الرعيل : جماعة النجوم (٦) رواية الديوان « لا علا  
حشا واسقيانا » (٧) ناصح الريق : لم تخير نكهته

يُرَوِّى وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شَرِّهِ وَاللَّاهُ يُرَوِّيكَ وَيَنْهَاكَ

ليبيد الله بن وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

عبد الله بن وإذا سألتك رشف ربيك قلت لي: أخشى مخوفة مالك الأملك طاهر

ماذا عليك؟ جئت قبلك في الثرى! من أن أكون خليفة السواك  
أيموز عندك أن يسكون مني صبا بحبك دون عود أراك

وهذا المعنى يحلوز الإحصاء، ويفوت الاستقصاء؛ وكله مأخوذ من قول

اسرى القيس:

لامرى القيس كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر<sup>(١)</sup>

يقل به برز أنيابها إذا طرب الطائر المستبحر<sup>(٢)</sup>

فجمع ما فرقه، وأخذ الجفري قصص عنه:

للجفري كأن للدام وصوب الغمام وريح الخزامى وذوب السل

يقل به برز أنيابها إذا التجم ونط السماء اعتدل

ويلحق بهذه المعاني من شعر أهل المصر قول أبي علي محمد بن الحسين بن

الحامى للظفر الحامى - وذكر خرا:

من كف سقي أهيف حر كانه فتن تقنع باللاحة واعتجر<sup>(٣)</sup>

ناولته كأسى وكشر جونه يوحى إلى أن ارتقبهم واضطرب

تقى لها أقلام دُر رخصة تهوى إلى أفراد دُر ذى أثر<sup>(٤)</sup>

فحدرت من كانه في قفري كالشمس تقربى هلال من قر

وأهدى أبو الفتح كتابه لبعض القيان مشواكا وكتب إليها:

قد بعثناه لكى تغلوه به واضحا كالقؤل الرطب أغر

لأبي الفتح كتابه

(١) القطر - بالضم - المود القى يتخبر به (٢) المستبحر: الحرام

(٣) اعتجر: من الاعتجار، وهو لبسة خاصة بالنساء والفتيان (٤) رخصة: لينة

طابَ منه اعْرَفُ حَقِّ خِلَتُهُ      كَانِ مِنْ رِيْقِكَ يُشَقِّى فِي الشَّعْرِ<sup>(١)</sup>  
 وَأَمَّا وَآلِهَهُ لَوْ يَنْصَلُمُ مَا      حَظَّهُ مِنْكَ لِأَنْتَى وَشَكَرْ  
 لِيَقَى الْهَدَى فَيَرَوَى عَطَشِي      بَرْدُ أَنْيَابِكَ فِي كُلِّ سَحَرٍ<sup>(٢)</sup>  
 [ شعر عمر بن أبي ربيعة ، وشعر الحارث بن خالد ]

وكان ذكر بحر بحضرة ابن أبي عتيق شعر عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد  
 الخزوميين ، قال رجلٌ من وُلد خالد بن العاص بن هشام بن القوية : صاحبنا  
 الحارث أشعر ، قال ابنُ أبي عتيق : دَعِ قولَكَ يَا بَنَ أَخِي ، فليشعر ابنُ أبي  
 ربيعة لَوِطَةُ بِالْقَلْبِ<sup>(٣)</sup> ، وَعَنَقَ بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكَ لِلْعَاجَةِ لَيْسَ لِشِعْرِ الْحَارِثِ ؛  
 وَمَا عَصَى اللَّهَ بِشَعْرٍ قَطُّ أَكْثَرَ عَمَّا عَصَى بِشَرِّ ابْنِ أَبِي رِبْعَةٍ ، فَخَذَّ عَنِّي مَا أَصِفُ  
 لَكَ : أَشَعْرُ قَرِيضٍ مِنْ رَقٍّ مِثْنَاهُ ، وَلُطْفٌ مَدْخَلُهُ ، وَسَهْلٌ مَخْرَجُهُ ، وَتَعَلَّقَتْ  
 حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ صَاحِبِهِ ، قَالَ الَّذِي مِنْ وَلَدِ خَالِدِ بْنِ  
 الْعَاصِ : صَاحِبُنَا الَّذِي يَقُولُ :

إِنِّي وَمَا نَعَرُوا غَدَاةَ مَيِّ      عِنْدَ الْجَارِ تَنُودُهَا الْعُقْلُ<sup>(٤)</sup>  
 لَوْ بَدَّلْتَ أَعْلَى مَسَازِلَهَا      سُقْلًا وَأَصْبَحَ سُقْلَهَا يَمْلُوُ  
 فَيَكَادُ يَغْرِضُهَا الْخَيْرُ بِهَا      فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاهُ وَاللَّخْلُ<sup>(٥)</sup>  
 لَعَرَفَتْ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلَتْ      مَنَى الصُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

قَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : يَا بَنَ أَخِي ، اسْتَغْرِ عَلَى صَاحِبِكَ ، وَلَا تَشَاهِدِ الْحَاضِرَ  
 بِمِثْلِ هَذَا ، أَمَّا تَعَلَّقَ الْحَارِثُ عَلَيْهَا حِينَ قَلَبَ رَبْعَهَا فَجَعَلَ عَلَيْهِ سَافَهُ ، مَا بَقِيَ  
 إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا . ابْنُ أَبِي رِبْعَةٍ كَانَ أَحْسَنَ  
 النَّاسِ لِلرَّبْعِ مَخَاطَبَةً وَأَجَلَّ مَصَاحِبَةً إِذْ يَقُولُ :

(١) لا يطيب الريق في الشعر إلا عند اكتمال القوة (٢) يتمنى لو أنه كان للسواك  
 (٣) لَوِطَةُ بِالْقَلْبِ : علوق به (٤) العقْل : جمع عقال (٥) الإقواه : خلاه العيار ،  
 والمهل : الجذب

سَالِحًا الرَّبِيعَ هَالِكًا وَقَوْلًا هَيْجَتَ شَوْقًا لِي النَّدَاةَ طَوِيلًا  
 أَيْنَ أَهْلُ حُلُوكِ إِذْ أَنْتَ مَسْرُودٌ بِهِمْ أَهْلُ أَرَاكَ جَمِيلًا  
 قَالَ: سِلْزُوا، وَأَمْتَنُوا، وَاسْتَقْلُوا وَبَكْرِي لَوْ اسْتَطَعْتُ سَيْلًا  
 سَمُونًا وَمَا سَمْنًا مَقَامًا وَاسْتَحْيُوا دَهَانَةً وَسَهولًا<sup>(١)</sup>

وهذه حكاية تأخذ بطرف الحديث ، دخل مزيد اللدني على مولى  
 لبعض أهل المدينة ، وهو جالس على سرير ممد ، ورجل من ولد أبي بكر الصديق  
 وآخر من ولد عمر - رضى الله عنهما ! - جالسان بين يديه على الأرض ؛ فلما رأى  
 المولى مزيدا تعجبه ، وقال : يا مزيد ما أكثر سؤالك ! وأشد إلتفك !  
 جئت تسألني شيئا ؟ قال : لا والله ، ولكنى أردت أن أسألك عن معنى قول  
 الحارث بن خلاد :

إِنِّي وَمَا تَحْمَرُّ وَأَغْدَاةُ مَنَى عِنْدَ الْجَمَارِ تَتَوَدَّعُهَا الْقُلُوبُ  
 لَوْ بَدَّلْتُ أَغْلَى مَنَازِلَهَا سِفْلًا وَأَصْبَحَ سِفْلَهَا يَدْلُو

فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذى قال . فقال :  
 اعزب في غير حيفظ الله ! وضحك أهل المجلس .

وأخذ الحارث قوله :

لَعَرَفْتُ مَنَافَا بِمَا احْتَمَلَتْ مَنِ الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

من قول امرئ القيس ؛ قال على بن الصباح وَرَأَى بَنِي أَبِي مُحَسَّلٍ قَالَ لِي  
 أَبُو مُحَسَّلٍ : أَنْتَ لِعَمْرِى الْقَيْسِ أَيْتَانَا سَيْنِيَةً قَالَمَا عِنْدَ مَوْتِهِ فِي قُرُوحِهِ وَالْحَلَّةِ  
 الْمُسُومَةِ ، غَيْرَ تَصِيدَنَهُ التَّى أَوْلَهَا :

---

(١) في الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » فبذرات مهمة  
 عن الحارث بن خلاد المخزومي ، الذى وقب شطرا من حياته وبلغه في مغازلة  
 لحسان ، وأخبره مع عائشة بنت طلحة تبين مذاهبه في الحياة الوجدانية

• أَلِمْنَا عَلَى الرَّبِّ الْقَدِيمِ بِمَسْتَسَا •

قلت : لا أعرف غيرها ، قال : أَنْشَدَنِي جَلْعَةَ مِنَ الرُّوَاةِ :

لَمَنْ طَلَّلَ دَرَسَتْ آيَةٌ      وَغَيْرُهُ سَالَفُ الْأَحْرُسِ<sup>(١)</sup>  
تَنْكَرُهُ الْعَيْنُ مِنْ حَدِيثٍ      وَيَعْرِفُهُ تَنْفَعُ الْأَنْفُسِ

لطريق التقى

وقد أخذه طريق بن إسماعيل التقى ، قال :

تَسْتَخِيرُ الدَّمَنَ التِّفَارَ وَلَا تَكُنْ      لَتَرْدَ أَخْبَارًا عَلَى مُسْتَعْبِرٍ  
فَقَلَّلْتَ تَحْكَمَ بَيْنَ قَلْبِي عَارِفٍ      مَعْنَى أَحْبَبْتُهُ وَطَرَفٍ مُسَكِّرٍ

وقال الحسن بن وهب ، إشارة إلى هذا المعنى :

للحسن بن  
وهب

أَبْلَيْتَ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ جَدَّتِهِ      فَا تَكَادُ السَّيُونَ تُبْصِرُهُ  
كَأَنَّهُ رَسْمٌ مُنْزَلٌ خَلَقِي      تَعْرِفُهُ الْعَيْنُ ثُمَّ تَنْكَرُهُ

وقال يحيى بن منصور النخعي :

ليحيى بن  
منصور النخعي

أَمَّا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا يَتَرَى لَهُ      تَذَكُّرَ طَيْفٍ مِنْ عُمَادِ مَرْبِعٍ  
أَخَادِعَ مِنْ عِرْقَانِهِ الْعَيْنُ ؛ إِنَّهُ      مَتَى تَعْرِفُ الْأَطْلَانَ عِنْفِي تَدْمَعُ

وقال آخر :

هِيَ الدَّارُ الَّتِي تَعْرِفُ فِيهَا لَا تَعْرِفُ الدَّارَ

تَرَى مِنْهَا لِأَحْبَابِكَ أَعْلَامًا وَأَثَارًا

فَيَدِي الْقَلْبُ عِرْقَانًا      وَتَدِي الْعَيْنُ إِنْكَارًا

وقال أبو نواس ، وتعلق أول قوله بهذا المعنى ، وأنا أنشد الأبيات كلها لأبي نواس

لَمَّا لَاحَتْهَا ؛ إِذْ كَانَ الْفَرِضُ فِي هَذَا التَّصَرُّفِ هُوَ إِزَادَةُ الْإِفَادَةِ :

أَلَا لَا أَرَى مِثْلِي امْتَرَى الْيَوْمَ فِي رَسْمٍ      تَقْضَى بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهْيُ<sup>(٢)</sup>  
أَتَتْ صُورَ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      فَظَنَنْتِي كَلَّا ظَنَنْتِي وَعِلْمِي كَلَّا عَلِي

(١) الأحرس : الدهر (٢) رواية الديوان « مثل امترائي في رسم »

فَطَبٌ بِحَدِيثٍ مِنْ حَبِيبٍ مُسَاعِدٍ<sup>(١)</sup> وَسَابِقِيَّةٌ بَيْنَ الْمُرَافِقِ وَالْحَلْمِ<sup>(٢)</sup>  
 ضَمِيفَةٌ كُفْرٌ الْعُرْفِ تَحْسِبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٌ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُفْمٍ  
 يَفُوقُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ تَفُوقُ الصَّهْبِ مِنْ حَلَبِ الْكُرْمِ<sup>(٣)</sup>  
 وَإِنِّي لَأَتَى الْوَصْلَ مِنْ حَيْثُ يُبْتَنَى وَتَلَمْ قَوْسِي حِينَ أَرْزَعُ مِنْ أَرْزَمِي<sup>(٤)</sup>

[ شعر أبي نواس ]

وَرَوَى أَبُو هِنَانٍ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَعْرَابِيُّ<sup>(٥)</sup> بَطْنُ عَلِيٍّ  
 أَبِي نَوَاسٍ ، وَبِعِيبُ شَعْرَهُ ، وَبِضْمَقُهُ ، وَبِسْتَلِينِهِ ؛ فَجِئَهُ مَعَ بَعْضِ رِوَاةٍ شَعَرَ  
 أَبِي نَوَاسٍ مَجْلِسُ الشَّيْخِ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ أَبِي نَوَاسٍ : أَنْتَرَفُ  
 — أَعْرَأَكَ اللَّهُ ! — أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ؟ وَأَنْشَدَهُ : « ضَمِيفَةٌ كُفْرُ الْعُرْفِ ... » الْآيَاتُ  
 قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، فَلَمَّزَ هُوَ ؟ قَالَ : لَقَدْ بَيَّنَّ يَقُولُ :

رَسَمَ الْكُرْمَى بَيْنَ الْجَفُونِ مُحِيلٌ عَنِّي عَلَيْهِ بَكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلُ  
 يَا نَاضِرًا مَا أَقْلَمْتُ لِحَظَاتِهِ حَتَّى تَشْجَعَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ  
 فَطَرَبَ الشَّيْخُ ، وَقَالَ : وَيَحْكُ ! لِمَنْ هَذَا ؟ فَوَاللَّهِ مَا تَمِثُّ أَجْوَدَ مِنْهُ لَقْدِيمِ

(١) رواية الديوان « من نديم موافق » (٢) بين المرافق والحلم : يريد أنسها  
 قارب من الاحتلام ، وليست مع ذلك طفلة ، فهي كما قال صاحب البدائع : « طفلة في  
 النظر ، وغادة في الخبر » (٣) تفوق مالى : تأكله ، من قولهم « تفوق ناقته » حلبها ،  
 و « تفوق الفصيل اللبن » شربه (٤) رواية الديوان « وإني لأتلى الأمر » وهي أدق  
 (٥) هو ابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ . وكان نحوياً علماً بالغة والشعر ، ولم  
 يكن أحد من الكوفيين أشبهه برواية البصريين منه ، وكان يزعم أن الأصمعي  
 وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً . قال ثعلب : شاهدت ابن الأعرابي وكان يحضر  
 مجلسه زهاء مئة إنسان كل يسأله أوجراً عليه ويجب من غير كتاب ، قال : ولزمته ضع  
 عشرة سنة ما رأيت يديه كتاباً قط ، وما أشك في أنه أملى على الناس ما يحفل على أجمال

ولا يحدث ! قال : لا أخبرك أو تكتبه ؛ فكتبه ، وكتب الأول ، قال : لذى يقول :

رَكِبَ تَسْقَوْا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ كَأْسَ الْكَرَى فَاشْتَى لَلنَّقِ وَالسَّاقِ  
كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَاضِمُّهَا عَلَى النَّكَابِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَعْيُنِ  
سَارُوا فَلَمْ يَقْطَعُوا عَقْدًا لِزَاحِلَةٍ حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ قَبْلَ إِشْرَاقِ  
مِنْ كُلِّ جَانِلَةٍ الطَّرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ مُسْتَقَرَّةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَقِي  
قال : لمن هذا ؟ وكتبه . قال : لذى تَذَنُّهُ ، وَتَمِيبَ شَرِّهِ ، أبى على  
الحكمى ! قال : اكْتُمُ عَلَى ، فَوَاهِهِ لَا أَعُودُ لِنَلِكِ أَبَدًا .

\*\*\*

أخذ قوله : « كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَاضِمُّهَا » أبو العباس بن المعتز ، قال لابن المعتز  
يصف شرباً :

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْأَجَيْنِ لِبِهِمْ ظِلْمًا بِأَعْلَى الرَّقَمَتَيْنِ قِيَامٌ  
وَقَدْ شَرِبُوا حَتَّى كَانَ رُؤُوسُهُمْ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ تُخْلَقْ لَهْنٌ عِظَامٌ  
البيت الأول من هذين من قول علقمة بن عبدة<sup>(١)</sup> :

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَلَمَ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٍ بِسَبَا الْكَثَّانِ مَكْتُومٍ<sup>(٢)</sup>  
أراد بسباب<sup>(٣)</sup> ، غذف . وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله :

إِبْرِيْقُنَا سَلَبَ الْفَزَالَةِ جِيْدَهَا وَحَكَى لِلدِّرِ عَقْلَتِيَّةٍ غَرَالَا  
يَسْتَيْكُ بِالْأَلْحَاطِ كَأْسَ صَبَابَةٍ وَيُدِيرُهَا مِنْ كَفِّهِ جَرِيَالَا<sup>(٤)</sup>

(١) هو علقمة الفحل ، أحد معاصري امرئ القيس

(٢) مقدم : مسدود ، والقدام هو : السداة ، وللنوم : الذى وضع عليه الثام

وهو كالقدام (٣) السباب : جمع سبية ، وهى الحبل (٤) الجريال : الحجر

وأشد الحارث بن خالد أبياته :

إني وما تحمروا غداة يقي . . . . .

لسبد الله بن عمر ، فلما بلغ إلى قوله :

لمرقت متناها بما احتلت مني الضلوع لأهلها قبل

قال له ابن عمر : قل إن شاء الله ، قال : إذا فسد الشعر يا أبا عبد الرحمن ،

قال : لا خير في شيء يفسده إن شاء الله .

[ تشيب الحارث بن خالد ] -

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين في التشيب ، ولم يكن يعتقد شيئاً من ذلك ، وإنما يقوله تظرفاً وتخلعاً ؛ وكان أكثر شعره في عائشة بنت طلحة ، فلما قتل عنها مضتب بن الزبير قيل له : لو خطبتنا ! قال : إني لا أكره أن يتوهم الناس على أني كنت معتداً لما أقول فيها ، وهو القائل :

يا أم عمران ما زالت وما برحت بنا الصباة حتى سننا الشفق<sup>(١)</sup>

القلب تقى إليكم كني يلاحيكم كما يتوق إلى منجاة الفرق<sup>(٢)</sup>

توفيك شيئاً قليلاً وهي خاتمة كما يمس بظهر الحية الفرق<sup>(٣)</sup>

أخذ هذا الطائي فحسه فقال :

تأبى على التصريد إلا فائلاً إلا يصكن ماء قراحاً يمدق<sup>(٤)</sup>

نزراً كما استكرهت عابرة من قارة نلئك التي لم تفتق

وحجبت عائشة بنت طلحة ، فوجه إليها يستأذنها في الزيارة ، فقالت : نحن

حرام ، فأخر ذلك حتى نحل ، فلما أحلت أدبكت ولم يعلم ، فكتب إليها :

ما ضركم لو قتمت سداً إن للنيسة عاجل غدا<sup>(٥)</sup>

ولها علينا نمة سلفت لنا على الأيام تبعدها

(١) الشفق : الحوف (٢) تاق : اشتاق (م) (٣) الفرق : الخائف (٤) التمدق :

التفيل ، وإسقاء مالا يروى (م) . (٥) سدا : يريد كلاماً مستهياً لا يحير (م) .



لَوْ تَمَمَّتْ أَسْبَابُ نَفْسِهَا تَمَّتْ بِذَلِكَ عَسَدُنَا يَدُهَا  
إِنِّي وَإِلَيْهَا كَفَّتَيْنِ بِالنَّارِ تَحْرِقُهُ وَيَبْذُهَا

[ من أخبار ابن أبي عتيق وعائشة بنت طلحة ]

وابنُ أبي عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ،  
رضي الله عنه ! وكان من أفاضل زَمَانِهِ عِلْمًا وَعِفَاقًا ، وكان أخطأ الناس فُكَاةً ،  
وأظرفهم مِرَاحًا ، وله أخبارٌ مستظرفة سِيرٌ منها ما يُستحسن إن شاء الله .

روى الزبير بن أبي بكر أنه دخل على عائشة — يعني بنت طلحة ، رضي الله  
عنهما ! — وهي ملبها ؛ فقال : كيف أنت جُعِلْتُ فداكِ ؟ قالت : في الموت ، قال :  
فلا إذا ، إنما ظننت في الأمر فُسْحَةً ، فضحكت ، وقالت : ما تدَّعِ مَرْحَلِك بِمَالٍ .  
وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة للقرشي :

ليت شعري هل أقولن لركب      بفلاخٍ هُمَ لديها خَشُوعُ  
طَلَا عَرَسَمُ فَاسْتَقِلُوا      حان من نَجْمِ الثَّيَرِ طُلُوعُ  
إِنْ هَمِّي قَدْ نَقَى النُّومَ عَنِّي      وحديثُ النفسِ مَقَى رَوْعُ  
قال لي فيها عَتِيقٌ مَقَالًا      فحَرَّتْ مما يقولُ الدَّمُوعُ  
قال لي : ودَّعْ سليبي ودَّعها      فأجاب القلبُ : لا أستطيعُ  
لا تَلْمُنِي في اشتياقي إليها      وابْنُكِ لي مما تَجْنُّ الصَّلُوعُ

[ مُثَلٌّ مِنَ التَّمْرِيضِ ]

قال أبو العباس محمد بن يزيد <sup>(١)</sup> قوله : « حان من نجم الثريا طلوع » كناية ، وإنما

(١) أبو العباس محمد بن يزيد ، هو المعروف بالمبرد ، كان شيخ أهل النحو  
والعربية ، وإليه انتهى عليها حد طبقة أبي عمر الجرجي وأبي عثمان اللازني ، وقد أخذ  
عنهما وعن أبي حاتم السجستاني وغيرهم . ومات في شوال من سنة ٢٨٥ الهجرة ( م )

يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر؛ وكانت موصوفة بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، فنقلها إلى مصر، وفي ذلك يقول عمر، وضرب لها المثل بالنجمين :

أيها للنكح الثريا سُهَيْلًا      عَمْرُكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ  
هي شامية إذا ما استقلت      وسهيل إذا استقلَّ يَمَآيَ

بين الثريا بنت علي والوليد بن عبد الملك دمشق تطلب في دين عليها، فينهاي عنده أم البنين ابنة عبد العزيز إذ دخل الوليد فقال : مَنْ هَذِهِ عِنْدَكَ ؟ قالت : الثريا، جاءتك تطلب في دين ارتكبتها، فأقبل الوليد عليها، فقال : أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت : نعم، أما إنه رحمه الله كان ضعيفاً، ضعيف الشعر، أروى له قوله :

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبُلَيْنِ      لَوْ بِسَيِّئِ رَجْعِ السَّلامِ أَوْ لَوْ أَجَابًا  
فإني قصير ذي الشَّيْثَةِ بِالصَّامِ      فأنسى من الأُنسِ يَبَابًا  
وبما قد أرى به حتى صدق      ظاهري العيش نساءً وشبابًا  
وحسانًا جوارها خيرات      حافظت عند الهوى الأحسابًا  
لا يكثرون بالحديث ولا يتبعن      بمن ينمقن بالبهائم الظرابًا<sup>(١)</sup>

فلما خلا الوليد بأم البنين قال : لله در الثريا ؛ أتدري ما أرادت بإنشادها ما أنشدت من شعر عمر ؟ قالت : لا، قال : فإني لما عرضت لها بجمع عرضت بأن أمي أعرابية ؛ وأم الوليد ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث بن زهير البسي، وهي أم سليمان، ولا تعلم امرأة ولدت خليفتين في الإسلام غيرها، وغير الخيزران، وهي سبيبة من خزمنة، ولدت موسى الهادي وهارون الرشيد ابني محمد المهدي، وشاهنفر بنت فيروز بن يزجرجود بن شهر يار بن كسرى أبرويز؛ فإنها

(١) الظراب : جمع ظرب - بزة كتف - وهو الجبل النبط، أو الراية

ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص وإبراهيم بن الوليد الخلويع ؛  
جلس في الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ، ثم جاء مروان بن محمد بن مروان  
آخر ملوك بني أمية فخلعه ووُلِّي بعده .

وشبهه بقول الثريا في باب الحريض أنه دخلت عزة على عبد الملك بن  
مروان ، فقال لها : أنت عزة كثير؟ قالت : أنا أم بكر الضميرية ، قال لها :  
يا عزة ؟ هل تروين من شعر كثير شيئاً ؟ قالت : ما أعرفه ، ولكن سمعت  
الرواة ينشدون له :

قضى كل ذي دين فوق غريمه وعزة مطول ممتنى غريمها  
قال : فتروين قوله :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي ياعز لا يتغير  
تسير حالي والخليفة كالذي عهدت ولم يتغير بسرك مغير  
قالت : ما سمعت هذا ، ولكن سمعته ينشدون :

كأنني أنادي صخرة حين أعرست من العم لو تمشي بها المصم زلت<sup>(١)</sup>  
غصوباً فما تلقاك إلا بخيلة فن مل منها ذلك الوصل ملت<sup>(٢)</sup>

[ بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة وغزله ]

قال : وكل ما ذكر ابن أبي ربيعة في شعره من عتيق ، أو أبي عتيق ، فإنما  
هو ابن أبي عتيق ، وكان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وأسم أبي ربيعة حذيفة ،  
ابن النخيلة بن عبد الله [ بن عمر ] بن مخزوم ، ويكنى أبا الخطاب ، أمه أم ولد  
سبية من حضرموت ، ويقال من حمير ، ومن ثم أتاه النزل ؛ لأنه يقال : « عشق  
يمانى ، ودل حجازي » . قال إسحاق بن إبراهيم اللوصلي :

(١) كأنني أنادي صخرة : يريد أنها لا تجيب النداء ، والصم : جمع أصم أو صا ،  
والصم : جمع أصمم ، وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدها ياض  
وسائر أسود (م) (٢) في الأغاني وغيره « صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة » (م) .

إِن قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلَّ عَزَازِيْ  
شَاكِدِيْ لَمْ يَرِ الْعِرَاقُ فِيهِ  
وَقَالَ الطَّائِي وَذَكَرَ غُصَّةً :

قَدْ تَقَفْتُ مِنْهُ الْجَبَازُ ، وَسَهَّلَتْ  
مِنْهُ الْعِرَاقُ ، وَرَقَّتْهُ الْمَشْرِقُ<sup>(١)</sup>  
وَهَجَرَتِ الثَّرِيَّا عَمَرَ ، قَالَ :

قَالَ لِي صَاحِبِي لَيْتَ لَمْ مَا بِي :  
أَتُحِبُّ الْقَتْلَ أَمْ أَسْتَحِبُّ ؟  
قُلْتُ : وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ هَلَا  
إِذَا مَا هَدَتْ بَرْدَ الشَّرَابِ  
أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوَافِلِ إِذْ دَعَتْهَا  
مُهْجَتِي ، مَا قَاتِلِي مِنْ مَتَابِ  
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْهَيَاةِ تَهَادَى  
بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ  
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْدَرُ مِنْهَا  
فِي أَدِيمِ الْخَلْدَيْنِ مَا هُوَ الشَّبَابِ  
ثُمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا  
عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَاتْرَابِ  
وَلَمَّا بَلَغَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ قَوْلَهُ :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا ؟ فُلَانِي ضِيقْتُ ذُرْعًا بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ

قَالَ : لِيَايَ أَرَادَ ، وَبِي هَفَفَ وَقَوَّهَ ، لَا جُرْمَ لَا ذَنْبَ طَعَامًا أَوْ أَشْخَصَ إِلَيْهَا ،  
وَأَسْلَحَ بَيْنَهُمَا ؛ قَالَ مَوْلَى ابْنِ تَيْمٍ : فَهَضَّ وَهَضَّتْ مَعَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى السُّوقِ إِلَى  
الضَّمْرَتَيْنِ ، فَأَتَى قَوْمًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرِ يَكْرُونَ النَّجَاطَ ، قَالَ : بَكُمُ  
تَكْرُوتِي رَاحِلَتَيْنِ إِلَى مَكَّةَ ؟ قَالُوا : بَكَذَا وَكَذَا دَرَاهِمًا ، قُلْتُ : لِبَعْضِ التَّجَارِ :  
اسْتَوْضِعُوا شَيْئًا ، قَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : وَيْحَكَ ! إِنَّ لِلْكَأَسِ آيِسَ مِنْ أَخْلَاقِ  
النَّاسِ<sup>(٢)</sup> . ثُمَّ رَكِبَ وَاحِدَةً وَرَكِبْتُ أُخْرَى ، وَأَجَذَ السَّيْرَ ، قُلْتُ : أَرِيقُ بِنَفْسِكَ ،

(١) الجولوزي : هُوَ الظَّيَاءُ الَّتِي تَعْتَزِي بِهَا الْعُشْبُ عَنْ اللَّاءِ

(٢) للشرق : عِلاَافَ الْبَلْبِينِ (٣) للكأس : الشَّوْطَةُ فِي الْأَخْذِ وَالطَّعَاةِ

قال : ويحك ! أبادر حَبْلَ الوصل أن يَتَقَبَّأ . وما أملح الدنيا إذا تَمَّ الوصلُ  
بين عمر والثريا ! قدمنَا مكة وأتى بابَ الثريا ، قالت : والله ما كنتَ لَنَا ذَوَّاراً ،  
قال : أجل ، ولكن جئتُ برسالة ، يقول لك ابنُ عمك عمر : ضِفتُ ذَرْعاً  
بهجرها والكتابِ . فلاته عمر ، قال ابنُ أبي حنيفة : إنما رأيتك مباحراً تلتنيسُ  
رسولاً ، لحقتُ في حاجتك ، فإنما كان جوابي أن أشكر .

ووصف ابنُ أبي حنيفة لمرأة من قومه ، وذكر جمالاً رائعاً ، وغزلاً  
فاتحاً ، فقرأها عمر ، فشبَّبها ! فغضب ابنُ أبي حنيفة وقال : تشبَّبُ امرأة من  
قومي ؟ قال عمر :

لا تَلْفُ عَتِيقُ حَسْبِي الْقَدِي بِى    إِنِّ بى يَاعَتِيقُ مَا قَدْ كَفَّانِي  
إِنِّ بى مُضْتَرٌّ مِنَ الْحُبِّ قَدْ أَبْغَى عِظَامِي مَخْنُونُهُ وَبِرَانِي  
لا تَلْفُ فَأَنْتَ زَيْنَتُنِي لِي  
قال ابنُ أبي حنيفة :

أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

قال عمر : هكذا ورَّبَّ الكعبة قلت .

قال ابنُ أبي حنيفة : إن شَيْطَانَكَ وَرَبَّ الْقَبْرِ بِمَا أَلَمَ بِي !  
وَسَجَّتْ رَمْلَةٌ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُلْفٍ أُخْتُ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ، قال  
عمر فيها :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحَبَالِ رَهِينًا    نَفَقَ سَدًّا يَوْمَ فَارَقَ الظَّالِمِينَ  
وَلَقَدْ قُلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ سِرًّا    قَبْلَ وَشْكِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ تَوَلِينَا  
أَنْتَ أَهْوَى الْعِبَادِ قَرِيبًا وَبَعْدًا    لَوْ تَوَاتَيْنِ عَاشِقًا مَحْزُونَا  
قَادَهُ الْحَيْنُ يَوْمَ سَرْنَا إِلَى الْحَسَجِ جَارًا    وَلَمْ يَخَفْ أَنْ يَحِينَا  
فَإِذَا نَجْمَةٌ تَرَاوَعَتْ نِجَاجًا    وَمَهْمَا تُجَلَّ النَّوَاطِرُ عَيْنَا  
فَقَبَّحْتَنِي بِمَقْلَةٍ وَبِحَيْدٍ    وَبِوَجْهِهِ يَضِي لَنَاظِرِينَا

قلتُ من أتمُّ فصَدَّتْ وقالتُ أُمَيْدُ سَؤَالُكَ الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup>  
 قلتُ باللهِ ذِي الْجَلَالَةِ مَا أَنْ تَبْلُغَ الْقَوَادِ أَنْ تَصْدُقِنَا  
 أَيْ مِنْ تَجْمَعُ لِلْوَأَسْمِ أَنْتُمْ فَأَيُّي لَنَا وَلَا تَكْذِبُنَا  
 فَرَأَتْ حِرْمِيَةَ الْقِتْلَةِ ، فَالْتَأَمَّتْ أَخْبَرِيهِ بِسَلْمٍ مَا تَكْتُمُنَا  
 نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الرِّقَاقِ ، وَكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا  
 قَدْ صَدَقْتُكَ إِذْ سَأَلْتُ فَمِنْ أَنْتِ عِسى يَجْرُ شَأْنُ شَوْوِنَا  
 وَنَرَى أَتَانَا عَرَفْنَاكَ بِالنَّمِطِ ظَنُّوْنَا وَمَا قَتَلْنَا بَقِيَّةَنَا  
 بِسِوَادِ الثَّلَاثَيْنِ وَنَمِطٍ قَدْ نَرَاهُ لِنَاطِلِ سِتِينَا  
 قَوْلُهَا : « وَكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا » أَرَادَتْ إِذْ كَانَتْ مَكَّةَ خِرَازِعَةً .  
 وَكَانَ آخِرُ مَنْ نَبَذَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ مِنْ خِرَازِعَةِ أَبُو غُبْشَانَ ، فَبَاهَهُ مِنْ قُصْعَى بَرِيقٍ  
 خَرُّهُ قَتِيلٌ فِي الثَّلِّ : « أَخْصَرُ صَفْقَةٍ مِنْ أَبِي غُبْشَانَ » . وَكَانَ أَبُو غُبْشَانَ  
 لَا يَبَاعُ الْمِفْتَاحُ قُصْعِيًّا مَرِيضًا قَدْ يَمُوتُ مِنْ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ لِأَنَّهُ قَوْمُهُ ،  
 وَسَأَلُوهُ اسْتِزْجَاجَهُ ، وَذَلِكَ الَّذِي هَاجَ الْحَرْبَ بَيْنَ خِرَازِعَةِ وَقُرَيْشٍ ، فَظَلَرُ قُصْعَى  
 وَاسْتَوْلَى عَلَى مَكَّةَ ، وَجَمَعَ قُرَيْشًا بِهَا ؛ وَلِلَّذَلِكَ سَمِيَ جَمْعًا ، قَالَ مَطْرَفُ الْخِرَازِعِيِّ :  
 أَبُو كَمٍّ قُصْعَى كَانَ يُدْعَى جُمُوعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ رَهْنٍ  
 وَقَالَ الطَّائِيُّ :  
 وَلَمَّا نَفَضْنَا ثَوْبَ الْحَيَاةِ وَأَوَقَعْتُ بِهِ نَائِبَتُ الدَّهْرِ مَا يَتَوَقَّعُ  
 غَدَا لَيْسَ يَذَرِي كَيْفَ يَصْنَعُ مُعْذِمٌ ذَرَى دَمْعُهُ فِي خَدِّهِ كَيْفَ يَصْنَعُ  
 وَلَمْ أَنْسَ سَعْيَ الْجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ بِأَكْغَفِ كَالِ يَسْتَقِلُّ وَيُظَلِّعُ<sup>(٢)</sup>  
 وَتَحْكِيمُهُ نَحْمًا عَلَيْهِ مِمَّا كُنَّا وَإِنْ كَانَ تَكْبِيرٌ لِلصَّالِحِينَ أَرْبَعُ  
 وَمَا كُنْتُ أَدْرِي يَحْكُمُ اللَّهُ قَبْلَهَا بِأَنَّ النَّدَى فِي أَهْلِهِ يَتَشَبَّعُ

(١) أُمَيْدُ سَؤَالُكَ الْعَالَمِينَ : أَيُّ هَلْ أَنْتِ مَقْسَمُهُ بَدَا وَتَضَارِقُ عَلَى النَّاسِ بِحَيْثُ  
 جَمْعِهِمْ جَمِيعًا (٢) يَسْتَقِلُّ وَيُظَلِّعُ : يَنْهَضُ وَيَسْقُطُ

غَدَوْا فِي ذَوَايَا نَشِيهِ وَكَأَنَّمَا قَرِيشٌ قَرِيشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجَمِّعٌ  
وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي أَمْرِ قَصِيٍّ وَأَبَى عُغْبَشَانَ :

أَبُو عُغْبَشَانَ أَظْلَمُ مِنْ قَصِيٍّ وَأَعْظَمُ مِنْ بَنِي ضَمْرٍ خ - زَاغَهُ  
فَلَا تَلْحَوْا قَصِيًّا فِي شِرَاهُ وَلَوْ مَوَا شَيْخَكُمْ إِذْ كَانَ بَاغَهُ  
وَكَانَ عَمْرُ أَسْوَدَ التَّنِيتِينَ .

قَالَ مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ بِلَالٍ : أَتَيْتُ الثَّرِيَّا مُسْلِمًا عَلَيْهَا ، قَالَتْ : أَنْشَدْنِي  
لَعَمْرٍ ، فَأَنْشَدْتُهَا :

• أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحَبَالِ رَهِينًا •

قَالَتْ الثَّرِيَّا : إِي وَاللَّهِ ، لَنْ سَلِمْتَ لَهُ لِأَرْدَنْ مِنْ شَأْوِهِ ، وَلَأَتْنِيَنَّ مِنْ  
عَيْنَانِهِ ، وَلَأَعْرِفَنَّهُ نَفْسَهُ ! فَرَرْتُ فِيهَا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمِّبُدُّ سَوْءُ الْكَالِ مَا لِي بِنَا  
قَالَتْ : أَوْ قَدْ أَجَابْتَهُ بِهَذَا ؟ أَى وَقْتُ ؟ فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

• وَتَرَى أَنَا عَرَفْنَاكَ بِاللَّعْنَةِ •

قَالَتْ : جَاءَتِ النَّوْكَاءُ بِآخِرِ مَا عِنْدَهَا فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ <sup>(١)</sup> .

وَسَأَلَهُ أَخُوهُ الْحَارِثُ - وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْقُبَاعِ ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ دَهْرِهِ - أَنْ  
يَتْرَكَ الشَّعْرَ ، وَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، وَوَعظَهُ ، فَقَالَ : أَمَّا مَا دَمْتُ بِمَكَّةَ فَلَا  
أَقْدِرُ ، وَلَكِنِّي أَخْرَجْتُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَخَرَجْتُ ؛ فَلَمَّا سَارَ إِلَى هُنَا لَمْ تَدْعُهُ نَفْسُهُ وَتَرَكْتُ  
الشَّعْرَ ، فَقَالَ :

هِيَهَاتَ مِنْ أَمَةِ الْوَهَابِ مَنْزِلُنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنِ <sup>(٢)</sup>  
وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ لُجِيادًا ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّذَكُّرُ أَوْ حُظٌّ مِنَ الْعَزَنِ  
بَلْ مَا نَسِيتُ غَدَاةَ الْخُلْفِ مَوْقِفَهَا وَمَوْقِفِي ، وَكَلا نَا نَمُّ ذُو شَجَنِ

(١) النوكاء : الحفقاء ، (٢) سيف البحر - بكسر السين - ساحله

وقولها لثريا وهي مطرقة والجمع منها على الخدين ذو سنن<sup>(١)</sup>  
 بالله قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول الكس في اليمن  
 إن كنت حاولت دنيا وظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن  
 فلما بلغ الشر الحارث قال : قد علمنا أنه لا ينفي<sup>(٢)</sup>.

يروى سفيان بن عيينة عن ابن جريج قال : لزمني دين مرة فضاقت  
 ساحتي وبلادي بي ، فوجهت إلى ثمن بن زائدة باليمن ، فقال : ما أقدمك  
 هذه البلدة ؟ قلت : دين طردني عن وطني . قال : يُقَصِّ دَيْنُكَ ، وتُرد إلى  
 وطنك محبوا محبورا ، قال : فأفت عنده ، ثم رأيت الناس يرحلون إلى الحج ،  
 فغفنت إلى مكة ، وذكرت قول ابن أبي ربيعة ، وذكر الأبيات ... فأثيت باب  
 ثمن ، فقلت للعاجب : استأذن لي على الأمير ، فلما دخلت عليه قال : إن  
 لك لحادث خبر ! قلت : أستودع الله الأمير وأستحفظه عليه . قال : وما حاج  
 هذا منك ؟ قلت : رأيت خروج الناس إلى الحج ، وذكرت قول عمر ؛ فغفنت  
 إلى مكة ، فقال : أنت وحنيئك ، وإن كنت بفراقك ضنينا ، وسيتبعك  
 ما تحتاج إليه ؛ فيسر مصاحبا ، قال : فسررت إلى رجلي ، فأثمتني بمالي وثياب  
 ومطاي ودواب ، وسرت إلى مكة من فوري .

عفة عمر وكان عمر - على غزله ، وما يذكركم في شعره - عفيفا . حدث المنيرة بن عبد الرحمن  
 عن أبيه قال : دخلت مع أبي مكة ، فجاءه عمر ، فلم عليه ، وأنا غلام شاب  
 وعلى جبته فجعل يأخذ بخصلة من شترى فتمتد في يده ، ثم يرسلها فترجع ،  
 فيقول : واشباهاه ! فقال لي : يا ابن أخي ، قد سمعت قولي : « قلت لها وقالت لي » ؛  
 وكل مملوك لي حر ! إن كنت قط كشفت عن فرج حرام ! قال : قممت وفي

(١) السنن : الطرائق (٢) ارجع إلى نقض هذا الرأي في كتاب « حب ابن  
 أبي ربيعة وشعره » في الفصل الذي عنوانه « الجوانب الجديدة في حياة ابن أبي ربيعة »



نَفْسِي مِنْ يَمِينِهِ شَيْءٌ؛ فَسَأَلْتُ عَنْ رَقِيقِهِ، فَقِيلَ لِي: أَمَا فِي هَذَا الْحَوْلِ فُسَبُحُونَ .  
وَيَسْتَحْسِنُ قَوْلَ عُمَرَ فِي السَّاعِلَةِ :

وِخْلٌ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتِمًا مُطِيمًا  
أَطَافَ بِغَيْفَةٍ فَتَنَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ: أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا  
أَرَدْتُ رِشَادَهُ جَهْدِي، فَلَمَّا أَبَى وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا  
وَهَذَا مَا خُذُ مِنْ قَوْلِ دُرَيْدِ بْنِ الْقَسَمَةِ الْجَحْشِيِّ<sup>(١)</sup>:

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ الْوَيْ  
فَلَمْ يَلْمُوا بِالْفَتَى مُدْجِعٍ  
فَمَا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى  
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ  
وَمِنْ جِيدِ شَعْرِهِ:

يَقُولُونَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ وَالْهَوَى  
فَمَا بِالْطَّرْفِ عَفَا عَمَّا تَقَطَّعَتْ  
عَشِيَّةً لَا يَسْتَكْرِ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا  
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ أَوْ مَضَتْ لَهُ  
تَرَوِّحٌ يَرَجُو أَنْ تَعْطَى ذُنُوبُهُ  
وَمَا الشُّكُّ أَسْلَافِي، وَلَكِنْ لِلْهَوَى  
وَلِإِنِّي لَا أَرَاكَ حِينَ أُغِيبُ  
لَهُ أَفْسَرٌ مِنْ مَشْرِقٍ وَقُلُوبُ  
سَفَاةٍ حِجْبِي عَنْ يُقَالُ لِيَبِ  
بَعَيْنِ الصَّبَا كُنْتُ الْقِيَامَ لَعُوبٍ<sup>(٢)</sup>  
فَلَبَّ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ  
عَلَى الْعَيْنِ مَتَى وَالْفَوَادِ رَقِيبُ

وَنَظَرَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْمَةَ إِلَى فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ يَكَلِّمُ امْرَأَةً فِي الطُّلُوفِ، فَصَابَ  
ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَذَكَرَ أَنَّهَا ابْنَةُ عَمِّهِ، فَقَالَ: ذَلِكَ أَشْنَعُ لِأَمْرِكَ، قَالَ: إِنِّي خَطَبْتُهَا

(١) أَحَدُ الشُعْرَاءِ الْأَبْطَالِ . غَزَا نَحْوَ مِائَةِ غَزْوَةٍ ، وَلَمْ يُغَيَّبْ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا ، عُمَرَ طَوِيلًا حَتَّى سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ ، أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسَلِّمْ ، قُتِلَ عَلَى دِينِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ حَنْيْنٍ (٢) ظَنُّوا ، هُنَا مَعْنَاهَا تَيَقَّنُوا . وَالدَّجِجُ : التَّامُّ السَّلَاحِ . وَالسَّرْدُ : الْحَكْمُ النَّاسِجُ . وَهُوَ صَفَةُ لِلدَّرْعِ (٣) أَوْ مَضَتْ لَهُ : سَارَقَتْهُ النَّظَرُ

إلى عمي ، وإنه زعم أنه لا يزوجه حتى أصدقها أربع مائة دينار ، وأنا غير قادر على ذلك ، وذكر من حاله وحبه لها ؛ فأتى عمره ، فكلّمه في أمرها ، قال : إنه مُلّق ، فزوج به ، وساق عمره لله .

وكان عمر حين أسنّ حلف ألا يقول بيتا إلا أعطى رقة ، فانصرف إلى منزله يحدث نفسه ، فبجّلت جاريته تكلّمه ولا يحبها ؛ فقالت : إن لك لثأنا ، وأراك تريد أن تقول شعرا ، قال :

تقول وليدي لما رأيته      طربت : وكنت قد أقصرت حيناً  
أراك اليوم قد أخذت أمراً      وهاج لك الهوى داء دينا  
وكنت زعمت أنك ذو عزاه      إنا ما شئت فارتقت القرينا  
لمرك هل رأيت لها سماً      فشاكك أم لقيت لها خدينا  
قلت : شكا إلى أخ محب      كبغض زماننا إذ تطعينا  
قصّ على ما يلقى بهند      فذكر بغض ما كنا نسينا  
وذو الشوق القديم وإن تمرى      مشوق حين يلقى العاشقينا  
فكم من خلّة أعرضت عنها      لغير قلبي ، وكنت بها ضيننا  
أردت بعداها فصددت عنها      وإن جنّ الفؤاد بها جنونا  
ثم دعا تسعة من رقيقه فأعظمهم .

قال عثمان بن إبراهيم : حجبت أنا وأصحاب لنا ، فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة ، فرأينا عربين أبي ربيعة ، وقد تسك وترك قول الشعر . فقال بعضنا لبعض : هل لكم فيه ؟ فإلنا إليه ، وسلمنا عليه ، وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا . فقال له بعضنا : أيعجبك قول الفرزدق :

سرت لمينك سلتى بعد مقلها      فبت مستطلياً من بعد مسراها  
قلت : أهلاً وسهلاً من هذا لنا ؟      إن كنت تمثالها أو كنت إياها  
تأى الرياح التي من نحو بلدكم      حتى تقول : دنت منا بريأها

وقد تراخت بهم عَنانوى قَذَفَ هيهات مُصعَّبها مِن بَعدِ مُسماها<sup>(١)</sup>  
 من أَجلها أُمْنى أَن يُلاقينى من نحو بَلَدَها ناعٍ فَيَنماها  
 كَما أَقول: افتراقُ لاجتماعِ لهُ ، وَتَضِيرُ النفسُ يَأْساً ثُمَّ تَنلُها  
 ولو تَموتُ لراحتى وَقلتُ لَها : يا يَوسُ للهِر لَيتَ البَحرُ أَبْقاها  
 فلم يَهِشْ لَها ! قال الآخر : أَيُجيبك قول المُذرى :

لو حَزَّ بالسيفِ رَأْسى فى مَوَدَّتها مُرٌّ يَهوى سَريعاً تَموتُها رَأْسى  
 ولو لَى تحتَ أَطباقِ التَرى حَندى لَكنتُ أُنمى وما قَلبى لَكم نَاسى  
 أو يَقبضُ اللهُ رُوحى صارَ ذِكرُكم رُوحاً أَعيشُ بِهِ ما عشتُ فى الناسِ  
 لولا نَسِمْ لَذَكَراكم بِرُوحى لَكنتُ مُحترقاً من حَرِّ أنفاسى  
 فَحَرَكْ ثُمَّ قال : يا وَيمَه ! أَبعد ما يَحزُّ رأسه يَميلُ إِلَيهِ ؟

ثم أَنشأ يَحَدِّثنا ، قال : أَنانى خالداً الدليل ، قال : إن هندا وأثرابها بموضع  
 كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع ، قلت : كيف الحيلة ؟ قال : تَنَلُّمٌ وَتَكْتِيلٌ<sup>(٢)</sup>  
 كانَكَ طالِبُ ضالَّةٍ ، فَعَلْتَ ، فَذُفْتُ إِلَيهِن ، قَلَنْ : يا أعرابى ، ما تَطالِبُ ؟ قلت :  
 ضالَّةً لى ، قَلَنْ : قد كَلَيْتُ يا أعرابى ، فَتَوَجَّسْتُ فَأَصَبْتُ مِنْ حَدِيثِنَا وَأَصَبْنَا مِنْ  
 حَدِيثِكَ ، وَلَمَّا تَوَجَّسْتُ إِلَى وَجُودِ ضالَّتِكَ ، فَزَلْتُ ؛ فَلما امْتَدَّ الْحَدِيثُ بَنَّا حَسَرْتُ  
 هِنْدُ لِنائى ، وَقالت : أَتَرَكَ حَدِيثَنَا ؟ نَحْنُ وَاللهُ حَدَّثناكَ ، وَبَشَّنا إِلَيْكَ خالداً ،  
 رَأينا خِلاءً وَمَنْظَراً فَأَرَدْنَاكَ ، وَنَظَرْتُ فى دِرْعى فَأُجِيبُنى ما رَأَيْتُ ، قلت :  
 يا أبا الخطاب ! قال عمر : قلت : لَبَّيْكَ ، وَفى ذَلِكَ أَقول :

أَلَمْ تَسألِ الْأَظْلالَ وَلِلْمُتَرَبِّما يَبْطِنُ حَلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلَقَما<sup>(٣)</sup>

(١) نوى قذف : جيدة

(٢) اكتفل : ركب فوق الكفل . بالكسر ، وهو شئ مستدير يتخذ من  
 خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير (٣) حليات : اسم موضع

إلى السرح من وادي النمس بُدلت  
 فيخلن أو يغرن بالعلم بقدما  
 هنيذ وأراب هنيذ إذ الهوى  
 وإذا لا نطع العاذلين ولا زرى  
 وإذا نحن مثل الماء كان مزاجه  
 تنوعت حتى عاود القلب حبله  
 قلت لطيرين بالهسن : إنما  
 وأشرته فاستشرى وقد كان قد صحا  
 لئن كان ما حدثت حقا فأرى  
 قال : هم فانظر، قلت : وكيف لي  
 قال : اكفل ثم التم فأت باغيا  
 فأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبي  
 فلما تواقنا وسلمت أقبلت  
 تبالهن باليرقان لكأ رأيتني  
 وقربن أسباب الهوى لئيم  
 فلما تنازعن الأحاديث قلن لي

مسأله وبلأ وتكبه زعرا<sup>(١)</sup>  
 نكأن فؤادا كان قديما موجعا<sup>(٢)</sup>  
 جميع وإذا لم تخش أن يتصدعا  
 لوأش لدينا يطلب الهجر مطعا  
 كما صفق الساق الرقيق للشعثا  
 وحتى تذكرت الحبيب الودعا  
 ضررت، فهل تستطيع نقفا فتفعا؟  
 فؤاد بأنتال المأ كان مولعا<sup>(٣)</sup>  
 كتل الألى أطريت في الناس أربعا<sup>(٤)</sup>  
 أخاف حديثا أن يشاع فيشنا  
 فسلم ولا نكثر بأن تتورعا  
 لموعده أبغى قلو صا موقعا<sup>(٥)</sup>  
 وجوة زهاها الحسن أن تتقعا  
 وقلن : امرؤ باغ أكل وأوضعا<sup>(٦)</sup>  
 يقيس ذراعا كلما قسن إصبعا  
 أخفت علينا أن نقر ونخدعا

- (١) النمس : موضع قرب مكة في طريق الطائف، والنكباء : الريح التي تتكبد عن مهاب الرياح، وريح زعرة : شديدة
- (٢) نكأ الجرح : أصابه من جديد (٣) أشرته فاستشرى : هجته فهاج، وشري الشر ، على وزن رضى ، استطار . وشري زيد : غضب ولج ، ومثله استشرى ، ومنه الشراء للخوارج ، سموا بذلك لحاجتهم وإيمانهم في الخروج ، لا لأنهم شروا أنفسهم وابعوها في الطاعة كما وهم بعض الناس (٤) الإطراء : البالغة في الثناء
- (٥) اللوقع : البعير تكثر عليه آثار الدبر (٦) أكل راحلته وأوضعا : أتمها

فبالأَمْسِ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدًا إِلَيْكَ ، وَيُنَا لَهُ الْأَمْرَ أَجْمَا  
 فَمَا جِئْنَا إِلَّا عَلَى وَفَى مَوْعِدٍ عَلَى مَلَأَ مَذَا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا  
 رَأَيْنَا خَلَاءَ مِنْ غَيُونٍ وَمَنْظَرًا دَمِيثَ الرَّبِيِّ سَهْلَ الْحَلَةِ مُعْرِعًا<sup>(١)</sup>  
 وَقُلْنَ : كَرِيمٌ نَالٌ وَصَلَ كَرَانِمُ حَقٌّ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَتَمَتَّا  
 وَقَوْلُهُ : « وَجْهَ زَهَاهَا الْحَسَنِ أَنْ تَقْتَمَا » يَقُولُ : هَذِهِ الْوَجْهَ مَدْلَهُ بِجَاهِهَا  
 فَلَا تَحْتَمِرُ ، فَتَسْتَرِ شَيْئًا عَنِ النَّاطِرِينَ إِلَيْهَا . وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الشَّامَخُ بْنُ  
 ضِرَارٍ<sup>(٢)</sup> يَصِفُ نَاقَهُ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَ مَدْلَةٍ بُعِثَ الشَّبَابُ حَاوَلَتْ أَنْ تُدْزَرَ<sup>(٣)</sup>  
 مِنَ الْبَيْضِ أَعْطَافًا إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ فِرَاسَ بْنَ غَنَمٍ أَوْ نَقِيطَ بْنَ بَعْمُرَا  
 بِهَا شَرَقَ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرِّدَاءَ الْخَبْرَا

[ مَنْ لَا تَرَى سِتْرَ الْوَجْهِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَاحْتِجَاجَهَا لِنَاقِ ]

قَالَ : وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ لَا تَسْتَرُ وَجْهَهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ  
 عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ لَهَا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَسَمِعَنِي بِمِثْمِ جَهَالٍ ،  
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ ، وَاللَّهِ مَا بِي وَصْنَةٌ أَشْتَرُ لَهَا .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّوْمِيُّ يَصِفُ قَيْنَةً :

لَمْ يَمْتَصِّمْ عَوْدُهَا بِزَامِرَةٍ وَلَا انْصَوَى وَجْهَهَا إِلَى السِّتْرِ  
 وَقَدْ رَدَدَ مَعْنَى قَوْلِهِ : « لَمْ يَمْتَصِّمْ عَوْدُهَا بِزَامِرَةٍ » فَقَالَ : يَصِفُ بَرْعَةً  
 الْكَبِيرَةَ :

غَنَتْ فَلَمْ تَحْجُجْ إِلَى زَامِرٍ هَلْ تَحْجُجُ الشَّمْسُ إِلَى شَمْسِهِ

(١) دَمِيثٌ : سَهْلٌ . وَالْمَرْعُ : الْخَصْبُ

(٢) هُوَ مَعْقِلُ بْنُ ضِرَارٍ ، التَّوَفَّى سَنَةَ ٢٢٠ هـ ، كَانَ أَرْجَزَ النَّاسِ عَلَى الْبِدْمَةِ ، شَهِدَ

الْقَادِسِيَّةَ ، وَتَوَفَّى فِي غَزْوَةِ مَوْقَانَ (٢) فِي سَبْعَةِ « ذِرَاعَاتٍ مَدْلَةٍ » (م)

كأنما غنت لشئب الضحى      فألبستها حُسْنَهَا خَلْمَهُ  
 كأنما رَنَتْ مسموعها      رَقَّةً شَكْوَى سَبَقَتْ ذَمَّهُ  
 تُهْدِي إِلَى قَلْبِكَ مَا يَشْتَعِي      كأنها قد أَطْلَمَتْ طَلْمَهُ  
 يَجْتَمِعُ الظَّرْفُ جَلَالِيسَهَا      والحسنُ والإحسانُ فِي بُقْمِهِ  
 طَفَلَ عَلَى مَنْ حَصَلَتْ عِنْدَهُ      فبعضُ تَطْفِيلِ الْقَتَى رُفْمَهُ (١)  
 ربيع غيثٍ فانتَجِعْ رَوْضَهُ      فلن يُعَابَ الْحَرَّ بِالنَّجْمِ (٢)

[سَتْرُ الرَّأْسِ لِإِخْفَاءِ الصَّلَاحِ]

وكان ابن الرومي لا يزال معتمداً ، وكان يفضض إذا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، وسأله بعضُ الرؤساء: لِمَ تَعْتَمُ؟ قَالَ بَدِيهَا :

يَأْتِيهَا السَّائِلُ لِأَخْبِرَهُ      عَنِّي لِمَ لَا أَرَاكَ مُتَعَجِّراً  
 أَسْتَرُ شَيْئًا لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي      تَرْيِفُهُ السَّائِلِينَ مَا سَتَرَا  
 وقد بين العلة التي أوجبت اهتمامه في قوله :

تَمَتَّتْ إِحْصَانًا لِرَأْسِي بَرْهَةً      مِنَ الْقَرِّ يَوْمًا وَالْحَرُورِ إِذَا سَفَعَتْ  
 فَلَمَّا دَهَى طَوْلُ التَّصَمُّمِ لِحْتِي      وَأَوْدَى بِهَا بَدَّ الْإِطَالَةِ وَالْفَرَعِ  
 عَزَمْتُ عَلَى لُبْسِ الْعِمَامَةِ حِيلَةً      لَتَسْتَرَّ مَا جَرَّتْ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَعِ  
 فَيَالِكَ مِنْ جَانٍ عَلَى جِنَايَةٍ      جَعَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ جَنَائِهِ الْفَرَعِ  
 وَأَعْجَبَ شَيْءٌ كَانَ دَانِي جَعْلُهُ      دَوَانِي عَلَى عَمْدٍ وَأَعْجَبَ بَأَنْ نَفَعْتُ

وهذا كقولهِ ، وإن لم يكن في معناه ، وقد رأيت من ينسبه إلى كشاجم :

طَرَبْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَرَوَّعَتْنِي      طَوَالِحُ ثِيْبَيْنِ أَلْمَتَا بِي  
 فَأَمَّا شَيْبَةٌ فَفَزَعَتْ مِنْهَا      إِلَى الْمِرَاضِ حُبًّا لِلتَّصَايِ

(١) التطفيل: غشيان الوليمة من غير دعوة

(٢) النجبة: الأرتحال في سنبل الكلام

وَأَمَّا شَيْبَةُ فَصَفَعَتْ عَنْهَا لَتَشْهَدَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ خِيَابِي  
فَأُعْجِبَ بِالْإِثْلِيلِ عَلَى مَشْيِي أَقْتُ بِوِ الدَّلِيلِ عَلَى شَبَابِي  
وهو القائل في صفة رجل أصلح :  
يَجْذِبُ مِنْ قَرْنِهِ طُرَّةً إِلَى مَدَى يَقْصُرُ عَنْ مِيلِهِ  
فَوْجُهُ يَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهِ أَخَذَ نَهَارَ الصَّبَاحِ مِنْ لَيْلِهِ  
وقال أعرابي :

قَدْ تَرَكَ الدَّاهِرُ صَفَايَ صَفْصَفًا فَصَارَ رَأْسِي جَبَّةً إِلَى الْإِقْفَا<sup>(١)</sup>  
\* كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ رَبًّا فَصَفَا \*

[ من كلام الأعراب ]

قال أعرابي<sup>٢</sup> لسليمان بن عبد الملك : إني أكلك يا أمير المؤمنين بكلام بين سليمان بن عبد الملك وأعرابي  
فاحتله ، فإن وراءه إن قبلته ماتعه ، قال : هاتوا يا أعرابي ؛ فنحن نجودُ بسمعِ الاحتمال على مَنْ لا تأمن غيبتته ، ولا ترجو نصيحته ، وأنت للآمون غيبا ، الناصح جيبا<sup>(٣)</sup> . قال : فإني سأطلق لساني بما خسرته عنه اللسان ، تآدية لحق الله تعالى ؛ إنه قد اكتشفك رجالٌ أساءوا الاختيارَ لأنفسهم ، وابتاعوا دُنْيَاكَ بدينهم ، ورضاك بسخطِ ربهم ، وخافوك في الله ولم يخافوا اللهُ فيك ، فهم حربٌ للآخرة ، وسلمٌ للدنيا ، فلا تأتمنهم على ما ائتمنتك الله عليه ؛ فإنهم لم يَأْتُوا الأمانةَ تضييما ، والأمةَ كسفا وخسفا ، وأنت مسئول عما اجترعوا ، وليسوا مسئولين عما اجترعت ؛ فلا تُصلِحْ دنياهم بفساد آخرتك ؛ فإن أعظم الناس عند الله غيبًا مَنْ باعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ .

قال سليمان : أما أنت يا أعرابي فقد سلط لسانك وهو سيفك ، قال : أجل يا أمير المؤمنين ، لك لأعليك .

(١) الصفاة : الصخرة ، والمراد بها حال المرء (٢) نصح الجيب : كناية عن

وصف للطير  
لاعرابي

وروى النبي عن أبيه عن مولى لسرو بن حريث قال : شخصت إلى سليمان  
ابن عبد الملك ، فقبل لي : إنك ترد على أفصح العرب ، وسيألك عن الطير ، فأنظر  
ما تنجي به ، قلت : ما عندي من الجواب إلا طير الطير ، فقبل لي : ما ذلك  
بمفنع عنده ، فلقيني أعرابي قلت : هل لك في درهمين ؟ قال : إني والله محتاج  
إليهما ، حريمٌ عليهما ، فاشأنك ؟ قلت : لو سألك سائل عن هذا الطير  
بم كنت تنجي به ؟ قال : أويئساً بهذا أحد ؟ قلت : نعم ، سألتك ! قال : أئسيماً  
أن تقول : أصابتنا سماء ، عمد لها الثرى ، واتصل بها الثرى ، وقامت منها  
التدر ، وأنتك في مثل وجار الضبع ، فكتب الكلام ، وأعطيت درهمين :  
فكان هجيراء على الراحة<sup>(١)</sup> ؛ فإذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسي كافي  
واقف بين يديه ، وقد سلمت عليه بالخلافة وهو يسألني عن الطير !

فلما انتهت إليه سألني فاقصصت الكلام ، فكسر إحدى عينيه ، وقال :  
إني لأسمع كلاماً ما أنت بأبي عذرت<sup>(٢)</sup> . قلت : صدقت ! وحياتك يا أمير المؤمنين  
اشترته بدرهمين ! فاستغرب ضحكاً ، ثم أحسن صلي .

أعرابي  
تمدح رجلاً

وقال أعرابي يمدح رجلاً :  
حليم مع التقوى ، شجاع مع الجدا  
ندحين لا يندى السحاب سكوب  
ويجدا أموراً لو تصفين غيره  
لمت خطائاً أو لكاد يذوب  
شديد متاع القلب في الموقف الذي  
به لعلوب العالمين وجيب  
فتى هو من غير التخلق ماحد  
ومن غير تأديب الرجال أديب  
وقال بعض المحدثين يمدح :

(١) كان هجيراء على الراحة : أي لم يزل يكرره وهو سائر

(٢) ليس بأبي عذرت : ليس صاحبه . والعذرة : البكارة ، وهو أبو عذرة هذا

تذكيره : أي أول من انقض بكارته . يعني أنه مبدعه



فَقِي يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ      وَيَجْعَلُ دُونَ الْمَذَرِ فَضْلَ التَّكْرِيمِ  
أَعْرَضَ مَتَى تَقْصِدُ بِهِ فَضْلَ حِفْظِهِ      تُصِيبُ وَمَتَى تَطْلُبُ بِهِ النُّفْمَ تَقْتَمِرُ  
عَلَى رَأْيِهِ يَنْضَمُ مُنْتَضِعُ الصَّفَا      وَيَنْجَلُ مِنْ عَقْدِ الرُّمَى كُلِّ مُبْتَدِمِ  
لَهُ عَزْمَةٌ أَغْنَى مِنَ الْجَيْشِ فِي الْوَعَى      وَخَطَرَةٌ رَأَيْمِ كَالْحَسَامِ الْمَصْمَرِ

جملة من كلام أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني<sup>(١)</sup> بديع الزمان

وهذا اسمٌ وافق مُسَمَّاهُ ، وَلَفْظٌ طَابِقٌ مَسْنَاهُ ، وكلام غَضُّ الكاسِرِ ،  
أَرْنِيقُ الْجَوَاهِرِ ، يَكَادُ الْمَوَاءُ يَسْرِقُهُ لُطْفًا ، وَالْمَوَى يَشْتَقُهُ ظَرْفًا

ولما رأى أباه بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي<sup>(٢)</sup> أغرب بأربعين حديثاً ، وذكر كيف استوحى  
أنه استنبطها من يتابع صدره ، واستنسخها من معادن فكره ، وأبداهم للأبصار صنع المقامات  
والبصائر ، وأهداهم للأفكار والضائر ، في معارض أعجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء  
أكثر ما أظهر تنبؤ عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حُجَّتُهَا الْأَسْمَاعُ ، وتوسع فيها ؛  
إذ صرف ألفاظها ومعانيها ، في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها  
بأربعمائة مقامة في الكدنية ، تذوب ظَرْفًا ، وتقطر حُسْنًا ، لامناسبة بين  
للقامتين لفظاً ولا معنى ، وعطف مُسَاجَلَتِهَا ، ووقفت مناقلتها ، بين رجلين سَمَى  
أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا التتح الإسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدُّرَّ ،  
ويتنافسان السَّحَر ، في ممانٍ تُضْجِكُ الْحَزِينَ ، وتحرك الرِّصِينَ ، يتطلع منها  
كلَّ طريفة ، ويوقف منها على كلِّ لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ،

(١) هو أشهر كتاب القرن الرابع ، وأقام أثراً . كانت وقامت سنة ٣٩٨ وسينحدث  
عنه صاحب زهر الآداب في مواطن متفرقة (٢) ابن دريد هو محمد بن الحسن  
« ولا الحسين كما ورد في الأصل » المتوفى سنة ٣٢٩ ، كان فما وصفوه أعلم الشعراء .  
وأشعر العلماء

وخص أحداهما بالرواية ؛ وسأذكر منها ما لا يحِلُّ طوله بالشرط المقود ، ولا ينافي حصوله الغرض المقصود<sup>(١)</sup>.

كتب إلى أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

كتاب  
من البديع  
لأبي نصر  
الميكالي

كتابي - أعز الله الأمير ! - وبودي أن أكونه ، فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاه قفاه . فرّق الله بين الأيام ، تفرّقها بين الكرام ، وألهمها أن تورّد بعقل ، وتصدر بتسميز ، وما ذلك على الله بعزيز ، وأنا في مفاعلة الأمير ، بين ثقة تيد ، ويد ترتمد ، ولم لا يكون ذلك ؟ والبخر وإن لم أره ، قد سمعت خبره ، ومن رأى من السيف أثره . فقد عاين أكثره ، والليث وإن لم ألقه ، فلم أجهل خلقه ، وما وراء ذلك من تاليد أصل وحسب ، وطارف فضل وأدب ، وبند همه وصيت ، فعلوم تشهد به الدقار ، والخبر التواتر ، وتنطق به الأشعار ، كما تصدق به الآثار ، والعين أقل الحواس إدراكا ، والأذن أكثرها استمساكا ، وإن بدت الدار فلا خير ؛ إن أيسر البعدين بُعد الدارين ، وخير القرين قرب القلبين .

وكتب إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة :

الأمير الفاضل ، والشيخ الرئيس ، رفيع منابر الهمة ، بعيد منال الحرمة ، وفسيح مجال الفضل ، رحيب منحترق الجود ، رطيب مكسّر العود

ومن البديع  
إلى الميكالي أيضا

(١) مؤدى هذا الكلام أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وأنه حاكى ابن دريد في أحاديثه ؛ وقد استطلعت هذا النص في كتابي الذي وضعته بالفرنسية عن النثر في القرن الرابع . وقد دهش المسيو مارسيه لهذه الفكرة ، وعجب كيف اتفق الناس إلى اليوم على أن البديع هو منتهى فن المقامات ، ولكن من جانب آخر أذكر أنني لم أزمثل هذا الكلام في غير زهر الآداب ، ولا أزال أتلس له مصدراً آخر ، وم أعثر على شيء إلى اليوم ، ويزيد في الدهشة أن صاحب زهر الآداب يروي للسأة على أنها مقبولة معروفة لبعض بنقش ولا تكذيب ، وقد نقلها عنه ياقوب في - سجم الأداء

فَوَ نَظَمْتُ الثَّرِيَا وَالشَّرَّيَيْنِ قَرِيضَا  
وَكَا هَلْ الْأَرْضُ ضَرَبَا وَشَعْبَرَضَوِي عَرُوضَا  
وَصُفْتُ لِلدَّرِ ضِدًّا وَلِلْهُوَاءِ هَيْضَا  
بَلْ لَوْ جَلَّوْتُ عَلَيْهِ سُدَّ النَّوَابِ يَيْضَا  
أَوْ أَدْعَيْتُ الثَّرِيَا لِأَخْصِيهِ حَنْيِضَا  
وَالْبَحْرَ عِنْدَ لُهَا يُومُ الْعَطَاءِ مَنِيضَا

لَا كُنْتُ إِلَّا فِي ذِمَّةِ الْقُصُورِ ، وَجَانِبِ التَّصْمِيرِ ، فَكَيْفَ وَأَنَا قَاعِدُ الْحَالَةِ فِي  
لُذَحْ ، قَاصِرُ الْآلَةِ عَنِ الشَّرْحِ ؟ وَلَكِنِّي أَقُولُ : التَّنَاءُ مُنْجِعٌ أَيْ سَلَكٌ ، وَالسَّخَى  
جُودُهُ بِمَا مَلَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ غُرَّةً لِأَمْتَةٍ فَلَمَحَةُ دَالَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَدَاءً  
فَاءً<sup>(١)</sup> ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَرْفَخَلٌ ، وَإِنْ لَمْ يُصَيِّبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ، وَبَذَلُ الْمَوْجُودِ غَايَةَ  
الْجُودِ ، وَبَعْضُ الْجَمْدِ آخِرُ الْمَجْهُودِ ، وَمَا شَ خَيْرٌ مِنْ لَاشٍ<sup>(٢)</sup> ، وَوُجُودُهَا قَلٌّ  
خَيْرٌ مِنْ عَدَمِ مَا جَلَّ . وَقَلِيلٌ فِي الْجَيْبِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي الْفَيْسِ ، وَجَهْدُ الْمَقْلِ  
خَيْرٌ مِنْ عَذْرِ الْخَلِّ ، وَحِمَارُ أَيْسٍ خَيْرٌ مِنْ فَرَسٍ لَيْسَ<sup>(٣)</sup> ، وَكُوخٌ فِي الْعِيَانِ  
خَيْرٌ مِنْ قَصْرِ فِي الْوَحْمِ . وَزَيْتٌ<sup>(٤)</sup> خَيْرٌ مِنْ لَيْتٍ ، وَمَا كَانَ أَجُودَ مِنْ لَوْ كَانَ ، وَقَدْ  
قِيلَ : عَصْفُورٌ فِي الْكَفِّ أَجُودُ مِنْ كَرَكِي فِي الْجَوِّ ، وَلَآنَ<sup>(٥)</sup> تَقْطِفُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ  
تَقْفَ ، وَمَنْ لَمْ يَحْدِ الْجَيْمَ رَعَى الْمَشِيمَ<sup>(٦)</sup> ، وَمَنْ لَمْ يَحْسَ صَهْلَانَهَقَ ، وَمَنْ لَمْ يَحْدِ  
مَاءَ تَيْمَمٍ ؛ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ - أَدَامَ اللَّهُ نَعْمَاهُ - لَا يَنْظُرُ فِي قَوَائِي صَنِيعَتِهِ إِلَى رَكَاكَةِ  
الْفَاظِلِهَا ، وَبُعْدِ أَغْرَاضِهَا ، وَلَكِنْ إِلَى كَثَرَةِ جَذْرِهَا<sup>(٧)</sup> ، وَقَتْلِ مَهْرِهَا ، وَقِسْلَةِ

(١) صَدَاءُ : مَاءٌ يَضْرِبُ بِهِ الْكُلُّ فِي الْحَلَاوَةِ ، وَيُقَالُ : مَاءٌ وَلَا كَهْدَاءُ .

(٢) لَاشٌ : لَاشِيٌّ ، وَيُقَالُ لَهُ مَا شَ ، وَهِيَ عِبَارَةٌ مَوْفُوتَةٌ .

(٣) الْأَيْسُ : الْقَهْرُ ، يُرِيدُ أَنْ حِمَارُ الْضَرُورَةِ خَيْرٌ مِنَ الْفَرَسِ الْمَدْمُومِ .

(٤) زَيْتٌ : هِيَ هَكَذَا بِالزَّيِّ فِي الْأَصُولِ عَامَةٌ ، وَأَنَا أَخْبِيهِ «ذَيْتٌ» بِالْقَدَالِ ، وَهِيَ  
مِنَ الْأَقَاظِ الَّتِي يَكْنَى بِهَا فَقَالَ «كَيْتٌ وَذَيْتٌ» (م) . (٥) تَقْطِفُ : تَسِيرُ بِيْطٍ ، (م) .

(٦) الْجَيْمُ : النَّبْتُ الْغَزِيرُ ، وَالْمَشِيمُ : الْيَابِسُ (٧) الْجَذَرُ : مَا تَكْفَأُ بِهِ النِّسْيَةُ

كفتها ، وإني منذ فارقت قَصَبَةَ جرجان ، ووطئت عَتَبَةَ خراسان ، ما زفقتها  
إلا إليه ، ولا وَفَّقْتُهَا إلا عليه ، هذا على تمرغنى فى أعطاف الحن ، وضرورنى  
إلى أبناء الزمن ، وإن كان الأمير الرئيس يرفع لكل لفظٍ حجاب سمعه ، ويُفَسِّحُ  
لكل شعرٍ فناء طبعه ، فهناك من النثر ما ترى ، ومن النظم ما يترى :

أَذْهَقِ الْكَاسَ فَعَرَفُ السَّجَّارِ قَدْ كَادَ يَوْحُ  
فَهوَ لِنَفْسٍ صَبَاحٌ وَلَذَى الرَّأْيِ صَبُوحُ  
وَالَّذِى يَمْرُجُ بِي فِى حَلْبَةِ اللَّهِوَجُوحُ  
فَاسْقِنِيهَا وَالْأَمَانِىُّ لَهَا عَرَفُ يَفُوحُ  
إِنَّ لِلْأَيَّامِ أَسْرًا رَأْبَهَا سَوْفَ تَبُوحُ  
لَا يَغْرَتُكَ جِسْمٌ صَادَقُ الْحِسِّ وَرُوحُ  
إِنَّمَا نَحْنُ إِلَى الْآ جَالُ نَفْدُو وَرُوحُ  
وَنِيكَ هَذَا الْمَرُّ تَبْرِيحُ وَهَذَا الرُّوحُ رِيحُ  
بَيْنَا أَنْتَ صَحِيحُ الْجِسْمِ إِذْ أَنْتَ طَرِيحُ  
فَاسْقِنِيهَا مِثْلَ مَا يَلْفُظُهُ الذِّيكُ الذِّيبُ  
قَبْلَ أَنْ يَضْرِبَ فِى الدَّهْرِ بِي الْقِدْحُ السِّنِيحُ<sup>(١)</sup>  
إِنَّمَا الدَّهْرُ غَرُورٌ وَلَنْ أَضْعَى نَصِيحُ  
وَلِسَانُ الدَّهْرِ بِالْوَعْظِ لَوَاعِيهِ فَصِيحُ  
نَتَبِيحُ الدَّهْرِ وَالْأَيَّامُ مَنَا تَسْبِيحُ  
نَحْنُ لَاهُونَ وَأَجَا لُ الْمُنَايَا لَا تَرِيحُ  
يَا غَلَامُ الْكَأْسِ قَالِيَا سُ مِنْ النَّاسِ مُرَبِّحُ  
ضَاعَ مَا نَحْمِيهِ مِنْ أَنْفُسِنَا وَهُوَ مَبِيحُ

(١) هكذا ، وهو فى الرسائل « السفيح » بالناء ، وهو صواب ملائم المعنى  
الراد ، والسفيح : أحد ثلاثة أقداح من أقداح البير ليست ترمج شيئاً ، وثانيتها  
يسمى الوغد ، وثالثتها يسمى السفيح (م) .

وقنوعا فقام الذل بالمرء قبيح  
 أنا يا دهر بأبنا نك شق<sup>(١)</sup> وسطيح<sup>(٢)</sup>  
 وبأبكار القوافي ٧ على كفاء شجيع  
 يا بني ميكال والجو د ليلاني زريج  
 شرقا إن مجال الفضل فيكم: نسيح  
 وعلى قدر سنا المسدوح يأتيك اللديح  
 فهنك الشرف الأرفع والطرف الطموح  
 والندى والخلق العا هروا خلق<sup>(٣)</sup> الصبيح  
 مرتقى مجد يحار الحار فيه ويطيح  
 أيهذا الكرم الما نل والخلق السجيع<sup>(٤)</sup>  
 كان هذا الجود ميتا عاذة منك المسيح

هذه أطال الله بقاء الأمير! - هدية الوقت، وغفوة الساعة، وقبض البديهة،  
 ومسارقة القلم، ومسابقة اليد للقم، وجرات الحدة، وثمرات اللذة، ومجازاة الخاطر  
 للناظر، ومباراة الطالع للسمع، ومجازاة الجنان للبيان، والشعر إذا لم تقدمه رواية،  
 ولم تنضجه تية، لم يفتح له السمع بابه، ولم يرفع له القلب حجابيه، وإذا لبس الأمير  
 هذه على علاقتها رجوت أن يكون بعدها ما هو أفتن وأحسن وأرصن، فراه أيداه  
 الله في الوقوف عليها موقفا إن شاء الله.

وله إليه معاتبه:  
 كَيْنَ سَأَنِي أَنْ نَلْنِي بِمَسَامَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ  
 الأمير الفاضل الشيخ الرئيس، أطال الله بقاءه إلى آخر الدعاء، في حال برّه  
 وجفائه مُتَفَضِّلٌ، وفي يومئذٍ إاده وإذ نأته مُتَطَوِّلٌ. وهيناله من حِمَانَا مَا يُحِلُّهُ،

كتاب عتب  
 من البديع إلى  
 الكالي

(١) شق وسطيح: كاهنان من كهان الجاهلية كانوا يضربون بهما المثل في معرفة  
 النيب (٢) الخلق السجيع: السهل.

ومن عُرَانَا مَا يَحْمِلُهُ ، وَمِنْ أَهْرَاضِنَا مَا يَسْتَحِلُّهُ ؛ بَلَقَى أَنَّهُ — أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ! —  
استزاد صنيته ، وكنت أظنني مجنونا عليه ، مُسَاءَ إِلَيْهِ ، فإذا أناني قرارة الذنوب ،  
وبمخابة العتب ، وليت شرى أى محذور فى الشرة حَصَرْتَهُ ، أو مفروض من  
الخلدمة رَفَضْتَهُ ، أو واجب فى الزيارة أَهْمَلْتَهُ ؟ وهل كنتُ إلا ضيقاً أهداه  
بلدٌ شامع ، وأدأه أملٌ واسع ، وحذاه فضلٌ وإن قلَّ ، وهذا رأى وإن  
ضلَّ ، ثم لم يُلْقِ إلا فى آلِ ميكَالَ رَحَلَهُ ، ولم يصلِ إلا بهم حَبْلَهُ ، ولم ينظم  
إلا فيهم شِعْرَهُ ، ولم يقِفْ إلا عليهم شُكْرَهُ ؛ ثم ما بَدَدْتُ صَبَةَ إِلَّا دَنَّتْ  
مَهَانَةً ، ولا زادت حُرْمَةً إِلَّا قَصَصَ صِيَانَةً ، ولا تضاعفت مِنَّةٌ إِلَّا تراجعت  
مَنْزِلَةً ، ولم تزل الضمة بنا حتى صار وابلُ الإعظام قَطْرَةً ، وعاد قيصُ القيام  
صُدْرَةً ، وذلك التقربُ أَزْوَارًا ، وطويلُ السلام اختصارًا ، والاهترازُ إِيمًا ،  
والعبارة إشارة ؛ وحين عاتبته أملُ إعتابه ، وكاتبته أَنْتَقِظَ جوابه ، وسألته أرجو  
إِيجَابَهُ ، أجاب بالسكوت ، وأَعْتَبَ بالقُنُوتِ ، فما ازددت إلا له ولا ، وعليه  
ثناء ؛ لا جَرَمَ إِنْى اليوم أبيضُ وَجْهِ السَّهْدِ ، واضحُ حَجَّةِ الْوُدِّ ، طويلُ عِيَانِ  
القول ، رفيعُ حِكْمَةِ الثُّدْرِ ؛ وقد حَمَلَتْ هَلَاكًا مِنَ الرِّسَالَةِ مَا تَجَانَى عَنْهُ الْقَلَمُ ؛ وَالْأَمِيرُ  
الرئيس أطال الله بقاءه يُنْعِمُ بالإحسان لما يورده موقفاً إن شاء الله .

وله إليه فى هذا الباب :

أنانى خدمة الأمير الرئيس — أطال الله بقاءه ! — مترجِّع بين أن أشربها رقة  
كتاب عتاب من البديع إلى ولا أسيئها ، وألجلج منها مُضَفَّةً ولا أجيئها ، وبين أن أطويها على عُرْها ، ولا  
الميلكده أيضا أرتضع أخلاف دَرَّها .

فَلَا تَفْسِي تَطْلُو عَنِ الرَّفْضِ      وَلَا هِمِّي تُؤْطِنِي نَخْفِضِ  
وبقى أن أقرمه بأنامل العتب ، وأخشمه بألحاظ التذل ، وأعرفه أنى ما  
أطوى مسافة مزار إلا متجشأ ، ولا أطاعتبة دار إلا متبرماً ؛ ولست كمن ينسبط  
يده مُتَّجِدِيًا ، أو ينقل قدمه مُسْتَفِدِيًا ؛ فإن كان الأمير الرئيس — أيده الله ! —  
يسرح طرفه متى فى طامع أو طامع ، فليُمِدِّ لِلْفِرَاسَةِ نَظْرًا .

فما الفقرُ من أرضِ الشيرة ساقِي إليكَ ، ولكنا بِمُرَبَّكَ نَنجِعُ  
وأَجِدُنِي كُلَّما اسْتَغْنَيْتُ الشوقُ إلى تلكِ الحاسنِ ، أَطِيرُ إليها بِمُناحِينِ عَجَلًا ،  
وأَرْجِعُ بِمَرْجَواتِي خَجَلًا ، ولولا أَنَّ الرضا بِذلكِ ضَرْبٌ من سَقوطِ المِمةِ ، وَأَنَّ  
الْعُتَابَ نَوْعٌ من أنواعِ الخِدمةِ ، لَعُنْتُ مَجْلِسَهُ عن قَلْبِي ، كما أَصُونُهُ عن قَدَمِي ،  
وَمِلْتُ إلى أَرْضِ الدَّعاءِ فهو أَتَجْعَلُ ، وإلى جَانِبِ النِّشاءِ فهو أَوْسَعُ ، وسَأَقْبَلُ  
تُخَفَّ مَوَاتِي ، ولا تَتَقَلَّ وَطْأَتِي

إِذَا مَا عَتَبْتُ فَلَمْ تُعْتَبِرْ وَهَنْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ تُعْنَبِ<sup>(١)</sup>  
سَلَوْتُ ، وَلَوْ كَانَ مَاءُ الْحَيَاةِ لَعَفْتُ الْوَرُودَ وَلَمْ أَشْرَبِ

### قطعة من مفردات الأبيات لأهل المصر في معاني شتى

تجربى مجرى الأمثال

أبو فراس الحمداني :  
إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايا مِنْ وَجْهِهِ لِلْكَاسِبِ  
وله :

عَفَاكَ عِيٌّ ، إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَقِيِّ إِذَا عَفَّ عَنْ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرٌ<sup>(٢)</sup>  
وقال المتنبي :

كُلُّ حِلْمٍ أَنَّى بَشِيرٍ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لِأَجِيٍّ ، إِلَيْهَا التَّائِمُ  
وله :

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَيَّتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسامُ

(١) أعتته : أزال عتبه (٢) كذا ، وأحسبه « عفاك عجز » (م)

وله :

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُومٌ مِنْ نَاقِصٍ      فَعِى الشَّهَادَةِ لِي بِأَنِّ كَايِلٌ

وله :

لَا يُعْجِبُنِي مَضِيماً حُسْنُ بَرْتِهِ      وَهَلْ تَرَوْقُ دَفِينًا جَوْدَةُ الْكَفَى ؟

وله :

مَنْ أَطْلَقَ التَّمَّاسَ شَيْءً دَغْلَابًا      وَاعْتَصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سَوَالًا

وله :

وَالظُّلُمُ مِنْ شِيمِ النُّفُوسِ ، فَإِنْ تَعَدَّدَ      ذَا عِفَّةٍ وَلِئَلَّامٍ لَا يَنْظُمُ

وله :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجِبُهُ      أَنِّي بَعْدَ أَنَا بِأَلِكٍ مِنْهُ مَخْشُودٌ

وله :

ذِكْرُ الْفَتَى غُرَّةَ الثَّانِي ، وَحَاجَتُهُ      مَا قَاتَهُ ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ  
وَالْتَنَبُّهُ أَكْثَرُ الْمَحْدَثِينَ أَفْتِنَانًا وَإِحْسَانًا فِي الْإِغْرَابِ بِهَذَا الْبَابِ ؛ وَالِاسْتِقْصَاءُ  
يُخْرِجُ عَنْ شَرْطِ الْكِتَابِ .

وقال السري الموصل :

للسري الرفاء

خَذُوا مِنْ الْعَيْشِ فَلَأَعْمَارُ فَائِتَةٌ      وَالْأَهْرُ مُنْقَرِمٌ وَالْعَيْشُ مُنْقَرَضٌ

وله :

فَإِنَّكَ كُلَّمَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا      أَنْتُمْ مِنَ النَّسِيمِ عَلَى الرِّيَاضِ

وقال أبو إسحاق الصابي :

للصابي

الضَّبُّ وَالْتُونُ قَدْ يُرْجَى التَّقْوَاهُمَا      وَلَيْسَ يُرْجَى التَّقَاهُ اللَّبُّ وَالذَّهَبُ<sup>(١)</sup>

وقال ابن نباتة :

لابن نباتة

مَتَلِّ خَلْفْتُ عَلَى الزَّمَانِ رِدَاءَهُ      عَوَزُ الدَّرَاهِمِ آفَةُ الْأَجْوَادِ

(١) الضب : من حيوان الصحراء ، والتون : الحوت ، من حيوان الماء .  
واللب : العقل (م) .



وله :

يهـوى الشتاء مبررًا ومَقَرَّ  
حسَّ الشتاء طبيعة الإنسان

للأمل

وقال أبو الحسن السَّلامى :

تَبَسُّمنا على اللَّذاتِ نَمَّ  
أَيْنَا العَفْو من كَمَرِ الذُّنُوبِ

لابن لشكك

وقال ابن لشكك البصرى :

وماذا أُرَجى من حَيَاةٍ تَكَدَّرَتْ  
ولو قد صَفَتْ كَانَتْ كأَحْلَامِ نَامِرٍ

لأمامونى

وقال أبو طالب الأمامونى :

لِى فى ضَمِيرِ النُّهْرِ سِرٌّ كَامِنٌ .  
لَا بَدْءَ أبداً سَفَلُهُ الْإِلَهَ - دَارُ

لأبي العبد

وقال أبو الفضل بن السَّيد :

الرَّأى يَصْدَأُ كَالْحُصَامِ لِمَارِضٍ  
يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصْفُهُ التَّنَكُّيْ

لأبي العبد

وقال أبو الفتح :

يَطْرُقُ فِطْرَتُهُمْ وَالتَّهَازُؤُ مِنْ عَصَى  
وَتَقْوِيمُ عِبْدِ الْهُونِ بِأَلْهُونِ رَادِعٍ

وله .

إذا بَلَغَ الْمَرْءُ آمَالَهُ  
فَلَيْسَ لَهُ سُدَّةٌ مُقَرَّرُحٌ

لابن عباد

وقال صاحب إسماعيل بن عباد :

إِنْ أُمُّ الصَّخْرِ فى الْوَدَى  
دِ كَيْقَلَاةٍ تَزُوزُ

وله :

مَنْ لَمْ يَمُدَّنَا إِذَا مَرَضْنَا  
إِنْ مَاتَ لَمْ تَشْهَدْ الْجَنَادُ

وله :

حِفْظُ اللِّسَانِ رَاحَةُ الْإِنْسَانِ  
فَاخْفِظْهُ حِفْظَ الشُّكْرِ لِاحْسَانِ

للأمامونى

وقال إسماعيل النَّاشي :

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عُدَّةٌ  
فَخَانَتْ فِثْمَاتِ النَّاسِ حَتَّى التَّعَارِبِ

وقال أبو الفتح البقي :

لا تَرْجُ شَيْئاً خَالِصاً نَفْهُ      فالنَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْغَيْثِ<sup>(١)</sup>

وله :

ولم أر مثل الشكر جَنَّةَ غَارِسٍ      ولا مثل حُسْنِ الصبر جَنَّةَ لَاِيسٍ

وله :

وطول مُقَامِ الْمَاءِ فِي مَسْتَقَرِّهِ      يُفْسِدُهُ رِيحاً وَلَوْ نَا وَمَطْمَأِ

وله :

ما اسْتَقَامَت قَنَاقَةُ رَأْيِي إِلَّا      بَعْدَ مَا عَوَّجَ الشَّيْبُ قَنَاقِي

للميكالي

وقال أبو الفضل الميكالي :

هُوَ الشُّوكُ لَا يُعْطِيكَ وَافِرَ مَنَةٍ      يَدِ الدَّهْرِ إِلَّا حِينَ تَضَرِّبُهُ جَلْدَا

وله :

ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَذَحٍ      وَإِنْ غَدَا أَقْوَمُ مِنْ قِدْحٍ

الشمس للعالي

وقال شمس المعالي :

وَفِي السَّمَاءِ نَجُومٌ مَالَهَا عَدَدٌ      وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

هذا مأخوذ من قول الطائي :

إِنِ الرِّيحَ إِذَا مَا اسْتَعْصَفَتْ قَصَصَتْ      عِيدَانَ نَجْدٍ فَلَمْ يَبْقَا بِالرَّيْثِ

بَنَتْ نَشْرٌ وَتَشْرٌ لَا كُوفَ لَهَا      وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْهَا الدَّهْرُ فِي الرِّقَمِ

وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي :

للمعرجاني

الْمَجْرَأُ رُوحٌ مِنْ وَضَلٍ عَلَى حَذَرٍ      وَالْمَوْتُ أُطَيْبٌ مِنْ عَيْشٍ عَلَى غَرَرٍ

وقال أبو بكر الخوارزمي :

للخوارزمي

لَا تَقْرُنْكَ هَذِهِ الْأَوْجُهَ الْقُسْرُ      فَيَا رَبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ

(١) العيث — بالعين المهملة — الإفساد (م) (٢) الرثم : نبت ضعيف

[ من تَبَطَّره النعمة لم يُؤسِف على زوالها عنه ]

قال أبو العيَّان : كان عيسى بن فرخان شاه يَتِيه على في ولايته الوِزَارَة ، بين أبي العيَّان فلما صُرِف رَهْبَتِي ، فلقيني فلم على فَأَخْبَنِي . هَلَّت لِنَلَامِي : مَنْ هَذَا ؟ قال : وابن فرخان أبو موسى ؛ فدنوتُ منه وقلت : أعزك الله ، والله لقد كنتُ أَفْتَحُ بِإِعَانِكَ دُونَ بَيَانِكَ ، وَبَلَحْظِكَ دُونَ لَفْظِكَ ، فالحمد لله على مَا آتَى إِلَيْهِ حَالُكَ ، فلئن كانت أَخْطَأْتُ فِيكَ النِّعْمَةَ ، فلقد أَصَابَتْ فِيكَ النِّقْمَةُ ، ولئن كانت الدنيا أَبَدَتْ مَقَابِيحَهَا بِالْإِقْبَالِ عَلَيْكَ ، لقد أَظْهَرَتْ مَحَاسِنَهَا بِالْإِنْصِرَافِ عَنْكَ ، وَهِيَ الْمُنَّةُ إِذَا غَنَانَا عَنْ الْكَذِبِ عَلَيْكَ ، وَزَهْنَانَا عَنْ قَوْلِ الزُّورِ فِيكَ ، فقد والله أَسَاتَتْ حَمْلَ النِّعَمِ ، وَمَا شَكَّرْتَ حَقَّ الْمُنْعِمِ ، قِيلَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؛ لقد بَالَفْتَ فِي السَّبِّ ، فَمَا كَانَ الذَّنْبُ ؟ قال : سَأَلَهُ حَاجَةً أَقْلَ مِنْ قِيَمَتِهِ ، فَرَدَّ عَنْهَا بِأَفْتَحٍ مِنْ خِلْقَتِهِ .

وقال على بنُ العباس الرومي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل لما تكبه الموقف بين أبي الرومي وأبي الصقر ابن أحمد وألم في بعض قوله بقول أبي العيَّان :

لَا زَالَ يَوْمُكَ عِبرَةً لَعَذَابِكَ	وَبَكَتْ بِشَجْوِ عَيْنِ ذِي حَسَدِكَ
فَلَنْ نَكِبْتَ لَطَالَمَا نَكِبْتَ	بِكَ هِمَّةٌ جَلَّتْ إِلَى سَنَدِكَ
لَوْ نَسَجَدُ الْأُمَمَ مَا سَجَدْتُ	إِلَّا لَيَوْمِ قَتَّ فِي عَصَدِكَ
يَا نِعْمَةً وَلَتْ غَضَارَهَا	مَا كَانَ أَفْتَحَ حَسْبَهَا يَدُكَ
فَلَقَدْ غَدَّتْ بَرْدًا عَلَى كَبْدِي	لَمَّا غَدَّتْ سَحَرًا عَلَى كَبْدِكَ
وَرَأَيْتُ نُمَتَّى اللَّهَ زَائِدَةً	لَمَّا اسْتَبَانَ النِّقْصَ فِي عَدَدِكَ
وَلَقَدْ تَمَتَّتْ كُلُّ صَاعِقَةٍ	لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى كَعْدِكَ <sup>(١)</sup>
لَمْ يَبْقَ لِي مِمَّا بَرَى جَسَدِي	إِلَّا بَقَاءُ الرُّوحِ فِي جَسَدِكَ

وله فيه أمّ نوح كثيرة لما تكب ، منها قوله :

خَفَضَ أَبَا الصَّقَرِ فَكَمْ طَائِرٍ خَرَّ صَرِيحًا بَعْدَ تَحْلِيْقِ  
رُؤِوسَتِ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ كُفَّاهَا فَصَاتَهَا اللهُ بِتَطْلِيْقِ  
لَا قُدْسَتْ نَعْمَى تَسْرِبَلَتْهَا كَمْ حَجَّةٍ فِيهَا لِزُنْدِيقِ<sup>(١)</sup>

وكان أبو الصقر لما ولي الوزارة مدحه ابن الرومي بقصيدته النونية التي أولها :

أَجْنَبَكَ الْوَرْدَ أَغْصَانُ وَكُثْبَانُ فِيهِمْ نَوْعَانُ تَفْلَحُ وَرِمَانُ  
وَفَوْقَ ذَيْنِكَ أَعْنَابُ مُهْدَلَةٌ سَوْدٌ لَهْنٌ مِنَ الظَّلَامِ أَلْوَانُ  
وَتَحْتَ هَاتِيكَ عَنَابُ تَنْجِيحُ بُوَ أَطْرَافِهِمْ قُلُوبُ الْقَوْمِ قِنْوَانُ  
غَصُونُ بَاتٍ عَلَيْهَا الزَّهْرُ فَكَأَيَّةَ وَمَا الْقَوَائِكُ مِمَّا يُحْيِلُ الْبَانُ  
وَنَرْجِسُ بَاتِ سَارَى الظِّلِّ يُضْرِبُهُ وَأَقْحَوَانُ مُنِيرُ اللَّوْنِ رِيَّانُ  
أَلْقَنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ حَسَنُ فَهِنَّ فَكَأَيَّةَ شَقَى وَرِيَّحَانُ

ثمّار صدقي إذا عابنت ظاهرها لَكِنَّمَا حِينَ تَبْلُو الطَّعْمَ خُطْبَانُ<sup>(٢)</sup>

وَلَا يَدْمُنُّ عَلَى عَهْدٍ لِمُتَقَدِّمِ وَالْقَانِيَاتُ كَمَا شَبَّهْنَ بَسْتَانَ  
يَمِيلُ طَوْرًا بِحِمْلِ نَمٍ يَدْمُهُ وَيَكْتَسِي نَمٍ يُبْلَغُ وَهُوَ عُرْطَانُ

وهي أكثر من مائتي بيت ، مرّ له فيها إحسان كثير ، فأنشدها أبا الصقر ،

فلما سمع قوله :

قَالُوا أَبُو الصَّقَرِ مِنْ شَيْبَانَ قُلْتُ لَهُمْ كَلَّا لِمَرِي وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانُ  
قَالَ : هَعَايَ ، قِيلَ لَهُ : إِنَّ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَدْحِ ؛ أَلَا تَسْمَعُ مَا بَعْدَهُ :  
وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرِّي شَرَفٍ كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللهِ عَدْنَانُ

(١) يريد أن التمس التي تسربلها هذا الرجل وليس لها بأهل ، مما تهوى به حجة الزنادقة في جود الإله ؛ لأنه لو كان هناك عدالة إلهية لحيل بين اللثام وجميع الطيبات (٢) الخطبان : نبت مر ، يضرب به اللث ، فيقال : أمر من تبيع الخطبان ، وهو ضم الحاء للمجمة

قال : أنا بشيان لاشيان بنى - فقيل له فقد قال :

ولم أقصر بشيان انتى بهت بها المبالغ أعراق وأغصان  
لله شيان قوم لا يشوبهم روع إذا الروح شابت منه ولدان  
فقال : لا والله لا أثيبه على هذا الشعر ، وقد هجاني .

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى : كنت يوما عند عبيد الله بن عبد الله  
ابن طاهر ، وقد ذكروا قصيدة ابن الرومى هذه النونية ، فقال : هذه دار البليخ ،  
فاقرأوا تشبيهاها تملأوا ذلك ! فضحك جميع من حضر .

وفى هذه القصيدة يقول من المختار فى النسيب :

يأرب حسانة منهن قد فعلت سوا ، وقد يفعل الأسواء إحسان  
تشكى الحب وتلقى الدهر شاكية كالقوس تسمى الرمايا وهى مرنان<sup>(١)</sup>

وهذا كقوله فى قصيدة يصف فيها قوس البندق :

لها رنة أولى بها من نصيبه وأجدر بالإعوال من كان موجبا  
يقول فيها :

لا تلحيانى وإياها على ضرعى ولا تلحيانى وإياها على ضرعى  
إنى ملكت فبى للرق مسكنة إنى ملكت فلها بالملك طفيان  
لى مذنات وجه ريا بمشرها من غبرى وفم ما عشت ظمان

وفىها فى مدح بنى شيان :

قوم سماحتهم غيث ، وتجدتهم غوث ، وآراؤهم فى الخطب شهبان  
تلقاهم ويرماح الخط حولهم كالأسد ألبسها الأجام خفان<sup>(٢)</sup>  
صانوا النفوس عن الفخشاء وابتدلوا منهن فى سبل العلياء ما صاوا

(١) تشكى الحب : تحمله بظلمها على الشكاية ، والرمايا : جمع رمية بمعنى مرمية ،  
وتسمى : تقتل وتبيد (٢) خفان - بفتح الخاء المعجمة - أجمة فى سواد الكوفة

النعمون وما مثوا على أحدٍ  
يقول فيها في أبي الصقر :

يَقْدِرُهُ مَنْ فِيهِ عَنْ مِقْدَارِ فِدْيَتِهِ  
قَوْمٌ كَانَهُمْ مَوْتَى إِذَا مُدِحُوا  
صَاحِي الطَّبَاعِ إِذَا سَابَتْ هَوَاجُهُ  
يُصْجِحِيهِ ذَهْنٌ وَيَأْتِي صَخْوَهُ كَرَمٌ  
فَرْدٌ جَمِيعٌ يَرَاهُ كُلُّ ذِي بَصَرٍ  
وهذا كقول أبي الطيب :

وَلَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا  
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحَسَابِ مُقَدَّمًا  
وقد تقدم .

وقال :

فَإِنْ يَكُ سَيَّارٌ بَنُ مَكْرَمٍ انْقَضَى  
مَنْصَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ  
وقال البحرى :

وَلَمْ أَرَ أَفْئَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتًا  
لدى المجد، حتى عدَّ ألفُ بواحدٍ

ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما أنجمت ، فمن ذلك قوله في قصيدة طويلة

لابن الرومي يمدحه :

فِي وَجْهِهِ رَوْضَةٌ لِلْحَسَنِ مَوْجِدَةٌ  
أَيْضًا  
مَارَادٌ فِي مِثْلِهَا طَرْفٌ وَلَا سَرَاحٌ<sup>(٢)</sup>  
طَلُّ الْحِيَاءِ عَلَيْهَا سَاقَطٌ أَبَدًا  
كَالَّذِينَ الرِّطْبِ لَوْ رَقَرَتْهُ سَفْعًا

(١) مان : كذب ، وللاس المين ، بالفتح (٢) راد وارتاد معناه واحد

أنا الزعيم لمكحولٍ بفرجه  
 معالي الناس من طَوَّلٍ ومن كَرَّمٍ  
 يُعْطَى الزَّاحُ وَيُعْطَى الْجَدُّ حَقُّهُمَا  
 وَافِي عَطَارَدَ وَلِلرَّيْحِ مَوْلَاهُ  
 إِنْ قَالَ : لَا ، قَالُوا لِلْأَمْرِ بِهِ  
 فِي كَفِّهِ قَلَمٌ نَاهِيكَ مِنْ قَلَمٍ  
 يَمْحُو وَيُثَبِّتُ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ بِهِ  
 كَأَنَّمَا الْقَلَمُ الْوَلَوِيُّ فِي يَدِهِ  
 لَمَّا تَبَسَّمْ عَنْكَ الْمَجْدُ قُلْتُ لَهُ  
 أَتُنَى عَلَيْكَ بِنْعَامِكَ الَّتِي عَطَلْتِ  
 أَمْطَرِ بِذَلِكَ جَنَانِي تَكْسُهُ زَهْرًا  
 أَشَدَّتْهَا عَلَى مَتَالِي الْأَخْتِيَارِ ، وَكَذَلِكَ أَجْرِي فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْعَارِ .  
 وَقَالَ بِمَانِيهِ وَيَسْتَبْطِنُهُ :

وله إليه أيضاً

عَفِيدَ الذِّدَى ، أَطْلِقْ مَدَائِحَ رُجَّةٍ  
 وَكُنْتُ مَتَى تَنْشُدُ مَدِيحًا ظَلَمْتُهُ  
 عَذَرْتُكَ لَوْ كَانَتْ سَمَاوَاتُ تَقَشَّعَتْ  
 وَلَكِنَّهَا شَفِيحًا حُرِمَتْ رَوِيهَا  
 وَأَكَلَاءَ مَعْرُوفٍ حُرِمَتْ مَرِيهَا  
 عَرَضَتْ لِأَوْرَادِي وَبَحْرُكَ زَاخِرٌ  
 فَلَوْ لَمْ تَرِدْ أَذْوَادَ غَيْرِي غِمَارَهُ  
 حَبَائِسَ حَسَرَى قَدَّأَيْتَ أَنْ تَسْرَحَا  
 يُرَى لَكَ أَهْجِي مَا يُرَى لَكَ أَمْدَحَا  
 سَحَابُهَا أَوْ كَانَ رَوْضٌ تَصَوَّحَا  
 وَعَارِضُهَا مَلَقِي كَلَاكِلَ جُنْحَا<sup>(١)</sup>  
 وَقَدْ عَادَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْعَزَنُ سَرَحَا  
 فَتَنَا أُرْدُنَ الْوَرْدِ أَلْفَيْنِ ضَحَضَحَا  
 لَقُلْتُ : سَرَابٌ بِالْمِلَّتَانِ تَوَصَّحَا<sup>(٢)</sup>

(١) وحى : كتب ، قَالَ رُؤْيَا « لَقَدْ كَانَ وَحَامًا وَاحِي » (٢) النفل  
 والقلع : فساد الأسنان (٣) الكلاكل : الصدور ، وجنح : جمع جانح ، وهو المائل  
 (٤) الأذواد : جمع ذود ، وهو من الإبل من الثلاثة إلى العشرة ، وفي اللؤلؤ  
 « اللؤلؤ إلى الذود إبل » ووقع في نسخة « أورداد » وفي أخرى « أزواد » وكلاهما تحريف (م)

مَبْلَاكُ عَمَّا هُوَ أَحَدٌ فِيهِ مُشَرَّعًا      وَإِنْ كَانَ غَيْرِي وَاحِدًا فِيهِ مَسْبَحًا  
 مَدْنَعِي عَصَا مُوسَى ، وَدَلَّكَ أَتَقَى      صَرَبْتُ بِهِ بِحَرِّ النَّدَى فَتَصَحَّصَحَا  
 سَامِدَحُ عَصَى السَّاحِبِينَ عَنْهُ      إِذَا اطَّرَدَ الْمِقْيَاسُ أَنْ يَتَسَمَّحَا  
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي إِنْ صَرَبْتُ بِهِ الصَّفَا      أُتَيْعْتُ لِي مِنْهُ حُدُودٌ شَتَا  
 كَيْتَلِكَ الَّتِي أَبَدَتْ تَوَى الْأَرْضِ بَابَا      وَشَقَّتْ عِيُونًا فِي الْحِجَارَةِ شَفَا  
 مَلَكْتُ فَأُسْجِيعُ يَا أَبَا الصَّقَرِ إِنَّهُ      إِذَا مَلَكَ الْأَحْرَارَ مِثْلُكَ أُسْجِحَا  
 وَمَا ضَرَعَ إِلَى أَحَدٍ هَذِهِ الضَّرَاعَةُ ،      وَلَا فِي طَوْفِهِ هَذَا الْإِحْتِمَالُ ؛ وَهَذِهِ الْأَيَّاتُ  
 الْأَخِيرَةُ إِمَّا وَلَدًا أَكْثَرَهَا مِنْ قَوْلِ أَيْ تَمَامِ الطَّائِفِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ :  
 فَنُوحَا دَتُ شَوْلُ عَذَرْتُ لِقَاحَهَا      وَلَكِنْ حَرَمْتُ الدُّرَّ وَالضَّيْعَ حَافِلُ  
 أَكْبَرْنَا عَطْفًا عَلَيْنَا ؛ فَإِنَّا      سَا ظَمًا رَحًا وَأَتَمَّ مَنَاهِلُ  
 وَفِيهِ نَقُولُ :

هَذَا مَعَايِي يَا نَتْنِي وَائْتِلِي      مِنْ مُسْتَجِيرٍ بِكُمْ عَائِدِي  
 ائْتَبَ فِيهِ الدَّهْرُ أَظْفَارَهُ      وَعَضَهُ بِالنَّابِ وَالنَّاجِدِي  
 فَانْصَبْ مِنْهُ أَخَا خُرْمَةٍ      لِأَنَّ بَكُمْ مِنْهُ مَعَ اللَّائِدِي  
 فَا أَرَى الدَّهْرَ عَلَى حَوَرِهِ      يَخْرُجُ مِنْ حَكْمِ النَّافِدِي  
 وَقَالَ أَيْضًا

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي هَمَّتَ أَنْصَارَ أَمْوَالِهِ وَلَمْ يَهِنِ      فَأَضْحَكْتُ فِي يَدِ الضَّمِيمِ وَدَى الْإِسْفَوَةِ وَالْبَاقِي<sup>(١)</sup> وَاللَّسِينِ  
 غَيْرِي - عَلَى أَتَقَى مُؤْمَلِكِ الْإِقْدَمِ - سَائِلٌ بِذَلِكَ وَاسْتَحِينَ  
 مَادِحَ عَشْرِينَ حِجَّةً كَمَلًا مَحْرُومًا عَنْكَ غَيْرِ مُضْطَلِّينِ  
 فَضْلَكَ أَوْ عَدْلَكَ الَّذِي ائْتَمَنَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ أَجَلُ مُؤْتَمِنِ  
 إِنْ كُنْتُ فِي الشَّرِّ نَاقِدًا فَطُنَا فَلْتَعْطِنِي حَقَّ حَصِّهِ الْهَطِينِ  
 وَإِنْ أَكُنْ فِيهِ سَاقِطًا زَمَنًا فَلْتَعْطِنِي حَقَّ حَصِّهِ الزَّمِينِ

(١) الْبَاقِي : لِلنَّسُوبِ إِلَى بَاقِلٍ ، وَهُوَ مُضْرَبُ اللَّثْلِ فِي الْعَمَى (هـ)



سم بن ديوانك الذي عدلت جَدَّوَاهُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالضَّيْنِ<sup>(١)</sup>  
 كثر بشخصي مَنِ استطعت من السناس فإن لم أَرِنَكَ لم أَشِين  
 ماحقٌ من لَانَ صدره لَكَ بِالْجُودِ قَلَا بِجَانِبِ خَشِينِ  
 وقال أبو العباس الرومي لرجل مدحه في كلمة :

أَبْعَدَ رِقَايَ دُونَكَ كُلِّ قَفَرٍ يَدِي الشَّخْصُ فِيهِ أَنْ يُبْلَاقِي  
 وَإِعْمَالِي إِلَيْكَ بِهِ الطَّلَايَا وَقَدْ ضَرَبَ الظَّلَامُ لَهُ رِوَاقَا  
 وَرَفَعِي النَّوْمَ إِلَّا أَنْ تَرَانِي أَعَاتِقَ وَاسِطَ الْكُورِ اعْتِنَاقَا  
 تَسُوقُ بِنَا الْحِدَاةُ فَلَيْسَ تَذَرِي أَسْرَقَا كَانَ ذَلِكَ أَمَّ سِيَاقَا  
 أَصَادِفِ دِرَّةٍ الْمُرُوفِ شَكْرِي لَدَيْكَ وَلَا أَذُوقُ لَهَا ذَوَاقَا<sup>(٢)</sup>  
 يقول فيها :

غَدَا يَبْلُغُوا الْجِيَادَ وَكَانَ يَبْلُغُوا إِذَا مَا اسْتَظَرَهُ - السَّبْتُ الرَّقَاقَا<sup>(٣)</sup>  
 أَعْتَبَهَا الشُّوْعُ فَإِنْ عَرَاهَا حَفَاهُ السَّكْدُ أَنْكَلَهَا طِرَاقَا<sup>(٤)</sup>  
 فَرُوجٌ بَعْدَ قَفَرٍ مِنْهُ يُبْعِي أَرَانِي اللَّهَ مُنْبَحَتَهَا الطَّلَاقَا

[ ترجمة أبي العيناء وطرف من أحبارِه ]

قال أبو القاسم علي بن حمزة بن شمردل : حدثني أبي قال : سألتُ أبا العيناء  
 عن نسبه ، فقال : أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ خِلَادَ بْنِ يَاسِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَأَصْلُ قَوْمِي  
 مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، وَلَحِقَهُمْ سَيْبٌ فِي أَيَّامِ النَّصُورِ ؛ فَلَمَّا صَارَ يَاسِرٌ  
 فِي قَبْضِهِ أَعْتَقَهُ ، فَوَلَّاهُنَا لَبْنِي هَاشِمٌ ؛ وَكَانَ أَبُو الْعَيْنَاءِ ضَرِيرَ الْبَصَرِ ؛ وَيُقَالُ :  
 إِنَّ جَدَّهُ الْأَكْبَرَ لَقِيَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! - فَأَسَاءَ مُحَامَلَتَهُ ؛ فَدَعَا  
 عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ بِالْعَتَى ، فَكُلُّ مَنْ عَمِيَ مِنْهُمْ صَحِيحُ السَّبِّ !

(١) الضمن - على وزن كَتَفَ - المريض (٢) شكرى - على وزن سكرى - مَلَأَ

(٣) استظره - طلب الفاره القوي من الخيل ، والسبك - بكسر السين المهملة -

جلود البقر ، يريد أنه كان يركب الخيل من الدواب .

(٤) الطراق : جمع طرق ، وهو كل ما يحصف به الحمل (م)

بين التوكل  
وأبي العيناء

قال الصولي : حدثني أبو العيناء ، قال : لما أُذخِلْتُ على التوكلِ فدعوتُ له وكلتُهُ استحسنَ كلامي ، وقال لي : بلغني أن فيكَ شرًّا ! قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن يكن الشرُّ ذِكرَ الحسنِ بإحسانه والسيءِ بإساءته فقد زَكَّى اللهُ تعالى وذمَّ ، فقال في التزكية : ( نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) ، وقال في الذمِّ : ( هَازِلٌ مَشَاءُ بَنِيهِ مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُنْتَدِرٌ أَرْيَمِهِ ) . وقال الشاعر :

إذا أنا لم أندحْ على الخيرِ أهلهُ ولم أذمَّ الجبَسَ اللثيمَ للذمِّ<sup>(١)</sup>  
فقيمَ عَرَفْتُ الخيرَ والشرَّ بأنهمِ وشقَّ لي اللهُ للسامعِ والقما؟  
وإن كان الشرُ كفعلِ القُربِ التي تَلَسَّعُ السَّيِّءُ والدينَ بطنيمٍ لا بتمييزٍ فقد  
صانَ اللهُ عبدك عن ذلك !

فقال لي : بلغني أنك رافضيٌّ ، قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، وكيف أكونُ رافضيًّا وبلدي البصرةَ ومَنَشَى في مَسْجِدِ جامِعها ، وأستاذي الأُصمى ، وليس يَحُلُّو القومُ أن يكونوا أرادوا الدينَ أو الدنيا ؛ فإن كانوا أرادوا الدينَ فقد أجمع الناس على تقديم مَنْ أُخْرُوا ، وتأخير مَنْ قدموا ، وإن كانوا أرادوا الدنيا فأنتَ وأباؤك أمراء المؤمنين ، لا دينَ إلَّا بك ، ولا دنياَ إلَّا مَعك .

قال : كيف ترى دأري هذه ؟ قال : قلت : رأيت الناسَ بَنَوْا دورهم في الدنيا ، وأنتَ بنيتَ الدنيا في دارك .

فقال لي : ما تقول في عبيدالله بن يحيى ؟ قلت : نِعَمَ الْعَبْدُ لله ولك ؛ مَقَّسَم بين طاعته وخدمتك ، يؤثرُ رِضاكَ على كل فائِدَةٍ ، وما عاد بصلاحِ ملكك على كل لَذَةٍ .

قال : فما تقول في صاحب البريد ميمون بن إبراهيم ؟ - وكان قد علم أني

(١) الجبَس : هو اللدنة الجبان ، ويجمع على أجباس ، قال :  
ماضٍ إذا الأجباسُ جدالكري تناكت أزواج أحلامها

واجدٌ عليه بصير وقع منه في أمرى - قلت : يا أمير المؤمنين ، يدُ تَسْرِقِ واستَ تضرط ! وهو مثل اليهودى سرق نصف جزية ، فله إقدامٌ بما أدى ، وإحجام بما أتى ، إساءته طيبة ، وإحسانه تكلف !

قال : قد أزدتكَ المجالسى ، قلت : لا أطيق ذاك ، وما أقول ذلك جهلاً بمالى فى هذا المجلس من الشرف ، ولكنى محبوب ، والمحجوب تختلف عليه الإشارة ، ويغنى عليه الإيحاء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ أو بكلام راضٍ ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، قال : صدقت ، ولكن تلمزنا ، قلت : لزوم الفرض الواجب اللازم ، فوصلنى بعشرة آلاف درهم . ولأى العيئة مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها فى بعض ، وسأورد مستظرفها إن شاء الله :

قال له المتوكل يوماً : يا أبا العيئة ؛ لا تكثِر الوقعة فى الناس ، قال : إن لى فى بصري لشغلاً عن الوقعة فيهم ، قال : ذلك أشد حليفاً فى أهل العافية ! وقال له يوماً : هل رأيت طاليباً حسن الوجه قط ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، رأيت أحداً قط سأل ضريباً عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريباً فيما تقدم ، وإنما سألتك عما سلف ، قال : نعم ، رأيت منهم يفسد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ، قال المتوكل : تجده كان مؤجراً ، وتجده كنت قواداً عليه ! فقال أبو العيئة : وفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ، أرأيت أذع موالى على كثرتهم ، وأقود على الغرباء ؟ قال : اسكت يا مأمون ؟ قال : مولى القوم منهم ! قال المتوكل : أردت أن أشتى به منهم فاشتقى لهم منى . وكان أبو العيئة أحد الناس خاطراً ، وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً ، وأبلغهم خطاباً .

والمتوكل أول من أظهر من خلفاء بنى العباس الانهماك على شهوته ، أظهر الانهماك وكان أصحابه يستخفون ويستخفون بمحضته ، وكان يهتأر الجلساء ، ويفاخر الرؤساء ، على شهوته

وهو مع ذلك من قلوب الناس مُحِبِّبٌ ، وإليهم مُقَرَّبٌ ؛ إذ أملت ما أحياء  
الوائقي من إظهار الاعتزال ، وإقامة سوق الجدال .

قال محمد بن مكرم الكاتب : مَنْ زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي  
العيناء إذا أحسن بكرم ، أو شرع في طمع ، فقد ظلم .

كتب إلى أبي عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه للمتمد ، وهما يُطالبان  
بمال يبيعان له ما يَمْنِكَا من عَقَارٍ وَأَنْثَى وَغَيْرِ وَلَمَّةٍ ، وقد أعطى بخادم أسود  
إسييد الله خسون ديناراً :

قد علت - أَمْلَحَكَ اللهُ - أن الكريم المنكوب أجراً على الأحرار من  
التيمة الموفور ؛ لأنَّ التيم يزيد مع التمتع لوُما ، والكريم لا يزيد مع المتعة إلا  
كرماً ، هذا مُتَكِلٌّ على رازقه ، وهذا يُسِيء الظنَّ بخالقه ، وعبدك إلى ملك «كافور»  
ضيق ، ومثته على ما اتَّصل بي يسير ؛ لأنه بخدمة السلطان يعرفني الرؤساء والإخوان ؛  
ولست بواجب ذلك في غيره من النملان ؛ فإن سمحت به فتلك عادتُك ، وإن أمرت  
بأخذ منه فمالك مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك . فأمرله به .  
وسمع ابن مكرم رجلاً يقول : من ذهب بصره قلت حيلته ، قال : ما أغفلك  
عن أبي العيناء !

من أبي العيناء      وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان : أنا — أعزك الله تعالى ! —  
لعبيد الله بن      وفلدي وعيالي زرع من زرعك ، إن سقيته راعٍ وزكا ، وإن جفوته ذبل  
سلطان      ودوى ؛ وقد متى منك جفاً بعد بر ، وإغفال بعد تماهد ، حتى تكلم عدو ،  
ونمت حاسد ، ولبت بي ظنون رجال كنتُ لهم لاعباً ، ولهم مجرماً<sup>(١)</sup> ، والله  
در أبي الأسود في قوله :

لا تُهِنِّي بعد إذ أكرمتني      وشديد عادة مُنْزَعَةٌ  
فوقع في رقتة : أنا — أسمعك الله ! — على الخلل التي عهدت ، ومثلي إليك كما

(١) كتب لهم مجرماً : أي كنت أكثر التسميع بهم (م)

عفت ، وليس من أنساناه أهملناه ، ولان أخرناه تركناه ، مع اقطاع الشغل لنا ، واقتسام زماننا ، وكان من حقك علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أنك ؛ وقد وقمت لك برزق شهرين ؛ لتريح غلتك ، وتعرفى مبلغ استحقاقك ، لإطلاق لك باقى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام .  
 وكان إذا خرج من داره يقول : اللهم إني أعوذ بك من الركب والركب ، والآجر والتشب ، والروايا والقراب .

قطعة من خطابه وجوابه :

دخل على الصقر بعد ما أخرجه ، فقال : ما أخرك عنا ؟ قال : سرق حمارى ، قال : وكيف سرق ؟ قال : لما سكن مع الصقر فأخبرك ! قال : فلم تأتينا على غيره ؟ قال : قمدي عن الشراء قلة يسارى ، وكثرت ذلة المكارى ، وموت العوارى وزجه رجل بالجر على حماره ، فضرب يديه على أذنى الحمار ، وقال : يا فتى ، قل للحمار الذى فوقك يقول : الطريق !

ودخل على إبراهيم بن المدبر ، وعنده الفضل بن اليزيدى ، وهو يلقى على ابنه مسائل من النحو ، فقال : فى أى باب هذا ؟ قال : فى باب الفاعل والمفعول به ، قال : هذا بابى وباب الوالدة حفظها الله ! فنضب الفضل وانصرف ؛ وكان البحرى حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته إلى إبراهيم بن المدبر التى أولها :

ذكرت نيلك روضةً للشمول أو قدت لوعتى وهاجت غلى  
 أى شئ أهلك عن سر من را ، وظل للعيش فيها ظليل<sup>(١)</sup>  
 وفيها يقول :

أقتصاراً على أحاديث فضل وهو مستكره كثير الفضول  
 فلام اصطفت منكف الب ل معاد الخراق نزر القبول<sup>(٢)</sup>

(١) سر من راء : هى مدينة سر من رأى

(٢) فى ديوان البحرى « فلام اصطفت منكف الزيف » (م)

إِنْ تَزِدْهُ تَحْمِدهُ أَخْلَقَ مِنْ شَدِيدِ التَّوَانِي وَمَنْ تَقْنَى الطُّلُولَ  
مُسْرِجًا مَلِجًا وَمَا تَمَتَّعَ الصَّبْرُ بِحِ اذْلَاجًا لِلشَّحْذِ وَالتَّطْفِيلِ<sup>(١)</sup>  
غَيْرَ أَنْ الْمَطْلِينَ عَلَى حَا لٍ قَلِيلٍ التَّمْيِيزِ ضَغْنَى الْمُقُولِ  
فَإِذَا مَا تَذَاكَّرَ النَّاسُ مَعْنَى مِنْ مَتَبِنِ الْأَشْعَارِ وَالْمَجْهُولِ  
قَالَ : هَذَا لَنَا وَمَعْنَى كَشَفْنَا غَيْبَهُ لِنَسْأَلَ الْمَسْئُولِ  
ضَرْبَ الْأَصْمَى فِيهِمْ أَمْ الْأَحْمَرُ أَمْ أَلْقَحُوا بِأَيِّ الْخَلِيلِ<sup>(٢)</sup>  
جُلَّ مَا عِنْدَهُ التَّرَدُّدُ فِي الْقَا عَلِيٍّ مِنَ الْوَالِدَيْنِ وَالْمُسْتَعْمُولِ

تمزيق أبي العيناء لبعض الأمراء لنا لا لك ، وإذا كنت البقية فالرزية عطية ، والتعزية تهنية .

سؤاله عن مالك بن طوق وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق ، قال : لو كان في زمن بني إسرائيل وُزِّلَ ذَنْبُ الْبَقْرَةِ مَا ذُبِحَ غَيْرُهُ ! قِيلَ : فَأَخُوهُ عَمْرٌ ؟ قَالَ : كَسْرَابٍ بَقِيعَةٍ يَحْتَسِبُهُ الْقُلُتَّانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَمْدَحْهُ شَيْئًا .

سؤاله عن موسى بن عبد الملك وكان موسى بن عبد الملك قد اغتال نجاح بن سلمة في شرابٍ شربه عنده ، فقال للمتوكلُ بعد ذلك لأبي العيناء : ما تقول في نجاح بن سلمة ؟ قال : ما قال الله تعالى : فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ! فَأَتَّصَلَ ذَلِكَ بِمُوسَى ، فُلِقِيَ الْوَزِيرُ عُبيدُ اللَّهِ ابْنُ يَحْيَى ابْنَ خَاقَانَ ، قَالَ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، أَرَدْتُ قَتْلِي فَلَمْ تَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا إِلَّا بِإِذْخَالِ أَبِي الْعَيْنَاءِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ عَدَاوَتِهِ لِي ؛ فَعَاتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَبَا الْعَيْنَاءِ فِي ذَلِكَ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا اسْتَعْدَبْتُ الْوَقِيعَةَ فِيهِ حَتَّى دَمَمْتُ سَرِيرَتَهُ لَكَ ؛ فَأَمْسَكَ عَنْهُ .

ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال : كيف كنت بعد ؟ قال : في أحوالٍ مختلفة : خَيْرُهَا رَأَيْتُكَ وَشَرُّهَا غَيْبَتُكَ ، قَالَ : قَدْ وَاللَّهِ اسْتَقْتَلَك !

(١) متع الصبح : ظهير ، والشحذ والتطفيل : التسول والسؤال  
(٢) الأحمر : هو خلف الأحمر

قال : إنما يَشْتَأُقُ الْعَبْدُ ؛ لأنه يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ لِقَاءُ مَوْلَاهُ ، وأما السَّيِّدُ فَمَنْ أَرَادَ عِبَادَهُ دَعَاهُ .

وقال له المتوكل : مَنْ أَسَخَى مَنْ رَأَيْتَ ؟ قال : ابنُ أَبِي دُوَادَ ، قال المتوكل : تأتي إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء ؟ قال : إنَّ الصَّدَقَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ليس في موضعٍ من المواضع أَفْضَقُ مِنْهُ فِي مَجْلِسِكَ ؛ وإنَّ النَّاسَ يَفْطُلُونَ فِيمَنْ يَنْسُبُونَهُ إِلَى الْجُودِ ؛ لأنَّ سَخَاءَ الْبِرَامِكَةِ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّشِيدِ ، وسَخَاءُ الْفَضْلِ وَالْحَسَنِ ابْنِ سَهْلٍ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمَأْمُونِ ، وجودُ ابنِ دُوَادَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمُتَعَصِّمِ ؛ فإذا نَسَبَ النَّاسُ الْفَتَحَ وَعَبِيدَ اللَّهِ ابْنِي يَحْيَى إِلَى السَّخَاءِ فَذَلِكَ سَخَاؤُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قال : صدقت ؛ فَمَنْ أَبْخَلُ مِنْ رَأَيْتَ ؟ قال : موسى بن عبد الملك ، قال : وما رأيتَ مِنْ بَخْلِهِ ؟ قال : رأيتُه يَخْدُمُ الْقَرِيبَ كَمَا يَخْدُمُ الْبَعِيدَ ، وَيَتَعَذَّرُ مِنَ الْإِحْسَانِ كَمَا يَتَعَذَّرُ مِنَ الْإِسَاءَةِ ، فقال له : قَدْ وَفَّقْتَ فِيهِ عِنْدِي مَرَّتَيْنِ ، وما أَحَبُّ لَكَ ذَلِكَ ؛ فَالْقَةُ وَاعْتَذِرْ إِلَيْهِ ، ولا يَظُنُّ أَنَّ وَجْهَكَ بَكَ ، قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ يَسْتَكَتِفِي بِحَضْرَةِ أَلْفٍ ؟ قال : لَنْ تَخَافَ ، قال : عَلَى الْإِحْتِرَاسِ مِنَ الْخَوْفِ .

فصار إلى موسى فاعتذر كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ، وافترقا عن صلح ؛ فلقية بعد ذلك بالجعفرى ، فقال : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، قَدْ اصْطَلَحْنَا ، فَالْكَ لَا تَأْتِينَا ؟ قال : أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ؟ فقال موسى : مَا أَرَانَا إِلَّا كَمَا كُنَّا .

وقال له المتوكل : إِبْرَاهِيمُ بْنُ نُوحٍ النَّصْرَانِي وَابِجْدٌ عَلَيْكَ ، قال : وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ! قال : إِنْ جُمَاعَةُ مِنَ الْكُتُبِ يُلَوِّبُونَكَ ! فَهَلْ :

إِذَا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَى لِسَانِهَا  
قال المتوكل له : أَكُنْ أَبُوكَ فِي الْبَلَاغَةِ مِثْلَكَ ؟ قال : لَوْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
أَنْ لَرَأَى عَبْدًا لَهُ لَا يُزِيضَانِي عَبْدًا لَهُ .

وقيل لأبي العيناء : إن التوكل قال : لولا أنه ضرير البصر لنادتُهُ ، فقال :  
 إن أعفاني من رؤية الأهلّة ، وقراءة نَقِيشِ القصوص ، فأنا أصلح للنادمة .  
 ولقبه رجلٌ من إخوانه في السّحر ، فجعل يُعَجِّبُ من بُكُورِهِ ، فقال :  
 أراك تشاركني في الفعل وتُفَرِّدُنِي بالتعجب !

ووقف به رجلٌ من العامة فأحسَّ به ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : رجل من  
 بني آدم ! قال : مرحباً بك ، أطل الله بباك ! وبقيت في الدنيا ، ماغلنتُ هذا  
 النّسل إلا لاد اطلع !

ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال : أقربُ مني يا أبا عبد الله ، قال :  
 أعزُّ الله الوزير ، تريبُ الأولياء ، وحزْمُ الأعداء ، قال : تريبُك غنمٌ ،  
 وحزْمُ مانك ظلمٌ ؛ وأنا ناظرٌ في أمرك نظراً يُصلِحُ مِنْ حالك إن شاء الله .  
 وقال له يوماً : اعذرنِي فإنِّي مشغول ، فقال له : إذا فرغت من شغلك لم  
 نَحْتَجِ إليكَ ، وأنشدّه :

فلا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا ؛ فَإِنَّمَا تُتَابِعُكَ الْأُمَالُ مَا تَصِلُ الشُّغْلُ  
 ثُمَّ قَالَ : يَأْمُنِيْدِي قَدْ عَذَرْتُكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَشُكْرِكَ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِمُذْرِكَ .  
 وأقبل إليه يوماً فقال : مِنْ أَيْنَ يَا أبا عبدِ اللهِ ؟ قَالَ : مِنْ مَطَارِيحِ الْبَقَاءِ !  
 وقال له مرة : نحن في العطلة مَرَحُومُونَ ، وفي الوزارة مَحْرُومُونَ ، وفي القيامة  
 كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ .

وسار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد ، فقيل : هو مشغولٌ يَصَلِّي ، قال : لكلِّ  
 جديده لَذَّةٌ ! وكان صاعده نصرانياً قبل الوزارة .

ودخل إلى عبيد الله بن سليمان ، فشكا إليه حاله ، فقال : أليسَ قد كتبنا  
 لك إلى إبراهيم بن اللدبر ؟ فقال : كتبتَ إلى رجلٍ قد قصرَ من هَيْئَتِهِ طُولُ  
 الفقر ، وَذُلُّ الأثر ، ومعاناةُ حَيِّ الدَّهْرِ ، فأخفقت في طَلِبَتِي ! قال : أَنْتَ  
 اخْتَوَرْتَهُ ؟ قال : وما علَى - أعزَّ الله الوزير ! - في ذلك ؟ قد اختار موسى قومه سَبْعِينَ



جلا، فما كان منهم رشيد ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح  
كاتباً ، فرجع إلى المشركين مرتداً ، واختار على بن أبي طالب أبا موسى حاكماً  
فحكّم عليه !

[ إبراهيم بن اللدبر ]

وكان إبراهيم بن اللدبر أمة صاحب الزنج بالبصرة وحبه ؛ فاحتال حتى  
نقب السخن وهرب ، فذلك ذكر أبو العيّن ذلّ الأمر ، وكان قد ضرب  
في وجهه ضرباً بقي أثرها إلى أن مات ؛ ولذلك قال البحري :

وَمُبِينَةٌ شَهَرِ الْمَنَازِلِ وَنَمَها	وَالْخَلِيلُ تَكْبُو فِي الْعِجَالِ الْكَابِ	للبحري
كَانَتْ بَوَاجِهُكَ دُونَ عِرْضِكَ إِذْ رَأَوْا	أَنَّ الْوُجُوهَ تُصَانُ بِالْأَخْصَابِ	في ابن اللدبر
وَلَمَّا أُبِيرَتْ فَمَا الْإِسَارُ عَلَى أَمْرِهِ	نَعَرَ الْإِسَارَ عَلَى الْفَرَارِ بِعَابِ <sup>(١)</sup>	
نَامَ الْمَضَلُّ عَنْ سُرَاكٍ وَلَمْ تَخَفْ	عَيْنَ الرَّقِيبِ وَقَسْوَةَ الْبَوَابِ	
فَرَكْبَتَهَا هَوَلاً مَتَى تُخَيِّرُ بِهَا	يَقُولُ الْجَبَّانُ : أَيْتَ غَيْرِ صَوَابِ	
مَا رَاعَهُمْ إِلَّا اسْتِرَاقُكَ مُضَلَّتَا	فِي مِثْلِ بُرْدِ الْأَرْقَمِ الْمُنْصَابِ <sup>(٢)</sup>	
تَخَيَّرَ أُغْيَلُهُ وَطَائِفَةُ الْخَطَلَى	تَصِلُ التَّلَفَّتْ خَشْيَةَ الطَّلَابِ	
قَدْ كَانَ يَوْمَ نَدَى يَطْلُوكَ بَاهِراً	حَتَّى أَضْفَتَ إِلَيْهِ يَوْمَ ضِرَابِ <sup>(٣)</sup>	
ذِكْرُكَ مِنَ الْبَأْسِ اسْتَعْنَتْ إِلَى الذِّى	أَعْطَيْتَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ	
وَوَحِيدَةٌ أَنْتَ أَفْرَدْتَ بِفَضْلِهِا	لَوْلَاكَ مَا كُنْتُ عَلَى الْكُتَابِ	

[ حديث صاحب الزنج ، ودعواه . وطلانها ]

قال أبو بكر الصولي : حدثني محمد بن أبي الأزهر ، وقد ذاكرته خبر علي  
صاحب الزنج ، قال : ادّعى أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي

(١) العاب : العيب (٢) المصلت : السيف ، والأرقم : الحية

(٣) الضراب : الطعان

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فنظرت مولده ومولد محمد ابن أحمد الذي ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين ، وكان لمحمد بن أحمد ولد اسمه علي مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان . ثم رجع عن هذا النسب فادعى أنه علي بن محمد بن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ابن زيد بن علي .

قال أبو عبيدة محمد بن علي بن حمزة : ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا غيره ؛ لأنه قُتل ابن ثمانى عشرة سنةً ولا ولد له .

قال بشر بن محمد بن السري بن عبد الرحمن بن رحيب : هو ابن عم أبي لَحْظَا علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ، ورحيب رجل من المعجم من أهل ورتين من ضياع الرى ، وهو القاتل لنبى العباس :

بني عمنأنا وأنتم أناملُ      تضمنها من راحتيها عُقودُها  
بني عمنأنا وَلَيْتُمُ التُّركَ أَمَرْنَا      ونحن قديماً أصلها وعمودها  
فما بالُ عُنُجِ التُّركِ تَقَسَّمْ فَيُنَّا      ونحن لسيها في البلادِ شُهودُها  
فأَنقَسَمَ لَأَذُقَ التُّراحَ وإنْ أَذُقُ      فَبُلْعَةُ عَيْشٍ أَوْ يُبَادَ عَمِيدُهَا<sup>(١)</sup>  
وقال أيضاً :

كَمَفَّ نَفْسِي عَلَى قُصُورٍ يَبْدَا      دَوما قد حَوَتْهُ مِن كُلِّ عَاصِرٍ  
وَحُجُورٍ هُنَاكَ تُشْرَبُ جَهْرًا      ورجالٍ على المَاصِي حِرَاصِ  
لَسْتُ بِأَبْنِ القَوَاطِمِ الزُّهْرِ إِنِّ لُ      أَقِيمُ التُّخَيْلَ بَيْنَ تِلْكَ العِراسِ  
وله في هذا المعنى شعرٌ كثير قد ناقضه البُهدادِيُّونَ ، وكانت مدته حين نَجَمَ إلى أن قُتل أربعَ عشرةَ سنةً ، وجملة من قتل ألف ألف وخمسمائة ألف .

(١) البلعة - ضم الباء وسكون اللام - ما يتبلغ به

[ عَوْدٌ إِلَى مَسْجِدِ أَبِي الْعِيَاءِ ]

وذكر أبو العيَاء رجلاً ، فقال : ضَجَّكَ كَالْبَكَاءِ ، وتودَّد كالعزاء ، ونوادِر كَنَذَبِ اللوقي !

وكان يُنْهَكَ ابنُ مكرمٍ كثيراً ، وكتب إليه ابنُ مكرمٍ يوماً : قد ابْتَقَتْ لَكَ غلاماً من بني ناشر ، ثم من بني نَاعِظ ، ثم من بني نَهْد . فكتب إليه : فأتنا بما تَمِدُّ نَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

وولد لأبي العيَاء ولد ، فأقْبَى ابنُ مكرمٍ فلم عليه ، ووضع حجراً بين يديه وانصرف ، فأحس به ، فقال : مَنْ وضع هذا ؟ قُتِيل : ابنُ مكرمٍ ، قال : لعنه الله ! إنما عَرَّضَ بقول النبي صلى الله عليه وسلم : الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْمَآهَرِ الْحَبَرِ .

وقال لابن مكرم ، وقد قدم من سفر : مالكٌ لِمُشْهِدٍ إِلَيْنَا هَذِي ؟ قال : لَمْ آتِ بِشَيْءٍ ، وإِنَّمَا قَدِمْتُ فِي خَفٍ . قال : لَوْ قَدِمْتَ فِي خَفٍ تَخَلَّفَتْ رُوحُكَ !

وأتى إلى باب إبراهيم بن رباح ، فحُجِبَ ، فقال : إِذَا شِغِلَ بِكَ أَسْرَ يَمْنَاهُ وَبَحْرُ يُسْرَاهُ ، وانتسب إلى أبي لا يعرف أباه ، لا يَخْفِلُ بِحِجَابٍ مَنْ أَنَاهُ .

وقدَّم إليه أبو عيسى بن المتوكل سِكْبَاحَةً . فبَصَلَ لَا تَقَعُ يَدُهُ إِلَّا عَلَى عَظْمٍ ؛ فقال : جَعَلَتْ فِدَاكَ ! هَذِهِ قَدَرُ أَوْ قَبْرِ ؟

ودعا ضريراً ليمشيهِ ، فلم يَدَعْ شَيْئاً إِلَّا أَكَلَهُ ، فقال : يَا هَذَا ، دَعَوْتُكَ رَحْمَةً فَتَرَكَتَنِي رَحْمَةً .

قد تم — بحول الله وقوته ، وحسن دعوته — الجزء الأول من كتاب « زهر الآداب ، وثمر الأبواب » لأبن إسحاق الحصري ، وبإليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثاني ، مفتتحة بقول المصنف « ألفاظ لأهل العصر في صفات انطعام ومقدماته ، وموائده وآلائه » نسأل الله — جلَّت قدرته ! — أن يعين على إكمالهِ ، إنه ولي ذلك .

# فهرست الجزء الأول

## من كتاب زهر الآداب

الوضوع	صفحة	الوضوع	صفحة
٥٩ جواب على شعر جرير		مقدمة الطبعة الأولى	
٥٩ فضل الشعر		مقدمة الطبعة الثانية	
٦٠ شذور من كلام الرسول		٣٠ مقدمة المؤلف	
٦٢ شعراء الرسول		٤٠ إنّا من البيت لسحرا	
٦٥ أبو سفيان بن الحارث		٤٠ عمرو بن الأهمم والزبرقان بن بدر	
٦٥ شعر كعب بن مالك		بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم	
٦٥ قصة النضر بن الحارث		٤١ ترجمة عمرو بن الأهمم	
٦٧ رثاء أبي بكر لرسول الله		— ترجمة الزبرقان بن بدر	
٦٧ مناقب أبي بكر		٤٢ غلام يتكلم في خصرة عمر بن عبدالعزيز	
٦٨ خطبة أبي بكر يوم مات الرسول		٤٣ كتاب من ابن العميد لبعض إخوانه	
٦٩ رثاء طائفة الزهراء لأبيها رسول الله		٤٤ السحر الحلال	
٧٠ عود إلى المختار من كلام أبي بكر		٤٤ وصف رجل محبوب	
٧١ رثاء عائشة أم المؤمنين لأبيها		٤٥ عليّة بنت المهدي	
٧٢ عمر بن الخطاب		٤٦ قيد الأوابد	
٧٤ بكاء عمر		٤٦ عود إلى حلاوة الحديث	
٧٥ عائشة بنت زيد		٥٥ الشعر والبيان	
٧٥ عثمان بن عفان		٥٥ تفسير حديث وضبطه	
٧٨ علي بن أبي طالب		— الخطيئة وبنو أنف الناقة	
٨٢ عمرو بن عبدود		٥٦ بنو العجلان والنجاشي	
٨٤ بيعة البلد		٥٦ حكومة عمر في الشعر	
٨٥ هوان قيلة عاملة		٥٧ جمرات العرب	
٨٦ كلام الصحابة والتابعين		٥٧ انتقام امرأة	
٨٦ آثار معاوية		٥٨ تعريض قاذح	

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٨٨	الأخف بن قيس ومعاوية	١٢٥	عبد الله بن معاوية
٩٠	شعر زهير	١٢٧	الحسن بن زيد
٩١	التهنئة والتعزية	١٢٩	إبراهيم بن هرمة
٩٤	أهل البيت	١٣٠	موسى بن عبد الله
٩٥	وصف قرش وبنى هاشم	١٣٠	مين علي بن محمد الماوي والحسين بن إسماعيل
٩٧	الحسن بن علي وحبيب بن مسلمة	١٣١	العباس بن الحسين الهاشمي
٩٩	الصيغة بأبناء النبوة	١٣٣	موسى بن جعفر
١٠٠	بين الحسن ومحمد بن الحنفية	١٣٣	علي بن موسى
١٠٠	الدنيا في رأي الحسين	١٣٤	دعبل بن علي رضى آل البيت
١٠١	معاوية والحسين	١٣٤	أوصاف الأشراف
١٠٢	ابن أبي ربيعة وسكينة بنت الحسين	١٣٨	الابتداء بحمد الله
١٠٢	علي بن الحسين زين العابدين	١٣٩	من شعر محمود الوراق
١٠٣	قصيدة الفرزدق في علي بن الحسين	١٤٠	البيان والبلاغة
١٠٦	لقبي الرمة يمدح بلال بن أبي بردة	١٤٠	فضل القرآن على سائر الكلام
—	للبحرئ يمدح الفتح بن خاقان	١٤١	ماهية البلاغة لابن الرمانى
١٠٩	عاقبة الحرب	١٤٢	ألفاظ لأهل النصر في ذكر القرآن
١١٢	للبحرئ في قتال الأقارب	١٤٣	أقوال في البلاغة
١١٢	لأبي تمام في المعنى	١٤٣	عمرو بن عبيد
١١٤	لابن الحياط يمدح مالك بن أنس	١٤٥	البلاغة عند أهل الهند
١١٥	لأشجع السلمي	١٤٥	البلاغة في رأي ابن القفيع
—	من شعر أبي تمام	١٤٦	الإطالة والإيجاز
١١٧	محمد بن علي بن الحسين الباقر	١٤٨	للحاني والألفاظ
١١٨	مصراع زيد بن علي	١٥١	بشار بن برد
١٢٠	عبد الله بن الحسن	١٥٢	وصية أبي تمام للبحرئ
١٢١	بين عبد الملك بن مروان وعمر بن أبي ربيعة	١٥٣	فضل الليل للحامى
١٢٢	للمدبل بن القربخ	١٥٤	فضل التروى والأناة
١٢٢	عود إلى عبد الله بن الحسن	١٥٥	واجب النسخ
١٢٣	امراة محمد بن عبد الله	١٥٥	صور مختلفة للبلاغة
١٢٤	جعفر بن محمد		

الـموضوع	الـموضوع	الـموضوع	الـموضوع
٢٠٠ فطنة إياس بن معاوية وقوة لسته	١٦٠ صفة البلاغة والبلاء	١٦٠ صفة البلاغة والبلاء	١٦٠ صفة البلاغة والبلاء
٢٠٠ الفرار من الحديث المأول	١٦٤ وصف الثر والشعر	١٦٤ وصف الثر والشعر	١٦٤ وصف الثر والشعر
٢٠١ طرف أديّة	١٦٥ كتاب لابن العميد	١٦٥ كتاب لابن العميد	١٦٥ كتاب لابن العميد
٢٠٢ ملح الناضري	١٦٧ كتاب لصاحب بن عباد	١٦٧ كتاب لصاحب بن عباد	١٦٧ كتاب لصاحب بن عباد
٢٠٣ ملح أشعث	١٦٨ أبو الفضل الميكالي	١٦٨ أبو الفضل الميكالي	١٦٨ أبو الفضل الميكالي
٢٠٤ أبو نواس	١٦٩ أبو منصور الثعالبي	١٦٩ أبو منصور الثعالبي	١٦٩ أبو منصور الثعالبي
٢٠٥ الجناز	١٧١ رسائل الميكالي	١٧١ رسائل الميكالي	١٧١ رسائل الميكالي
٢٠٦ أبو تمام يمدح عمرو بن طوق	١٧٣ وصف أبي الفضل الميكالي	١٧٣ وصف أبي الفضل الميكالي	١٧٣ وصف أبي الفضل الميكالي
— ويمدح الحسن بن وهب	١٧٦ وصف البلاغة	١٧٦ وصف البلاغة	١٧٦ وصف البلاغة
٢٠٧ رواية الشعر والنسيب	١٧٦ لأبي الفتح البستي	١٧٦ لأبي الفتح البستي	١٧٦ لأبي الفتح البستي
٢٠٨ عروة بن أديّة	١٧٧ للطوسي يمدح الميكالي	١٧٧ للطوسي يمدح الميكالي	١٧٧ للطوسي يمدح الميكالي
١٧٧ أبو السائب التميمي	١٧٨ للثعالبي يمدح الميكالي	١٧٨ للثعالبي يمدح الميكالي	١٧٨ للثعالبي يمدح الميكالي
٢٠٩ عود إلى عروة بن أديّة	١٧٩ للثعالبي في وصف فرس	١٧٩ للثعالبي في وصف فرس	١٧٩ للثعالبي في وصف فرس
٢١٠ حب الأحوص	١٧٩ للثعالبي يحجب الميكالي	١٧٩ للثعالبي يحجب الميكالي	١٧٩ للثعالبي يحجب الميكالي
٢١١ ظرف أهل الحجاز ورقم	١٨٠ للميكالي يحجب الثعالبي	١٨٠ للميكالي يحجب الثعالبي	١٨٠ للميكالي يحجب الثعالبي
١٧٩ أبو حازم	١٨٠ الوزير المهدي	١٨٠ الوزير المهدي	١٨٠ الوزير المهدي
٢١٢ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	١٨١ الحكمة ضالة المؤمن	١٨١ الحكمة ضالة المؤمن	١٨١ الحكمة ضالة المؤمن
١٨٠ قهواء المدينة السبعة	١٨٢ وصف الكتاب للمجاهد	١٨٢ وصف الكتاب للمجاهد	١٨٢ وصف الكتاب للمجاهد
٢١٣ ذبي نواس	١٨٣ تهادى الكتب	١٨٣ تهادى الكتب	١٨٣ تهادى الكتب
١٨١ لأبي محمد بن أبي أمية	١٨٤ أوصاف الكتب	١٨٤ أوصاف الكتب	١٨٤ أوصاف الكتب
٢١٤ ظرف أهل المدينة	١٨٤ المائدة والمجالسة	١٨٤ المائدة والمجالسة	١٨٤ المائدة والمجالسة
٢١٤ لتشيب بأخت الحجاج	١٩٣ الفهم والإفهام	١٩٣ الفهم والإفهام	١٩٣ الفهم والإفهام
١٨٥ وصف الدنيا لابن المعتز	١٩٥ واجب الجليس	١٩٥ واجب الجليس	١٩٥ واجب الجليس
٢١٨ بين ابن المعتز وتعلب	١٩٦ الحديث للماد	١٩٦ الحديث للماد	١٩٦ الحديث للماد
٢١٩ شعر ابن المعتز	١٩٦ أنواع الأدب	١٩٦ أنواع الأدب	١٩٦ أنواع الأدب
٢٢٠ وصف النار لليناء	١٩٨ تحميم الأيا	١٩٨ تحميم الأيا	١٩٨ تحميم الأيا
٢٢١ عود إلى شعر ابن المعتز	١٩٩ إياس بن معاوية يحتج للأطباء	١٩٩ إياس بن معاوية يحتج للأطباء	١٩٩ إياس بن معاوية يحتج للأطباء
١٩١ رثاء المنصور	— الجاحظ يرد عليه	— الجاحظ يرد عليه	— الجاحظ يرد عليه
٢٢٢ وصاف الرجاء	— ابن هيرة يريد إياس على القضاء	— ابن هيرة يريد إياس على القضاء	— ابن هيرة يريد إياس على القضاء
٢٢٣ ثر ابن المعتز	٢٠٠ أبو الصناء وقينة	٢٠٠ أبو الصناء وقينة	٢٠٠ أبو الصناء وقينة

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٥٨	كلام الخلفاء	٢٢٧	يصف الماء وما يتصل به
٢٥٩	مقتل المتوكل	٢٢٩	ككة الجعفرى للبحرى
٢٦٠	وفاء البحرى	١٩٩	صور المتوكل لابن الجهم
٢٦١	رثاء المتوكل للسبلى	٢٣١	وصف موضع للبحرى
٢٦٢	أبو حية النخري	٢٣٢	صنوبرى يصف موضعاً فى حلب
٢٣٣	وصف الشباب لهارون بن يحيى	٢٣٣	لميكالى يصف بركة
٢٦٥	قرر فى وصف الشباب	—	لعلى بن محمد الإباضى يصف داراً بالمصورية
٢٦٧	بين ابن مناذر وأبى حية النخري	٢٣٥	الماء والصدران
٢٣٦	أعباء الكهولة لعمرو بن قيس	٢٣٧	وصف الرعد والبرق
٢٦٨	للنمر بن تولب	٢٤١	الشرب فى الصحو
٢٦٩	من شعر حميد بن ثور	٢٤٢	وصف شدة الشوق
٢٧٠	لهمودالوراق	٢١٠	وصف رجل حازم لابن القفع
—	للتقى	٢٤٣	إبراهيم بن أدهم
—	للبحرى	٢٤٤	وصف التقى والزهد لابن كناسة
—	لابن هانى	٢١٢	من أخبار ابن القفع
٢٧١	لابن الرومى	٢٤٥	ترجمة الأصوص
—	لأبى تمام	٢١٣	فهم المنصور
٢٧٢	وصف الثغر	٢٤٦	بلية الحسد لابن القفع
٢٧٤	وصف الجوارى السود	٢٤٧	ألسنة الحساد
٢٧٥	لهثة بتوأمين	٢١٦	وصف الحسد
٢٨٠	وصف الأفواه	٢٤٨	التلطف فى الطلب
٢٨٢	شعر أبى نواس	٢٤٩	من كلام على بن عبيدة الرضائى
٢٨٢	طرفة أديه	٢٥٠	بين إبراهيم بن الهيثم وأحمد بن أبى دوداد وختيشوع الطيب
٢٨٨	تظرف الحارث بن خالد	٢٥١	أردشير بن بابك
٢٥٧	من أخبار عائشة بنت طلحة	٢٥٢	أخلاق الملوك
٢٨٩	مثل من التمرض	٢٥٣	أخت ملك الحزير
٢٩٠	الثريا بنت على	٢٥٤	أقوال الملوك والحكام
٢٩١	عزة كثير	٢٥٧	همة سعد بن ناشب
٢٩٢	ظرف ابن أبى عتيق		
٢٩٣	ككل الشيطان		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٦١	رملة بنت عبد الله	٣١١	أبيات مختارة في ممان شق
٢٩٤	صفقة أبي غيثان الذي باع مفتاح الكعبة بزق خر	٢٨٣	أبو العيناء
٢٩٥	عفة ابن أبي ريمة	٣١٥	بين أبي الصقر وابن الرومي
٢٩٦	بين ابن جريج ومعين بن أوس	٣٢١	ترجمة أبي العيناء، وطرف من أخباره
٣٠١	عائشة بنت طلحة	٣٢٢	أحاديثه مع التوكل
٣٠٢	ملمة ابن الرومي	٣٢٣	التوكل أول من أظهر الانكباب على الشهوات من العباسيين ..
٣٠٣	سليمان بن عبد الملك وأعرابي	٣٢٤	منزلة أبي العيناء في الكتابة
٣٠٤	وصف رجل ماجد	—	من أبي العيناء لعبيد الله بن سليمان
٣٠٥	البديع المحدثي ، وكيف استوح	٣٢٥	نواذره ، وفكاهاته ، وأجوبته
	صنع المقامات	٣٢٦	إبراهيم بن اللدبر
٣٠٦	كتابه إلى أبي نصر الليكالي	٣٢٧	صاحب الزنج
٣٠٩	عتابه لليكالي	٣٣٠	عود إلى ملح أبي العيناء

تمت فهرس الجزء الأول من « زهر الآداب » والحمد لله أولا وآخرا  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه



زَهْرُ الْأَكْبَرِ



# زَهْرُ الْأَطْبَاءِ

ونثر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني ، المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الثاني

## دار الجيل

طبعة الأولى والثانية والطبعة الثالثة

تبعث - لبنان

ص. ٥٧٢٧

الطبعة الرابعة

## ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام

ومقدماته ، وموائده ، وآلاته

أَفْرِشْ طماتك اسم الله ، وأَلِفْهُ حمد الله . لَا يَطِيبُ حضور الخوان ،  
إلا مع الإخوان . الْبِخْلُ بِالطَّام ، من أخلاق الطَّام . الْكَرِيم لَا يَخْطُرُ ، تقديم  
ما يَخْضُر . قد قامت خطيبه القدور . قدور أبكار ، بخواتم النار . قدُر طار  
عَرَفُها ، وطاب عَرَفُها . دَهَاءُ تَهْدِرُ كَالْفَنِيْقِ <sup>(١)</sup> ، وتَفْوَحُ كَالنَّيْقِ الْفَتِيْقِ .  
مائدة كدَاة البَدْر ، تباعد بين أغصان الجلّاس . مائدة مثلُ عروس . مائدة  
لطيفة ، مخوفةٌ بكل حُرِيفة . مائدة تشتت على بدائع اللآكولات ، وغرائب  
الطَّيِّبَات . مائدة كأنما عملها صنّاع صنّاء ، تجمع بين أنوار <sup>(٢)</sup> الربيع ،  
وثمار الخريف .

وقال الجاز : جاءنا فلان بمائدة كأنها زَمَنُ البرامكة على السَّقاء !  
وَدَمَ آخر رجلا فقال : لَا يَخْضُرُ مائدته إِلَّا أَكْرَمُ الْخَلْقِ وَالْأَمَمِ . يريد  
اللائكة والذُّبَابَ .

وقال ابن المبرّج لرجل دعاه وأخر الطعام :  
قد جَمَّ أَمحابك من جُوعهم فَقَرَأَ عليهم سورة المائدة  
ولبعض أهل العصر يذم رجلا :  
خِوَانٌ لَا يُلْمُ بِهِ ضِيُوفٌ وَعَرَضَ مِثْلَ مِندِيلِ الْخِوَانِ  
رُغْفَانٌ كَالْبِدُورِ لِلْمَنْطِقَةِ بِالتَّجْوِمِ . حَمَلْ ذَهَبَ الدُّنَارِ ، فَضَى الشَّمَارِ . أَطِيبُ  
مَا يَكُونُ الْحَمْلُ ، إِذَا حَلَّتْ الشَّمْسُ الْحَمْلَ <sup>(٣)</sup> . جَذَى كَأَنَّمَا تُدْفِ عَلَى جَبِينِهِ الْقَرَى .  
زِيْرَبَاجَةٌ ، هِيَ الْمَائِدَةُ دِيْبَاجَةٌ ، تَشْتَفِي السَّقَامَ ، وَلَوْهَا لَوْنُ السِّمِّ . سِكْبَاجَةٌ تَفْتَقُ

(١) الفنيق : الفحل الهاج (٢) في الأصل « أنواع » وهو تحريف .

(٣) الحمل الأول : الصغير أولاد الضأن ، والحمل الثاني : برج في السماء (م)

الشهوة ، واسفيذاجة تُغذَى القرم<sup>(١)</sup> ، وطبأهجة يُتَفَكَّه بها ، وخبيص يحتم  
بغير طبأهجة من شرط الملوك ، كأغراف الديوك ، وقلية كالود المطرعى . منومة  
تفرج غم الجائع . هريسة نيفسة ، كأنها خيوط قرمشبكة ، كأن المرعى<sup>(٢)</sup> عليها  
عصارة المسك على سبكة الفضة . أرزة ملبونة ، في السكر مدفونة . شوالا رشراش<sup>(٣)</sup>  
وقالودج رَجَرَج<sup>(٤)</sup> . طبأهجة تغذى ، وقالودجة تعزى ، واسفيذاجة تصفع قفا  
الجوع<sup>(٥)</sup> . لا فراش للنبذ ، كالحمل الحنيذ<sup>(٦)</sup> . دجاجة سميطه ، لها من الفضة  
جسم ، ومن الذهب قشرة . دجاجة دينارية ثمننا ولونا .

لا بن الروى      وهذا محلول من قول على بن العباس الروى يصف طعاماً أكله عند أبي بكر  
في وصف طعام      الباطاني :

وسميطه صفراء دينارية	نمنا ولونا زفها لك خزور <sup>(٧)</sup>
عظمت فكادت أن تكون أوردة	وغلت فكاد إهابها يتفطر
طلقت تجود بذوبها جودابة	فأنى لباب اللوز فيها السكر
ظلنا قشر جلدها عن لحمها	فكان يثيراً عن سجين يفسر
وتقدمتها قبل ذلك ترأيد	مثل الرياض؛ بل ذاك تصدّر
ومرقات كلهن مزخرف	بالبهيز منها ملبس ومدثر
وأنت قطائف بعد ذلك لطائف	ترضى اللهاة بها ويرضى الخنجر
ضحك الوجوه من الطيرزد فوقها	دمع العيان من الدهان يُقصر

(١) في نسخة « تزور القرم » والقرم : شديد الشهوة إلى أكل اللحم (م)

(٢) المرى : ضرب من الإدام (م)

(٣) الشواء : اللحم المشوى ، ورشراش : سمين (م) (٤) من كلام أبي بكر الخوارزمي

(٥) تلك أسماء الأطعمة التي كان يعرفها العرب لهد الدولة العباسية ، وأكثرها

أسماء فارسية تحب عنا مسمياتها الآن ؛ لأن للأطعمة اليوم أسماء جديدة أكثرها  
تركية وفرنسية (٦) الحنيذ : الشوى (م) (٧) الخزور : السريع إلى إكرام الضيف .

قال البديع : حدثني عيسى بن هشام قال : اشْتَهَتْ الْأَزَادَ ، وَأَنَا يَمْقَذَاذٌ <sup>(١)</sup> ،  
 وليس معي عَقْدٌ ، عَلَى نَقْدٍ <sup>(٢)</sup> ، فخرجتُ أَنْتَهَزُ مَحَالَّهُ ، حَتَّى أَهْلَنِي الْكَرْخَ <sup>(٣)</sup> ؛  
 فإِذَا أَنَا بِسَوَادِيَّ يَحْدُو بِالْجَهْدِ حَارَهُ ، وَيَطْرُقُ بِالْقَدْرِ إِزَارَهُ <sup>(٤)</sup> ؛ قُلْتُ :  
 ظَنَرْنَا وَاللهُ بِصَيِّدٍ ، وَحَيَّكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ ! مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتُ ؟ وَمَتَى  
 وَافَيْتَ ، فَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ . قَالَ السَّوَادِيُّ : لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ ، وَإِنَّمَا أَبُو عُبَيْدٍ !  
 فَقُلْتُ : نَعَمْ لَعَنَ اللهُ الشَّيْطَانَ ، وَأَبْعَدَ النَّسْيَانَ ، أَنْتَانِي طَوْلُ الْعَهْدِ بِكَ ،  
 كَيْفَ أَبُوكَ ، أَشَابَ كَمَهْدِي ، أَمْ شَابَ بَمَهْدِي ؟ <sup>(٥)</sup> قَالَ : قَدْ نَبَتَ الْمَرْعَى  
 عَلَى دِمْنَتِهِ <sup>(٦)</sup> ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ ، قُلْتُ : إِنَّا اللهُ ، وَلَا قُوَّةَ  
 إِلَّا بِاللَّهِ ، وَمَدَدَتْ يَدَ الْبِدَارِ ، إِلَى الصَّدَارِ <sup>(٧)</sup> أُرِيدُ تَمْزِيْقَهُ ، وَأُحَاوِلُ تَحْرِيقَهُ <sup>(٨)</sup>  
 قَبِضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمُعِهِ <sup>(٩)</sup> ؛ وَقَالَ : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لَامَرْقَتَهُ ، قُلْتُ :  
 فَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نُسَبِّ غَدَاءً ، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِي شِوَاءً ؛ وَالسُّوقُ أَقْرَبُ ، وَطَعَامُهُ

- 
- (١) الأزاد : من أجود أنواع الفُر ، وبنداذ : هي بنداد  
 (٢) ليس معي عقد على نقد : أي ليس معي نقود يقدر عليها الكيس والثوب  
 (٣) الخال : جمع محل ، والكرخ : من الجانب الغربي من بغداد  
 (٤) السوادي : الرجل من قرى العراق ، نسبة إلى السواد ، وسمى العراق سواداً  
 لاكتساء أرضه بالحضرة ، ومعنى «يطرق بالقدر إزاره» أي يرد أحد طرفيه إلى الآخر  
 (٥) كمهدي : أي كمهدي به حين عرفته  
 (٦) الدمنة : آثار الديار ، ولا يثبت الريح على الدمنة إلا حين يبعد عهدها  
 بالخراب ، يريد أن أباه مات منذ زمن طويل .  
 (٧) البدار : المسارعة ، والصدار : قبض صغير على البدن  
 (٨) يريد أنه هم بتمزيق ثوبه من الحزن  
 (٩) جمع الكف - بضم الحيم - قبضته

أطيب ، فاستغزته حُمَةُ الْقَرَمِ<sup>(١)</sup> ، وعطفته عطفة التَّهَم ، وطَمِع ، ولم يعلم أنه وقع ، ثم أنبت شَوَاهٍ يَتَقَطَّرُ شَوَاهِدُهُ عَرَقًا ، ويتسائل جُودَابُهُ مَرَقًا<sup>(٢)</sup> ، قُلت : أبرز لأبي زيد من هذا الشَّوَاهِ ، ثم زِنَ له من تلك الحُلُوءِ ، واختَر من تلك الأطباق ، ونَضد عليها أوراقي الرِّقَاق ، وشيئا من ماء الشُّمَاق<sup>(٣)</sup> ؛ ليأكله أبو زيد هنيا . فأنحى الشَّوَاهِ بِسَاطُورِهِ<sup>(٤)</sup> ، على زُبْدَةِ تَنْوَرِهِ ، فجعلها كالسَّكَلِ سَحَقًا ، وكالطَّحِينِ دَقًا ، ثم جلس وجلست ، ولا نَبَسَ ولا نَبَسَتْ ، حتى استوفيناها . وقلت لصاحب الحُلُوءِ : زِنَ لأبي زيد من اللوزينج رطلين<sup>(٥)</sup> ، فإنه أجرى في الحُلُوقِ ، وأَسْرَى في العروق ، وليكن ليلي العُمَرُ ، ويومى النَّشْرُ<sup>(٦)</sup> ، رقيق القِشْرِ ، كثيف الخُشُو ، لؤلؤى الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصَّمْغِ ، قبل المَضْغِ ، ليأْكَلَهُ أبو زيد هنيا . فوزنه ، ثم قعد وقعدتُ ، وجردَ وجردتُ<sup>(٧)</sup> . واستوفيناها ، ثم قلت : يا أبا زيد ، ما أخرجنا إلى ماء يُشَبِّعُ بِالنَّجِ ، ليقَمَعَ هذه الصَّارَةَ<sup>(٨)</sup> ، وَيَقْتُلَ هذه اللَّقْمَ الحَارَةَ<sup>(٩)</sup> ؛ اجلسْ أبا زيد حتى آتِيكَ بِسَقَاءٍ ، يُخَيِّبُنَا بِشَرَبِهِ من ماء ، ثم خرجت ، وجلست بحيث أراد ولا يراني ، أنظر ما يُصْنَعُ بِهِ . فلما أَبْطَأْتُ عليه قام السَّوَادِيُّ إِلَى حمَّارِهِ ، فاعتنق الشَّوَاهِ بِإِزَارِهِ .

(١) الحمة : إبرة القرب يلمس بها من يلمسه ، والقمر : شدة الشهوة إلى اللحم

(٢) الجوداب : خبز يوضع في التنورة ومعه طائر أو لحم

(٣) الساق : حب أحمر صغير شديد الحموضة ، شجره يشبه الرمان

(٤) الساطور : آلة يقطع بها الجزار اللحم

(٥) اللوزينج : نوع من الحُلُوءِ يصنع من نوع من الحجر يسقى بدهن اللوز ، ويغشى بالبلوز .

(٦) ليلي العمر : صنع من ليلته ، ويومى النشر : نشر في يومه

(٧) جرد وجردت : يريد أن كلا منهما جرد يده من ثيابه استمداً للمائدة

(٨) الصارة العطش

(٩) يفتأ : يسكن



وقال : أين نحنُ ما أكلتَ ؟ قال : ما أكلتهُ إلا ضيفا ! قال السَّوَّاءُ : هلك وأَكْ  
متى دعوناك ؟ زِنْ يا أبا القحبة عشرين ، وإلا أكلت ثلاثا وتسعين ! فجعل  
السَّوَّاءُ يبيكي ويمسح دموعه بأردانه ، ويحمل عُقْدَهُ بَأْسَنَانِهِ ، ويقول : كم قلت  
تلك القُرَيْدَ ، أنا أبو عبيد ، وهو يقول : أنت أبو زيد ! ؟ فأنشدت :

اعمل لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَةٍ لَا تَقْصِدَنَّ بِذَلِكَ حَالَهُ

وانهَضْ بِكُلِّ عَزِيمَةٍ فَالْمَرْءُ يَنْجِزُ لَا لِلْحَالَةِ<sup>(١)</sup>

لعلى بن يحيى  
النجم

ومن مליح ما قيل في القطائف قول على بن يحيى بن أبي منصور المنجم :

قطائفٌ قَدْ حُشِيَتْ بِاللَّوْزِ وَالسَّكْرِ الْمَاذِي حُشُوَ الْمَوْزِ<sup>(٢)</sup>

يسبح في آدِي<sup>(٣)</sup> دُهْنِ الْجَوْزِ سُرِرْتُ لِمَا وَقَعْتُ فِي حَوْزِي

سرور عباسٍ بِقُرْبِ قَوْزِ<sup>(٤)</sup>

ومن ألفاظ أهل مصر في الحلواء : فالوذج بلباب البز ، ولعاب النحل ،

كَأَنَّ اللَّوْزَ فِيهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ ، في سماء عَفِيقٍ .

لابن الرومي  
يصف اللوزينج

ولم يقل أحد في صفة اللوزينج أحسن من قول ابن الرومي :

لَا يُخِيطُنِي مِنْكَ لَوْزِينَجٌ إِذَا بَدَأَ أُعْجِبَ أَوْ عَجِبَا

لَوْ شَاءَ أَنْ يَذْهَبَ فِي صَخْرَةٍ لَسَهَّلَ الطَّلِبُ لَهُ مَذْهَبَا

لَمْ تَقْلِقِ الشَّهْوَةُ أَبْوَابَهَا إِلَّا أَبَتْ زُلْفَاهُ أَنْ يُحْجَبَا

يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى اللَّهْفَ لَهُ لَوْبَا<sup>(٥)</sup>

(١) قد ترجمنا هذه المقامة الطريفة إلى الفرنسية في كتابنا

La prose Arabe au IV siècle de l'Hégire

(٢) للآذي : الصل

(٣) الآذي : الموج

(٤) فوز : هي معشوقة العباس بن الأحنف

(٥) اللوب : استدارة الماء

عَاوَنَ فِيهِ مَنَظَرَ تَحْبَرَا      مُسْتَحْسِنٌ سَاعَدَ مُسْتَعَذِبَا  
 مُسْتَكْتَفٍ الْحَشْوِ وَلَكِنَّهُ      أَرْقَى جِلْدًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا<sup>(١)</sup>  
 كَأَنَّمَا قُدَّتْ جَلَابِيئُهُ      مِنْ نَقْطَةِ الْقَطْرِ إِذَا حَبَبَا<sup>(٢)</sup>  
 يُخَالُ مِنْ رِقَّةٍ خِرْشَاءُهُ<sup>(٣)</sup>      شَارَكَ فِي الْأَجْنَحَةِ الْجُنْدَبَا<sup>(٤)</sup>  
 لَوْ أَنَّهُ صُوِّرَ مِنْ خُبْرِهِ      تَفَرُّ لَكَانَ الْوَاضِحَ الْأَشْبَا<sup>(٥)</sup>  
 مِنْ كُلِّ يَبْضَاءٍ يَوْدُ الْفَقَى      أَنْ يَجْعَلَ الْكَفَّ لَهَا مَرْكَبَا  
 مَذْهُونَةٍ زَرْقَاءَ مَذْهُوقَةٍ<sup>(٦)</sup>      صَبَّاءَ تَحْكِي الْأَزْرَقَ الْأَشْبَا  
 قَسْرَةَ عَيْنٍ<sup>(٧)</sup> وَفَمٍ حُسْنَتْ      وَطَيِّتَ حَتَّى صَبَا مِنْ صَبَا  
 دَيْفٌ لَهُ اللَّوْزُ ؛ فَمَا مُرَّةٌ      مَرَّتْ عَلَى الذَّائِقِ إِلَّا أَبِي<sup>(٨)</sup>  
 وَاتَّقَدَ الشُّكَّرُ نُقَادُهُ      وَشَاوَرُوا فِي قَدِّهِ لِلزَّهْبَا  
 فَلَا إِذَا الصَّيْنُ رَأَتْهُ بَتَتْ      وَلَا إِذَا الصُّرْسُ عَلَاهُ نَبَا  
 لَا تُفَكِّرُوا الْإِذْلَالَ مِنْ وَاقٍ      وَجَهَ تَلَقَّاءُكُمْ الْمَطْلَبَا  
 هذه الأبيات يقولها في قصيدة طويلة يمدح فيها أبا العباس أحمد بن محمد  
 ابن عبد الله بن بشر المرندي ، ويهنيه بآبن ولده ، وأولها :  
 شمسٌ وبدرٌ وَلَدَا كَوُكْبَا      أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْجِبَا  
 قال أبو عثمان سعيد بن محمد الناجم : دخلت على أبي الحسن وهو يعمل هذه

(١) رواية الديوان « أرق قشرا »

(٢) حب : صار ذا حب ، بالتحريك . ورواية الديوان « من أعين القطر »

الذي قيا « وفي رواية أخرى « طبا »

(٣) الخرشاء : الجلدة الرقيقة (٤) الجندب : الجراد

(٥) الأشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة وبرد وعذوبة في الأسنان

(٦) كذا في الأصل. وفي الديوان « مدقونة » (٧) رواية الديوان « ملذعين »

(٨) يريد أن صانع اللوزينج كان يختبر اللوزيطرح منه ما يجد فيه مرارة

القصيدة ، قلت : لوثقأت فيها لأبي العباس بسعة من الولد ؛ لأن أبا العباس منكوساً سابغاً ، لجاء المعنى ظريفاً ، فقال :

وقد ثقألتُ له زاجراً      كُنَيْتُهُ ، لا زاجراً ثَمَلِيا  
إني تأملتُ له كُنَيْةً      إذا بدا مَلُوبِها أَعْجَبَا  
يَصُوغُها العكسُ أبا سابغٍ      لا كَذَبَ اللهُ ولا حَبِيا  
بل ذاك قالُ ضامِنٌ سَبَقَهُ      مثل الصُّور استشرقتْ حَرَقِيا  
يأتون من صُلْبِ قَتِي ما جَدِمَ      وذاك قالُ لم يُدْ مَقْطَبَا  
وقد أنانا منهم واحِدٌ      فلننظرَهم سِنتَهُ غُيَا  
في مُدَّةٍ تَفْعُرُها نِعمَةٌ      يَعمَلُها اللهُ له ثُرُمُبا<sup>(١)</sup>  
حتى نراه جالسا بينهم      أَجَلَ من رَضوى ومن كَبْجبا<sup>(٢)</sup>  
كالبدرواقى الأرض من نُورِهِ      بينَ نجومٍ سَبَقَهُ فَاجْتَبَا<sup>(٣)</sup>  
وليشكر الناجِمُ عن هذه      فإنها من بعضِ ما بَوَّبا  
سَدَى والْحَمْتُ أَخْ لم أزلُ      أشكر ما أَسْدَى وما سَبَّبا

وكان ابن الرومي منهموماً في المآكل ، وهي التي قتلته ، وكان مُعْجَباً بهم ابن الرومي بالسمك ، فوعده أبو العباس المرتضى أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا تنقطع ، وجه السمك فبعث إليه يوم سببت ، ثم قطعه ، فقال :

ما لِحِيتائِنَا جَفَّتْنَا وأنى      أخلفَ الزائرونَ منتظرَهم  
جاء في السَّبْتِ زَوْرُهم فَاتِينَا      من حِفَاظِهِ عليه ما يَكْفِيهِم<sup>(٤)</sup>

(١) الترتب - على وزن قنفذ وجندب - الشيء يلقيم الثابت

(٢) رضى وكبج : جلان (م) (٣) اجتبي : جمع بين ظهره وساقه بعامة

ونحوها . وهي جلسة معروفة عند أشراف العرب - كذا ، والصواب « فاجتبي »

بالجيم - أى اختار واجتبي (م) (٤) الزور : الضيف

وجعلناه يوم عيد عظيم فكَأَنَّا الْيَهُودُ أَوْ نَحْكِيهِمْ  
وَأَرَامَ مُصَمِّينَ عَلَى الْهَجْرِ فَلَمَّ يُسْخَطُونَ مَن يُرْضِيهِمْ  
قَدْ سَبَّتْنَا وَمَا أَتْنَا وَكَانُوا يَوْمَ لَا يَسْتَبِثُونَ لَا تَأْتِيهِمْ  
فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِالنَّاجِمِ ، فَكُتِبَ إِلَى ابْنِ الرَّوْمِيِّ :

من الناجم إلى  
ابن الرومي

أَبَا حَسَنِ أَنْتَ مَنْ لَا تَزَا لُتَحْمَدُ فِي الْفَضْلِ رُجْحَانَهُ  
فَكَمْ تُحْمِنُ الظَّنَّ بِالرَّدَى وَقَدْ قَلَّ اللَّهُ إِحْسَانَهُ  
أَلَمْ تَذَرِ أَنَّ الْقَتْلَ كَالسَّرَابِ إِذَا وَعَدَ الْوَعْدَ إِخْوَانَهُ  
فَبَخَّرَ السَّرَابَ يَفُوتُ الطَّلُوبُ فَقُلْ فِي طَلَابِكَ حَيَاتَهُ

وخرج ابن الرومي إلى بعض المتنزهات وقصدوا كَرَمًا رَازِقِيًّا ، فشرى  
هناك عَائَةً يَوْمَهُمْ ، وَكَانُوا يَتَهَمُونَهُ فِي شَعْرِهِ ، قَالُوا : إِنْ كَانَ مَا تُنْشِدُنَا لَهُ  
قُلْ فِي هَذَا شَيْئًا ، قَالَ : لَا تَرِعُوا حَتَّى أَقُولَ فِيهِ ، وَأَنْشِدُهُمْ لَوْحَتِهِ :

لابن الرومي  
يصف العنب  
الرازقي

وَرَاذِقِي مُخْطَفِ الْخُصُورِ كَأَنَّهُ تَحَايِزُ الْبُلُورِ  
قَدْ ضُمَّتْ مِسْكَاً إِلَى الشُّطُورِ وَفِي الْأَعَالَى مَاءَ وَرْدٍ جُورِي<sup>(١)</sup>  
بَلَا فَرِيدٍ وَبَلَا شُدُورٍ لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ<sup>(٢)</sup>  
وَبَرْدٌ مَسَّ الْخِصْرِ الْمَقْرُورِ وَنَكْهَةُ الْمِسْكِ مَعَ الْكَافُورِ<sup>(٣)</sup>  
وَرَقَّةُ الْمَاءِ عَلَى الصَّدُورِ بَاكَرُهُ وَالْقَلْبُورُ فِي الْوُكُورِ  
بِفَيْتِيَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ أَمْلًا لِلْعَيْنِ مِنَ الْبُذُورِ  
حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ قَبْلَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ<sup>(٤)</sup>

(١) جورى : نسبة إلى جور ، وهى مدينة فيروزاباد

(٢) من «شارالصل يشوره» أى جنا

(٣) من الحصر - بالتحريك - وهو البرد ، والقر - بالضم - ومعناه البرد أيضا

(٤) الذرور : الطلوع ، والناطور : حافظ الكرم والتخل

فَانْحَطَّ كَالطَّأْوِي مِنَ الصُّقُورِ      بطاعةِ الرَّاعِبِ لَا انْقُصُورُ  
وَالْحَرْثُ غَيْدُ الْحَلْبِ الْمَشْطُورِ      حَتَّى أَتَانَا بِضُرُوعِ حَوْرِ<sup>(١)</sup>  
مَمْلُوءَةٍ مِنْ عَسَلٍ مَحْصُورِ      وَالْعَلَّاءُ مِثْلُ اللُّؤْلُؤِ الْمَشْهُورِ  
نَحْمُ جَلَسْنَا جِلْسَةَ الْمَجْبُورِ      بَيْنَ حِفَافِي جَدُولِ مَسْجُورِ<sup>(٢)</sup>  
أَبْيَضُ مِثْلُ الْمُهْرَقِ الْمَشْهُورِ      أَوْ مِثْلُ مَتَنِ الْفُصْلِ الْمَشْهُورِ<sup>(٣)</sup>  
يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ      بَيْنَ سِمَاطِي شَجَرِ مَسْطُورِ<sup>(٤)</sup>  
نَاهِيكَ لِلْعُقُودِ مِنْ ظُهُورِ      فَنِيلَتِ الْأَوطَارُ فِي سُرُورِ  
وَكُلُّ مَا يُقْضَى مِنَ الْأُمُورِ      تَمَلَّةٌ مِنْ يَوْمِنَا الْمُنْظُورِ  
وَمُتَمَّةٌ مِنْ مُتَمِّعِ الْغُرُورِ

ألفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر في صفات الفواكه والثمار

كَرَّمْ نُسَلِّفُهُ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ، وَيَقْعِيْنَا أَمْهَاتِ الرِّاحِ. عَنُقُودِ كَالْثَرِيَّةِ، وَغَيْبُ  
كَمَخَازِنِ الْبَلُورِ، وَضُرُوبِ الثَّوْرِ، وَأَوْعِيَةِ السَّرُورِ. أَمْهَاتِ الرِّحْقِ. فِي مَخَازِنِ  
الْعَقِيقِ. نَحْلُ نُسَلِّفُهُ الْمَاءَ، وَيَقْعِيْنَا الْعَصَلَ. رُطَبُ كَأَنَّهَا شُهْدَةٌ بِالْعَقِيقِ مُقْنَعَةٌ،  
وَبِالْعَقِيقِ مُقْنَعَةٌ. رَمَّانُ كَأَنَّهُ صُرَّرَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرُ. سَفَرَجَلُ يَجْمَعُ طَبِيعًا، وَمَنْظَرًا  
حَسَنًا جَمِيعًا، كَأَنَّهُ زَنْبَرٌ<sup>(٥)</sup> انْفَرَزَ الْأَغْبَرُ، عَلَى الدِّيَابِاحِ الْأَصْفَرِ. تَشَاحُ نَفَّاحٌ<sup>(٦)</sup>،  
يَجْمَعُ وَصْفَ الْمَاشِقِ الْوَجِيلِ، وَالْمَشُوقِ الْخَجِيلِ، لَهُ نَسِيمُ الْعَبِيرِ، وَطَعْمُ الْكِرْ،  
رَسُولُ الْحَبِّ، وَشَبِيهِ الْحَبِيبِ. يَتَيْنُ كَأَنَّهُ سَفَرٌ مَضْمُومَةٌ عَلَى عَسَلٍ. مَشْمَشُ  
كَأَنَّهُ الشَّهْدُ فِي بَيَّادِقِ الذَّهَبِ.

(١) جمع أحور (٢) المجبور : السرور ، ومسجور : مملوء ،

(٣) المهرق : الصحيفة (٤) الساط : الصف

(٥) الزنبر - بكر الزاي وسكون الهمزة وكسر الباء للوحدة - هو ما يظهر من

درز اثوب (٦) ينفع بالرائحة العطرة

[ بعض ما جاء في وصف الليل ]

قال بعضُ الرواة : أنشدت أعرابيا قولَ جرير بن عطية بن الحطّاطي :  
أُبَدِّلُ اللَّيْلُ لَأَتَسْرِيَ كَوَاكِبُهُ      أَمْ طَالَ حَتَّى حَبَّتِ النَّجْمَ حَيَّوَانَا  
لأعرابي في      فقال : هذا حسنٌ في معناه ، وأعوذ بالله من مثله ؛ ولكنني أنشدك في ضده  
صفيل لقاء      من قولي ، وأنشدني :

وليلٌ لم يُقَعَّرْهُ رُقَادٌ      وقصّر طولَه وَضَلُ الحَيِّبِ  
نَمِيمُ الحُبِّ أَوْزَقَ فِيهِ نَحْيٌ      تَنَالُونَا جَنَاهُ مِنْ قَرِيبِ  
بِمَجْلَسِ لَذَّةٍ لَمْ تَقُوفِ فِيهِ      عَلَى شَكْوَى وَلَا عَدَالَتُ نَوْبِ  
بَحَلْنَا أَنْ تَقْطَعَهُ بَلْفَظٌ      فَتَرْجَحْتَ الْعَيُونَ عَنِ الْقُلُوبِ

لأعرابي وصف      فقلت له : زدني ، فما رأيت أظرف منك شعرا ؛ فقال : أمّا هذا الباب  
وفاء لصحبه      غيبك ، ولكن أنشدك من غيره :

وَكُنْتُ إِذَا عَلِقْتُ حَبَالَ قَوْمٍ      صَحْبَهُمْ وَشَيْنَتِي الْوَفَاءُ  
فَأَحْسِنُ حِينَ يُحْسِنُ مَحْنُوهُمْ      وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا  
أَشَاءُ سِوَى مَشِيَّتِهِمْ فَأَتِي      مَشِيَّتَهُمْ وَأَتْرُكُ مَا أَشَاءُ

لجرير يصف      قال الأصمعي : قرأتُ على أبي مُخَذَّرٍ خَلْفَ بْنِ حَيَّانٍ الْأَحْمَرِ شِعْرَ جَرِيرٍ ،  
يوم صيد      فما بلغت إلى قوله :

وَيَوْمَ كَلَّاهُمُ الْقَطَاةَ مَحْجَبٍ      إِلَى صَبَاءٍ غَالِبٍ نِيَّ بَاطِلُهُ  
رُزِقْنَاهُ الصَّيْدَ الْعَزِيزَ وَلَمْ نَكُنْ      كُنْ تَبْلُهُ مَحْرُومَةٌ وَحَبَّارُلُهُ  
فِيَالكَ يَوْمَ خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ      تَغْيِبُ وَاشِيعُ وَأَقْصَرَ عَازِلُهُ

فقال خلف : وَيَمَحْه ! فما ينفعه خيرٌ يؤول إلى شرٍّ ؟ فقلت له : كذا  
قرأته على أبي عمرو بن الملاء ، فقال لي : وكذا قال جرير ، وما كان أبو عمرو  
ليقرئك إلا ماسمعا ، قلت : فكيف كان يجب أن يكون ؟ قال : الأجداد أن

يقول : خيرُهُ دون شرِّه ، فَارَوْه كَذَلِكَ ، فقد كانت الرواة قديماً تُصْلِحُ أشعار الأوائِل ، قلت : والله لا أرويه بعدها إلَّا كذا .

ومن أجود ما قيل في قَصْرِ الليل قول إبراهيم بن العباس :  
وليلةٍ من اللآلئ إلى القُرِّ قابلتُ فيها بَدْرَهَا يَدْرِي  
لم تَكُ غَيرَ شَفَقٍ وفَجْرِ حَتَّى تَقْصَتْ وَهِيَ بِكُرِّ الدَّغْرِ

وقال محمد بن أحمد الأصبهاني فيما يتعلق بهذا المعنى وإن كان في ذكر النهار :  
يصف يوم هو

كيف بُرِّجَ لِمُتَلَقِّ هُدُوٍّ ورُقَادَى لَطَرَفِ عَيْنِي عَدُوٍّ  
بأبي مَنْ نَعِمْتُ مِنْهُ يَتَوَمَّ لم يَزَلْ لِلسُّرُورِ فِيهِ نَمُوٍّ  
يومَ لَهْوٍ قَدْ التَّقَى طَرْفَاهُ فَكَأَنَّ الْعَيْشَ فِيهِ غَدُوٍّ  
إِذْ لَشَخْصٍ الرِّقَبِ فِيهِ ثَنَاءٌ وَلِبَدْرِ السَّمَاءِ مِنِّي دُنُوٍّ

لابن المعتز  
يصف ليل  
سرور

وقال ابن المعتز :

يارب ليلٍ سَحَرُ كُلِّهِ مُفْتَضَحَ الْبَدْرِ عَلِيلِ النَّسِيمِ  
تَلْتَقُطُ الْأَنْفَاسُ بَرْدَ النَّدَى فِيهِ قَهْدِيهِ لِحَرِّ الْمُسُومِ  
لَا أَعْرِفُ الْإِصْبَاحَ مَا بَدَا فِي ضَوْئِهِ إِلَّا يُكْرُ النَّدِيمِ  
لَبَسْتُ فِيهِ بِالتَّنَازُلِ الْمَوَى وَلَذَّةِ الرِّيحِ ثِيَابَ النَّعِيمِ

### (١) وصف منبج

بين الرشيد  
وعبد الملك بن  
صالح

أخذ قوله : « سَحَرُ كُلِّهِ » من قول عبد الملك بن صالح بن علي ، وقد قال له الرشيد لما دخل منبج : أهذا منزلك <sup>(٢)</sup> ؟ قال : هو لك ، ولي بك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قال : كيف بناؤه ؟ قال : دون منازل أهلي ، وفوق منازل الناس ، قال :

(١) بلد قديم ينسب إليه كثير من الثعراء أشهرهم البحري وأبو فراس  
(٢) رواية ياقوت : « أهذا البلد منزلك ؟ »

وكيف ذلك وقد رُك فوق أقدارهم؟ قال: ذلك خُلِق أمير المؤمنين أناسي به،  
وأقفوا أثره، وأخذوا حذوه، قال: فكيف طيب منيخ؟ قال: عذبة الماء،  
قليلة الأدواء، قال: فكيف ليثلها؟ قال: سحر كله<sup>(١)</sup>؟  
وأخذ هذا الطائي قال:

لأبي تمام

أيا منّا مصقولة أطرافها بك، والليالي كلّها أسحارُ

\*\*\*

ولأهل مصر، قال أبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي:  
يا رب ليل سرور خلته قصرًا كمارض البرق في أفق الدجاجة  
قد كاد يمشي أولاه بآخره وكاد يسبق منه فجبره الشفقا  
كأنما طرّفاه طرفان انفق السجفان منه على الإطباق وانفترقا

للحاتمي

### ألفاظ في هذا المعنى لأهل مصر

ليلة من حسنات الدهر، هواؤها صحيح، ونسيمها عليل. ليلة كيزد  
الشباب، وبرد الشراب. ليلة من ليالي الشباب، فضية الأديم، مسكية  
النسيم. ليلة هي لمة العمر، وغرة الدهر. ليلة مسكية الأديم، كافورية النجوم.  
ليلة رقد الدهر عنها، وطلعت سمودها، وغابت عذالها. ليلة كالمسك منظرها  
وتحيرها. ليلة هي باكورة النثر، ويكر الدهر. ليلة ظلماتها أنوار، وطوال  
أوقاتها قصر.

(١) زاد ياقوت في معجم البلدان «قال: صدقت، إنها طيبة، قال: بل طابت بأمر  
المؤمنين، وأين يذهب بها عن الطيب؟ وهي برة حمراء، وسنبلة صفراء، وشجرة خضراء، في  
فيفيح، بين قيصوم وشيح» قال الرشيد: هذا الكلام واقعا حسن من الدهر النظم



[ سعيد بن هريم ، وصِلته بالفضل بن سهل ]

كان سبب اتصال سعيد بن هريم بِذِي الرِّيَاسَتَيْنِ الْفَضْلِ <sup>(١)</sup> - وسُمي ذا الرِّيَاسَتَيْنِ لأنه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون - أنه دخل عليه يوماً ، فقال : « الْأَجَلَ أَفَّةُ الْأَمَلِ ، والمعروف دُخْرُ الْأَبَدِ ، والبرُّ غَنِيمةُ الْحَازِمِ ، والتفريط مصيبةُ أَخِي الْقُدْرَةِ ، وإِنَّا لَمْ نَعْنُ وجوهنا عن سؤالك ، فَصُنْ وجهك عن رَدِّنا ، وَضَعْنَا من إِحْسَانِكَ بِحِثِّ وَضَعْنَا أَنْفُسَنَا من تَأْمِينِكَ » .  
فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ كَلَامُهُ ، وسماه سعيداً الناطق ، ووصله للمأمون <sup>(٢)</sup> فخص به .  
فلحقته في بعض الأوقات جَفَوَةٌ من الفضل ، فكتب إليه : « يَا حَافِظَ مَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ عِنْدَهُ ، وَيَا ذَا كِرٍّ مَنْ نَسِيَ نَصِيحَةَ مَنْهُ ، لَيْسَ كِتَابِي إِذَا كُتِبَ اسْتِغْنَاءً ، وَمَا إِسْأَلِي إِذَا أَسْكَتُ اسْتِغْنَاءً ؛ فَكُتِبَ مَذْكَرًا لِمُسْتَصْرَأٍ فَطَلَّكَ »  
فوصله وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ

وقد رَوَى بَعْضُ هَذَا الْكَلَامِ لِلنَّسُوبِ إِلَى سَعِيدِ بْنِ هَرِيمَ لِأَبِي حَفْصٍ الْكِرْمَانِي مَعَ ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ .

ويقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التميمي :

للتميمي يمدح  
الفضل بن سهل

لَعَمْرُكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَإِنْ عَظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَائِعُ  
تَرَى عَظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشْعًا إِذَا مَا بَدَأَ ، وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ  
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

لإبراهيم بن  
العباس يمدح  
الفضل

وقال إبراهيم بن العباس :  
لفضل بن سهل يدٌ تقاصر عنها للفضل

(١) هو الفضل بن سهل ، ولد سنة ١٥٤ في سرخس ، وتوفي بهاسنة ٢٠٢ ، اتصل بالمأمون في صباه ، وأسلم على يده سنة ١٩٠ ، وصحبه قبل أن يلي الخلافة ، فصار له أجل له الوزارة وقيادة الجيش معاً . وقد مات خيلاً في الحمام وهو في سرخس . وقيل : إن أَلْمُونِ أَعَانَ عَلَى قَتْلِهِ لِيُخْلَصَ مِنْ سُلْطَانِهِ (٢) كَذَا ، ولعله « ووصله بالمأمون » (م)

فَبَايَعَهَا لِلنَّدَى وَظَاهَرَهَا لِلْقَبْلِ  
وَبَسَطَهَا لِلْفَقَى وَسَطَوَهَا لِلْأَجْلِ

أخذه ابن الرومي قال لإبراهيم بن المدبر :

لا بن الرومي  
ي مدح إبراهيم  
ابن المدبر

أَصْبَحْتُ بَيْنَ صَرَاعَةٍ وَتَحْمُلٍ وَالْمَرَّةُ بَيْنَهُمَا مَوْتُ هَزِيلَا  
فَأَمَدَدُ إِلَى يَدَا تَمْوَدَ بَطْنُهَا بِذَلِّ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلَا  
وقال يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وزاد في هذا المعنى تشبيها ظريفاً :  
مَقْبَلُ ظَهْرِ الْكَفِّ وَهَابُ بَطْنُهَا لَهَا رَاحَةٌ فِيهَا الْخَطِيمُ وَزَمْزَمٌ  
فَقَالِهَا لِنَاسٍ رُكْنٌ مَقْبَلٌ وَبَاطِنُهَا عَيْنٌ مِنَ الْعُرْفِ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>

لا بن الرومي  
ي مدح ابن طاهر

\*\*\*

وكان ذو الرياستين يَقْبَلُ صَوَابَ الْقَاتِلِينَ بِمَا فِي قُوَّتِهِ مِنْ صَفَاءِ الْفَرِيضَةِ ،  
وَجَوْدَةِ النَّحِيْزَةِ<sup>(٢)</sup> فهو كما قال أبو الطيب :

من ترجمة  
الفضل بن سهل

مَلِكٌ مُنْشِدُ الْفَرِيضِ نَذِيهٍ يَضَعُ الثَّوبَ فِي يَدَيْ بَرَّازٍ

وكانت مخايل فضله ، ودلائل عقله ، ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين  
المجوسية ، فقال له : أَسْلِمَ أَحَدُ السَّيْلِ إِلَى اصْطِنَاعِكَ ، قال : فَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ  
لِلْأَمُونِ ، وَلَمْ يَزَلْ فِي جَنَّتَيْهِ<sup>(٣)</sup> ، إِلَى أَنْ رَفَى إِلَى رُتْبَتِهِ .

وذكره يحيى عند الرشيد فأبجمل الثناء ، فأمر بإحضاره ، فلما رآه أُنْجِمَ ؛ فَنَظَرَ  
الرَّشِيدُ إِلَى يَحْيَى كَالْمُسْتَفْهِمِ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ مِنْ أَدْلَى دَلِيلٍ عَلَى  
فَرَاغَةِ الْمُلُوكِ أَنْ تَمْلِكَ هَيْئَةَ مَوْلَاهُ لِسَانَهُ وَقَلْبَهُ ، فقال الرشيد : لئن كنت  
سَكَتٌ لَكِي تَقُولَ هَذَا قَدْ أَحْسَنْتَ ، وَلئن كَانَ هَذَا شَيْئاً اعْتَرَاكَ عِنْدَ الْخَصَرِ  
لَقَدْ أَجَدْتَ ؛ وَزَادَ فِي إِكْرَامِهِ وَتَقْرِيبِهِ ، وَجَعَلَ لَا يَسْتَأْذِنُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا  
أَجَابَهُ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ ، وَأَجُودِ بَيَانٍ .

(١) عيل : كثيرة الماء ، والعيل أيضاً : البحر

(٢) النحيزة : الطبيعة

(٣) جنيته جا : به (ر) .

قال سهل بن هارون : وما حُفِظَ من كلام ذي الرّياستين مما رأينا نَحْنُ بِهَ عَتَارَاتٍ مِنْ  
 فِي الْكِتَابِ ؛ لِيُؤْتَمَّ بِهِ ، وَ يُنْتَفَعَ بِمَقُولِ حِكْمَتِهِ ، قَوْلُهُ : مَنْ تَرَكَ حَقًّا قَدْ غَنِيَ  
 حَقًّا ، وَمَنْ قَصَى حَقًّا قَدْ أُخْزِرَ غَنًّا ، وَمَنْ آتَى فَضْلًا قَدْ أَوْجَبَ شُكْرًا ،  
 وَمَنْ أَحْسَنَ تَوَكُّلًا لَمْ يَدْمِ مِنَ اللَّهِ صُنْعًا ، وَمَنْ تَرَكَ لِلَّهِ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ لِمَا تَرَكَ  
 قَدْرًا ، وَمَنْ اِتَّمَسَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَخَدُّعًا عَادَ ذَلِكَ عَلَى مُلْتَمَسِهِ ذِمًّا ، وَمَنْ طَلَبَ  
 بِخِلَافِ الْحَقِّ لَهُ دَرَكًا عَادَ مَا دُرِكَ مِنْ ذَلِكَ لَهُ مُوَبِّقًا<sup>(١)</sup> ؛ وَ ذَلِكَ أَوْجَبُ الْفَلَاحِ -  
 لِلْمَحْسِنِينَ ، وَجَلَّ سِوَةُ الْعَاقِبَةِ لِلْمُقَصِّرِينَ .

وَوَقَعَ فِي رُقْعَةٍ سَاعٍ : نَحْنُ نَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرًّا مِنْهَا ؛ لِأَنَّ السَّعَايَةَ  
 دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ ، وَ اخْبَرَهُ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ ؛  
 فَاتَّقُوا السَّاعِيَ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سِعَابَتِهِ صَادِقًا لَكَانَ فِي صِدْقِهِ آثَمًا ؛ إِذْ لَمْ يَحْفَظْ  
 الْحُرْمَةَ ، وَلَمْ يَسْتِرْ الْعُورَةَ .

\*\*\*

وَالشَّيْءُ يُقَرَّنُ مَعَ جَنْبِهِ : كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ،  
 وَكَانَ وَالِيَا عَلَى أَرْمِينِيَةِ لِلرَّشِيدِ : إِنَّ قَوْمًا صَارُوا إِلَى سَبِيلِ النُّصْحِ فَذَكُرُوا ضِيَاعًا  
 بِأَرْمِينِيَةِ قَدْ غَفَّتْ وَدَرَسَتْ<sup>(٢)</sup> ، يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى السُّلْطَانِ مَالٌ عَظِيمٌ ، وَإِنِّي وَهَمْتُ  
 عَنْ الْمَطَالِقَةِ حَتَّى أُعْرِفَ رَأْيَكَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : قَرَأْتُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ لِلذَّمُومَةِ ، وَفَهَّمْتُهَا ، وَسَوَّقُ السَّعَايَةَ  
 بِحَمْدِ اللَّهِ فِي آيَامِنَا كَاسِدَةٍ ، وَاللَّيْسَةَ الشَّلَاةِ فِي آيَامِنَا كَلِيلَةٍ خَاسِتَةٍ ؛ فَإِذَا قَرَأْتَ  
 كِتَابِي هَذَا فَاجْعَلِ النَّاسَ عَلَى قَانُونِكَ ، وَخُذْهُمْ بِمَا فِي دِيوَانِكَ ؛ فَإِنَّا لَمْ نَوَلِّكَ  
 النَّاحِيَةَ ، لِتَتَّبِعَ الرُّسُومَ الْعَافِيَةَ ، وَلَا لِإِحْيَاءِ الْأَعْلَامِ الدَّائِرَةِ ، وَجَنْبِي وَجَنْبُكَ  
 يَتَجَرَّرُ بِخَطْبِ الْقِرْزُوقِ :

(١) الدرك - بالتحريك - اللحاق ، والوبق : المهلك (م)

(٢) غفت ودرست : كلاهما بمعنى ذهبت معالها (م)

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ فَوْزِهِ رَحَلْتَ بِخَزْمَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا  
وَأَجْرَ أُمُورِكَ عَلَى مَا يَكْسِبُ الدُّعَاءَ لَنَا لَا عَلَيْنَا ، وَاعْلَمْ أَنَّهَا مَدَّةٌ تَنْتَهِي ،  
وَأَيُّهَا تَنْقَضِي ، فَإِنَّمَا ذِكْرُ جَبِلٍ ، وَإِنَّمَا خِزْيٌ طَوِيلٌ .

رجل يريد أن  
ينصح المهدي

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمُهْدِيِّ: عِنْدِي نَصِيحَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لِمَنْ نَصِيحَتِكَ  
هَذِهِ ؟ لَنَا ، أَمْ لِإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْ لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ <sup>(١)</sup> ، قَالَ :  
لَيْسَ السَّاعِي بِأَعْظَمَ عَوْرَةً وَلَا أَقْبَحَ حَالًا مِنْ قَبْلِ سَيِّئَاتِهِ ، وَلَا تَحُلُومَنْ أَنْ  
تَكُونَ حَارِدَ نِعْمَةٍ ، فَلَا تَشْفِي غَيْظَكَ ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا تَغَابِ لَكَ عَدُوُّكَ ! ثُمَّ  
أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : لَا يَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بِمَا فِيهِ اللَّهُ رِضًا ، وَلِلْمُسْلِمِينَ صَلَاحٌ ؛  
فَإِنَّمَا لَنَا الْأَبْدَانُ وَلَيْسَ لَنَا الْقُلُوبُ ؛ وَمَنْ اسْتَرَعَ عَنَّا لَمْ نَكْشِفْهُ ، وَمَنْ بَادَانَا طَلَبْنَا  
تَوْبَتَهُ ، وَمَنْ أَخْطَأَ أَقْلَنَّا عَظَمَتَهُ ؛ فَإِنِّي أَرَى التَّادِيبَ بِالضَّمْعِ أُلْبَغَ مِنْهُ بِالْعُقُوبَةِ ،  
وَالسَّلَامَةَ مَعَ الْعَفْوِ أَكْثَرُ مِنْهَا مَعَ الْمَعَالِجَةِ ، وَالْقُلُوبُ لَا تَبْقَى لِزَوَالٍ لَا يَنْقُصُ إِذَا  
اسْتَعْتِظَ ، وَلَا يَعْنُو إِذَا قَدَّرَ ، وَلَا يَغْفِرُ إِذَا ظَفَرَ ، وَلَا يَرْحَمُ إِذَا اسْتَحْرَمَ .

وَوَقَعَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ إِلَى تَيْمِ بْنِ خَزِيمَةَ : الْأُمُورُ بِتَامَتِهَا ، وَالْأَعْمَالُ بِجَوَّاهِمَا ،  
وَالصَّنَائِعُ بِاسْتِدَامَتِهَا ، وَإِلَى الْغَايَةِ يَجْرِي الْجَوَادُ ؛ فَهَنَّاكَ كَشَفَتْ الْخُفْرَةُ قِنَاعَ  
الشَّكِّ ؛ فَحَمْدُ السَّابِقِ ، وَذَمُّ السَّاقِطِ

بعض توقعات  
الفضل بن سهل

وذو الرياستين هو القائل :

أَضْيَتْ أَحْرَفُ «لَا» مِمَّا لَفَّظَتْ بِهَا فَحَوْلَى رَحْلَهَا عَنَّا إِلَى نَعْمٍ  
أَوْ صَبْرٍ بِهَا إِلَيْهَا مِنْكَ مَنَعَةً<sup>(٢)</sup> إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ فِيهَا خِفَةَ الْكَلِمِ<sup>(٣)</sup>

(١) لَمْ تَرَفِ الْأَمَلُ ذِكْرًا لِلنَّصِيحَةِ . وَالظَّاهِرُ مِنَ كَلَامِ الْمُهْدِيِّ أَنَّ ذَلِكَ «النَّاصِحُ»  
ذَكَرَ أَصْحَابَ الْمُهْدِيِّ بِسَوْءٍ ؛ فَقَالَ الْمُهْدِيُّ : لَيْسَ السَّاعِي الْخ . فَلْيَلْظَحِ الْقَارِي .  
تِلْكَ الْجُمْلَةُ الَّتِي ضَاعَتْ لِيُظْهِرَ لَهُ رِبْطَ الْكَلَامِ . قُلْتُ : لَيْسَ هَذَا بِلَازِمٍ ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ  
يَكُونَ الْمُهْدِيُّ قَدْ قَطَعَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى بِمَا أَجَابَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ (م)

(٢) الضَّمِيرُ فِي صَبْرِهَا «يُجُودُ إِنِّي «لَا» وَفِي «إِلَيْهَا» يُجُودُ إِلَى «نَعْمَ» وَكَانَ  
قَالَ : صَبْرِي لَا إِلَى نَعْمَ (م)

قَسَمَ عَلَيْنَا فَمَارَئِنَا قِيَاكُمْ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ  
وَلَمَّا قُتِلَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ دَخَلَ لِلْأَمُونِ عَلَى أُمِّهِ قَالَ : لَا تَجْزَعِي فَإِنَّ ابْنَكَ  
بَعْدَ ابْنِكَ . قَالَتْ : أَفَلَا أَبْنِي عَلَى ابْنِ أَسْكَنِ ابْنًا مِثْلَكَ ؟

[بعض أوصاف الخليل]

ووصف ابن القريّة<sup>(١)</sup> فرساً أهداه الحجاجُ إلى عبد الملك بن مروان قال : لابن القريّة  
حَسَنُ الْقَدِّ ، أَسِيلُ الْخَدِّ ، يَسْبِقُ الطَّرْفَ ، وَيَسْتَفْرِقُ الْوَصْفَ .

وأهدى عبد الله بن طاهر إلى الأمون فرساً وكتب إليه : قد بعثتُ إلى  
أمير المؤمنين بفرسٍ يلحق الأرناب في الصَّعداء ، ويمارِزُ الظُّبَاءَ في الاستواء ،  
ويسبق في الحُدُور جَرَى الماء ، فهو كما قال تَابُطُ شراً :

وَيَسْبِقُ وَفَدَّ الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ الْمَتَدَارِكِ

وقال رجل لبعض النخاسين : اشتر لي فرساً جيّد القَيْمِص ، حَسَنَ  
القُصُوص ، وثيق القَصَبِ ، نَقِيَّ المَصَبِ ، يُشِيرُ بِأُذُنِهِ ، وَيَنْدِسُ بِرِجْلَيْهِ<sup>(٢)</sup> ،  
كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لَجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورٍ .

جمع محمد بن الحسين<sup>(٣)</sup> هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ وزاد فقال يعصف فرساً : هُوَحَسَنُ  
القَيْمِص ، جَيِّدُ الْقُصُوص ، وَثِيقُ الْقَصَبِ ، نَقِيَّ الْمَصَبِ ، يُبَصِّرُ بِأُذُنِهِ ،  
وَيَتَّبِعُ بِيَدَيْهِ<sup>(٤)</sup> ؛ وَيُدَاخِلُ بِرِجْلَيْهِ ، كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لَجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورٍ ،  
يَنَاهِبُ الْمَشَى قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَيَلْحَقُ الْأَرْنَابَ فِي الصَّعْدَاء ، وَيمَارِزُ جَوَارِي  
الظُّبَاءِ فِي الْإِسْتِوَاء ، وَيَسْبِقُ فِي الْحُدُورِ جَرَى الْمَاء ، إِنْ عَطِفَ جَارٌ ، وَإِنْ أَرَسِلَ  
طَارَ ، وَإِنْ كَلَّفَ السَّيْرَ أَمْعَنَ وَسَارَ ، وَإِنْ حُبِسَ صَقَنَ<sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ اسْتَوْقَفَ فُطِنَ ،  
وَإِنْ رَعَى ابْنُ<sup>(٦)</sup> ؛ فهو كما قال تَابُطُ شراً ، وذكر البيت .

(١) هو أيوب بن يزيد للتوفي سنة ٨٤ هـ (٢) يندس : يضرب (٣) معناه النورى

في نهاية الأرب (١٠/٦٩) محمد بن الحسن بن الحرون (م) (٤) التبوع : إبعاد خطو القرس  
في جريه (٥) صغن القرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الراجعة (٦) ابن : ترقب

آيات لتأبط  
شرا

وأول هذه الآيات :

وإني لمَهْدٍ من ثَنَانِي قَقَاعِدُ  
أَهْرُ بِهِ فِي تَدْوَةِ الْحَيِّ عَطْفُهُ  
قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِنَفْسٍ يُمِصِيهِ  
يَظَلُّ بِمَوَاةٍ وَيُنْسِي بِفَنِيهَا  
وَيَسْبِقُ وَقَدْ الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي  
إِذَا خَاطَ عَيْنَهُ كَرَى النُّومَ لَمْ يَزَلْ  
إِذَا طَلَعَتْ أُولَى الْعَدُوِّ فَتَفَرُّهُ  
وَيَحْمِلُ عَيْنَهُ رَيْبَةُ قَلْبِهِ  
إِذَا هَزَّاهُ فِي عَظَمِ قَرْنٍ تَهَلَّتْ  
بِرَى الْوَحْشَةِ الْأَنْسُ الْأَنْبَسُ وَيَهْتَدِي  
بِهَ لَابْنِ عَمِّ الْعَدُوِّ قَتَمَسَ بِنَ مَالِكٍ  
كَأَنَّ عَطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوَارِكِ<sup>(١)</sup>  
كَثِيرُ الْمَوَى شَتَّ النَّوَى وَالْمَالِكِ  
جَجِيشًا وَيَعْرِوْرِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ<sup>(٢)</sup>  
بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَمْدِهِ الْمَتَارِكِ  
لَهُ كَالِيٌّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانٍ فَاتِكِ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى سَلَّةٍ مِنْ جَارِمِ الْغَرَبِ بَانِكِ  
إِلَى ضَرْبَةٍ مِنْ حَدِّ الْأَخْلَقِ صَانِكِ<sup>(٤)</sup>  
نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَارِكِ  
بَحَيْثُ أَهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ<sup>(٥)</sup>

عقبه بن سنان وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خيل مصر ،  
يصف خيلاً فعرضت عليه ، وعند عتبة بن سنان بن يزيد الحارثي ، فقال له معاوية : كيف  
أهداها عمرو ترضى هدايانا يا أبا سعيد ؟ فإن أخاك عمرأ قد أطنب في وصفها ، فقال : أراها  
ابن العاص يا أمير المؤمنين على ما وصف ، وإنما لمُخَيَّلَةٌ<sup>(١)</sup> بكل خير ؛ إنها لَسَائِيَةُ الْعُيُونِ ،  
لحافة البطون ، مصفية الآذان ، قَبَاءُ الْأَسْنَانِ<sup>(٢)</sup> ، ضِحَامُ الرُّكَبَاتِ ، مشرفات

(١) التدوة : المجتمع ، والهجان : الإبل الكريمة ، والأوارك : راعية الأراك

(٢) الموماة : الغازة ينعدم فيها الماء ، وججيش : منفرد ، ويعروري : يركب

على الرمي ، يريد أنه يركب ظهور المهالك بلا سرج وهو تميم بدوي

(٣) الكالي : الحافظ ، والشيجان : الحازم ، يريد أن قلبه يقط وإن نامت

عينه ، وفي الأصل « شيجان »

(٤) الريثة : الرقيب ، والصائك : القاطع ، وفي الأصل « صابك »

(٥) أم النجوم الشوابك : هي الشمس (٦) مخيلة : مبشرة (٧) قباء : لها صرير

الحجبات<sup>(١)</sup>، رَحَابُ الْمَنَاحِرِ، صِلَابُ الْخَوَافِرِ، وَقَفْمُهَا تَحْلِيلٌ، وَرَفْعُهَا تَحْلِيلٌ<sup>(٢)</sup>  
فهذه إِنِ طَلَبْتَ سَبَقَتْ، وَإِنِ طَلَبْتَ لَحِقَتْ. قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: أَصْرَفَهَا إِلَى  
رَحْلِكَ؛ فَإِنِ بَنَى عَنْهَا غَنَى، وَبَغْتَانِكَ إِلَيْهَا حَاجَةٌ.

لِلنَّابِغَةِ الْجَسَدِي

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَسَدِي:

وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَعُودُ حَيَلِنَا إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ تَحْيِدَ وَتَنْفِرَا  
وَنُنْكَرُ يَوْمَ الرُّوْجِ أَلْوَانَ حَيَلِنَا مِنَ الطُّغْيَانِ حَتَّى نَحْسَبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا<sup>(٣)</sup>  
فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ تَرُدَّهَا صِحَّاحًا، وَلَا مُسْتَنْكَرًا نَعْمَا

لِبَعْضِ الْعَرَبِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ<sup>(٤)</sup>  
فَدَعَا: تَزَالِ! فَكَنتِ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبِهِ إِذَا لَمْ أَتَزَلِ  
وَوَصَفَ أَعْرَابِي فَرَسًا فَقَالَ: لَمَّا أُرْسِلْتَ الْخَيْلَ جَاءُوا بِشَيْطَانٍ فِي أَشْطَانِ<sup>(٥)</sup>،  
فَارْسَلُوهُ، فَلَمَعَ لَمْعُ الْبَرْقِ، وَاسْتَهْلَا اسْتِهْلَاكَ الْوَدْقِ<sup>(٦)</sup>، فَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ  
الَّذِي يَتَمَعُّ عَيْنَهُ مِنْ بُعْدِهِ عَلَيْهِ.

لِأَعْرَابِي

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَحْلًا فَقَالَ: عِنْدَهُ فَرَسٌ طَوِيلُ الدِّارِ، أَمِينُ الْعِثَارِ؛  
فَكَتَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَلَيْهِ ظَنَنْتَهُ بَازِيًا عَلَى مَرَبَا، عَلَيْهِ رُمُحٌ طَوِيلٌ يَقْصُرُهُ الْآجَالُ.  
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فِي هَذَا التَّطَابُقِ:

لِأَعْرَابِي

أَتَيْنَاهُمْ بِأَرْمَاجٍ طَوَالٍ تُبَشِّرُهُمْ بِأَعْمَالٍ قِصَارٍ

- (١) جَمْعُ حَبِيَّةٍ - بِالْتَحْرِيكِ - وَهِيَ مِنَ الْفَرَسِ مَا أَشْرَفَ عَلَى صَفَاقِ الْبَطْنِ مِنْ  
وَرَكِبِهِ (٢) التَّحْلِيلُ وَالتَّحْلِيلُ: مِنَ حَرَكَاتِ الْخَيْلِ  
(٣) الْجَوْنُ: الْأَسْوَدُ (٤) الْأَوْظَفَةُ: جَمْعٌ وَظِيفٌ، وَهُوَ مُسْتَدَقُّ الْعِرَاقِ  
وَالسَّاقِ مِنَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَغَيْرِهَا، وَالْهَيْكَلُ: الْفَرَسُ الطَّوِيلُ  
(٥) الْأَشْطَانُ: جَمْعُ شَطْنٍ - بِالْتَحْرِيكِ - وَهُوَ الْحَبْلُ (٦) الْوَدْقُ: الْمَطَرُ

أعرابي يصف ووصف أعرابي خيلا لبني يربوع فقال : خرجت علينا خيلٌ من مستطير  
خيل بني يربوع <sup>(١)</sup> ، كأنَّ مَوَادِيهَا أَغْلَامٌ ، وَأَذَانُهَا أَقْلَامٌ ، وفرسانها أسود أجام <sup>(٢)</sup> .  
ولما أنشد العناني الرشيد يصف فرسا :

كَأَنَّ أَذُنَيْهِ إِذَا تَنَوَّفاً قَادِمَةٌ أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفاً

ولحن ، ففهم ذلك أكثر من حضر ؛ فقال الرشيد : اجل مكان « كأن »  
تخال ، فمجبوا لمرعة تهديته .

لأبي تمام وللطائيين في هذا النوع أشعار كثيرة معنى من اختياراتها كثرة اشتهارها ؛  
يصف فرسا وسأشده بعض ذلك ، قال أبو تمام :

ما مَرَّ بِ<sup>(٣)</sup> يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ      مَلَانٍ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَلَهْوٍ <sup>(٤)</sup>  
بِحَوَافِرِ حُفْرِ وَصَلَتْ أَصْلَتِ <sup>(٥)</sup>      وَأَشَاعِيهِ شُعْرِي <sup>(٦)</sup> وَخُنِقَ أَخْلَقِي  
ذُو أَوْلَاقٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ ، وَإِنَّمَا      مِنْ حَقَّةٍ إِفْرَاطُ ذَلِكَ الْأَوَّلِ <sup>(٧)</sup>  
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسَهُ      مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا وَمِنْ إِسْتَبْرِقٍ  
إِثْلِيصَةً إِمْلِيدَةً لَوْ عُلِقَتْ      فِي صَهْوَتِيهِ الْعَيْنُ لَمْ تَتَلَقَ <sup>(٨)</sup>  
مُسَوَّدَ شَطْرِ مِثْلِ مَا سَوَّدَ الدَّجَى      مَبِيضُ شَطْرِ كَأَيِّضَاضِ الْمَهْرِ <sup>(٩)</sup>

(١) التمع : غبار الحرب

(٢) الأجام : جمع أجمة - بفتحات - وهي مسكن الأسود (م)

(٣) المقرب والمقربة - على صيغة المفعول - الفرس التي تدنى وتقرب لئلا يضربها

فحل لئيم (٤) التلهوق : بريق البياض في الفرس (٥) الصلت : الجبين الواضح

(٦) الأنصاع : جمع أنصر ، وهو ما استدار بالحافر من منتهى الجبل

(٧) الأولق : الجنون (٨) الصهوة : موضع البرج من الفرس ، والشاعر

يصف الفرس بأنه إمليصة إمليدة أي ناعم للمس براق .

(٩) المهرق : الصحيفة



وقال أبو عبيدة :

للبحري يصف  
فرسا

وَأَغْرَ في الزَّيْتِ البَهِيمُ مُحَجَّلٌ  
وَإِنِّي الصُّلُوعُ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ  
يَهْوَى كَاهَوَاتِ الْعُقَابِ إِذَا رَأَتْ  
مَتَوَحَّشٍ بِدَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا  
كَالْأَرْنَحُ النَّشْوَانُ أَكْثَرُ شَبِهِ  
وَيُظَنُّ رَيِّقَانِ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ  
هَزَجُ الصَّهِيلِ كَانَ في تَبَرَاتِهِ  
تَتَوَلَّمُ الْجُوزَاهُ في أَرْسَائِهِ  
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُيِّنَتْ لَهُ  
وَكَأَنَّمَا كَيْسَى الْخُلُودَ تَوَاعِمًا  
وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَايَهُ صِبْغَهَا  
قَدْ رَخْتُ مِنْهُ عَلَى أَغْرَ مُحَجَّلٍ (١)  
يَوْمَ الْقَاءِ عَلَى مُعِمٍّ مُخَوَّلٍ  
صِيدَ أَوْ يَنْتَصِبُ انْتِصَابُ الْأَجْدَلِ (٢)  
تُرْيَانٍ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلٍ (٣)  
عَرَضَ عَلَى السَّنَنِ الْبَعِيدِ الْأَطْوَلِ  
مِنْ نَشْوَةٍ أَوْ جَنَّةٍ أَوْ أَفْكَلٍ (٤)  
نَغَاتٍ مَعْبَدٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ  
وَالْبَدْرُ غُرَّةٌ وَجْهُهُ التَّهْلِيلُ  
بَصْفَاءُ نَفْبَتِهِ مَدَاوِكُ صَيْقِلٍ (٥)  
مَعَهَا تَلَا حِطْلَهَا بِلَحْظٍ يَنْجَلِ  
صَهْبَانَهُ لِلْبَرْدَانِ (٦) أَوْ قَطْرُ بِلٍ (٧)

- (١) البهيم : المظلم ، والفرقة والتجليل : يبيض في الجبهة والقوائم ، والأغرا المحجل هو الفرس ، وهو مجازاً الرجل الكريم  
(٢) الاجدال : الصقر (٣) الدقيقتان : صفة للساقين (٤) الأفكل : الرعدة  
(٥) المداوك : جمع مدوك ، وهو المصقلة بكسر الميم فيها ، يقال : داك الصيقل السيف وسنه بالمدوك . وأخذنا في المدوك وهو تسوية الحلية وزينها  
(٦) البردان ، بالتحريك ، اسم لعدة أما كن ، والمراد به هنا اللوضع الذي كان بهذا الاسم قرب بغداد ، وكان مشهوراً بالخر ، وفيه يقول جعظلة :  
ادفع ورود الهم عنك بقهوة مخزونة في حانة الخمار  
جأزت مدى الأعمار ؛ فهي كأنها عند المذاق تزيد في الأعمار  
يسمى بها خنت الجفون منهم في خده ماء التضارة جار  
في رقة البردان بين مزارع محفوفة بينفسج وبهار  
بلد يشبه صيفه بغرضه رطب الأمائل بارد الأسحار  
(٧) قطربل بضم فسكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام ، اسم قرية

مَلَكَ الْعِيُونَ ؛ فَإِنْ بَدَأَ أَعْطَيْنَهُ      نَظَرَ لِلْحَبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْقَبِيلِ  
وقال إسحاق بن خلف يسميه غرابا :  
إسحاق بن  
خلف يصف  
فرس أبي دلف

كَمْ تَجَرَّعَهُ النَّوْنُ وَنِصْلُ      لَوْ يَسْتَطِيعُ شَكَا إِلَيْكَ لَهُ الْقَمُ  
من كل منبت شجرة من جلده  
ما تَذَرِكُ الْأَرْوَاحُ أَذَى جَزِيرِهِ  
رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ أَشْقَرًا  
وَكُنَّا عَقْدَ النُّجُومِ بِطَرْفِهِ  
حتى يَفُوتَ الرِّيحَ وَهُوَ مُقَدَّمُ  
وَاللَّوْنُ أَذْهَمُ حِينَ ضَرَبَهُ الدَّمُ  
وَكَاثُهُ يَعْزَى الْمَجْرَةَ مُلْجَمُ

وقال أبو الطيب :

جَفَّتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِيهَا      وَأَصْتَمَمُ وَالشَّهْبُ فِي صُورِ الدَّهْمِ

وقال أبو الفتح كشاجم :

قَدْ رَاحَ تَحْتَ الصَّبْحِ لَيْلٌ مُظْلَمٌ      إِذْ لَاحَ فِي السَّرَجِ الْحُلُو الْأَذْهَمُ  
دِيبَاجُ أَلْوَانِ الْجِيَادِ ، وَلَمْ يَكُنْ      لِيُخَصَّنَ بِالْدِيبَاجِ إِلَّا الْأَكْرَمُ  
ضَحِكَ الْأَجْبَيْنُ عَلَى سَوَادِ أَدِيمِهِ      وَكَذَا الظَّلَامُ تُنِيرُ فِيهِ الْأَنْجَمُ  
فَكَانَهُ بَيْنَاتِ نَفْسٍ مُلْبَبٌ      وَكَتَمًا هُوَ بِالْثَرِيٍّ مُلْجَمُ

ذو الفتح  
كشاجم

قلت : هذا من قول ابن المعتز :

أَلَا فَاسْتَيْانِي وَالظَّلَامُ مَقْوُضٌ      وَنَجْمُ الدُّجَى تَحْتَ الْمُنَارِبِ يَزْكُضُ

لابن المعتز

= بين بغداد وعكبر ينسب إليها الحر . وكانت لها أخبار كثيرة تنسج لكتاب في عدة  
بجديات كما قال ياقوت ، إذ كانت ملعبا للاهين من شعراء الحر والمجون

(١) الخضم : العاطف

كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا  
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ :

تَفْتَحُ نَوْرٍ أَوْ لِيَامٍ مَفْضُضٌ

مَنْ شَكَ فِي فَضْلِ الْكَمِيتِ فَبَيْنَهُ  
فِي مَنْظَرٍ مُسْتَحْسِنٍ مَحْمُودَةٍ  
مَا تَدْفُقُ طَاعَةً وَسَلَامَةً

فِيهِ وَبَيْنَ يَقِينِهِ الْمِضَارُ  
أَخْبَارُهُ إِذْ تُبْتَلَى الْأَخْبَارُ  
فَإِذَا اسْتُدِرَّ الْحُضْرُ فِيهِ فَتَأَرَّ

وَإِذَا عَقَلَتْ بِهِ عَلَى نَاوِزِدِهِ  
وَصَفِ الْخُلُوقِ أَدِيمُهُ فَكَأَنَّمَا

لَتُدِيرُهُ فَكَأَنَّهُ يَرْكَازُ  
أَهْدَى الْخُلُوقِ لَجْلِدِهِ عَطَارُ<sup>(١)</sup>

قَصَرَتْ قِلَادَةُ نَعْرِهِ وَعِذَارِهِ  
وَكَأَنَّمَا هَادِيهِ جِذْعٌ مُشْرِفٌ

وَالرَّسْخُ ، وَهُوَ مِنَ الْإِتَاقِ قِصَارُ  
وَكَأَنَّمَا لِلضَّبِيعِ فِيهِ وَجَارُ<sup>(٢)</sup>

يَرِدُ الضَّحَاضِحَ غَيْرِنَانِي سُنْبُكِ  
لَوْ لَمْ تَكُنِ لِلْخَيْلِ نِسْبَةُ خَلْقِهِ

وَيَرُودُ طَرْفُكَ خَلْفَهُ فَضَارُ<sup>(٣)</sup>  
حَاكِنُهُ مِنْ أَشْكَالِهَا الْأَطْيَارُ

وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتِزِ :

أَنَايِبُ سُرْمٍ مِنْ قَنَّا الْخَطِّ ذُبُلُ  
فَطَارَتْ بِهَا أَيْدِي سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ

وَخَيْلٍ طَوَاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَانَتْهَا  
صَبِينَا عَلَيْهَا - ظَلَلِينَ - سَيَاطِنَا

قَوْلُهُ : « ظَلَلِينَ » مِنْ أَبْدَعَ حَشَوِي جَرَى فِي بَيْتٍ ، وَكَأَنَّ ابْنَ الْمَعْتِزِ أَشَارَ

إِلَى قَوْلِ أَعْرَابِي مَوْلِدٍ :

إِذَا هَاجَ شَوْقِي مِنْ مَعَاهِدِهَا ذِكْرُ<sup>(٤)</sup>  
لَكَ الضَّرْبُ ، فَاصْبِرْ إِنْ عَادَتْكَ الصَّبْرُ<sup>(٥)</sup>

وَعَوْدِي قَلِيلُ الذَّنْبِ عَاوَدَتْ ضَرْبَهُ  
قَتَلْتُهُ : ذَلَفَاهُ حَوَيْفُكَ أ - سَبَبْتُ

وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتِزِ :

أَرَأَيْتَ فِدَاكَ بِأَعْوَجِيَّ

كَقَدَحِ النَّبْعِ فِي الرَّيْشِ الْوَلَامِ<sup>(٦)</sup>

(١) الخُلُوقُ : نَوْعٌ مِنَ الطَّيْرِ (٢) هَادِيهِ : صَدْرُهُ (٣) الضَّحَاضِحُ : بَقَايَا الْمَاءِ

(٤) الْعَوْدُ : الْبَعِيرُ (٥) ذَلَفَاهُ : اسْمُ امْرَأَةٍ ، يُرِيدُ أَنْ حَبَّ السَّرْعَةَ إِلَى لِقَائِهَا هُوَ  
السَّبَبُ فِي ضَرْبِ رَاحِلَتِهِ (٦) (٥) الْأَعْوَجَى : الْفَرَسُ الْكَرِيمُ ، مَنْسُوبٌ إِلَى أَعْوَجَ .

وَالْوَلَامُ : الْحَكَمُ

لَا بِي الْفَتْحِ  
أَيْضًا

لَا بِنِ الْمَعْتِزِ

لَا عَرَابِي مَوْلِدٍ

لَا بِنِ الْمَعْتِزِ أَيْضًا

بَادِمَ كَالظَّلَامِ أَعْرَى يَجْلُو  
تَرَى أَحْجَالَه يَمْعَدْنَ فِيهِ  
بَغْرَتِهِ دِيَارَ جِيدِ الظَّلَامِ  
صُودَ الْهَرَقِ فِي جَوْ الْعَامِ  
وقال أيضاً :

قَدْ أَغْتَدَى وَالصَّنْحُ كَالسَّيْبِ  
بَارِجٍ مُسَوِّمٍ يَمْشِي  
فِي أَفْقٍ مِثْلِ مَدَاكِ الْعَيْبِ  
ذِي أُذُنٍ كَخَوْصَةِ السَّيْبِ<sup>(١)</sup>  
أَوْ أَسَى أَوْقَتْ عَلَى قَضِيبِ  
يَسْبِقُ شَاؤَ النَّظَرِ الرَّجِيبِ  
أَسْرَعَ مِنْ مَاءٍ إِلَى تَصْوِيبِ  
وَمِنْ رُجُوعِ لَحْظَةِ الْمُرِيبِ<sup>(٢)</sup>  
وقال :

رُبَّ رَكْبٍ عَرَسُوا ثَمَّ هَبُوا  
وَعَدَوْنَا بِأَعْنَةِ خَيْلِ  
نَحْوِ إِسْرَاجٍ وَشَدَّ رَحَالِ  
تَأْكُلُ الْأَرْضَ بِأَيْدِي عِجَالِ  
زَيْفَتُهَا غَرَزَ ضَاحِكَاتُ  
كَبُودٍ فِي وَجْهِهِ لِيَالِ  
وقال علي بن محمد الإيادي :

لعل الأيادي

مَسَحَ الظَّلَامُ بَعْرُفَهُ يَدَهُ  
وَمَشَى قَبْلَ وَجْهِهِ الْبَدْرُ  
وقال الناشي : أبو العباس عبد الله بن محمد :

لأبي العباس  
الناشي

أَخْوَى عَلَيْهِ مَسَاحٌ مِنْ لَيْلَةٍ  
فَكَأَنَّهُ مُتَلَفَعٌ قُبَيْطَةٍ  
شُهِبَ تَسِيلُهُ عَلَى نَوَاشِرِ سَاقِهِ<sup>(٣)</sup>  
أَتَنَاوَهَا مَشْدُودَةٌ بِنَطَاقِهِ  
فَسَوَادُهُ كَاللَّيْلِ فِي إِظْلَامِهِ  
صَافِي الْأَدِيمِ كَرِيمَةٍ أَنْسَابِهِ  
وَبَيَاضُهُ كَالصَّنْبَعِ فِي إِشْرَاقِهِ  
أَخْلَاقُهُ عَيْنٌ عَلَى أَعْرَاقِهِ

(١) القارح : الفرس القوي ، ومسوم : وضعت عليه السومة ، وهي العلامة ،  
واليموب : الفرس السريع الطويل ، والصيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة  
والقوى لم يثبت عليه الخوص من السف  
(٢) تصويب : انحدار (٣) اللطة - بكسر اللام - قشر القصب والقوس والقناة

كتب أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل التتالي إلى الأمير أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن ميكال ، وقد زاره الأمير في داره :

أبي منصور  
التتالي

لا زال مجدك للشامك رسيلا      وعلو جَدِّكَ بالخلود كغيا<sup>(١)</sup>  
يا غرة الزمن البهيم إذا غدا      أهل القلا زمانهم تحجلا  
يلزأرا مدت سحاب طوله      ظلأ على من الجمال ظليلا  
وأنت بصوب جواهر من لفظه      حتى انتظن لفرقي إكليلا  
بأبي وغير أبي هلال نوره      يستعجل التسيح والتليلا  
نقت حوافر طرفه في عرصتي      نقشا مجوت رسومه تقيلا  
ولو استطعت قرشت مسقط خطوه      بعيون عين لا ترى التكيلا  
ونرت روضي بعدما ملكت يدي      وخررت بين يدي هواه قتيلا

وقال أبو القاسم بن هاني يصف خيل المعز :

لأبي هاني  
يصف خيل  
المعز

له المقربات الجرد يُنعلها دما      إذا فرغت هام الكماة السابك  
يريق عليها اللؤلؤ الرطب ماءه      ويسيك فيها ذائب التبرسا بك  
صقيلات أجسام البروق كأنما      أمرت عليها بالشموس المداوك

وقال يصف فرسا لجعفر بن علي بن حمدون :

ولأبي هاني  
أيضا

تهلل مصقول النواحي كأنه      إذا جال ماله الحسن فيه غريق  
من البهم وزد اللون شيب بكمته      كما شيب بالمسك القتيق خلق<sup>(٢)</sup>  
فلو ميز منه كل لون بذاته      جرى سبج منه وذاب عقيق<sup>(٣)</sup>

وقال في قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشيباني :

فتقت لكم ريج الجلاذ بقنبر      وأمدكم فلق الصباح المنفر

(١) رسيل : قرين (٢) البهم : جمع بهيم ، وهو الأسود ، وشيب : خلط  
(٣) السبع : السواد ، والعقيق : أراد الأحمر

وجنيتُم نَمَرَ الوَقَاعِ يَأْمَا  
أَبَى الْعَوَالِ السَّمْعِيَّةِ وَالسَّيَوِ  
مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ لِلطَّاعِ كَأَنَّهُ  
الْقَائِدُ الْخَلِيلُ الْعِتَاقِ شَوَازِبَا  
شَفَّتِ النَّوَاصِي حَصْرَهُ آذَانُهَا  
تَنْبُو سَنَا بَكِينَ عَنْ عَقْرِ الثَّرَى  
فِي فِتْيَةٍ صَدَأَ الْحَدِيدُ عَيْرُهُمْ  
لَا يَأْكُلُ السَّرْحَانُ شِلْوَهُ عَيْرُهُمْ

بِالنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ  
فِ الْمَشْرِقِيَّةِ وَالْمَدِيدِ الْأَكْثَرِ  
تَحْتَ السَّوَابِغِ تُبْعُ فِي حَجِيرِ  
خُزْرًا إِلَى لَحْظِ السَّنَانِ الْأَخْزَرِ<sup>(١)</sup>  
قُبَّ الْأَيَّاطِلِ دَائِمِيَّاتِ الْأَنْسَرِ<sup>(٢)</sup>  
فَيَطَّانَ فِي خَدِّ الْعَرِيزِ الْأَضْمَرِ<sup>(٣)</sup>  
وَيَخْلُوفُهُمْ عَلَقُ النَّجِيعِ الْأَحْمَرِ<sup>(٤)</sup>  
مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْقَنَاءِ الْمَتَكْسَرِ<sup>(٥)</sup>

وَقَالَ فِي قَصِيدَةٍ يَدْحُ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ عَلِيٍّ :

غُرِّ لُطُوفٍ أَعْوَجَى أَنْتَ فِي  
صَهْوَاتِهِ وَالْحَسَنِ وَالنَّطْهِيمِ<sup>(٦)</sup>  
يُبْدِي لِمَرْكَ نَحْوَةً ، فَكَأَنَّهُ  
مَلِكٌ تَذِينُ لَهُ الْمُلُوكُ عَظُمُ  
هَادٍ عَلَى الْخَلِيلِ الْعِتَاقِ ، كَأَنَّهُ  
بَيْنَ الدُّجْنَةِ وَالصَّبَاحِ مَرِيمِ<sup>(٧)</sup>

(١) شَوَازِبُ : جَمْعُ شَاظِبٍ ، وَهُوَ الْفَرَسُ الضَّامِرُ ، وَالْحَزْرُ : جَمْعُ أَخْزَرٍ ، وَهُوَ  
الَّذِي يَنْظُرُ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ

(٢) الْأَيَّاطِلُ : جَمْعُ أَيَّاطِلٍ وَهُوَ الْخَصْرُ ، وَقُبَّ : جَمْعُ أَقْبٍ وَقَبَاءٍ مِنَ الْقَبِّ بِالتَّحْرِيكِ  
وَهُوَ دَقَّةُ الْخَصْرِ وَضُمُورُ الْبَطْنِ ، وَالْأَنْسَرُ : جَمْعُ نَسْرٍ ، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ فِي بَاطِنِ حَافِرِ  
الْفَرَسِ مِنْ أَعْلَاهُ .

(٣) الْأَضْمَرُ : الَّذِي يَصْمُرُ خَدَّهُ وَيَعْمَلُهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى النَّاسِ تَهَانًا وَكِبَرًا

(٤) النَّجِيعُ : دَمُ الْجُوفِ ، وَالطُّقُ : النِّمُّ الْغَلِيظُ ، وَالْخُلُوقُ : الطَّيْبُ

(٥) السَّرْحَانُ : الْقَتَبُ ، وَالشَّلْوُ : الضُّوُّ وَالْجَدُّ

(٦) النَّطْهِيمُ : الْحَسَنُ ، يُقَالُ : جَوَادِمَطُهُمْ ، وَرَجُلٌ مَطْهُمٌ ، وَامْرَأَةٌ فِي خَلْقِهَا تَطْهِيمٌ

(٧) الْعِتَاقُ : الْخَيْلُ الْجَيَادُ ، وَالْدُّجْنَةُ : الظُّلْمَةُ ، وَالصَّرِيمُ : الْمُنْقَطِعُ ، وَأَصْلُهُ

الزَّمْلَةُ النَّصْرَمَةُ مِنَ الرَّمَالِ . وَالرَّادُ أَنْ لَوْنَهُ وَسَطُ بَيْنِ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فَهُوَ كَوَيْتِ

سأى القذال يسمّيه عيافة<sup>(١)</sup> تحت الدجى والطرفة تنعيم<sup>(٢)</sup>  
 أذن مؤلّة ، وقلب أصمّ<sup>(٣)</sup> وحشاً أقب<sup>(٤)</sup> ، وكلّكل ملوم<sup>(٥)</sup>  
 فالعُود من صهواته متزلزل<sup>(٦)</sup> والجيش من أنفاسه مهزوم<sup>(٧)</sup>  
 خرّق العيون فضلّ عنها لونه وصفاً قلّنا ما عليه أديم<sup>(٨)</sup>  
 فكأنما جدّت عليه مونة<sup>(٩)</sup> وأعجاب عنه عارض مزكوم<sup>(١٠)</sup>  
 وكأنما تحيرت عليه بوارق<sup>(١١)</sup> وكأنما كلفت عليه مجوم<sup>(١٢)</sup>  
 وكأنك ابن للذير النعان<sup>(١٣)</sup> فو ق سراته ، وكأنه اليعنوم<sup>(١٤)</sup>

وقال علي بن محمد الإيادي يصف فرس أبي عبد الله جعفر بن أبي القاسم القائم :  
 وأقب من لحق الجياد ، كأنه<sup>(١٥)</sup> قصر تباعد ركنه من ركنه<sup>(١٦)</sup>  
 ليدت قوائمه عصائب فضّة وغدت بسرّ صفا السيل ودّ كنه<sup>(١٧)</sup>  
 وكأنما انجبر الصباح بوجهه حسناً ، أو اختبس الظلام بمثنه<sup>(١٨)</sup>  
 قيد السيون إذا بصرن بشخصه ورضا القلوب إذا اصطلين بصفنه<sup>(١٩)</sup>  
 مسيطر بالراكبين ، كأنه<sup>(٢٠)</sup> بآز تروح به الجنوب لو كنه<sup>(٢١)</sup>

(١) القذال : مقعد العذار من الفرس خلف الناحية ، والعيافة : زجر الطير وهو أن تعتبر بأسمائها ومسافطها وأنوائها فتسمد أو تنشأم ، والعائف : المتكهن بالطير أو غيرها ، والتنجيم : النظر في النجوم بحسب مواقعها وسيرها ، والمراد أن أذن هذا الجواد تدلّاه على مواقع الخير والشر في الظلام

(٢) مؤلّة : من قولهم «أل الفرس» إذا نصب أذنيه وحددهما ، والقلب الأصمّ : هو الذي التقيط ، والأقب : الضامر . وكلّكل : الصدر ، ومن الفرس ما بين عزمه إلى مامس الأرض منه إذا ربض.

(٣) العارض : السحاب للمعرض في الأفق ، والمركوم : التراكم الذي جمع جبهه

فوق بعض . (٤) اليعنوم : علم على فرس النعان بن المنذر (م)

(٥) أقب : ضامر دقيق ، ولحق : ضم (م) (٦) مته : ظهره (م)

(٧) الوكن : العش ومثله الوكنة .

يستوقف المحطات في خطراته  
 خلو الصهيل تحال في لهواته  
 متجبر يُبني بعنق يجاره  
 ذو نخوة شمخت به عن نذره  
 وكأنه فلك إذا حركته  
 قد راح يحيل جعفر بن محمد  
 بكال خلقته ودقة حسنه  
 حاد يصوغ بدائما من لحنه (١)  
 إشراف كاهله ودقة أذنه (٢)  
 وشهامة طمحت به عن قرينه (٣)  
 جار على سهل البلاد وحزنه  
 تحلل النسيم لوابل من مزنه  
 وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبي :

لأبي الطيب  
 المتنبي

ويوم كذون الماشقين كسنته  
 وعيسى إلى أذني أغر كأنه  
 له فضلة عن جسمه في إهابه  
 شقت به الظلمات ، أذني عناته  
 وأصرع أئى الوحش ققيته به  
 وما الخيل إلا كالصديق قليلة  
 إذا لم تشاهد غير حسن شياتها  
 أراقب فيه الشمس أيا ن تقرب (٤)  
 من الليل باق بين عينيه كوكب (٥)  
 تجي على صدر رجيبي وتذهب (٦)  
 فيظني ، وأرنخي مرأرا فيلمب (٧)  
 وأنزل عنه مثله حين أركب (٨)  
 وإن كثرت في بين من لا يجرب  
 وأعضائها فالحسن عنك مُعيب (٩)

(١) الهوات : مجارى الحلق

(٢) عنق النجار : كرم النضر (٣) اللند ، ومثله القرن : التظير

(٤) كذته : أى كذبت فيه واستترت (٥) أغر : من القره وهى اليافى فى جهة القرس

(٦) الإهاب : الجلد ، وهو يصف القرس بمرض الصدر وسعة الجلد لتسهيل عليه

سرعة الدنو

(٧) النان : اللجام

(٨) قتيته : اتبعته ، ومثله : منصوب على الحالية من الضمير فى (عنه) . يريد وصف

الحسان بدوام النشاط فهو عند النزول مثله عند الركوب

(٩) الشيات : الألوان



وينخرط في سلك هذا المعنى مقامة<sup>(١)</sup> من مقامات الإسكندري في مقامة لبديع الكذبة<sup>(٢)</sup> مما أنشأه بديع الزمان وأملأه في شهور سنة خمس وثمانين وثلثمائة . الزمان في وقال البديع :

حدثنا عيسى بن هشام قال : حضرنا مجلس سيف الدولة يوماً وقد عرض عليه فارس \* متى ماترق العين فيه تسهل<sup>(٣)</sup> \* فلحظته الجماعة ؛ فقال سيف الدولة : أيكم أحسن صفته ، جعلته صليته ؛ فكل جهد جهده ، وبذل ما عنده ؛ فقلن أحد خدمه : أصلح الله الأمير ! رأيت بالأمس رجلاً يعلو الفصاحة بزمانيه<sup>(٤)</sup> ، وتقف الأبصار عليه ، يسأل الناس ، ويشفي الياس ، ولو أمر الأمير بحضاره ، لفصلهم بحضاره<sup>(٥)</sup> .

قال سيف الدولة : على به في هيئته ، فصار الخدم في طلبه ، فجاؤوا للوقف به ، ولم يعلموه لأنى حال دعي به ، ثم قرب واستدنى ، وهو في طمرين قد أكل الدهر عليهما وشرب<sup>(٦)</sup> ، وحين حضر الثماط ، لثم البساط ، ووقف . فقال سيف الدولة : بلشتنا عنك عارضة<sup>(٧)</sup> ، فاعرضها في هذا الفرس وصفه . فقال : أصلح الله الأمير ! كيف به قبل ركوبه ووؤوبه ، وكشف عيوبه [ وغيوبه ] ؟ فقال : اركبه ، فركبه وأجراه ، ثم قال : أصلح الله الأمير ! هو طويل الأذنين ،

(١) هذه المقامة شرحها مؤلف زهر الآداب فليعد القارىء إلى شرحه في الصحيفة التي أتى انشأته ، وليكشف منا بما نراه من الشرح القليل ( وانظر مقامات البديع ١٥٠ بيروت ) (٢) الكذبة : قسوة الدهر ، والمراد هنا الاستجداء ، (٣) يريد أن أعلاه وأدناه مستويان في الحسن ، وهذا التعبير مأخوذ من معلة امرئ القيس

(٤) كناية عن اتقائها له (٥) الحضار - بالكسر - أصله جودة السير وسرعة (٦) الطمران : ثوبان باليان (٧) العارضة : سرعة البديهة

قليل الاثنين، واسع التراث<sup>(١)</sup>، ثلث الثلاث، غليظ الأكرع<sup>(٢)</sup>، غامض الأربع، شديد النفس، لطيف الخلس، ضيق القلت<sup>(٣)</sup>، رقيق الشئ، حديد السمع، غليظ السبع، رقيق اللسان<sup>(٤)</sup>، عريض التان، شديد الضلع<sup>(٥)</sup>، قصير التسع، واسع الشجر<sup>(٦)</sup>، بعيد القشر، يأخذ بالساج، ويطلق بالرامح، ويطلع بلائح، ويضعك عن قارج، يمز وجه الكديد<sup>(٧)</sup>، بمداق الحديد، يحضر كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج.

قال سيف الدولة: لك الفرس مباركا فيه. قال: لازلت تأخذ الأنفاس، وتمنح الأفراس، ثم انصرف، وتبعته، وقلت: لك على ما يليق بهذا الفرس من خلعة إن فسرت ما وصفت، فقال: سل عما أحيت

قلت: مامنى قولك: بعيد القشر؟ قال: بعيد النظر، وأخطو، وأعلى الجنبين<sup>(٨)</sup>، وما بين الوقتين والجائعين، وما بين الفرائين، والمنخرين، وما بين الرجلين، وما بين النقة والأصفاق، وبعيد القامة في السابق.

قلت: لا فئس فؤوك! فما معنى قولك: قصير التسع؟ قال: هالك: قصير الشرة، قصير الأطرة، قصير السيب، قصير القضيب، قصير المضدين، قصير الرشتين، قصير النسا، قصير الظهر، قصير الوظيف.

قلت: لله أنت! فأت معنى قولك: عريض التان؟ قال: عريض الجبهة، عريض الصهوة، عريض الكتف، عريض الجنب، عريض الورك، عريض العصب، عريض البلدة، عريض صفحة النقي.

قلت: أحسنت، فما معنى قولك: غليظ السبع؟ قال: غليظ الذراع،

(١) التراث: خوران القرس، وهو المعبر (٢) الأكرع: جمع كراع، وهو مادون الكعب (٣) القلت: النقرة في رأس الورك (٤) في المقامات «دقيق اللسان» (م) (٥) وفيها «مديد الضلع» (م) (٦) وفيها «واسع الشجر» وفي نسخة «واسع النحر» (م) (٧) الكديد: الأرض النليظة، وفي المقامات «وجه الجديد» (م) (٨) بعد أعلى الجنبين كناية عن متانة الحلق

غليظ الخزم، غليظ السكوة، غليظ الشوى، غليظ الرشح، غليظ الفخذين، غليظ الجبال<sup>(١)</sup>.

قلت: لله درك! فما معنى قولك: رقيق الست؟ قال: رقيق الجفن، رقيق السائلة، رقيق البحفلة، رقيق الأديم، رقيق أعلى الأذنين، رقيق الترضين<sup>(٢)</sup>.

قلت: أجذت، فما معنى قولك: لطيف الخس؟ قال: لطيف الزور، لطيف التسنن، لطيف البجبة، لطيف المجاية، لطيف الركبة.

قلت: حيأك الله! فما معنى قولك: غامض الأربع؟ قال: غامض أعلى الكتفين، غامض للرقتين، غامض الحجابتين، غامض الشقلى.

قلت: فامعنى قولك: لئن الثلاث؟ قال: لئن المرذعتين، لئن العرف، لئن المتان.

قلت: فامعنى قولك: قليل الأثنين؟ قال: قليل لحم الوجه، قليل لحم التنتين.

قلت: فن أين نبات هذا العلم؟ قال: من الثغور الأموية، وبلاد الإسكندرية.

قلتله: أنت مع هذا الفضل، تمرض وجهك لهذا الجدل؟! فأنا يقول:

ساخف زمانك جدا فالهر جد سخيف

دع الحيلة نسيا وعش بخير وريف

وقل لبسلك هذا يحمي لنا برغيف

سقط عنا تفسيره في «لئن الثلاث»<sup>(٣)</sup>، وأكثر هذا التفسير يحتاج إلى

(١) الجبال: جمع جبل، والمراد بها هنا العروق، وهكذا وقع هذا «اللفظ» وسيكرره المؤلف في شرح ألقاظ «هذه المقامة» ووقع في أصل المقامات (١٥٥) بيروت «غليظ الحاذ» والحاذ: الظهر، أو موضع اللد من القرس (٢)

(٢) في المقامات «الرضين» بالعين للمهمة (٣)

(٣) قول المؤلف: «سقط عنا تفسيره في لئن الثلاث» يدل على أن المقامة التي أثبتنا لم يكن فيها تفسير «لئن الثلاث» ولكن النص الموجود فيه تفسير ذلك، فمن المرجح إذن أن يكون بعض النساخ أضاف هذا التفسير إلى المقامة قلا عن إحدى نسخ المقامات. وقد فات ذلك الناسخ أن يشير إلى أن المؤلف هل عن نسخة لم يكن فيها تفسير «لئن الثلاث»

تفسير، ولم يُردّ بما أورد إلهام القوام ، والبلاغة لغة دالة ، و بلاغة النثر أخت بلاغة الشعر ؛ وقد قال البحرى :

والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبته

وسأقول فى شرحه بكلام وجيز زيادة فى الإفادة : **الوقبان** : فُقرتان فوق العينين . **والجاعران** من القرس : موضع الرّقتين من الحمار ، وما منتهى ضرّبه بذنبه إذا حرّكه . **والغرايان** : النّاتئان من أعلى الوركين ، وذكر النقبة هنا ، وهو الذى يُعرف بالنّقب ، وهو من الشّرة حيث ينقب البيطار . **والصفاق** : الخاصرة ، وقد قيل : جلد البطن كلّ صفاق ، والذى أرادته الخاصرة . وأراد بيقّد القامة فى السباق امتداده إذا جرى مع الأرض . **والأطرة** هنا : طرف الأنهر ، وهى مِلْفطة غليظة . **والأنهر** : عروق يستعين الظهر ، فيتصل بالقلب ، وقيل : هو الأكل . **والصيب** : عظم الذّنب . **والرُشغ** من القرس : موضع القيد . **والنّسا** : عرق مستطِن الفخذين ، وقصره محمود فى جرى القرس ، ولكنه لا يسمع بالمشى . **والوظيف** لكل ذى أربع : ما فوق الرُشغ إلى الساق . **والصّهوة** : الظهر . **والبّدة** : ما بين عينيه . **والسّكوة** : مغرز الذّنب . **والشّوى** : الأطراف . **والحبال** : حبلا الدائق والظهُر . **والجحفلة** من ذوات الحافر : كالشفة من الإنسان . **والقرضان** من القرس : ما انحدر من قسبة الألف من جانبيها . **والزور** : الصدر . **والنّسرى** الحافر : لغة يابسة أسفله يشبهها الشعراء بالنوى . **والجبة** : التى فيها الخوشب . **والخوشب** : حشو الحافر . **والصّجاية** : عصب فى قوائم القرس والبعير مركّب فيه فصوص من عظام كأمثال الكعاب تكون عند الرّسغ . **والحجّاجان** : العظام للمطيفان بالعين . **والشّقى** : عظم لاصق بالفرع . **والمتنان** : جانبا الظهر ؛ وسقط عنا تفسير الثلاث من نفس المقامة<sup>(١)</sup>.

(١) تلك الثلاث هى « لين الرّدغتين » وللدغّة : ما بين العنق إلى الرّقوة ، ثم « لين العرف » وهو الشعر القزير النابت على عنق القرس ، ثم « لين العنان » وهو سير الاجام ، ولين العنان : كناية عن طاعة الجواد

## [ قولهم في الوعد ومنزلة إنجازه ]

قال الجاحظ : قال أبو القاسم بن معن السعدي لميسى بن موسى : أيها الأمير ؛ ما انتفعتُ بك مُنْذُ عرفتُك ، ولا إلى خيرٍ وصلتُ منك منذَ صَحبتُك ، فقال : ولم ؟ ألم أكلّمُ لك أميرَ المؤمنين في كذا وكذا ؟ قال : بلى إفهل استنجزتَ ما وُعِدْتَ ، وعاودتَ ما ابتدأتَ ؟ قال : حالتُ دون ذلك أمورٌ فاطمة ، وأحوالٌ عاذرة . قال : أيها الأمير ، فما زدني على أن تبتهتَ المهمَّ من رَقَدَتِه ، وأثرتَ الحُزنَ من رُبُغَتِه ، إنَّ الوعدَ إذا لم يصحبه إنجازٌ يحقِّقه كان كلفظٍ لا معنى له ، وجسمٍ لا روحَ فيه .

وكلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل ، فقال : عِدَّ قَبْأَها . بين منصور بن خالد : قلت : أصلحك الله ! وما يدعوك إلى العِدَّة مع وجود القدرة ؟ قال : هذا قولٌ من لا يعرفُ موضعَ الصنائع من القلوب ، إنَّ الحاجةَ إذا لم يتقدّمها مَوْعِدٌ يُنتظر به نُجْحُها لم تتجاذب الأُنس سرورها ؛ إنَّ الوعدَ تطعمُ والإنجازَ طعَامٌ ؛ وليس من فاجأه طعامٌ كمن وجدَ رائحته ، وتمطّق به ، وتطعمه ثم طعمه ؛ فدفع الحاجة تُختمُ بالوعد ؛ ليكونَ بها عند المصطنع حُسْنُ مَوْقع ، ولُطْفُ مَحَلٍّ .

ووعده المهدي عيسى بن دأبٍ جاريةً ، ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن ضُعب الزبيري مِرْعَضاً يقول مضرّس الأسدي :

فلا تياسَنَّ مِنْ صالِحٍ أَنْ تَنالَهُ      وإنْ كَانَ قَدِماً بَيْنَ أَيْدِي تَبَادِرِهِ

فضحك المهدي ، وقال : ادفوا إلى عبد الله فلانة ، لجارية أخرى ؛ فقال عبد الله بن مصعب :

أُنجز خَيْرُ النَّاسِ قَبْلَ وَعْدِهِ      أراحَ مِنْ مَظَلٍّ وطُولٍ كَدَّهُ

قال ابن دأب : ما قلت شيئاً ، هلا قلت :

حَلَاوَةُ الْفَضْلِ بَوَعْدٍ يُنَجِّزُ . لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَتَنَبٍ يُنْهَزُ  
 قَالَ الْمُهْدِي :

الْوَعْدُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ إِذَا تَقَدَّمَ سَمَانُ

وقد قال أبو قابوس النصراني يمدح يحيى بن خالد :

رَأَيْتُ يَحْيَى ، أَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ ، يَأْتِي الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ  
 يَنْتَسِي الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أَوَّلًا إِلَى الرِّجَالِ ، وَلَا يَنْتَسِي الَّذِي يَبْدُو  
 وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللَّيْثِيُّ :

قَوْمٌ بُلُوغُ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ طَمَنُ نُحُورِ الْكَلِمَةِ لَا الْحُلْمُ  
 كَأَنَّما يُؤَلِّدُ النَّدَى مَتَمُّهُ لَا صِغَرُ عَازِرٍ وَلَا هَرَمُ  
 إِذَا تَوَلَّوْا عِدَاوَةً كَتَفُّوا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَبُوا  
 تَقَنُّنٌ مِنْ قَدْرِكَ اعْتِدَادُهُمْ أَنَّهُمْ أَنْتَمُوا وَمَا عَلِمُوا<sup>(١)</sup>

ودخل أبو علي البصير على الفضل بن يحيى ، فأنتشه :

وَصِفَ الصَّدِّ لَنْ أَهْوَى فَصْدُ وَبَدَا يَمْزِجُ بِالْهَجْرِ . جَدُّ  
 مَالَهُ يَمْدُلُ عَنِّي وَجْهَهُ وَهُوَ لَا يَمْدُلُهُ عِنْدِي أَحَدُ  
 لَأُرِيدُوا غَرَّةَ الْفَضْلِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ الْفِرَّةَ فِي خَيْسِ الْأَسَدِ<sup>(٢)</sup>  
 مَلِكٌ نَذْفَعُ مَا نَخْشَى بِهِ وَبِهِ نُصَلِّحُ مَنْ مَافَقَدُ  
 يُنَجِّزُ النَّاسُ إِذَا مَا وَعَدُوا وَإِذَا مَا أُنْجَزَ الْفَضْلُ وَعَدُ

وقال ابن الرومي في هذا المعنى :

لَهُ مَوَاعِدُ بِالْخَيْرَاتِ بَادِرَةٌ لَكِنَّا تَسْبِقُ لِلِمَادِ بِالْصَفَدِ<sup>(٣)</sup>  
 يُعْطِيكَ فِي الْيَوْمِ حَقَّ الْيَوْمِ مَبْتَدَأًا وَلَا يُصْنِعُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَقَّ غَدٍ

لأبي قابوس  
 يمدح يحيى بن  
 خالد

لأبي الطيب  
 الليثي

لأبي علي البصير  
 في الفضل  
 بن يحيى

لابن الرومي

(١) الاعتداد : الاهتمام . وفي طبعة بولاق « اعدادم »

(٢) خيس الأسد : عمرته (٣) الصغد : الطاء

[ من عرف قدر النعمة استدامها ]

خطب سليمان بن عبد الملك قال : أيها الناس ، مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَيْوَابَ مَدَّخَلِهِ بَيْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَبْنَيْهِ الْكَرَامَةِ ، وَجَبَلِ طَرِيقَتِهِ الَّتِي وَقَفَتْ بِهِ عَلَى النِّعْمَةِ كَانَ بِمَرُوضٍ رُجُوعٍ إِلَى دَارِهِ هَوَانٍ ، وَاقْطَابٍ بِفَادِحِ خُسْرَانٍ .

فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو وَائِلَةَ السُّدُوسِيُّ ، وَهُوَ حَاجِبُهُ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُنَّا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ) ، ثُمَّ صِرْنَا كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ :

يَدُ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ تَنَاوَلَتْهُمْ      يَاحَسَنَ فَلَيْسَ لَهَا مُزِيلُ  
لَأَنَّ الْغَيْرَ أَتَجَمَّعَ فِي يَدَيْهِ      وَرَبِّي بِالْجَزَاءِ لَهُ كَفِيلُ

قَالَ سُلَيْمَانُ : هَذِهِ وَاللَّهِ الْمَرْفُوعَةُ بِقَدْرِ النِّعْمَةِ ، وَالْعِلْمُ بِمَا يَجِبُ لِلنِّعْمِ .

وَرَوَى يُونُسُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي دَارِ الْأَمُونِ ، وَسَرَّيْتُهُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِي بِفِي يُونُسَ بْنِ الْعَبَّاسِ ، قَاعِدًا عَلَى الْأَرْضِ ، قَالَ الْحَاجِبُ : ارْتَفِعْ يَا أَبَا الْمَعْلَى إِلَى مَرَاتِبِكَ ، قَالَ : قَدْ رَفَعَنِي اللَّهُ إِلَيْهَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ يَبْقَى بِهَا ، فَلَيْمَ لَا أُكْرِمُهَا عَنْ الْقَعْدِ عَنْهَا <sup>(١)</sup> إِلَى أَنْ يَتَهَيَّأَ لِي الشُّكْرُ عَلَيْهَا ؟ فَيُلْغِ الْكَلَامَ الْأَمُونُ ؟ قَالَ : هَذَا وَاللَّهِ غَايَةُ الشُّكْرِ ، وَبِمِثْلِهِ تَدْرُ النِّعَمَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمَعْلَى بْنِ أَيُّوبَ ، وَقَدْ رَفَعَهُ الْمُتَمَصِّمُ إِلَى مَرَاتِبَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ : مَا يَزِيدُكَ الْقُرْبَ إِلَّا تَبَاعُدًا . قَالَ : يَا هَذَا ؛ إِنِّي أَصُونُ تَقْرِيبَهُ إِلَيَّ بِتَبَاعُدِي مِنْهُ ؛ لِئَلَّا تَفْسِدَ حُرْمَتِي عِنْدَهُ بِقُلَّةِ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَتِهِ .

وَلَمَّا اسْتَعَانَ الْمَنْصُورُ بِالْحَارِثِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ لَهُ : يَا حَارِثُ ؛ إِنِّي قَدْ مَكَّنْتُكَ مِنْ حُسْنِ رَأْيِي فِيكَ ، فَاحْفَظْهُ بِتَرَكِّ إِغْثَالِ مَا يَحِبُّ عَلَيْكَ ! قَالَ : يَا أَمِيرَ حَسَنَ

للمؤمنين ، مَنْ أَغْضَلَ سَبَبَ حُلُولِ النِّعَةِ ، وَلَهَا عَنِ الْحَالِ الَّتِي أَصَارَتْهُ إِلَيْهَا ،  
استصحبَ اليأسَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهَا ، وَاقْطَعَ رَجَاؤُهُ مِنَ الزِّيَادَةِ فِيهَا ، قَالَ  
أَبُو جَنْفَرٍ : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ لِلْمَعْرِفَةِ دَامَتْ النِّعَةُ لَهُ ، وَبَقِيَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ .

بين المؤمنين  
وعبد الله بن  
طاهر  
ولما قال للمؤمن لعبد الله بن طاهر عند قدومه من مصر : ما سرني الله  
مند ولئتُ الخلافةَ بشيءٍ عَظُمَ مَوْقِعُهُ عِنْدِي ، بَعْدَ جَمِيلِ عَاقِبَةِ اللَّهِ ، هُوَ أَكْثَرُ  
مِنْ سُرُورِي بِقُدُومِكَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِذِنْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَفْرِيقِ  
أُمُورِي مِنْ طَآرِفٍ وَتَالِهٍ . قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : شَكَرْتُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ ؛ وَإِلَّا  
قَصَّرَ بِي الْحَيَاءُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ الْمَأْمُونُ لِمَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ  
بَيْتِهِ وَقَوَّادِهِ : مَا شِئْتُ مِنَ الْخِلَافَةِ يَنْبَغِي لِعَبْدِ اللَّهِ بِبَعْضِ شُكْرِهِ .

لأبي نواس  
في المعنى  
وقال أبو نواس :

قَدْ قَلْتُ لِلْعِيَّاسِ مَعْتَزْلاً عَنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفاً  
أَنْتَ أَمْرٌ جَلَلْتَنِي نِعْماً أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي قَدْ ضَعُفَتْ (١)  
فَالْيَكُ مَنِ الْيَسُومُ تَقْدِماً تَنْقَاكَ بِالتَّصْرِيحِ مِنْ كُفَا  
لِلْأَسْدِينَ إِلَى عَارِفَةٍ حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَ

للناشي جارض  
أبا نواس  
عارضه الناشء واعترض مضاه ، قَالَ :

إِنْ أَنْتَ لَمْ تَحْدِثْ إِلَيَّ يَدَا حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَ  
لَمْ أَخْطِ مِنْكَ بَنَائِلَ أَبَدَا وَرَجَعْتُ بِالْخُرْمَانِ مُنْعَرِفَا  
وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

عَاقَبْنَا أَنْ نَعُودَ أَنَّكَ أَوْلَيْتَ أُمُوراً يَضِيقُ عَنْهَا الْجَزَاهُ  
عَمَرْتَنَا مِنْكَ الْأَيَادِي اللَّوَاتِي مَا لِمِمْشَارِهَا لَدُنَا كِفَاهُ

(١) جلتني نعماً : بريد غمرتني بها ، وأوهت : أضفت (م)



فَتَهَانَا عَنْكَ الْحَيَاءُ طَوِيلًا      ثُمَّ قَدْ رَدَدْنَا إِلَيْكَ الْحَيَاءَ  
وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ قَرَبْتَ الثَّنَاءَ      وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ بَرَزْتَ الْجَفَاءَ  
غَيْرَ أَنَا أَنْفَاهُ شُكْرًا رِيحًا      وَقَدِيمًا أُرِيحَتِ الْأَنْفَاهُ<sup>(١)</sup>

### ألفاظ لأهل المعصر

في المعجز عن الشكر لتكاثر الإنعام والبر

عندى من برّه ما ملك الاعتذار بأزقيته ، وقبض ألسنة أمراء الكلام  
وأعنته . عندى له مبار<sup>(٢)</sup> أعجزنى شكرها ، كما أعوزنى حضرها . شكره  
شأؤ بعيد لا تبلغه أشواطى ، ولا أتلاقى التفريط فى حقّه بإفراطى . إحسانه  
يُميد العرب عجباً ، والفصحاء بُكماً . قد زحنى من مكارمه ما يحصر عنه  
المبين ، ويصحبه العى وبس القرين<sup>(٣)</sup> .  
وقال أعرابى :

رهنت يدي بالمعجز عن شكر برّه      وما فوق شكرى للشكور مزيد  
ولو كان شيئاً يستطاعُ استطعته      ولكنّ ما لا يستطاعُ شديد  
وقال يحيى بن أكنم : كنتُ عند المأمون ، فأنى برجل تُرعدُ فرائضه<sup>(٤)</sup> ؛  
فلما مثل بين يديه قال المأمون : غفرتَ نعمتى ، ولم تشكر معروفى ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ وأين يقعُ شكرى فى جنبِ ما أنعم الله بك علىّ ، فنظر إلى  
المأمون وقال متمثلاً :

ولو كان يستغنى عن الشكر ما جدد      لفضة قدر أو علو مكان  
لما أمر الله العبادَ بشكره      فقال : اشكروا لى أيّها الثقلان

(١) الأنفاه : المهازيل - واحدها نضو بكسر الزون وسكون الضاد (م)

(٢) جمع مبرة (٣) نسخة بولاق « وبير القرين » وهو تحريف

(٤) القرائص : أوداج النقي

ثم التفت إلى الرجل قال : هلا قلت كما قال أصرم بن حديد :

ملكنت حديدى حتى أتى رجُلٌ      كَلَّى بكل ثناء فيك مشتغلٌ  
خولت شكرى لما خولت من رثمٍ      فخرٌ شكرى لما خولتني خولٌ<sup>(١)</sup>  
وقال أبو الفتح البقي :

لأبي الفتح  
البقي

لئن عجزت عن شكرٍ برك قوتي      وأقوى الورى عن شكرٍ برك عاجزٌ  
فإن ثنائى واعتقضى وطاقتى      لأفلاكٍ ما أوليتها مراكرزٌ  
وقال أبو القاسم الزعفرانى :

لى لسانٌ كأنه لى مُعَادى      ليس يُنبئ عن كُنه مائى فؤادى  
حكم الله لى عليه فلو أنصف قلبى عرفت قَدْرَ ودادى  
وقال إسماعيل بن القاسم ، أبو التاهية ، يمدحُ عمر بن العلاء :

بين أبي التاهية  
وعمر بن  
العلاء

إنى أمنتُ من الزمان ورَّيبه      لما عيقتُ من الأمير حِبَلَا  
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله      لحدوا له حرَّ الوجوه رَمَلَا  
ما كان هذا الجود حتى كنت يا      عمر ، ولو يوماً تزولُ زلالَا  
إنَّ اللطايا تشكيكٌ لأنَّها      قطعتُ إليك سبَابَا ورَمَلَا  
فإذا وردنَ بنا وردنَ مُخِفَّةً      وإذا صدرنَ بنا صدرنَ رَمَلَا

وهى قصيدة سهلة الطبع ، سلسلة النظام ، قريبة للتناول .

وروى أن عمر بن العلاء وصله عليها بسعين ألف درهم ، فخذته الشراء ، وقالوا : لنا بباب الأمير أعوامٌ نتخذُ الآمالَ ، ماوصلنا إلى بعض هذا ! فاتصل ذلك به ، فأمر بإحضارهم ، فقال : بلغنى الذى قُلتمُ ؛ وإنَّ أحدكم يأتى فيمدحنى بالقصيدة يشببُ فيها فلا يصلُ إلى المدح حتى تذهب لَذَّةُ حلاوته ، ورائقُ طلاوته ؛

(١) خولتى : أعطيتنى وملكتنى (م) - والحول : حاشية من العيد والإماء للواحد والجمع والمذكر والمؤنث

وإنَّ أبا الصّاهية أتى فشبب بأبياتٍ رقيقة ، ثم قال : إنَّ الطّالبا تشكيك لأنّها ...  
وأنشد الأبيات . وكان أبو الصّاهية لما مدحه بهذا الشعر تأخر عنه برهة قليلا ،  
فكتب إليه يستبطئه :

أصابتَ علينا جودك العينُ يا عَمْرُو      فنحن لها تبني التمامَ والنشر<sup>(١)</sup>  
أصابتك عَيْنٌ في سخائك صُلْبَةٌ      وياربَّ عين صُلْبَةٍ تَفْلُقُ الحَجَرُ  
سَتَرْتِكِ بالأشعارِ حتى تعلمها      فلن لم تُفِقْ منها رَقَبَتَكَ بالشَّوَرِ  
وقال :

يَا بَنَ التَّلَاهِ وَيَا بَنَ القَرَمِ مرداس      إني مَدَحْتُكَ في صَحْفي وجُلّاس<sup>(٢)</sup>  
أثنى عليك وليّ حالٌ تُكْذِّبُنِي      فيما أقول فأستحجي من النَّاسِ  
حتى إذا قيل : ماؤْلاكَ من صَفْدٍ      طامَّاتٌ من سُوهِ حالي عندها رايب<sup>(٣)</sup>  
فأمر حاجبه أن يدفع إليه اللال ، وقال : لا تُدْخِلْهُ عَلَيَّ ، فإني أَسْتَحْجِي منه .  
وذكر بعضُ الرواة أنَّ للهدى خرج متعديداً ، فسمع رجلا يتغنّى من القصيدة  
التي مرّت منها الأبيات في عمر بن العلاء آخذاً :

يا مَنْ تفرَّدَ بالجلالِ فما تَرَى      عيني على أحدٍ سِوَاهُ جَمَلا  
أَكْثَرْتُ في قولِي عليك من الرُّقَى      وضربتُ في شِعْري لك الأثْمالا  
فأبَيْتُ إلاَّ جَنُوءَ وقَطِيعَةً      وأبيتُ إلاَّ نَعْوَةَ ودَلالاً  
باللهِ قولِي إنَّ سألْتُك واضدُّ في      أوْجَدْتُ قَتْلِي في الكتابِ حلالاً  
أَمْ لا ، ففيمَ جَفَوْتَنِي وظَلَمْتَنِي      وجلستُ للعالمين نَكالاً  
كم لَأَمُّ لو كنت أَمْتَعُ قولهُ      قد لَأَمُّي ونهَى وعدَّ وقالاً

(١) النشر : جمع نشرة بالضمّة ، وهى الرقعة يداوى بها المريض والمجنون .

(٢) القرم - بالفتح - القمل .

(٣) الصفد - بالتحريك - العطاء .

قال المهدي : عَلَىَّ بِهِ ، فجاءه ، فقال : لِمَنْ هَذَا الشَّر ؟ قال : لإسماعيل .  
ابن القاسم أبي التاهية ، قال : لِمَنْ يَقُولُهُ ؟ قال : لثُبَّة جارية المهدي ، قال :  
كَذَبْتَ ، لَوْ كَانَتْ جَارِيَتِي لَوَسَّيْتُهَا لَهُ ، وَكَانَتْ تُحِبُّ لَرِيْطَةِ بِنْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ  
السَّفَّاحِ ، وَكَانَ أَبُو التَّاهِيَةِ قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِهَا كُلِّ مِئْزَرٍ ، وَكُلَّ ذَلِكَ فَيَا زَعَمَ  
الرَّوَاهُ تَصْنَعُ ، وَتَخْلُقُ ؛ لِيُذَكَّرَ بِذَلِكَ .

[ من أخبار أبي التاهية ]

قال يزيد [بن] حوراء المتقي : كَلَّمَنِي أَبُو التَّاهِيَةِ أَنَّ أَكَلَمَ الْمَهْدِيَّ فِي عَتَبَةٍ ؛

ونوعه بجنبة

قُلْتُ : إِنَّ الْكَلَامَ لَا يُمْكِنُنِي ، وَلَكِنْ قُلْ شِعْرًا أَغْنِيَهُ إِلَيَّ ، قَالَ :

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مُتَلَفَّةٌ      اللَّهُ وَالْقَاسِمُ الْمَهْدِيُّ يَكْفِيهَا  
إِنِّي لِأَيَّاسُ مِنْهَا ثُمَّ يُطِيعُنِي      فِيهَا اسْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

فَسَلْتُ فِيهِ لَحْنًا وَغَنِيَّتُهُ لِلْمَهْدِيِّ ؛ قَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَيْرَ أَبِي التَّاهِيَةِ .

قَالَ : نَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ ، فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أَبَا التَّاهِيَةِ ؛ فَكَتَبَ أَشْهَرًا ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ :

هَلْ حَدَّثْتَ خَبْرًا ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : غَنَّهُ بِهَذَا الشَّر :

لَيْتَ شِعْرِي مَا عِنْدَكُمْ لَيْتَ شِعْرِي      إِنَّمَا أُخَرَّ الْجَوَابُ لِأَمْرِ

مَا جَوَابُ أَوَّلِيْ بِكُلِّ جَمِيلٍ      مِنْ جَوَابٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرِ

قال يزيد : فَتَنَّنِي بِهِ الْمَهْدِيُّ ، قَالَ : عَلَىَّ بِثُبَّة ، فَأَحْضَرْتُ ، قَالَ : إِنَّ

أَبَا التَّاهِيَةِ كَلَّمَنِي فِيكَ ، وَعِنْدِي لَكَ وَلَهُ مَا تَحْبَبَانِ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ عَلِمَ مَوْلَايَ

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَوْجَبَهُ مِنْ حَقِّ مَوْلَايَ ، فَأُرِيدُ أَنْ أَذْكَرَ لَهَا ذَلِكَ ؛ قَالَ :

فَافْضِلِي ؛ فَأَعْلَنْتُ أَبَا التَّاهِيَةِ بِمَا جَرَى ، وَمَضَتْ الْأَيَّامُ ؛ فَسَأَلَنِي مُعَاوِدَةُ الْمَهْدِيِّ ،

قُلْتُ لَهُ : قَدْ عَرَفْتُ الطَّرِيقَ قُلَّ مَا شِئْتُ حَتَّى أَغْنِيَهُ ، قَالَ :

أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَا لَهُ      عَنَّقُ إِلَيْكَ يَنْخُبُ بِي وَرَسِيمُ <sup>(١)</sup>

وَأَمَلْتُ نَحْوَهُمَا صَوْنُكَ نَاطِرِي      أَرْغَى نَحَائِلَ بَرَقِهَا وَأَشِيمُ<sup>(١)</sup>  
 وَلَقَدْ تَنَسَّتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي      وَإِذَا لَهَا مِنْ رَاحَتِكَ نَسِيمُ  
 وَلَرُبَّمَا اسْتَيْأَسْتُ ثُمَّ أَقُولُ : لَا      إِنَّ الَّذِي ضَمِنَ النِّجَاحَ كَرِيمُ

فغنيته بالشعر ، قال : عَلَى بُعْبَةِ ، فَأَنْتَ ؛ قَالَ : مَا صُنِمْتَ ؟ قَالَتْ : ذَكَرْتُ  
 ذَلِكَ لِمَوْلَاتِي فَأَبْتَهُ وَكَرِهَتْهُ ، فَلَيْفَقَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَرِيدُ ، قَالَ : مَا كُنْتُ  
 لِأَفْضَلُ شَيْئًا تَكْرَهُهُ ، فَأَعْلَمْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ بِذَلِكَ ، قَالَ :

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ      وَأَرْخْتُ مِنْ حُلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ  
 مَا كَانَ أَشَامَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَادِي      وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَتَعَلِّجْنَ بِنَائِي  
 وَلَئِنْ طَلِمْتُ لَرُبِّ بَرَقٍ خُلْبِ      مَا لَتْ بِذِي طَمَعٍ وَلُمُتَةِ آلِ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَدْ نُقِلْتُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَلَى غَيْرِ هَذَا التَّوْجِهَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ فِي ذَلِكَ .

المهدي يضرب  
 أبا العتاهية  
 مائة سوط

وضرب المهدي أبا العتاهية مائة سوط لقوله :

أَلَا إِنَّ غَلِيظًا لِلْخَلِيفَةِ صَادِي      وَمَالِي عَلَى غُلْبِي الْخَلِيفَةَ مِنْ عَدَوِي

وقال : أَبِي يَتَمَرُّسُ<sup>(٣)</sup> ، وَلِحُرَى يَتَمَرَّضُ ، وَنِسَائِي يَغْبُثُ ؟ وَنَفَاهُ  
 إِلَى الْكَوْفَةِ .

وفي ضربه يقول أبو دُهْمَانَ :

لَوْلَا الَّذِي أَخَذَتْ الْخَلِيفَةُ لِلْمَشَاقِ مِنْ صَرِيهِمْ إِذَا عَشَقُوا  
 لُبَحْتُ بِاسْمِ الَّذِي أَحِبُّ ، وَلَكِنِّي أَمَرْتُ قَدْ ثَنَانِي الْفَرَقُ<sup>(٤)</sup>

(١) أَشِيمُ : أَنْظَرُ .

(٢) الْبَرَقُ الْخَلْبُ : مَا لَا مَطَرُ فِيهِ ، وَالْأَلْ : السَّرَابُ .

(٣) يُقَالُ : تَمَرَسَ بِالْشَيْءِ وَامْتَرَسَ ، إِذَا احْتَكَّ بِهِ .

(٤) الْفَرَقُ - بِالضَّمِّ - الْحُوفُ - وَثَنَانِي : صَرَفَنِي وَمَالِي عَمَّا أُرِيدُ (م) .

من شعره  
في عتبة  
وكان أبو العتاهية بالكوفة لما نفي يذكر عتبة ، ويكنى باسمها ، فمن  
ذلك قوله :

قل لمن لنتُ أمتي بأبي أنت وأُمي  
بأبي أنت لقد أصبغت من أكثير همي  
ولقد قلت لأهل إذ أذاب الحب لحيي  
وأرادوا لي طيباً فاكثفوا مني بلي :  
من يكن يجهل ما ألقى فإن الحب سُقي  
إن روي لبندا د ، وفي الكوفة جني  
وقوله :

أسي ببنداد ظبي لنتُ أذكركه  
إن الحب إذا شطت منازله  
يا رب لنيل طويل بيت أرقبه  
ما كنت أحيب إلا منذ عرفكم  
والليل أطول من يوم الحساب على  
إلا بكتيت إذا ما ذكره خطرا  
عن الحبيب بكى أو حن أو ذكر  
حتى أضاء عمود الشبح فانفجرا  
أن الضاحج مما تئبت الإبرا  
عين الشجي إذا ما نومه نفرا

بين المهدي  
وأبي العتاهية  
ولما قدمت عتبة ببنداد قدم معها أبو العتاهية ، وتلفظ حتى اتصل بالرشيد في  
خلافة أبيه المهدي ؛ وتمكن منه ، وبلغ المهدي خبره ، فأحضره ؛ فقال : يا عباس ؛  
أنت مستقل ، وسأله عن حاله ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

أنتَ للقابلُ والدَا ير في للناسِ والمديدِ  
بينَ العمومةِ وأنفسِ لَه والأبوةِ والمجدودِ  
فإذا أُنتميتَ إلى أيبك فأنْتَ في المجدِ المَزيدِ  
وإذا أُنتمى خلّ فَا خلّ بِأكرمٍ مِن يزيدِ

يريد يزيد بن منصور ؛ وكانت أم المهدي أم موسى بنت منصور المجيرى  
وأنشده :

عِلْمُ الْقَالَمِ أَنَّ النَّبَا  
فَلَاذًا وَجْهَهَا نَحْوَ طَالِغِ  
وَلَوْ أَنَّ الرِّيحَ بَارَتْكَ يَوْمًا  
سَامِعَاتُ لَكَ فِيمَنْ عَصَاكَ  
رَجَعَتْ تَرْغُفُ مِنْهُ قَنَاكَ (١)  
فِي سَمَاحٍ قَصُرَتْ عَنْ نَدَاكَ  
وَأَنْشَدَ:

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً  
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ  
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ  
إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالَهَا  
وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا  
لُزِزَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا  
وَلَوْ لَمْ تَطْلُمِ بَنَاتُ الْقُلُوبِ  
لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

فقال له المهدي: إن شئت أدبناك بغرب وجميع؛ لإقدامك على ما نهيت عنه،  
وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة على مدحك لنا. وإن شئت عفونا عنك فقط.  
قال: بل يضيف أمير المؤمنين إلى كريم عفوه جميل معروفه؛ ومكرمتان  
أكثر من واحدة، وأمير المؤمنين أولى من شفع نعمته وأتم كرمه. فأمره  
بثلاثين ألف درهم وعفا عنه.

ولما قدم الرشيد الرقة أظهر أبو العتاهية الزهد والتصوف وترك النزل، فأمره الرشيد بحبسه  
الرشيد أن يتفرل، فأبى، فحبسه، فنفى بقوله:

خَلِيلِي مَالِي لَا تَزَالُ مَصْرَقِي  
كَفَاكَ بِحَقِّ اللَّهِ مَا قَدْ ظَلَمْتَنِي  
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَسْمِي وَقُوَّتِي  
تَكُونُ عَلَى الْأَقْدَارِ حَتْمًا مِنَ الْحَتْمِ  
فَهَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الظُّلْمِ  
الْأَمْسِدُ حَتَّى أَنْوَحَ عَلَى جِسْمِي

فأمر بإحضاره وقال : بالأسس يَنْهَكَ أميرُ المؤمنين المهدي عن الفزل  
فتأبى إلّا لجأجا ومَحْكَا ؛ واليوم أمرك بالقول فتأبى جُرْأءَ على وإقداما ، قال .  
يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات ، كنتُ أقول الفزلَ ولى شباب  
وجِدَّة ، وبنى حَرَاك وقُوَّة ، وأنا اليوم شيخٌ ضِعْف لا يحسن بمثلِ تصابٍ  
فردَّه إلى حبه ؛ فكتب إليه :

أنا اليوم لى ، والحدُّ لله ، أشهرُ      يَرْوَحُ عَلَى النَّمِّ منك وَيَبْكُرُ  
تَذَكَّرْ ، آمينَ الله ، حَقِّي وَحُرْمَتِي      وما كنتُ تُولِيْنِي ، لعلَّكَ تَذَكَّرُ  
ليالى تُدْنِي منك بالقُرب مجلسى      ووجهُكَ من ماء البشاشة يقطرُ  
فَمَنْ لى بالعَيْنِ التى كنتَ مرَّةً      إلىَّ بها من سالفِ الدهرِ تَنْظُرُ  
فبعث إليه : لا بأس عليك ؛ قال :

كَأَنَّ الخلقَ رَكِبَ فِيهِ رُوحٌ      له جَعَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسُ  
آمِينَ اللهُ إِنََّّ الحبسَ بِأَسْ      وقد وقعتَ : ليس عليك بأسٌ

فأخرجه .

أخذ البيت الأول من هذين على بن جبلة وزاد فيه ، قال لأبي غانم الطوسي

دجلة تَسْقِي وأبو غانم      يُطْعِمُ مَنْ تَسْقِي مِنَ النَّاسِ  
والخلقُ جِسْمٌ ، وإمامُ المهدي      رَأْسٌ ، وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ

\*\*\*

وكان عمر بن العلاء ممدّحا ، وفيه يقول بشار بن برد :

إِذَا أَقْبَلْتَكَ حُرُوبُ الْعِدَى      فَتَبَّهَ لَهَا عُمرًا عَمَّ نَمَّ  
دَعَانِي إِلَى عُسرِ جودِهِ      وَقَوْلُ المشيرةِ بِعُسرِ خِصَمِّ

بشار يمدح  
عمر بن العلاء



ولولا الذي ذكروا لم أكن لأمدح ريمانة قبل شتم  
فقي لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم<sup>(١)</sup>

لأبي سعد  
المخزومي

أخذ هذا البيت أبو سعيد المخزومي<sup>(٢)</sup>، قال :

وما يُريدون ، لولا الجبن ، من رجل بالليل مشتمل بالجنر سُكتل  
لا يضربُ للماء إلا من قليب دم<sup>(٣)</sup> ولا يبيت له جارٌ على وجل

وقال أبو الطيب :

تموءد إلا تقضم الحب خيله إذا الهام لم ترافع جنوب الصلائق<sup>(٤)</sup>  
ولا ترد الصدران إلا وتلوها من الدم كالريمان تحت الشقائق<sup>(٥)</sup>

لأبي الطيب  
السنبي

وقال أبو القاسم بن هاني :

(١) الدمنة هنا معناها الحقد الثابت .

(٢) كان أستاذنا الرحوم الشيخ سيد الرضوي أملاًنا أنه « أبو سعد » بدليل

قول من هجاء :

إن أبا سعد فقي ماجد يعرف بالكنية لا الواه  
ينشد في حي مصد أبا صل عن القشود والناشد  
فرحة الله على مسلم يرد مفقوداً على فاقد

(٣) القلب : البئر .

(٤) القضم : أكل اليابس ، والهام : الرؤوس ، والصلائق : جمع علاقة وهي ما  
يتعلق به الشيء ، والراد الخالي . قال ابن جني : سألت أبا الطيب عن معنى هذا البيت ،  
قال : الرس إذا علفت عليه الخلة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم يأكل  
نعليه أبدأ إذا أعطيت عليها جلته على هام الرجل الذي قتلهم لكثرة ما هناك منها .  
(٥) الصدران : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يتأدحها السيل ؛ وفي الأصل

« الثربان » ، والشقائق : جمع شقيق . وهو زهر أحمر

لاين هانيه

مَنْ لَمْ يَرِ اللَّيْدَانَ لَمْ يَرِ مَعْرَكَاً أَشْيَاءَ ، وَيَوْمًا بِالْأَسْنَةِ أَكْهَبًا<sup>(١)</sup>  
 وَكَتَابًا تُرْدِي غَوَارِبَهَا يَدِي وَفَوَارِسًا تَقْدُو صَوَالِحَهَا الطَّبَا  
 لَا يَبُورِدُونَ لِلْمَاءِ سُبُكُكَ سَابِغٍ أَوْ يَكْتَسِي بِدَمِ الْفَوَارِسِ طُحْبُهَا<sup>(٢)</sup>  
 [ رجع إلى عمر بن العلاء ]

قال : وبلغ عمر بن العلاء أن أبا الناهية عاتب عليه في هَنَاتٍ نالها منه  
 في مجلس ، وكان كثيرَ الاقطاع إليه ، فتخلف عنه ، فساء ذلك عمر ، فكتب إليه :  
 قد بلغني الذي كان من تجنُّبك فيما استخفك به سوء الأدب عن علم حقيقة مني ،  
 فصرت مُتَرَدِّدًا من الصبي في يَلَابِيعِ الشبهة<sup>(٣)</sup> ؛ ولو كان ملك من علك داج  
 إلى لقائي لكشفت لك مَوْرَدَ الأمر ومصدره ، لترجع إلى الصلة ، فقال أو تأتي  
 إلا الصَّريحة فتُصْرِمُ ؛ وقد قال الأول :

وَمُسْتَعْتَبٌ أَبْدَى عَلَى الْفَنِّ عَتَبَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْحِفْظَاتِ غَلِيلُ  
 كَشَفْتُ لَهُ عِذْرًا فَأَبْصَرَ وَجْهَهُ فَضَادَ إِلَى الْإِنْصَافِ وَهُوَ ذَلِيلُ  
 فَأَجَابَهُ أَبُو النَّاهِيَةِ : لَمْ أَجْزُ بِقَتْلِي الْحَقِيقَةَ إِلَى الشَّبْهَةِ ، وَلَمْ أَجِدْ سَعَةً مَعَ  
 عَظِيمِ قَدْرَتِكَ إِلَى حُلِّ اللَّائِمَةِ ، فَصَصَّرَ بِي الْخَوْفُ مِنْ سَخَطِكَ ، عَلَى تَرَكِ  
 مَعَاتِبَتِكَ ؛ لِأَنَّ الْمَعَاتِبَةَ لَا تَجْتَنِّي إِلَّا مِنَ الْمَسَاوِي ، وَلَوْ رَغِبْتَ عَنِ الصَّلَةِ إِلَى الْقَطِيعَةِ  
 لَتَضَاضَيْتَكَ ذَلِكَ عَنْ طَوْلِ الصُّحْبَةِ ، وَسَالَفِ اللَّذَّةِ ، وَأَنَا أَقُولُ :

رَضِيتُ بِيَعِضِ الذَّلِّ خَوْفَ جَمِيعِ وَلَيْسَ لِمَثَلِي بِالْمُلُوكِ يَدَانِ  
 وَكُنْتُ امْرَأً أَخْشَى الْعُقَابَ وَأَتَّقِي مَعْقِبَةً مَا تَجَنَّبِي يَدِي وَلِسَانِي  
 فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَعْصِمُ تَوْبَتِي فَإِنِّي امْرُؤٌ أَوْفِي بِكُلِّ ضَمَانِ  
 فَرَأَجَا إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَا عَلَيْهِ

(١) أُنْب: غنط ، وأكعب : مظلم

(٢) الطلعب : خضرة تملأ للآل للزمن

(٣) اليلاميع : جمع يلعب ، وهو البرق الخلب والسراب ، ويشبه به الكذاب .

وإنما ألم أبو التاهية في قوله « إن اللطايا تشتكك ... وما يليه » بقول أبي الحُبَّاء نُصَيْبٍ الأَكْبَرِ :

فاجروا فأتونا بالذي أنتَ أهله      ولوسكتوا أثنت عليك الخُطَّابُ  
وقال أبو الطيب في أبي الشاعر الحداني :

للمتنبى

تَنَزَّيْدُ أَنْوَابُنَا مَدَامَحَهُ      بِالسَّنَى مَا لَهْنُ أَنْوَاءِ  
إِذَا مَرَزْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا      أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعِي عَيْنَاهُ

وهذا المعنى من التَّصْبِيَةِ<sup>(١)</sup> الدالة بذاتها التي ذكرتها عن الجاحظ في أقسام البيان .

\*\*\*

وقال بعضُ الخطباء : أشهد أن في السموات والأرض آياتٍ ودلائلٍ ،  
وشواهدَ قَامَاتٍ ؛ كلٌّ يؤدي عنك الحجة ، ويشهد لك بالربوبية .

ونظيرُ هذا قولُ أبي التاهية ، وروى أنه جلس في دكان وراق ، وأخذ  
كتاباً فكتب على ظهره :

لأبي التاهية

فَوَاجِباً كَيْفَ يُعْقَى الْمَلِيكَ أَمْ كَيْفَ يَجْعَدُهُ الْجَاهِدُ  
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدُ  
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وانصرف ، فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الآيات ، فقال : لِمَنْ هذا ؟ لأبي نواس  
فلوددتُها لي بجميعِ شِعْرِي ، فقيل : لإسماعيل بن القاسم ، فوقع تحتها :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينٍ  
فَصَاعَغَهُ مِنْ قَرَارٍ إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ  
يَحْمُولُ شَيْئاً فَشَيْئاً فِي الْحُجْبِ دُونَ الْعِيُونِ<sup>(٢)</sup>  
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتُ مَخْلُوقَةٍ مِنْ سُكُونٍ

(١) الصبة : ما ينصب من العلامات لتدل على معان جرى العرف بدلائلها عليها (م)

(٢) يحول : يتحول من حال إلى حال أخرى (ر)

وقال الفضل بن عيسى الرقاشي : سَلِ الْأَرْضَ مِنْ غَرَسِ أَشْجَارِكَ ، وَشَقِّ أَنْهَارِكَ ، وَجَعَلْ ثَمَارَكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِمْكَ حَيَوَارًا ، أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا .

وهذا شيءٌ بقول عدي بن زيد ، وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سَرَحَةٍ<sup>(١)</sup> ؛ فقال : أتدري ما تقول هذه السَرَحَةُ أيها الملك ؟ قال : وما تقول ؟ قال : تقول : رَبُّ رَبِّكَ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرِبُونَ الْعَلَمَرُ هَالِئًا الزُّلَالِ نَمِ أَصْحَرُوا لِمَبِّ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ . وروى « عَكَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَتَوَّاهُ<sup>(٢)</sup> » . فتكدر حال الثمنان وما كان فيه من لذَّةٍ .

### ألفاظ لأهل مصر في الشكر بدلالة الحال .

لَوْ سَكَتَ الشَّاكِرُ لَنَطَقَتِ الْمَآزِرُ . لَوْ صَمَتَ الْمُخَاطِبُ لَمَلَأَتِ الْحَقَائِبُ ، وَلَشَهِدَتْ شَوَاهِدُ حَالِهِ عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ . إِنْ جَعَدْتُ مَا أَوْلَايَهُ ، وَكَفَرْتُ مَا أَعْطَايَهُ ، نَفَقْتُ آثَارُ أَيَادِيهِ عَلَى<sup>(٣)</sup> ، وَلَمْتُ أَعْلَامُ عَوَارِفِهِ<sup>(٤)</sup> .

ولأبي الفضل الميكالي من رسالة ورد فلان فتعاطى من شُكْرِهِ على نصيه التي ألبس جملها ، وأسجبه أذيالها ، ما لو لم يتحدث به ناشراً ومُثَمِّلاً ، ومُجِيداً ومُجِيداً ، لَأَثَمْتُ بِهِ حَالَهُ ، وَتَشَهِدَتْ بِهِ رِغَالُهُ ، حَتَّى لَقَدْ امْتَلَأَتْ بِذِكْرِهِ الْحَافِلُ ، وَسَارَتْ بِحَبْرِهِ الرُّكْبَانُ وَالْقَوَاقِلُ ، وَصَارَتْ الْأَلْسِنَةُ عَلَى الشُّكْرِ وَالنَّثَاءِ لِسَانًا ، وَالْجَمَاعَةُ عَلَى النَّشْرِ وَالْبَعَاءِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا ، عَلَى أَنَّ وَإِنْ بَالَعَ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَجَاوَزَ حَدَّ الْإِكْثَارِ وَالْإِسْهَابِ ، نَهَيْتُهُ الْقُصُورَ دُونَ وَاجِبِهِ ، وَالْقُصُورُ عَنْ أَدْنَى دَرَجَاتِهِ وَمَرَاتِبِهِ .

لأبي الفضل  
الميكالي .

(١) السرحة : الشجرة العظيمة ، أو هي كل شجرة لاشوك لها (م) ، وقد تنطلق مجازاً على المرأة (٢) كذا ، ولا يستقيم وزنه ، ولو كان « عَكَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ ثُمَّ تَوَّاهُ » لم (٣) العوارف : جمع عارفة ، وهي النعمة (م)

لأن الفتح  
البقي

ومما يقتزن لهم بهذا المعنى من ذِكْرِ الشكر : قال أبو الفتح البستي : الحرُّ نَحَلَ الشكر ، إن أجتناه للمرء من خيره شكرًا أجتناه من يره شهدًا .

غيره : الشكر ترجمانُ النِّعمَةِ ، ولسانُ الطَّوْبَةِ ، وشاهدُ الإخلاصِ ، وعنوان الاختصاص . الشُّكْرُ نَسِمُ النِّعَمِ ، وهو السَّبَبُ إلى الزَّيَادَةِ ، والطَّرِيقُ إلى السَّعَادَةِ . الشُّكْرُ قَيْدُ النِّعْمَةِ ، ومفتاحُ اللِّزِيدِ ، وتَمَنُّ الجَنَّةِ . مَنْ شَكَرَ قَلِيلًا ، استحقَّ جَزِيلًا . شُكْرُ المَوْتَى ، هو الأوَّلَى . الشُّكْرُ قَيْدُ النِّعَمِ وشِكَائُهَا . وعِصَايُهَا ، وهو شبيهُ الْوَحْشِ التي لا تقيم مع الإِبَاحِشِ ، ولا تَرِيمُ <sup>(١)</sup> مع الإِنْبَاسِ . مَوْقِعُ الشُّكْرِ من النِّعْمَةِ مَوْقِعُ القِرَى من الضَّيْفِ ، إن وَجَدَهُ لم يَرِمْ <sup>(٢)</sup> ، وإن فَقَدَهُ لم يُقِم . الشُّكْرُ غَرَسٌ إذا أودع سَمْعَ الكَرِيمِ أَثْمَرَ الزَّيَادَةِ ، وحَفِظَ العَادَةَ . الشُّكْرُ تَعَرُّضٌ للزَّيْدِ السَّائِعِ ، والنِّعَمِ السَّوَابِغِ . شُكْرُهُ شُكْرُ الْأَسِيرِ مَنْ أَطْلَقَهُ ، والمَمْلُوكِ مَنْ أَعْتَقَهُ . أَثْنَى عَلَيْهِ ثناءَ الرُّؤُوسِ المُعِجَلِ ، على الفَيْثِ المُسْبِلِ . أَثْنَى عَلَيْهِ ثناءَ لسانِ الزَّهَرِ ، على راحةِ المَطَرِ . أَثْنَى عَلَيْهِ ثناءَ العُطْشَانِ الْوَارِدِ ، على الزُّلَالِ الْبَارِدِ . شُكْرُهُ شُكْرُ الْأَرْضِ لِلدَّيْمِ <sup>(٣)</sup> ، وَزَهْدُهُ لِهَرِمِ . بَسَطَ لِسَانَ الثَّناءِ والدِّعَاءِ ، وبلغَ عِنانَ الشُّكْرِ عِنانَ السَّما . شُكْرُهُ شُكْرًا تَرْتاحُ لَهُ المَكَارِمُ ، وَتَهْتَزُّ لَهُ المَوَاسِمُ . لِأَشْكَرَتَهُ شُكْرًا تَشِيحُ أَنْواعُهُ ، وَتَنْبَسِطُ أَنْواعُهُ <sup>(٤)</sup> ، وَيَلْذُ ذِكْرُهُ وَسَمَاعُهُ . شُكْرٌ مِلَأَ القَلْبَ واللِّسَانَ ، كَشُكْرِ حَسَّانَ لَأَلِ غَسَّانِ . أَطَالَ عِنانَ الشُّكْرِ ، وَفَسَحَ مَجَانَهُ ، وَرَفَعَ أَعْمِدَتَهُ ، وَمَدَّ أَرْوَاقَتَهُ . شُكْرٌ كَأَنْفَاسِ الْأَحْبَابِ ، أَوْ أَنْفَاسِ الْأَسْحَارِ ، أَوْ أَنْفَاسِ الرِّياضِ غِيبِ القِطَارِ .

[ من أخبار نُصَيْبٍ وشعره ]

رجع ما أقطع :

كان سببُ قولِ نُصَيْبٍ :

(١) لا تريم : لا تطلق ولا تنحب ولا تفارق (م)

(٢) الدَّيْمِ : جمع ديمة - بكسر الدال - وهي السجادة التي يدوم مطرها (م)

(٣) الْأَنْواعُ : جمع باع ، وهو مسافة ما بين أطراف أصابع يديك حين تبسطهما

موازيين لصدرك (م) .

• فَمَاجُوا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ •

أنه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك، فقال سليمان بن عبد الملك : يا فرزدق؛  
مَنْ أَشَرُّ النَّاسِ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ، قال : لماذا؟ قال بقولي :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْهُمْ      لَهَا تَرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالصَّائِبِ  
سَرَوًا وَسَرَتْ نَكْبَاءُ وَهِيَ تَلْفَهُمْ      إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا آتَسُوا نَارًا يَقُولُونَ : لَيْتَهَا ،      وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبِ

يريد أباه - وهو غالب بن صمصمة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان  
ابن مجاشع - فأعرض عنه سليمان كالنصب ؛ لأنه إنما أراد أن يُنشد مدحاً فيه :  
فهم نصيب مراده ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد قلت أبيتاً على هذا الروى  
ليست بدونها ، قال : هايتها ؛ فأنشأ نصيب يقول :

أَقُولُ لِرَكِبٍ قَافِلِينَ لَقَيْتَهُمْ      فَقَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ<sup>(٢)</sup>  
قَدْ أَخْبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ      لِمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبُ<sup>(٣)</sup>  
فَاجُوا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ      وَلَوْ سَكَنُوا أَتْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ  
قَالُوا : تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ      يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِي الرُّفِّ رَاكِبُ  
وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فَمَالَهُ      كَفَفْلِكَ أَوْ لِقَعْلٍ مِنْكَ يَقَارِبُ  
لَقُلْنَا : لَهُ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ تَعَذَّرْتَ      سِوَاكَ عَنِ الْمُسْتَفْعِينَ الْمَطَالِبُ  
هُوَ الْبَذَرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ      وَهَلْ نُشِبِ الْبَذَرَ الْمَنِيرَ الْكَوَاكِبُ

قال سليمان : أحسنت ، والفتت إلى الفرزدق ، قال : كيف نسمع يا أيا فراس؟  
قال : هو أشعر أهل جلدته ، قال : وأهل جلدتك ؛ فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) النكباء : هى الريح التى تهب عن مهاب الرياح ، والأكوار : جمع كور  
بالضم وهو الرجل ، والحقائب : جمع حقبة ، وهى الرفادة فى مؤخر القتب وكل  
ما شد فى مؤخر رجل أو قتب .

(٢) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخر قوقفا :  
منسوب تقديراً على أنه ظرف مكان ، أى لقيتهم فى هذا الرضع (م)

(٣) حظي «تقوا خبروني» وهو أدق (م)

وَحَبِزُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رَجَالًا . وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

[ من اللدیح ]

قال أبو العباس محمد بن يزيد : وهذا بابٌ في المدح حسن متجاوز مُبْتَدَع لم يُسَبَقْ إليه .

قول نصيب : « من أهل ودان » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ذكر محمد ابن كناسة والزيدي أن نصيباً من أهل ودان ، وكان عبداً لرجل من بني كنانة هو وأهل بيته ، وزعم أبو هفان أنه عبدٌ لعبد العزيز بن مروان ، وكان نصيباً شديداً السواد ، وهو القائل :

كَيْتٌ - وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَادًا ، وَتَحْتَهُ  
فَا ضَرَّ أَنْوَابِي سَوَادِي ، وَإِنِّي  
لَكَالِسِّنِّ لَا يَسْلُو عَنْ الْمَسِّ ذَاتِيَهُ  
وَقَالَ سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحِمْصِ :

أَشَارُ عَبْدِي بَنِي الْحِمْصِ قَمَنَ لَهُ  
إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا  
عِنْدَ الْفَخَارِ مَقَامَ الْأَصْلِ وَالْوَرَقِ  
أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنْ أَبْيَضَ الْخَطَقِ

وقال أبو الطيب المتنبي لكافور الإخشيدي :

إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَأَبْيَضُ السَّخْلَقِ خَيْرٌ مِنْ أَبْيَضِ الْقَبَاءِ

وقال نصيب لبعض ملوك بني أمية : إن لي بنات نفقت عليهن من سوادى ،

فقال : ما أحسن ما تُلَقِّطِ لهن ! وأمر له بصله .

وكان أبو تمام حبيب بن أوس لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بين أي تمام وابن الزيات بقصيدته التي أولها :

لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ قَوْلَ وَتَفْعَلَا وَتَذَكَّرَ بَعْضُ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتَفَضَّلَا

وهي من أحسن شعره ، وقَعَ له على ظهرها :

رَأَيْتَكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلًا ، وَإِنَّمَا يُغَالِي إِذَا مَاضَ بِالشَّيْءِ بَاهُتًا

(١) القوهي : ثياب بيض تنسب إلى قوهستان . والبنائق : الجيوب ، مفردها بنيقة

لحيم

المتنبي

فأما إذا هانت بضائع بنيهم فيوشك أن تبقى عليه بصافته  
 هو الما، إن أجمته طلب ورده ويفسد منه أن تباع مكارهه  
 فأجابه بقصيدة طويلة، واحتج عليه واعتذر إليه في مدحه لنيره؛ فقال في  
 بعض ذلك :

أما القوافي قد حصنت غرورها      فإي سلب دم منها ولا سلب  
 منمت إلا من الأكفاء أيتها      وكان منك عليها العطف والحدب  
 ولو عضلت عن الأكفاء أيتها      ولم يكن لك في إظهارها أرب<sup>(١)</sup>  
 كانت بنت نصيب حين صن بها      على الآولى ولم تحفل بها العرب  
 وقد قيل إن أبا تمام أجابه بقوله :  
 أبا جعفر إن كنت أصبحت شاعرا      أسمع في بني له من أبياته  
 قد كنت قبل شاعرا تاجرا به      تساهل من عادت عليك متافه  
 فصرت وزيرا والوزارة مكرخ      ينقص به بعد اللذذة كارهه<sup>(٢)</sup>  
 وكم من وزير قد رأينا مسلطا      فاد وقد سدت عليه مطالعه  
 والله قوس لا تطيش سيهاها      وفي سيف لا تقل مقاطعه

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : ويقال إن هذه الأبيات منحولة لحبيب،  
 وليس مثل أبي جعفر في جلالة قدره واصطناعه لحبيب يماثل بمثل هذا الجواب،

(١) عضل المرأة: منعها عن الزواج ظلما، والأيم: من لازوج لها، بكر أو ثيا.  
 ومن لا امرأة له، وتأييم: مكث زمانا لم يتزوج.

(٢) الكرع: المكان الذي تصرب منه الدواب، وكان كذلك لأن الحيوان  
 لا يكاد يشرب إلا بإدخال أكلعه فيه، والكرع - بالضم - هو ما دون الكعب  
 في الدابة وما دون الركبة من الإنسان، وكرع في الماء: أدخل فيه أكارعه بالخوض  
 فيه ليشرب.



ولا يَنْتَهَى جَهْلُ حبيب أنْ يقابل مأموله ومن يَرْجَى جليلَ الفائدة منه  
بهذه الأبياب .

وقد قيل : بل قالها ، ولم ينشدْها أحداً ؛ وإنما ظهرت بعد موته .

وكان ابنُ الزيات كما قال شاعراً ، ومدح الحسنَ بن سهل في وزارته للمأمون ؛  
وأعطاه عشرة آلاف درهم ، قال :

لَمْ أَتَدْرِكْ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ      لَكِنْ لَتُطْلِسَنِي التَّخْجِيلُ وَالْفُرَارُ  
مَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْتَى رَجُلٍ      لَا أَقْرَبُ الْوَرْدَ حَتَّى أَعْرِفَ الصَّدْرُ

قال الصولي : وكان السببُ الذي أُوْجِدَ <sup>(١)</sup> أبا حمزة على أبي تمام حتى

قال « لقد رأيتك سَهْلَ البيع - الأبيات » قولُ أبي تمام قصيدته المشهورة في  
ابن أبي دُوَادٍ التي أولها :

سَقَى عَهْدَ الْحَيِّ سَهْلُ الْعِيَادِ      وَرَوَى حَاضِرُ مَنْهُ وَبَادِ <sup>(٢)</sup>

تَزَحَّتْ بِهِ رَكِيَّةُ الدَّمْعِ لَمَّا      رَأَيْتَ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْقَتَادِ <sup>(٣)</sup>

يقول فيها في مدحه :

هُمْ عَظِيمُ الْأَتَانِي مِنْ تَزَارٍ      وَأَهْلُ الْمَهْضَبِ مِنْهَا وَالنَّجَادِ <sup>(٤)</sup>

مُعَرَّسُ كُلِّ مُتَضَلِّمٍ وَخَطْبٍ      وَمُنْتَبِئُ كُلِّ مَكْرَمَةٍ وَأَدِ <sup>(٥)</sup>

(١) أُوْجِدَه : أثار موجدته ، وهي النضب

(٢) العيادي : أمطار الربيع ، والواحدة عهدة .

(٣) الركي والركايا : الآبار ، وللقرود ركية . وارتكى على صديقه : عول عليه ،  
لعتاد : العدة ، والعيد : للعد الحاضر .

(٤) الأتاني : جمع أضيّة ، وهي الحجر أو الجبل .

(٥) المعرس : موضع التمرس وهو الترول للآد والأيد : القوة ، وآد  
يد أيدي : تشتد وقوى .

إِذَا حَدَّثَ الْقَبَائِلُ سَاجِدُومَ      فَإِنَّهُمْ بَنُو الْمَجْدِ الثَّلَاثِ<sup>(١)</sup>  
 تُفَرِّجُ عَنْهُمْ الضَّمَرَاتِ بَيْضُ<sup>(٢)</sup>      جِلَادٌ تَحْتَ قَسَطَةِ الْجِلَادِ<sup>(٣)</sup>  
 وَحُشُو حَوَادِثِ الْأَيَّامِ مِنْهُمْ      مَعَاوِلُ مِطْرَدٍ وَبَنُو طِرَادِ<sup>(٤)</sup>  
 لَهُمْ جَهْلُ السَّبَاعِ إِذَا النَّصَايَا      تَمَشَّتْ فِي الْوَعَى وَحُلُومُ عَادِ  
 لَقَدْ أُنْسَتْ سُلُوى كُلِّ دَهْرٍ      مُحَاسِنُ أَحَدَ بنِ أَبِي دُوَادِ  
 مَقَى تَحَلُّلٍ بِهِ تَحَلُّلُ جَنَابَا      رَضِيحًا لِلسَّوَارَى وَالْفَوَادِي<sup>(٥)</sup>  
 وَمَا اشْتَبَهَتْ سَبِيلُ الْمَجْدِ إِلَّا      هَذَاكَ لِقَبِيلَةِ الْمَرْوِفِ هَادِ  
 وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا      وَمِنْ جَذَوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي  
 مَقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي      وَإِنْ قَلَقْتُ رَكَابِي فِي الْبِلَادِ  
 وَهَذِهِ النَّسَكُ<sup>(٦)</sup> الَّتِي أَحَقَّقْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ، وَأَعْتَبْتَهُ عَلَى أَبِي تَمَامٍ ، وَفِي هَذِهِ  
 الْقَصِيدَةِ يَقُولُ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ فِي الَّذِي قُرِفَ<sup>(٧)</sup> بِهِ عِنْدَهُ مِنْ هِجَاءٍ مُضِرٍّ :  
 أَنَا فِي عَاثِرِ الْأَنْبَاءِ تَمَرُّى      عَقَارِيهُ بِدَاهِيَةِ نَادِ<sup>(٨)</sup>  
 نَتَاخَرًا كَانَ الْقَلْبُ مِنْهُ      يُجَرِّئُ بِهِ عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ  
 بِأَنِّي نِلْتُ مِنْ مُضِرٍّ وَخَبْتُ      إِلَيْكَ شَكَايَتِي خَبَبَ الْجَوَادِ

- (١) الثلاث : جمع تليد ، وهو المجد القديم .  
 (٢) الضمرات : جمع غمرة وهي الشدة ، والبيض الجلاذ : هي السيوف القوية ، وقسطلة الجلاذ : شدة الحرب .  
 (٣) الطراد : القتال ، قال الزمخشري في الأساس : « وطارد قرنه ، وتطاردا ، وبينهما طراد ومطاردة ، وهي حمل أحدهما على صاحبه ومقاتلته وإن لم يكن ثم طرد ، كما قيل للمحاربة جلاذ ومجالة وإن لم يكن ثم مسابقة » .  
 (٤) السواري : جمع سارية وهي السحابة تمطر ليلا ، والفوادي : جمع غادية وهي السحابة تمطر نهاراً .  
 (٥) المراد بالنسك الإشارات .  
 (٦) وقع في كافة المطبوعات « في الذي قرب به » تحريف ما أئتمناه ( م )  
 (٧) نَاد : شديدة الأذى .

وما رُبَّعِ القطيعةُ لي برُبِّعٍ      ولا نَادَى الأذى مِنِّي بِنَادٍ  
وَأينَ يَجُوزُ عن قَعْدَةٍ لِسَانِي      وَقَلْبِي رَاغِبٌ بِرِضَاكَ غَادٍ  
ومَا كَانَتْ الحُكْمَاءُ قَالَتْ :      لِسَانُ المَرْءِ من خَدَمِ القُوَادِ  
وقَدْ مَا كُنْتُ مَعْسُولَ القَوَانِي      ومَأْدُومَ المَصَانِي بِالسَّادِ  
[ من أخيار ابن أبي دُوَاد ]

وكان ابن أبي دُوَاد غالباً في التعصّب لإياد وإلحاقها بنزار، على مذهب نَسَاب غلوه في التعصّب  
المَدَنَانِيين . قال : وكلٌّ من بالعراق من إياد دخلوا في النُخَع ، وإليهم يُنْسَبُونَ ؛  
وَمَنْ كَانَ بالشَّام فلم<sup>(١)</sup> على نسبهم في نزار ، وابن أبي دُوَاد يرمي بالدعوة؛ والتكثيرُ  
من أخباره يُخْرِجُ إلى ما أخافه من تطويلِ التصرّف ، في علولِ التكلفِ .  
وكان ابن أبي دُوَاد عالماً بضروبِ العلم والأدب ، متصرفاً في صناعة الجِدَال ،  
على مذهب أهل الاعتزال ، وكانت المداوّة بينه وبين ابنِ الزِّيَات يَتَنَ ، والنَّفَاسَة  
في الرياسة بينهما متمكّنة ، وقال له بعضُ الشُّعراء :

أَكَلَّ أبا دُوَاد مِن إيَادٍ      فكلَّ أبا ذُوَيْبٍ من هُدَيْلٍ  
قال مسلم : ماتاه إلا وضع ، ولا فَاخِرَ إلا سَقِيط ، ولا تَعَصَّبَ إلا دَخِيل .  
وقال مدني لرجل : بمن أنت ؟ قال : من قريش ، والحمد لله ، قال : بأبي أنت !  
التَّحْمِيدُ هَاهُنَا رِيَّة ! واسم أبي دُوَاد دُعَيْمٌ ، قال أبو اليقظان : وهم من قبيلة  
يُقَالُ لها بنو زُهْرَة إخوة بني جَدَّان ، وقد ذَكَرَهُ الطَّائِي في قوله :  
والنَّيْثُ من زُهْرٍ سَحَابَةٌ رَأْفَةٌ      وَالرَّكْنُ من شَيْبَانَ طَوْدٌ حَدِيدٍ  
ذَكَرَ شَيْبَانَ ، لأنَّ خَالِدَ بْنَ بَرِيذٍ الشَّيْبَانِي شَفَعَ له عِنْدَ ابْنِ أَبِي دُوَادَ فِيمَا  
بِنَسَاقِ الحديثِ إِلَيْهِ مِنْ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِ .

قال محمود الوراق : كُنْتُ جَالِساً بِطَرَفِ المُنِيرِ مع أَصْحَابِ لي ، فَرَبَّنَا  
أَبُو تَمَام ، لَجِسَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ له رَجُلٌ مِنَّا : يَا أَبَا تَمَام ، أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْلَمْ تَكُنْ  
مِنَ اليَتِيمِ ! قَالَ : مَا أَحِبُّ أَيُّ بَغِيرِ المَوْضِعِ الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ لِي ، فِيمَنْ تَحِبُّ أَنْ

(١) هكذا ، وأحسبه « فهم على نسبهم - إلخ » (م)

(٢) في جميع الطبوعات « فمن تحب - إلخ » (ن)

أ كَوْنٌ؟ قَالَ : مِنْ مُصَرٍّ ، قَالَ : إِنَّمَا شَرُفَتْ مُصَرٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَبِسُوا بِلُوكُنَا وَأَذْوَانَنَا ، وَفِينَا كَذِبٌ ، وَمِنَّا كَذِبٌ - يَغْفَرُ؛ وَذَكَرَ  
أَشْيَاءَ عَابَ بِهَا مُصَرٌّ ، وَنُجِي الْخَبْرُ إِلَى ابْنِ أَبِي دُوَادَ وَزَيْدٍ فِيهِ ، قَالَ : مَا أَحَبُّ  
أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ ، قَالَ يَتَذَرُّ إِلَيْهِ بِقَصِيدَةٍ أَوْهَا :

سَمِعْتُ غُرْبَةَ النَّوَى بِسُمَادٍ فِي طُلُوعِ الْإِنْتِهَامِ وَالْإِنْجَادِ  
يَقُولُ فِيهَا :

بَعْدَ أَنْ أَصَلْتَ الْوُشَاةَ سُوقًا	قَطَعْتَ فِي وَهْيٍ غَيْرِ حِدَادٍ
فَتَنَى عَنْكَ زُخْرَفَ الْقَوْلِ تَمَعٌ	لَمْ يَكُنْ فَرَضُهُ لِنَصِيرِ السَّدَادِ
ضَرَبَ الْحِلْمُ وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ	دُونَ عَوْرِِ الْكَلَامِ بِالْأَسْدَادِ
مَلَائِكَ الْأَحْسَابِ أَيْ حَيَاةٍ	وَحَيَاةٍ أَرْزَمَةٍ وَحْيَةٍ وَادٍ
عَاتَقَ مُتَّقٍ مِنَ الرِّقِّ إِلَّا	مِنْ مُقَاسَاةٍ مَفْرَمٍ أَوْ نِجَادٍ
لِلْحِمَالَاتِ وَالْحَمَائِلِ فِيهِ	كَلُحُوبٍ لِلْوَارِدِ الْأَعْدَادِ <sup>(١)</sup>

فَمَا رَضِيَ عَنْهُ حَتَّى تَشْفَعَ إِلَيْهِ بِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ ، فَقَالَ  
فِي قَصِيدَةٍ :

أَسْرَى طَرِيدًا لِلْحَيَاءِ مِنَ الْتَى	زَعَمُوا ، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ بِطَرِيدٍ <sup>(٢)</sup>
كَتَبْتُ الرَّيْعَ ، أَمَنَةً وَوَرَاءَهُ	قَمَرُ الْقِبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدٍ
وَعَنَاءُ تَبَيَّنَ مَا بَرَاءَةٍ سَاخَى	لَوْ قَدْ نَفَضْتَ تَهَامِي وَنَجُودِي
لَهُ دَرْكُ أَيْ بَابٍ مُلْمَعَةٍ	لَمْ يُرَمَ فِيهِ إِلَيْكَ مَا لِقَلِيدٍ <sup>(٣)</sup>

(١) الأعداد : جمع عد بالكسر وهو الماء الجاري الذي لا ينقطع ، واللحوب :  
الوضوح . والحق أن عاتق المدوح تظهر فيه آثار الحملات والحمايل ظهور قنات  
الماء الذي لا ينقطع (٢) الذي في الديوان « وليس لرهبة بطريد » ( م )  
(٣) الإقليد . الفتح ، وكذلك للقلاد والقلاد

لما أظلمتني غمامك أصبحتُ  
 تلك الشهود دُعَى وهي شهودى  
 من بعد ما ظنوا بأن سيكون لى  
 يوم برعهم كيوم عبيد  
 يريد عبيد بن الأبرص الأسدى ، وكان النعمان بن النضر تبعه يوم  
 يؤمسه قتله .

وكان ابن أبى دؤاد كريماً فصيحاً جَزْلاً . قال أبو العينا . كنا عند ابن أبى  
 دؤاد ومعنا محمود الوراق وجماعة من أهل الأدب والعلم ؛ فجاء رسول إلتاخ  
 فقال : إن الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضي السلام ، ويقول : القاضي يتعق<sup>(١)</sup>  
 ونحى في الأوقات ؛ وقد تقام الأمر بينه وبين كاتب أمير المؤمنين ، يريد ابن  
 الزيات ، فصار يضربنا عند قصده القاضي ، وما أحب أن يتعق إلى لهذا السبب ؛  
 إذ كنت لا أصل إلى مكافاته . فقال : أجيوبه عن رسالته ، فلم نذر ما نقول ،  
 ونظر بعضنا إلى بعض ، فقال : أما عندكم جواب ! قلنا : القاضي - أعزّه الله ،  
 أعلم بجوابه منا ، فقال للرسول : اقرأ عليه السلام ، وقل له : ما أتيتك متكرراً  
 بل من قلة ، ولا متعزّزاً بك من ذلة ، ولا طالباً منك رتبة ، ولا شاكياً  
 إليك كرتبة ، ولكنك رجلٌ ساعدك زمان ، وحرّكك سلطان ، ولا علم  
 يؤلف ، ولا أصل يُعرف ؛ فإن جئتك فسلطانك ، وإن تركتك فلنفسك !  
 فصيحياً من جوابه .

[ من براعة خالد بن عبد الله القسرى ]

صمد خالد بن عبد الله القسرى المنبر يوم جمعة ، فخطب وهو إذ ذاك أمير  
 على مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته ، وأثنى عليه خيراً ، فلما كان في الجمعة  
 الثانية وردّ عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج وذكر

عيوبه ، وإظهار البراءة منه ، وصعد للنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان مَلَكًا من الملائكة ، وكان يُفَاهِر من طاعة الله ما كانت للملائكة ترى له بذلك فضلا ، وكان الله تعالى قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتَه ابتلاه<sup>(١)</sup> بالسجود لآدم ؛ فظهر لهم ما كان يُخفيه عنهم فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُفَاهِر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلا ، وكان الله عز وجل أطلعَ أمير المؤمنين من غلّه وخبئته على ما خفي عنا ، فلما أراد الله فضيحتَه أجرى ذلك على يدَي أمير المؤمنين ، فآلعنوه ، لعنه الله .  
ثم نزل .

وكان أبو تمام قد مدح الأفشين التركي، واسمه خنذر<sup>(٢)</sup> بن كآوس ، وكان من أجل قواد المعتصم ، وأُتِيَ في أمر بابك الخُرَّميُّ بلاء حمده له ؛ فلما سَخِطَ المعتصمُ عليه لما نُسِبَ إليه من سوء السيرة ، وقُبِحَ السريرة ، وأنه يخطب درجة بابك ، ويريد التحصن بموضع يَحْتَلِجُ فيه يده عن الطاعة ، وأظهر القاضي أحمد بن أبي دُواد عليه أنه على غير الإسلام ، قال أبو تمام معتذرا للمعتصم من تقديمه واجتباؤه ، ولنفسه من مدحه وإطرائه :

ما كان لولا فحشُ غدره خنذر  
هذا الرسول وكان صفوة ربّه  
قد خصّ من أهل النفاق عصابة  
واختار من سعدٍ لعين بن أبي  
حتى استضاء بشعلة الشور التي  
ثم ذكر في هذه القصيدة أن قتل الأفشين لبابك لم يكن بصدق بصيرة ،  
ولا لصحة سريرة ، قال :

ليكونَ في الإسلام عامُ فيجارٍ  
من خيرٍ يادٍ في الأثام وقارٍ  
وهمُ أشدُّ أذى من الكفارِ  
سَرَّحَ لمر الله غير خيارٍ  
رَفَعَتْ له سترامن الأستارِ

(١) ابتلاء : اختبره . (٢) في بعض الأصول «خير» وفي بعضها «حيدر» (م)

والهاشمون المستقلة فلعنهم عن كربة بلاء بأثقل الأوزار  
فشفاهم المختار منه ولم يكن في دينه المختار بالمختار

[للمناقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم]

أما من ذكر من أهل التفاف، فقد كانوا يظهرن غير ما يُسررون، حتى  
أطلع الله نبيه عليه السلام على أخبارهم، ونشر له مطوى أسرارهم.

عبد الله بن  
أبي سرح

وأما ابن أبي سرح فهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحسام بن الحارث بن  
حبيب بن خزيمه بن نصر بن مالك [بن حنبل] بن عامر بن لؤي، أسلم قبل الفتح،  
واستكتبه النبي عليه السلام؛ فكان يكتب موضع «الفور الرحيم» العزيز  
الحكيم، وأشباه ذلك؛ فأطلع الله عليه النبي عليه السلام، فهرب إلى مكة  
مرتدا؛ وأنزل فيه: (ومن قال مثل ما أنزل الله). فأهذر النبي صلى الله عليه  
وسلم يوم الفتح دمه، فهرب من مكة، فاستأمن له عثان رضى الله عنه؛ فأثمه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أخو عثان من الرضاعة، وأسلم فحسن  
إسلامه، وولى مصر سنة أربع وعشرين، فأقام عليها إلى أن حصر عثان، ومات  
بقيارية الشام، ولم يدخل في شيء من الفتن الحجازية في ذلك الوقت.

المختار بن أبي  
عبيد الحارثي

وأما المختار الذي ذكره فهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير  
ابن عوف بن عفة بن عروة بن عوف بن قسي وهو ثقيف؛ وكانت لأبيه في  
الإسلام آثار جميلة، وأخت المختار صفية بنت أبي عبيد زوج ابن عمر، والمختار  
هو كذاب ثقيف الذي جاء فيه الحديث، وكان يزعم أنه يؤتى إليه في قتلة  
الحسين؛ فقتلهم بكل موضع، وقتل عبيد الله بن زياد، وله أشجاع يقتلها،  
والفاظ يتدعها، ويزعم أنها تنزل عليه، وتوحى إليه.

وقيل للأحنف بن قيس: إن المختار يزعم أنه يؤتى إليه! فقال: صدق،  
وتلا: (وإن الشياطين ليوحى بعضهم إلى بعض). وأخباره كثيرة ليس هذا موضعها.

بين أمية بن  
خالد وعبد الله  
بن الأهم

لما هزم أمية بن خالد بن أسيب لم يدر الناس كيف يقولون له، فدخل  
عبد الله بن الأهم عليه، فقال: الحمد لله الذي نظر لنا أيها الأمير عليك،

ولم ينظر لك علينا ، قد تعرضت للشهادة بمجديك ، إلا أن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك ، فأبناك لهم بخذلان من معك . فصدر الناس عن كلامه .

### ويتعلق بهذه المقامة فصل في غرائب التكاثر

كتب حمدون بن نهران إلى عامل عزل عن عمله :  
 بلغني أعزك الله انصرفك عن عملك ، ورجوعك إلى منزلك ؛ فسُررت بذلك ،  
 ولم استغفله وأجزع له ؛ لعلني بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفقك عمل  
 تتولاه ، أو يضمك عزل عنه ؛ والله لو لم تحتر الانصراف وترد الاعتزال لكان في  
 إطفاء تدبيرك ، وثقوب رؤيتك ، وحسن تأتيتك ، ما تزيل به السبب الداعي  
 إلى عزك ، والباعث على صرفك ؛ ونحن إلى أن نهنتك بهذه الحال أولى بنامن  
 أن نعزبك ؛ إذ أردت الانصراف فأوثيته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك  
 الله لك في منقلبك ، وهناك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها .

من حمدون  
 بن نهران لعامل  
 عزل عن عمله

وكتب ابن مكرم إلى نصراني أسلم :  
 أما بعد فالحمد لله الذي وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، وظهر من الارتياح  
 قلبك ، وما زالت تحاييلك ممثلة لنا حقيقة ما وهب الله فيك ، حتى كأنك لم  
 ترن بالإسلام مؤسوماً ، وإن كنت على غيره مقبياً ، وكنا مؤتملين لمناصرت  
 إليه ، مشفقين مما كنت عليه ، حتى إذا كاد إشفافنا أن يستعلي رجاءنا أنت  
 السعادة بما لم تزل الأنفس تمد منك ؛ فأسأل الله الذي أضاه لك سبيل رشدك  
 أن يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ،  
 ويقيك عذاب النار .

من ابن مكرم  
 نصراني أسلم

قال بعض الكتاب : من الحق ما يستحسن تركه ، ويستحسن عمله ،  
 وقد يقع من ذلك فيما يحمله الشرع ، ويكرهه الأدباء ؛ وكثير من يظلم على  
 طبعه هذا المعنى يراه سموً نفس ، وعلوً همة . حتى رأينا من لا يحضر تزويج

بعض ما  
 يستحسن تركه  
 وإن كان حالاً



كريمته ، ويوتئ أمرها غير نفسه ، ورأينا من يُحاوِز ذلك إلى ألا يُنكح مستنكها ، وزاد به العلو إلى ترك ما ذكره أولى ؛ وكنا عرفنا حال إنسان تزوجت أمه ؛ فعظم لذلك هم ، وانفرد عن أودائه ، وتوارى عن أصفائه ؛ حيله من إقائهم ، وكرها لتهنئتهم له أو عزائهم ، واضطرتّه الوخشة إلى قصد من ظن به منهم المسكّة في تحامى خطابه فيما اجتنب لأجله خلّاته ، وفارق بسببه إخوانه ، وتخيّل ذلك التصوّد أنه إنما لجأ إليه ليسليه ؛ فأفاض معه فيما قدر أنه قصد له من المعنى الذى جعله وحيداً خوف المفاوضة .

ثم مضت الأيام واختلف الحال ، ورجع إلى الشرة وأبناء المودة ؛ فكان عنده من لم يحاطبه أخطئ ، وفى نفسه أوفى ، وعلى قلبه أخف ، وفى نفسه أشف ، ونعم على ذلك الصديق وعُتِب ؛ إذ لكلّ من الناس - إلا من طاب محتدّه وطال سؤدده - حال من الإنفس والرغبة تهنئ المساوى ، ثم حال من اللئلى والرّهادة تنجّ الحاسن ؛ واعتذر المكلف من التسلي بما لم يلزمه ، ولم يرّده صفيّه ، فإنه فعل ما أوجبه الأخوة ، وحقوق الخلطة ، وأسباب المشرة ، وانيساط المفاوضة ؛ ودبت عقارب الظنون والشايب ، إلى أن خرجا بالسلامة إلى المعادة ؛ فلما وقع بمضّ الناس بينهما من معاودة الحسى ، ومراجعة الأولى ؛ جاهر هذا الملاقى بقرع سينّ الأسف على تحمّل النهى والوقار من المقوت ، وظاهر المقوت بتفريع الملاقى ، بتزويج أمه الذى تجشّم من كلامه فيه فضلاً ، وتكلف من خطابه عليه ما من حسرة خلّا ؛ فأفضى الأمر بينهما إلى الأوتار ، وطلب الثار .

فإن اضطّر إلى القول فى هذا المعنى أحد بأمر فاهٍ من السلطان ، أو حوادث الأزمات ، أو تطارح الإخوان ، فليقل وليكتب ما مثّلنا إن لم يجد منه بداً : أنت - بفضل الله عليك وإحسان تبصيره إليك من أهل الدين ، وخلص اليقين ، فكلا لتتبع الشهوة فى محظور تبيحه ، فكذا لا تتبع الأتفة فى مباح تحظره ؛ وقد امتل بنا اختاره الله والقضاء لذات الحق عليك ، للنسوبة - بعد نسبك إليها - إليك ،

ما يقال لمن  
تزوجت أمه

مما كرهه إياك الدنيوى لك ولها ، [ ورَضِيَهُ الحلالُ الدينى له ولها ] ، فذبح  
نزيك عن قائم محبوبك ، ونهنتك في الخيرة في اختيار القدر لك ، ونسأل  
الله أن يجعلها أبداً بمك فيما رضى وكبرهت ، وأبنت وأتيت .

فهذا ونحوه أضوب وأسلم ، إن اضطرت إليه ، وتركه أحسن وأحزم ،  
إن ملكك رأيك فيه ؛ والتلطف للكتابة عما يُستَهجن ولا يستحسن التواجه به  
من أحسن الأشياء وأسدها .

من أذى الفضل بن العميد لمن تزوجت أمه وكتب أبو الفضل بن العميد في باب: الحمد لله الذى كشف عنا ستر الخيرة .  
وهذا ناسر المودة ، وجدع بما شرع من الحلال أنف الفيرة ، ومنع من عَضائِ  
الأمهات ، كما منع من وأد البنات ، استزألاً للنفوس الأبية ، عن حجية الجاهلية .  
ثم عرض للجزيل من الأجر من استسلم لمواقع قضائه ؛ وعوض جزيل الثواب  
لمن صبر على نازل بلائه ؛ وهناك الله ، الذى شرح للتقوى صدرك ، ووسع في  
التبلى صبرك ، ما أهلك من التسليم بمشيئته ، والرضا بقضيته ، ووفقك له من  
قضاء الواجب في أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ؛ وجعل الله تعالى  
حذه <sup>(١)</sup> ما تجرعه من أنف <sup>(٢)</sup> ، وكفلمته من أسف ، معدوداً بعظم الله عليه  
أجرك ، ويُنزَلُ به دُخْرُك ؛ وقرن بالخاضر من امتعاضك لِقْعَلها للنتظر من  
ارتعاضك لدَقْنِها <sup>(٣)</sup> ، وعوضك من أسيرة فرشها أعوداً نقشها ؛ وجعل  
ما يُنِيمُ به عليك من بعدها من نعمة مُرغى من رُفْعة ، وما يُوليك بعد قُبْحها  
من منحة مبرأ من مِحْنَةٍ .

(١) الحد : البأس ، ومثله الجد .

(٢) الأنف والأنفة : الحمية .

(٣) الارتعاض : الحزن .

## ألفاظ لأهل العصر في التهانى بالنبات

هنا الله سيذى وزد الكريمة عليه ، وثمر بها أعداد النسل الطيب لديه ؛  
وجعلها مؤذنة ياخوة بررة ، يثمرون أندية الفضل ، ويغثرون <sup>(١)</sup> بقة الدهر .  
اتصل بي خير المولودة ، كرم الله غرتها وأنبتها نباتا حسنا ، وما كان من  
تفكيرك بعد انصراح الخبر ، وإنكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر ، وقد  
علت أنهن أقرب من القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بهن في الترتيب ، فقال جل  
من قائل : ( يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ) . وما سماء  
هبة فهو بالشكر أولى ، وبغسن التقبل أخرى . أهلا وسهلاً ببغيلة النساء ،  
وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، وأولاد الأطهار ، وللبررة ياخوة يتناقشون ،  
ونجباء يتلاحقون .

فَوَ كَانَ النَّسَاءُ كَيْثًا هَذِي لَفَضَلَتِ النَّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ  
فَمَا التَّائِيثُ لَأَسْمِ الشَّمْسِ غَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ  
والله يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة في موقها ، فادرج اغتباطا ،  
واستأنف نشاطا . الدنيا مؤنثة ، والرجال يخدمونها . والنار مؤنثة ، والذكور  
يُعْبَدُونَهَا . والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية . والسماء  
مؤنثة ، وقد خلقت بالسكواكب ، وزُيِّنَتْ بالنجوم الثواقب . والنفس مؤنثة ،  
وهي قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تنصرف الأجسام  
ولا عُرِفَ الأنام . والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم للرسول ؛ هناك  
الله ما أوليت ، وأوزعك شكر ما أعطيت ، وأطال الله بقاءك ما عُرِفَ  
النسل والولد ، وما بقي التصرُّ والأبد ؛ إنه فعال لما يشاء .

(١) يثرون : يثرون (م) .

[ بعضي مالا يُمدح النساء به ]

والتصرف في النساء ضيق النطاق ، شديد الخناق ، وأكثر ما يُمدح به الرجال ذمهن ، ووصفهم عليهن ، قال ابن الرومي :

ما لِلْحَيَاكِ مَسِيَلَاتٍ بِنَا ، وَلَنَا إِلَى السَّيِّئَاتِ طَوْلَ الدَّهْرِ تَعْنَانُ  
فَإِنْ يَبْهَتُنْ بِمَهْدٍ قُلْنَ : مَعْدَرَةٌ إِنَّا نَسِينَا ، وَفِي النَّسْوَانِ نَسْيَانُ  
لَا نُلْزِمُ الذِّكْرَ ، إِنَّا لَمْ نُسَمِّ بِهِ وَلَا مُنْحَنَاهُ ، بَلِ الذِّكْرُ ذُكْرَانُ  
فَضَّلَ الرِّجَالُ عَلَيْنَا أَنْ شِئْتُمْ جُودٌ وَبَاسٌ وَأَحْلَامٌ وَأَذْهَانُ  
وَأَنْ مِنْهُمْ وَفَاءٌ لَا قَوْمُ لَهُ وَهَلْ يَكُونُ مَعَ التَّقْصَانِ رُجْعَانُ ؟  
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ التَّنِي :

بَنَفْسِي لَخِيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْمَةٍ وَقَوْلُهُ لِي : بَعْدَنَا الْفُتْنُ تَطْعَمُ  
سَلَامٌ فَلَوْلَا الْبُخْلُ وَالْخَوْفُ عِنْدَهُ قُلْنَا أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمُسْلِمُ  
الْأَتَمُّ أَنْ الْجُودَ ، وَالْوَفَاءَ بِالْمُيُودِ ، وَالشَّجَاعَةَ وَالْفَعْلَ ، وَمَا جَرَى فِي  
هَذَا السَّنِ ، مِنْ فُضَائِلِ الرِّجَالِ ، لَوْ مَدَّحَ النِّسَاءُ بِهِ لَكَانَ تَقْصَا عَلَيْهِنَ ،  
وَدَمًا لِهِنَّ ؟

ولمدح النساء أبواب تفرقت في الكتاب :

أشد رجل زينة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور :

أَزْيَنِيَّةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ بَلَوِي زَائِرِكَ الْمُنَابِ

تُعْطِينَ مِنْ رِجْلَيْكَ مَا تُعْطِي الْأَكْفُ مِنَ الرِّغَابِ

فوقب إليه الخدم يضربونه ، فتمتصهم من ذلك ، وقالت : أراد خيراً وأخطأ ، وهو أحب إلينا من أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم « شمالك أُنْدَى مِنْ عَيْنِ غَيْرِكَ » فظن أنه إذا قال هكذا كان أبلغ ، أخطأه ما أُقِلَّ ، وعرّفوه ما جُلَّ .

وقال كثير :

وَلَا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ الْأَرْكَانَ مَنْ هُوَ مَا يَسُحُ

رجل مدح  
زينة أم  
الأمين

لكثير عزة

وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْعَالِيَا رَحَالُنَا  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَبْنَا  
تَقَفْنَا قُلُوبَنَا بِالْأَحَادِيثِ وَاشْتَقَفْنَا  
وَلَمْ نَحْشِ رَيْبَ النَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ

وقال :

ولكن كثيراً أيضاً

تَفَرَّقَ الْأَوَّلُ الْحَبِيبُ عَلَى يَمَنِ  
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَالِكٌ بَطْنُ تَخْلَةٍ  
فَلَمْ أَرْ دَاراً مِثْلَهَا دَارَ غَيْطَةٍ  
أَقُولُ مَقِيماً رَاضِياً بِمَكَانِهِ  
فَأَصْبَحَ لَاتِلِقَى خَبَاءَ عَيْدِهِ  
فَنَاقُوكَ لَمَّا وَجَّهُوا كُلُّ وَجْهٍ

ودخل كثير على عزة يوماً ، قالت : ما ينبغي أن تأذن لك في الجلوس ،  
فقال : ولم ذلك ؟ قالت : لأنني رأيت الأسوص ألين جانباً عند التواني منك في  
شعره ، وأضرع خدّاً للنساء ، وأنه الذي يقول :

عزة فضلت  
الأسوص على  
كثير

يَأْبِسُ اللَّامِي فِيهَا لِأَضْرِمَهَا  
أَكْثَرُ فَلَسْتُ مُطَاعاً إِذْ وَشَيْتُ بِهَا  
وَيَجِبُنِي قَوْلُهُ :

أَدُورُ وَلَوْ لَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَنْفَرٍ  
وَمَا كُنْتُ زَوْراً ، وَلَكِنْ ذَا الْمَوَى  
لَقَدْ مَنَعَتْ مَرُوفَهَا أُمَّ جَنْفَرٍ  
وَأَيُّكُمْ مَادُرْتُ خَيْثُ أَدُورُ  
إِذَا لَمْ يَرْزُ لَا بَدَةَ أَنْ تَسِيرُ زُورُ  
وَأَيُّ إِلَيَّ مَرُوفَهَا لَقَفِيرُ

ويصحبني قوله :

كم من دنى لها قد كنت أتبعه  
لا أستطيع زرعاً عن محبتها  
أدعو إلى هجرها قلبي فيكفني  
وزادني رغبة في الحب أن منعت ،  
وقوله :

إذا أنت لم تمش ولم تدّر ما الهوى  
وما النيش إلا ما تلد وتشتي  
وإني لأهواها وأهوى لقاءها  
علاقة حب نج في سن السبا  
فكن حراً من يأس الصخر جليداً  
وإن لام فيه ذو الشنان وقدداً  
كما يشتهي الصادي الشراب الميرداً  
فأبلى ، وما يزداد إلا تجرداً  
هذان البيتان ألحقهما الثني وغيره بشر الأحوص ، وأنشدها أبو بكر بن  
دريد لأعرابي ، فقال كثير : قد والله أجازها استقبحت من قولي ؟ قالت :

قولك :

وكنتم إذنا حيث أجعلن مجلسي  
يحاذرون مني غيرة قد عرفتها  
تراهن إلا أن يخالسن نظرة  
كواظم لا يتطعن إلا منحورة  
وكن إذا ما قلن شيئاً بره  
وأظهر من مني هيلة لا تبهما  
قدماً ، فلا يضحكن إلا تبهما  
بموخير عيني أو يقبلن منقصاً  
رجيمة قول بعد أن يفضها  
أسر الرضا في نفسه وتعرّتا  
وقولك :

وددت ونيت الله أنك بكرة  
هجان ، وأني مصعب ثم شرب<sup>(١)</sup>

(١) هجان : يضاء ، والمصعب : الفصل ، ورواية صاحب التوضيح :-

ألا ليتنا لمز كنا للمي غني جيزين نرعى في الحلاء ونمزب

كَلَّانَا بِهِ عُرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُعَدِّي وَأَجْرِي<sup>(١)</sup>  
 نَكُونُ لَدَيْ مَالٍ كَثِيرٍ مَقْضِي فَلَاحُ هُوَ يَرَعَابًا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ  
 إِذَا مَا وَرَدَنَا مِنْهَا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا فَمَا تَنَفَّكَ نُؤَذِّي وَنَضْرِبُ<sup>(٢)</sup>  
 وَنَحْمَلُ ! لَقَدْ أَرَدْتَ بَنِي الشَّقَاءِ ، أَفَأُجِدْتُ أَمْنِيَةً أَوْ طَأْمًا مِنْ هَذِهِ ؟ خَرَجَ  
 خَجَلًا .

[ من الأمانى ]

لأبي صخر  
 الهذلي

وَقَدْ تَمَنَّى بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَمْنِيَةِ الْفَرَزْدَقُ . وَأَغْرَبَ مِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ :  
 تَمَنَيْتُ مِنْ حَتَّى عَلَيْنَا أَنَّنَا عَلَى رَمَتْ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفَرْ<sup>(٣)</sup>  
 عَلَى دَائِمٍ لَا يَعْبُرُ الْفَلَكَ مَوْجُهُ وَمِنْ دُونِنَا الْأَهْوَالُ وَالْأَجْعُ الْخُفْرُ  
 فَتَقْضَى هُمْ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رَقِيَّةٍ وَيُغْرَقُ مَنْ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ  
 وَقِيلَ : الْأَمَلُ رَفِيقُ مُؤْنَسٍ ؛ إِنْ لَمْ يُبْلَمْكَ قَدْ أَلْهَكَ .

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

وَأَكْثَرُ أَضْغَالِ اللَّيَالِي إِسَاءَةٌ وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى الْأَمَانِي كَوَاذِبًا  
 وَقَالَ آخَرُ :

مَنْ إِنْ تَكُنْ حَقَاتِكُنْ أَحْسَنَ لَلَّتِي وَإِلَّا قَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا  
 أَمَانِي مِنْ تَلَى حِسَانٍ كَأَنَّمَا سَقَتْنِي يَهَا تَلَى عَلَى ظَلْمًا بَرْدًا  
 وَقَالَ آخَرُ

رَفَقْتُ عَنْ الدُّنْيَا الْمَتَى غَيْرَ حَبِهَا فَلَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أَسْتَزِيدُهَا  
 وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : مَا أَمْتَعَ لَدَاتِ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : عَمَازَةُ الْحُبِّ ، وَمَحَادَثَةُ الصَّدِيقِ ،

(١) العر - بالفتح وضم - الجرب

(٢) رواية صاحب اللوشع :

إِذَا مَا وَرَدَنَا مِنْهَا صَاحَ أَهْلُهُ إِلَيْنَا ، فَلَا تَنَفَّكَ تَرْمِي وَنَضْرِبُ

(٣) الرمت بالتحريك خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب في البحر

وأما من قطع بها أياك ، وأنشد :

عليّ عني ، وتعدّ ، وأطلي ما حيت به  
ودعيني أفوز منك بنجوى تطلبه  
فسي يثر الزمان بحظي فينقبه  
[ بعض أخبار كثير وعزة ]

حق كثير وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبي جعدة الخزاعي — ويعرف بعزة ، على حدة خاطره ، وجودة شعره — أحق الناس .

دخل عليه فرّ من قريش وهو عليل يهزّون به ، قال بعضهم : قلت له : كيف تجدك ؟ قال : « بخير » ، هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ قلت : نعم ، سمعتمهم يقولون : إنك الدجال . فقال : والله لئن قلت ذلك لاني لأجد في عيني البني ضغناً منذ أيام .

كان راضيا وكان راضياً يدين بالرجعة ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، والرافض يزعمون أنه دخل في شبّ باليمن في أربعين من أصحابه ، ولا بد من ظهوره ، وفي ذلك يقول :

الآن إن الأئمة من بني قيس  
على الثلاثة من بنيهم  
فسيبسط سبط إيمان وبر  
وسيبسط غيبتة كبر بلاه  
ويقود الخليل يقودها اللواء  
تغيب لا يرى عنهم زماناً  
وكان خلفاء بني أمية يطعون ذلك منه ، ويلبسونه عليه .

دخّل يوما على عبد الملك بن مروان فقال : نشدتك بحق علي بن أبي طالب ، هل رأيت أحق منك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ لو سألتني بمحك لأخبرتك ، نعم ، بينا أنا أسير في بعض القلوات إذا أنا برجل قد نصب حباله ، قلت له :

بين كثير  
وعبد الملك  
بن مروان



ما أَجْلَسَكَ هاهنا؟ قال : أهلكنى وأهل الجوع ، فنصبت حَبَائِلِي لِأَصِيبَ لَمْ  
ولنفسى ما يكفيننا سحابة يَوْمِنَا ، قلت : أَرَأَيْتَ إِنْ أَقْبَتُ مَعَكَ فَأَصْبَنَا صِيدًا .  
أَتَجْمَعُلْ لِي مِنْهُ جِزءًا؟ قال : نعم ، فبينما نحن كذلك إِذْ وَقَعَتْ ظِلْيَةٌ ، فخرَجْنَا  
مُبْتَدِرِينَ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهَا خَلْفَهَا وَأَطْلَقَهَا ؛ قَهْلْتُ : ما حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قال  
دخلتلى لها رَقَّةٌ لَشِبْهَ بَلَيْلَى ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَيَا شَيْءٍ لَيْلَى لَا تُرَاعِي فَإِنِّى لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَخْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ  
أَقُولُ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَثَاقِهَا لِأَنْتَ - لِلَّيْلِ - مَا حَيَّتَ طَلِيقُ  
وروى الكلبي وابن دَأْب أَنَّهُ لَمَّا حَلَّهَا قَالَ :

اذْهَبِي فِي كَلَامَةِ الرَّحْمَنِ أَنْتِ مَنِي فِي ذِمَّتِي وَأَمَانِ  
لَا تُخَافِي بَأْنَ تُهَاجِرِي بِسَوْءِ مَا تَفْتَنِي الْحَمَامُ فِي الْأَغْصَانِ  
ترهيني والجيدُ منك لِلَّيْلِ وَالْحَشَا وَالْبَقَامُ وَالْمِينَانِ ؟

وقال قيس بن الملوّح :

راحوا بِبَعِيدُونَ الظُّبَاءَ وَإِنِّى لَأَرَى تَصَدَّ بِدُعَا عَلَى حَرَامَا  
أَشْبَهَنَ مِنْكَ عَجَاجِرًا وَسَوَافِئَا فَأَرَى عَلَى لَمَّا بِذَاكَ ذِمَامَا  
أَغْزَرُ عَلَى بَأْنَ أَرْوَعٍ شَبِيبَا أَوْ أَنْ يَذْفُقَنَّ عَلَى يَدَيَّ حِمَامَا  
ومن جيد شعر كثير :

وكانت لِقَطْعِ الْخُبُلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
قَهْلْتُ لَهَا : لَا عَزْ كُلُّ مُصِيبَةٍ  
وَلَمْ يَلْقُ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُبِّ مِثْمَةً  
أَبَاحَتْ حَتَّى لَمْ يَرَعْهُ النَّاسُ قَبْلَهَا  
هينًا مَرِئًا غَيْرَ دَاءٍ مُحَامَرِ  
أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَا مَلُومَةً  
وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ  
كَنَذَرَةٍ نَذَرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتْ  
إِذَا وَطُنْتُ يَوْمَ مَا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ  
نَعْمُ وَلَا غَمَاءُ إِلَّا تَجَلَّتْ  
وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حَلَّتْ  
لَمَرَّةً مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ  
لَدَيْنَا وَلَا مَقْلَبَةً إِنْ تَقَلَّتْ  
بِهَجْرٍ ، وَلَا اسْتَكْثَرَتْ إِلَّا أَقَلَّتْ

لقيس بن  
الملوح

من جيد  
شعر كثير

وما مرّ من يومٍ عليّ كيومها وإن عظمت أيام أخرى وجلّت  
فيا عجباً للقلب كيف اعترافه وللنفس لما وطئت كيف ذلّت  
وإني وتهايمى بمرّة بعدما تخليتُ مما بيننا وتخلّت  
لكالمربحي ظلّ النمامة ، كلّما تبوأ منها للقليل انصمحت  
وكان كثير قصيرا دميّا ، وانلك قال :

كان كثير  
قصير دميّا

فإنّ ألك معروق العظام فإنّي إذا ما وازنت القوم بالقوم وازن<sup>(١)</sup>  
ودخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته ، قال : أنت كثير ؟  
فقال : نعم ، فاقطعته ، وقال : تسمع بالمعديّ لا أن تراه<sup>(٢)</sup> ! فقال :  
يا أمير المؤمنين ، كلّه إنسان عند محله رخبُ الفناء ، شايخُ البناء ، عالي  
السّناء ، وأنشد يقول :

تري الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسدٌ هصورُ  
ويُعجبك الطيرُ إذا تراه فيخلف ظنك الرجلُ الطيرُ<sup>(٣)</sup>  
بُعْثُ الطير أطولها رقاباً ولم تطلّ البُزاة ولا الصقورُ<sup>(٤)</sup>  
خشاشُ الطير أكثرها فراخاً وأمّ البزاز مقلّاة زُرورُ<sup>(٥)</sup>

(١) قبل هذا البيت

رأت رجلاً أودى السقام بحمه فلم يبق إلا منطق وجنان  
وبعده :

وإني لما استودعتني من أمانة إذا ضيع الأسرار باعز دافن  
(٢) رواية القالي : « أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه »  
(٣) رجل طير : له هيئة حسنة  
(٤) البثا : شرار الطير

(٥) خشاش الطير : هي الصافير ونحوها ، والمقلّاة : التي لا يحيا لها ولد ، والزور :  
قليلة الأولاد

ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا ذُبُرًا      وَأَجْرُمَهَا اللَّبَاقِي لَا تَزِيرُ  
وَقَدْ عَظُمَ الْبَحِيرُ بِسَبْرِ لُبٍّ      فَلَمْ يَسْتَفْنِ بِالْعِظَمِ الْبَسِيرُ  
يُنَوِّحُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْمِرَاوِي      فَلَا عُرْفَ لَهُ بِهِ وَلَا تَكْبِيرُ  
يُقَوِّدُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ      وَيَمْنَعُهُ عَلَى الْجَنْبِ الصَّغِيرُ<sup>(١)</sup>  
فَلَا عَظَمَ الرِّجَالُ لَهُمْ بَرِّيْنِ      وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ حَسَبٌ وَخَيْرُ<sup>(٢)</sup>  
قَالَ : قَاتِلَهُ اللَّهُ ! مَا أَطْوَلَ لِسَانَهُ ، وَأَمَدَ عَيْنَانَهُ ، وَأَوْسَعَ جَنَانَهُ ؛ إِنِّي  
لَأَحْسِبُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ<sup>(٣)</sup> .

[ قولهم في الطول والقصر ]

وَأَنشَدَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ لَشَاعِرٍ قَدِيمٍ :

وعاذلة هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي      وَلَمْ يَضُرَّنِي قَبْلَ ذَلِكَ عَقُولُ<sup>(٤)</sup>      لَشَاعِرٍ قَدِيمٍ  
تَقُولُ : ائْتَدِلَا يَدُكَ عَلَى النَّاسِ مُمْلِقًا      وَتُزَرِّي بَيْنَ يَدَيْنِ الْكَرَامِ تَعْمَلُ  
قُلْتُ : أَبَتَ نَفْسٍ عَلَى كَرِيمَةٍ      وَطَارِقُ لَيْلٍ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ  
أَلَمْ تَعْلَى يَا عَمْرُوكَ اللَّهُ أَنِّي      كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكَرَامِ قَلِيلُ  
وَأَنِّي لَا أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُمْلِقُ      سَخِيٌّ ، وَأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بَغِيلُ  
فَلَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ الْفُتُورَةَ وَانظُرِي      إِلَى غُنْصَرِ الْأَحْسَابِ كَيْفَ يَتُولُ  
وَلَا تَذْهَبِي عَيْنَاكَ فِي كُلِّ شَرْمَحٍ      لَهُ قَعْبٌ جُوفُ الْعِظَامِ أَسِيلُ<sup>(٥)</sup>  
عَسَى أَنْ تَمُتِيَ عِرْسُهُ أَنِّي لَهَا      بِهِ ، حِينَ يَشْتَدُّ الزَّمَانُ ، بِدِيلُ

(١) رواية القالي : « ويمنعه على الترب الصغير »

(٢) رواية القالي « كرم وخير »

(٣) روايه القالي « قال عبد الملك : لله دره ! ما أقصَحَ لسانه ، وأضبطَ جنانه ، وأطولَ عينانه ! والله أنى لأظنه كما وصف نفسه » .

(٤) اغتمره يغمزه : عده غمرا - بالضم ويفتح - وهو من لم يجرب الأمور

(٥) الترمح : الرجل الطويل .

إذا كنت في القوم الطوال فطلتهم<sup>(١)</sup> بعاقبة حتى يقال طويل<sup>(٢)</sup>  
ولا خير في حسن الجسم وطولها إذا لم ترن حسن الجسم عقول  
فكان رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم تحمين أصول  
فإلا يكن جسما طويلا فأتى له بالتعال الصالحات وصول  
ولم أر كالمعروف : أما مدافعه فخلو ، وأما وجهه فجميل  
وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

ونصيف من الرجال نحيف برأجح الوزن عند وزن الرجال  
في أناس أوتوا علوم القصاص فلم تُفهم جُوم البقال  
أخذه من قول حسان بن ثابت ، وقال له بنو النيان الحارثيون : قد كنا  
ونحن نطول بأحساننا على الرب حتى قلت :

دعوا التخاجؤ واشتروا شئبة سجعاً إن الرجال ذوو قـد وتذ كبير<sup>(٣)</sup>  
لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البقال وأخلام القاصير  
فتركتنا لا نرى أجسامنا شيئاً

والعرب تمدح الطول ، وثنى عليه ، وقال عنقرة بن شداد :

لعنرة العبسي

بطل كان يثابه في مترحة يحدى نعال السبت ليس بتوأم  
قوله « ليس بتوأم » يريد ليس ممن زوجه في الرحم فنصف ، كمال قال  
الشعبي ، وقد دخل على عبد الملك بن مروان ، فجعل ينظر إليه ، وكان الشعبي  
قد ولد توأماً مع أخيه ، فكان نحيفاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن زوجه في  
الرحم ، وقال :

(١) رواية القائل « فطلمهم »

(٢) العارفة : السكرمة ، وفسرها أبو بكر ابن الأثير بالنفس الضاربة

(٣) التخاجؤ : فتح الصدر عند الشئ تها وكبرياء

ولما التقى الصفان واختلف القتتا  
تبين لي أن القباء ذلة  
وقال أبو نواس :

وكنا إذا ما الحان الجذعة  
تردى به الفضل بن يحيى بن خالد  
أمام خيس أرجسوان كأنه  
قميمس محوك من قنا وحياد<sup>(١)</sup>  
ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

وملومة زرد ثوبها ولكنه بالقنا محمل  
[ عود إلى أخبار كثير عزة ]

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو عليل ، وأهله يمتنون أن  
يتسم ، قال : لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسلم لدعوت الله أن يصرف  
مابك إلى ، ولكني أسأل الله أيها الأمير الباقية لك ولي في كنتك ؛ فضحك  
وأمر له بمال فخرج وهو يقول :

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكى كان بالعود  
لو كان تقبل غديته لغديته بالمصطفى من طارفي وتلادي

قال محمد بن سلام الجهمي : قال أبي : ذا كرت مروان بن أبي حفصة شعر  
جريح والفرزدق وكثير ، فذهب إلى تقديم كثير ، وجعل يطريه ويقول : هو  
أمدحهم للخلفاء ، قلت : أين جودة مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان :  
تري ابن أبي العاصي وقد صف دونه ثمانون ألفا قد توافت كموها  
يقلب عيني حية بمقازو إذا أمكنته شدة لا يهيلها  
قال هذا الخليفة ودونه ثمانون ألفا ، وجعله يقلب عيني حية .

(١) الجهمي : الجيش لأنه خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، واليعة ، والميرة ، والساقة

وقوله :

وإن أمير المؤمنين هو الذي غزا كامنات الردى مني فهاها

زعم أن أمير المؤمنين استطفه حتى غزا كامنات صدره .

وقوله ابن العزير بن مروان :

وما زالت رفاك تبسل ضففي وتخرج من مكانها ضبابي

ويرتقي لك الملاون حتى أجابك حمية تحت الحجاب

زعم أن عبد العزيز ترصاه وواحتاله ورقاه ، حتى أجابه ؛ أكذا تمدح للوك ؟ فأشكته <sup>(١)</sup> .

### فصول قصار

من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ . العبد حر إذا قطع ، والحر عبد إذا طمع . الأمانى تمدحك ، وعند الحقائق تدعك . إذا كان الطمع هلاكا ، كان اليأس إدراكا . ليس يعدد حكما ، من لم يكن لنفسه خصما . تمر عن الشيء إذا منعته ، بقلة ما يصيبك إذا منعته . تخرج مريض الصبر تظني . نار الصبر . الحكمة حفظ ما كلفت ، وترك ما كفيت . الصبر عن محارم الله ، أيسر من الصبر على عذاب الله .

### شذور لأهل الصبر في معاني شتى

من كلام قلوب بن وشكير : قطعة من كلام الأمير قابوس بن وشكير شمس المعالي في أثناء رسالته : برئند الشفيح توري نار النجاح ، ومن كف الفيض ينقظر فوز القيداح ،

(١) راجع ما أخذه الرواة على كثير في الصفحات ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ من كتاب الموشح ؛ فإن ما هنا قد اقتبس من هناك

الوسائل أقدم قوى الحاجات ، والشفاعات مفاتيح الطلقات . العيون من الحزم من  
موجب الكرم ، وقبول المعذرة من محاسن الشيم . وبالقوام والخوافي قوة  
النجاح ، وبالأستة والقوى عمل الرياح . الدنيا دار تفرير وخداع ، وملقى ساعة  
لوداع ، والناس مقترنون بين كل ورد وصدر ، وصارون خيراً بعد أثر . غاية  
كل متحرك إلى سكون ، ونهاية كل متكون ألا يكون ، وآخر الأحياء  
فناً ، والجزع على الأموات عناء ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلم التهاك على  
المهلك ؟ . حشو الدهر أحزان وهموم ، وصفوه من غير كدر معدوم . إذا سمع  
الدهر بالحياة ، فأبشر بوشك الانقضاء ، وإذا أعار ، فاحسبه قد أغار . الدهر طمان  
حلو ومر ، والأيام ضربان عسر ويسر . لكل شيء غاية ومنتهى ، وانقطاع وإن  
بلغ المدى . ترك الجواب ، داعية الارتياح ، والحاجة إلى الانقضاء ، كسوف في  
وجه الرجاء . هم المنتظر للجواب قليل ، والذى فيه وإن كان قصيراً طويل .  
التجيب إذا جرى لم يشق غباره ، وإذا سرى لم تلتحق آثاره . ومن أين للضباب  
صوب السحاب ، وللغراب هوى القباب ، وهيئت أن تكتسب الأرض طاقاة  
المواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء .

\*\*\*

وقد ترجم عن شمس المعالى أبو منصور الثعالبي في كتاب آفته له ؛ قال في  
أوله : أما على أثر حمد الله الذى هو أول كتابه ، وآخر دعوى ساكنى دار  
ثوابه ، والصلاة على خيرته من بريته ، وعلى الصنفين من ذريته ، فإن خير  
الكلام ما شغل بخدمة من جمع الله له عزّة للملك إلى بسطة العلم ، ونور الحكمة  
إلى نفوذ الحكم ، وجعله ميمراً على ملوك العصر ، ومدبراً على الأرض وولاة الأمر ،  
بخصائص من القدر ، وجلال من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ،  
لا يدخل أبسرها تحت العادات ، ولا يذرك أفلها بالمبارات ؛ ومحاسن [ سير ]  
الأنام <sup>(١)</sup> ، تخرسها أسنة الأقلام ، وتدرسها أسنة اللبالي والأيام ، وهذه صفة تقي

(١) فى الأصول كلها « ومحاسن سير الأيام » تحريف ما أثبتناه (م)

لثعالبي يصف  
شمس المعالى

عن تشبيه الموصوف باختصاصه بمنحها ، واستحقاقه إياها ، واستتاره على جميع  
 الملوك بها ، وللملوك بسلامتها يلبسها السماع أنها للأمير ، شمس المالك ، خالصة ،  
 وعليه مقصورة ، وبه لاقية ، وعن غيره بآخرة ؛ إذ هو - بمعانية الأمان ، وشهادة  
 الأخيار ، وإجماع الأولياء ، واتفاق الأعداء - كافل الجدد ، وكافي الخلق ، وواحد  
 الدهر ، وغرة الدنيا ، ومفزع الورى ، وحسن العالم ، ونكتة الفلك الدائر ؛  
 فبلغه الله أقصى نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ؛ وملكه أزمنة الأمر ،  
 كلما ملكه أعنة الفضل ؛ وأدام حسن النظر للمباد والبلاد ، بإدامة أيامه التي هي  
 أعين الدهر ، ومواسم المين والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً  
 ونمواً ، كما زاده في الشرف علواً ، حتى تكون السعادات وفداه ، والبشائر  
 قرى تتميم ، والمساير غداً نفسه ، ويتراعى به الإقبال إلى حيث لا يبلغه أمل ،  
 ولا يقطع له أجل .

\*\*\*

نحاف قوله « وهذه صفة تُنفى عن الموصوف » إلى قول أبي الطيب يرتني  
 أخت سيف الدولة :

يا أخت خير أئمة بابت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب  
 أجل قدرك أن تُسمى مؤمنة ومن دعاك قد سمالك للتراب

\*\*\*

وفي شمس المالك يقول الأمير أبو الفضل الميكالي :

لاتنصين شمس الملاكابوسا فمن عصى قابوس لا آق بوسا  
 وله يقول بدیع الزمان في قصيدة نظمها في تصاعيف رسالة موشحة :  
 إن من كنت من مناه بمرأى وتمذك سبي ، الاقتراح  
 بين بشر برؤ غرض جاهي وقبول بعيد ريش جناحي

مدائح في شمس  
 المالك ابن  
 وشكبر



وبساطٍ وَرَدَتْ مُشْرِعَةُ الْأُنْسِ بِهِ وَادَّرَعَتْ بُرْدَ النِّجَاحِ  
فَاقْضُ أَوْ طَارًا التَّقْتُ وَالْمَالِي فِي نِظَامٍ مِنَ التَّهْمَى وَتَصَاحِ  
مَلِكٍ دُونَهُ تَقَطَّعُ أَبْصَارُ الْيَالِي يَوْمًا تَدَى وَكِفَاجِ  
مَلِكٍ لَوْ يَشَاءُ مَدَّ عَلَى النَّجْصِمْ رِوَاقًا وَرَدَّ وَقَدَّ الرِّيَاحِ  
تَارَةً فِي خُشُونَةِ الدَّهْرِ تَلَقَّا هُوَ وَطُورًا فِي حُسْنِ ذَاتِ الْوِشَاحِ  
مَلِكٌ كُلَّمَا بَدَأَ نَقْفُ الْأَفْلَاقِ حُجْبًا بِهِ وَفَرَطَ اِزْتِيَاكِ  
هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْمَالِي طُرُقُ الْجَدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمَزَاجِ  
وهي طويلة ، كتبتها على طريق الاختيار .

[ من رسائل بديع الزمان ]

رقعة لبديع الزمان إلى شمس المالى ، وقد ورد حضرته :

لَمْ تَزَلِ الْأَمَالُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ شَمْسِ الْمَالِي ، وَأَدَامَ سُلْطَانَهُ - تَعِدُنِي  
هَذَا الْيَوْمَ ، وَالْأَيَّامُ تَحْطُلُنِي بِالسَّنَةِ صَرُوفِهَا ، عَلَى اخْتِلَافِ صُنُوفِهَا ، بَيْنَ حُلُوفِ  
أَسْتَرْقِي ، وَمَرَّةٍ اسْتَخْفَى ، وَشَرَّ صَارَ إِلَيَّ ، وَخَيْرٌ صِرْتُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا فِي خِلَالِ  
هَذِهِ الْأَحْوَالِ أَذْزَعُ الْأَفَاقَ فَأَكُونُ طُورًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْأَقْصَى ، وَطُورًا  
مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ ، وَلَا مَطْمَحَ إِلَّا حَضْرَتُهُ الرَّفِيعَةُ ، وَسُدَّتْهُ الْمُرِيَةُ ، وَلَا وَسِيلَةَ إِلَّا  
الْمَنْزَعُ الشَّاسِعُ ، وَالْأَمَلُ الْوَاسِعُ ؛ وَقَدْ صِرْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ مَوْلَانَا - بَيْنَ  
أَنْيَابِ النُّوَابِ ، وَتَجَسَّسْتُ هَوْلَ الْوَوَادِ ، وَرَكِبْتُ أَكْتَافَ الْمَكَارِهِ ، وَرَضَعْتُ  
أَخْلَافَ الْوَوَائِقِ ، وَمَسَحْتُ أَطْرَافَ الْمَرَاحِلِ ، حَتَّى حَضَرْتُ الْحَضْرَةَ الْبَهِيَّةَ  
أَوْ كِدْتُ ، وَبَلَغْتُ الْأُمْنِيَةَ أَوْ زِدْتُ ، وَلِلْأَمِيرِ السَّيِّدِ فِي الْإِصْغَاءِ إِلَى الْجَدِّ ،  
وَالنَّظَرِ مِنْ عَنَانِ الْفَضْلِ ، بِتَمَكِّينِ خَادِمِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ يَلْقَاهُ بَقْدَمِهِ ، وَبِالسَّاطِ  
يُنِشِّئُهُ بِنَفْسِهِ ، تَفَضَّلْ : فَلَهُ الرَّأْيُ الْعَالِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وله إلى بعض الرؤساء وقد وعد بحضور مجلسه بالفداء وأمره أَنْ يَرْفَ إِلَيْهِ  
مَا أُنْشَاءُ ، فَبِثَّ بِهِ وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

مَرْحَبًا بِسَلَامِ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَلَا كَلَّرَ حَبِّ

بَطْلَانَتِهِ ؛ وقد وصلت ثَمِيَّتُهُ فشكرتها ، وعدَّتْهُ الجَلِيلَةُ بالحضور غدا فانتظرتها ؛ ودعوتُ اللهَ أن يَطْوِيَّ ساعاتِ النهار ، ويرزقَ الشمسَ في الغاءِ ، ويُقَرِّبَ مَسَافَةَ القَلْبِ الدَّوَّارِ ، ويرزقَ البركةَ من سيره ، ويجهزَ الحركةَ إلى دوره ؛ ويُسرِّفَ بَوَافِدَ الظلامِ وقد نزل ، ثم لم يَلْبِثْ إِلَّا رِيثًا رَحَلْ ؛ وقد بشتُ بما طَلَبُ سَمَاءٍ لِأَسْرِهِ وطاعة ، والنسخةَ أَسَقَمُ مِنْ أَجْفَانِ القَضْبَانِ ، والشيخَ سَيَدِي — أَدَامَ اللهُ عزه — يُرَكِّضُ قَلْبَهُ فِي إِصْلَاحِهَا ، وَحَبْذًا هُوَ فِي غَدٍ ، وَقَدْ طَلَعَ كَالصَّبْحِ إِذَا سَطَعَ ، وَالْبَرْقُ إِذَا لَمَعَ :

يَا رَجِيًّا بَغْدِي وَيَا أَهْلًا بِهِ    إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ الْأَحْيَى فِي غَدٍ  
وله إلى أبي الطيب سهل بن محمد يسأله أن يصله بأبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد :  
لَوْ كَانَ لِلْكَرْمِ عَنْ جَنَابِ الشَّيْخِ مُنْصَرَفٌ لَا مُنْصَرَفٌ ، أَوْ لِلْأَمَلِ مُنْخَرَفٌ إِلَى  
سِوَاهُ لَا مُنْخَرَفٌ ، أَوْ لِلنَّجْحِ بَابٌ سِوَاهُ لَوُجِلَتْ ، أَوْ لِلْفَضْلِ خَاطِبٌ غَيْرُهُ لَزُوِجَتْ ،  
وَلَكِنْ أَبَى اللهُ أَنْ يَقْدَرَ إِلَّا عَلَيْهِ الْخُنْصَرُ ، أَوْ يَتَحَلَّى إِلَّا بِفَوَاضِلِهِ الدَّهْرُ ، وَلَا يَزَالُ  
كَذَا يَتَسَيَّمُ الْمَجْدُ بِسَيِّئِهِ ، وَيَجْذِبُ الْعِلَاءُ بِهَيْئَتِهِ ، وَيُسْعِدُ الدِّينَ بِنَظَرِهِ ، وَالدُّنْيَا  
بِجَاهِهِ ، وَغَلَامُهُ أَنْالُوا اسْتِعَارَ الدَّهْرُ لِسَانًا ، وَاتَّخَذَ الرِّيحُ رَجْجَانًا ، لِيُشِيعَ إِنْعَامَهُ حَقَّ  
الإِشَاعَةِ ، لَقَصُرَتْ بِهِ يَدُ الاسْتِطَاعَةِ ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ يَلْبِسَ مَكَارِمَهُ صَافِيَةً سَابِقَةً ،  
وَيَرِدَ مِشَارِعَهُ صَافِيَةً سَائِقَةً ، وَيَحِيلَ الْجَزَاءَ عَلَى يَدِ الْقُصُورِ ، وَالشُّكْرَ عَلَى لِسَانِ  
قَصِيرٍ ؛ ثُمَّ إِنْ حَاجَانِي ، إِذَا لَمْ يَمُرَّ مِنْ قَلَانِدِ الْمَجْدِ نَحْرُهَا ، وَلَمْ يَطْلُغْ مِنْ حَلِيِّ  
الْمَجْدِ صَدْرُهَا ، كَبِرَ مَهْرُهَا ، وَعَزَّ كَفْوُهَا ، وَلَمْ أَحِدْهَا إِلَّا وَاحِدًا أَخْضَرَ الْجَلْدَةَ  
فِي بَيْتِ الْعَرَبِ ، أَوْ مَا جَدًّا يَمْلَأُ الدَّوْلَةَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ <sup>(١)</sup> . وَهَذِهِ حَاجَةٌ أَنَا أَزْفُهَا  
إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ حَرَّصَ اللهُ مُنْجَتَهُ ، وَأُسَوِّقُهَا مَنْظُومَةً مِنَ الصَّدْرِ إِلَى الْجُزْرِ ،  
كَأَيُّ سَاقٍ الْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ <sup>(٢)</sup> ؛ وَأَنَا مِنْ مَفْتَتِحِ الْيَوْمِ إِلَى مَخْتَمِهِ ، وَمِنْ

(١) الكرب - بفتحين - الجبل إلى الماء .

(٢) الجز - بضمين - الأرض لانتبت شيئاً .

قَرْنِ التَّهَارِ إِلَى قَدَمِهِ، قَاعِدَ كَالْكُرْكِيِّ<sup>(١)</sup>، أَوَ الدِّيكِ الْهِنْدِيِّ، فِي هَذَا الْأَدْحَى<sup>(٢)</sup>،  
يَمُرُّ بِأَوَّلِ الْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ، وَيَجْتَازُ ذَوَا الْحِلِيلِ وَالْحُلُولِ<sup>(٣)</sup>، وَمَا أَنَا وَالنَّظَرُ إِلَى مَا لَا  
يَتَلَفُّ، وَالسَّوَالُ عَمَّا لَا يَتَغَيَّرُ، وَالْيَوْمَ، لَمَّا اقْتَضَى عُدَّةَ الصَّبَاحِ، مَلَأْتُ  
جَهْفِي مِنْ مَنَظَرٍ مَا أَخَوَجَهُ إِلَى عَيْنٍ يَصْرِفُ عَيْنَ كَالِهِ، عَنْ جِهَالِهِ، فَقُلْتُ لِمَنْ  
حَضَرَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَجَبُوا بِحُرِّ كَوْنِ الرُّهُوسِ اسْتَظْرَافًا لِحَالِي، وَيَتَنَازَرُونَ تَجَبُّبًا  
مِنْ سَوَالِي، وَقَالُوا: هَذَا الشَّيْخُ الْفَاضِلُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، فَقُلْتُ:  
حَرَسَ اللَّهُ مُنَاجَتَهُ، وَأَدَامَ غَبِطَتَهُ؛ فَكَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى خِدْمَتِهِ، وَأَيُّ مَا تَنَى  
مَعْرِفَتِهِ؟ قَالُوا: إِنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - يَضْرِبُ فِي مَوَدَّتِهِ بِالْقِدْحِ  
لِلْعُلَى، وَيَأْخُذُ فِي مَعْرِفَتِهِ بِالْحِظِّ الْأَعْلَى، فَإِنْ رَأَى الشَّيْخَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - أَنْ  
تُجْمَلَ عُنَابَتُهُ حُرُوفَ الصَّلَاةِ، وَتَفْضَلَهُ لَأَمَّ لِلْمَعْرِفَةِ، فَقَلَّ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

[ مِنْ أَخْبَارِ الْبِرَامِكَةِ ]

قَالَ الرَّشِيدُ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ: يَا أَبْتَ، إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ الْخَلَامَ الَّذِي فِي  
يَدِ الْفَضْلِ إِلَى جُفْرِ، وَقَدْ احْتَشَمَتْ مِنْهُ فَكُفِّيهِ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِحْيَى: قَدْ أَسْرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَعْلَى اللَّهُ أَمْرَهُ - أَنْ يَحْوَلَ  
الْخَلَامُ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ.

فَأَجَابَ الْفَضْلُ: قَدْ نَسِمْتُ مَا قَالَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِي، وَقَدْ أَطْلَمْتُ عَلَى  
أَمْرِهِ، وَمَا انْقَلَبَتْ عَنِّي نِعْمَةٌ صَارَتْ إِلَيْهِ، وَلَا عَزَبَتْ<sup>(٤)</sup> عَنِّي رُبَّةٌ طَلَعَتْ عَلَيْهِ.  
فَقَالَ جُفْرٌ: فَهْ أَخِي! مَا أَنْفَسَ نَفْسَهُ، وَأَبَيَّنَ دَلَالَتَ الْفَضْلِ عَلَيْهِ،  
وَأَقْوَى مِثَّةَ الثَّقَلِ فِيهِ، وَأَوْسَعَ فِي الْبَلَاغَةِ ذَرْعَهُ، وَأَرْحَبَ بِهَا جَنَابَهُ. يُوجِبُ  
عَلَى نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ، وَيَحْمِلُ بِكُرْمِهِ فَوْقَ طَاقَتِهِ.

(١) الكركي: طائر يقرب من الوز، أبت الدنْب، رمادي اللون، يأوي  
إلى الماء أحياناً (م) (٢) الأدْحَى: المكان الذي تبيض النعام فيمن الرمل.

(٣) الحِيل: أراده الخيلاء، والحُول - بالتحريك - الحُجْم والعبء والإيْاء (م)

(٤) كَذَا، وعزبت معناه بدت، وأحسبه « غريت » لمقابلته يطلمت (م)

(٦ - زهر الآداب ٢)

نمامة بن أشرس  
وصف جعفر بن يحيى  
وذكر جعفر بن يحيى في مجلس نمامة بن أشرس قال: ما رأيت أحداً  
من خلق الله كان أبسط لساناً، ولا أظن بحجة، ولا أقدر على كلام، بنظم  
بن يحيى حسن، والفاظ عذبة، ومنطق فصيح، ومن جعفر بن يحيى، كان لا يتوقف،  
ولا يشعشع، ولا يعزل كلامه بحشور من الكلام، ولا يميد لفظاً ولا معنى،  
ولا يخرج من فن إلى غيره، حتى يبلغ آخر ما فيه؛ وكان لا يرى شيئاً إلا جكاه،  
ولا يحكي شيئاً إلا كان أكثر منه، ولا يثر بذهنه شيء إلا حفظه، وكان  
إذا شاء أضحك الكل، وأذهل الزاهد، وخشن قلب العابد.

قلت: فكيف كانت معرفته؟ قال: كان من أعلم الناس بالخبر الباهر،  
والشعر النادر، والمثل السائر، والفصاحة التامة، واللسان البسيط.

سهل بن هارون  
وصف يحيى  
وابنه جعفر  
قال سهل بن هارون، وذكر يحيى بن خالد وابنه جعفر، قال: لو كان  
الكلام متصوراً ذراً، ويُلقيه المنطق جَوْهرًا، لكان كلامهما، والمنطق من  
ألفاظهما. ولقد غيّرت معهما، وأدرّكت طبقة التكلمين في أيامهما، وهم يرون  
البلاغة لم تستكمل إلا فيهما، ولم تكن مقصورة إلا عليهما، ولا افتادت  
إلا لهما. وإنيهما للباب الكرم، عتيق منظر، وجودة مخبر، وسهولة لفظ،  
وجزالة منطق، وزاهة نفس، وكال خصال؛ حتى لو فخرت الدنيا بقليل أيامهما،  
والبائور من خصائصها جميع أيام من سواهما من لبدن آدم إلى أن ينفتح في  
الصور، ويثبت أهل القبور. حاشا أنبياء الله الكرام، وسلف عباده الصالحين -  
لما باهت إلا بهما، ولا عوّلت في القفر إلا عليهما، ولقد كانا - مع تهذيب  
أخلاقهما، ومسؤول مَذَاقهما، وسنا إشرَاقهما، وكال الخير فيهما - في محاسن  
الأمور كالنقطة في البحر، والخردل في القفر.

توقيع لجعفر  
ابن يحيى  
ووقع جعفر بن يحيى لرجل اعتذر عنده من ذنب: قد قدمت طاعتك،  
وظهرت نصيحتك، ولا تغلب سيئة حستين.

وَوَقَّعَ - وقد قرأ كتاباً فاستحسن خطه: الخطُ خَيْطُ الحِكْمَةِ، يُنْظَمُ فيه منشورُها، ويفصل فيه شدُّ ورُها.

واختصم رجلان بحضرته، قال لأحدهما: أنت خيلى، وهذا شحى؟ فكلارك يجزى على بَرْدِ العافية، وجوابه يجزى على حَرِّ المصيبة.

بين جعفر بن  
يحيى ومروان  
ابن أبي حفصة

ودخل مروان بن أبي حفصة على جعفر بن يحيى فأنشده:  
أَبْرَفَ فَا تَرَجُّوْا الْجِيَادُ لِحَاقُهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَّاقُ الْأَصَامِمْ جَعْفَرُ  
وزيرٌ إذا ناب الخِلافةَ حَادِثٌ أشار بما عنه الخِلافةَ تَصَدَّرُ  
فقال جعفر: أنشدنى مرثيتك فى مَعْنَى بن زائدة، فأنشده:

أَقَمْنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مَقَامًا مَا تُرِيدُ بِهِ زَوَالَا  
وقلنا: أَيْنَ نَهَبُ بَعْدَ مَعْنَى وقد ذهب النَوَالُ فَلَانَوَالَا؟  
وكان الناسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنَى إلى أن زار حُفْرَةَ - عِيَالَا

حتى فرغ من القصيدة، وجعفر يرسل دموعه على خديه، فقال: هل أتاك على هذه المَرْتِبة أحدٌ من أَهْلِ بَيْتِهِ وولده؟ قال: لا، قال: فلو كان معن حياً، ثم سمعاً منك، كم كان يُثَبِّكُ عليها؟ قال: أربعمائة دينار، قال: فإنَّنا كنَّا نظنُّ أنه لا يَرُفَعُ لَكَ بِذَلِكَ، وقد أنرنا لك عن مَعْنٍ - رحمه الله - بالضعف مما ظننَّته، وزدناك مثل ذلك؛ فأتبض من الخازن ألفاً وستائة دينار قبل أن تخرج، فقال مروان - يذكر جعفرًا وما سمع به عن مَعْنٍ -:

نَفَقَتْ مَكَافِئًا عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فَمَا تَجُودُ بِهِ سِجَالَا  
فمَجَلَّتْ المَطِيَّةُ يَابْنَ يَمْحَى لَنَا دِيَارُهُ وَلَمْ تُرِدِ اللَّطَالَا  
فكافأ عن صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَذَلَتْ نَوَالَا  
بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَمْحَى بِنَاءٌ فِي الْكَارِمِ لَنْ يُنَالَا  
كَانَ الْبَرْمَكِيُّ لِكُلِّ مَالٍ تَجُودُ بِهِ يَدَاهُ يُغْنِيهِ مَالَا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

(١) يغيد هنا: بمعنى يأخذ، لا بمعنى يسطى (م)

أخذ هذا من قول زهير :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا      كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

وهذا البيت زهير من قصيدة يقول فيها :

وَذِي نِعْمَةٍ تَمَتَّتَهَا وَشَكَرْتَهَا      وَخَصِمٌ يَكَادُ يَغْلِبُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ  
دَفَعْتُ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الْحَقِّ صَائِبٍ      إِذَا مَا أَسْأَلُ الْقَائِلِينَ مَفَاصِلُهُ  
وَذِي خَطْلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ      مُصِيبٌ فَمَا يُبْلِغُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ  
عَبَّأْتُ لَهُ حِلْمًا ، وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ      وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَائِلُهُ  
وَأَبْيَضَ قِيَاضُ يَدَاهُ غَمَامَةٌ      عَلَى مُتَقَفٍّ مَا تُفِيقُ نَوَافِلُهُ (١)  
غَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدْوَةً فَرَأَيْتُهُ      قُعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ  
يُقَدِّتُهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَكْتِنُهُ      وَأَعْيَا فَمَا يَذَرِينَ أَيْنَ نَحَابِلُهُ  
فَأَعْرَضَنَ عَنْهُ عَنِ كَرِيمٍ مُرَرًّا      تَجُوجُ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ  
أَخِي ثَقَّةٌ لَا يَذْهَبُ الْخُرُّ مَالَهُ      وَلَكِنَّهُ قَدْ يَذْهَبُ الْمَالُ نَائِلُهُ

من قصيدة  
زهير بن أبي  
سلي

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر ، في معنى أبيات زهير الأولى : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لابن طريق مام مشترك كون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك ، إنما هي العقل والصفة والتدلل والشجاعة ، كان القاصد للتدح بهذه الأربعة مصيبا ، وبماسواها مخطئا ؛ وقد قال زهير :

أَخِي ثَقَّةٌ لَا يُتَيَّافُ الْخُرُّ مَالَهُ      وَلَكِنَّهُ قَدْ يَذْهَبُ الْمَالُ نَائِلُهُ  
فَوْصِفَهُ بِالْغَفَةِ لَقَلَّةِ إِسْمَاعَتِهِ فِي الذَّاتِ ، وَأَنَّهُ لَا يُنْفِدُ فِيهَا مَالَهُ ، وَبِالسَّخَاةِ لِإِهْلَاكِ مَالِهِ فِي النِّوَالِ ، وَانْحِرَافِهِ إِلَى ذَلِكَ عَنِ الذَّاتِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْعَدْلُ ، نَمَّ قَالَ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا      كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

(١) للمتفون : طالبو عطائه ، وما يفتي نوافله : ما تأخر عطائهم (م)

فزاد في وصف السخاء بأنه يَهْتَن ولا يلحقه مَضَن ولا تَكْرُهُ لِفَعْلِهِ  
ثم قال :

فَمَنْ مِثْلُ حُضْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ حَنْيَمٍ أَوْ لِأَنْزِيٍّ مُجَاوِلُهُ  
فَأَنَّى فِي هَذَا الْبَيْتِ بِالْوَصْفِ مِنْ جِهَةِ الشَّجَاعَةِ وَالْعَقْلِ ؛ فَاسْتَوْفَى ضَرْبَ  
الْمَدْحِ الْأَرْبَعَةَ ، الَّتِي هِيَ فُضَائِلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَزَادَ الْوَفَاءَ ، وَإِنْ كَانَ  
دَاخِلًا فِي الْأَرْبَعَةِ ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ وَجْهَ دَخُولِهِ فِيهَا حَيْثُ قَالَ « أَخَى  
ثَمَّة » فَوْصَفَهُ بِالْوَفَاءِ ؛ وَالْوَفَاءُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْفُضَائِلِ الَّتِي قَدْ مَنَّاها .

وَقَدْ يَتَضَنُّ الشُّعْرَاءُ فَيَمْدُونُ أَنْوَاعَ الْفُضَائِلِ الْأَرْبَعِ وَأَقْسَامِهَا ، وَكُلُّ ذَلِكَ  
دَاخِلٌ فِي جَمْعِهَا ؛ مِثْلُ أَنْ يَذْكُرُوا تَقَابُةَ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْحَيَاءَ ، وَالْيَأْنَ ، وَالسِّيَاسَةَ ،  
وَالصَّدْقَ بِالْحَقِّقَةِ ، وَالْعِلْمَ ، وَالْجَلْمَ عَنْ سَفَاهَةِ الْجَهْلَةِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ عَمَّا يَجْزِي  
هَذَا الْمَجْرَى ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَقْلِ . وَكَذَلِكَ كَرَّمَ الْقَنَاعَةَ ، وَقَتْلَ الشَّرِّ ،  
وَطَهَارَةَ الْإِزَارِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ أَقْسَامِ الْعَفَّةِ . وَكَذَلِكَ كَرَّمَ الْحَيَاةَ ، وَالْأَخْذَ  
بِالنَّارِ ، وَالْدَفَاعَ ، وَالتَّكَايَةَ ، وَالْمَهَابَةَ ، وَقَتْلَ الْأَقْرَانِ ، وَالسَّيْرَ فِي الْمَهَامِ  
وَالْقِفَارِ ؛ وَمَا يَشَاكُلُ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الشَّجَاعَةِ ؛ وَكَذَلِكَ كَرَّمَ السَّامَةَ ،  
وَالْتَفَانِ ، وَالْإِنْقِلَامَ ، وَالتَّبَرُّعَ بِالنَّائِلِ ، وَإِجَابَةَ السَّائِلِ ، وَفِرَى الْأَضْيَافِ ؛  
وَمَا جَانَسَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَدْلِ .

فَأَمَّا تَرْكِيبُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَتَحَدَّثَ مِنْهَا سِتَّةُ أَقْسَامٍ : يَحْدُثُ مِنْ تَرْكِيبِ  
الْعَقْلِ مَعَ الشَّجَاعَةِ : الصَّبْرُ عَلَى اللَّمَمَاتِ ، وَنَوَازِلِ الْخَطُوبِ ، وَالْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ . وَعَنْ  
تَرْكِيبِ الْعَقْلِ مَعَ السَّخَاءِ : إِنْجَازُ الْوَعْدِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ مَعَ  
الْعَفَةِ : التَّنَزُّهُ وَالرَّغْبَةُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ ، وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى أَدْنَى مَعِيشَةٍ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ  
تَرْكِيبِ الشَّجَاعَةِ مَعَ السَّخَاءِ : الْإِخْلَافُ ، وَالْإِتْلَافُ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ  
الشَّجَاعَةِ مَعَ الْعَفَةِ : إِنْكَارُ الْقَوَاحِشِ ، وَالنَّيْرَةُ عَلَى الْحَرَمِ . وَمِنْ السَّخَاءِ مَعَ الْعَفَةِ :

الإسماعيل بالقيث، والإيثار على النفس، وما شأ كل ذلك . وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع وسط بين طرفين مذمومين<sup>(١)</sup>

محمد بن مناذر  
في البرامكة

وقد قال أبو جعفر محمد بن مناذر لما حجَّ الرشيد مع البرامكة :

أنا بنو الأملاك من آل برمك  
فيا طيب أخبار، ويا حسن منظر  
لم رحلة في كل عام إلى العدا  
وأخرى إلى البيت القتيق للشهر  
تظلم بندا، ويغفلونا الدجى  
بمكة ما حجبوا ثلاثة أقمير  
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرفت  
بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر  
فما خلقت إلا لجلود أكفهم  
وأقدامهم إلا لأغوار منبر  
إذا راض يحيى الأمر ذلت صباه  
وحسبك من راع له ومدير  
تري الناس إجلالاً له وكأنهم  
غرائيق ماء تحت بازٍ مفرير<sup>(٢)</sup>

[ مثل من التجنيس ]

أبي الفضل  
الميكالي

قطعة من شعر الأمير أبي الفضل الميكالي في طرف اخذ بطرف من التجنيس  
مستطرف في ضروب من النزل ، قال :

لقد راعني بدر الدجى بضدوده  
ووكّل أجناني برغى كواكبه  
فيا جزعى ، مهلاً عساه يعود لي  
ويا كبدى، صبرا على ما كواكبه  
وقال :

مواعيذه في الفضل أحلام نائم  
أشبهها بالقصر أو بسرائر  
فمن لي بوجه لو تحيّر في الدجى  
أخو سفر في ليل غيم سري

(١) راجع الباب السابع من كتاب « الأخلاق عند الغزالي » لتفهم هذا الحديث  
(٢) الغرائيق : جمع غرنوق ، وهو طير مائي أسود ، والبازي : الصقر



وقال :

صَلِّ حَبًّا أَعْيَاهُ وَصَفِّ هَوَاهُ  
كَلِمَا رَاقَهُ سِرَاكَ تَصَدَّقَتْ  
فَمَضَنَاهُ يَنْوِبُ عَنْ تَرْجَاهُ  
مُتَقَلَّنَاهُ بَدَمُهُ تَرْجَاهُ

وقال :

يَا إِذَا الَّذِي أَرْسَلَ مِنْ طَرَفِهِ  
شَفَاهُ نَفْسِي مِنْكَ تَحْمِيشُهُ  
عَلَى سَيْفًا قَدَنِي لَوْ قَرَا  
تَفَرِّسُ فِي خَدِّكَ ثِيْلُو قَرَا

وقال :

يَا مُبْتَلَى بِضَنَاهُ يَرْجُو رَحْمَةً  
[ أَوْصَاكَ سِحْرُ جَفُونِهِ بِتَسْهَدِ  
مِنْ مَالِكَ يَشْفِيهِ مِنْ أَوْصَابِهِ  
وَتَبْلَدُ ، فَقَبِلْتُ مَا أَوْصَى بِهِ ]  
تَخْلُو مَرَارَةً صَبْرِهِ أَوْصَابِهِ  
اصْبِرْ عَلَى مَضْنَى الْهَوَى فَرَبَّمَا

وقال :

كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْتَهْدِي وَصَالًا  
أَلَا لَيْتَ الْجَوَابَ يَكُونُ خَيْرًا  
فَصَلَّى بَوْعْدِي فِي الْجَوَابِ  
فِيَطْفَى مَا أَحَاطَ مِنَ الْجَوَى بِي

وقال :

إِنْ كُنْتَ تَأَنَسُّ بِالْحَبِيبِ وَقُرْبِهِ  
إِنَّ الرَّقِيبَ إِذَا صَبَرْتَ لِحُكْمِهِ  
فَاضْبِرْ عَلَى حُكْمِ الرَّقِيبِ وَدَارِهِ  
بَوَاكَ فِي مَتَوَى الْحَبِيبِ وَدَارِهِ

وقال :

شَكُوتُ إِلَيْهِ مَا لَافِي فَقَالَ لِي :  
فَلَوْ كَانَ حَقًّا مَا ادَّعَيْتَ مِنَ الْهَوَى  
رُؤْيَدًا ، فَنَفَى حُكْمَ الْهَوَى أَنْتَ مُوتَلَى<sup>(١)</sup>  
قُلْ بِمَا تَلْقَى إِذَا أَنْ تَمُوتَ لِي

وقال :

نَوَى لِي بَعْدَ إِكْثَارِ السُّؤَالِ  
فَلَمَّا رُمْتُ إِنْجَازًا لَوْعْدِي  
وَكُنَ الْقُرْبُ مِنْهُ شَفَاءَ نَفْسِي  
حَبِيبٌ أَنْ يُنَاسِحَ بِالْتَّوَالِ  
غَلِيهِ أَبَدُ الْوَفَاءِ بِمَا نَوَى لِي  
قَدْ قَصَّتِ النَّوَابِ الْبِئْسَى لِي

وقال :

سَقِيَا لِهَرِي مَقَى وَالْوَصْلُ يُحْتَمَى  
فَصِيرْتُ إِذْ عَلِمْتُ كَفَى خَبَائِلِكُمْ

وقال :

صَدَفَ الْحَبِيبُ بَوَصْلِهِ  
وَنَثَرَ لَوْلُو أَدْمَعِهِ

وقال :

يَا مَنْ يَقُولُ الشَّرَّ غَيْرَ مُهَذَّبٍ  
لَوْ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ فِيكَ مُسَاعِدِي

وقال :

أَرَادَ أَنْ يُخْفِيَ هَوَاهُ وَقَدْ  
وَكَيْفَ يُخْفِي دَاهَهُ مُدْفَعٌ

وقال :

وَسَهَفَ تَهْفُو بِلِسْبٍ الْمَرْءِ مِنْهُ كَثَائِلُ  
فَالرَّدْفُ دِعْصُ هَائِلُ وَالْقَدُّ غُصْنُ مَائِلُ  
وَالْخَلْدُ نَوْرُ شَقَائِقِ تَنْشَقُّ عَنْهُ خَائِلُ  
وَالْعَرَفُ نَشْرُ حَدَائِقِ تَمَّتْ بِهِنَّ شَمَائِلُ  
وَالطَّرْفُ سَيْفُ مَالِهِ إِلَّا الْعِذَارُ حَمَائِلُ

ولأبي الفتح البسقي في هذا المذهب :

لأبي الفتح  
البسقي

إِن لِي فِي الْمَوَى لِسَانًا كَتُومًا  
غَيْرَ أَنِّي أَخَافُ دَمْعِي عَلَيْهِ  
وَحَنَانًا يُخْفِي حَرِيقَ جَوَاهُ  
سَتْرَاهُ يُفْشِي الَّذِي سَتْرَاهُ

ولأبي الفتح السقي في مذهب هذا البيت الأخير :

نَاطِرَاهُ فِيهَا جَنَى نَاطِرَاهُ      أَوْدَعَانِي أُمْتُ بَمَا أَوْدَعَانِي  
وله :

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِمَرْفِهَا      أُيِّرْتُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ  
وَلِنْ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ      فَسْتَخْسَنُ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ لَيْنِ  
وله :

إِلَى حَتْنِي سَمَى قَدَمِي      أَرَى قَدَمِي أَرَاكَ دَمِي  
فَمَا أَفْكَ مِنْ نَدَمِي      وَلَيْسَ بِنَافِئِي نَدَمِي  
وله :

إِنْ هَرَّ أَفْلَانُهُ يَوْمًا لِيُعْمَلَهَا      أَنْسَاكَ كُلَّ كَمْيٍّ هَرَّ عَامِلُهُ  
وَأِنْ أَقْرَّ عَلَى رَقٍّ أَنَالِيهِ      أَقْرَّ بِالرَّقِّ كِتَابُ الْأَنَامِ لَهُ  
وقال ابن استدعاه إلى مودته :

فَدَيْتَكَ قُلَّ الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ      وَقُلَّ التَّلِيلُ التَّلْفِيُّ الْوَفِيُّ  
وَلِي رَاغِبٌ فَيْكَ إِنَّمَا وَفَيْتَ      فَهَلْ رَاغِبٌ أَنْتَ فِي أَنْ تَفِيَّ  
وللأمير أبي الفضل :

أَهْلًا بَقَلْبِي حَوَاهُ قَصْرُ      كَيْفَ قَدَحَوْتَ نَعِيمًا  
طَرَفْتُهُ لَا أَهَابُ سُوءًا      أَبَا عَيْنِي حَبَّةَ الْحَرِيمِ  
فَجَادَ مَنْ فِيهِ لِي بَرَايُ      تَنْفِيَّ حَرِيقًا بِهِ قَدِيمًا  
أَفْدَى حَرِيقًا أَبَا حَرِيقًا      لَا بَلَّ حَرِيمًا أَبَا حَرِيمًا  
وله :

مَنْ لِي بِشَمْلِ الثَّقَى وَالْأَنْسِ أَجْمَعِ      بِشَادِنِ حَلٍّ فِيهِ الْحَسَنِ أَجْمَعِ

ما زال يُعرضُ عن وصلي وأُخذَهُ  
فَالآنَ قد لَانَ بعد الصدِّ أُخِذَهُ (١)  
وقال :

بأبي غَزَلٍ نَامَ عَنْ وَصِي بِهِ      وَرَاقِي دَمْعِي لِلنَّوَى وَصَبِيهِ  
يَالَيْتَ بِهِ يَرْتِي عَلَى وَلَعِي بِهِ      لَنَرَامَ قَلْبِي فِي الْمَوَى وَلِهِيهِ  
وله في هذا الباب من غير هذا النمط يصف غلاماً مخموراً خشن وجهه :  
هَبْهُ تَغَيَّرَ حَائِلًا عَنْ عَهْدِهِ      وَرَمَى فُؤَادِي بِالصَّدُودِ فَأَزْعَجَا  
مَا بَالُ تَرْجِيهِ تَحُولَ وَرْدَةٍ      وَالْوَرْدُ فِي خَدَيْهِ عَادَ بِنَفْسَجَا  
وله في هذا المعنى :

وَرَمَيْ عَلَى الشُّكْرِ خَمَشْتُهُ      بَقَرَصٍ بِمَارِضِهِ أَثَرَا  
فَأَصْبَحَ تَرْجِيهِ وَرْدَةٍ      وَوَرْدَةُ خَدَيْهِ نَيْلُوفَرَا  
وقال في وصف العذار :

غَلَّقِي كَسَا رَأْسِ الشَّهَابِ بِمَارِضٍ      نَمَّ الْعِذَارُ بِحَافَتَيْهِ فَلَاخَا  
فَكُنَّا أَهْدَى لِمَارِضٍ خَبْدَةٍ      شَعْرَى غَلَامًا وَاسْتَعَاضَ صَبَا جَا  
وقال في غلام اقتصد :

وَمُهْنَفٍ غَرَسَ الْجَا      لُ بَحْدَهُ رَوْضًا مَرِيحَا  
فَصَدَّ الطَّيِّبُ ذِرَاعَهُ      لِحْجَرِي لَهُ دَمْعِي ذَرِيحَا  
وَأَمْسَى وَقَعَ الْحَدِيدُ بِعِرْقِهِ أَلْمَا وَجِيحَا  
فَأَرَيْتَهُ مِنْ عَابِرِي      مَا سَالَ مِنْ دَمِهِ نَحِيحَا

فَقَرُّ فِي ذِكْرِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ

العلماء ورثة الأنبياء . والعلماء أعلام الإسلام . العلماء في الأرض كالنجوم  
في السماء .

(١) الأخدع : عرق ، وهو شعبة من الوريد

ابن المعتز - العلماء غرياء ، لكثرة الجهل . وله : العلمُ جالٌ لا يُخفى ، ونسب لا يُخفى . وله : زلزلة العالم كانبكسار سفينة تفرق ويفرق معها خلق كثير .

غيره - إذا زلزل العالم ، زلزلته عالم . غيره : الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك . من لم يحتل ذلك التلم ساعة ، بقى في ذل الجهل أبداً . ماصين العلم بمثل بذله لأهله . من كتم علماً فكأنه جاهله .

العلم يمنع أهله \* أن يمتوه أهله<sup>(١)</sup>

أبو الفتح كشاجم :

لا تمنع العلم امرأة والعلم يمنع جانباً  
أما النقي فليس يفهم لطقه وغرائبه  
وتكون حاضرة القوا تده عنده كالتائه  
وأخو الحصافة مستحق أن ينال مطالبه  
فبحقه أعطيه من فضل علمك واجبه

ومن رق وجهه عند السؤال ، رق علمه عند الرجال . علم بلا عمل ، كشجرة بلا ثمر . كما لا ينبت المطر الكثير الصخر ، كذلك لا ينفع البليد كثرة التعلم . من ترفع بعلمه وضعه الله بعلمه . الجاهل صغير وإن كان كبيراً ، والعالم كبير وإن كان صغيراً . من أكثر مذاكرة العلماء ، لم ينس ما علم ، واستفاد ما لم يعلم . ابن المعتز : للتواضع في طلاب العلم أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء . إذا علت فلا تذكرك من دونك من الجهال ، وإذا كرك من فوقك من العلماء . النار لا ينقصها ما أخذ منها ، ولكن ينقصها ألا تجدد حطباً ، كذلك العلم لا يفتنيه الاقباس منه ، وقد الحاملين له سبب عدمه .

(١) هذا بيت من الشعر يروي أن الشافعي كتب به إلى محمد بن الحسن الشيباني ، وكان قد استعار منه كتاباً فتأخر عن إعارته ، وقبله قوله :  
قل لمن لم تر عين من رآه مثله (م)

مات خَزَنَةُ الْأُمُوالِ وَهمُ الْأَحْيَاءِ ، وَعاشِ خَزَنُ الْعِلْمِ وَهمُ أَمْوَاتٍ . مَثَلُ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ  
كَكَزْزٍ لَا يَنْفَقُ مِنْهُ . أَرَاهُ النَّاسَ فِي عَالَمٍ جَبَرَاتِهِ .

وَقِيلَ لِلصَّالِحِ بْنِ عَطَاءٍ ، وَكَانَ مَقْدَمًا عِنْدَ الْبِرَامِكَةِ : كَيْفَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ وَعِنْدَهُمْ  
مَنْ هُوَ أَدَبُ مَنْكَ ؟ قَالَ : لَيْسَ لِلْقُرْبَاءِ طَرَفَةٌ الْقُرْبَاءِ ، وَكُنْتُ أَمْرًا بَعِيدَ الدَّارِ ،  
نَائِي الزَّمَانِ ، غَرِيبَ الْأَمَمِ ، قَلِيلَ الْجُرْمِ ، كَثِيرَ الْإِتْوَاءِ ، شَحِيحًا بِالْإِمْلَاءِ ؛  
فَرَغِبُهمُ فِي رَغْبَتِي عَنْهُمْ ، وَزَهَّدَنِي فِيهِمْ رَغْبَتُهُمْ فِيَّ .

عِلْمٌ لَا يَتَغَيَّرُ نَمَكُ الْوَادِي ، لَا يَمُرُّ بِكَ الْوَادِي . لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ لَسَقَطَ  
الْاِخْتِلَافُ . إِذَا اِزْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ . الْفُلُطُ تَحْتَ اللَّفْطِ . خَرَقُ الْإِجْمَاعِ  
خُرْقٌ . الْحُجُوجُ بِكُلِّ شَيْءٍ نَسْطَقُ

استمارات فتوية تليق بهذا المكان

بين أبي تمام      دخل أبو تمام الطائي على أحمد بن أبي دؤاد في مجلس حكمه ، وأُنشده أبياتاً  
وابن أبي دؤاد      يستمطر نائله ، وينشر فضائله ، فقال : سيأتيك ثوابها يا أبا تمام ، ثم اشتغل  
بتوقيعات في يده ؛ فأحفظ ذلك أبا تمام ، فقال : أخضر أيدك الله فإنك غائب ،  
واجتمع فإنك مفترق ، ثم أنشده :

إِنْ خَرَامًا قَبُولٌ مِدْحَتِنَا      وَتَرْكٌ مَا نَرْجِي مِنَ الصَّدَقِ  
كَمَا الدَّنَانِيرُ وَالْدِرَاهِمُ فِي الصَّرْفِ حَرَامٌ      إِلَّا يَدَا يَتَدَرِ  
فَأَمْرٌ بِتَوْفِيرِ حَيَاتِهِ ، وَتَعَجِيلِ عَطَائِهِ .

بين طاهر بن      ولما ولي طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان دخل الشعراء يهشونهُ ، وفيهِمْ  
عبد الله وابن      تمام بن أبي تمام فأنشده :  
في تمام

هَذَاكَ رَبُّ النَّاسِ هُنَاكَ      مَأْمَنُ جَزِيلِ الْمَلِكِ اعْطَاكَ  
قَرَّتْ بِمَا أُعْطِيَ إِذَا الْحِجَى      وَالْبَاسِ وَالْإِنَّمَاءِ عَيْنَاكَ  
أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِمَا نَلَّتْهُ      وَأَوْرَقَتِ الْعُودُ بِجَدْوَاكَ

فَلتَضَعُفُ الْجَمَاعَةُ شَعْرَهُ ، وَقَالُوا : يَا بَعْدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آيِهِ ؛ فَقَالَ طَاهِرُ

بعض الشعراء : أحبه ، فقال :

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا      إن الذي أمّلتَ لخطاكا

قلّت قولاً فيه ما زانهُ      ولو رأى مدحاً لآساكا

فهاك إن شئتَ بها مدحةً      مثل الذي أعطيتَ أعطاك

فقال تمام : أعز الله الأمير ، وإن الشعرَ بالشعرِ ربّاً ، فاجعل بينهما صنجا  
من الدرهم ، حتى يحل لي ولك ! فضحك وقال : إلا يكن معه شعرُ أبيه ، فعه  
يُطرف أبيه ؛ أعطوه ثلاثة آلاف درهم ! فقال عبد الله بن إسحاق : لو<sup>(١)</sup> لم يعط  
إلا لقول أبيه في الأمير أبي العباس - رحمه الله - يريد عبد الله بن طاهر :  
يقولُ في قَوْمِ صَخِيٍّ وقد أخذتُ      منّا السَّرى وخَطَأَ المَهْرِيَّةِ القُودِ :  
أُطلع الشمسَ تبني أن تَوُثِّمَ بنا ؟      قلّت : كلا ، ولكن مطلعَ الجودِ  
فقال : ويعطى بهذا ثلاثة آلاف .

[ ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان ، وسببها ]

وكان سببُ ولاية طاهر خراسان بعد أبيه ما حدث به أبو العيناء قال :

كنا عند أحمد بن أبي دواد ، فجاء الخبر أن الكتبَ وردت على الواثق من خراسان  
ب وفاة عبد الله بن طاهر ، وأن الواثق يُعزّي عنه ، وأنه قد ولي مكانه خراسان إسحاق  
ابن إبراهيم ، وكان عدواً له لانحراظه في سبكِ ابن الزيات ؛ فلبس ثيابه ومضى ،  
وقال : لا تبرحوا حتى أعود إليكم ؛ فلبث قليلاً ، ثم عاد إلينا فحدثنا أنه دخل على  
الواثق فزّاه عن عبد الله وجلس ، قال : فقال لي الواثق : قد ولينا إسحاق  
خراسان ، فما عندك ؟ قلت : وفق الله أمير المؤمنين ولا نذمه . قال : قل ما عندك  
في هذا . قلت : أمرٌ قد أمضى ، فما عيت أن أقول فيه . قال : لتفعلن . قلت :  
يا أمير المؤمنين ، خراسان منذ ثلاثين سنة في يد طاهر وابنه ، وكلٌّ من بها  
صنائعهم ، وقد خلفَ عبد الله عشرَ بنين أكرمَ رجال ، وجميعُ جيش خراسان  
(١) جواب لو هذه محذوف ، وتقدير الكلام : لو لم يعط إلا لقول أبيه لكان ذلك صائفاً (م)

لم عبيدٌ أَمْوَالٍ أَوْصَنَّاكَ ، وسيقولون : أما كان فينا مُصْطَنَعٌ ؟ وكان يجب أن  
يُجَرَّبَنَا أميرُ المؤمنين ، فإنَّ وَفَيْنَا بما كان بَنَى به أبونا وجَدْنَا ، وإلا استبدل منا  
بعد عَذْرَ فينا ؛ ويقدم خراسانَ إسحاقُ وهو رجل غريب فينافه هؤلاء ،  
ويتعصب أهلها لهم ؛ فينتقض ما أُبْرِمَ ، وبفسد ما أُصلح  
قال : صدقت يا أبا عبد الله ، والرأى ما قلت ، اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله  
على خراسان . فكُتِبَ كُتْبُ طاهر ، وَخَرِقَتْ كُتُبُ إسحاق ، فخرجت الزنج  
تطيرُ بها ، ثم لقيني إسحاقُ داخلا ، قلت : يا أبا الحسن ، لا عدمت عداوةَ رجلٍ  
أزال عنك ولايةَ خراسان بكلمة .

\*\*\*

بين ابن الرومي وابن ثوبان  
ومدح ابن الرومي أبا العباس بن ثوبان ، فعارضه أخوه أبو الحسن بقصيدة  
يمدح أخاه بها ، فقال ابن الرومي :  
أَلَيْسَ الْقَوَافِي بَنَاتِ الْفَقَى إِذَا صَوْرَةُ الْحَقِّ لَمْ تُسَخَّرْ  
فَلَا تَقْبَلَنَّ أَمَانِيَّ حَرَامُ نِكَاحُ بَنَاتِ الْأَخْرِ  
ولما أنشد أبو تمام قصيدته في العتصم : \* السيف أصدق أنباء من الكتب \*  
قال له : لقد جَلَوْتَ عروسك يا أبا تمام فأحسنت جلاءها . قال : يا أمير المؤمنين ،  
والله لو كانت من الخور العين لكان حُسْنُ إِصْفَانِكَ إِلَيْهَا مِنْ أَوْفَى مَهْوَرِهَا .

لأبي الفضل  
أقول لشادن في الحسن أضحى يصيد بلحظه قلب الكمي  
ملك الحسن أجمع في قوام فاذ زكاة منظر التبعي  
وذلك أن تجود لستهم بريق من مقبلك الشهي  
قال : أبو حنيفة لي إمام فنسدي لا زكاة على الصبي

وربما أنشد هذه الأبيات على قافية أخرى قال :

أقول لشادن في الحسن فرد يصيد بلحظه قلب الجليد



ملكت الحسن أجمع في قوام  
وذلك أن تجود لستهم  
فقال : أبو حنيفة لي إمام  
وقال :

بنفسى غزال صار للحسن قبله  
دعاني الموى فيه فلبيت طائفا  
فطرفى بالتسبيد والدنعر قارن  
وقال أبو الفتح كشاجم :

لأبي الفتح  
كشاجم

فدبت زائرة في العيد واصلة  
فلمزل خذها ركننا أطوف به  
وينضاف إلى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان إلى أبي  
نصر بن المرزبان :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وأنا سالم ، والحمد لله رب العالمين ، كيف تقلب لبديع الزمان  
الشيخ في درع العافية ، وأحواله تلك الناحية ؛ فإني بيمده منقص شريعة العيش ،  
مقصود أجنحة الأنس . ورد كتابه للمشتل من خبر سلامته ، على ما أرغب إلى  
الله في إدامته ، وسكنت إليه بعد انزعاجي لتأخره ؛ وقد كان رسم أن أعرفه  
سبب خروجي من جرجان ، ووقوعي بخراسان ، وسبب غضب السلطان ؛ وقد  
كانت القصة أتي لما وردت من ذلك السلطان حضرته ، التي هي كعبة المحتاج ،  
لاكعبة الحاج ، ومستقر الكرم ، لامشعر الحرم ، وقبلة الصلوات ، لا قبلة  
الصلاة ، ومنى الضيف ، لا منى الخيف ، وجدت بها ندماء من نبات العام <sup>(١)</sup> ، اجتماع

(١) من نبات العام : يريد أنهم حديثو العهد

قيضة كلب<sup>(١)</sup> على تلقيق خطب ، أزعجني عن ذلك القناء ، وأشرف بي على القناء ، لولا ما تدارك الله بحسب صنعه ، وحسن دمه ؛ ولا أعلم كيف احتالوا ، ولا ما الذي قالوا ؛ وبالجملة غيروا رأى السلطان ، وأشار على إخواني ، بمفارقة مكاني ، وبقيت لا أعلم أئمة أضرب أم شامة ، ونجدنا أقصد أم تهامة !

ولو كنت في سبلى أجا وشعائرها لكان لي حجاج على دليل

وقد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماه إذا تقيم لم يرجح صخوه ، وماله إذا تغير لم يشرب صفوه ، ومالك إذا سخط لم ينتظر عفوه ، وليس بين رضا والسخط عوجبة ، كما ليس بين غضبه والسيف قرحة ، وليس من وراء سخطه مجاز ، كما ليس بين الحياة والموت منه حجاز ؛ فهو سيد يفضيه الجرم اتلوي ، ولا يرضيه المذر الجلي ؛ وتكتفيه الجناية وهي إرجاف ، ثم لا تشفيه العقوبة وهي إجحاف ، حتى إنه ليرى الذنب وهو أضيّق من ظل الرمح ، ويفسى عن المذر وهو أبين من عمود الضئيع ؛ وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ، ويحجب عن هذه المذر وله برهان ؛ وذو يدين يبسط إحداهما إلى السفك والسفح ، ويقبض الأخرى عن العفو والصفح ؛ وذو عينين يفتح إحداهما إلى الجرم ، ويقبض الأخرى عن الحلم ، فزحه بين القدّ والقطع ، وجده بين السيّف والتّقطّع ، ومراده بين الظهور والكون ، وأمره بين الكاف والنون ؛ ثم لا يعرف من العقاب ، غير ضرب الرقاب ، ولا يهتدي من التأنيب إلا لإزالة النعم ، ولا يعلم من التأديب غير لإراقة الدم ، ولا يحتمل الهنة على حجم النّرة ، ودقة التمرة ، ولا يحمل عن الهفوة ، كوزن الهبوة ، ولا يفضي عن السقطة ، كجرم النقطة ؛ ثم إن النعم بين لفظه وقلبه ، والأرض تحت يده وقسده ، لا يلقاه الولي إلا بفقه ، ولا المدو إلا بدمه ، والأرواح بين حبسه وإطلاقه ، كما أن الأجسام بين حله ووثاقه ؛ فنظرت فإذا أنا بين

(١) قيضة كلب: القيضة بالكسر هي العظم، والمراد تحقيرهم بوصفهم عظام الكلب

جُودَيْن : إِمَّا أَنْ أُجُودَ بِيَأْمِي ، وَإِمَّا أَنْ أُجُودَ بِرَأْسِي ؛ وَبَيْنَ رُكُوبَيْن : إِمَّا  
 الْمَغَازَةَ ، وَإِمَّا لِحَنَازَةَ ؛ وَبَيْنَ طَرِيقَيْن : إِمَّا الْقُرْبَةَ ، وَإِمَّا الْقَرَبَةَ ؛ وَبَيْنَ فِرَاقَيْن : إِمَّا  
 أَنْ أَفَارِقَ أَرْضِي ، أَوْ أَفَارِقَ عَرْضِي ؛ وَبَيْنَ رَاحِلَتَيْن : إِمَّا ظَهْرَ الْجَلَالِ ، وَإِمَّا  
 أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ؛ فَاحْتَرْتُ السَّاحَ بِالْوَطَنِ ، عَلَى السَّاحِ بِالْبَدَنِ ؛ وَأَنْشَدْتُ :  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِلْنِّيَةِ مَرْكَبٌ فَلَا رَأْيَ لِلْمَحْمُولِ إِلَّا رُكُوبُهَا  
 وَلَدَّ مَا ذَكَرَ مِنْ « كَمْبَةِ [الْمُحْتَاجِ] ، لَا كَمْبَةَ [الْمُحْتَاجِ] » ، مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامَ :  
 بَيَّتَانِ حَجَّهُمَا الْأَنَامُ ؛ فَهَذِهِ حُجُّ الْغَنِيِّ ، وَتِلْكَ كَمْبَةُ الْمُتَعَدِّمِ  
 [ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ وَشَيْءٌ مِنْ أَدَبِهِ ]

وَشَتَمَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَضْلَ بْنَ جَعْفَرِ الْبَصِيرِ ، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَاللَّهِ  
 مَا نَعَمِيًّا عَنْ جَوَابِكَ ، وَلَا نَعْمَجِرُ عَنْ مَسَابِكِكَ ؛ وَلَكِنَّا نَكُونُ خَيْرًا لِنَسَبِكَ مِنْكَ ، وَأَبَى عَلَى الْبَصِيرِ  
 وَنَحْفَظُ مِنْهُ مَا أَصْنَتَ ؛ فَاشْكُرْ تَوْفِيرَنَا مَا وَقَرْنَا مِنْكَ ، وَلَا يُفَرِّتْكَ بِالْجَلِّ عَلَيْنَا  
 حِلْفُنَا عَنْكَ .

وَسَأَلَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ بَعْضَ الرُّسَاءِ حَاجَةً وَلَقِيَهُ ؛ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ تَأَخُّرِهَا ؛ بَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ  
 فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : فِي شُكْرٍ مَاتَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِكَ شَاغِلٌ مِنْ اسْتِبْطَاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ . وَبَعْضُ الرُّسَاءِ  
 وَأَبُو عَلِيٍّ أَحَدُ مَنْ جَمَعَ لَهُ حُظُّ الْبَلَاغَةِ فِي الْمَوْزُونِ وَالْمُنْشُورِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :  
 أَلَمْتُ بِنَا يَوْمَ الرِّحِيلِ اخْتِلَاسَةً فَأَضْرَمَ نِيرَانَ الْهَوَى النَّظَرُ الْخَلْسُ  
 تَابَتْ قَلْبِي لَا وَهَى تُرْعِدُ خِيفَةً كَمَا تَنَاقَى حِينَ تَمْتَدُّ الشَّمْسُ  
 لِحَاظُهَا صَنَعْتُ بِمَا أَنَا مُضْمِرٌ وَأَنْبَسْتُ حَقِّي لَيْسَ يُسْتَعَى لِي حِسٌّ  
 وَوَلَّتْ كَمَا وَلَّى الشَّبَابُ لِعِطِيَّةٍ طَوَّتْ دُونَهَا كَشْحًا عَلَى يَأْمِهَا النَّفْسُ  
 وَقَالَ يَصِفُ بِلَاغَةً الْفَتْحَ بْنَ خَافَانَ وَشِعْرَهُ :

تَمِيمُنَا بِأَشْجَارِ الْمُلُوكِ ؛ فَكُلُّهَا إِذَا عَصَ مَتْنِيهِ الثَّقَافُ تَأَوَّدَا  
 سِوَى مَا رَأَيْنَا لِامْرِئِ الْقَيْسِ ؛ إِنَّا نَرَاهُ - مَتَى لَمْ يَشْرُ الْفَتْحُ - أَوْحَدَا

أقام زماناً يَسْمَعُ القولَ صامتاً ونحسبه إن رام أ كُدَى وأصلدا  
[فلما امتطاه راكباً ذلَّ صعبه وسار فأضحى قد أغار وأنجداً]

والفتح بن خاقان يقول :

من شعر  
الفتح بن خاقان  
كتاب إلى  
عبيد الله بن يحيى

وإني وإياها لكانتُمر، والفتي متى يَسَطِّعُ منها الزيادة يَزِدُّ  
إذا ازْدَدْتُ منها زاد وَجْدِي بِقُرْبِهَا فكيف احتراسي مِنْ هَوَى متجددٍ  
وكتب إلى أبي الحسن عبيد الله بن يحيى : وإن أمير المؤمنين لما استخلصك  
نفسه، واثبتك على رعيته؛ فطلق بلسانك، وأخذ وأعطى يديك، وأورد  
وأصدر عن أريك، وكان تفويضه إليك بعد امتحانهِ إليك، وتسليطه الحق على  
الموى بك، وبعد أن مثل بينك وبين الذين سموا لمرَّتبتك، وجروا إلى غايتك،  
فأسقطهم مضاًؤك، وخفوا في ميزانك، ولم يزدك - أكرمك الله - رمة وتشريفاً  
إلا أزددت له هبةً وتعظيماً، ولا تسليطاً وتمكيناً، إلا زدت نفسك عن الدنيا  
عزوفاً وتنزهاً، ولا تقريباً واختصاصاً، إلا أزددت بالعامَّة رافةً وعليها حدباً،  
لا يخرجك فرطُ النصح له عن النظر لرعيته، ولا إيثارُ حقه عن الأخذ بحقها  
عنده، ولا القيام بما هو له عن تضمين ما هو عليه، ولا يشغلك مُعَاناة كِبَار  
الأمر عن تفقد صغارها، ولا الجُدُّ في صلاح ما يصلحُ منها عن النظر في عواقبها؛  
تمضي ما كان الرشدُ في إمضائه، وتزجي ما كان الحزمُ في إرجائه، وتبذل  
ما كان الفضلُ في بذله، وتمنع ما كانت المصلحةُ في منعه، وتلين في غير  
تكبر، وتمحص في خير ميل، وتعم في غير تصنع، لا يشق بك الحق وإن كان  
عدواً، ولا يسهلُ بك المبطل وإن كان ولياً؛ فالسلطان يعتدُّ لك من الفناء  
والسكافية، والذَّباب والحياطة، والنصح والأمانة، والعفة والبراهة، والنصب فيما  
أدَّى إلى الراحة، بما يراك معه - حيث انتهى إحسانه إليك - مستوجبا للزيادة،  
وكافة الرعية - إلا من غمطَ منهم النعمة - مثنونٌ عليك بخُسن السيرة، ويؤمن  
النقية، ويعُدُّون من آثرِكَ أنك لم تُدَحِّصْ لأحدٍ حُجَّةً؛ ولم تدفع حقاً

لشبهة ؛ وهذا يسيرٌ من كثير ، لو قصدنا لتفضيله ، لأنَّ قَدْرَنا الزمان قبل تحصيله ، ثم كان قَدْرُنا الوقوف دون الغاية منه

وله إلى عبيد الله بن يحيى : يقطعني عن الأخذ بمخطئي من لقائك ، وتعريفك كتاب آخر إلى ما أنا عليه عن شكر إمامك ، وإفرادي إياك بالتأمل دون غيرك ، غلظي عن منزلة الخاصة ، ورغبتي عن الحلول محل العامة ، وأنى لستُ معتاداً للخدمة ولا للالزمة ، ولا قوياً على المفاداة والمرآحة ؛ فلا يمتنع ارتفاع قدرك ، وعلو أمرك ، وما تعانيه من جلائل الأحوال الشاغلة ، من أن تتطول بتجديد ذكرى ، والإصغاء إلى من يحضك على وصلّى ويرى ، ويرغبك في إسداء حُسن الصنيعة عندي .

وله إليه آخر فصلٍ من كتاب : وأنا أسأل الله أننى رَحِمَ العباد بك ، على حين افتقارٍ منهم إليك ، أن يُعيدهم من قَدْرِكَ ، ولا يُعيدهم إلى الكاره التى استنقذتهم منها بيدك .

[ بعض ما يميث على الرحيل ]

ولنى رجلٌ رجلاً خارجاً من مصر يريد المغرب ، فقال : يا أخى ؛ أتتبع القطر ، وتدع بحرئى السيول ؟ فقال : أخرجنى من مصر حقّ مضاع ، وشحّ مطاع ، وإتقار البكرىم ، وحركة اللثيم ، وتغير الصديق ، بين السعة والضيق ، والهرب إلى النزر بالمر ، خيرٌ من طلب الوفر بذلّ المعجز .

[ من الوصايا لمن اعتزم السفر ]

وأوصى بعض الحكماء صديقاً له ، وقد أراد سفرأ ، فقال : إنك تدخلُ بلدأ لا يعرفك أهله ؛ فتمسك بوصيتى تنفق بها فيه : عليك بحسن الشائل قَلْبَها تدلُّ على الحرية ؛ ونقاء الأطراف فإنها تشهد بالملوكية ؛ ونظافة البرة فإنها تنبئ عن النشء فى النعمة ؛ وطيب الرائحة فإنها تظهر الرومة ، والأدب الجليل فإنه يكسب المحبة . وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون قَلْلك ، ولباسك دون

قَدْرِكَ ، والزَّم الحَيَاءَ وَالْإِفْهَةَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَحْيَيْتَ مِنَ النِّضَاضَةِ اجْتَنَبْتَ الْخِطَاسَةَ ، وَإِنْ أَفْنَيْتَ عَنِ الثَّلْبَةِ ، لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يُوصي آخرَ أراد سَفْراً ؛ قال : آخرُ بعملك معادَكَ ، ولا تَدْعَ لِسَهْوَتِكَ رِشَادَكَ ، وليَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرَكَ الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْمَدَى ، وَيَجَنِّبُكَ مِنَ الرَّدَى ، وَاخْبِسْ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَأَطْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ؛ فَإِنَّكَ تَبْرُ بِذَلِكَ سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ بِهِ شَرْفَكَ .

وأوصت أعرابية ابنتها في سفر ، فقالت : يا بني ؛ إِنَّكَ تَجَاوِزُ الْغُرَبَاءَ ، وَتَرْتَحِلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ ، وَلَسَلَّكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ الْأَعْدَاءِ ؛ فَخَالِطِ النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبَشْرِ ، وَأَتَّقِ اللَّهَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ .

وقال بعضُ الملوك لحكيم وقد أراد سَفْراً : رَفَضِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْ حِكْمَتِكَ أَتَعْمَلُ بِهَا فِي سَفَرِي ؛ قال :

اجْعَلْ تَأْنِيكَ أَمَامَ عَجَلَتِكَ ، وَحِلْمَكَ رَسُولَ شِدَّتِكَ ، وَغَفْوَكَ مَالِكَ قَدْرَتِكَ ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ ، مَا لَمْ تُخْرِجْهُمْ بِالشَّدَةِ عَلَيْهِمْ ، أَوْ تُنْظِرْهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .

وقال أبان بن تغلب : شهدت أعرابيةً تُوصي ولداً لها أراد سَفْراً وهي تقول : أَيْ بَنِي ! اجْلِسْ أَمْنَحُكَ وَصِيَّتِي ، وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، قال أبان : فَوَقَفْتُ مُسْتَمِعاً لِكَلَامِهَا ، مُسْتَحْسَناً لَوْصِيَّتِهَا ، فَإِذَا هِيَ تَقُولُ : أَيْ بَنِي ! إِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ ، فَإِنَّهَا تَزَرِّعُ الضَّيْفَةَ ، وَتَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَبِيبِينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعَيُوبِ فَتَتَخَذُ غَرَضاً ، وَخَلِيقُ الْأَيِّ تُبْثِّبُ الْقَرَضَ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ ؛ وَقَلَمًا اعْتَوَرَتِ السَّهَامُ غَرَضاً إِلَّا كَلَمَتَهُ ، حَتَّى يَهَيَّيَ مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالْبَخْلَ بِمَالِكَ ؛ وَإِذَا هَزَزْتَ فَأَهْزَزَ كَرِيمًا يَلِينُ لِمَهْزَتِكَ ؛ وَلَا تَهْزُرُ اللَّثِيمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَنْصَجِرُ مَاؤُهَا ، وَمِثْلُ بِنَفْسِكَ مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَبْغَتْ مِنْ غَيْرِكَ فَاجْتَنِبْهُ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى غَيْبَ نَفْسِهِ ؛ وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بَشَرَهُ ، وَخَالَفَتْ مِنْهُ ذَلِكَ فَضْلُهُ ، كَانَ حَصْدِيْقَهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا .

ثم أمسكت ، فدنوتُ منها ، هُلتُ لها : بالله يا أعرابية ، إلا ما زِدته في الوصية ؛ قالت : أو قد أعجبتك كلامُ العرب يا حَصْرَى ؟ قلت : نعم ! قالت : القَدْرُ أقيح ما تعاملَ به الناسُ بينهم ، ومنَ جمعِ الحِلْمِ والسخاءِ هُدا أجادَ الحِكْمَةَ رَبَّطَها ومِرَّ بها .

### فقر في مدح السفر

أبو القاسم بن عباد صاحب : الخبر المقول أن المقبوض غريباً شهيد .  
وفي الحديث : سافروا تَفْتَمُوا . السفرُ أحدُ أسبابِ العيشِ التي بها قوامه ، وعليها نِظامه . إنَّ اللهَ لم يَجْمَعْ منافعَ الدنيا في الأرضِ ؛ بل فرَّقها وأحوجَ بعضها إلى بعض . المسافرُ يسمعُ العجائبَ ، ويَكسِبُ التجاربَ ، ويَجْلِبُ المكاسبَ .  
الأسفارُ مما تزيِّدك علماً بقدرةِ الله وحِكمته ، وتدعوكَ إلى شكرِ نعمته . ليس بينك وبين بلدٍ نَسَبٌ ؛ لغيرِ البلادِ ما حلك . السفرُ يُنْفِرُ عن أخلاقِ الرجالِ .  
أَوْحِشُ أَهْلِكَ إذا كان في إِمَاحِشِهِمْ أَنْسُكَ ، واهْجُرْ وَطَنَكَ إذا نَبَتَ عنه نَفْسُكَ .  
ربما أسفرَ السفرَ عن الظَّفَرِ ، وتعدَّرَ في الوطنِ قضاءَ الوَطَرِ ، وأنشد :  
ليس ارتحالُكَ تَرْتَادُ الفَيْ سَفْراً      بَلِ الْقَامُ عَلَى خَسْفٍ هُوَ السَفْرُ  
وهذا كقول الطائي :

وما التَفَرُّ بِالْبَيْدِ الْفُضَاءِ ،      بَلَى الَّتِي نَبَتَ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا هِيَ الْقَفْرُ  
أخذه للتنبيه فقال :

إذا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدَّرُوا      أَلَا تُفَارِقَهُمْ فَالْوَاحِلُونَ هُمُ

### نقيض ذلك في ذم السفر والفرقة

في الحديث إنَّ المسافرَ وماله لَتَلَى ، قلت : إلا ما وَقَى الله ، أى على هلاك .  
شيئان لا يعرفهما إلا من ابتلى بهما : السفرُ الشاسع ، والبناءُ الواسع . السفرُ والسَّعْيُ والقتالُ ثلاثٌ متقاربة ؛ فالسفرُ سفينةُ الأذى ، والسَّعْيُ حريقُ الجسدِ ،

وَالْقِتَالُ تَنْتَبِهُ لِلنَّيَا . إِذَا كُنْتَ فِي غَيْرِ يَدِكَ فَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدَّلِّ . الْغُرْبَةُ كَرْبَةٌ . النَّفْلَةُ مَثَلَةٌ . الْغُرْبُ كَالْفَرَسِ الَّذِي زَابِلُ أَرْضِهِ ، وَقَدْ شَرِبَتْهُ ؛ فَهُوَ ذَاوٍ لَا يَنْتَبِهُ ، وَذَاوٍ لَا يَنْفِرُ . الْغُرْبُ كَالْوَحْشِ النَّائِي عَنْ وَطْنِهِ ؛ فَهُوَ لِكُلِّ سَبْعٍ فَرَسَةٍ ، وَلِكُلِّ رَايٍ رَسِيَّةٍ ؛ وَأَنْشُدْ :

قُرْبُ الدَّارِ فِي الْإِقْتَارِ خَيْرٌ مِنْ الْعَيْشِ الْمَوْسَعِ فِي الْغُرْبِ  
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

لَا يَعْلَمُ الْمَرْءُ شَيْئًا بِسَبْعِينَ بِهْ وَمِنْهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ وَأَهْبَابِهِ  
وَمَنْ نَأَى عَنْهُمْ قَلَّتْ مَهَابَتُهُ كَالَيْثٍ مَحْمُورٍ لَمَّا غَابَ عَنْ غَابِهِ

[ الْعَزْلُ وَالْإِبَادُ وَالْحُجْبُ بَعْدَ التَّقَرُّبِ وَالْمُؤَانَسَةِ ]

كُتِبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمُهْدِيِّ بَعْدَ عَزْلِهِ إِيَّاهُ عَنِ النَّوَافِرِينَ : لَمْ يُنْكَرْ أَمِيرُ  
لِلْمُؤْمِنِينَ حَالِي فِي قُرْبِ الْمُؤَانَسَةِ وَخُصُوصِ الْخُلُوعَةِ ، وَحَالِي عِنْدَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي قِيَامِي  
بِوَأَجِبِ خِدْمَتِهِ ، الَّتِي أَذْنَقَنِي مِنْ نِعْمَتِهِ ، فَلَمْ أَبْدَلْ - أَعَزَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -  
حَالَ التَّبْعِيدِ ، وَيَقْرَبُ فِي حِلِّ الْإِقْصَاءِ ، وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَنَى فَيَا قُلْتُ إِلَّا مَا عَاطَلَهُ أَمِيرُ  
لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ رَأَى أَكْرَمَهُ اللَّهُ أَنْ يُعَارِضَ قَوْلِي بِعَلْمِهِ بَدْءًا وَعَاقِبَةً فَهَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ شَهِدَ بِتَصَدِيقِهِ قَلْبُهُ ، فَقَالَ : ظَلَمْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَوَيْدَ إِلَى  
حَالِهِ ، وَ يُعْلَمُ مَا تَجَدَّدَ لَهُ مِنْ حُسْنِ رَأْيِي فِيهِ .

بَيْنَ الْمُهْدِيِّ  
وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ

وَلَمَّا أَسْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُحْجَبَ عَنْهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّحِ لِسَبَبٍ تَأَلَّمَ قَلْبُهُ مِنْهُ كُتِبَ إِلَيْهِ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَمْ يُنْكَرْ التَّقَرُّبُ حَالِي أَيَّامَ التَّبْعِيدِ ، وَلَا أَغْفَلْتُ  
لِلْمُؤَانَسَةِ عَنْ شُكْرِ الْإِبْتِدَاءِ ؛ فَكُلِّي أَيْ الْخَالِينَ أَجَدُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبِئْسَ تَقْنِي  
ذِمَّ التَّقْصِيرِ وَاجِبِ خِدْمَتِهِ ؟ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْدَلُ شَهَوْدِي عَلَى الصَّدَقِ فِيمَا  
وَصَفَتْ ؛ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا يَكُنْ شَهِادَتِي فَهَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْفَضْلِ بْنِ  
الرَّيِّحِ

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِلنَّصُورِ لِأَبِي مُسْلِمٍ حِينَ أَرْمَعَ قَتْلَهُ : هَلْ كُنْتَ قَبْلَ قِيَامِكَ  
بِدَوْلَتِنَا جَائِرَ الْأُمْرِ عَلَى عِبْدِي ؟ قَالَ : لَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فِيمَ لَمْ تَعْرِضْ

بَيْنَ النَّصُورِ  
وَأَبِي مُسْلِمٍ  
الْجُرَّاسَانِي



حَالِيْ عُسْرَتِكَ وَمَهَانَتِكَ عَلَى أَيْمَانَا ، وَتَعْرِفُ لَنَا مَا يَتَعْرِفُ غَيْرُكَ مِنْ إِجْلَالِنَا  
وَإِعْظَامِنَا ، حَتَّى لَا يَنْتَازِعَكَ الْحَيْنَ عَيْنَانِ الطَّمَأْنِينَةُ ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ : وَلَكِنَّ الزَّمَانَ وَإِسَاءَتَهُ قَلْبًا مَا كَانَ مِنْ حُسْنِ صَنِيعَتِي ، قَالَ : فَلَا  
مَرْغُوبَ فَيْكَ ، وَلَا مَأْسُوفَ عَلَيْكَ ، وَفِي اللَّهِ خَلْفٌ مِنْكَ ! وَأَمْرٌ بَقْتُهُ <sup>(١)</sup>

### جملة من شعر أبي الفتح كشاجم في الأوصاف

- من قوله في  
وصف أجزاء  
من القرآن  
الكريم

قال يصف أجزاء من القرآن :

مَنْ يَتَبَّ خَشِيَّةَ الْقَابِ فَإِنِّي تَبَّتْ أُنْمًا بِهِذِهِ الْأَجْزَاءُ  
بَعَثَنِي عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالنَّسْكَ وَمَا خِلْتَنِي مِنَ الْقِرَاءِ  
حِينَ جَاءَتْ تَرْوُقِي بِاعْتِدَالٍ مِنْ قُدُودٍ وَصِيفَةٍ وَاسْتَوَاءِ  
سَبْعَةٍ أَشْبَهَتْ لِي السَّبْعَةَ الْأَنْجُمَ ذَاتَ الْأَنْوَارِ وَالْأَضْوَاءِ <sup>(٢)</sup>  
كَسِبَتْ مِنْ أَدِيمِهَا الْحَالِكُ اللَّوْنُ <sup>(٣)</sup> غِشَاءٌ أَخِيبُ بِهِ مِنْ غِشَاءِ  
مُشْنِبِهَا صِبْغَةُ الشَّبَابِ وَلَمَّا تِ الْقِدَارِ وَلِئِمَّةِ الْخَطْبَاءِ  
وَرَأَتْ أَنَّهَا تَحْسُنُ بِالضُّدِّ فَتَاهَتْ بِحِلْيَةِ بِيضَاءِ  
فَعَى مَسْوَدَةُ الظُّهُورِ ، وَفِيهَا نَوْرٌ حَقٌّ يَجْلُو دُجَى الظُّلُمَاءِ  
مَطْبَقَاتٍ عَلَى صَهَافٍ كَالرَّيْطِ تُخَيَّرْنَ مِنْ مُسَوِّكِ الْقُبَاءِ <sup>(٤)</sup>  
وَكُنَّ الْخَطُوطُ فِيهَا رِيَاضٌ شَاكِراتٌ صَنِيعَةَ الْأَنْوَاءِ  
وَكُنَّ الْبَيَاضُ وَالثَّقَطُ الشُّوْ دَعِيْرٌ رَشَّشَتْهُ فِي مَلَاءِ  
وَكُنَّ الْعُشُورُ وَالذَّهَبُ السَّاطِعُ فِيهَا كَوَاكِبُ فِي سَمَاءِ

(١) انظر واجبات الملوك في كتاب « الأخلاق عند الغزالي »

(٢) رواية الديوان :

سبعة شبهت بها الأنجم السبعة ذات الأنوار والأضواء

(٣) رواية الديوان « الجون »

(٤) المبوكة : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلود . ورواية الديوان « متون »

وهي مشكولةٌ بعدةٍ أشكا لٍ ومقروبةٌ على أنحاء  
 فإذا شئتَ كان حزةٌ فيها وإذا شئتَ كان فيها البكسائي  
 خُضرةٌ في خلالِ حُمرٍ وصفرةٌ بين تلك الأضغاف والأثناء  
 مثل ما أثر الدَّيْبُ من الدَّرَّ على جِلْدٍ بَغْيَةٍ عَذْرَاءُ<sup>(١)</sup>  
 صُنِّتْ مُحْكَمُ الْكِتَابِ كِتَابُ اللَّهِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَالْأَلَاءِ  
 لَخْفِيقٍ عَلَى أَنْ أَتَلُوَ الْقُرْآنَ فِيهِمْ مُصْبِحِي وَمَسَائِي  
 وقال يصفُ التَّخْتُ الذي يُصْرَبُ عَلَيْهِ حِسَابُ الْمُنْدِ :

من قوله  
 في وصف  
 تخت حساب

وقلمٌ مِدَادُهُ تَرَابٌ في صُخْفٍ سَطُورٌ هَاجِسَابٌ  
 يَكْتَرُ فِيهَا اللَّحْوُ وَالْإِضْرَابُ من غير أن يَسُودَ الْكِتَابُ  
 حتى يَبِينَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ وليس إِعْجَامٌ وَلَا إِعْرَابُ  
 فيه وَلَا شَكٌّ وَلَا ارْتِيَابُ

من قوله  
 يصف بركارا

وقال يصفُ بَرَّكَارًا اسْتَهْدَاهُ<sup>(٢)</sup>  
 جُدُلِي بِبِرِّكَارِكَ الَّتِي صَنَعْتَ فِيهِ يَدَا قَيْنِهِ<sup>(٣)</sup> الْأَعَاجِيَا  
 مَلَيْتُمُ الشُّبَّتَيْنِ<sup>(٤)</sup> مَعْتَدِلٌ مَا شِئْتَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عِيَا  
 شَخْصَانِ فِي شَكْلٍ وَاحِدٍ قَدَرَا وَرُكْبَا بِالْقُسُولِ تَرْكِيَا  
 أَشْبَهَ شَيْئَيْنِ فِي اشْتِكَا لِهَما<sup>(٥)</sup> بِصَاحِبٍ لَا يَزَالُ مَصْحُوبَا  
 أَوْفَقَ مَسَارُهُ وَغَيْبَ عَنْ نَوَاطِرِ النَّبِاقِدِينَ تَنْفِيَا  
 قَتَيْنَ مَنْ يَحْتَلِيهِ بِحَسْبِهِ فِي قَالِبِ الْإِعْتِدَالِ مَضْنُوبَا  
 قَدْ سَمَّ قَطْرَتَهُ<sup>(٦)</sup> مُحْكِمًا لَهَا قَمَّ مُحِبًّا إِلَيْهِ مَعْبُوبَا  
 يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مُبِصْرُهُ مَا زَادَهُ بِالْبَنَانِ تَقْلِيَا

(١) رواية الديوان « غضة غيداء » (٢) هو البرجل

(٣) رواية الديوان « القين » - والقين : الحداد ، أو كل صانع (م)

(٤) رواية الديوان « الشفرتين » (٥) رواية الديوان « اشتلافهما »

(٦) في الديوان « شطريه »

ذوهُ لَمَّةٌ بَصَرْتَهُ مَذْهَبُهُ<sup>(١)</sup> لَمْ تَأَلَهُ رِقَّةٌ وَتَهْ ذَبِيبَا  
يَنْظُرُ فِيهَا إِلَى الصَّوَابِ فَمَا بِهَا يَزَالُ الصَّوَابُ مَطْلُوبَا  
لَوْلَا مَا صَبَّحَ خَطُّ دَائِرَةٍ<sup>(٢)</sup> وَلَا وَجَدْنَا الْحَسَابَ مَحْسُوبَا  
[ الْحَقُّ فِيهِ فَإِنْ عَدَلْتُ إِلَى  
لَوْعَيْنُ إِقْلِيدِسَ بِهِ بَصُرْتُ  
فَابْتَهَتْهُ وَاجْتَنَبَهُ لِي بِمُطَرَّةٍ  
وَقَالَ يَصِفُ يِيكَانَا<sup>(٣)</sup> :

من قوله  
يصف ييكانا

رُوحٌ مِنَ الْمَاءِ فِي جِسْمٍ مِنَ الصُّغْرِ  
مُسْتَعْبِرٌ لَمْ يَبْقَ عَنْ طَرَفِهِ سَكْنٌ  
لَهُ عَلَى الظَّهْرِ أَجْفَانٌ مَحْجَرَةٌ  
تُنْشَأُ لَهُ حَرَكَاتٌ مِنَ أَسَافِلِهِ  
وَفِي أَعَالِيهِ حِسَابٌ يُفْصَلُهُ  
إِذَا بَكَى دَارَ فِي أَحْشَاءِهِ فَلَكٌ  
مُتَرْجِمٌ عَنْ مَوَاقِيتِهِ يَخْجُرُنَا  
تُفْقَى بِهِ الْخَمْسُ فِي وَقْتِ الْوُجُوبِ وَإِنْ  
وَأِنْ سَهَرْتُ لَأَوْقَاتٍ تَوْرُقُنِي  
مُحَدَّدٌ كُلُّ مِيقَاتٍ تَحْيَرُهُ  
وَيُخْرِجُ لَكَ بِالْأَجْزَاءِ أَلْفَهَا  
نَتِيجَةُ الْعِلْمِ وَالتَّفَكُّيرِ صَوْرَتُهُ

(١) في الأصل : « منية » ، والتصحيح عن الديوان .

(٢) في الديوان « شكل دائرة » .

(٣) روى صاحب نهاية الأرب هذه القطعة ( ١٥٥/١ ) وذكر أنه يصف فيها

طرجهارة ، وقال : هي من الآلات التي تعرف بها الساعات ، والآيات نفسها تدل  
على ما قاله النوري ( م )

من قوله يصف  
اسطرلابا

وقال يصف اسطرلابا :

ومستدير كجرم البدر منطويج  
ضُلب يَدَارُ على قُطْبٍ يَثْبُتُهُ  
ملء البنان وقد أوفت صفائمه  
تُلقي به السبعة الأفلاك مُحَدِّقَةً  
تُنْبِيكَ عن طامع الأبراج حيثه  
وإن مضت ساعة أو بعض ثانية  
وإن تعرض في وقت يُقَدِّرُهُ  
مميز في قياسات الضلوع به  
له على الظهر عَيْنًا حَكَمَ بهما  
وفي الدواوين من أشكاله حِكْمٌ  
لا يستقل لمسا فيه بمعرفة  
حتى ترى النيب فيه وهو مُنْطَلِقُ الْأَبْوَابِ عَنْ سَوَاهُ جَدِّ مُفْتَوِّحِ  
نتيجة الفهن والتفكير صَوْرُهُ ذَوُو الْعُقُولِ الصَّحِيحَاتِ الْمَرَاغِبِ

\*\*\*

أبو إسحاق  
الصابي يهدي  
اسطرلابا إلى  
عُضد الدولة  
ويكتب معه  
شعر

وكان أبو شجاع فَنَاحَ خُشْرُو عَضْدُ الدولة قد نكب أبا إسحاق الصابي ،  
على تقدمه في الكتابة ، ومكانه في البلاغة ، واستصفى أمواله من غير إيقاع  
به في نفسه ، فأهدى إليه في يوم مهرجان اسطرلابا في دَوْر الدرهم ،  
وكتب إليه :

أَهْدَى إِلَيْكَ بَنُو الْحَاجَاتِ وَاحْتَشَدُوا فِي مَهْرَجَانٍ عَظِيمٍ أَنْتَ تَعْلِمُهُ

لَكِنَّ عَبْدَكَ إِبرَاهِيمَ حِينَ رَأَى مُنْمُوَ قَدْرَكَ عَنْ شَيْءٍ يُسَامِيهِ  
لَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ ، قَدْ أَهْدَى لَكَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ

\*\*\*

[ من أوصاف النساء ]

وقول أبي الفتح : « غلء البنان . . . . . البيت » نظير قول علي  
ابن العباس الروي يصف هن امرأة (١) :

يَسَحُّ السَّبْعَةُ الْأَقَالِمَ طُرًّا وَهُوَ فِي أَصْبَعَيْنِ مِنْ إِقْلِيمِ  
كَضْمِيرِ الْقَوَادِ يَلْتَهُمُ الدُّنْيَا وَتَعْوِيهِ دَفْعًا حَزِينُومِ  
وإنما أخذه ابن الروي من قول بعض الشعراء يذكر كاتبا  
في كفه أحرَسَ دُومَنْطَقِي بَقَافِهِ وَاللَّامَ وَالْمِيمِ  
شَبْرٌ إِذَا قِيسَ ، وَلَكِنَّهُ فِي فَصْلِهِ مِثْلُ الْأَقَالِمِ  
مَحَذَفُ الرَّأْسِ وَمُسْوَدُّهُ كِبِيرَةُ الرَّوْقِ مِنَ الرَّيْمِ (٢)

بعض الشعراء  
يصف القلم

وهذا البيت الأخير مقلوب من قول عدى بن الرقاع العاملي ، وقد وصف  
قرن ريم ، وشبهه بقلم عليه مداد ، وذكر ظبية .

تُرْجِي أَغْنَى كَانَ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا  
وَقَلْبُ الْمَعْنَى إِذَا تَمَكَّنَ الشَّاعِرُ مِنْ إِخْفَائِهِ لَا يَجْرِي تَجْرَى السَّرَقَةِ .  
وقد ترى تكثير الشعراء من تشبيه أوراك النسوان بالرمل والكُثْبَانِ ،  
قال الشاعر :

لشاعر يصف  
نساء بالعبالة  
والسمن

وَيَبِضُّ نَضِيرَاتِ الْوُجُوهِ كَأَنَّمَا تَأَزَّرْنَ دُونَ الْأُزْرِ مَلَاتِ عَالِجِ  
خِدَالِ الشَّوَى لَا تَحْتَشِي غَيْرَ خَلْقِهَا إِذَا الرُّسُحُ لَمْ يَصْبِرْنَ دُونَ الْمَنَافِعِ (٣)

(١) الهن : الفرج . (٢) روق الريم : قرن الظبي .

(٣) خدال الشوى : ممتلئة الأطراف ، والرسح : جمع رسحاء ، وهى قليلة لحم  
العجز والتمغذين ، والمنافع : حشايا توضع فوق الأرداف .

يَذَرْنَ مُرُوطَ الْخَزْ مَلَأَى كَانَهَا قِصَارُ وَإِنْ طَالَتْ بِأَيْدِي النَّوَاسِجِ  
وهذا المعنى متداول متناقل في الجاهلية والإسلام ، فأغرب ذو الرمة في

قلبه وأحسن ، فقال يصف رملا :  
ورمل كأوزاكِ المذارى قطعتهُ وقد جَلَلَتْهُ المَظْلَمَاتُ الخَنَادِسُ  
وكذلك مدحهم ضُمُورَ الكَشْحِ ، وجولان الوُشْحِ ، وصُمُوتِ القَلْبِ  
والخلخال ، وامتناع الخِذَامِ من المَجَالِ ؛ قال خالد بن يزيد بن معاوية ، وذَكَرَ  
رملة بنت الزبير بن العوام :

لخالد بن يزيد معاوية  
تَجُولُ خَلَاحِيلُ النِّسَاءِ ، وَلَا أَرَى  
أَحِبُّ بَنِي الصَّوَّامِ طَرًّا لِحَبِهَا  
إِرْمَلَةٌ خَلَخَلَا يَجُولُ وَلَا قُلْبًا<sup>(١)</sup>  
ومن أجلبها أحببتُ أخوالها كَلْبًا

وقال النابغة :

على أن حِجْلَيْهَا وَإِنْ قَلْبُ أَوْسَعَا صُمُوتَانِ مِنْ مَلْءِ وَقْلَةٍ مُنْطَلِقِ

ولأبي عامر الطائي وقال الطائي :

لأبي عامر الطائي  
مَهْ الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا لَطْلُ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ  
مِنْ الْهَيْفِ لَوَانُ الْخَلَاحِيلِ صُبِّرَتْ لَهَا وَشَحًّا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاحِيلُ<sup>(٢)</sup>

وقال ابن أبي زُرْعَةَ الدمشقي :

لابن أبي زُرْعَةَ الدمشقي  
اسْتَكْتَمْتَ خَلَاحِلَهَا وَمَشَتْ تَحْتَ الظَّلَامِ بِهِ فَانْطَقَا  
حَتَّى إِذَا رَجَحُ الصَّبَا نَسَمَتْ مَلَأَ الْعَبِيرُ بِسِيرِهَا الطَّرْقَا

وقال اللثبي :

لِللثبي  
وَحْصَمِي تَثْبُتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقِي نِطَاقَا  
قَلَبَ هَذَا كُلُّهُ أَبُو عُثْمَانَ النَّاجِمِ ، قَالَ يَهْجُو قَيْنَةَ :

مسألة الكل غَيْرَ بَطْنٍ      مَثَلِي فَعِي عَنكَ بَوْتُ  
 حُبُّهُمَا الدَّهْرَ فِي اضْطِحَابِ      وَوُشَّحَهَا كَلَمٌ صُمُوتُ  
 وقال أبو عنان يمدح قَيْنَةَ :  
 محسنة في كلِّ أَمَلَتِهَا      لا كَالْتِي تَحْسَنُ فِي النَّدْرَةِ  
 ثم قلبه في هجاء ، قال :

عَجِبْتُ مِنْهَا وَيَحْتَمِلُ كَيْفَ لَا      تُخْطِئُ بِالْإِحْسَانِ فِي النَّدْرَةِ  
 وهذا مأخوذٌ من قول محمد بن مناذر يهجو خالد بن طليق ، وكان قد تقلد  
 قضاء البصرة :

يا عجباً من خالدي كيف لا      يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ  
 كان قضاءً النَّاسِ فَيَا مَضَى      مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَهَذَا عَذَابُ  
 وهذا أيضاً من قلب الهجاء مديحاً ، والمديح هجاء ، كما قال مسلم بن الوليد  
 يهجو قوما :

قَبَحَتْ مَنَاطِرُهُمْ فَمِنْ خَبَرْتُهُمْ      حَسَنْتَ مَنَاطِرُكُمْ بِقُبْحِ الْخَبَرِ  
 قلبه أبو الطيب المتنبي قال :  
 وَاسْتَكْبَرُوا الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ      فَلَمَّا التَّقِينَا صَفَرَ الْخَبَرُ الْخَبَرُ  
 وقال أبو تمام :

عَبَا الْكَمِينَ لَهُ فَفَعَلَ لِحِينِهِ      وَكَيْفَ الْخَفَى عَلَيْهِ كَيْنُ  
 قلبه البحتري قال :

لَا يَأْسُ الْمَرْءُ أَنْ يَنْجِيَهُ      مَا يَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهُ عَظَبُهُ  
 وقال أبو تمام :

وَحَشِيَّةُ تَرْمِي الْقُلُوبَ إِذَا غَدَتْ      وَتَنَى فَا تَصْطَادَ غَيْرَ الصَّيْدِ  
 قلبه البحتري قال :

عَلَى أَتَى أَخَشَى عَلَى دَارِ أَمْنِهَا      فَوَارِسُ يَصْطَلِدُ الْقَوَارِسَ صَيْدُهَا

لأبي عنان  
الناجم

لمحمد بن مناذر  
يهجو خالد بن  
طليق

لمسلم بن الوليد

للمتنبي

لأبي تمام

للبحتري

لأبي تمام

للبحتري

لأبي تمام

وقال أبو تمام :

يُسْتَأْثَرُ النِّيثُ وهو جدُّ حبيبٍ رَبِّ حَزْمٍ فِي بِنْعَةِ المومِقِ

للبحترى

قلبه البحترى قال :

يَسْرُفِي الشَّيْءَ قد يسوءُكُمْ نَوْهَ يَوْمًا يَخَامِلُ لِقَبَهُ  
قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : المعنى في الصراع الأول أَيْبَنُ منه فيالثاني ؛ ألا ترى أنه لو قال : إنه ليسوءك الشئ قد يسر ، كان مثل ذلك المعنى  
مستويا ، إلا أنه قلبه لحاجته .

لابن الرومي

قال ابن الرومي يهجو مفضية :

قِيَّةٌ مَلْعُونَةٌ مِنْ أَجْلِهَا رَفَضَ اللَّهُوَّ مَعَا مَنْ رَفَضَهُ  
فَإِذَا غَنَّتْ تَرَى فِي حَلْقِهَا كُلَّ عِرْقٍ مِثْلَ يَتِّ الأَرْضَةِ  
قلبه ابن المعتز قال يصف أرضه أكلت له كتابا .

لابن المعتز

تَنَثَّى أُنَائِبَ لَهَا فِيهَا سَبِيلٌ مِثْلُ العُروِقِ لَا تَرَى فِيهَا خَلَّلَ  
وهذا كثير يُكْتَفَى منه باليسير .

[ من المعاني مالا ينقلب ]

ومن المعاني مالا ينقلب : ألا ترى أنك تقول : نام القوم حتى كأنهم موى ، ولا يحسن

أن تقول : ماتوا حتى كأنهم نيام ؛ وقد أخذ على أبي نواس قوله يصف داراً وقف بها :  
كَأَنَّهَا إِذَا خَرَسَتْ جَارِمٌ بَيْنَ يَدَيْ تَغْنِيدِ مُطْرِقٍبعض ما أخذ  
على أبي نواسقالوا : إنما يجب أن يشبه الجارم إذا عذله فسكت وانقطعت حجته بالدار  
الخالية التي لا تحجب .

وأخذوا عليه قوله :

كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ حَصْنِهِمْ مَعْصِفَاتٌ عَلَى أُرْسَانِ قَصَائِرِ

وقد تبعه أبو تمام الطائي قال في الأفشين لما أحرق :

مَازَالَ سَرُّ الكُفْرِ بَيْنَ صَلُوعِهِ حَتَّى اضْطَلَى سَرُّ الزَّنَادِ الوَارِي  
نَارُ يَسَاوُرُ جَسَمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَتْ شِقُّ لِمَازِ



طارت له شعلٌ يهدمُ لفتحها      أركانهُ هدمًا بنسبِ عتبارِ  
فصلنُ منه كلَّ مجتمعٍ مفصلِ      وفلنَ فاقرةً بكلِّ قنارِ  
صلى لها حيًا ، وكان وقودها      منيًّا ، ويدخلها مع الكفارِ  
وكذاك أهلُ النارِ في الدنياهُم      يومَ القيامةِ جُلُّ أهلِ النارِ  
أردت البيت الثاني ، قالوا : وإنما تشبه الثيابُ المصفرةُ بالنار ؛ فهذا وما أشبهه  
لا يتوازنُ انعكاسه ، وتنضادُ قضاياه ؛ وإنما يصح القلبُ فيما يتحقق تضاده أو يتقارب.

### قطعة من شعر أهل المصفر في ذكر النجوم

لأبي الفتح  
البسقي

قال أبو الفتح البسقي :

قد غصَّ من أملٍ أنى أرى على      أقوى من المشتري في أولِ الحِلِ  
وأنتى راحِلٌ عما أحاوله      كأننى أَسْتَدِرُّ الحِظَّ من زُحَلِ  
وقال :

إذا غلغ ملكٌ باللَّهِوِ مشتبلاً      فاحكم على مُلكِهِ بالزَّيْلِ والحَرْبِ  
ألم تر الشمسَ في الميزانِ هابطةً      لما غدا برجَ نَجمِ اللَّهِوِ والطَّرِبِ  
وقال :

وقد تُدْفِنُ الملوكُ لدى رِضاها      وتُبعِدُ حينَ تحقدُ اعتقادا  
كما للرَّيخِ في التلثِ يُعطى      وفي الترييعِ يَسْلُبُ ما أقادا  
وقال :

ألا فتقوا بى فإنى كما      تمدَّحت فليمتحن من يُحبُ  
فما كوكبى راجعاً في الوفاء      ولا بُرجُ قَلْبى بالثقلِ<sup>(١)</sup>  
وقال :

لئن كَسَفُونَا بلا عِلَّةٍ      وفازت قِداحُهُمُ بالظَفَرِ  
فقد يَكْسِفُ المرءُ مَنْ دونه      كما يَكْسِفُ الشمسُ جِرمُ القَمَرِ

(١) في الأصول « ولا برج في » بالحاء المهملة ، وما أثبتناه موافق لما في يتيمة الدهر (م)

وقال :

شَرَفُ الْوَغْدِ بَوَغْدٍ مِثْلِهِ      مِثْلُ مَا فِيهِ بَزِيعٌ وَخَلَلٌ  
وَدَلِيلُ الصَّدَقِ فِيمَا قُلْتُهُ      شَرَفُ الْمَرْيَخِ فِي بَيْتِ زُحَلٍ

وقال :

قُلْ لِلَّذِي غَرَمْتُهُ عِزَّةً مُلْكِهِ      حَتَّى أَخْلَعَ بِطَاعَةِ النَّصَحَاءِ  
شَرَفُ الْمَلُوثِ بِمَلْهِمْ وَبِرَأْيِهِمْ      وَكَذَلِكَ أَوْجُ الشَّمْسِ فِي الْجُوزَاءِ

وقال :

وَقَدْ يَفْسُدُ الْمَرْءُ بَعْدَ الصَّلَاحِ      فَسَادُ الْأَمَّاكِنِ ، وَالشَّرُّ يُعْدَى  
كَمَا التَّمَدُّ يَقْبَلُ طَبِيعَ النُّحُوسِ      إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ غَيْرِ سَقَدٍ

وقال :

مَا أَتَسُّ غُلَّانٍ بِمَاءٍ هَارِدٍ      مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْمَهْدِ بِالْمُوَارِدِ  
إِلَّا كَأَنِّي بِكُتَابِهِ وَارِدٍ      مِنْ سَيْدِ نَحْضِ النَّجَارِ مَا جِدِ

• كَأَنَّمَا اسْتَمْلَاهُ مِنْ عَطَارِدِ •

وقال :

يَا مِمَشَرَ الْكِتَابِ لَا تَتَمَرَّضُوا      لِرِيَاةٍ ، وَتَصَاغَرُوا ، وَتَخَادَعُوا  
إِنِ الْكُوَاكِبُ كُنَّ فِي أَشْرَافِهَا      إِلَّا عَطَارِدُ حِينَ صُورَ آدَمُ

وقال :

دَعَانِي إِلَى بَيْتِهِ سَيِّدُ      لَهُ انْخُلُقِ الْأَشْرَفُ الْأَطْرَفُ  
فَلَا زَمْتُ يَتِيٍّ وَلَا طَفَقْتُهُ      بَعْدَ هُوِ الْأَطْرَفِ الْأَطْرَفُ  
عَطَارِدُ نَجْبِي ، وَلَا شَكَّ أَنَّ      عَطَارِدَ فِي بَيْتِهِ أَشْرَفُ

وقال :

لَنْ تَقَلْتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ      وَصِرْتُ بَعْدَ قَوَاهِ رَهْنِ أَصْفَارٍ  
فَالْهَرُحُ حُرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ تَوَى      وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ تَرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارٍ

وقال :

ثَنِ صَدْعَ الدَّهْرِ لِلشَّتِّ شِمْلَنَا  
فَلْتَجْمِ مِنْ بَعْدِ الرُّجُوعِ اسْتِقَامَةً  
والدهر حكمٌ للجميع مدَّوعٌ  
والشمس من بعد التروب طلوعٌ  
وقال الجبوس :

حُبِّنْتَ وَمِنْ بَعْدِ الْكَسُوفِ تَبَلَّجُ  
فَلَا تَمْتَدِّ الْحَبْسَ غَمًّا وَوَحْشَةً  
نغى به الأفاقُ للبدر والشمس  
فأول كونِ المرءِ في أضيق الحبسِ  
وقال أيضاً :

يَا مَنْ تَوَلَّى الشَّتْرَى تَدِيرُهُ  
وَقَالَ :

لَا تَفْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُفْزِعٍ  
وَقَالَ يَرْفَى أَبَا الْقَاسِمِ الصَّاحِبُ :

فَقَدَّاهُ لِمَا تَمَّ وَاعْتَمَّ بِالْأَمَلِ  
وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ دُرَيْسٍ لِأَبِي الْفَضْلِ الْيَكَلِي :

لابن دريس

إِذَا مَا غَابَ وَجْهُ الْبَدْرِ عَنَا  
فَوَجَّهَكَ عِنْدَنَا الْبَدْرُ الثَّقِيمُ  
فَوَجَّهَكَ نَجْمُ سَحَابٍ مُسْتَقِيمٍ  
وَقَالَ مَسْكُوبَةُ الْخَالِدِي :

لمسكوبه

لَا يَجْبُنُكَ حَسَنُ الْقَمَرِ نَزْلُهُ  
لَوْ زِيدَتِ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهِامَانَةِ  
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِي :

للخوارزمي

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَرْتَ خَيْتَمْتَ عِنْدَنَا  
فَأَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ : إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ  
وَهَذَا كَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوْلِي فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ :

لصولي

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا مَا نَفَتْهُ  
يَعْرِفُ الْأَبَدُ إِنْ أَرَى، وَلَا  
وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَّرَا

وقال ابن المعتز :

إذا ما أراد الخاسدون انتقامه      بناءً إله غالب العز قاهره  
وإذا ما يريد الخاسدون من استرى      تزينهم أخلاقه ومآثره  
إذا ما هو استغنى اهتدى لافتقارهم      ولا تهتدى يوماً إليهم مفاقره  
وكانوا كرام كوكبا يصافه      فرد عليهم وبله ومواطره

وهذا البيت كما قال بعض العرب في إحدى الروايات :

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي      برياً ومن جال الطوى رَمَانِي  
الجول والجبال : الناحية ، والطوى : البئر ؛ يريد رمانى بما عاد عليه ، والرواية  
الشهورة : ومن أجل الطوى ، فعلى هذا تسقط المناسبة بينه وبين قول ابن المعتز .

[ الأعمى وبعض الأعراب ]

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأعمى في رياض من المذاكرة  
تَجْتَنِي نَمَارَهَا ، وَتَجْتَنِي أَنْوَارَهَا ، إِلَى أَنْ أَقْضَى فِي ذِكْرِ أَبِي سَعِيدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ  
قُرَيْبِ الْأَعْمَى ؛ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ الْأَعْمَى ! إِنَّهُ لَمَتَدِينٌ حَكِيمٌ ، وَتَجَوُّزٌ عِلْمٌ ،  
غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ تَرْطَطْ مِثْلُ أَعْرَابِي وَقَفَ بِنَا فَسَلِمَ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ الْأَعْمَى ؟ فَقَالَ :  
أَنَا ذَاكَ ، فَقَالَ : أَتَأْذَنُونَ بِالْجُلُوسِ ؟ فَأَذِنَّا لَهُ ، وَعَجِبْنَا مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ مَعَ جَفَاءِ  
أَدَبِ الْأَعْرَابِ .

قال : يا أعمى ، أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أتق بهم معرفة بالشعر  
والعربية ، وحكايات الأعراب ؟ قال الأعمى : فيهم من هو أعلم مني ، ومن  
هو حواري ، قال : فتشدوني من بعض شعر أهل الحضرة حتى أقيسه على شعر  
أصلحائها ؟ فأنشده شعراً لرجل امتدح به مسلحة بن عبد الملك :

أَمْتَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرُ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ      وليث إذا ما الحرب طار عَقَابُهَا  
وَأَنْتَ كَيْفَ الْهَيْدُ وَآتَى إِنْ غَدَتْ      حوادث من حرب يعب عَابُهَا  
وَمَا خَلِقتَ أَكْرَمَةً فِي أَرْضِي إِله      ولا غاية إلا إليك مَأْبُهَا

كَأَنَّكَ دَيَّانٌ عَلَيْهَا مُؤَكَّلٌ      بِهَا، وَعَلَى كَفِّكَ يَمْزِي عَصَابُهَا  
إِلَيْكَ رَحْلُنَا الْعَيْسَ إِذْ لَمْ نَجِدْهَا      أَخَا تَعَةِ يُرْجَى لَدَيْهِ نَوَابُهَا

قال : فتبسم الأعرابي ، وهز رأسه ، فقلنا أن ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم  
قال : يا أصمى ؛ هذا شعرٌ مهلهلٌ خلقَ النَّسَجُ ، خلطوه أكثرُ من صوابه ،  
يفطى عيوبه حسنُ الرِّوَى ، ورواية للنشد ؛ يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ،  
والأسد أبخر شتيمُ المنظر<sup>(١)</sup> ، ورماعلده شذيمة من إماننا ، وتلاعب به صبياننا ،  
ويشبهونه بالبحر ، والبحر صف على من ركبته ، مر على من شربه ، وبالسيف  
ورمى خان في الحقيقة ، ونبا عند العُربية ! ألا أنشدتني كما قال صبي من حينا ؟  
قال الأصمى : وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

إِذَا سَأَلْتَ الْوَرَى عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ      لَمْ يُفْزَرْ إِكْرَامُهَا إِلَّا إِلَى الْمَوْلِدِ  
فَتَى جَوَادُ أَذَابَ الْمَالَ نَارِلُهُ      فَالنَّيْلُ يَشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةُ النَّيْلِ  
الْمَوْتُ يَكْرَهُ أَنْ يَلْقَى مَنِيَّتَهُ      فِي كَرٍّ عِنْدَ لَفٍّ الْخَلِيلِ بِالْخَلِيلِ  
وَزَا حَمَّ السَّمْسِ أَبْقَى الشَّمْسَ كَاسِفَةً      أَوْ زَا حَمَّ الْعُصْمِ أَجْلَاهَا إِلَى اللَّيْلِ  
أَمْضَى مِنَ النَّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ      وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ  
لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا      وَلَا تَرَاهُ إِلَيْهَا سَالِحَ الدَّيْلِ  
يَقْصُرُ الْمَجْدُ عَنْهُ فِي مَكَارِمِهِ      كَمَا يَقْصُرُ عَنْ أَفْصَالِهِ قَوْلِي !

قال أبو نصر : فأبهتتنا والله ما سمعنا من قوله ، قال : فتأتى الأعرابي ، ثم  
قال للأصمى : ألا تنشدني شعراً ترتاحُ إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟  
فأنشده لابن الرُّقَّاعِ الساملي :

وَنَاعِمَةٌ تَجْلُو بِعُودِ أَرَاكِ      مُؤَشِّرَةٌ يَسِي الْمَعَاتِقَ طِيْهِهَا  
كَأَنَّ بِهَا خَرّاً بِمَاءٍ غَمَامَةٍ      إِذَا ارْتَشِفَتْ بَعْدَ الرِّقَادِ غُرُوبُهَا  
أَرَاكَ إِلَى تَجْدِيدِ تَحْنٍ ، وَإِنَّمَا      مَنَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا

(١) شتيم المنظر : كرهه .

فتبسم الأعرابي وقال : يا أصمى ، ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ،  
 ألا أنشدتني كما قلت ؟ قال الأصمى : وما قلت ؟ جعلت فداك ! فأنشده :

تعلّقها بِكراً ، وعُلّقت حبّها      قتلَى عن كلِّ الورى فارغٌ بِكُرْ  
 إذا احتجبت لم يكفك البدرُ ضوءها      وتكفيك ضوء البدر إن حُجبَ البدرُ  
 وما الصبرُ عنها ، إن صبرت ، وجدته      جيلاً ، وهل في مثلها يحسن الصبرُ ؟  
 [ وحسبك من خريفتك ريقها      والله مامن ريقها حسبك الخمر ]  
 ولو أن جلد الذرّ لأمسَّ جِلدها      لكان لمسّ الذرّ في جِلدها أثرُ  
 ولو لم يكنْ لَلبدرِ ضدّاً جالها      وتفضله في حُسْنها لصفاء البدرُ

قال أبو نصر : قال لنا الأصمى : اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المدي في  
 رِقاتي الأكباد ! .

قال : وأقامَ عندنا شهراً ، فجمعَ له الأصمى خمسمائة دينار ، وكان يتعاهدنا  
 في الحِلين بعد الحِلين ، حتى مات الأصمى وتفرّق أصحابنا ! .

فَقَرَّ من كلام الأعراب في ضروب مختلفة -

قال الجاحظ : ليس في الأرض كلامٌ هو أمتنع ، ولا أنفع ، ولا آتق ،  
 ولا ألد في الأسماع ، ولا أشدّ اتصالاً بالقول السليمة ، ولا أفتق للسان ،  
 ولا أجدود تقويماً للبيان ، من طولِ استماع حديث الأعاب العقلاء الفصحاء .

قال ابنُ اللقّ ، وقد جرى ذِكْرُ الشعرِ وفضيلته : أي حكمة تكون أبلغ ،  
 أو أحسن ، أو أغرب ، أو أعجب ، من غلام بدوى لم ير ريفاً ، ولم يشع من  
 طلم ؛ يستوحشُ من الكلام ، ويفزع من البشر ، ويأوي إلى القفرِّ والبراييع  
 والغُلباء ، وقد خالط الفيّالان ، وأنسَ بالجانِ ؛ فإذا قال الشعر وصف ما لم يره ،

ولم يَنْضَ به <sup>(١)</sup> ولم يعرفه ، ثم يذكر عَناصِرَ الأخلاق ومساوئها ، ويملح ويهجو ،  
ويذم ويعاتب ، ويشبب ويقول ما يكتُبُ عنه ، ويروي هـ ، ويبقى عليه .

وقال بعض الأعراب :

وإني لأهْدِي بالأوانس كَالهَدْيِ وإني بأطرافِ الصَّنَا لَقُوبُ <sup>(٢)</sup>

وإني على ما كان من عُنْجُوتِي ولَوْثَةٍ أعرابِي لأَدِينُ <sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ الأدبَ غَرِيبٌ من الأعراب ، فافتخر بما عنده منه .

وقال الطائي في فطنتهم ، يستعطف ملائِكَ بن طَوْقٍ على قومه بني تغلب :

لأَرْقَهُ الحُضْرَ الطَّيْفَ عَذَّتْهُمْ وتباعِدُوا عَن فِطْنَةِ الأعرابِ

فإذا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتَ لَهُمُ كَرَمَ النفوسِ وَقَلَّةَ الآدابِ

ووصف أعرابي رجلاً فقال : هو أظْهَرُ من الماء ، وأَرْقُ طَباعاً من الهواء ،

وأَمْضَى من السيل ، وأَهْدَى من النجم .

ووصف أعرابي رجلاً فقال : ذاك واقف من ينفع سِلْمُهُ ، ويَتَوَاصَفُ حِلْمُهُ ،

ولا يَنْسْتَرْأُ ظُلْمُهُ .

وقال أعرابي : جَلَسْتُ إلى قومٍ من أهل بَنْسَدَادٍ فما رَأَيْتُ أَرْجَحَ من

أَحْلَامِهِمْ ، ولا أَطْيَشَ من أَقْلَامِهِمْ .

وذكر أعرابي من بني كلاب رجلاً فقال : كان واللهِ العَهْمُ منه ذا أَذْنَيْنِ ،

والجواب ذا لِسَانَيْنِ ؛ ولم أَرِ أَحَدًا أَرْتَقَى لَحْلَلِي رَأْيِي ، ولا أبعد مسافة رَوِيَّةً ،

ومَرَّادَ طَرْفٍ منه ؛ إنما كان يرمى بهِمَّتِهِ حيث أشار إليه الكرم ، وما زال

يتَحَسَّى مرارة أخلاق الإخْوَانِ ، ويسقيهم عنوبة أخلاقه .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : والله لكَأَنَّ القلوبَ وَالْأَسُنَ رِيضَتَ لَهُ ،

فما تَعَقَّدَ إلا على وَدَّهِ ، ولا تنطق إلا بِمَحْمَدِهِ .

(١) في طبعة بولاق «ولم يعرفه» . (٢) لأهدى : لأعرف ، أى أعتمد معرفة (م)

(٣) العنحية واللثة : الكبر والحق .

وقال أعرابي : أقيح أعمال القتدرين الاضام ، وما استنبط الصواب بمثل  
للمشاورة ، ولا اكتسبت الفضله بمثل الكبر .

قال الأصمعي : وخطبنا أعرابي بالبادية ، فقال : أيها الناس : إن الدنيا دارٌ  
مفترٌ ، والآخرة دار مقرٌ ؛ فخذوا من مفركم لمقركم ، ولا تهكوا أستاركم عند  
من لا تغنى عليه أسراركم .

قال للمعافر بن نعيم : وقتُ أنا ومعيد بن طوق الصنبري على مجلس لبني  
الصنبري ، وأنا على ناقه وهو على حمار ، قداموا فيدهوني فسَلَّمُوا عَلَيَّ ؛ ثم انكفَؤْا  
على معبد ، فقبض يده عنهم ؛ وقال : لا ، ولا كرامة ! بدأتم بالصغير قبل  
الكبير ، والموالي قبل العربي ، وبالْفُحْم قبل الشاعر ، فأسكت القوم ، فانبرى  
إليه غلام ، فقال : بدأنا بالكاتب قبل الأُمي ، وبالهاجر قبل الأعرابي ،  
وبراكِبِ الراحة قبل راكِبِ الحمار .

ووصف أعرابي قومه فقال : لُيُوثُ حَرْب ، وَغُيُوثُ جَدْب ، إن قاتلوا  
أُبلُوا ، وإن بذلوا أَعْتُوا .

ووصف أعرابي قوماً فقال : إذا اصطَفُوا سَفَرَتْ بينهم السهام ، وإذا  
تَصَافَحُوا بالسيف فَرَقَتْهم الحمام .

وسئل أعرابيٌّ عن صديق له ، فقال : صَفِرَتْ عِيَابُ الْوَدِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعْدَ  
امْتِلَانِهَا<sup>(١)</sup> ، واكْفَهَرَتْ وَجوهٌ كانت بمائها .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : إنَّ الْأَمَالَ قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ،  
كَالسَّرَابِ غَرَمَ مَنْ رَأَاهُ ، وَأَخْلَفَ مِنْ رَجَاهُ ، وَمَنْ كَانَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَطِيَّةً  
أَسْرَعَ السَّيْرَ وَالْبُلُوغَ بِهِ .

والمرء يفسح بالأيام يقطعها وكل يوم مضى يذني من الاجل



وذكر أعرابي مصيبة نالته ، فقال : إلهي والله مضية جعلت سودَ الروس  
بيضا ، وبيض الوجه سودا ، وهونت المصاب ، وشيّبت الذرائب .

وهذا كقول عبدالله بن الزبير الأسدي :

رَمَى الْحِدَنَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ تَمْدَنَ لَهُ مُمُودَا<sup>(١)</sup>

فَرَدَّ شَمُورَهُنَّ الشُّودَ بِيَضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودَا

وإناك لو رأيت بكاءَ هِنْدٍ وَرَمْلَةً إِذْ تَصُكَّانِ الْخُدُودَا

بَكَيْتَ بُكَاءَ مُعْوِلَةِ حَزِينٍ أَصَابَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الْفَقِيدَا<sup>(٢)</sup>

ونظيرُ هذا التطابق بين السواد والبيض ، وإن لم يكن من هذا المعنى ، قولُ

ابن الرومي :

يَا بَيْضَ الشَّيْبِ سَوَّدْتَ وَجْهِي عِنْدَ بَيْضِ الْوَجْهِ سَوَدَ الْقُرُونِ

فَلَمَرُّهُ لِأَخْفَيْنِكَ جَهْدِي عَنْ عِيَانِي وَعَنْ عِيَانِ الْعِيُونِ

وَلَمَرُّهُ لِأَمْنَعِكَ أَنْ تَضْحَكَ فِي رَأْسِ آسَفٍ حَزُونِ

بِسَوَادٍ فِيهِ ابْيَاضٌ لَوْجِي وَسَوَادٌ لَوْجُكَ الْمَلْعُونِ

سأل أعرابيان رجلا ، غرهما ، فقال أحدهما لصاحبه : نزلت والله بواج غير  
مطور ، وأنت رجلا بك غير مسرور ، فلم تدرك ما سألت ، ولا نلت ما أملت ؛  
فارتحل بندم ، أو أقم على عديم .

قال الأصمعي : وسمعت أعرابيا يقول : غفلنا ولم يغفل الدهر عنا ، فلم نتمظ  
بغيرنا حتى وعظ غيرنا بنا ، فقد أدركت السعادة من تنبّه ، وأدركت الشقاوة  
من غفل ، وكفى بالتجربة واعظا

وقال أعرابي لرجل : أشكر للنعم عليك ، وأنتم على الشاكر لك ،  
تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مناصحته .

(١) سمدن له : تلوت له رؤوسهن - وسمد : قام متحيرا (م) .

(٢) رواية الخامسة « رأيت بكاء موهلة حزبي » (م)

ومدح أعرابي رجلاً قال : ذلك والله فسبحُ الأدب ، مُستَحْكِمُ السبب ،  
من أتى أقطاره أتته تُنقى عليه بكرمُ فال ، وحُسنُ مقال .

وذمَّ أعرابي رجلاً قال : أفسدَ آخرَته بصلاحِ دُنياه ، ففارقَ ما طلعَ غيرَ  
راجعٍ إليه ، وقدمَ على ما أفسدَ غيرَ منتقلٍ عنه ، ولو صدقَ رجلٌ نفسه ما كَذَبَتْهُ ،  
ولو أتى زمامه أو طأه راحِلَتُهُ .

وقال أعرابي : خرجت حين انحدرتُ أيدي النجوم ، وشألتُ أرجلها ، فما  
زلتُ أصدعُ الليلَ حتى انصدعَ الفجر .

وقال أعرابي :

وقد تماَلَّتْ ذِيَمِلُ العنَسِ بالسَّوْطِ فِي دَيْمُومَةٍ كَالْقَرْسِ<sup>(١)</sup>

إِذْ عَرَجَ اللَّيْلُ بُرُوجَ الشَّمْسِ

ومن مליح الاستعارة في نحو هذا قولُ الحسن بن وهب : شربت البارحة  
على وَجْهِ الجوزاء ؛ فلما اتبه الفجرُ نِمْتُ ، فعاقلتُ حتى كَلَفَنِي قَبِيصُ الشَّمْسِ .  
وقال أعرابي لصاحبه في شيء ذكره : قل إن شاء الله ، فإنها تَرْضِي الرَّبَّ ،  
وَتُخْطِ الشَّيْطَانَ ، وَتُذْهِبُ الْحِنْثَ<sup>(٢)</sup> ، وَتَقْضِي الْحَاجَةَ .

وروى العتبيُّ عن أبيه قال : سمعتُ أعرابياً يقول لأخيه في معاتبة جرَّتَ بينهما :  
أما والله لَرُبَّ يَوْمٍ كَتَنُورِ الطامِي ، رَقَاصٍ بِالْحَمَامَةِ ، قَدِ رَمَيْتُ نَفْسِي فِي أَرْجَبِ  
سُكُومِهِ ، أَحْتَمِلُ مِنْهُ مَا أَكْرَهُ لِمَا أَحَبُّ .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : وأحسب العتبيُّ صنعَ هذا الكلام ، وأخذه  
من قول بشار :

وَيَوْمَ كَتَنُورِ الْإِمَاءِ سَجَرْنَهُ وَأَوْقَدَنَ فِيهِ الْجَزَلَ حَتَّى تَقَرَّ مَا

رَمَيْتُ بِنَفْسِي فِي أَرْجَبِ سُكُومِهِ وَبِالْعَيْسِ حَتَّى بَغَضَ مَنَعُهَا دَمًا

(١) تماَلَّتْ : أعطيت أقصى ما عندك من السير ، والدَيْمُومَةُ : الصحراء الواسعة  
البعيدة الأطراف (م) .

(٢) الحِنْثُ يعني أنك إذا خلعت قلت « إن شاء الله » ثم لم تفعل ما خلعت عليه لمعْنَثُ (م)

أخذ هذا المعنى بعض أصحاب أبي العباس ثعلب فقال يهجو اللبرد :

ويوم كنتور الطهارة سَجَرْتُهُ على أنه منه آخره وأودُّ

ظَلَّت به عند اللبرد جالِسا فَا زَلت في الفاظه أنبردُ

قال الأصمعي : حَبَّتْ أعرابية ومعاين لها ، فأصيبت به ، فلما دُفِن قامت على قبره ، وهى مُوجَّعة فقالت : والله يابني لقد غَدَوْتُكَ رضيعاً ، وقد تُكَّ سريماً ، وكأنه لم يكن بين الحالين مدةً أُلْتُدُّ بِمِشْكٍ فيها ، فأصبحتَ بِمَدِّ النَّصَارَةِ والنَّصَارَةُ وروث الحياة والتسّم في طيب روائحها ، تحت أطلاق النَّزْرِ جَسداً هامداً ، ورَفَاتَا سَحِيقاً ، وصعيداً جُرْزاً ؛ أى بنى ! لقد سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ، وَأَسَكَنْتَكَ دَارَ الْيَلَى ، ورميتنى بِمَدِّكَ نَكْبَةً الرَّدَى ، أى بنى ! لقد أسفر لى وجهُ الدُّنْيَا عن صباح دَاحِجٍ ظَلامُهُ .

ثم قالت : أى ربِّ ومنك العدل ، ومن خَلَقَكَ الْجُوزَ ، وَهَبْتَهُ لى قُرَّةَ عَيْنٍ ، فلمُ يُتَمَتِّعْ به كثيراً ، بل سَابَقْتَنِي وَشِيكاً ؛ ثم أمرتني بِالصَّبْرِ ، ووَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ ، فصدقت وَعْدَكَ ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من تَرَحَّمْ عَلَى مَنْ اسْتَوْدَعْتَهُ الرَّدْمَ ، ووَسَّدْتَهُ النَّزْرَ ؛ اللهم ارحم غربته ، وَأَكْسِنْ وَخَشْتَهُ ، واسترْ عَوْرَتَهُ ، يوم تُكْشَفُ الْهَنَاتُ وَالسَّوَاءُ .

فلما أرادت الرجوعَ إلى أهلها وقفت على قبره ، فقالت ! أى بنى ! إني قد تَرَوَّدْتُ لسفري ، فليت شعري ما زادك لُبْدٍ طَرِيقَكَ ، ويوم مَعَاوِكَ ؟ اللهم إني أسألك له الرضا برضائى عنه . ثم قالت : استودَعْتُكَ مَنْ اسْتَوْدَعْتِكَ فِي أَحْسَنِّ جَنِيناً ؛ وَأَمْسَكَلِ الْوَالِدَاتِ ! ما أَمْضَى حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ ، وَأَقْلَقَ مَضَاجِعِهِنَّ ، وَأَطْوَلَ لَيَالِهِنَّ ، وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ ، وَأَقْلَّ أَنْسَهِنَّ ، وَأَشَدَّ وَحْشَتِهِنَّ ، وَأَبْعَدَهِنَّ مِنَ السُّرُورِ ، وَأَقْرَبَهِنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ .

لم تزل تقولُ هدا ونحوه حتى أبكت كلَّ مَنْ سَمِعَهَا . وحدثت الله عز وجل واسترجعت وصلت ركعات عند قبره وانطلقت .

وَأَنْشُدُ الْفَضْلُ الضُّبِّيَّ لَامْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ تَرَى ابْنًا لَهَا :

يَا عَمْرُو مَالِي عَنْكَ مِنْ صَبَرٍ      يَا عَمْرُو يَا أَسْفَى عَلَى عَمْرُو .  
 اللَّهُ يَا عَمْرُو ، وَأَيُّ فَسَقَى      كَفَنْتَ يَوْمَ وُضِعْتَ فِي الْقَبْرِ ؛  
 أَخْشَوُ التُّرَابَ عَلَى مَقَارِفِهِ      وَعَلَى غَضَارَةِ وَجْهِ النَّصْرِ<sup>(١)</sup>  
 حِينَ اسْتَوَى وَعَلَا الشَّبَابُ بِهِ      وَبَدَا مِنْيَرِ الْوَجْهِ كَالْبَدْرِ  
 وَرَجَا أَقَارِبُهُ مَنَاقِفُهُ      وَرَأَوْا شَمَائِلَ سَيْدِ غَمْرِ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَمَّهُ هَمَى فَسَاوَرَهُ      وَغَدَاَ مَعَ الْغَادِينَ فِي السَّفَرِ  
 تَقْدُوبُهُ شِقْرَاهُ سَامِيَةً      مَرَّطَى الْجِرَاءِ شَدِيدَةُ الْأَسْرِ<sup>(٣)</sup>  
 ثَبَتَ الْجَنَانَ بِهِ ، وَيَقْدِمُهَا      فَلَجَّ يَلْبُ مَقْلَقِي صَقْرِ<sup>(٤)</sup>  
 رَيْبُهُ دَهْرًا أَفْتَقُهُ      فِي الْبُسْرِ أَغْذُوهُ وَفِي الْفُسْرِ  
 حَتَّى إِذَا التَّامِيلُ أُمَكْنِي      فِيهِ قَبِيلٌ تَلَاخِي الثَّغْرِ  
 وَجَلْتُ مِنْ شَفْقِي أَثْقَلُهُ      فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَنَافِي غَمْرِ<sup>(٥)</sup>  
 أَدْعَ لِلزَّارِعِ وَالْحَصُونِ بِهِ      وَأَجِلَّهُ فِي اللَّهْمَةِ الْقَفْرِ  
 مَا زِلْتُ أَصِيدُهُ وَأُحْدِرُهُ      مِنْ قَفْرِ مَوَامٍ إِلَى قَفْرِ<sup>(٦)</sup>  
 هَرَبًا بِهِ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ      حَيْثُ انْتَوَيْتُ بِهِ وَلَا أَدْرَى<sup>(٧)</sup>  
 حَتَّى دَفَنْتُ بِهِ لَمْعَرِعِهِ      سَوَى الْمَعِزِّ نَسَاقِ الْقَفْرِ<sup>(٨)</sup>  
 مَا كَانَ إِلَّا أَنْ هَجَعْتُ لَهُ      وَرَى فَأَغْنَى مَطْلِعَ الْفَجْرِ  
 وَرَى الْكَرَى رَأْسِي وَمَالِي بِهِ      رَمْسٌ يُسَاوِرُ مِنْهُ كَالشُّكْرِ

(١) للعارق : مواضع فرق الشعر من الرأس . (٢) غمر : جزيل المطا .

(٣) مرطى : سريعة ، والأسر : القوة . (٤) فلج : حليف النصر .

(٥) التنايف : جمع تنوفة ، وهي الصحراء . والنصر : جمع غبراء ، وأراد المظلة (٦)

(٦) القفر . بالضم : الجانب . (٧) انتويت : قصدت .

(٨) افتر : اسم نبات أو شجر صغير - لا . بل العتر هنا القديح (٩)

إِذْ رَأَى صَوْتَ هَيْبٍ بِهِ  
 وَإِذَا مَنِيَّتُهُ تَبَاوَرَهُ  
 وَإِذَا لَهُ عَلَقٌ وَحَشَرَجَةٌ  
 وَالْمَوْتُ يَقْبِضُهُ وَيَسْطُهُ  
 فِدْعَاً لَأَنْصُرَهُ وَكُنْتُ لَهُ  
 ضَجِيزٌ عَنْهُ وَهِيَ زَاهِقَةٌ  
 فَضَى وَأَيُّ نَفَى فُجِعْتُ بِهِ  
 لَوْ قِيلَ تَغْدِيهِ بِذَلِكَ لَهُ  
 أَوْ كُنْتُ مُقْتَدِرًا عَلَى عُمرِي  
 قَدْ كُنْتُ ذَا قَعْرِ لَهُ ، فَمَعْدَا  
 لَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ مَتْنِي  
 بُنِيَتْ عَلَيْكَ بُقَى ، أَحْوجُ مَا  
 لَا يَبْعِدُنكَ اللَّهُ بِأَعْمَرِي  
 هُذِي سَبِيلُ النَّاسِ كُلِّهِمْ  
 أَوْ لَا تَرَامُ فِي دِيَارِهِمْ  
 وَالْمَوْتُ يُورِدُهُمْ مَوَارِدَهُمْ

وقال أعرابي يمدح رجلاً :

بِمُدِّ نِجَادِ السِّيفِ حَقَّى كَأَنَّهُ  
 وَيُدْلِجُ فِي حُلُجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ  
 إِذَا اعْتَمَ بِالْهَرْدِ الْيَمَانِي حَسْبُهُ  
 يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً  
 بِأَعْلَى سَنَامِي فَالِجٍ يَتَطَوَّحُ  
 وَيُورِي كَرِيمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ  
 هَلَالًا بَدَا فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمِي  
 وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ

وأنشد ابن أبي طاهر لأعرابي :

وقبل أبكى كل من كان ذاهوياً  
وهن على الأطلال من كل جانب  
مُزبَرجة الأعناق نُمرَ ظهورها  
ترى طرُزاً بين الخوافي كأنها  
ومن قطع الياقوت صيقت عُيونها

ومن جيد ما قيل في الحمام قول ابن الرومي :

وقفت بيطراب العشيات والضحى  
حليفة شجور هاج مابي وما بها  
فباح به قوماً وأخفته عينها

ودخل أعرابي على الرشيد، فأنشده أرجوزة مدحه بها ، وإسماعيل بن صبيح يكتب كتاباً بين يديه - وكان من أحسن الناس خطاً ، وأسرعهم يداً - قال

الرشيد للأعرابي : صف الكاتب قال :

ريق حواشي العلم حين تبوره  
له قلماً بؤسى ونمى كلامها  
ينأجيك عما في ضميرك خطه

قال الرشيد : قد وجب لك يا أعرابي عليه حق ، كما وجب لك علينا بإغلام ؛ ادفع له دية الحر ، فقال إسماعيل : وعلى عبدك دية العبد .

وقال أعرابي من بني عقيل :

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي  
وما نظري نحو الحجاز بنافسي

(١) البلاقع : جمع بلقع ، وهي الخالية التي لا أنيس بها (م)

(٢) تبوره ، تحبزه وتبلوه (م)

أَفَى كُلِّ يَوْمٍ تَنْظَرُهُ ثُمَّ غَبَرَهُ  
مَنْ يَسْتَرِجِ الْقَلْبَ إِنَّمَا مَجَاوَرُهُ  
وَقَالَ أَعْرَابِي :

وَإِنِّي لِأَغْضِي مَقْلَقِي عَلَى الْقَدَى  
وَإِنِّي لِأَذْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقُ  
وَكَمْ مِنْ قَتَى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجْوهُهُ  
وَقَالَ آخَرُ :

ذَكَرْتُكَ ذِكْرِي هَانِمٌ بِكَ تَنْتَهِي  
وَلَيْسَتْ بِذِكْرِي سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ  
وَقَالَ آخَرُ :

أَرَيْتُكَ إِن شَطَطَتْ بِكَ الْعَامِيَّةُ  
أَتَرَعَيْنَ مَا اسْتَوْدَعْتَ أَمْ أَنْتَ كَالَّذِي  
أَلَا إِنْ حَيًّا دُونَهُ قُلَّةُ الْحَيِّ  
أَخَذْتُ أَزْدُ الْعَتِيكَ شَاعِرًا مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَلَبَةَ اسْمُهُ الْمَذَلُّ فِي دَرَمٍ ، فَأَتَاهُ  
الْبَيْهَسُ بْنُ رَيْمَةَ فَعَمِلَهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْجُوَ بِنَفْسِهِ ، وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ مَكَانَهُ ، فَقَالَ لَهُ  
لِلْمَذَلُّ : أَخْبِرْكَ بَيْنَ أَنْ أُنْذَحَكَ أَوْ أَمْدَحَ قَوْمَكَ ؛ فَاخْتَارَ مَدْحَ قَوْمِهِ فَقَالَ :  
جَزَى اللَّهُ فِتْنَانِ الْعَتِيكَ ، وَإِنْ نَأَتْ بِي الدَّارُ عَنْهُمْ ، خَيْرٌ مَا كَانَ جَانِبَا  
هُمْ خَلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَأَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ لِمَا حُمِّ مَا كَانَ آتِيَا  
مَتَاعُهُمْ قَوْضَى فَصًّا فِي رِحَالِهِمْ وَلَا تُحْسِنُونَ الشَّرَّ إِلَّا تَبَادِيَا  
كَانَ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَتِهِمْ إِذَا الْمَوْتُ فِي الْأَبْطَالِ كَانَ تَحَامِيَا  
وَذَكَرْتُ الرِّوَاةَ أَنَّ لِلْهَلَبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ عَرَضَ جَنْدَهُ بِخُرَّاسَانَ ، فَفَرَضَ جَيْشَ

(١) الحسى - بالقح - السهل فيه ماء قليل ، والشرائع : جمع شريعة ، وهى

مكان ورود الماء (م)

بكر بن وائل، فربه للمذل فقال : هذا المذل القيسى الذى يقول، وأنشد الأبيات،  
 فقالوا: أيها الأمير؛ احسبه علينا، فانطلق مائة منهم، فقاموا بمائة وصيف ووصيفة،  
 فقالوا : أعطه هذا وليعزتنا .

قوله « كَأَنَّ دنانيراً على قسائمهم » نظير قول أبى العباس الأعمى :  
 ليت شعري من أين رائحة البسك وما إن إخال بأنخيف إنسى ؟  
 حين غابت بنو أمية عنه والبهليل من بنى عبد شمس  
 خطباء على المنابر، فرمنا ن عليها ، وقاله غير خرس  
 فى - لوم إذا اللوم استقرت . ووجوه مثل الدنانير ملس  
 [ بَصَّصْ أخبار أبى نواس ] .

المأمون يبر  
 أخاه الأمين  
 بصحة أبى  
 نواس

ولما خلع المأمون أخاه محمد بن زبيدة ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربهه ، كان  
 يعمل كتباً بيوب أخيه تُقرأ على المنابر بخراسان ؛ فكان مما عابه به أن قال : إنه  
 استخلص رجلاً شاعراً ماجناً كافراً ، يقال له الحسن بن هانى ، واستخلصه ليُشرب  
 معه الخمر ، ويرتكب المآثم ، ويهتك المحارم ، وهو الذى يقول :  
 ألا فاستقى خمرًا وقُلْ لى هى الخمرُ ولا تسقى سرًّا إذا أمكنَ الجمرُ  
 وُجَّ باسم من تهوى ودغني عن الكنى فلا خيرَ فى اللذاتِ من دونها خنجرُ  
 ويذكر أهل العراق فيقول : أهل فسوق وخور، وماخور وخنور ؛ ويقوم  
 رجلاً بين يديه فيُشدُّ أشمار أبى نواس فى الجون ؛ فاتصل ذلك بابن زبيدة ؛  
 فنعى الحسن عن الخمر ، وحبه ابن أبى الفضل بن الربيع ؛ ثم كلمه فيه الفضل ،  
 فأخرجه بعد أن أخذ عليه ألا يشرب خمرًا ، ولا يقول فيها شعراً ، فقال :

ما من يد فى الناس واحدٍ كيدٍ أو العباس مولاها  
 نام الثقات على مضاجعهم وسرى إلى نفسى فأحياها  
 قد كنت خفك ، ثم أمتنى من أن أخافك ، خوئك الله  
 فعفوت عني عفواً مقتدرٍ وجبت له نعم فالفهاها



ومن قوله في ترك الشراب :

أَيْمَنَ الرَّائِخَانُ بِاللَّوْزِ لَوْ مَا  
لَا أَذِيقُ السُّدَامَ إِلَّا شَيْبَا  
نَالَيْتُ بِالْإِسْلَامِ فِيهَا إِمَامٌ  
لَا أَرَى لِي خِلَافَةً مِنْهَا  
فَاسْرِطَا إِلَى سِوَايَ ؛ فَإِنِّي  
لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمَا  
جُلُّ حَفْلِي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ  
أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشْمَ النَّسِيمَا  
فَكَأَنِّي وَمَا أَزُنُّ مِنْهَا  
قَصْدِي يُرِيّ التَّحَكُّمَا  
[كُلُّ عَنْ حَمَلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ  
ب فَأوصى للطبق ألا يقبلا]

الْقَتَدِيَّة : فرقة من الخوارج ، يأمرون بالخروج ولا يخرجون ؛ وزعم البرد  
أنه لم يُسَبَقْ إلى هذا المعنى .

وقال :

عَيْنُ الْخَلِيفَةِ بِي مَوَكَّلَةٌ  
عَيْنَ الْخَلِيفَةِ بِي مَوَكَّلَةٌ  
صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى  
دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفٍ  
وَلَنْ وَعْدَتِكَ تَرَكَهَا عِدَّةٌ  
إِنِّي عَلَيْكَ خُلَافَةٌ خُلْنِي  
سَلَبُوا قِنَاعَ الدَّنِّ عَنْ رَمَقِي  
حَيِّ الْحَيَاةِ مُشَارِفِ الْحَتَفِ  
فَتَفَتَّتْ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجَتْ  
كَتَنَفَسِ الرِّيحَانِ فِي الْأَثَفِ

\*\*\*

أخذ قوله : « وَلَنْ وَعْدَتِكَ تَرَكَهَا عِدَّةٌ » الحسنُ بنُ علي بنِ وكيع قال :  
مَتَى وَعْدَتُكَ فِي تَرْكِ النَّصْبِ عِدَّةٌ فَاسْتَهْذَى عَلَى عِدَّتِي بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ  
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ وَأَقْبَلَ الصَّبَحُ فِي جَيْشٍ لَهُ يَلْبِغُ  
وَجَدٌّ فِي أَثَرِ الْجَوَازِاهِ يَطْلُبُهَا فِي الْجَوِّ رَكْعَتًا هِلَالٌ دَائِمُ الطَّلَبِ  
كَصَوِّجَانٍ لُجَيْنٍ فِي يَدَيَّ مَلِكٍ أَذْنَاهُ مِنْ كَرَةِ صَهْتٍ مِنَ التَّهَبِ  
فَقَمَّ بِنَا نَضَطْبِخٍ صَفَاءَ صَافِيَةٍ كَالنَّاسِ لَكَيْتَا نَلَذَّ بِلا لَهَبِ  
عُرُوسُ كَرَمٍ أَنْتَ تَخْتَالُ فِي حُلُوكِ صُفْرِ عَلَى رَأْسِهَا تَلْجُ مِنَ الْحَبَبِ

وقال أبو الفضل الميكالي في اقتران الملل بالزهرة :

أَبَا تَرَى الزُّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا      تَحْتَ هَلَالٍ لَوْهُ يَخْشَى اللَّهَ  
كَتُكْرَتِهِ مِنْ فَضَّةٍ بَخْلَوَةٍ      وَاقَى عَلَيْهَا صَوْلَجَانٌ مِنْ ذَهَبٍ  
وعلى قول أبي نواس :

صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى      دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفٍ  
كُتِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ الْعِزِّ إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَيْزِيِّ :  
يَا أَيُّهَا الْجَانِي وَيَسْتَجِنِّي      لَيْسَ تَجْنِيكَ مِنَ الظَّرْفِ  
إِنَّكَ فِي الشَّوْقِ إِلَيْنَا كُنْ      يُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَلَى حَرْفٍ  
تَحَوَّتْ آثَارُكَ مِنْ وَدُنَا      غَيْرَ أَسَاطِيرِكَ فِي الصُّخْفِ  
فَإِنْ تَحَامَلْتَ لَنَا زَوْزَةً      يَوْمًا تَحَامَلْتَ عَلَى صَنْفٍ

وحدث أبو عمر الزاهد قال : ذلك بعض الزهاد المرائين جِبَنَتُهُ يَتَوَدَّمُ  
وعصبتها ، ونام ليُصْبِحَ بها كَأَثَرِ السُّجُودِ ، فَانْحَرَفَتِ الْعِصَابَةُ إِلَى صُدْغِهِ ، فَأَخَذَ  
الْأَثَرَ هُنَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : مَا هَذَا يَا أَبَتِ ؟ فَقَالَ : أَصْبَحَ أَبُوكَ مِنْ يَتَعَبَّدُ اللَّهُ  
على حرف !

ضرب من  
الراء

\*\*\*

وقال أبو نواس في الباب الأول :

عَتَبْنَا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلَيْنَا      وَاسْتَقْنَا نُشْطَكَ التَّنَاءَ الثَّمِينَا  
مِنْ سُلَافٍ كَانَهَا كُلُّ شَيْءٍ      يَتَمَنَّى غَيْرُ أَنْ يَكُونَا  
أَكَلَ الدَّهْرُ مَا جَعَلَ مِنْهَا      وَتَبَقَّى لِبَابِهِمُ الْكُتُونَا  
فَلِذَا مَا اجْتَلَيْتُمْ أَفْهَبَا      يَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبَيِّجُ الْعِيُونَا  
ثُمَّ شَجَعَتْ فَاسْتَضَحَكَتْ عَنْ لَالٍ      لَوْ تَجَمَّعْنَ فِي يَدٍ لَأَقْتَنِينَا  
فِي كُنُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ      دَائِرَاتُ رُؤُوسِهَا أَيْدِينَا  
طَالَمْتُ مَعَ السَّعَاةِ عَلَيْنَا      فَلِذَا مَا غَرَبَتْ بَغَرَتْ بَيْنَنَا

من خمرية  
أبي نواس

لو ترى الشربة حولها من بيد  
وغزال يديرها بينان  
كلا شئت عافى برضاب  
ذاك عيش، لودام لي، غير أني  
قلت قوماً من قرة يصطلوناً<sup>(١)</sup>  
ناغلت يريدها الفمز لينا  
يتزك القلب للسرور قرينا  
عفته مكرها وخفت الأميना  
وقال :

أعاذل أعتبت الإمام وأعتبا  
وقلت لساقيا: أجزها فلم أكن  
فجوزها عني سلافاً ترى لها  
إذا عب فيها شارب القوم خيلته  
ترى حينما كانت من البيت مشرفاً  
يدور بها رطب البنان ترى له  
سقام ومناي بعينه مئية  
قال الحسين بن الضحاك الخليلي : أنشدت أبا نواس قولي :

وشاطري اللسان مخلق التكريه شاب المجون بالشك  
فلما بلغت فيه :

كأنما نضب كأيه قمر يسرع في بفض أنجم القللك  
نمر نمرة منكورة ، قلت : مالك ، فقد رعتي ؟ قال : هذا المعنى أنا  
أحق به منك ؛ ولكن سترى لمن يروى ! ثم أنشد بعد أيام :

إذا عب فيها شارب القوم خيلته  
يقتل في داج من الليل كوكبا  
قلت : هذه مطابقة<sup>(٢)</sup> يا أبا علي ! فقال : أنظن أنه يروى لك معنى مليح

وأنا في الحياة ؟

وقال ابن الرومي فكان أحسن منهما

ومنهف كملت محاسنة حتى تجاوز مئية النفس

(١) القرة : البرد الشديد ، وصطلون : يتدفقون بالنار (م) .

(٢) كذا ، ولعلها « مغالبة » (م) . (١ — زمر الآداب ٢)

تَصْبُو الكؤس إلى مَرَّاشِفِه      وَتَضَجُ في يَدِه من الحَبَسِ  
أَبْصَرْتُهَا وَالكَأْسُ بَيْنَ فَمِ      مِنْهُ وَبَيْنَ أَنَايِلِ خَمْسِ  
فَكَأَنَّهُ وَكَانَ شَارِبَهَا      قَرُّ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ  
وقال أبو الفتح كشاجم :

وسحاب يمرُّ في الأرض ذَلِيلٌ      مُطَرَفِ زَرَّةُ عَلَى الأرض زَرَّةٌ<sup>(١)</sup>  
بَرَقَهُ لَمْعَةٌ ، وَلَكِنْ لَهُ رَغْدٌ بَطِيءٌ      يَكْسُو السَّامِعَ وَقَرَا  
كَخَلِيٍّ مَنَاقِي لِّلَّذِي بِهِ زَاهُ      يَبْكِي جَهْرًا وَيَضْحَكُ سِرًّا  
قَدْ سَقَيْتِي الْمُدَّامَ فِيهَا فَتَاةٌ      سَحَرْتَنِي وَلَيْسَ تُخْشِنُ سِحْرَهَا  
فَإِذَا مَا رَأَيْتَهَا تَشْرَبُ الرَّاحَ      أَرْتَنِي شَمْسًا تُقْبَلُ بِدَرَا  
[ من أخبار بشار ]

احتذاء      أُنْ نَواص      على مثاله  
وإنما احتذى أبو نواس في هذه الأَشعار التي وصف فيها ترك الشراب وطاعته  
لأخيه الأمين مثال بشار بن برد ، وصب على قلبه ؛ وذلك أَنْ بشاراً لما قال :  
لَا يُؤْيِسُكَ مِنْ مَحَبَّةٍ      قَوْلُ تَغْلَظَ وَإِنْ جَرَحَكَ  
عُتِرَ النِّسَاءُ إِلَى مُيَاسِرَةٍ      وَالصَّبُّ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَعَ  
بلغ ذلك المهدي فغاضه ؛ وقال : يَحْرُضُ النِّسَاءُ عَلَى الْقُجُورِ ، وَيَسْتَهْلِ  
السَّبِيلَ إِلَيْهِ ! فَقَالَ لَهُ خَالُهُ يَزِيدُ بْنُ مَنصُورٍ الْحِمْيَرِيُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَدْ قَتَنَ  
النِّسَاءَ بِشَعْرِهِ ، وَأَيُّ امْرَأَةٍ لَا تَصْبُو إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ :

عَجِبْتُ فَطَمَةً مِنْ تَغْيِي لَهَا      هَلْ يُعِيدُ النَّمْتَ مَكْفُوفُ النَّظَرِ  
بِتُّ عَشْرَ وَثَلَاثٍ قَسَمْتُ      بَيْنَ غَضَنِ وَكُتَيْبٍ وَقَمَرِ  
دُرَّةً بِمَجْرِيَةٍ مَكْنُونَةٍ      مَارَهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدَّرَرِ  
أَذَرْتُ السَّمْعَ وَقَالَتْ : وَيَلَنِي      مِنْ وَلُوعِ الْكَفِّ رَغَابُ الْخَطَرِ  
أُمِّي بِدَدَ هَذَا لَمَيَّ      وَوَشَاحِي حَلَّةٍ حَتَّى انْتَهَرَ

(١) للطرف - بضم الليم وفتح الراء مخففة - رداء من أنزله أعلام (م)

فَدَعِنِي مَعَهُ يَا أَمْنِي  
أَقْبَلْتُ فِي خَلْوَةٍ تَضْرِبُهَا  
يَا بِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ  
أَيُّهَا النَّوَامُ هُبُوا وَنَحْنُ كُمْ  
فَأَمْرَهُ الْمَهْدَى الْأَيُّ يَنْزِلُ ، قَالَ أَشْعَارًا فِي ذَلِكَ ، مِنْهَا :

المهدي يأمر  
بشاراً بترك  
الغزل

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ  
لَمْتُ إِلَى تَسْوَفِي  
وَاللَّهِ رَبِّ عَمْدٍ  
أَمْسَكْتُ عَنْكَ ، وَرَبِّمَا  
إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى  
وَيَسُوقُنِي بَيْتُ الْحَيْسِبِ إِذَا غَدَوْتُ ، وَأَيْنَ بَيْتُهُ  
قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ  
وَنَهَانِي التَّلَكُّ الْمَا  
بَلْ قَدْ وَفَيْتُ وَلَمْ أَضِيعْ  
مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ  
تَوْبُ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ  
مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهُ  
عَرَضَ الْبَلَاءُ وَمَا ابْتَغَيْتُهُ  
وَإِذَا أُنِيَ شَيْئًا أَيْتُهُ  
فَصَبَّرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلَيْتُهُ (١)  
مِنْ عَنِ النَّسَاءِ فَمَا عَصَيْتُهُ  
عَهْدًا ، وَلَا رَأْيًا رَأَيْتُهُ

وقال أيضاً :

وَاللَّهِ لَوْلَا رِضَا الْخَلِيفَةِ مَا  
قَدِيعْتُ بَيْنَ النَّدْمَانِ وَالرَّاحِ وَالْ  
ثُمَّ نَهَانِي لِلْمَهْدَى فَاَنْصَرَفْتُ  
أَعْطَيْتُ ضَيْمًا عَلَى فِي شَجَرِي  
يَزْهَرُ فِي ظِلِّ مَجْلِسِ حَسَنِ  
نَفْسِي ، صُنْعَ الْمَوْفِقِ الْفَرِّقِ

وقال :

أَفْنَيْتُ عَمْرِي وَتَقَفَّى الشَّبَابُ  
فَالْآنَ شَفَعْتُ إِمَامَ الْمَهْدَى  
لَهْوَتِ حَتَّى رَاغَى دَاعِيَا  
لَتَبِكَ لَيْتِكَ أَهَجَرْتُ الصَّبَا  
بَيْنَ الْحَيَا وَالْجَوَارِي الْعِذَابُ  
وَرَبِّمَا طَبَّيْتُ لَحَبًا وَطَلَبُ  
صَوْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَلَّبُ  
وَنَامَ عُذَالِي وَمَاتَ الْعِتَابُ

(١) قَلَيْتُهُ : كَرِهْتُهُ ، وَيُقَالُ « قُلُوْتُهُ » أَيْضًا ؛ فَاتَّعَلَقَ بِأَيِّ وَادَى ( م ) .

أبصرت رُشدِي وتركت النقي وربما ذلّت لمن الركاب  
في كلمة طويلة يقول فيها :

باحامد القول ، ولم يَيْلُهُ سبقت بالسَّيْلِ مَسَاك السَّحَاب<sup>(١)</sup>  
القولُ أَوْلَى بِنَاءِ القِيَّ ما جاءه من خطأ أو صواب  
دعْ قولَ واه وانتظرْ حِلَّهُ يُفْنِي على اللَّقْحَةِ ما في الحِلَابِ<sup>(٢)</sup>  
إذا غدا المهديُّ في جُنْدِهِ وراحَ في آلِ الرسولِ النَّضَابِ  
بدا لك المعروفُ في وجهه كالظلمِ يَجْرِي في الثنايا العِدَابِ<sup>(٣)</sup>  
ومن شعر بشار في الغزل :

من شعر بشار  
في الغزل

أيها الساقيان صبا شراي واسقياني من ريق ييضاء رُود<sup>(٤)</sup>  
إن دأى الصدى ، وإن شفاي شربة من رُضَابٍ تُغْرِ بَرُودِ  
عندها الصبرُ عن لقائي ، وعندي زفراتُ يا كلن قلبَ الجليدِ  
ولها مَنِيْمٌ كُفِرَ الأُطْحَى وحديثُ كالوَتِي وَشِي الْبُرُودِ  
نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد  
ثم قالت : نَلَقَاك بعدَ لَيَالٍ واليالي يُبَيِّنُ كلَّ جديد  
لا أبالي مَنْ ضَنَّ عني بوَصْلٍ إن قَضَى اللهُ منك لي يومَ جودِ  
وقال :

تُلْقَى بتسيحة من حسن ما خَلِقْتَ وتستغز حشا الرائي يارُعَادِ  
كأنما صَوَّرْتَ من ماء لؤلؤة فكلُّ جارحةٍ وَجَهَ بِرِصَادِ  
وقال :

وهبت له على المسواك ريقاً فطاب له بطيبِ ثَنِيَّتِكَ

- (١) المساك - بزنة السحاب - الموضع الذي يسبك فيه الماء (م)  
(٢) واه ، من الوأى وهو الوعد - واللقة ، بالكسر ، الناقة الحلوب ، والحلاب :  
الوعاء الذي يحلب فيه اللبن ، يريد أن اللبن الذي يكون في الحلاب يدل على مقدار ما تحلبه  
الناقة ؛ فيكون هو الذي يثني عليها (م)  
(٣) الظلم - بالفتح - الريق (م)  
(٤) الرود - بالضم - الناعمة الحساء (م)

أَقْبِلْهُ عَلَى الذِّكْرِ كَأَنِّي أَقْبِلُ فِيهِ فَكَأَنَّكَ وَمَقْلَتِكَ<sup>(١)</sup>  
وقال :

لَا أُسْتَطِيعُ الْمَسْوَى وَهَجَرْتُهَا قَلْبِي ضَيْفٌ وَقَلْبُهَا حَجَرٌ  
كَأَنَّ وَجْدِي بِهَا وَقَدْ حَجَبَتْ فِي الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَالْخَشَا سُكْرٌ  
وَأَنْشَدَهُ أَبُو تَمَامٍ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ شَعْرًا أَغْزَلَ مِنْهُ :

زُوْدْنِيَا بِعَبْدٍ قَبْلَ الْفِرَاقِ بَتَلَقَى ، وَكَيْفَ لِي بِالْتَّلَاقِ<sup>(٢)</sup>  
أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَعِي سِحْرَ غَيْبِكَ وَأَخْشَى مَصَارِعَ الشَّاقِ  
أُمِّي مِنْ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ مَوْضِعَ التَّلَكِ فِي طَلَا الْأَعْنَاقِ  
وقال :

لَقَدْ عَشَيْتَ أَذْنِي كَلَامًا سَمِعْتُهُ رَخِيًا ، وَقَلْبِي لِلْمَلِيحَةِ أَغْشَقُ  
وَلَوْ عَايَنُوهَا لَمْ يَلُومُوا عَلَى الْبُكْى كَرِيمًا سَفَاهُ الْحَمْرِ يَذُرُّ مَحْلَقُ  
وَكَيْفَ تَنَامِي مَنْ كَانَ حَدِيثُهُ بَأَذْنِي وَإِنْ عَنَيْتُ قُرْطُ مُعْلَقُ  
وقال :

وَقَدْ كُنْتُ فِي ذَلِكَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى أَزَارُ وَيَدْعُونِي الْمَسْوَى فَأَزُورُ  
فَإِنِّي فَاتَنِي أَلْفُ ظَلِيلَتُ كَأَنَّمَا يُدِيرُ حَيَاتِي فِي يَدَيْهِ مُدِيرُ  
وَمُرْتَجَّةُ الْأُرْدَافِ مَهْضُومَةُ الْحَشَا تَمُورُ بِسِحْرِ عَيْنَيْهَا وَتَدُورُ  
إِذَا نَظَرْتُ صَبَّتْ عَلَيْكَ صَبَابَةٌ وَكَادَتْ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَطِيرُ  
خَلُوتُ بِهِ لَا يَخْلُصُ الْمَاءُ بَيْنَنَا إِلَى الْعُثْبِيجِ دُونِي حَاجِبٌ وَسُتُورُ  
ومن هذا أخذ على ابن الجهم قوله :

صَلْبِي وَحَبْلُ الْوَصْلِ لَمْ يَتَشَبَّ وَلَا تَهْجُرِي أَنْفِدِكَ بِالْأَمِّ وَالْأَبِ  
رَعَى اللَّهُ دَهْرًا ضَمَّنَا بَعْدَ فُرْقَةٍ وَأَذْنِي فَوَادًا مِنْ فَوَادٍ مُعَدَّبِ  
لعل ابن الجهم

(١) من هنا أخذ ابن زيدون وأبوع وأجاد :

يَدْنِي خِيَالِكَ حِينَ شَطَّ بِهِ النَّوَى وَهَمُّ أَكَادٍ بِهِ أَقْبِلْ فَكَأَنَّكَ

(٢) كَذَا ، وَرَبَّمَا كَانَ «مَخْلَقُ» بِالْحَاءِ مُعْجَمَةٌ : أَيْ مَضْمُوعٌ بِالْحُلُوقِ .

عناقاً ومنماً والزماناً كأنما يرى جسدنا جسم روح مركب  
فَبِتَبّاً وإنا لو تَرَاقَ زَجَاجَةٌ من التَّحْمُرِ فيما بيننا لم تَسْرَبِ  
وشعره في هذا المعنى كثير .

متروك شعر بشار  
ومقداره

وروي أنه قال : أنا أشعرُ الناسِ ؛ لأنَّ لي اثني عشر ألفَ قصيدة ، فلو اختير  
من كل قصيدة بيتٌ لاستندِر ، ومن لذت له اثنا عشر ألف بيت فهو أشعرُ الناسِ<sup>(١)</sup> ؛  
وقد ثرثُ نَظْمُهُ في أضاف الكتاب استدعاءً لنشاط القارئ وكرامة في إملاله .  
وكان بشارٌ أرقَّ المحدثين ديباجةً كلام ، ومُنى أبا المحدثين ؛ لأنه فَتَقَّ بلم  
أُكَّام للماني ، ونهَجَ لهم سبيل البديع ، فأتبعوه ؛ وكان ابن الرومي يُقدِّمه ،  
ويزعمُ أنه أشعرُ من تقدَّم وتأخَّر .

ولاؤه

وهو يمتلئ في شعره بولاء عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ،  
ويفتخرُ بالمصرية . قال له المهدي : فيمن تَمَتَّرِي ؟ قال : أُمَّا اللسان فمصري ،  
وأما الأصل فكما قلت في شعري ! قال : وما قلت ؟ فأنشده :

وُنَبِّتُ قوماً لهم إحنةٌ يقولون من ذا وكُنْتُ العَمَلُ  
ألا أيها السائلُ جاهِلاً ليعرِفني أنا أَلْفُ الكَرَمِ<sup>(٢)</sup>  
نمت في المكارم بي عامرٌ فرُوي وأصلُ قُرَيْشٍ العَجَمُ  
وإني لأغني مقام الفتي وأصبي الفتاة فلا تَفْتَصِمُ

البيت الأول من هذه الأبيات ينظرُ إلى قول جميل :

إذا مارأوني طالماً من ثنيةٍ يقولون من هذا وقد عَرَفُونِي

(١) كان المسيو مرسيه أخبرني وأنا في باريس أنه توجد نسخة من ديوان بشار  
عند أحد أدباء تونس ، فليت من يملك تلك النسخة يفضل ينشرها لأننا في أشد الظمأ  
إلى مجموعة كاملة من شعر بشار الذي عده القدماء إمام شعراء البديع - أقول : قد  
بدأ ينشر هذه النسخة في مصر ، وقد ظهر منها الجزء الأول مطبوعاً طبعاً أنيقاً في  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ( م )

(٢) حفظي «أنا ألف الكرم» ولها وجه وجهه ( م ) .



وفي هذه القصيدة يقول بشار :

وبيضاء يضحكُ مائه الشبا      ب في وجهها لك إذ تَبَسَّيْمْ  
دوار العذارى إذا زُرَّتْها      أطلقنَ بِحُورَاءِ مِثْلِي الصَّيْمِ  
يَرْحَنَ قَيْمَتَحَنَ أركانها      كما يَمَسُّحُ الحَجَرَ المَسْتَلِيمِ  
أصفراء ليس التقى صَخْرَةً      ولكنه نُصِبَ هَمٌّ وَغَمٌ  
صَبَبَتْ هَوَاكِ عَلَى قَلْبِهِ      فضاقي وَأَعْلَنَ ما قد كَتَمِ

ويقال : إنه مولى لأم الغلباء السدوسية ، ولذلك قال أبو حذيفة وأصيل بن عطاء النزال رئيس المعتزلة لما هجاء بشار : أما لهذا الأعمى للنجيد المشف للكتفى بأبي معاذ مَنْ يَقْتُلُهُ ؟ والله لولا أن الغيلة من سجايا الغالية ، لبستُ إليه من يَبْعَجُ بطنه في جوف منزله ، ولا يكون إلا سدوسيا ، أو عُقَيْليًا .

وكان وأصيل بن عطاء أحد أعاجيب الدنيا ؛ لأنه كان ألغى في الراء ، فأسقطها <sup>شئ من خبر</sup> من جميع كلامه وخطبه ؛ إذ كان إمامَ مذهب ، وداعى نخلة ، وكان محتاجاً إلى <sup>واصل بن عطاء</sup> جَوْدَةِ البَيَّانِ ، وفصاحة اللسان . قال الجاحظ : فانظر كثرة تردد الراء في هذا الكلام وكيف أسقطها ؟ قال : الأعمى ، ولم يقل الضرير ، وقال : للمحد ، ولم يقل الكافر ، وقال : للشنف ، ولم يقل المرعش ، وقال : للكتفى : بأبي معاذ ، ولم يقل بشاراً ولا ابن برد ، وقال : الغالية ، ولم يقل المغيرة ، ولا المنصورية ، وهم الذين أراد ، وقال : لبست ، ولم يقل لأرسلت ، وقال : يبعج ، ولم يقل يتفر ، وقال : في جوف منزله ، ولم يقل في داره ، وأراد بذكر عُقَيْل وسدوس ما ذكر من اعتراضه إليهم .

\*\*\*

وزعم الجاحظ أن بشاراً كان يدين بالرجعة ، ويُكفِّر جميع الأمة ؛ <sup>عود إلى أخبار</sup> وأنشد له أشعاراً صوب بها رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، منها قوله :  
الأرض مُظْلِمَةٌ ، والنارُ مُشْرِقةٌ      والنارُ معبودةٌ مُذْ كانتِ النارُ  
وقال داود بن رزين : أتينا بشاراً ، فأذِنَ لنا والمثلثة بين يديه ، فلم يدعنا إلى الطعام ، ثم جلسنا فحضر للظهر والعصر والغرب فلم يصل ، ودعا بطنت قبل

بحضرتنا ، قلنا له : أنت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكراها ، قال : ماهي ؟  
قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا ، قال : إنما أذنت لئلا تأكلوا ، ولو لم  
ترد ذلك لم نأذن لكم ، قلنا له : ودعوت بالطلست ونحن حضور ، قال : أنا  
مكفوف ، وأنتم مأمورون بغض الأَبصار دوني ، قلنا : وحضرت الصلاة فلم تصل !  
قال : الذي يقبلها تغاريق يقبلها جملة ! هذا وهو القائل :

كيف يبكي لمخبس في طولِ من سفيضي ليحبس يوم طويل  
إن في البسّ والحساب لشغلا عن وقوف برسم دار محيل  
وقال :

ذكرت بها عيشا قتل لصاحبي : كأن لم يكن ما كان حين يزول  
وما حاجتي لو ساعد الدهر بالنّي كعاب عليها لؤلؤ وشكول  
بدا لي أن الدهر يقذح في الصفا وأن بقائي إن حيت قليل  
فيس خائفا للموت أو غير خائف على كل نفس للحمام دليل  
خيلك ما قدمت من عمل الثقي وليس لأيام النون خليل

بين بشار وعقبة بن دؤبة ابن السجاج  
وكان بشار حاضرا الجواب ، سجعاء ، خطيبا ، صاحب منشور ومزدوج  
ورجز ورسائل مختارة على كثير من الكلام ، ودخل على عقبة بن مسلم بن قتيبة ،  
فأنشده مديحا وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزة ، ثم أقبل على بشار فقال :  
هذا طراز لا يحسنه يا أبا معاذ ! فقال : والله لأنا أرجز منك ومن أيك ! ثم غدا  
على عقبة من الغد ، فأنشده أرجوزته :

ياطلل الحى بذات الصمد بالله خبر كيف كنت بعدى  
يقول فيها :

صدت بخدة وجلت عن حد ثم انثنت كالنفس المرتد  
وصاحب كالدمل الممد حملته في رقة من جلدي  
حتى اغتدى غير قعيد القدد وما درى ما رغبتى من زهدي

وهذا كقول الآخر :

يَرْدُونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ      وَلَا يَذْفَعُ الْمَوْتَ النَّفْسُ الشَّحَاحُ  
وفيها يقول :

الْحَزْرُ يُبْلَغِي وَالْمَصَالِفُ الْعَبِيدُ      وَلَيْسَ لِلْمُذْخِفِ مِثْلُ الرَّدِّ  
أَسْلَمَ وَحَيَّتْ أَبَا الْمِلَّةِ      مِفْتَاحَ بَابِ التَّحْدِثِ الْمُسَدِّ  
وَالْبَسَ طِرَازِي غَيْرَ مُتَرَدِّ      اللَّهُ أَيُّمُكَ فِي مَعَدِّ

وهي طويلة ، فأُخْرِجَ صَوتَهُ ، فلما سَمِعَ ابْنَ رُوْبَةَ مَا فِيهَا مِنَ الْغَرِيبِ قَالَ :  
أَنَا وَأَبِي وَجَدْتِي فَتَحْنَا الْغَرِيبَ لِلنَّاسِ ، وَإِنِّي خَلِّيقُ أَنْ أَسُدَّهُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ  
بِشَارُ : ارْحَمَهُمُ رَحِمَ اللَّهِ ! قَالَ : تَسْتَنْفِ بِي ، وَأَنَا شَاعِرُ ابْنِ شَاعِرِ ابْنِ شَاعِرٍ ؟  
قَالَ : إِذَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً !  
فَضَحَكَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ .

ودخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري ، فأنشده قصيدة ، فلما  
أتمها قال له يزيد : ما صنعتك يا شيخ ؟ قال : أَتَقُبُّ الْأَوَّلُوْءَ ، قَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ :  
أَتَهْزَأُ بِخَالِي ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا يَكُونُ جَوَابِي لِمَنْ يَرَى شَيْخًا أَعْمَى  
يُنْشِدُ شِعْرًا فَيَسْأَلُهُ عَنْ صِنَاعَتِهِ ؟

وقال جَوَابِي الْمَهْدِيُّ لِلْمَهْدِيِّ : لَوْ أَذِنْتَ لِبِشَارٍ يَدْخُلُ إِلَيْنَا يُزَانِسُنَا وَيُنْشِدُنَا  
فَهُوَ مُحِبُّ الْبَصْرِ ، لَا غَيْرَةَ عَلَيْكَ مِنْهُ ، وَأَمْرُهُ فَدَخَلَ إِلَيْهِمْ وَاسْتَظْفَرْتَهُ ،  
وَقُلْنَا لَهُ : وَدَدْنَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مَعَاذٍ أَنْكَ أَبُونَا حَتَّى لَا نَفَارِكَ ، قَالَ : وَنَحْنُ عَلَى دِينِ  
كَسْرِي <sup>(١)</sup> ! فَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ الْأَ تَدْخُلَ عَلَيْهِمْ .

وَكَانَ التَّنْبِيْ نَظَرَ إِلَى هَذَا قَالَ :

يَا اخْتِ مَعْتَقِي الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى      لِأَخْوِكَ نَمَّ أَرْقُ مِنْكَ وَلَوْ حَمُّ  
يَرْئُو إِلَيْكَ مَعَ التَّقَافِ وَعِنْدَهُ      أَنَّ الْجَوْسَ تَصِيبُ فَيَا تَحْكُمُ

(١) كان كسرى مجوسياً يستبيح زواج البنات والأخوات (م) .

## [كلمات مأثورة]

قال علي بن عبيدة الريماني : المودةُ تماطُفُ القلوب ، واختلفُ الأرواح ،  
وحسِنَ النفوس إلى متَابَةِ السرائر ، والاسترواحُ بالمستكنَّات في الفراز ، ووحشةُ  
الأشخاص عند تَبَايُنِ اللقاء ، وظاهر السرور بكثرة التَّزوار ، وعلى حسب مشاكلة  
الجواهر يكون اتِّفَاقُ الخصال .

وقال : العتابُ حدائقُ المتحايين ، وثمارُ الأوداء ، ودليلُ الفتن ، وحركاتُ  
الشُّوق ، وراحةُ الواجد ، ولسانُ المُشْفِق .

قال بعض الكتاب : العتابُ علامةُ الوفاء ، وحاصَّةُ الجفاء ، وسلاحُ الأكفاء .

وقال علي بن عبيدة : التجبُّيُ رسولُ القطيعة ، وداعى القِلِّ ، وسببُ السوء ،  
وأوَّلُ التجافي ، ومنزلُ التهاجر .

وقال : الصدقُ ربيعُ القلب ، وزكاةُ الخلق ، وثمرَةُ المروءة ، وشُعاعُ الضمير  
وعن جلالةِ القدر عبارته ، وإلى اعتدالي وزنِّ العقل يُنسَبُ صاحبه ، وشهادتهُ  
قاطمةٌ في الاختلاف ، وإليه ترجعُ الحكومات .

وقال : الكذبُ شِعَارُ الخيانة ، وتمحريفُ العلم ، وخواطرُ الزور ، وتسويلُ  
أضغاثِ النفس ، واعوجاجُ التركيب ، واختلافُ البنية ، وعن خولِ الذكر  
ما يكون صاحبه .

وعلى بن عبيدة كثيرُ الإغارة ، حتَّى ما كان غَيْرُهُ قد استنَّكَرَهُ .

## فقر في الكذب لغير واحد

بعض الفلاسفة : الكذابُ والمُتِّيتُ سواء ؛ لأنَّ فضيلةَ الحَيِّ النُّطقُ ، فإذا  
لم يُوثَّقْ بكلامه قد بطلت حياته .

الحسن بن سهل : الكذابُ لِيَحْنُ ؛ لأنَّ اللصَّ يسرقُ مالك ، والكذابُ  
يسرقُ عقلك ، ولأنَّ مَنْ كَذَبَ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْكَ ، ومن اغتابَ غَيْرَكَ عندك

فلا تأمن أن يفتاك عند غيرك .

قال إبراهيم بن العباس في هذا النحو .

إني متى أحقد بحقدك لا أضرب به سواكا

ومتى أعطتك في أخيك أعطت فيك غدا أخاكا

حتى أرى متصما يومئذ لدا ، وغدا لداكا

حسب الكاذب بقله سقا وقله خصما

ابن المعتز : علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف ، وقال :

وفي اليمين على ما أنت فاعله مادل أنك في الميعاد منهم

وقال : اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإن اضطرت إليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه

أنك تكذبه ، فينقل عن وده ، ولا ينقل عن طبعه . يمتري حديث الكذاب

من الاختلاف ما لا يمتري الجبان من الارتعاد عند الحرب . لا تصح للكذاب

رؤيا ؛ لأنه يخبر عن نفسه في اللحظة بما لم ير ، فترى في النوم ما لا يكون ، وأنشد :

لا يكذب للره إلا من مهاتسه أو عادة السوء ، أو من قلة الأدب

ولأهل العصر : فلان منفس في عيه ، يكذب لذيله على جنيبه ، يقول بهتاً ،

وزوراً بحتاً ، قد ملأ قلبه ريناً ، وقوله ميثناً ؛ يدين بالكذب مذهباً ، ويستثير

الزور مركباً . أقاويل يمتشى الزور في مناكبها ، ويبرز البهتان في مذاهبها .

وقال أعرابي لابنه وسماه يكذب : يا بني ، عجب من الكذاب الشريد

بكذبه ، وإنما يدل على عيبه ، ويتمرض للعقاب من ربه ؛ فالأمام له عادة ،

والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقاً لم يصدق ، وإن أراد خيراً لم يوفق ؛ فهو

الجانى على نفسه بفعله ، والدال على فضيخته بمقاله . فما صح من صدقه

نسب إلى غيره ، وما صح من كذب غيره نسب إليه ، فهو كما قال الشاعر :

حسب الكذوب من اللهاة نة بعض ما يحكى عليه

ما إن سمعت بكذبة من غيره نسبت إليه

## [ جزاء الشكر ]

يُبين الحسن بن سهل  
بن سهل  
والمأمون

كتب الحسن بن سهل إلى المأمون ، بعد أن زُفَّت إليه بوران وتوهم القواد أن هذا التزويج قد أنسى الحسن حاله قبل ذلك : قد تولى أمير المؤمنين من تعظيم عبده في قبول أمته شيئاً لا يتسع له الشكرُ عنه إلا بمعونة أمير المؤمنين ، أدام الله عزَّه ، في إخراج توقيمه بزيين حالي في العامة والخاصة ، بما يراه فيه صواباً إن شاء الله .

فخرج التوقيع : الحسن بن سهل زمام على ما جمع أمور الخاصة ، وكنت أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاء ، وإليه الخراج والبريد واختيار القضاة ، جزاء بمعرفته بالحال التي قرَّبتُ منا ، وإثابة لشكره إيانا على ما أولينا .

## [ من خطب النكاح ]

خطبة للمأمون

قال يحيى بن أكرم : أراد المأمون أن يزوجه ابنته من الرضا فقال : يا يحيى ؛ تكلم ، فأجَلَّتْهُ أَنْ أَقُولَ : أنكحت ، قلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، قال : الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً برؤيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره .

أما بعد ، فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيَّه حُكماً ، وأنزله وَحياً ؛ ليكون سبباً للنسابة ؛ ألا وإني قد زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى ، وأمهرتها أربعين ألف درهم ، اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاء إلى ما درج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين .

قال الأصمعي : كانوا يستحبون من المخاطب إلى الرجل حرمة الإطالة ؛ تبدل على الرغبة ، ومن الخطوب إليه الإيجاز ، ليدل على الإجابة .

ما يستحب من المخاطب والمخطوب إليه

وخطب رجل من بني أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، فأطال ؛ فقال عمر :

الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ؛ أما بعد فإن  
الرجبة منك دعيتك إلينا ، والرجبة منا فيك أجابت ، وقد زوجتك على كتاب  
الله : إمسك بمعروف ، أو تسريح بإحسان .

وخطب رجل إلى قوم فأبى بن الخطيب له ، فاستفتح بحمد الله وأطال ، وصلى  
على النبي عليه السلام وأطال ، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقصّر  
ذكر القرون حتى صجر من حضر ، والتفت إلى الخطيب ، قال : ما أمك  
أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنسيت اسمي من طول خطبتك ، وهى طالق إن  
تزوجتها بهذه الخطبة ؛ فضحك القوم ، وعقدوا فى مجلس آخر .

[ الكتب والأقلام والخط ]

وقال ابن المعتز : الكتاب والرج الأبواب ، جرى على الحجاب ، منهم  
لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به شخص للشتاق ، إذا أقدمه القراق ، والقلم مجهر  
لجوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت وأقفاً ، وينطق  
سائراً ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء ، وكأنه يقبل بساط سلطان  
أو يفتح نور بستان .

وهذا كقوله فى القاسم بن عبيد الله ، قال الصولي : لما عرض القاسم بن عبيد  
الله ليخلف أباه : قال ابن المعتز :

قلم ما أراه أم فلك يجرى بما شاء قاسم ويسير  
خاشع فى يديه يلم قوطا ساكاً قبل البساط شكور  
ولطيف المعنى جليل نحيف وكبير الأفعال وهو صغير  
كم منالاً وكم عطاياء كم حنوف وعيش تهم تلك الشطور  
نشت بالذجا نهارة فما أذرى أخط فيهن أم تصوير  
هكذا من أبوه مثل عبيد الله بنى إلى الصلا ويعير  
عظمت منة الإله عليه فهناك الوزير وهو الوزير

وله فى القاسم  
بن عبيد الله

لبعض البلغاء

وقال بعض البلغاء : صورةُ انعطاف في الأبصار سواد ، وفي البصائر بياض .

لمتنبي

وقال أبو الطيب المتنبي :

دعاني إليك العلم والحلم والحجى وهذا الكلام التلثم والتأمل التثمر  
وما قلت من شعر تكادُ بيوته إذا كتبت يبيض من نورها الحبر

لابن المعتز

وقال ابن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب :

علم بأعقاب الأمور ، كأنه بمختلصات الفطن يسمع أو يرى  
إذا أخذ القرطاس خلت يمينه يُفتح نوراً أو يُنظم جوهر

مفاخرة بين صاحب سيف وصاحب قلم

فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، قال صاحب القلم : أنا أقل بلا غرر ،  
وأنت تقتل على خطر . قال صاحب السيف : القلم خادم السيف ، إن تم مراده  
وإلا فالسيف معاده ؛ أما سمعت قول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب  
بيض الصفايح لاسود الصحائف في متونهن جلالة الشك والريب

لمتنبي

وقال أبو الطيب :

ما زلت أضحك إبني كلما نظرت إلى من احتضنت أخافها بدم  
أسيرها بين أصنام أشاهدها ولا أشاهد فيها عفة الصم  
حتى رجفت وأقلامي قواريل لي الجمد للسيف ليس الجمد للقلم  
اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به فإنما نحن للأسياف كالخدم

هذا مقول من قول علي بن العباس النوبختي ، وقد رواه أبو القاسم الزجاجي

للنوبختي

لابن الرومي ، وإنما وم لا تفاق الأسمين :

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت خوفة الأمم  
فالوت - والموت لا شيء يُناله - ما زال يفتع ما يجرى به القلم  
بذا قضى الله للأقلام مذبذباً أن السيوف لها - منذ أرفقت خدم



وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

لَمَعَزُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَيْفِ  
لَهُ شَاحِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ  
أَدَاةُ النَّيِّفَةِ فِي جَانِبِهِ  
سِنَانُ النَّيِّفَةِ فِي جَانِبِهِ  
أَلَمْ تَرَ فِي صَدْرِهِ كَالْتَّانِ  
وقال أبو الفتح البستي :

البستي

إِذَا أَقْسَمَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بَيْنَهُمْ  
كُنِيَ قَلَمُ الْكِتَابِ حَجْدًا وَرَفْعَةً  
وقد قيل : صرير الأقلام ، أشد من صليل الحسام .  
قال الصولي : أنشدني طلحة بن عبيد الله :

طلحة بن  
عبيد الله

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى اللَّهَارِقِ كَفَعَهُ  
مُقَاصِرًا مُتَطَوِّلًا وَمُقَضَّلًا  
تَرَكَ الْمُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوَهَا  
كَالْحِيَةِ الرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ  
يَرْمِي بِهِ قَلَمًا يَمِجُّ لُمَاهُ  
وقال محمود بن أحمد الأسباني :

المحمود  
الأسباني

أَخْرَسُ يُنْبِيكَ بِإِطْرَاقِهِ  
يُذِرِي عَلَى قِرْطَابِهِ دَمْعَةً  
كَشَاقِ أَخْفَى هَوَاهُ وَقَدْ  
تُبْعِرُهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ  
يُرْسِي أَسِيرًا فِي دَوَاثِرِهِ وَقَدْ  
عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ  
يُذِرِي بِهَا السَّرَّ وَمَا يَذِرِي  
نَمَتْ عَلَيْهِ عِبْرَةٌ تَجْرِي  
عُرْيَانٌ يَكْسُو النَّاسِي أَوْ يُعْرَى  
أَطْلُقُ أَقْوَامًا مِنَ الْأَمْرِ

(١) للهَارِقُ : الصحائف البيضاء ، واحدا مهرق - بنة مكرم - والشخت : الضامر البقي من غير هزال (٢) .

يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَمَا يَغْيَرُ،  
يَنْشَى، وَكَالْصَّارِمِ إِذْ يَغْيَرُ

أَخْرَقَ لَوْلَمْ يَغْيَرِهِ لَمْ يَكُنْ  
كَالْبَحْرِ إِذْ يَحْمَرُ، وَكَالْإِلِّ لَإِذْ

لأحمد بن جرار

وقال أحمد بن جرار :

يَحِلُّ عَقْدَ الشَّرِّ إِعْلَانُ  
مِنْ رِيقَةِ الْكَرْسُفِ رِيَانُ  
شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجُمَانُ  
ذَبْلًا مِنَ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ  
وَلَا تَمَّا لِلْمَلِكِ دِيَوَانُ

أَهَيْفُ مَمْشُوقٌ بِتَحْرِيكِ  
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حُدُّهُ  
تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ  
كَأَمَّا يَنْسَحِبُ فِي إِتْرِهِ  
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْمَدَى

لأبي تمام

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام لـ

تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُتْلَى وَالْفَاصِلُ  
بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ وَابِلُ  
وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتَهُ أَيْدِي عَوَاسِلِ  
لَمَّا اخْتَلَفَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمَحَافِلِ

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي يَشْبَاهُ  
لَهُ رِيقَةُ طَلٍّ وَلَكِنْ وَقَفَهَا  
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ  
لَهُ الْخِلَاطَاتُ الْإِلَاءُ لَوْلَا نَحْيُهَا

وقال الأمير تميم بن الحر :

لتميم بن الحر  
القاضي

أَلَا قِي مِنَ الْأَرْزَاءِ وَهُوَ جَلِيلُ  
شَبَابِ السِّيفِ عَضْبُ الشُّفَرَتَيْنِ صَقِيلُ  
وَيَسْبُخُو بِنَا فِي نَفْسِهِ بِلْجَهْلُ  
عَلِيلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيلُ  
يَحْمَلُهُ مَا أَثَقَاهُ قَبْلَ أَقُولُ  
أَرَى الصَّبْرَ سَيْفًا لَيْسَ فِيهِ قُلُولُ

وَذِي عَجَبٍ مِنْ طُولِ صَبْرِي عَلَى الْبَنَى  
يَقُولُونَ: مَا تَشْكُو؟ قُلْتُ: مَتَى شَكَأُ  
وَأِنْ أَمْرًا يَشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعِ  
عَذَابِي أَنْ أَشْكُو إِلَى النَّاسِ أَنْقَى  
وَيَمْنَعُنِي الشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ  
سَأَسْكُتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا وَفَاتَى

وقال :

فِي حَالَتِكَ، وَمَا أَقْلَكَ مُنْصِفًا  
وَعَلَى اللَّيِّبِ الْحَرُّ سَيْفًا مُرْهَفًا؟

يَا دَهْرُ مَا أَفْسَاكَ مِنْ مِتْلُونِ  
أَتَرَوْخَ لِلنَّكْسِ الْجَهْلُ مَهْدًا

وإذا صفت كدُرت، شيمة باخلي، وإذا وفيت قَصَصْتَ أسبابَ الوفا  
لا أَرْضِيكَ، وإن بكرمت؛ لأنني أَدْرِ بِأَنَّكَ لَا تَدُومُ عَلَى الصَّفَا  
زمنٌ إذا أَعطَى اسْتَعَدَّ عَطَاءُهُ وإذا اسْتَقَامَ بَدَّلَ فَحَصْرًا  
مَا قَامَ خَيْرُكَ يَا زَمَانُ بِشَرِّهِ أَوْلَى بِنَا مَا قَلَّ مِنْكَ وَمَا كَفَى

### [ الصدق في النصيحة ]

وكان أحمدُ بنُ يوسف منصرفاً عن غسان بن عباد، وجرتَ بينهما هَنَاتٌ  
بِحَضْرَةِ المأمون، فقال يوماً بحضرة خاصة أصحابه: أخبروني عن غسان بن عباد؛  
فإنني أريدُه لأمرٍ جسيم؛ وكان قد عَزَمَ عَلَى تَقْلِيدِهِ السُّنْدَ مَكَانَ بِشْرِ بْنِ دَاوُدَ؛  
فحكَّم كلُّ فريقٍ بما عنده في مَدْحِهِ؛ فقال أحمد بن يوسف: هو يا أمير المؤمنين  
رَجُلٌ مُحَاسِنٌ أَكْثَرُ مِنْ مَسَاوِيهِ، لَا يَنْطَرِفُ بِهِ أَمْرٌ إِلَّا تَقَدَّمَ فِيهِ، وَمِثْلُهَا  
تُخَوِّفُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ أَمْرًا يَنْتَظِرُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَسَمَ لِإِيْمِهِ بَيْنَ أَفْصَالِ الْفَضْلِ؛  
فَجَلَّ لِكُلِّ خَلْقٍ تَوْبَةً، إِذَا نَظَرْتَ فِي أَمْرِهِ لَمْ تَذَرِ أَى حَالَاتِهِ أَعْجَبُ؛ أَمَا هَذَا  
إِلَيْهِ عَقْلُهُ أَمْ مَا اكْتَسَبَ بِأَدَبِهِ؟

فقال له المأمون: لقد مدحته على سوء رأيك فيه! قال: لأنني في أمير المؤمنين  
كما قال الشاعر:

كَفَى نَمْنًا لِمَا أَشَدَّيْتُ أَنِي نَصَحْتُكَ فِي الصَّدِيقِ وَفِي عِدَائِي  
وَأَنِي حِينَ تَنْذُبُنِي لِأَمْرِ يَكُونُ هَوَاكَ أَغْلَبَ مِنْ هَوَائِي  
قال الصولي: وقد رَوَى هَذَا لَفِيزُ أَحْمَدَ، وَلَمَلَّ أَحْمَدُ اسْتِمَارَهُ؛ فَأَعْجَبَ الْمَأْمُونُ  
ذَلِكَ مِنْهُ، وَشَكَرَهُ غَسَّانُ بْنُ عِبَادَ لَهُ، وَتَأَكَّدَتْ الْحَالُ بَيْنَهُمَا.

وكان أحمدُ بنُ يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عِجْلٍ بنِ بَلْجَمٍ عَالِيِ الطَّبَقَةِ  
فِي الْبَلَاغَةِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَكْثَبَ مِنْهُ، وَلَهُ شِعْرٌ جِدُّ مَرْتَفِعٌ عَنْ أَشْعَارِ  
السُّكْتَابِ، وَوَزَرَ لِلْمَأْمُونِ بَعْدَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا لَرَفَعَ بِهِ أَحْمَدُ أَنْ  
مِنْ تَرْجَمَةِ أَحْمَدَ  
ابن يوسف  
ومنزله في  
البلاغة

المخلوع محمد بن الرشيد لما قتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا إلى  
 المؤمن ؛ فاطلوا ، قتل طاهر ؛ أريد أخضر من هذا فهو صنف له أحمد بن يوسف  
 وموضعه من البلاغة ، فأحضره لك ، فكتب : أما بعد فإن كان المخلوع  
 قسيم أمير المؤمنين في النسب والحقمة ، فقد فرق بينهما حكم الكتاب في الولاية  
 والخدمة ، بمفرقة عصاة الدين ، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين ؛ لقول الله  
 عز وجل فيما اقتبس [ علينا ] من نيا نوح وابنه : ( إنه ليس من أهلِكَ إنه عمل  
 غير صالح ) ، ولا طاعة لأحد في معصية الله ، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في  
 ذات الله ؛ وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق  
 وعنده ، والحمد لله الراجح إلى أمير المؤمنين معلوم حقه ، الكائد له فيمن ختر  
 عهده ، ونقض عهده ، حتى رد به الألفة بعد فرقتها ، وجمع به الأمة بعد  
 شتاتها ، وأضاء بأعلام الدين بعد دُروهِ . ١ ؛ وقد بشت إليك بالديار وهي رأس  
 المخلوع ، وبالآخرة وهي الرزدة والقضيب ؛ والحمد لله الأخذ لأمر المؤمنين حقه ،  
 الراجح إليه ترث آياته الراشدين .

وكان أحمد بن أبي خالد كثيراً ما يصف أحمد المؤمن ويحبه عليه ، فأمره  
 المؤمن بإحضاره ، فلما وقف بين يديه قال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي  
 استخلك فيما استخفك من دينه ، ولقدك من خلافته ، بسوانج نعيمه ، وفضائل  
 قيسه ، وعرفتك من تيسير كل عسير حاولك عليه متمرد ، حتى ذل لك ما جله  
 تكلفه لما خباك به من موارد أموره ، بتجبع مصادرها ، خدأ نامياً زائدا لا ينقطع  
 أولاه ، ولا ينقضي آخراه ، وأنا أسأل الله يا أمير المؤمنين من إتمام بلائه لديك ،  
 ومينته عليك ، وكفائته ما ولاك واسترعاك ، وتحصين ما حاز لك ، وتمكين  
 من بلاد عدوك ، ما يمنع به بيضة الإسلام ، ويعز بك أهله ، ويبيع بك  
 حبي الشريك ، ويجمع لك مئتان الألفية ، وينجز بك في أهل البلاد والضيالة  
 وعدة ؛ إنه سمع الدعاء ، فقال لما يشاء .

قال المؤمنون : أحسنت ، بؤوك عليك ناعقاً وسا كئياً ! ثم قال بعد أن  
بلاه واختبره : يا عجباً لأحمد بن يوسف ! كيف استطاع أن يكتم قومه !

وكتب إلى المؤمنون يستعذرون لواله على بله : إني داعي نذاه ، ومناذي  
جلاؤك ، نجما يبايك الوفاء ، يرجون نائلك التيسر ، فهم من يموت بمكرمة ،  
ومنهم من يذلي بسالف خدمة ، وقد أضعف بهم القام : فإن رأى أيها المؤمنون  
أن ينقشهم بسببه ، ويمحق ظنهم بطوله ، فصل .

فوقع المؤمنون في عرض كتابه :

الخير متبع ، وأموال السلوك مظان الحجاب ؛ لا ككتب أسلام ،  
وبين مرتبة كل واحد منهم ، ليصير إليه على قدر استحقاقه ؛ ولا تكدره  
مخروفا بالطلل والحجاب ؛ فقد قال الشاعر :

فإنك لن ترى طرداً لحزب كإلصاق به طرف الهوان  
ولم تجلب مودة ذي وفاء بمثل الوء أو بذل اللتان

قال أحمد بن يوسف : أنرفي المؤمنون أن أكتب في زليخة قدايل شعر  
رمضان ؛ فأعيا على ، ولم أجد مثلاً أحتذى عليه ؛ فبت مغموماً ، فأتاني آت  
في النوم فقال : اكتب : فإن فيها إضاءة للمتجهدين ، ونفياً لمكان الرئيب ،  
وأنساً للسايلة ، وتنزيهاً لبيوت الله من وشة الظلم ، فأخبرت بذلك المؤمنون ،  
فاستظفروه ، وأمر أن تمضى الكتب عليه .

وأهدى إلى المؤمنون في يوم نوروز طبق جرزع عليه ميل من ذهب ، فيه اسمه  
منقوش ، وكتب إليه :

هذا يوم جرت فيه العادة ، بالاطراف البيد السادة ، وقد بعثت إلى أمير  
المؤمنين طبق جزرع فيه ميل .

فلما قرأ المؤمنون الرسالة قال : أجادت هدية أحمد بن يوسف ؟ قالوا : نعم .  
قال : هي في داري أم حاري فيها ؟ فلما رجع للنديل انخطرف المدينة واسترجع مهنديها .

وأهدى إلى إبراهيم بن المهدي هدية وكتب إليه : الثقة بك قد سهلت  
 السبل إليك ، فأهديتُ هدية من لا يمتثل إلى من لا يفتنم .  
 وكتب إلى بني سعيد بن سلم : لولا أن الله عز وجل ختم نبوته بمحمد  
 صلى الله عليه وسلم ، وكتبه بالقرآن ، لنزل فيكم نبي رقة ، وأنزل فيكم  
 قرآن غدر ؛ وما عدت أن أقول في قوم محاسنهم مساوى الشغل ،  
 ومساوئهم فصائح الأم ، وألسنتهم معولة بالني ، وأيديهم معقودة بالبخل ، وم  
 كما قال الشاعر :

لا يكبرون وإن طالت حياتهم ولا تبيد تحازيرهم وإن بادوا  
 وغى من بحضرة أحد بن يوسف ولم يكن محسنا ، فلم ينصروا له ، وتحذوا  
 مع غناه ، فغضب النقي ؛ فقال أحد بن يوسف : أنت عافاك الله تحمل الأسماع  
 هلا ، والقلوب مللا ، والأعين قباحة ، والأنف نتانة ، ثم تقول : اسمعوا مني ،  
 وأنصتوا إلي ! هذا إذا كانت أهازينا مقفلة ؛ وآذاننا صديرة ، فإما رضيت بالقفو  
 منا ، وإلا قت مذموما عنا .

### ألفاظ لأهل العصر في ذم الممنين

يترنم فثيب ولا يطرب . إذا غنى غنى ، وإذا أدى أدى .  
 يميت الطرب ، ويحيي الكرب . صر به يؤجب صر به . من عجائب  
 غنياته أنه يؤرد الشتاء في الصيف . ما روى قط في دار مرتين . وحضر  
 جحلة مجلسا فيه علي بن بسام ، ففرق القوم المخاد ، فقال جحلة : فإلى لم  
 تسطوني بخدة ؟ فقال علي بن بسام : غنى فالخاد كلها إليك تصير ! وفيه يقول  
 ابن بسام :

يا من هجرناه ففنا أنت ، وبيت الله ، أهجانا  
 سيان إن غنى لنا جحلة أو مرر مجنون فزنا

وكان خاله يُنتَبِذ ، فبِثَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ غِلَامَهُ بِشَرَى لَهُ خُمْسَةُ أَرْطَالٍ  
 ثَلَجٍ ، فَأَتَاهُ بِخَالِدٍ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ، طَلَبْتَ خُمْسَةَ أَرْطَالٍ ، وَهَذَا حِمْلُ !  
 وَتَتَقَى بِخُمْسَةِ مَحْمُومٍ ، قَالَ : وَيَمُحِك ! دَعْنَا نَمُوتَ !  
 وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فِي قَرِيصِ اللَّغَى :

أَلَا فَاسْتَقَى قَدْحًا وَافِرًا يُعِينُ عَلَى الْبَلْعِ الْمَاهِجِ  
 أَكَلْنَا قَرِيصًا وَغَفَى قَرِيصٌ فَتَحْنُ عَلَى شَرَفِ الْقَالِجِ  
 وَلَقِيَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ بَرْدَ الْخِيَارِ اللَّغَى فِي يَوْمِ ثَلَجٍ بِالْجَسْرِ ، قَالَ : أَنْتَ  
 لِلْمُبَرَّدِ وَأَنَا بَرْدُ الْخِيَارِ ، وَالْيَوْمَ كَمَا تَرَى ، اعْبُرْ بِنَا لَا يَهْلِكُ النَّاسُ بِالْقَالِجِ بَسِينَا  
 وَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ الصَّاحِبُ فِي مَغْنَى يَعْرِفُ ابْنَ غَذَابٍ :  
 أَقُولُ قَوْلًا بِلاَ احْتِشَامٍ ، يَعْقِلُهُ كُلُّ مَنْ يَبِينِهِ  
 ابْنُ غَذَابٍ إِذَا تَفَقَّى ، فَإِنِّي مِنْهُ فِي أَيْسَرِهِ

\*\*\*

[ عود إلى أحمد بن يوسف ]

ومن شعر أحمد بن يوسف :

ضَمِيرٌ وَجَدَ بِقَلْبٍ صَبٍّ      تَرْجَمَ دَمْعِي بِهِ فَشَاعَا  
 فَصَارَ دَمْعِي لِسَانَ وَجَدِي      ضَمِيعَ سِرِّي بِهِ فَذَاعَا  
 لَوْلَا دَمْعِي وَفَرَطُ حَيٍّ      مَا كَانَ سِرِّي كَذَا مُضَاعَا

وقال :

وَعَامِلٌ بِالْفُجُورِ يَأْمُرُ بِالْإِسْرِ كَهَادٍ يَخُوضُ فِي الظُّلَمِ  
 أَوْ كَطَلِيبٍ قَدْ شَفَّهَ سَمًّا      وَهُوَ يَدَاوِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ  
 يَا وَاعِظَ النَّاسِ غَيْرَ مُتَعَطِّلٍ      فَوَيْلَكَ طَهْرًا أَوْ لَا فَلَا تَلْمِ

وقال :

إِذَا مَا التَّحْنِ وَالْعِيُونُ نَوَاطِرُ      فَالْأُسُفُ حَرْبٌ وَأَبْصَارُ نَاسِمُ

وقال في الحزن :

كثيرُ هموم القلب حتى كأنما عليه سرودُ المألين حرامٌ  
فأخبر ما يلقي وليس كلامٌ

وقال :

كريمٌ له نفسٌ يلينُ بليتها بريدٌ عَن سُلطانِه سننُ الكبيرِ  
إذا ذكُرَتْه نفسه عظمُ قدرها دعاهُ إلى تسكينها عظمُ القدرِ  
ووقع في كتاب رجل يحثُّ على استقام صنائه عنده : مستمٌ الصنيعة من  
عدل زينها ، وأقام أودها ، صيانة لمروفه ، ونصرةً لأبيه ؛ فلين أول المعروف  
مستخف ، وآخره مستثقل ، يكاد أول الصنيعة يكون للهوى ، وآخرها للرأى ،  
ولذلك قيل : ربُّ الصنيعة أشد من ابتدائها<sup>(١)</sup>.

وكان أبو التهاية له صديقاً<sup>(٢)</sup> قبل ارتفاع حاله ، فأحسن منه في حين وزارته  
تتقرا ، فكتب إليه :

أمنت إذا استخيت من سورة الفقرِ فصرت ترى الإخوان بالنظرِ الشزيرِ  
أبا جعفر إنَّ الشريفَ يهينه تتأينه دون الأخلاء بالوفيرِ  
فإن تهت يوماً بالذي نلت من غي فإني غفائي بالتجمل والصيرِ  
ألم تر أن الفقرَ يرُحى له النفي وأنَّ الفقى يُخشى عليه من الفقرِ

وروى أبو بكر يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : حجب أحمد بن  
يوسف أبا التهاية ، ثم عاد ، فقيل : هو نائم ، فكتب إليه :

لئن عدتُ بعد اليوم إلى لظالمٍ سأصرفُ وجهي حيثُ بُغِيَ للكارمِ  
متى ينظرُ القادى إليك بحاجةٍ ونصفتُك محبوب ونصفتُك نائمٌ

(١) الرب : التمهيد بالإصلاح .

(٢) في المطبوعات كلها « له صديق » بالرفع ، وليس بشئ . ( م ) .



وقال :

في حداد الموتى وفي ما كفى الدنيا أبو جعفر أخى وخيلسى  
ميت مات وهو في ورق التيفيس مقيم في ظل هيش ظليل  
لم يمت ميتة الوفاة ، ولكون مات عن كل صالح وجميل  
وخاصم أحد بن يوسف رجلا بين يدى المأمون ، وكان صفا المأمون إليه <sup>(١)</sup>  
على أحد ، فظن لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه يستعلي من عينيك  
ما ينقاني به ، ويستبين بحركته ما تحته له <sup>(٢)</sup> ، وبلوغ إرادتك أحب إلى من  
بلوغ أملى ، ولذة إجابتك أمتع عندي من لذة ظفري ؛ وقد تركت له ما نازعنى  
فيه ، وسئمت له ما طالبنى به . فاستحسن ذلك المأمون .

ومن كلام أحمد بن يوسف : محاسبة البغضاء تثير الموم ، وتجلبب  
النوم ، وتؤلم القلب ، وتندح في النشاط ، وتطوى الانبساط .

### ألفاظ لأهل العصر في صفات الثقلاء

فلان ثقل الطلقة ، بفيض التصيل والجملة ، بارد السكون والحركة ؛  
قد خرج عن حد الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال . يحكى  
ثقل الحديث المعاد ، ويمشى في القلوب والأكباد ، ولا أدرى كيف لم تحمل  
الأمانة أرض حملته ؟ وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما أقلته ؟ كأن وجهه  
أظم للنسب ، وليلالى النوائب ، وكأنما قرب به فقد الحائبات ، وسوء العواقب .  
وكانما وصله عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكأنما تجره قواقلته ، وريح الجنة .  
يا عجبى من جسم كالخيل ، وروح كالجبال . كأنه قل الدين ، على وجع  
العين . هو ثقل السكون ، بفيض الحركة ، كثير الشؤم ، قليل البركة . هو  
بين الجلفن والعين قذاة ، وبين الأخص والنعل حصاة . ما هو إلا غداة  
الفرق ، وكتاب الطلاق ، وموت الحبيب ، وطلوع الرقيب . ما هو إلا أرباء

(١) صفا إليه : مبه (م) . (٢) تحته لى : تكلمه وتغنيه (م) .

لَا تَدُورُ فِي صَفَرٍ ، وَالْكَابُوسُ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ، وَأَثْقَلُ مِنْ خَرَاجِ بِلَاغَةِ ،  
وَدَوَاهِ بِلَاغَةِ ، وَأَبْفَضُ مِنْ مِثْلِ غَيْرِ سَائِرٍ ، وَأَجْمَعُ لِلْعُيُوبِ مِنْ بَهْلَةِ أَبِي  
دُلَامَةِ ، وَحِمَارِ طَيَّارٍ ، وَطِلْسَانِ ابْنِ حَرْبٍ ، وَأَيْرَ أَبِي حَكِيمَةٍ ، وَأُنْشِدُ :  
مَشَى فِدْعَا مِنْ تَقِيلِهِ الْحَوْتُ رَبُّهُ وَقَالَ : إِلَهِي زِيدَتْ الْأَرْضُ ثَمَانِيَةً <sup>(١)</sup>  
وَأُنْشِدُ :

تَحْمِلُ مِنْهُ الْأَرْضُ أَضْمَافَ مَا يَحْمِلُهُ الْحَوْتُ مِنَ الْأَرْضِ <sup>(٢)</sup>  
وَأُنْشِدُ :

مَشْتَبِلٍ بِالْبُفْضِ لَا تَنْفَنِي إِلَيْهِ لَحْظًا مُقْلَةً الرَّامِقِ  
يُظَلُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاعِدًا أَثْقَلُ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقٍ  
وَقَالَ الْمَدُونِيُّ :

سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَقْتَ وَعِلْمِي بِأَنْكَ لَا تَصْدُقُ  
أَتُبْفِضُ نَفْسَكَ مِنْ تَقْلِهِ وَإِلَّا فَأَنْتَ إِذَا أَحْمَقُ

وَكُتِبَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيُّ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ :  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُرْسِلْ وَجِئْتَ فَلَمْ أَصِلْ مَلَأْتَ بِمَذِيرٍ مِنْكَ تَمْنَعُ لِيَسِيرِ  
أَتَيْتَكَ مُشْتَقًّا فَلَمْ أَرِ حَاجِبًا وَلَا صَاحِبًا إِلَّا بِوَجْهِ قُلُوبِ  
كَأَنِّي غَرِيمٌ مُقْتَضٍ ، أَوْ كَأَنِّي طُلُوعُ رَقِيبٍ أَوْ نَهْوَسُ حَبِيبِ  
وَكَانَ أَبُو عَيْبَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُنْتَفِي يَسْتَقْبَلُ جَلِيسًا اسْمُهُ زَنْبَاعُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ  
يَوْمًا : مَا الزَّنْبَعَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : التَّنَاقُلُ ، وَلَقَدْ سُمِّيَ جَلِيسُنَا زَنْبَاعًا .  
وَقَدْ كَثُرَ النَّاسُ فِي التَّنَقُّلِ ، وَأَنَا أَسْتَحْسِنُ قَوْلَ جِحْظَةِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ  
قَدْ تَقَدَّمَ فِي مِثْلِهِ :

(١) إشارة إلى الحرافقة التي تزعم أن الأرض يحملها حوت !

يا لظفة البنى بموت الخليل  
يا شربة اليارج يا أجرة الـ  
يا طلعة النفس ويا منزلاً  
يا نهضة المحبوب عن غصبة  
يا كتاباً جاء من مخلف  
يا بكرة الشكلى إلى حفرة  
يا وثبة الحافظ مستحجلاً  
ويا طيباً قد أتى باكرأ  
يا شوكة فى قدم رخصة  
يا عشرة المجذوم فى رخله  
يا ردة الحاجب عن قسوة

يا وقعة التوديع بين الحمول  
منزل يا وجه التدول الثميل  
أقصر من بعد الأنيس الحمول  
يا نمة قد آذنت بالرحيل  
للوعد ملو، بـنـر طوبل  
مستودع فيها عزير الشكول  
بصره القينات عند الأصيل  
على أخى سقم بلاء البقل  
ليس إلى إخراجها من سبيل  
ويا صمود السر عند الليل  
ونكسة من بعد بره الليل

\*\*\*

وجحظة هذا هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن  
رمك، وقال أبو الحسن على بن محمد بن مقلة الوزير: سألت جحظة من لقبه بهذا  
اللقب؟ قال: ابن المعتز، لقيني يوماً، قال لي: ما جئوان إن نكسوه أنا آله  
للمراكب البحرية، قلت: علق، إذا نكس صار قلماً، قال: أحسنت يا جحظة؛  
فلزنى هذا اللقب، وكان نأى العينين جداً، قبيح الوجه، ولذلك قال ابن الرومى:  
نبئت جحظة يستمير جحوظه  
من فيل شطرنج ومن سرطان  
يارحمى لنأديه تحموا  
ألم الصوف للذة الأذان  
وكان طيب الفناء، ممد النفس، حسن المسموع؛ إلا أنه كان قهيل اليد  
فى الضرب؛ وكان حلو النادرة، كثير الحكاية، صالح الشعر؛ ولا تزال تندرله  
الآيات الجيدة، وهو القائل:

جانبت أطيّب لذى وشرابى وهجرت بملك عامداً أصحابى

من ترجمة  
جحظة البرمكى  
ومن شعره

فإذا كُتِبَ لَكَ أَزْرُهُ غَطَرِي  
إِن كُنْتَ تَتَكَرَّرُ فِيَّ وَتَلْقَى  
فَانظُرْ إِلَى بَدَنِي الَّذِي مَوَّهَهُ  
وَقَالَ :

وَإِذَا جَفَانِي صَاحِبٌ  
وَتَرَكْتُهُ مِثْلَ الْقُبُورِ  
لَمْ أَسْتَعِزْ مَا عَشْتُ قَطْعَهُ  
رَأَزُورَهَا فِي كُلِّ بُعْثَةٍ  
وَقَالَ :

ضَاقَتْ عَلَى وَجْهِهِ الرَّأْيُ فِي قَرَرٍ  
أَقْلَبَ الطَّرْفَ تَصِيدًا وَمَنْعِدْرًا  
يَلْتَقُونَ بِالْجُحْدِ وَالْكَفَرِ إِنْ إِحْسَانِي  
فَمَا أَقَابِلُ إِنْسَانًا بِإِنْسَانِي  
وَقَالَ :

لَقَدْ مَاتَ إِخْوَانِي الصَّالِحُونَ  
إِذَا أَقْبَلَ الصَّبَحُ وَلَّى السَّرُورُ  
فَمَا صَدِيقُ وَمَالِي عَمَادُ  
وَإِنْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَلَّى الرَّقَادُ  
وَقَالَ يَهْجُو رَجُلًا :

لَا تَمْدُلُونِي إِنْ هَجَرْتُ طَعَامَهُ  
فَمَنْ أَكَلْتُ قَطْعَهُ مِنْ بَيْتِهِ  
خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنَ الْمَأْكُولِ  
وَمَنْ قَتَلْتُ قَتَلْتُ بِالْمَقْتُولِ

وَمِنْ عِصَايَاتِهِ مَا حَدَّثَنِي خَالِدُ الْكَاتِبُ قَالَ : جَاءَنِي يَوْمًا رَسُولُ إِبْرَاهِيمَ  
ابْنِ الْمُهْدِي، فَصَرْتُ إِلَيْهِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا أَسْوَدَ عَلَى فُرْشٍ قَدِغَاصٍ فِيهَا، فَاسْتَجَلَسَنِي  
وَقَالَ : أَنْتَدِنِي مِنْ شَرِّكَ، فَأَنْشَدَنِي :

رَأَتْ مِنْهُ عَيْنِي سَطَرَيْنِي كَمَا رَأَتْ  
عَشِيَّةَ حَيَاتِي بَوْرَدَ كَأَنَّهُ  
مِنْ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ الْمُنِيرِ عَلَى الْأَرْضِ  
خُدُودُ أَضْيَقَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ  
وَنَازَعْنِي كَأَسَا كَانَ حَبَابُهَا  
دُمُوعِي لَمَّا صَدَّ عَنْ مَقْلَقِ غَضْبِي  
وَرِيحٌ وَفِئْلُ الرِّيحِ فِي حَرِّ كَاتِهِ  
كَفِئْلِ نَسِيمِ الرِّيحِ بِالنَّصْنِ الْفَضِّ

فرزح حق صارني تلقى للفرش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخلود بالورد ،  
وأنت شبهت الورد بالخلود ، زدني فأثدته :

عائبتُ نفسى فى هوا لك ظم أجدها تقبيلُ  
وأطمتُ داعيتها إليك ظم أطمع من يقذلُ  
لا والذى جعل الوجوه الحسنين وجهك تمثّلُ  
لا قلتُ إن الصبر غشك من التصابي أجملُ

فرزح حق انحدر عن الفرش ثم قال لى : زدنى ، فأثدته :

عش فحبيبك سريماً قاتلى والضحى إن لم تصلنى وأصيل  
ظفر الحب بقلب دافى فيك والثقم بحسم ناحل  
فهما بين اكتنبت وضئى تركانى كالتغيب الذابل  
وبكى الماذل لى من رحمة فبكائى لبكاء الماذل  
فتمر طرباً وقال : يا يلبق ؛ كم معك لفتقتا ؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً .  
قال : أقسمها بينى وبين خالد ، فدفع إلى نصفها  
وأثدج حفلة أو غيره ولم يسم قائله :

لا يبعد الله إخواناً لنا سلفوا أفتلهم حدّ كان الدهر والأبد  
معدّهم كل يوم من بقيتنا ولا يؤوب إلينا منهم أحد

### [ السكاكين ]

وكان أحد بن يوسف جالساً بين يدى للأمون ، فسأل الأمون عن السكين  
فقال له أحد السكين ، وقد أمسك بنصائبها ، وأشار إليه بالحد ، فنظر إليه الأمون  
نظراً منكراً ، فقال : لعل أمير المؤمنين أنكر على أخذى النصاب ؛ وإشارتى إليه  
بالحد ؛ وإنما تفادلت بذلك أن يكون له الحد على أعدائه ، فحبب للأمون من  
سرعة قطعه ، ولطيف جوابه .

بين الأمون  
وأحمد بن  
يوسف

وقال بعضُ الكتاب : السكين من الأعلام يشحنها إذا كُلت ، ويصقلها إذا نبت ، ويطلقها إذا وقت ، ويلتها إذا شعث ، وأحسنها ما عرض صدره ، وأزهِفَ حدّه ، ولم يفصل على القبضة نصابه .

وقال أبو الفتح كشاجم يرى سكيناً سرقته :

يا قاتل الله كتاب الدواوين      ما يستحلون من أخذ السكاكين  
لقد دهانوا لطيف منهم خيل      في ذات حد كحد السيف مستون  
فأقترت بعد غمران بموقعها      منها دواة فتى بالكتب مفتون  
تبكى على مديّة أودى الزمان بها      كانت على جائر الأعلام تعذّين  
كانت تقدّم أفعلى وتنحّتها      نحتاً وتسخطها برّياً فتزصّين  
وأضحك الطرس والقرطاس عن حلل      ينوب للعين من تورّ البساتين  
فإن قشرت بها سوداء من صحن      عادت كبعض خدود الخرد العين  
جزع النصاب لطيفات شعأرها      محسّات بأصناف التحاسين  
هيفاء مرهفة بيضاء مذهبة      قال الإله لها سبحانه : كوني  
لكن مقطّى أمسى شامتاً جذلاً      وكان في ذلّة منها وفي هون  
فصين حتى يضاهي في صيائه      جأى لصونيه عن لا يداني  
ولست عنها بسالٍ ماحيت ، ولا      بواجده عوصاً منها يسلي  
ولو يردّ فداء ما فحيت به      منها فديناه بالدينيا وبالدين

ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين

سكين كأنّ القدر ساقها ، أو الأجل ساقها ، مرهفة الصدر ، مخفلة  
التحضر ، يحول عليها فرند المتق ، ويموج فيها ماء الجواهر ؛ كأنّ النية تبرق من  
حدّها ، والأجل يلتمع من منتهى ، ركبّت في نصاب آبنوس ، كأنّ الحدق فحست

عليه صِبْنَهَا ، وَحَبَّ الْقُلُوبَ كَنْتَهُ لِبَاسِهَا . أَخَذَهَا حديدَهَا النَّاصِحَ بِحِفْظٍ مِنَ  
الرَّومِ ، وَضَرَبَ لَهَا نَصَابِهَا الْحَالِكُ بِسَهْمٍ مِنَ الرَّيْحِ ، فَكَأَنَّمَا لَيْلٌ مِنْ تَحْتِ نَهَارٍ ،  
أَوْ مَجْرَأُ بَدْيٍ سَنَاءً نَارًا ، ذَاتَ غِرَارٍ مَاضٍ ، وَذُبَابٍ قَاضٍ . سَكِينٌ ذَاتُ مَنَسَرٍ  
بَازِيٍّ ، وَجَوْهَرُ هَوَائٍ ، وَنَصَابُ زَنْجِيٍّ ، إِنْ أَرْضِيَتْ أَوْلَتْ مَتْنًا كَالدَّهَانِ ، وَإِنْ  
أُسْخِطَتْ أَتَقَتْ بِنَابِ الْأَصْوَانِ . سَكِينٌ أَحْسَنُ مِنَ التَّلَاقِ ، وَأَقْطَعُ مِنَ الْفِرَاقِ ،  
تَفْعَلُ فَعْلَ الْأَعْدَاءِ ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الْأَصْدِقَاءِ . هِيَ أَمْنَى مِنَ الْقَضَاءِ ، وَأَقْضَى مِنَ  
الْقَدَرِ الْمُنَاقِ ، وَأَقْطَعُ مِنَ ظَلَمَةِ السَّيْفِ الْحُسَامِ ، وَالْمَعُ مِنَ الْبَرْقِ فِي الْقَامِ . جَمَعَتْ  
حُسْنَ النَّظَرِ ، وَكَرَمَ الْخَيْرِ ، وَتَمَلَّكَتْ عَيْنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ ، وَلَمْ يُخَوِّجْهَا عِثْقُ  
الْجَوْهَرِ إِلَى إِنْهَاءِ الْحَجَرِ <sup>(١)</sup>

### [ السَّمرُ وَلِلنَّادِمَةِ ]

قال محمد بن أنس للقاسم بن صبيح : مَا زِلْنَا فِي سَمَرٍ نَصِيلُ فُصُولِهِ بِشَوْقِكَ ،  
فَقَيْدُ هَبِ ذِكْرِكَ مَلَالُ السَّامِرِ ، وَنَمْسَةُ السَّاهِرِ . قَالَ الْقَاسِمُ : مَثَلْتُ ذَكَرَ صَدِيقِهِ  
فَاطِرَاهُ ، وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ فَأَرْضَاهُ ، وَلَوْ كُنْتُمْ أَذْنَتُمُونِي كُنْتُ أَحَدَكُمْ ، مَسْرُورًا بِمَا بِهِ  
سُرُورَتِي ، مُفِيضًا فِيهَا فِيهِ أَقْضَمُ .

قال بعضُ الظرفاء : شَرَطُ الْمُنَادِمَةِ قِلَّةُ اخْتِلَافٍ ، وَلِلْعَامِلَةِ بِالْإِنْصَافِ ، شَرَطُ الْمُنَادِمَةِ  
وَالْمَسَاعِدَةُ فِي الشَّرَابِ ، وَالتَّخَافُلُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ ، وَإِدْمَانُ الرِّضَا ، وَاطِّرَاحُ مَا مَنَعَى ،  
وَإِسْقَاطُ التَّحِيَّاتِ ، وَاجْتِنَابُ اقْتِرَاحِ الْأَصْوَاتِ ، وَأَكْلُ مَا حَضَرَ ، وَإِحْضَارُ  
مَا تَبَسَّرَ ، وَسَوْرُ الْقَتِيبِ ، وَحِفْظُ الْغَيْبِ .

وقد أحسن أبو عبد الرحمن المصطوفى في قوله :

حَقُوقُ الْكَاسِ وَالنَّدَمَانُ خَمْرٌ فَأَوَّلُهَا التَّزْيِينُ بِالْوَقَارِ  
وِثَانِيهَا مَسَامِحَةُ النَّدَامَى فَكَمْ حَمَتِ السَّاحَةُ مِنْ ذِمَارِ  
وَنَالَتِهَا ، وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ خَيْرِ السَّيْرِيةِ مَحْتَدًا ، تَرَكْتُ الْفَخَارَ

(١) إسماء : مصدر «أسمى السلاح» أى أحده ، وإضافته إلى الحجر من إضافة  
المصدر لفاعله ، والحجر : أراد به المنسج (م)

وربما ولقد كان حق سوى حق القراة والجرار  
إذا حدثته فأكس الحديث الذي حدثته توب انحصار  
فما حث البيذ بمثل حسن الأعاني والأحاديث انحصار  
وخامسة يدل بها أنها على حكم الطبيعة والتجار  
حديث الأوس نساء جيماً فلن اللتب فيه لفقار  
ومن حكمت كالك فيه فحكم له بإقالة عند النار  
وقال حسان بن ثابت :

نوليها للامة إن آتتا إذا ما كان منته أو حله<sup>(١)</sup>

بين اليزيدي وشرب اليزيدي عند المأمون فلما أخذت منه الكأس أقبل يمتز عليه  
والمأمون بتعليمه إياه ، وأساء مخاطبته ؛ فلما أفاق من سُكره عُرِف ماجرى ، فليس  
أ كفانه ، ووقف بين يدي المأمون فأنشده :

أنا للذنوب الخطايا والغفوة واسع  
ولو لم يكن ذنب لسأعرف الغفوة  
نميت فأبذت متى الكأس بعض ما  
كرهت وما إلى يستوى الشكر والصحو  
ولا سيما إن كنت عند خليفة  
وفي مجلس ما إن يمسوز به القوم  
فإن تغف عني ألف خطوى واسماً  
وإلا يكن غفو قد قصر الخطوى  
فقال المأمون : لا تريب عليك ، فالبيذ بساط يطوى بما عليه .

بين كوران وشرب كوران المنفى عند الشريف الرضى ، فافتقد رداءه ، وزعم أنه  
والشريف سريق . فقال له الشريف : ويحك ! من تتهم منا ؟ أما علمت أن البيذ بساط  
لرضى يطوى بما عليه ؟ قال : انشروا هذا البساط حتى أخذ رداي واطورم إلى يوم القيامة !

بين أحمد بن وكان أبو جعفر أحمد بن جدار كاتب العباس بن أحمد بن طولون ينقل أخيراً  
جدار وعمر أبي حفص عمر بن أيوب كاتب أحمد بن طولون على الشراب إلى العباس ، فصار  
ابن أيوب إليه أبو حفص فقال : يا أبا جعفر ؛ إنما مجلس الدمام مجلس حرمة ، وداعية أنس ،

(١) المثلث : الشر والقتال ، والامعاء : الملاحاة ، وهو قول ما يلام عليه



ومسرح لبانة ، ومذاودهم ، وعزّاج لهم ، ومتمه سرور ، وإنما توسطته عند من  
لا يُتهم غيبه ، ولا يُخشى عتبه ، وقد اتصل بي ما تنهيه إلى أميرنا أبي الفضل  
أمر الله أمره ، من أخبار مجلسي ، فلا تغفل ، وأنشد :

ولقد قلت للأخلاء يوماً      قول سابع للطنّض لو سمعوه  
إنما مجلس اللذام بساط      المودات بينهم وضوءه  
فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا      من نعيم وفقه رفضوه  
وهم أخرياه ، إن كان منهم      حافظ ما أتوه أن يمتنعوه  
فاعتذر ابن جدار وحلف ما فعل ، وقام من مجلسه .

وأنشد أبو حفص :

كم من أريح أوجنت منه سجيّة      فأنيت بعد وداديه بفراقه  
لم أنحمد الأيام منه خليفة      فتركته مستمتاً بمخلّاقه  
عول أبو حفص في أكثر كلامه على قُلّ كلام أبي العباس الناشء في  
الشراب ، والأبيات التي أنشد أولاً له .

أبو القاسم صاحب : قدماً حِلّت أوزارُ الشكر ، على ظهور الخمر ،  
وطوى بساطُ الشراب ، على مافيه من خطايا أو صواب . متابة القمار ، تعذر في  
خلف العذار ، وتنفى عن الاعتذار . متابة الأبطال ، تبطل سورة الأبطال ،  
وتدعُ الشيوخ كالأطفال .

كتب إسحاق بن إبراهيم الموصل إلى بعض الجيلة يستدعيه : من إسحاق  
يومنا يوم . لئن الحواشي ، وطوى النواصي ؛ وسأؤنا قد أقبلت ، ورددت بالغدير  
وبرقت ، وأنت قطبُ السرور ، ونظام الأمور ؛ فلا تُفردنا فتقل ، ولا تفرد  
عنا فنذل .

وكتب بعض أهل العصر - وهو السري الموصل - إلى أخ له يستدعيه إلى  
مؤانسته :

للسرى الموصلى

خِلَالِكَ، مَا خَلَّ الصَّدِيقُ، سَحَابُ  
وَأَنْتَ شَقِيقُ الرُّوحِ تُؤَرِّزُ وَصْلَهَا  
وَنَحْنُ خِلَالُ الْقَصْفِ وَالْقَرْفِ نَجْتَنِي  
وَعِنْدِي لَكَ الرِّيحَانُ زَيْنَ يَسَاعُلُهُ  
وَجَيْشُ كَمَا انْجَرَّتْ ذُبُولُ غَلَاظِلِ  
وَقَدْ أَطْلَقْتَ فِيهِ الشَّامِلَ، وَاتَّفَتَ  
وَحَافِظَةُ مَاءِ الْحِيقَةِ لِقَيْتَةٍ  
نَسَرَّ بِهَا أَخْفَى اللَّيَاسِ، وَإِنَّمَا  
عَلَى جَسَدِهِ مِثْلُ الزَّيْرَجِدِ لَمْ تَزَلْ  
إِذَا اسْتَوْدَعْتَ حُرَّ اللَّجَيْنِ سِبَاثِكَا  
وَفَوْقَ رُءُوسِ الْقَوْمِ غَيْمٌ مَعْلُوقٌ  
بِوَارِقِهِ سَحَرُ الْكُتُوسِ وَرَعْدُهُ  
وَلَا عَاقِبَ يَبْقَى عِنَانُكَ عَنْ هَوَى  
فَبَادِرْ؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ صَافٍ مِنَ الْقَذَى،

وقال ابن المعتز

لابن المعتز

لَأَشَى، يُبْلَى هَمِّي سِوَى قَدَحٍ  
فِي غَيْمٍ نَدَى يُرْجَى سَحَابُهُ  
وقال الحسن بن محمد الكاتب يصف طيلا :

الحسن بن محمد  
الكاتب

يُحْبِذُ أَيُّومَنَا نَلْهُوُ بِمُكَلِّمَةٍ  
قَدْ شَدَّ هَذَا إِلَى هَذَا كَأَنَّمَا  
نَظَّلَ نَلْظُمُ خَدَّيْهِ إِذَا ضَرَبَتْ  
فَقَسَمُ الصَّوْتِ مِنْهُ حِينَ تَقْرُبُهُ  
تَذَمَّى عَلَيْهِ أَوْ ذَاجَ لِزُرَيْقٍ  
بَرَقَ ابْتِسَامٌ وَرَعْدٌ نَصْفِيقٍ  
تُلْهِى بِشَيْءٍ لَهُ رَأْسَانِ فِي جَسَدٍ  
مِنْ شِدَّةِ الشَّدِّ مَقْرُونَانِ فِي صَفَدٍ<sup>(١)</sup>  
بِكُلِّ طَاقِهَا لَطْمًا بِلَا حَرْدٍ<sup>(٢)</sup>  
كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ مَا ضَعَى أَسَدٌ

(١) الصفد — بفتح الصاد والفاء جميعا — القيد والوثاق (م)

(٢) الحرد — بفتح الحاء والراء جميعا — الغضب (م)

## ومن ألقاظهم في الاستدعاء

نحن في مجلسٍ قد أبت راحه أن تصفو لنا أو تتناولها يمينك ، وأقسم غناؤه  
 لأطاب أو تميمه أذناك ، فأما حدود نارنجيه قد احمرت خجلا لإبطائك ، وعيون  
 ترجمه قد حذقت تأميلا لقائك ، فبحيان عليك إلا تمجلت ، وما تمهل .  
 نحن ببيتك كعقد تنميت واسطته ، وشباب قد أخلقت جدته ؛ وإذ قد  
 غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تدنو الأرض منا . أنت من ينتظم به شمل  
 الطرب ، وبلقائه يبلغ كل أرب . طر إلينا طيران السهم ، وأطلع علينا  
 طلوع النجم . لب إلينا وثوب النزال ، وأطلع علينا طلوع الهلال ، في غرة  
 شوال . كن إلينا أسرع من السهم إلى عمرة ، والماء إلى مفره . جسم إلينا  
 قدمك ، واخلع علينا كرمك ، وإن رأيت أن نحضرنا لتتصل الواسطة بالمقد ،  
 ونحصل قربة في جنة الخلد ، ونسهم لنا في قرية بك الذي هو قوت النفس ،  
 ومادة الأنس .

## ولهم في استدعاء الشراب

قد تألف لي شمل إخوانٍ كاد يفتقر لحوز المشروب ، واعتدنا فضلك  
 للمهود ، ووردنا بحرك المورد ، وأنا ومن ساعني الدهر بزيارته من إخواني  
 وأوليانك وقوف بحيث يقف بنا اختيارك من النشاط والفتور ، ويرتضي لنا  
 لشارك من المم والسرور ، والأمر في ذلك إليك ، والاعتداف في جمع شمل  
 السرور عليك ؛ فإن رأيت أن تكلفني إلى أولى القلنين بك فعلت . أبلغ  
 اللين موقما ، وأجلها في النفوس موصفا ، ماعمر أوطان السرور ، وطرده عوارض  
 الهم والفكرة ، وجمع شمل للودة والألفة . قد انظمت في رقة لي في منط  
 التريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام ياهداه المدام عذنا كبنت نكس ، والسلام .  
 فربك في إرواء غلتنا بما يتقهما ، والطول على جماعتنا بما يجمعها .

## ولهم في الكناية عن الشراب

قد نَشِطَ لتناول ما يستمد البسر، ويشرح الصدر. قد استمطر سحابة  
الأنس، واستندرت حلوبة السرور، وقدح زند اللهو، فهو يَمْرِي دِماء الصناقيد،  
ويَقصد عروق الدِّمان، ويَنْظُم عَقْد الدِّمان.

من الحسن  
بن سهل إلى  
الحسن بن  
وهب  
كتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطبح في يوم دَجَن لم  
يمطر: أما ترى تكافؤ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب اللطر وبعده،  
كأنه قول كثير:

وإني وَهَيْأَتِي بِمَرْءٍ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتَ  
لِكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْعَامَةِ، كَمَا تَبَوَّأُ مِنْهَا لِلثَّقِيلِ اِضْمَحَلَّتْ

وما أَصْبَحْتُ أُمْنِيًّا إِلَّا فِي لِقَائِكَ، فليت حِجَابُ النَّأْيِ هُنَاكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ!  
رُقِيتِي هَذِهِ وَقَدْ دَارَتْ زَجَاجَتُ أَوْقَعْتْ بَعْلِي وَلَمْ تَتَحَيَّفْهُ، وَبَسَّتْ نَشَاطَا  
حَرِّ كَفَى لِلْكِتَابِ؛ فَرَأَيْكَ فِي إِمطَارِي سروراً بِسَارٍ خَبَرْتُكَ؛ إِذْ حُرِمْتُ السرور  
بِمَطَرِ هَذَا الْيَوْمِ، مَوْقَعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

من الحسن  
بن وهب إلى  
الحسن بن  
سهل.  
وكتب الحسن بن وهب: وصل كتابُ الأمير أَيْدَهُ اللَّهُ وَفِي طَاعِمِهِ  
وَيْدِي عَامِلَةٍ؛ وَلِلْكَ تَأَخَّرَ الْجَوَابُ قَلِيلًا، وَقَدْ رَأَيْتُ تَكَافُؤَ إِحْسَانِ هَذَا الْيَوْمِ  
وِإِسَاءَتِهِ، وَمَا اسْتَوْجِبَ ذَنْبًا اسْتَحَقَّ بِهِ دَمًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَشْمَسَ حَكِي حُسْنُكَ  
وَضِياعُكَ، وَإِنْ أَمَطَرَ حَكِي جُودِكَ وَسَخَاءِكَ، وَإِنْ غَامَ أَشْبَهَ ظِلُّكَ وَفِنَاءُكَ،  
وَسُؤَالُ الْأَمِيرِ عَنِّي نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْنِي بِهَا أَثَارَ الزَّمَانِ السَّيِّئِ عِنْدِي؛  
وَأَنَا كَمَا يُحِبُّ الْأَمِيرُ صَرَفَ اللَّهُ الْحَوَادِثَ عَنْهُ، وَعَنْ حَقْلِي مِنْهُ.

وَذَمَّ رَجُلٌ رَجُلًا قَالَ: دَعَوَاتِهِ وَلَا تُثْمِ، وَأَقْدَاحُهُ تَحْجِمُ، وَكُنُوسُهُ  
تَحْجَرُ، وَنَوَادِرُهُ يُوَادِرُ.

للكشاجم  
وقال أبو القتح كشاجم: كان عندي بعض المجان من النبذيين، فسمعت

وَأَنَا أَحَدُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي وَسْطِ الْعُلَامِ لَشَيْءٍ خَطِرٍ يَأْتِي مَنْ رَتَمَ اللَّهُ التِّي  
لَا تُخْفَى، فَهَسَّ وَقَالَ: أَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا إِنْ عَاوَدْتُ! وَمَا مَعْنَى التَّحِيدِ هُنَا؟  
كَأَنَّكَ تَعْلَمُنَا أَنَا قَدْ شِعْنَا. ثُمَّ مَالَ إِلَى الدَّوَاةِ وَالْقِرَاطِ، وَكَتَبَ ارْتِجَالًا:

وَحَمْدُ اللَّهِ بِمَحْسُنِ كُلِّ وَقْتٍ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي أَوَّلَى الْعُلَامِ  
لَأَنَّكَ تَحْسِمُ الْأَضْيَافَ فِيهِ وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ  
وَتُوْذِنُهُمْ، وَمَا شَبِعُوا، بِشَبْعٍ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْكِرَامِ

وَكُتِبَ لِلرَّيْمِيِّ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ وَقَدْ تَرَكَ النَّبِيزَ:

إِنْ كُنْتُ تُبْنَتْ عَنِ الْمُهَنْبَاهِ تَشْرِبُهَا يُنْكَأُ فَا تُبْنَتْ عَنْ بَرٍّ وَإِحْسَانٍ  
تُبْ رَاشِدًا، وَاسْقِنَا مِنْهَا، وَإِنْ عَذَلُوا فَمَا ضَلَّتْ قُلُوبُ مَاتَابِ إِخْوَانِي  
وَقَالَ بَعْضُ النَّبِيزِيِّينَ، وَقَدْ تَرَكَ الشَّرْبَ:

تَحَامُونِي لِتَرْكِي شُرْبَ رَاحٍ أَقَمْتُ مَكَانَهَا لِلْمَاءِ الْقَرَّاحِ  
وَمَا انْفَرَدُوا بِهَا دُونِي لِقَضَائِي إِذَا مَا كُنْتُ أَكْثَرُهُمْ مِرَاحًا  
وَأَرْفَهُهُمْ عَلَى وَرْدٍ وَصَنْجٍ وَأَطْرَفُهُمْ وَأَطْرَفُهُمْ مَزَاحًا  
إِذَا شَقُوا الْجُيُوبَ شَقَقْتُ جَنِيهِ . وَإِنْ صَاحُوا عَلَوْتُهُمْ صِيَاحًا

### فَقَرَّ لِلنَّبِيزِيِّينَ

مَا حُشِنَتِ الدُّنْيَا بِأَطْرَفٍ مِنَ النَّبِيزِ، مَا لُفَّقَارِ وَالْوَقَارِ . إِنَّمَا الْعِيشُ مَعَ  
الْبُلْبُوشِ، الرَّاحِ تَرِياقُ سَمِّ الْهَمِّ . النَّبِيزُ سَقَرٌ فَانْظُرْ مَعَ مَنْ تَهْتِكُهُ . اشْرَبِ  
النَّبِيزَ مَا اسْتَبَشَعْتَهُ، فَإِذَا اسْتَطَبَّتْهُ فَذَعِّهِ . لَوْلَا أَنَّ الْخَمُورَ يَطْمُ قَصَّةً لَقَدِمَ وَصِيَّتُهُ .  
الصَّاحِي بَيْنَ السَّكَارَى كَالْحَيِّ بَيْنَ الْمَوْتَى: يَضْحَكُ مِنْ غَلَامِهِ، وَيَأْكُلُ مِنْ  
نَقْلِهِ . أَحَقُّ مَا يَكُونُ السَّكَرَانُ إِذَا تَعَاوَلَ . التَّبَذِلُ عَلَى النَّبِيزِ ظَرْفٌ،  
وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ سَخْفٌ، حَذُّ السَّكَرَانِ أَنْ تَتَرَبَّبَ الْمُسُومُ، وَيُظْهِرَ  
السَّرَّ الْكَتُومَ .

وقال الحسن بن وهب لرجل رآه يعبس عند الشراب : مَا نُصَفَتْهَا ، تَفْحَكُ  
فِي وَجْهِكَ ، وَتَعْبِسُ فِي وَجْهِهَا .

وقال الطائي :

إِذَا ذَاقَهَا ، وَهِيَ الْحَيَاةُ ، رَأَيْتَهُ يُعْبِسُ تَعْبِيسَ الْمُقَدِّمِ لِلْقَتْلِ

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال :

وَأَنْ أَقْطُبَ وَجْهِي حِينَ تَدْبِيسُ لِي فَعِنْدَ بَنْطِ اللَّوَالِي يَحْفَظُ الْأَدَبُ

وترك رجلٌ النُبَيْذَ ، قِيلَ لَهُ : لِمَ تَرَكْتَهُ ، وَهُوَ رَسُولُ السُّرُورِ إِلَى الْقَلْبِ ؟

قال : وَلَكِنَّهُ رَسُولُ بَاسٍ يُبَيِّتُ إِلَى الْجُوفِ فَيَنْهَبُ إِلَى الرَّأْسِ .

وقيل لبعضهم : مَا أَصْبَكَ بِالْخِرَاقِ قَالَ : إِنِّهَا تُسْرِجُ فِي يَدَيَّ بَنُورَهَا ، وَفِي قَلْبِي بِسُورَهَا

كَأَنَّ النَّاشِئَ نَظَرَ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ فَقَالَ :

رَاحٌ إِذَا عَلَتِ الْأَكْفُ كَثُورُهَا فَكَأَنَّهَا مِنْ دُونِهَا فِي الرَّاحِ<sup>(١)</sup>

وَكَأَنَّهَا الْكَاسَاتُ مِمَّا حَوْلَهَا مِنْ نُورِهَا يَسْبِخُنَ فِي ضَخْضَاجِ<sup>(٢)</sup>

لَوْبُثٍ فِي غَسَقِ الظَّلَامِ ضِيَاؤُهَا طَلَعَ لِلنَّاسِ بَرْقُ الْإِصْبَاجِ

نَفَضَتْ عَلَى الْأَجْسَامِ نَاصِعَ لَوْنِهَا وَصَرَتْ بِلَذَّتِهَا إِلَى الْأَرْوَاحِ

الْبَيْتُ الْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْبَحْرِيِّ :

يُخْفَى الزَّجَاجَةُ ضَوْءُهَا ، فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِيْنَاءِ<sup>(٣)</sup>

وَالنَّاشِئُ فِي هَذَا اللَّحْنِ :

وَمُدَامَةٍ يُخْفَى التَّهَارُ لِنُورِهَا وَتَذَلُّ الْأَكْنَافُ لَضِيَائِهَا

صُبَّتْ فَأَحْدَقَ نُورُهَا بَرْجَاجِهَا فَكَأَنَّهَا جُعِلَتْ إِيْنَاءُ إِيْنَائِهَا

وَتَرَى إِذَا صُبَّتْ بَدَتْ فِي كَاسِهَا مَقَاصِرَ الْأَرْجَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا

وَتَكَادُ أَنْ مُرْجَتُ لَوْحَةٍ لَوْنِهَا تَمْتَازُ عِنْدَ مَزَاجِهَا مِنْ مَائِهَا

صَفْرَاءُ تَضْحِي الشَّمْسُ ، إِنْ قَبِستُ بِهَا فِي ضَوْئِهَا ، كَاللَّيْلِ ، فِي أَضْوَائِهَا

(١) الرّاح ، هنا : الكف ( م ) . (٢) الضخضاج : الماء القليل ( م ) .

(٣) الذي في الديوان « يخفى الزجاجاة لونها » ( م ) .

وإذا تصفحت المساء رأيتها      كدِر الأديمة عند حُسن صفائها  
تزداد من گرم الطبايع بقدر ما      تُودي به الأيام من أجزلتها  
لا شيء أعجب من تولد برئتها      من سُقمها، ودوائها من دلتها  
وقال :

إن رُمت وصف الراح فأت بما      فيها من الأوصاف من قُرب  
هي ماء ياقوت، وإن مُرِجت      في كأسها بالبارد التذذب  
فصكانها وحبائها ذهب      كللتها بالؤلؤ الرطب  
ولأهل العصر : الدنيا معشوقة ريقها الراح . أخذ هذا المعنى من قول ابن  
الرومي في صاعد بن مخلد :

فتى هاجر الدنيا وحرّم ريقها      وهل ريقها إلا الرحيق المورّد  
ولو طمعت في عطفيه ووصله      أباحتها منها مرشفاً لا يصرد  
انظر أشبه شيء بالدنيا ؛ لاجتماع الذات والمرارة فيها . انظر مصباح السرور،  
ولكنها مفتاح السرور . لكل شيء سرٌّ ، وسرُّ الراح السرور . لا يطيب اللدام  
الصافي ، إلا مع النديم المصافي .

ومن أفاضلهم في صفات مجالس الأنس وآلات اللهو وذكر الخمر  
تجلس راحه ياقوت، وتوزده ورد ، وتارتجبه ذهب ، وترجسه دينار ودرم ،  
يحملها زبرجد . عندنا أترج كأنه من خَلَقك خَلِق ، ومن تَمَاتلك <sup>(١)</sup> سُرِق ،  
وتارتج ككروان من سَفَن ذهبت <sup>(٢)</sup> ، أو ندى أبكار خلقت . مجلس أخذت  
فيه الأوتار تتجاوب ، والأقداح تتناوب . أعلام الأنس خاقعة ، وألسن اللامى

(١) الشائل : السجاي والطبايع ، واحدها شبال (م) .

(٢) سفن : جلد ممك خشن يسفن به الخشب حتى تنهب عنه آثار المبراة ،

شبه ما يسمى اليوم « سفرة » (م) .

ناطقة . ونحن بين بلور ، وكاسات تدور ، وروق راح ، وشموس أقداح . قد  
نشأت غامة الند ، على بساط الورد . مجلس قد تفتحت فيه عيون النرجس ،  
وقامت مجامير الأترج ، وفقت فأزات النارج ، ونطقت أسن العيدان ،  
وقامت خطبه الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، وطلعت كواكب النذمان ،  
وامتدت سماء القد . مجلس من رآه حسب الجنان قد اضلقت عيونها ، فجلت  
في قدر من الأرض ، وتمحورت فصوصها ، فتقلت إلى مجلس الأنس واللهو .  
قد فض اللهو خضاه ، ونشر الأنس أعلامه . قد هبت للأنس ريح برتها الراح ،  
وسحابها الأقداح ، وعودها الأوتار ، ورياضها الأقمار . قد فرغنا للهو والدهر  
عنا في شغل .

جل هذا من قول بعض أهل العصر :

كم جوى مثله رسم مثل وقدم قد طل أنباء طلل  
ولال كليل الخلد بها لعب البين بربات الكلال  
حبذا عيش الليالي باللوى لو تجافى الدهر عنا وغفل  
إذ فرغنا فيه للهو وقد باتت الأقدار عنا في شغل  
وأدزنا ذهباً في لهب كلما أخمد بالماء اشتغل

قد اقتصدنا غارب الأنس ، وجرينا في مبدان اللهو . عمدنا إلى أقداح  
اللهو فأنجلناها ، ولما ركب السرور فامتطيناها . قد امتطينا غوارب  
السرور بالأقداح . مُدانة ثور درج الورد ، وتحكى ناز إبراهيم في  
اللون واليزد ، ولست أدري أشقى أم عقيق ، أم رحيق أم حريق . راح  
كان الديوك صبت أحداقها فيها . راح كأنما اشتقت من الرّوح والراحة .

قال ابن الرومي :

والله ما ندرى لآية علة  
أليربحها أم روحها تحت الحشى  
يدعونها في الراح بأنهم الراح  
أم لازيتاج نديمها الكرتاج



راح كالنار والنور والتور ، أصفى من البلور ، ومن دَمَع المجهور . روح  
نور لها من الكأس جسم ، كأنها شمس في غلالة سراب . شراب أكاد أقول :  
هو أصفى من مودني لك ، ومن نعم الله عندي فيك ، وأطيب من إسعاف  
الزمان بلفائك . شدامة قد سبك البهر يُبْرِها فصفا . داس كأنها نور ضيرة  
نار . راح كياقوتة في دُرّة ، أصفى من ماء السماء ، ودَمَع العاشقة للزهاء<sup>(١)</sup> ،  
أحسن من الدنيا المُقبلة ، والنعم للكلمة . أحسن من العافية في البدن ، وأطيب  
من الحياة في السرور . أرق من نسيم الصبا ، وعهد الصبا . أرق من دَمَع  
حبة ، وشكوى صَب . أرق من دموع المشاق ، مرّتها لوعة الفراق .  
مُزج نارُ الراح بنور الماء . راح كأنها مصورة من وَجْنة الشمس ، في  
كأس كأنها مخروطة من فَلَقة البدر . كأسها ملء اليد ، ويريحها ملء البدن ،  
نصب على الليل ثوب النهار ، كأنها في الكأس معنى دقيق في ذهن لطيف .  
كان الراح من خدّه مصورة ، وملاحة الصورة عليها مقصورة . وهذا من  
قول الطائي \* كأنها من خدّه تُمَصَّر \* وقال عبد السلام بن رغبان للقب  
بديك الجن الشاعر للشهور :

معتقة من كف ظنبي كأنما تنالها من خدّه فأدارها

تمتّ الصباه في عظامهم ، وترقت إلى هامهم ، وملت في أعطافهم ،  
ومالت بأطرافهم . سارت فيهم الكئوس ، ونالت منهم سورة الخنذريس<sup>(٢)</sup> .  
شربت عقولهم ، وملكت قلوبهم .

وقال أبو نواس ، وهو أستاذ الناس في هذا الشأن :

صِفَةُ الطولِ بِلَاغَةُ الْقَدِيمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَا بِنَةَ الْكَرِيمِ  
تَصِفُ الطُّولَ عَلَى السَّمَاعِ بِهَا أَفْذُهُ الْعِيَانُ كِتَابَتِ الْمُسْلِمِ

(١) مرهه : بيضاء . (٢) الخنذريس ، والصباه : من أسماء الخمر .

وإذا وصفت الشيء متبعا  
وقال :

الكأس أهواها وإن رزأت  
صفراء مجدها مرازبها  
فخبرت لآدم قبل خلقته  
فاعذر أخاك فإنه رجل  
وقال :

فصليت بشرب عمار  
فتناساها الجديدان حتى  
وافترعنا مرة الطعم بها  
واحسبنا من رحيق عتيق  
لم يحفها مبرزل القوم حتى  
أو كمرق السام تنشق منه  
وقال :

وخدين لذات ممل صاحب  
قال: أنفق المصباح، قلت له: أتئذ  
فكبت منها في الزجاجة شربة  
وهذا كقولہ :

وسمار أئخت عليه ليلا  
فترجم والكرى في مقلتيه  
أين لي كيف صرت إلى حريمي  
وقال :

(١) بلغ العاش : مواد الرزق، واحدها بلغة ، بالضم (م) .  
(٢) الفلائس : جمع قلوب ، وهي الناقة الفتية ، يريد ألقى عنده عصا السفر ،  
وفي الديوان « حططت عليه » وفيه « قدونين » (م) .

قلت له : ترفق بي ؛ فإني  
فكان جوابه أن قال : كلاً  
وقام إلى الدنانِ فسدَّ فأها  
وقال بعض المحدثين :

ما زال يشربها ويشرب عقله  
حتى انلغى متوسداً يمينه  
وقال الصنوبري وذكر شرباً<sup>(١)</sup> :

نازعهم كأساً تخالُ نسيماً  
شقت قناعَ الفجرِ لما غادرت  
صبغت سوادَ دجاءٍ حرّةً لونها  
وقال أبو الشَّيخ :

وكأس كسا الباقي لنا بعد هجمة  
كان أطراد الماء في جنباتها  
سقاني بها ، والأليل قد شاب رأسه ،  
وقال أبو عدى الكاتب :

ليس لها حدٌ تحيطُ بوصفه  
ولكنه كالبرقِ أو مَضَ ماضياً  
وقال ابن المعتز :

الافاسقينها قد مَشَى الصبح في الدُّجَى  
فناولني كأساً أضامت بنانه  
ولما أريناها للزواج تسمرت

رأيتُ الصبح من خللِ الفيارِ  
وما صبح سوى ضوءِ الفُجَارِ  
فصاد الليلُ مسدولَ الإزارِ

خيلاً ، وتؤذِنُ رُوحه برِوَاجِ  
سَكراً ، وأسلمَ رُوحه للوَاجِ

مِسْكَاً تَضَوَّعَ في الإناه عَتِيقاً  
كفُّ النديم قناعها مَشْقُوقاً  
فكانه سَبَّحَ أُعْيِدَ عَتِيقاً

حواشيها ما معج من ريقه العنب  
ترجع ماء الدر في سُبُك الذهب  
غزالُ بحناء الزجاجة مخضب

لغات ، ولا جِسمٌ يباشره لَمْسُ  
فلم يَبْقَ منه غيرُ ما تذكُرُ النَفْسُ

عُفَّاراً كمثل النارِ حمراءَ قَرَقَنا  
تَدَفَّقُ ياقوتاً ودُرّاً مَجُوقاً  
وَحِثَّ سَنَاهَا بارقاً قد تَكشفا

يطوف بها غنقى من الإنس شادن  
يقلب طرفاً فاسق الحظ مدّفا  
علم بأمرار المحبين حائق  
بسلم عينيه إذا ما تحوفا  
فقل يتأجنى يُقلب طرفه  
بأطيب من يحوى الأمانى وألقا  
وقال :

ألا عَجَّ على دار السرور فسلم  
وقل : ما حلت بالعين بعدك لذة  
سواك ، وإن لم تسلى ذاك فاعلى  
إذا مزجت ، لإكليل دُرّ منظم  
وصفراء من صبغ الزاج رأسها ،  
قطعت بها عمر الدجى وشربتها  
وقل : أين لذاتى وأين تسلمى ؟  
سواك ، وإن لم تسلى ذاك فاعلى  
إذا مزجت ، لإكليل دُرّ منظم  
ظلامية الأحشاء نورية الدم

[ من رسائل بديع الزمان الهمذاني ]

كتب أبو الفضل بديع الزمان إلى أبي عدنان بن محمد الضبي<sup>(١)</sup> يعزيه عن  
بعض أقاربه :

تعلّق  
إلى أبي عدنان  
محمد الضبي

إذا ما الدهر جرّ على أنس حوادثه أناخ بأخريتنا  
قل للشامتين بنا أفيقوا سئلنى الشامتون كما لقينا  
أحسن ما فى الدهر عمومُه بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فهو يدعو  
الجفلى<sup>(٢)</sup> إذا ساء ، ويخصّ بالنعمة إذا شاء ، فليفكر الشامت ؛ فإن كان أفلت ، فله  
أن يشمت ، ولينظر الإنسان فى الدهر وصروفه ، والموت وصنوفه ، من فاتحه آخره ،  
إلى خاتمة عمره ؛ هل يجد لنفسه ، أثراً فى نفسه ؟ أم لتديره ، عوناً على تصويره ،  
أم لعمله ، تقدماً لأمله ، أم لحيله ، تأخيراً لأجله ؛ كلا ، بل هو التقيد لم يكن شيئاً  
مذكوراً ؛ خلق مقهوراً ، ورزق مقدوراً ، فهو يحمي جبراً ، ويهلك صبراً ،  
وليتأمل المرء كيف كان قبلاً ؛ فإن كان التقدم أصلاً ، والوجود فضلاً ، فليعلم

(١) الذى فى الرسائل (ص ٢١٢ بيروت) « إلى أبى عامر عدنان بن عامر  
الضبي » وفى عبارات قليل من الاختلاف عما هنا (م) .

(٢) الجفلى - بفتح الجيم والفاء واللام - الدعوة العامة التى لا يخصص بها واحد  
دون آخر ، والدعوة الخاصة يقال لها « التقرى » فتحات أيضاً (م) .

الموت عدلاً؛ فالعقل من رقع من جوانب الدهر ماساء بما سر، ليذهب ما نفع  
بما سر؛ فإن أحب ألا يحزن فلينظر يمنة، هل يرى الإمحنة، ثم ليطف بيسرة،  
هل يرى إلا حسرة؟ ومثل الشيخ الرئيس - أطال الله بقاءه - من قطن لهذه  
الأشوار، وعرف هذه الديار، فأعدّ لتعيمها صدىً لا يملؤه فرحاً، وليؤسها قلباً  
لا يطيره ترحاً؛ وصحب البرية برأى من يعلم أن للجنة حداً، وللعارية رداً،  
ولقد نبي إلى أبو قبيصة قدس الله روحه، وردّ ضريحه، ففرضت على آمالي  
قموداً، وأمانى سوداً، وبكيت، والسخر جوده بما يملك، وضحكت، وشرّ  
الشدائد ما يضحك، وعضضت الأصبع حتى أدمنت، وذمت الموت حتى  
تمنيته؛ والموت أطال الله بقاء الشيخ الرئيس خطب قد عظم حتى هان، وأمر قد  
خشن حتى لأن، ونكر قد عمّ حتى عاد عرفاً؛ والدنيا قد تنكرت حتى  
صار الموت أخفّ خطوبها، وقد خبثت حتى صار أفلّ عيوبها، ولعل هذا السهم  
قد صاب آخر ما في كنايتها، وأنكأ ما في خزانها، ونحن معاشر التبع نتعلم  
الأدب من أخلاقه، والجيل من أفعاله، فلاحته على الجبل وهو الصبر، ولا  
ترغبه في الجزيل وهو الأجر؛ فلير فيما رآه إن شاء الله.

كتاب منه

بعض إخوانه

وله إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب كتبه يهنئه بمرض أبي بكر الخوارزمي  
وكانت بينهما مقارعة، ومنازعة، ومناقرة، ومهارة؛ ولهما مجالس مستظرفة قهره  
البدیع فيها وهره، وبكته حتى أشكته، ليس هذا موضعها، لكنني أذكر بعد  
هذه الرسالة بعض مكاتبات جرت بينهما؛ إذ كان ما لهما من الابتداء والجواب  
أخذاً بوصل الحكمة وفصل الخطاب:

الحرّ أطال الله بقاءك - لا سيما إذا عرف الدهر معرفتي، ووصف أحواله  
صفتي - إذا نظر علم أن نيم الدهر ما دامت معدومة فهي أمانى، وإن وجدت  
فهي عواري، وأن يحسن الأيام وإن طالت فستنفد، وإن لم تُصب فكان قد،  
فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها في نفسه، ولا يعدّها في جنبه، والشامت

إِنْ أَفْلَتَ فَلَيْسَ يُغَوِّتُ ، وَإِنْ لَمْ يَمُتْ فَيَسْمُوتُ ؛ وَمَا أَفْتَبَحَ الشَّمَاةَ ، مِنْ أَمِينِ  
 الْإِمَامَةِ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ بِتَوَقُّعِهَا بَدَ كُلِّ لَحْظَةٍ ، وَعَقِبَ كُلِّ لَفْظَةٍ ، وَالذَّهْرُ  
 غَرْنَانٌ طَعْمُهُ الْخِيَارُ <sup>(١)</sup> ، وَظِلَّانٌ شِرْبُهُ الْأَحْرَارُ ، فَهَلْ يَشْمَتُ الْمُرَّةَ بِأَنْيَابِ آكِلِهَا ،  
 أَمْ يُسَرُّ الْعَاقِلُ بِسِلَاحِ قَاتِلِهِ ؟ وَهَذَا الْفَاضِلُ شَفَاءُ اللَّهِ وَإِنْ ظَاهِرُنَاهُ بِالْمَدَاوَةِ قَلِيلًا ،  
 فَقَدْ بَاطَنَاهُ وَدَا جَبِيلًا ، وَالْحَرْثُ عِنْدَ الْحَيَّةِ لَا يَصْطَادُ ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الْكُرْمِ يَنْفَادُ ،  
 وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ ، فَلَا تَتَصَوَّرُ حَالِي إِلَّا بِصُورَتِهَا مِنْ انْتِزَاجِ  
 لَمَنَّتِهِ ، وَالتَّحَرُّنِ لِمَرْضَتِهِ ، وَقَاهُ وَاللَّهُ الْمَكْرُوهَ ، وَوَقَانِي سَمَاعَ الْحُذُورِ فِيهِ ، بِمَنَّةٍ  
 وَخَوَلَةٍ ، وَلُطْفَةٍ وَطَوَلَةٍ .

قال البديع في سيقاة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي :

أولها أنا وطننا خُرَّاسَانُ ، فَاخْتَرْنَا إِلَّا نِيسَابُورَ دَارًا ، وَإِلَّا جَوَارَ السَّادَةِ  
 جَوَارًا ، لَا جَرَمَ أَنَا حَطَطْنَا بِهَا الرُّخْلَ ، وَمَدَدْنَا عَلَيْهَا الطُّنْبَ ، وَقَدِيمًا كُنَّا  
 نَسْتَعِجُ بِمَدِثِ هَذَا الْفَاضِلِ فَنَتَشَوَّقُهُ ، وَنَجْزِيهِ عَلَى الْغَيْبِ فَنَتَشَمَّقُهُ ، وَقَدَّرَ أَنَا  
 إِذَا وَطَنُنَا أَرْضَهُ ، وَوَرَدْنَا بَلَدَهُ ، يَخْرِجُ لَنَا فِي الْعِشْرَةِ عَنِ الْعِشْرَةِ ، وَفِي الْمُوَدَّةِ  
 عَنِ الْجَلْدَةِ ، فَقَدْ كَانَتْ كُلُّهُ الْغُرْبَةَ جَمَعْتَنَا ، وَلُحْمَةُ الْأَدَبِ تَظَلَمَتْنَا ، وَقَدْ قَالَ  
 شَاعِرُ الْقَوْمِ غَيْرِ مَدَافِعٍ <sup>(٢)</sup> :

أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ

فَاخْتَلَفَ ذَلِكَ الظَّنُّ كُلَّ الْإِخْلَافِ ، وَاخْتَلَفَ ذَلِكَ التَّقْدِيرُ كُلَّ الْإِخْتِلَافِ ،  
 وَكَانَ قَدْ اتَّفَقَ عَلَيْنَا فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْعَرَبِ اتِّفَاقٌ ، لَمْ يُوْجِبْهُ اسْتِحْقَاقٌ ، مِنْ بَرَّةٍ  
 بَرَّوْهَا ، وَفِضَّةٍ فَضَرَّوْهَا ، وَذَهَبٍ ذَهَبُوا بِهِ ، وَوَرَدْنَا نِيسَابُورَ بَرَاخَةٍ ، أَتَمَّى مِنْ

(١) غَرْنَانٌ : جَوْعَانٌ ، وَالطَّعْمُ : الْمَطْمُومُ (م) .

(٢) هُوَ أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ حَجَرِ الْكِنْدِيِّ (م) .

الراحة ، وَكَسَى أَخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ<sup>(١)</sup> ، وَزَى أَوْعَشَ مِنْ طَلْعَةِ اللَّحْمِ ، بِلِ  
اطَّلَاعَةِ الرِّقَبِ ، فَمَا حَلَلْنَا إِلَّا قَصْبَةَ جَوَارِهِ ، وَلَا وَطِنًا إِلَّا عَتَبَةَ دَارِهِ ؛ وَهَذَا  
بَعْدَ رُقْعَةٍ قَدْ مَنَّاها ، وَأَحْوَالٍ أَنَسَى نَظْمُهَا -

ونسخة الرقعة : أَنَا بِقُرْبِ الْأَسَازِ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاهُ كَمَا طَرَبَ النَّشْوَانُ مَالَتْ  
بِهِ الْحُمْرُ ، وَمِنْ الْارْتِيَاكِ لِقَائِهِ كَمَا تَنْفُضُ الْمُصْفُورُ بِلَهْلَه الْقَطْرُ ، وَمِنْ الْاِمْتِزَاجِ بَوْلَانِهِ  
كَمَا تَلَقَّتِ الْقَهْبَاءُ وَالْبَارِدُ الْمَذْبُ ، وَمِنْ الْاِبْتِهَاجِ لِمَزَارِهِ كَمَا اهْتَزَتْ تَحْتَ الْبَارِحِ  
الْفُصْنُ الرُّطْبُ ، فَكَيْفَ نَشَاطُ الْأَسَازِ سِيدِي لَصَدِيقِي طَرَأَ إِلَيْهِ عَمَّا بَيْنَ  
قَصَبَتِي الْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ ، بِلِ عَتَبَتِي نَيْسَابُورَ وَجَرَجَانَ ؟ وَكَيْفَ اهْتَزَاةَ لُصِيفِ :  
رَثَ الشَّامِلِ مُخْلَقِ الْأَنْوَابِ بَكَرَتْ عَلَيْهِ مُعِيرَةُ الْأَعْرَابِ  
وَهُوَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ ! - وَلِيَّ إِنْعَامِهِ ، يَنْفَازُ بَغْلَامَهُ ، إِلَى مَسْتَقَرِّي ، لِأَفْقِي إِلَيْهِ  
بِمَا عِنْدِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -

فَلَمَّا أَخَذْنَا عَيْنَهُ سَقَانَا الدُّرْدَرِيَّ مِنْ أَوَّلِ دَنَةِ ، وَأَجْنَانَا سُوءَ  
الْعِشْرَةِ بِمَا كُورَةُ فَتِهِ ، مِنْ طَرَفٍ نَظَرَ بِشَطْرِهِ ، وَقِيَامٍ دَقَعَ فِي صَدْرِهِ ،  
وَصَدِيقٍ اسْتَهَانَ بِقَدْرِهِ ، وَضِيفٍ اسْتَخَفَّ بِأَمْرِهِ ؛ لَكِنَّا أَقْطَعْنَاهُ جَانِبَ  
أَخْلَاقِهِ ، وَوَلَّيْنَاهُ خُطَّةَ نَفَاقِهِ ؛ فَوَاصِلْنَاهُ إِذْ جَانَبَ ، وَقَارَبْنَاهُ إِذْ جَاذَبَ ،  
وَشَرَبْنَاهُ عَلَى كُدُورَتِهِ ، وَلَبَسْنَاهُ عَلَى خُسُوفَتِهِ ، وَرَدَدْنَاهُ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ إِلَى زِيٍّ  
اسْتَفْتَاهُ ، وَلِبَاسَ اسْتَرْجَاهُ ، وَكَاتِبْنَاهُ نَسْتَمِدُّ وَدَادَهُ ، وَنَسْتَلِينَ قِيَادَهُ ، وَنُقِيمُ مُنَادَاهُ ،  
بِمَا هَذِهِ نَسَخْتُهُ :

الْأَسَازُ أَبُو بَكْرٍ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِقَاهُ ، أَزْرَى بِضِيْفِهِ أَنْ وَجَدَهُ يَضْرِبُ إِلَيْهِ  
آبَاطَ الْقَلَّةِ ، فِي أَطْوَارِ الْغُرْبَةِ ، فَأَعْمَلَ فِي رُبْنِيَّتِهِ أَعْمَالَ الْمَصَارِفَةِ ، وَفِي الْاِهْتِزَازِ  
إِلَيْهِ أَصْنَافَ الْمَضَايِقَةِ ، مِنْ إِمْعَاءِ بِنِصْفِ الطَّرْفِ ، وَإِشَارَةِ بِشَطْرِ الْكَفِ ،

(١) الحمار هنا يقال : هو الحيوان المعروف ، وخلق جوفه كناية عن كونه لا  
يتنفع منه بشيء ، وقيل : الحمار رجل من عاد ، وجوفه : واد كان يحله وكان ذا ماء  
وشجر ، فكفر بنعم الله عليه ، فأهلكه الله وأقرق واديه (م) .

وَدَفَعُ فِي صَدْرِ الْقِيَامِ مِنَ النِّعَمِ ، وَمَنْعُهُ لِكَلَامِ ، وَتَكَلُّفٍ لِرَدِّ السَّلَامِ ؛ وَقَدْ  
 قَبِلْتُ تَرْبِيَةَ صَغَرًا ، وَاحْتَمَلْتُ وَزْرًا ، وَاحْتَضَنْتُهُ نَكْرًا ، وَتَأَبَّطُهُ شَرًّا ، وَلَمْ أَكُ  
 عُدْرًا ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ بِالْمَالِ وَثِيَابُ الْجَمَالِ ، وَلَسْتُ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ فِي الْأَسْمَالِ ، أَتَهَرَّزُ  
 مِنْ صَفِّ النِّعَالِ ، فَلَوْ صَدَّقْتُهِ الْعَابِ ، وَنَاقَشْتُهِ الْحَسَابِ ، قُلْتُ : إِنَّ يَوَادِنَا  
 ثَاغِيَةَ صَبَاحٍ ، وَرَاغِيَةَ رَوَاحٍ ، وَنَاسًا يَجْرُونَ لِلطَّارِفِ ، وَلَا يَعْنَمُونَ الْمَعَارِفِ ؛  
 وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنٌ وَجُوهُهُمْ وَأُنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

فَلَوْ طَوَّحْتُ بِأَبِي بَكْرٍ - أَيْدَهُ اللَّهُ - إِلَيْهِمْ مَطَارِيحُ الْفُرْبَةِ ، لَوَجَدَ مَنْزِلَ  
 الْبَشْرِ رَحِيًّا ، وَمَحَطَّ الرَّحْلِ قَرِيبًا ، وَوَجْهَ الْمُضِيفِ خَصِيصًا ؛ فَرَأَى الْأُسْتَاذُ  
 أَبِي بَكْرٍ أَيْدَهُ اللَّهُ فِي الْوُقُوفِ عَلَى هَذَا الْعَابِ الَّذِي مَعْنَاهُ وَدٌّ ، وَالْمَرْءُ الَّذِي يَتْلُوهُ  
 شَهْدٌ ، مُوَفَّقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَأَجَابَ بِمَا نَسَخْتُهُ : وَصَلْتُ رُحْمَةً سَيِّدِي وَرَثِيصِي أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ إِلَى آخِرِ  
 السَّكْبَاجِ <sup>(١)</sup> ، وَعَرَفْتُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ خَشِينِ خَطَابِهِ ، وَمَوْلِمِ عِتَابِهِ ، وَصَرَفْتُ  
 ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الضَّجْرِهَةِ الَّتِي لَا يَخْلُوصُ مِنْهَا مَنْ مَسَّهُ عُسْرٌ أَوْ نَبَأٌ بِهِ دَهْرٌ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
 الَّذِي جَلَسَنِي مَوْضِعَ أُنْيِهِ ، وَمُظَنَّةَ مَشْتَكِي مَا فِي نَفْسِهِ ، أَمَا مَا شَكَاهُ سَيِّدِي وَرَثِيصِي  
 مِنْ مُضَايِقَتِي إِلَاهَهُ فِي الْقِيَامِ ، فَقَدْ وَفَيْتُهُ حَقَّهُ - أَيْدَهُ اللَّهُ - سَلَامًا وَقِيَامًا ، عَلَى  
 قَدَرٍ مَاقَدَّرْتُ عَلَيْهِ ، وَوَصَلْتُ إِلَيْهِ ، وَلَمْ أَرْفَعْ عَلَيْهِ إِلَّا السَّيِّدَ أَبَا الْبَرَكَاتِ [الْمَوْلَى]  
 أَدَامَ اللَّهُ عَزَّهُ ، وَمَا كُنْتُ لِأَرْفَعُ أَحَدًا عَلَى مَنْ أَبُوهُ الرُّسُولُ ، وَأُمُّهُ الْبَتُولُ ، وَشَاهِدَاهُ  
 التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ ، وَنَاصِرَاهُ التَّوْبِيلُ وَالتَّنْزِيلُ ، وَالْبَشِيرُ بِهِ جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ؛  
 فَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ صَدَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّدِي فَكَمَا وَصَفْتُ : حَسَنُ عَشْرَةٍ ، وَسَدَادُ طَرِيقَةٍ ،  
 وَجَمَالُ تَفْصِيلِ وَجْهَةٍ ، وَلَقَدْ جَاوَزْتُهُمْ فَأَحْدَثْتُ لِلرَّادِ ، وَنَلْتُ لِلرَّادِ :

(١) السكباج : طعام يتخذ من اللحم والحل والمرق . والمراد هنا ألوان العتاب  
 القدي قديمه (م) .



فإن كنت قد فارتق نبجداً وأهله<sup>١</sup> فما عهد نبجدٍ عندنا بنعيم<sup>٢</sup>  
والله يعلم نيتي للأحرار<sup>(١)</sup> كافة ، ولسيدي من بينهم خاصة ؛ فإن أعانتني الدهرُ  
على ما في نفسي بلغتْ له ما في النية ، وجاوزتْ به مسافةَ القدرِ والأمنية ، وإن  
قطع على طريق عَزَمِي بالمعارضة ، وسوء الناقضة ، صرفتْ عِنَايَ عن طريق  
الاختيار ، بيد الاضطرار .

فما النفسُ إلّا نقطة بقرارة إذا لم تُكَدَّرْ كان صفواً غديرها<sup>(٢)</sup>  
وبعد ، فحبذا عتابُ سيدي إذا استوجبتنا عتبا ، واقترفتنا ذنباً ؛ فأما أن  
يسلفنا العَرَبِيَّةَ فنحن نصُونُهُ عز، ذلك ، ونصُونُ أُنْسَنَا عن احتاله ، واست  
أسومه أن يقول : ( استغفرُ لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ) ، ولكن أسأله أن  
يقول : ( لا تُثَرِّبْ عليكم اليوم بغير الله لكم وهو أرحمُ الراحمين ) .  
فحين وَرَدَ الجواب وعينُ العذرِ رَمِدَةً تركناه بِمُره ، وطويناها عَلَى غره ،  
وعدنا إلى ذِكْرِهِ فسَحَوْنَاهُ ، ومن صحيفتنا سَحَوْنَاهُ ، وصيرنا إلى اسمه فأخذناه  
ونبذناه ، وتكَبَّنَا خطته ، وتجنبتنا حِلَّتَهُ<sup>(٣)</sup> ، فلا طرنا إليه ، ولا صيرنا به ، ومضى  
على ذلك الأسبوع ، ودبَّت الأيام ، ودَرَجَت الليالي ، وتطاوَلَتِ المدة ، وتصرَّم  
الشهر ، وصيرنا لَأَنْبِيَاءِ الْأَسْمَاعِ ذِكْرُهُ ، ولا نودعُ الصدورَ حَدِيثَهُ ؛ وجعل  
هذا القاضل يستزيد ، ويستعيد ، بألفاظ تقطعها الأسماع من لسانه ، وتؤديها إلى  
وكلت تحفظها الألسنة من فمه ، وتُمِيدُهَا عَلَى ؛ فكاتبناه بما هذه نسخته :

أنا أريدُ من الأستاذ سيدي - أطال الله بقاءه - شِرْعَةً وَدَّه وإن لم تَصَفْ ،  
وَأَلْبَسُ خِلْعَةً بَرَّةً وإن لم تَصَفْ ، وقصاراى أن أكيله صاعا عن مدٍّ ؛ فإني وإن  
كنتُ في الأدب دَعِيَّ النَّسَبِ ، ضيق المضطرب ، سيء القلب ، أمْتُ إلى  
عشرة أهله بِنَيْقَةٍ ، وأنزع إلى خدْمَةِ أَصْحَابِهِ بطريقة ، ولكن يَقَى أن يكون  
الخليطُ مُنْصِفاً في الوداد ، إذا زرت زَارَ ، وإن عُدْتُ عاد ، وسيدي - أطال الله

(١) في الرسائل (ص ٣٤ بيروت) « للاخوان كافة » (م) .

(٢) في الرسائل « كان صفواً أمينها » (م) . (٣) في الرسائل « وتجنبتنا خلطته » (م) .

ناقشني في القبول أولاً<sup>(١)</sup>، وصارمتني في الإقبال آخرًا ؛ فأما حديثُ الاستقبال، وأمرُ الإنزال والآنزال<sup>(٢)</sup>، فبَطْلُ الطمع ضيقُ عنه ، غيرُ متسعٍ لتوقه منه ، وبعد فكلفة المُضَلِّ يَبْتَنِي ، وفروضُ الرُودِّ متعينة ، وأرضُ العشرة ليّنة ، وطرقها هيّنة ، فلمْ اختار قعودَ التَّعَالَى مركبًا ، وصعودَ النُّفَالِ مَذْهَبًا ؛ وهَلَا ذَادَ الطَّيْرُ عَنْ شَجَرِ الْعِشْرَةِ ، وذاقَ الْجُلُوءَ مِنْ ثَمَرِهَا ؛ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَيْهِ قَدْ قَدَّ الْقَوَادَ بَرَحًا إِلَى بَرَحٍ ، وَنَسْكَاهُ قَرَحًا إِلَى قَرَحٍ ، وَلَكِنَّهَا مَرَّةٌ مَرَّةٌ ، وَنَفْسٌ مَرَّةً ، لَمْ تَقْدِرْ إِلَّا بِالْإِعْظَامِ ، وَلَمْ تَلْقُ إِلَّا بِالْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، وَإِذَا اسْتَحْفَانِي مِنْ مَعَابِتِهِ ، فَأَغْفِي نَفْسِي مِنْ كَلْفِ الْفَضْلِ بِتَجَشُّمِهَا ، فَلَيْسَ إِلَّا غَصَصُ الشَّوْقِ أَتَجَرَّعُهَا ، وَحُلُّ الصَّبْرِ أَتَدْرَعُهَا ، وَلَمْ أَعْرِه مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا لَوْ أَعَرْتُ جُنَاحِي طَائِرًا لَطَارْتُ إِلَى إِلَيْهِ ، وَلَا وَقَعْتُ إِلَّا عَلَيْهِ :

أحبك يا شمسَ النهار و بَدْرَهُ      وإنْ لَمْ يَنْقُصْ فِيكَ السَّهَاءُ وَالْقَرَأُفُ  
وذاك لأنَّ الفضلَ عندك باهرٌ      وليسَ لأنَّ العيشَ عندك بَارِدُ  
فلما وردت عليه الرُّقعة حَشَدَ تَلَامِيذَهُ وَخَدَمَهُ ، وَجِشَمَ لِلْإِجْبَابِ قَدَمَهُ<sup>(٣)</sup> ؛  
وطلَّعَ عَلَيْنَا مَعَ الْفَجْرِ طُلُوعَهُ ، وَنَظَمْتَا حَاشِيَتَا دَارِ الْأَمِيرِ أَبِي الْعَلِيبِ ؛ قُلْنَا :  
الآن تشرق الحُشمة وتَنُورُ ، وَنُنَجِدُ فِي الْعِشْرَةِ وَنُورُ ، وَقَصْدُنَاهُ شَاكِرِينَ  
لِمَا أَتَاهُ ، وَاتَّظَرْنَا عَادَةَ بَرِّهِ ، وَتَوَقَّعْنَا مَادَّةَ فَضْلِهِ ؛ فَكَانَ حُلْبًا شِمْنَاهُ ، وَالْأَلَّ  
وَرَدَّنَاهُ<sup>(٤)</sup> ، وَصَرَفْنَا فِي تَأَخُّرِهِ وَتَأَخَّرْنَا عَنْهُ إِلَى مَا قَالَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :

إنَّا على البعاد والتفرُّقِ      لَنَلْتَقِيَ بِالذِّكْرِ إِنَّمَا لَمْ نَلْتَقِ  
وَأُنْشَدْنَا قَوْلَ ابْنِ عَصْرَتَا<sup>(٥)</sup> :

أحبك في البتول وفي أيها      ولكنني أُحِبُّكَ مِنْ بَعِيدٍ

(١) في الرسائل « ناقشني في الحساب القبول أولاً وصارفتني في الإقبال ثانياً » (م) .

(٢) الإنزال - بكر الممزة - مصدر أنزل ، والآنزال - بالفتح - جمع نزل ،

وهو ما يقدم للضيف (م) . (٣) في الرسائل « وجشمت الإيجاف قدمه » (م) .

(٤) الحلب - بزنة سكر - البرق الذي لا يقيه مطر ، والآل : السراب (م) .

(٥) في الرسائل ذكر بعد هذه العبارة البيتين السابحين اللذين أولهما « أحبك

ياشمس النهار وبدره » (م) .

وبقينا نلتقي خيالا ، وتفتح بالذكر وصلا ، حتى جعلت عواصفه تهب ،  
وعقار به تدب .

والجلس طويل نجدا .

قلت : إن كنت خرجت لنطول هذا الكلام عن ضبط الشرط ، فلملي  
أسمح فيه لفضله ، وعدم مثله ، وهو وإن كان في باب الاتصال ، فهو بتقدير  
الانفصال ، لقيام بكل رسالة بذاتها ، وانفرادها بصفاتها .

وكتب إلى رئيس هرة عدنان بن محمد يصف ماجرى بينه وبين الخوارزمي :  
ما أكرم هذا القاض على بساط شرط طواه ، وموقد حرب اجتواه ، ولكني  
أؤمّه على مانواه ؛ ثم لم يتبع هواه ، ورائه ، ثم لم يبلغ آفاه ، وأقول : قد ضرب  
فأين الإيماح ؟ وأندّر فأين الإيقاع ؟ وهذه بوارقه ، فأين صواعقه ؟ وذلك وعيده ،  
فأين عديده ؟ وتلك بنوده ، فأين جنوده ؟ وأنشد :

• هذى معاهده فأين عهوده ؟ •

وما أهول رعدّه ، لو أمطر بعده اللهم لا كفران ، ولعن الله الشيطان ،  
فإنه أشفق لغير أن يظهر عوارّه ، وإن طار طواره<sup>(١)</sup> ، وإن كان قصد هذا  
القصد قد أساء إلى نفسه من حيث أحسن إلى ، وأجحف بفضله من حيث أبقى  
على ، وأؤم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه ، وشجني  
على لقائه ، بعد ما برّعتي<sup>(٢)</sup> بإيمانه ، فبينا كنت أنشد :

• إن جنّني على الفراش لنائب •

إذ أنشدت :

• طاب كليل وطاب فيه شرابي •

(١) العوار - بزنة سحاب - العيب ، والطوار - بزنة سحاب أيضاً - الحوم

(٢) برعتي : غلبتي ، والإيماح : الإشارة .

حول الشيء .

وبينا أنا أقول :

\* ما قلبي كأنه ليس مني \*

إذ قلت :

\* أين من كلن مُوعداً لي بأني \*

فلو أن هذا الفاضل قضى حقنا بالزيارة عند قدومنا أو الاستزارة ، لكان في الضرب أحسن ، وفي طريق المعاشرة أذهب . لا ، ولكنه وعد بالمباراة أولاً ، وهذا بنا للمسائل ثانياً ، وأخلف بالتخلف ثالثاً ؛ فأبلغ وجدى إليه ، وأعرض شوق عليه ، وقل له إن كنت ندمت على النضال ، فلانتمد على الإفصال ، فإن طويقتناحيث الجهاد ، فأنشر نأحيث الوداد ، وإن لم تلقنا في باب الكاشرة ، فأتنا من باب المعاشرة .

وله إلى الإمام أبي الطيب سهل بن محمد : قد كان الشيخ يُعدني عن هذه الحضرة عِدَاتٍ أَشْمَ لها الأنف ، لا ذهاباً بتلك الفواضل عنها ، اسكن استحالة من هذا الزمان أن يجود بها ؛ حين أسرفت على الحضرة ما جئت إلى أمواج الشرف منها ، وخلص إلى نسيم الكرم عنها ، وأنحفني على رسم الإجلال بمركوب سامخ ، ومركب ذهب سامخ ، وجنيب<sup>(١)</sup> شرف زائد؛ وسرت بحمد الله محفوظاً بأعيان الكتاب ، وعيون الرجال ، حتى شافهت بساط العز ، مستقبلاً مَلِكَ الشرق أدام الله علوه ، فنجذب بضبيعي عن أرض الخدمة ، إلى جوار ولي النعمة ، حرس الله مكانه ، فاهتز اهتزازات سحرة الإكرام ، وتجاوز أمم الأعظام إلى القيام ، قبلت من يمناء مفتاح الأرزاق ، وفُتِّحَ الآفاق ، ولحقت منه بقاب العقاب<sup>(٢)</sup> ، وخاطبني بمخاطبات تشدُّ بها ضالَّةَ الكرام ، وهلم جراً إلى ماتبها من جميل الإنزال ، وسنِّي الأجزاء<sup>(٣)</sup> .

كتاب منه  
للإمام سهل  
ابن محمد

(١) أصل الجنيب : الفرس يجنبه مع الذي تركبه لتركبه إذا تعب المركوب ، وفي الرسائل « وحين شرف زائد » (م) .

(٢) قاب العقاب : هو يفض الذي يضرب به اللثل في عزة النال .

(٣) الأجزاء : النعم الجزيلة ، وسنيتها : شريفها ، وانظر ص ٤٨٠ هامشة ٢ .

وطرات من الشيخ العميد على شخصي يسَّمه الخاتم ، ولايسَّه العالم ، ويهتزُّ عند المكارم كالنصن ، ويثبت عند الشدائد كالركن ، وسلطانٍ يعلم حِلْمَ السيف مُقَمَّدا ، وينضب مجرَّدا ، فهو عند الكرم لَيْنٌ كصَفْحَتِهِ ، وعند السياسة خَشِنٌ كسُفْرَتِهِ ، وملك يَأْتِي الكرم تِيَةً ، والفضل سَجِيَّةً ، ويفعل الشرَّ ككَلْفَةٍ أَوْخَطِيَّةً ، فهو ضرور بالآلته ، تقوُّع بذاته ، عطارد قلَّه ودَوَّاهُ ، وللريح سَيْفُهُ وقَنَاتُهُ ؛ عَيْبُهُ أَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ ، فيصرف عَيْنَ الكمال عن معاليه .

وصادفت من الشيخ الموفق أَيْدَهُ اللهُ ملكاً يُشَاهَدُ بِعِيَانَا ، وجلا قد سُمِّيَ إنساناً ، وحسناً قد مُلِيَ إِحْسَاناً ، وأسداً قد لُقِّبَ سُلْطَاناً ، وبحراً قد أَسْلَكَ عِيَانَا ، وحطَّطَتْ رُحْلِي بِنَاءِ الأمير الفاضل أَبِي جعفر أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ ، فوجدت حِكْمِي فِي مَالِهِ أَنْقَذَ مِنْ حِكْمِي ، وقَسِي مِنْ غِنَاهُ أَوْفَرَ مِنْ قَسَمِي ، وَاثْبِي فِي ذَاتِ يَدِهِ مَقْدَمًا عَلَى اسْمِي ، وَيَدِي إِلَى خَزَائِنِهِ أُسْرَعَ مِنْ يَدِي ، وَإِنْ قَصِدْتَ أَنْ أَفْرِدَ لِكُلِّ مَدْحَا ، وَأَعْبِرَ الْجُمْلَةَ شَرْحًا ، أَطَلَّتْ ، فَهَلْ جَرَّأُ إِلَى مَا انْتَحَتِ الْكِتَابُ لِأَجْلِهِ .

ورد للخوارزمي كتاب يتقلب فيه على جَنَسِ الْحَرْدِ ، وَيَتَقَلَّى عَلَى جَعْرِ الضَّجْرِ ، وَيَتَأَوُّه مِنْ تَحَارِ الْجَبَلِ ، وَيَتَعَثَّرُ فِي أَذْيَالِ الْكَلَّلِ ، وَيَذْكُرُ أَنَّ الْخَاصَّةَ قَدْ عَلِمَتْ لِأَيْنَا كُنْ (١) الْقَلْجِ ، قُلْتُ : اسْتَ الْبَائِنُ أَعْلَمُ ، وَالْخَوَارِزْمِيُّ أَعْرَفُ ، وَالْأَخْبَارُ الْمُنْظَاهِرَةُ [ أَعْدَلُ ، وَالْأَنَارُ الظَّاهِرَةُ ] أَصْدَقُ ، وَحَلْبَةُ السِّبَاقِ أَحْكَمُ ، وَمَا مَضَى بَيْنَنَا أَشْهَدُ ، وَالْعَوْدُ إِنْ نَشِطَ أَحْمَدُ ، وَمَتَى اسْتَزَادَ زِدْنَا ، وَإِنْ عَادَتْ الْمُقَرَّبُ عُدْنَا ، وَلَهُ عِنْدِي إِذَا مَا شَاءَ ، كُلُّ مَا شَاءَ !

وهي طويلة فيها هنات صُنَّتْ الْكِتَابُ عَنْهَا ، وَقَدْ أَعَادَ الْبَدِيعُ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي صَدْرِ حِكَايَتِهِ مَعَ الْخَوَارِزْمِيِّ ، قَالَ فِي رَقْعَةٍ كَتَبَهَا إِلَى سَعِيدِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ ، وَقَدْ وَقَفْتُ بِهِ الْضَّرُورَةُ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ مِنْ سَلْبِ الْعَرَبِ مَالَهُ :

كِتَابِي ، بَلْ رُقْمَتِي ، أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ ، وَقَدْ بَكَرْتُ عَلَى مُنْصِيرَةٍ

كِتَابُ مِنْهُ  
لِلْإِسْمَاعِيلِيِّ

الأعراب، كهلهل، وريعة بن مُكَدَّم، وعتيبة بن الحارث بن هشام، وأنا أحمد الله إلى الشيخ الفاضل، وأدُمُ الدهر؛ فإترك لي من فضِّهِ إلّا قَصَّها، ولا ذهب إلّا ذَهَب به، ولا علق إلّا علقه<sup>(١)</sup>، ولا عَقَّار إلّا عَقَّرَه، ولا ضَيْعَة إلّا أضاعها، ولا مال إلّا مال إليه، ولا سَبَدٍ إلّا استبدَّ به، ولا لَبَدٍ إلّا لَبَدَ فيه، ولا بَرَّة إلّا بَرَّها<sup>(٢)</sup>، ولا عارية إلّا ارتبجها، ولا وديعة إلّا انتزعها، ولا خِلْمَة إلّا خلعها، وأنا داخل نيسابور ولا حِلْيَة إلّا الجلدة، ولا بُرْدٌ إلّا القِشْرَة، والله وليُّ الخلف يمجِّله، والقرج يسهله، وهو حَسْبِي ونعم الوكيل.

وليس البديع بأبي عذرة هذا الخطاب، وسترى نظير هذا المعنى في هذا الكتاب.

### ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح الإسكندري

قال: حدثني عيسى بن هشام قال: كنتُ في بعض بلاد بني فزارة مرتحلاً نجبية، وقائداً جَنِيْبَةً، يَسْبَحَانِ سَبْحًا، وأنا أهيِّم بالوطن، فلا الليل يَبْدِيْنِي بوعيده، ولا البُعْدُ يَدْنِيْني ببيده، وَظَلَمْتُ أَخْطِيطُ ورق النَّهَارِ، بعضا التَّسْيَارِ، وأخوضُ بطنَ اللَّيْلِ، بمحافر الخليل، فيننا أنا في ليلةٍ بضلُّ بها القَطَاطُ<sup>(٤)</sup>، ولا يُبْصِرُ بها الوَطْوَاطُ، أُسْتَبَحُ ولا سامحُ إلا السبع، ولا بارحُ إلا الضَّبَّعُ، إذ عن لي راكب تامَّ الآلات، يطوى منشور القلوات، فأخذني منه ما يأخذُ الأغرلُ من شاكي السلاح، لكنني تَجَلَّدْتُ قَلْتُ: أَرْضَكَ لَا أَمْ لَكَ! فدونك شَرَطُ الجِلْدَادِ، وَخَرَطُ القَتَادِ، وَخَصَمُ ضَخْمٍ، وَحِمِيَّةُ أَرْذِيَّةٍ، وأنا رَسَلِمُ إن شئتُ، وَخَرَبُ إن أردتُ، من أنت؟ قال: سلماً أصبتُ، قلت: خيراً أُجِبتُ، قلت: فمن أنت؟ قال: نصيح إن شاورتُ، فصيح إن حاوَرْتُ، ودون اسمي

تقامة الفزارية  
لبديع

(١) الطلق - بالكسر - الشيء النفيس الذي يضمن به، وعلقه: أي أخذه (م)

(٢) زها: سلبها وغلب عليها (م) (٣) الذي في اللقائات «ولا البعد يلوني بيده» (م)

(٤) القطاط - بزة سحاب - القطا، وهو مضرب للتل في الهداية.

لِثَامٍ ، لَا تُنَيِّطُهُ الْأَعْلَامُ . قُلْتُ : فَا الطَّمْصَةُ ؟ قَالَ : أَجُوبُ جُيُوبَ الْبِلَادِ ،  
 حَتَّى أَقْعَ عَلَى جَفْنَةِ جَوَادٍ ، وَلِي فَزَادَ يَحْدُمُهُ لِسَانٌ ، وَبَيَانٌ يَرَقُّ بِهِ بَنَانٌ ،  
 وَقَصَارَايَ كَرِيمٍ يُنْفِضُ إِلَى حَقِيَّتِهِ ، وَيُخَفِّفُ لِي جَنِينَتِهِ ، كَابِنُ حُرَّةٍ طُلِعَ إِلَى  
 بِالْأَمْسِ ، طُلُوعِ الشَّمْسِ <sup>(١)</sup> ، وَغَرَبِ عَنَى بَرْوِيهَا ؛ لَكِنَّهُ غَابَ وَلَمْ يَنْفِضْ تَذْكَارُهُ ،  
 وَوَدَّعَ وَشَيْعَتُنِي آثَارُهُ ، وَلَا يَنْبُتُكَ عَنْهَا أَقْرَبُ مِنْهَا ، وَأَوْمَأَ إِلَى مَا كَانَ يَلْبِسُهُ ،  
 قُلْتُ : شَحَاذَ وَرَبِّ الْكُتْمَةِ أَخَاذَ ، لَهُ فِي الصَّنَمَةِ نَفَاذَ ، بَلْ هُوَ فِيهَا أَسَاذَ ،  
 وَلَا بَدَأَ أَنْ تَرَشَّحَ لَهُ وَتَسِيحَ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : يَافَتَى ، قَدْ أَجْلَيْتَ عِبَارَتَكَ ، فَأَيْنَ  
 شِعْرُكَ مِنْ كَلَامِكَ ؟ قَالَ : وَأَيْنَ كَلَامِي مِنْ شِعْرِي ! ثُمَّ اسْتَمَدَ غَرِيْزَتَهُ ، وَرَفَعَ  
 عَقِيرَتَهُ ، بِصَوْتٍ مَلَأَ الْوَادِي ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَأَرْوَعَ أَهْدَاءَ لَيْلِ اللَّيْلِ وَالْقَلَا وَخَفَسَ تَمَسُّ الْأَرْضِ لَكِنْ كَلَا وَلَا <sup>(٢)</sup>  
 عَرَضَتْ عَلَى نَارِ الْكَارِمِ عُدَّةُ فَكَانَ مُعْمًا فِي السَّوَابِقِ مُخُولَا  
 وَخَادَعْتُهُ عَنْ مَالِهِ فَخَدَعْتُهُ وَسَاءَلْتُهُ فِي بَرِّهِ فَسَهَّلَا  
 وَلَمَّا تَجَالَيْنَا وَأَحْمَدَ مَنْطِقِي بَلَّغَنِي فِي نَظْمِ الْقَرِيضِ بِمَا بَلَا <sup>(٣)</sup>  
 فَاهَزَّ إِلَّا صَارِمًا حِينَ هَزَّنِي وَلَمْ يَلْقَنِي إِلَّا إِلَى السَّبْقِ أَوَّلَا  
 فَلَمْ أَرَهُ إِلَّا أَغْرَّ حَجَبًا وَمَا تَحْتَهُ إِلَّا أَغْرَّ حَجَلَا

قُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ يَافَتَى ، وَلَكِ مَا يَصْحَبُنِي حَكْمُكَ . قَالَ : الْجَنِيَّةُ ،  
 قُلْتُ : إِنَّ <sup>(٤)</sup> وَمَا عَلَيْهَا . ثُمَّ قَبِضْتُ بِجُمُعِي عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ الَّذِي أَلْهَمَهَا  
 لَمَسًا ، وَشَقَّهَا مِنْ وَاحِدَةٍ خَمْسًا ، لَا تُزِيلُنَا أَوْ نَقُصِّ عَلَيْكَ ، لَخَدْرٍ لِثَامِهِ عَنْ وَجْهِهِ ،  
 فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ قُلْتُ :

تَوَشَّحْتَ أَبَا الْفَتْحِ بِهَذَا السِّيفِ مُخْتَلَا

(١) طُلُوعِ الشَّمْسِ ، هُنَا : مُتَّصِبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ ، وَلَيْسَ مَفْعُولًا مُطْلَقًا ، وَبَدَلُ  
 لَهُ مَا ذَكَرَهُ بَعْدَهُ (م) (٢) كَلَا وَلَا : يَرِيدُ فِي غَايَةِ السَّرْعَةِ كَسَرْعَةِ النَّطْقِ بِلَفْظِ (م)  
 (٣) بَلَّغَنِي : اخْتَبَرَنِي (م) (٤) أَنْ ، هُنَا : بِمَعْنَى نَعَمْ .

وما تصنعُ بالسيف إذا لم تكُ قتلاً ؟  
[فصَّحْ ما أنتَ حليت به سيفك خلخلاً]

[ من طرف الأدب ]

بين عبد الله بن الزبير بن العوام وشاعر الأسدي على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن بيني وبينك رحماً من قبل فلاة الكاهلية ؛ هي أختنا ، وقد ولدتكم ، وأنا ابنُ فلان ؛ فلاة عمتي . قال ابنُ الزبير : هذا كما ذكرت ، وإن فكرت في هذا أصبت ، الناسُ كلهم يرجعون إلى أبٍ واحد ، وأم واحدة .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ نَفَقَتِي قد دَهَبَتْ . قال : ما كنت ضمنت لأهلك أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم . قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ناقتي قد نَقِبت ودَبَرَتْ<sup>(١)</sup> . فقال له : أُنَجِّدُ بها يُرْدُخُفها ، وارَقها بَسِيت ، واخْصِفها بِهُلْب<sup>(٢)</sup> ، وسِر عليها البر يدين . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما جئتُك مستَحِيلاً ، ولم أتك مستوصفاً<sup>(٣)</sup> . لمن الله ناقةً حملتني إليك . قال ابنُ الزبير : إنَّ وراكِها ! فخرج وهو يقول :  
أَرَى الحاجِلَ عند أبي خُبَيْبٍ      نَكِدْنَ ، ولا أُمِّيَّةَ في البِلادِ  
من الاعمصاص أو من آل حربٍ      أغرَّ كَفْرَةَ الفرس الجوادِ  
ومالي حين أُنْقَطِعَ ذلتَ عِرْقِي      إلى ابنِ الكاهلية من مَعادِ<sup>(٤)</sup>  
وقلت لصحبتي أذُنُوا رَكابِي      أَفَارِقُ بَعْلَنَ مَكَّةَ في سَوَادِ  
فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير ، قال : لو علم أنَّ لي أمًّا أَحْسَنَ من<sup>(٥)</sup> عمته الكاهلية لنسبني إليها ، وكان ابنُ الزبير يكنى أبا بكر وأباً خُبَيْبٍ .

(١) نَجِبت : رق خفها ، ودبرت : أصابها قرحة (م) .

(٢) البت : الجلد المدبوغ ، والهلْب : الشعر ، أو شعر الحَزْرَر خاصة (م) .

(٣) مستَحِيلاً : طالباً أنْ يُحْمَلَنِي بأنْ تعطيني ركوبة ، ومستوصفاً : أي طالباً

منك أن تصف الدواء (م) . (٤) في كل المطبوعات « من مفاد » تطبيع (م) .

(٥) في كل للطبوعات « أحسن » تطبيع (م) .



قال الصولي: أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرساً أشهب أحمر،  
كان عنده مكيّنا، وكان به ضنينا، فقال يرثيه

قالوا: جزعت، قُلت: إن مصيبةً جلتَ بيتها، وضاق للذهب<sup>(١)</sup>  
قال أبو بكر: هكذا أنشدني ابن المعتز على أن (إن) بمعنى نعم، وأنشد النحويون:  
قالوا: كبرت، قُلت: إن، وربما ذَكَرَ كبيرُ شبابه فتطرباً

كيف القزاه وقد مضى لسيله \* \* \*  
دبَّ الوُشاةُ فباعدوه، وربما  
لله يوم غدوت فيه ظاعناً  
نفسى مقسمة أقام فريقهما  
الآن إذ كملت أداتك كلها  
وغدوت طنان اللجام كأنما  
وكان سرّجك، إذ علاك، غمامة  
أنسك؟ لا زالت إذاً منسية  
أضمرت منك التأس حين رأيتنى  
يا صاحبي لئلا زلّ ذا من أمره  
إن تُسيدا فصيمة مشكورة  
عوجاً قولاً: مرحباً، وتزوذا  
منع الرفاد جوى نصنّه الحنى

عنا فودعنا الأحمر الأشهب  
بدّ الهى وهو الحبيب الأقرب  
وسليت فرسك، أى علق أسلَب؟  
ومضى لطيفته فريق يُحْتَبُ  
ودعا العيوب إليك حسن مُصِيبُ  
في كل عُصومك صنّج يُغَرِّبُ  
وكانما عت النمامة كوكبُ  
نفسى. ولا ترحت بمثلك تنكب  
وقوى حبالى من حبالِك تُغْصِبُ  
صحب الفى في دهر من يصحبُ  
أو تحذلا فصيمة لا تذهبُ  
نظراً وفلّ لمن تحبّ المرحبُ  
مم كابده وهم مُنْصِيبُ

[للزاح]

قال الحجاج بن يوسف لابن القرمزية: ما زالت لحكام تذكّره للزّاح،  
وتنهى عنه، فقال: للزّاح من أدنى منزله إلى أقصاه عشرة أبواب: للزّاح  
أوله فرّح، وآخره ترّح. المزاح قائلُ السفهاء، كاشعر قائلُ الشراء. وللزّاح

(١) تقدير الكلام « قُلت: نعم، هذه مصيبة عظمت رزيتها - إلخ » (م).

يُؤْغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ ، وَيَنْقُرُ الرَفِيقَ . وَالزَّاحُ يُبْدِي السَّرَّاءَ ؛ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ الْمَعَارِ .  
وَالزَّاحُ يُشْقِطُ الْمُرُوَّةَ ، وَيُبْدِي الْخَفَى . لَمْ يَحْرِزْ الزَّاحُ خَيْرًا ، وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .  
الغالب بِالزَّاحِ وَآثَرُ ، وَالْفُصُولُ بِهِ نَاطِرُ . وَالزَّاحُ يَحْلِبُ الشَّمَّ صَغِيرَهُ وَالْحَرْبَ  
كَبِيرَهُ ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ .

فَقَالَ الْحُجَّاجُ : حَسْبُكَ ، الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوٍ مَعَهُ قُدْرَةٌ .

وَذَكَرَ الزَّاحُ بِحُضْرَةِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ قَالًا : يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ  
الْخَرْدَلِ ، وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمِرْجَلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا  
كُنْتُ أَمْزَحُ !

خَالِدُ

ابن صفوان  
يبين مساوي  
للزاح

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ قَالًا :

تَلَقَّى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي تَحْنٍ مَنَظِقَةٍ بِمَا لَا يَغْفَرُ  
وَيَقُولُ : كُنْتُ مَاهِزًّا وَمُلَاعِبًا هِيَهَاتَ نَارُكَ فِي الْحَشَى تَنْسَعِرُ !  
أَوْ مَا عَلَتْ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِبًا . أَنَّ الْمَزَّاحَ هُوَ السَّبَّابُ الْأَضْفَرُ

للوراق في هذا  
المعنى

فَقَرَّ فِي هَذَا النِّحْوِ لِأَهْلِ الْمَعْرِ وَغَيْرِهِمْ

الْمَزَّاحَةُ تَذْهَبُ بِالْمَهَابَةِ ، وَتُورِثُ الضَّعِيفَةَ . الْإِفْرَاطُ فِي الْمَزَّاحِ مُجُونٌ ، وَالِاقْتِصَادُ  
فِيهِ ظَرْفٌ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنْهُ نَذَامَةٌ . أَوْ كَذَلِكَ أَسْبَابُ الْقَطِيعَةِ الْمَرَاءِ وَالْمَزَّاحِ .  
ابن المنذر - مَنْ كَثُرَ مَزَّاحُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ اسْتِخْفَافٍ بِهِ أَوْ حَقْدٍ عَلَيْهِ .

لابن المنذر  
لابن القريّة

قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْشِيِّ : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : عَاقِلٌ ، وَأَحْقٌ ، وَفَاجِرٌ ؛ فَالْعَاقِلُ  
الَّذِينَ شَرِيعَتُهُ ، وَالْحَلْمُ طَبِيعَتُهُ ، وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ ؛ إِنْ سُئِلَ أَجَابَ ، وَإِنْ  
نُطِقَ أَصَابَ ، وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى ، وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى . وَأَمَّا الْأَحْقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ  
عَجِلَ ، وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ نَزَلَ ، فَإِنْ حَمَلَ عَلَى الْقَبِيحِ  
حَمَلَ . وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنْ أَثْمَتَهُ خَانُكَ ، وَإِنْ حَدَّثْتَهُ شَأْنُكَ ، وَإِنْ وَثَقْتَ بِهِ لَمْ  
يَرْعَكَ ، وَإِنْ اسْتَكْبَحَكَ لَمْ يَكْتُمْ ، وَإِنْ عَلَّمَ لَمْ يَعْلَمْ ، وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ ، وَإِنْ فَتَنَهُ لَمْ يَقْنَعْ .

قال أبو حية النجري :

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا  
فَهَابَ رِجَالُ مِنْهُمْ فَتَصِفُوا  
عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا  
وَقَالُوا : حَمَامَاتُ ، فَحُصِّ لِقَاؤُهَا  
وَقَالَ صَحَابِي : هُذُودٌ فَوْفَ بَابَةِ ،  
وَقَالُوا : دَمٌ ، دَامَتْ مَوَاتِيقُ بَيْنَنَا  
لَعَيْنَاكَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَسْرَعُ وَكَفَا  
وَنَسُوهُ شَحْشَاحٍ غَيُورٍ يَحْفَنُهُ  
يَقْلَنُ ، وَمَا يَذْرِيْنِ أَنِّي سَمِعْتُهُ  
أَهَذَا الَّذِي غَنَى بِسَرَاءِ مَوْهِنَا  
إِذَا مَا تَنَفَّسْنِي أَنْ مِنْ بَعْدِ زَفَرَةٍ  
وَقَائِلَةٍ : يَادَمَ وَنَحْكَ إِيَّاهُ  
فَلَوْ أَنَّ قَوْلَا يَجْرَحُ الْجِلْدَ قَدْ بَدَا  
وَهَذَا مِنْ غَرِيبِ الزَّجْرِ مَلِيحُ التَّنَاوُلِ .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : أنشدني أعرابي في قصيدة ذى الرمة التي مما ينسب  
لدى الرمة

وَلَمْ يَنْزِلْ  
أَلَا يَا أَسْطَى يَادَارَمِي عَلَى الْبِلَى  
يَتَيْنِ لَمْ يَرَوْهَا الرُّومَ فِي دِيَوَانِهِ ، وَهِيَ :  
رَأَيْتُ غَرَابًا سَاطِعًا فَوْقَ قَضْبَةٍ  
قُلْتُ : غَرَابٌ لَا غَرَابَ ، وَقَضْبَةٌ  
مِنْ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ خُضِرُ  
لِقَضْبِ النَّوَى هَذِي الْعِيفَةُ وَالزَّجَرُ

(١) لعله « على يابه من غنة » فقد وردت في الأمل ١/٦٩ « على غنة في صوته »

وقال آخر :

دعا صُرْدٌ يوماً على غُصْنٍ بانه  
قلت : أتَصْرِيْدُ وشَحَطُ وغُرْبَةٌ ؟

وقد أكرث العرب من ذكر الطيرة ، والزجر ، وكانت تقتدى بذلك عادة الجاهلية والنهي عنها

ولا عدوى ولا طيرة ، وقد قال الأول :

لعمرك ما تذرى الضوَارِبُ بالحصى

وقال ضابي بن الحارث البرهمي :

وما عاجلات الطير ، تُذني من القى

ولا خيرَ فيمن لا يوطن نفسه

وربّ أمورٍ لا تُضيرك ضيرة

وقال الكميّ بن زيد الأسدي :

ولا أنا ممن يزجرُ الطيرَ همهُ

ولا السامحات البارحات عشيّة

وقال شاعر قديم :

لا يمنعنك من بُغَا

ولا التشاؤمُ بالخطا

فلقد غَدَوْتُ وكنت لا

فإذا الأشائمُ كالآيا

وكذاك لا خيرٌ ولا

قد حُطَّ ذلك في الزَّبُو

« الخير تمقاد التّسام

س ولا التّيامن بالمقاسم

أغدو على وافي وحاتم<sup>(٢)</sup>

من والأيمان كالأشائم

شرّاً على أحدي بدائم

ر الأوّليات القدام

(١) وقع في نسخة « تدرى من القى » و « ولا عن ريشن نجيب » تحريف (م)

(٢) الواقي : الصرد ، والحاتم : الغراب (م) .

ولقد أحسن ابن كناسة في رثاء ولده يحيى ، أنشده أبو العباس ثعلب :  
 تيممت فيه القنال حتى رُزئتُه ولم أدرِ أن القنال فيه يَفيلُ  
 فسميته بِيَحْيَى لِيَحْيَا ؛ فلم يكن إلى ردِّ أمرِ الله فيه سبيلُ  
 وروى اللدائقي قال : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، فلما قُرب منها نزل  
 بمنزل ، فإذا هو بمرأب على شجرة بأن يَنْتِفِ ريشه وَيَنْقُبُ ؛ فأسرع الرحيل ،  
 ومضى لوجهه ؛ فلقبه رجل من بني نَهْد ، فقال : يا أخا الحجاز ؛ مالى أراك  
 كاسِفَ اللون ؟ قال : ما علمت إلا خيراً ، قال : فهل رأيت في طريقك شيئاً  
 أنكرته ؟ قال : لا والله إلا في منزلي هذا ، فإني رأيتُ غراباً يَنْتِفِ ريشه على  
 بانه وَيَنْقُبُ . قال : أما إنك تطلب حاجة لا تدركها .

ين كثير  
ورجل نهدي

فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة ، فقال :  
 رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانه يُنْتِفِ أعلى ريشه ويطايره  
 فقلت - ولو أفي أشاء زجرته بنفسى - للنهدي : هل أنت زاجره ؟  
 فقال : غراب لا عتَاب من النوى وفي البان يَنْتِفِ من حبيب تجاوره  
 فما أعيِفَ النهدي ، لأدرَ دَرُّهُ ! وأزجره للطير ، لا عزَّ ناصره  
 ثم أتى قبر عزة فأناخ به ساعة ثم رحل ، وهو يقول :

أقولُ ونضوى واقفٌ عند رأسها عَلَيْكَ سلامُ الله والتَّيْنُ تَنْفَعُ  
 فهذا فراق الحق لا أن تُزيرني بلادك ففلاهِ النراعين صَيْدُ<sup>(١)</sup>  
 وقد كنت أبكي من فراقكِ حية وأنتِ لعمري اليوم أنأى وأنزحُ  
 وقال جرير :

بأن الخليطُ برامتين فودَّعوا أو كَلَّمَا نهبوا لبين تجزَعُ  
 إن السَّوامح بالضَّحَى هيَجَنِي في دارِ زَيْنَبَ والحمامُ الوقُوعُ

الجرير

لعوف الراهب

وقال عوف الراهب خلاف هذا :  
 غلط الذين رأيتهم بجهالة يَلْعَوْنَ كلَّهم غراباً يَنْتِفِ

(١) ففلاهِ النراعين : قوينهما ، وصيد : فرس شديد الصوت (م) .

ما الذنبُ إلاّ للأباعر؛ إنها مما بُسِتَ جيمهم ويفرّق  
 إنَّ الترابَ يُمْنُه تَدْنُو النوى وتُسْتَتُ الشملَ الجنيحَ الأينى  
 وقد تبعه في هذا للذهب أبو الشيس قال :

لأبي الشيس

ما فرّق الأحبابَ بَعْدَ اللهِ إلاّ الإبلُ  
 والناسَ يَلْحَوْنَ غُرَا بَ البينِ كما جَهِلُوا  
 وما على ظَهْرِ غُرَا بَ التَّيْنِ تُطَوِّى الرّحلُ  
 ولا إذا صَاحَ غُرَا بٌ في الدّيارِ احتَمَلُوا  
 وما غرابُ البينِ إلّا ناقةٌ أو جَمَلُ  
 وما أَمْلَحَ ما قال القائل :

زعموا بأنّ مطيهم عَوْنُ النوى واللّوْذِنَاتُ بَفَرْقَةِ الأحبابِ  
 وَلَوْ أَنَّهَا حَتْنِي لَمَّا أَبْفَضَتْهَا ولها بهم سببٌ من الأسبابِ

وكان على بن العباس الرومي مُعْرِطَ الطَّيْرَةِ ، شديدة الغلوّ فيها . قال على بن  
 عبد الله بن المسيب : وكان يحتجُّ لها ، ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان  
 يُحِبُّ القَالَ ، وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ ؛ أفترأه كان يتعاملُ بالشئ ، ولا يتطرّف من ضده ؟  
 ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ برجل وهو يَرَحَلُ ناقةً ويقول :  
 يا ملعونة ، قال . لا يَصْحَبُنَا ملعون ، وإن عليّاً رضى الله عنه كان لا يَفْزُو غَزَاةً  
 والقمرُ في القرب ، ويزعم أنّ الطيرة موجودةٌ في الطباع قائمةٌ فيها ، وأنّ بعض  
 الناس هي في طباعهم أظهر منها في بعض ، وأنّ الأكثرَ في الناس إذا لقي ما يكرهه  
 قال : على وجهٍ من أصبحت اليوم ؟ .

بن الرومي  
 كان شديد  
 الطيرة

فدخل علينا يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أهدى إلى عدة من جوارى  
 القيان ، وكانت فيهنّ صبيّةٌ حَوْلَاءٌ ، وعجوزٌ في إحدى عينيها نكتة ، فتطير من  
 ذلك ، ولم يُظهِر لي أمره ، وأقام باقي يومه ؛ فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لـ

من بعض السطوح ، وجفاه القاسم بن عبيد الله ؛ فجعل سبب ذلك المعنيين للمعنيين ،  
وكتب إلى :

أيها الْمُتَحَنِّفُ بِحَوْلٍ وَعُورٍ    أبْنِ كَانَتْ عَنْكَ الْوَجُوهُ الْحَسَانُ  
قَدْ لَعَمْرِي رَكِبْتَ أَمْرًا مَهِينًا    سَاءَ فِيكَ أَيُّهَا الْخُلَصَانُ  
فَفَحَّكَ الْمَهْرَجَانِ بِالْحَوْلِ وَالْعُورِ    أَرَانَا مَا أَغْشَى الْمَهْرَجَانُ  
كَانَ مِنْ ذَلِكَ قَدْ كُنْتَ ابْنَتَكَ الْخُرَّةَ مَصْبُوعَةً بِهَا الْكَفَّانُ  
وَتَجَافَى مُؤَمِّلٌ لِي جَلِيلٍ    لَحْجٌ فِيهِ الْجَفَاهُ وَالْمَهْجَرَانُ  
وَعَزِيزٌ عَلَى تَقْرِيعِ خَلٍّ    لَا يُدَانِيهِ عِنْدِي الْخُلَّانُ  
غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ إِذْ كَارَهُ الْخَزْمَ    وَإِشْعَارُهُ شِعَارًا يُصَانُ  
لَا تَهَاوُنَ بِطَيِّرَةِ أَيُّهَا النَّظَارُ    وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا عُنْوَانُ  
قِفْ إِذَا طَيِّرَةٌ تَلَقَّنَتْ وَأَنْظُرْ    وَاسْتَمِعْ ثُمَّ مَا يَقُولُ الزَّمَانُ  
قَلَّمَا غَابَ مِنْ أُمُورِكَ عُنَا    نَ مَبِينٍ وَلِلزَّمَانِ لِسَانُ  
لَا تَكُنْ بِالْهَوَى تَكْذِبُ بِالْأَخْبَارِ    حَتَّى تَهِنَ مَالَا يُبَانُ  
لَا يَقْدُكَ الْهَوَى إِلَى نَصْرَةِ الْأَخْبَارِ    حَتَّى يَقْدَمَ الْبِرْهَانُ  
إِنْ عَقِبِي الْهَوَى هُورِيٌّ ، وَعَقِبِي    طُولَ تِلْكَ الْمَهْوَنَاتِ هَوَانُ  
لَا تَصْدُقْ عَنِ النَّبِيِّينَ إِلَّا    بِمَحْدِثٍ يُلُوحُ فِيهِ الْبَيَانُ  
خَيْرُ اللَّهِ أَنْ مَشَامَةً كَانَتْ    نَتِ الْقَوْمِ وَخَيْرُ الْقُرْآنِ  
أَفْزُورُ الْحَدِيثَ تَقْبَلُ أَمْ مَا    قَالَهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْفُرْقَانُ ؟  
أَتَرَى مِنْ يَرَى الْبَشِيرُ بَشِيرًا    يَمْتَرِي فِي النَّذِيرِ يَا وَشَنَانُ  
فَدَعِ الْهَزْلَ وَالتَّضَلُّكَ بِالطَّيْرِ    وَالنَّصْحَ مُنْذُ مَجَّانُ

وقد فرَّقَ حَدَّثَ أَهْلَ النَّظَرِ فِي الْقَالِ ، بَيْنَ الطَّيْرِ وَالْقَالِ ، فَقَالُوا : الطَّيْرِ  
كَانَتْ الْعَرَبُ تَرْجِعُ إِلَى مَا تَمْضِيهَا ، وَتَجْرِي عَلَى تَقْضِيهَا ، وَكَانَ الَّذِي يَهْمُ بِهِمُ  
إِذَا مَا رَأَى مَا يَطْلُبُ مِنْهُ رَجَعَ عَنْهُ ؛ وَفِي ذَلِكَ مَا يَصْرِفُ عَنِ الْإِحَالَةِ عَلَى الْمَقَادِيرِ

الجارية يدُمغنيها ، النازلة على حكم قاضيها ، والفأل لا يرد المرید عما يريد !  
يُفَوِّى مُنْتَه ، وَيَسْرُ مِهْجَه ؛ وس هذا موضع تطويل ، في إيراد الدليل .

\*\*\*

وفي جفاء القاسم بن عبيد الله إياه يقول معاتباً :

من ابن الرومي  
للقاسم بن  
عبيد الله

ألم ترني أفرضتك الود طامعا  
لمرى لقد صورت أبيض مسرفا  
فيا ويح مولاك استغاث مسرب  
ولولا اعتقادي أنك الخير كله  
وإني وإن دارت على دوائر  
وما زلت عرافا إذا زاد عسى  
وهذا البيت كقول الآخر

وإني للماء الخاط للقدى إذا كثرت ورأده ليوف

وفي ابنة المسيبي يقول ابن الرومي يعزبه :

ابن الرومي  
يرث ابنة المسيبي

أخا تقى أعزز على بنسكية  
صيت ، وما للمرء من حكم به  
وقدمات من لا يخلف الدهر مثله  
تصريت عن أثمرتك حياة  
لأن اختيال الدهر في ابن وفي ابنة  
تعذر أن نتناض من أمهاتنا

منك بها صرف القضاء المقدر  
حيد ، وأمر الله أعلى وأقم  
عليك من الأسلاف والحق يههر  
ووثك التعزى عن ثمارك أجدر  
يسير وكر الدهر شيخيك أعسر  
وآبائنا ، والنسل لا يتعذر

(١) أفرض : شرب من الشرع . والشرع يسمى القرصة (م) .

(٢) عرمض الماء : خبث وطعبل .



فَلَا تَهْلِكَنَّ حُرْنًا عَلَى ابْنَةِ جَنَّةٍ      مضت وهي عند الله تحيا وتُحْبَرُ  
لَمَلٍّ الَّذِي أَعْطَاكَ سِتْرَ حَيَاتِهَا      كلها من اللحد الذي هو أَسْتَرُ  
فَكَمْ مِنْ أَخِي حَرِيَةٍ قَدْ رَأَيْتُهُ      بنار ذوى الأصهار يكوى ويُصْهَرُ  
فَلَا تَتَمَنَّاهُ فِيهَا وَلَايَةً      وَلَا نَظْرًا فَاللهُ لِلْبَسْدِ أَنْظَرُ  
وَأَنْتِ وَإِنْ أَبْصَرْتَ رَشْدَكَ مَرَّةً      فذو النظر الأعلى برشدك أَبْصَرُ  
وَمِنْ مَلِيحٍ تَعَارِيهِ عَنْ ابْنَةِ قَوْلِهِ لَعَلِّي بِنِجْمِ النُّجْمِ :

وله يعزى على  
بن عبي في ابنته

لَا تَبْعِدَنَّ كَرِيمَةً أَوْدَعَتْهَا      صِهْرًا مِنَ الْأَصْهَارِ لَا يَخْزِيكَ  
إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَدَاقُهَا      مِنْ جَنَّةِ الْقَرْدُوسِ مَا يَرْضِيكَ  
لَا تَيَأْسَنَّ لَهَا قَدْ زَوَّجْتَهَا      كَفَوْا وَضَعْتَ الصَّدَاقَ مَلِيكَ

#### [الرغبة في موت البنات]

وَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ :  
لِكُلِّ أَبِي بِنْتٍ يَرْحَى بَقَاؤَهَا      ثَلَاثَةُ أَصْهَارٍ إِذَا ذُكِرَ الصَّهْرُ  
فِيَتْ يَغْطِيهَا ، وَبَعْلٌ يَصُونُهَا ،      وَقَبْرٌ يُوَارِيهَا ، وَخَيْرُهَا الْقَبْرُ  
وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ (١) عُلْفَةَ وَكَانَ أَعْيُنَ الْعَرَبِ .

لعقيل بن علفة

إِنِّي وَإِنْ سِيقَ إِلَى الْمَهْرِ      أَلْفٌ وَعُيْدَانٌ وَذَوْدٌ عَشْرُ  
أَحَبُّ أَصْهَارِي إِلَى الْقَبْرِ

ومنه أخذ عبيد الله ، قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : دخل علينا لابن خلف  
ابن خلف البهراني فأنشدنا :

لَوْلَا أُمِّيَّةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ      وَلَمْ أَجُبْ فِي الْيَالِي حِنْدِسِ الظَّمِ  
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرَقِي      أَنَّ الْيَقِيمَةَ يَحْفُوها ذَوُو الرِّحَمِ  
أَحْذِرُ الْقَمَرُ يَوْمًا أَنْ يُلَمَّ بِهَا      فَيَهْتِكَ السِّرَّ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِّ

(١) في المطبوعات «عقيل بن علقمة» تحريف ، وعلقمة بوزن سكرة (م) .

تهوى حياتي وأهوى موتها شققا وللوت أكرم نزال على الحرم  
وكانت أمانة بنت أخته ، وكان قد تنبأها ، ثم غابت غيبة ، فسألناه  
عنها ، فأنشد :

أمت أمانة مغموراً بها الرّجَمُ      لدى صعيدٍ عليه الثّوبُ مُرتكَمُ  
يا شقّة النفس ، إنّ النفسَ والهمة      حرّى عليك ، ودّمع العين مُنْسَجَمُ  
قد كنت أخشى عليها أن يؤخرها      عن الحيام فيبذرى وجهها الدّمُ  
فالآن نمت فلا همَّ يُورّقنى      تهذا الميؤن إذا ما أودّت الحرمُ  
فالآن نمت ، فلا همَّ يُورّقنى      بعد الهدوء ؛ ولا وجد ولا حلمُ  
للموت عندى أيا دلت أنكرها      أحيا سروراً وبى مما أتى ألمُ

[ عوّذ إلى تطير ابن الرومي ]

بين ابن الرومي      عاد ذكر ابن الرومي — وكان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش غلام  
وأبي الحسن      أبي العباس المبرد في عصر ابن الرومي شاباً مترقفاً ، ومليحاً مستظرفاً ، وكان يعبث  
الأخفش ،      به ، فيأتيه بسحر ؛ فيقرع الباب ، فيقال له : من ؟ فيقول : قولوا لأبي الحسن  
مرّة بن حنظلة ، فيتطير لقوله ، ويقم الأيام لا يخرج من داره ، وذلك كان سبب  
هيجائه إياه ، فن أول ما عاتبه به :

قولوا لنحوينا أبي حسن      إن حصى متى ضربتُ مَفنى  
وإن نبلى إذا همت بأن      أرمى نصلتها بحجر غصا  
لا تحسبنّ الهجاء يحفل بالرفع      ولا خفص خافض خفصا  
ولا تخلّ عودنى كباديتى      ساطط السم من أبي الحفصا  
أعرف في الأشقياء بى رجلا      لا يتهى أو يصير لى غرضا  
يلج لى صفحة السلامة والسلم      ويخفى فى قلبه مرصا

أضحي مغيظاً على أن غضب الله له عليه ، ونلت منه رضا  
 وليس تجدي عليه موعظي إن قدر الله حيتته وقضى  
 كأنني بالشقي متندرا إن القواني أذقته للمعضا  
 ينشدني العهد يوم ذلك والسعد خضاب إذا له قبضاً<sup>(١)</sup>  
 لا يأمنن السفيه بأدري فإني عارض لئن عرنا  
 عندي له السوط إن تلوم في الـ ير وعندي اللجام إن رگنا<sup>(٢)</sup>  
 أسمت إنباضتي أبا حسن والصفح لاشك نصيح من محصا<sup>(٣)</sup>  
 وهو مصافى من السهاد فلا يحمل فيمسي فراشه قصصاً<sup>(٤)</sup>  
 أقسمت بالله لا غفرت له إن واحد من عروقه نبصا  
 فاعذر إليه ، وتشفع عنده بجماعة من أهل بغداد - وكان الأخفش أكثر  
 الناس إخواناً - قبل عذره ، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها :

ذكر الأخفش القديم قلنا : إن للأخفش الحديث لقصلاً  
 وإذا ما حكمت - والروم قومي - في كلام مُعَرَّب كنتُ عدلاً  
 أنا بين الخصوص فيه غريب لا أرى الزور للمُحابة أهلاً  
 ومتى قلت باطلا لم ألقب فيلسوفا ولم أسم هرقلا

\*\*\*

الأخفش القديم هو أبو الخطاب ، وكان أستاذ سيبويه ، وهو من المتقدمين  
 في النحو ، ويُعرف بالأخفش الكبير ، وكان في عصر سيبويه [أيضاً] أبو الحسن  
 سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الصغير ، وهو الذي قال : كان سيبويه يعرض  
 ما وضع من النحو على ، ويرى أنى أعلم منه ، وكان في وقته ذلك أعلم مني .

(١) في نسخة « وللمهد خضاب أذاله فضا » (م)

(٢) تلوم : تعمل وتعمك ، وركض : أسرع (م) (٣) إنباض : أراد صوت (م)

(٤) القفض : التراب أو صفار الحصى ، والمراد أنه لا يتمكن من النوم (م) .

(١٣ - زمر الآداب ٢)

ثم عاد على بن سليمان إلى أذاه ، واتصل به أن رجلا عرض عليه قصيدة من شعره فلقن عليها ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

أَعْتَقْتُ عَبْدِي فِي الْقَرِيضِ مَعَا      عَبْدَةً وَالْقَحْلُ مِنْ بَنِي عَبْدَةٍ  
إِنْ أَنَا لَمْ أَرُمْ بِالْإِسَاءَةِ مَنْ      زَاغَ عَنِ الْقَصْدِ أَوْ أَبَى سَدَّةَ  
قُلْتُ لِمَنْ قَالِي عَرَضْتُ عَلَى الْ      أَخْفَشَ مَا قُلْتَهُ فَاحِدَةً  
قَصَرْتُ بِالشَّعْرِ حِينَ تَعْرِضُهُ      عَلَى مَبِينِ الْعَمَى إِذَا اتَّقَدَةُ  
أَنْشَدْتُهُ مَنْطِقِي لِشَهِدَةٍ      فَغَابَ عَنْهُ عَمِي وَمَا شَهِدَةُ  
مَا بَلَفَتْ بِي الْخَطُوبُ رَتْبَةً مَنْ      تَفَهَّمُ عَنْهُ الْكَلَابُ وَالْقِرَدَةُ  
وَلَا أَنَا الْمَفْهُمُ الْبَهَائِمُ وَالطَّيْرِ      سُلَيْمَانُ قَاهِرُ الْمَرَدَةِ  
فَإِنْ يَقُلْ إِنِّي حَفِظْتُ فَكَالْسَدِ      فَتَرَجَّهَلًا بِكُلِّ مَا اعْتَقَدَةُ  
سَأَسْمِعُ النَّاسَ ذِكْمَهُ أَبَدًا      مَا سَمِعَ اللَّهُ حَدَّ مَنْ حَمَدَهُ

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْقَحْلِ ، وَكَانَا شَاعِرَيْنِ مُجِيدَيْنِ ، وَقَالَ عَلْقَمَةُ  
ابْنُ عَبْدِ لَرَجُلٍ وَرَأَى آخِرَ يَمْتَدُّ إِلَيْهِ وَهُوَ مَعْصُوفٌ فِي وَجْهِهِ : إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ الْمُنْتَذِرُ  
فَتَلْقَهُ بِوَجْهِهِ مُشْرِقٍ ، وَبِشَرِّ مَطْلَقٍ ؛ لِيَتَبَسَّطَ لِلْمُنْتَذِلِ ، وَيُؤْمِنَ لِلْمُنْتَصِلِ .  
وَلَا بِنِ الرَّومِيِّ فِي الْأَخْفَشِ إِخْفَاشُ صُنْتُ الْكِتَابِ عَنْهُ .

\*\*\*

من آثار تطير      قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ كَاتِبُ مَسْرُوقِ الْبَلْخِي : كُنْتُ بَدَارِي جَالِسًا إِذَا حَجَارَةً  
ابْنِ الرَّومِيِّ      سَقَطَتْ بِالْقَرَبِ مَعْنِي ، فَبَادَرْتُ هَارِبًا ، وَأَمَرْتُ الْغَلَامَ بِالصُّعُودِ إِلَى السَّطْحِ ، وَالنَّظَرِ إِلَى  
كُلِّ نَاحِيَةٍ ؛ مِنْ أَيْنَ تَأْتِينَا الْحَجَارَةُ ، فَقَالَ : امْرَأَةٌ مِنْ دَارِ ابْنِ الرَّومِيِّ الشَّاعِرِ !  
قَدْ تَشَوَّقَتْ وَقَالَتْ : اتَّقُوا اللَّهَ فِينَا ، وَاسْقُوا جَرَّةً مِنْ مَاءٍ ، وَإِلَّا هَلَكْنَا ، فَقَدْ  
مَاتَ مَنْ عِنْدَنَا عَطْشًا .

فَتَقَدَّمْتُ إِلَى امْرَأَةٍ عِنْدَنَا ذَاتَ عَقْلٍ وَمَعْرِفَةٍ أَنْ تَصْعَدَ إِلَيْهَا وَتَخَاطَبَهَا ،  
فَفَعَلْتُ وَبَادَرْتُ بِالْجَرَّةِ ، وَأَتَّبَعَتْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ كَوَلٍّ ؛ ثُمَّ عَادَتْ إِلَيَّ فَقَالَتْ :



غيره ، وأوماً إلى جاره ، قُلت : وهذا الفكر أيضاً من التطير ، فأمسك ، وعجب من جودة الشعر ومعناه ، وحسن مأتاه ، قُلت له : ليقنا كَتَبْنَاهُ ؟ قال : اكتبه قد حفظته ، وأملأه على .

من ابن الرومي      ومن شدة حذره ، وعظيم تطيره ، قوله لأبي المباس بن ثوابة ، وقد نَدَبَه إلى الخروج إليه وركوب دجلة :

إلى ابن ثوابة  
في التطير

حَصَصْتُ عَلَى خَطِيئِ لِقَارِي فَلَا تَدْعُ  
وَمَنْ يَلْقُ مَا لَاقَيْتُ فِي كُلِّ مُجْتَنِي  
أَذَا قَتْنِي الْأَسْفَارُ مَا كَرِهَ الْغَنَى  
وَمِنْ نَكْبَةٍ لَا قَيْتَهَا بَعْدَ نَكْبَةٍ  
فَصَبِّرْ عَلَى الْإِقْتَارِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا  
لَقَيْتُ مِنَ الْبَرِّ التَّبَارِيحَ بَعْدَمَا  
سُئِلْتُ عَلَى رَأْيٍ بِهِ أَلْفَ مَطْرَةٍ  
وَلَمْ أَبْنِهَا ، بَلْ سَأَلَهَا لِمَكِيدَتِي  
أَبَى أَنْ يُفَيْتَ الْأَرْضَ حَتَّى إِذَا زَمَتْ  
سَقَى الْأَرْضَ مِنْ أَجْلِ فَأَضَحَّتْ مَرْلَةً  
فَوَيْلْتُ إِلَى خَانَ مُرْتٍ بِسَاوُهُ  
فَارِزْتُ فِي جَوِّعٍ وَخَوْفٍ وَوُخْشَةٍ  
يُورِقُنِي سَفَفٌ كَأَنِّي تَحْتَهُ  
يَظَلُّ إِذَا مَا الطَّيْنُ أَثْلَلَ مَتْنَهُ  
وَكَمْ خَانَ سَفَرِ خَانَ فَاقْصُصْ فَوْقَهُمْ  
وَمَا زَالَ ضَاحِي الْبَرِّ يُضْرِبُ أَهْلَهُ  
فَإِنْ فَاتَهُ قَطْرٌ وَتَلَجَّ فَإِنَّهُ

لَكَ اتَّخِذْ ، تَحْذِيرِي شُرُورَ الْحَاطِبِ  
مَنْ الشُّوْكَ يَزْهَدُ فِي النَّارِ الْأَطَابِ  
إِلَى ، وَأَغْرَانِي بِرَفْضِ الْمَطَالِبِ  
رَهَيْتُ اعْيَافَ الْأَرْضِ ذَاتَ الْمَنَاقِبِ  
عَلَى مِنَ التَّغْيِيرِ بِسَدِّ التَّجَارِبِ  
لَقَيْتُ مِنَ الْبَحْرِ ابْيَاضَ الذَّوَائِبِ  
شُفِفْتُ لِبُغْضِهَا بِحُبِّ الْمَجَادِبِ  
تَلَاعَبُ دَهْرٌ جَدُِّي كَالْمُلَاعِبِ  
بَرَحَلِي أَنَا هَا بِالْفَيْوْثِ السَّوَاكِبِ  
تَمَائِلٌ صَاحِبِهَا تَمَائِلٌ شَارِبِ  
تَمِيلُ غَرِيْقُ الثَّوْبِ لَهْفَانٍ لَا غَيْبِ  
وَفِي سَهَرٍ يَسْتَفْرِقُ اللَّيْلَ وَاصِبِ  
مَنْ الْوَكْفِ تَحْتَ الْمُدْجَنَاتِ الْهَوَاصِبِ  
تَعِيرُ نَوَاحِيهِ صَرِيرَ الْجَنَادِبِ  
كَأَنَّ قَصْفَ صَقْرٍ لَدَجْنَ فَوْقَ الْأَرَانِبِ  
بَسَوَطِي عَذَابٍ جَائِدٍ بَعْدَ ذَائِبِ  
رَهَيْنٌ بِسَافٍ تَارَةً وَبِحَاصِبِ

فَذَلِكَ بِلَاهِ الْبَرِّ عِنْدِي شَاتِيَا  
 أَلَا رُبَّ نَارٍ بِالْقَضَاءِ اضْطَلَّتْهَا  
 قَدَحُ عَنْكَ ذِكْرُ الْبَرِّ إِنِّي رَأَيْتُهُ  
 وَمَا زَالَ يَنْبَغِي اخْتَوَفَ مُوَارِبَا  
 فَطَوْرًا يُغَادِي بِلَصٍّ مُصَلَّتِ  
 وَأَمَّا بِلَاهِ الْبَحْرِ عِنْدِي فَإِنَّهُ  
 وَلَوْ نَابَ عَقْلِي لَمْ أَدْعُ ذِكْرَ بَعْضِهِ  
 وَلَمْ لَا وَلَوْ أَقْبَيْتُ فِيهِ وَصْرَهُ  
 وَلَمْ أَتَعْلَمْ قَطُّ مِنْ ذِي سِبَاحَةٍ  
 وَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنْفَى  
 وَأَخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ  
 أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ وَقَدْ رَأَى التَّمَسَّحَ بِمِصْرَ أَخَذَ رَجُلَا :  
 أَضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هَجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً  
 فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ عَنْ كَشْيٍ  
 مَذَّ قِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمَسَّحُ فِي النَّيْلِ  
 فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبِرَاقِلِ (٣)

### رجع

أَظْلُ إِذَا هَزَّتْهُ رِيحٌ وَلَا لَأَتْ  
 كَأَنِّي أَرَى فِيهِمْ فُرْسَانَ بَهْمَةً  
 فَإِنْ قُلْتُ لِي قَدْ يُرْكَبُ الْيَمُّ طَائِيَا  
 لَهُ الشَّمْسُ أَمْوَاجًا طَوَالَ الْفَوَارِبِ  
 يُبْلِيحُونَ تَحْوِي السُّيُوفِ الْقَوَاصِبِ (١)  
 وَدَجَلَةٌ عِنْدَ الْيَمِّ بَعْضُ الْمَذَانِبِ (٢)

(١) الفصح - بكسر الفاد - الشمس

(٢) واقب : مستكن (م)

(٣) البراقيل : أواني الشرب

(٤) يبلحون : يشيرون

(٥) المذانب : القنوات

فَلَا عُدْرَ فِيهَا لَا تَرَى بِهَآبَ مِثْلَهَا      وَفِي اللَّجَّةِ الْخَضْرَاءِ عُدْرٌ لِمَا تَبِ  
لِدِجَلَةٍ خَبٍ لَيْسَ لَيْمٌ ؛ إِنَّمَا      تَرَاهِى بِحِلْمٍ تَحْتَهُ جَهْلٌ وَائِبِ  
تَطْلَمُنُ حَقَّ تَطْلَمَيْنِ قُلُوبُنَا      وَتَنْفَسُ مِنْ مَزِجِ الرِّيَّاحِ اللَّوْاعِبِ  
وَلَيْمٌ إِنْذَارٌ بِفَوْصِ مَتُونِهِ      وَمَا فِيهِ مِنْ آدِيَةِ الْمَتْرَاكِيبِ<sup>(١)</sup>  
وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، وَفِيهَا مَرَكْفَايَةٌ تَنْفِي عَنْهُ وَتَبْدِلُ عَلَيْهِ ، وَلَوْ مَدَدْتَ أَطْنَابَ الْاِخْتِيَارِ  
لَتَجَمَّعَ هَذَا النِّحْوُ مِنْ شِعْرِهِ خَلْجَتْ عَنْ غَرَضِ الْكِتَابِ .

[ من مליح الميافة والزجر ]

أبو نواس      ومن مليح الميافة والزجر ما رواه الصولي ، قال : كان لأبي نواس إخوان  
وبعض أصحابه لَا يُفَارِقُهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا يَوْمًا فِي مَوْضِعٍ أَخْفَوَهُ عَنْهُ ، وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِرَسُولٍ مَعَهُ ظَهْرُ  
قِرَاطِسٍ أَيْضٌ ، لَمْ يَكْتَبُوا فِيهِ شَيْئًا ، فَخَزَمُوهُ بِزِيرٍ<sup>(٢)</sup> ، وَخَتَمُوهُ بِقَارٍ ، وَتَقَدَّمُوا إِلَى  
رَسُولِهِمْ لِيَرْبِي بِالْكِتَابِ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ اسْتَمْلَمَ خَبْرَهُمْ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مِنْ  
قَلِيلِهِمْ ، فَتَعَرَّفَ مَوْضِعَهُمْ وَأَتَاكَهُمْ ، فَأَتَاهُمْ فَأَنْشَدَهُمْ :

وَجَدْتُ كِتَابَكُمْ لَمَّا أَتَانِي      يَمُرُّ بِسَاحِ الطَّيْرِ الْجَوَارِي  
نَظَرْتُ إِلَيْهِ مَخْزُومًا بِزِيرٍ      عَلَى ظَهْرٍ ، وَخَتَمًا بِقَارٍ  
قُلْتُ : الزَّيْرُ مُلْهِيبٌ وَلَهُوٌّ      وَخِلْتُ الْقَارَ مِنْ دَنِّ الْعَفَارِ  
وَخِلْتُ الظَّهْرَ أَهْيَفَ قُرْطَقِيًّا      يَحِيلُ الْعَقْلَ مِنْهُ بِاخْوِرَارٍ<sup>(٣)</sup>  
فَهَيْتُ إِلَيْكُمْ طَرَبًا وَشَوْقًا      فَمَا أَخْطَأْتُ دَارَكُمْ بِدَارِ  
فَكَيْفَ تَرَوْنِي وَتَرُونَ وَجْدِي      أَلَسْتُ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الْكِبَارِ ؟  
وَقَالَ الطَّائِي :

لأبي تمام

أَنْضَمَضْتُ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعَتْ      وَرَفَاءُ حِينَ تَضْمَعُ الْإِظْلَامَ<sup>(٤)</sup>

(٢) الزير : الوتر

(١) الآدى : اللوح

(٣) القرطقي : الذي يلبس القرطقي ، وهو ضرب من رقيق اللباس

(٤) في الديوان ( ٢٧٩ ) « أَتَعُدُّ عِبْرَاتَ عَيْنِكَ »



لا تنسجن لها ؛ فإن بكاءها ضحك ، وإن بكاءك استغرام  
 هن الحمام وإن كثرت عيافة من حابهن فلهن رحام

\*\*\*

وروى يموت ابن المزرع قال : كان أحمد بن المديبر إذا مدحه شاعر فلم أحمد بن المديبر  
 يرض شعره قال لفلان : امض به إلى المسجد الجامع فلا تفارقة حتى يصل  
 مائة ركعة ، ثم خله ؛ فتحاماه الشعراء ، إلا الأفراد الجيدين ؛ فجاءه أبو عبد الله  
 الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجل ، فاستأذنه في النشيد ، فقال : قد  
 عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، وأنشده :

أردنا في أبي حسن مديحا كما بالمدح ينتجع الولاء  
 قتلنا : أكرم الثقلين طرا ومن كفاه دجلة والفرات  
 فقالوا : يقبل المدحات لكن جوائزهم عليهم الصلاة  
 قلت لهم : وما تنفي صلاتي عيالي إنما الشأن الزكاة  
 [ فأما إذ أبي إلا صلاتي وعاقني الموم الشاغل ]  
 فيأمر لي بكسر الصاد منها فتصبح لي الصلاة هي الصلات

فضحك واستظرفه ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال : من قول  
 أبي تمام الطائي :

هن الحمام فإن كثرت عيافة من حابهن فلهن رحام  
 فأحسن صلته .

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي لقوم من أهل مرو انخلوا عن طاعته :  
 ياراكبا أضحي يحب بنبيه ليوم مرو على الطريق للمنجع  
 أبلغ بها قوما أثاروا فتنة ظلت لها الأكباد رهن تقطع  
 إذ أقدموا ظلما على سلطانهم بالندري وانخلع النميم للقطيع  
 وبحل عقد لوائه وإباحه لجنايه وحريمه التمتع

لأبي الفضل  
 الميكالي في أهل  
 مرو

ابنهمُ أتى اتخذت لعلمهم  
أما الآواءُ وحله فمخيرٌ  
والخلعُ يخبر أن ستخلعُ عنهم الـ  
والندريني أن تفادري الوغى  
والفرقان فشاهدُ معناها  
فستموا لمقاتلي وتأهبوا  
فإنه ليس بشافلٍ عن أمرِك  
فألاً ، له في القوم أسوأ موقع  
عن حلّ عقدٍ بينهم مُستجيع  
أرواحُ بالقتلِ الأشدُّ الأشنع  
أشلاؤهم لنسوره والأضيع  
بضرئٍ لجميعهم وتصدّع  
بنميمٍ بئيكُم لثبرُ المَصْرِع  
حتى تحلَّ بكم عقوبةٌ موجع

قال أبو عثمان الجاحظ : سمعت النظام ، وذكر عبد الوهاب الثقفي ، قال :  
هو أحلى من أمني بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، ومن خصب بعد جذب ، وغنى  
بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصال الدائم ،  
والشباب الناعم .

الثقفي يصف  
رجلاً يرتاح  
إليه

[ ابن أبي دؤاد يعفو عن الجاحظ ]

وكان الجاحظ مائلاً عن ابن أبي دؤاد إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما  
نكس محمد بن عبد الملك أذخل الجاحظ على ابن أبي دؤاد مقيداً ، فقال له أحمد :  
والله ما أعلمك إلا متناً سياً للنعمة ، كفوراً للصنيعة ، معدداً للساوى ، وما فتى  
باصصلاحى لك ، ولكن الأيام لا تصلح منك ؛ لفساد طويتك ، ورداة  
دخيلتك ، وسوء اختيارك ، وتغالب طبايعك .

ابن أبي دؤاد  
والجاحظ

فقال الجاحظ : خفى عليك ، أصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمرُ  
على خيرٍ من أن يكون لى عليك ، ولأن أسيء وتحسن أحسنُ فى الأخذِ وثمة  
من أن أحسنَ قسسى ، ولأن تفوقنى على حالِ قدرتك على أن تجعلُ بك من  
الاتقَامِ منى ، فعفا عنه <sup>(١)</sup> .

[ عتبة بن أبي سفيان وأعرابي ]

قال سعد مولى عتبة بن أبي سفيان : خطب عتبة الناس في الموسم سنة إحدى وأربعين ، والناس إذ ذاك حديثو عهد بالفتنة ؛ فقال : قد ولينا هذا المقام الذي يُصاعف فيه للمحسن الأجر ، وللمسيء الوزر ؛ ونحن على سبيل قصد ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ؛ فإنها تقطع دوننا ؛ فرب ستمن أمراً حقه في أميته ؛ فاقبلوا منا العافية ما قبلناها منكم <sup>(١)</sup> ؛ وأنا أسأل الله أن يُعين كلا على كل .

فناداه أعرابي من ناحية المسجد : أيها الخليفة ، فقال : لست به ولم تُبعد ، قال : يا أخاه ، قال : سمعتُ قتل ، فقال : والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسبوا وقد أحسننا ، فإن كان الإحسان منكم فما أولاً لكم بإتمامه ، وإن كان مفاً فما أولاً لكم بمكافأتنا عليه ، وأنا رجل من بني عامر بن صعصعة يمت بالعمومة ويختص بالخزولة ، كبر عياله ، ووطئه زمانه ، [ وبه قمر ] وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقاله عتبة : استغفر الله منك ، وأستعين به عليك ، وقد أمرت لك بفنائك ، فليت إسماعى إليك يقوم بإبطائي عنك !

[ بين الجاحظ وابن الزيات ]

قال الجاحظ : تشاغل مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشراب النبيذ أياماً ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبر باتصال شغلي مع الحسن بن وهب ، فتكررت لي ، وتلون علي ؛ فكتبت إليه رقعة نسختها : أعاذك الله من سوء النصب ، وعصمتك من سرف الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة إلى حب الإنصاف ، ورجع في قلبك إثار الاناة ، فقد خفت — أيدك الله —

(١) زاد في الأمل (١/٢٣٦) «وأياكم ولوا ؛ فإنها أتعت من كان قبلكم ، ولن ترجع من بعدكم» .

أَنْ أَكُونَ عِنْدَكَ مِنَ الْمُنْسَوِينَ إِلَى تَرْقِي السَّهَاءِ ، وَجُنَابَةِ سُبُلِ الْحِكْمَاءِ ،  
وبعدُ ، فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وإن امرأ أُمسى وأصبح سألًا    من الناس إلا ما جئى لَسَعِيدُ  
وقال الآخر:

ومن دعا الناس إلى ذَمِّهِ    ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وبِالْبَاطِلِ

فإن كنتُ اجترأتُ عليك — أصلحك الله! — فلم اجترأ! إلا لأنَّ دوامَ  
تغافلِكَ عني شبيهٌ بالإهمال ، الذي يُورِثُ الإغفال ، والعمو المتتابع يؤمنُ منَ  
المكافأة ، ولذلك قال عُيَيْنَةُ بنِ حِصْنِ بنِ حذيفة لمُثَنَّى رَحِمَهُ اللهُ : عمرُكَانَ خَيْرًا لِي  
منكَ ، أَرَهَبَنِي فَأَتَقَانِي ، وَأَعْطَانِي فَأَغْنَانِي ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَهَبُ عِقَابِي — أَيْدِكَ اللهُ ! —  
نِلْدَمَةٌ فَهِيَ لِأَيْدِيكَ عِنْدِي ؛ فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَسْفَعُ فِي النِّقْمَةِ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ ذَلِكَ  
لِلذَّكَ فَعُدْ إِلَى حُسْنِ الْعَادَةِ ، وَإِلَّا فَافْعَلْ ذَلِكَ لِحُسْنِ الْأَحْدُوثَةِ ؛ وَإِلَّا فَتِ  
مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْعَفْوِ دُونَ مَا أَنَا أَهْلُهُ مِنْ اسْتِحْقَاقِ الْعُقُوبَةِ ، فَسَبْحَانَ مَنْ  
جَعَلَكَ تَعَفُّوً عَنِ الْمُتَعَمِّدِ ، وَتَتَجَانَّى عَنِ عِقَابِ الْمُصِيرِ ، حَتَّى إِذَا صُرْتَ إِلَى مَنْ  
هَفْوَتُهُ ذِكْرٌ ، وَذَنْبُهُ نِسْيَانٌ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ إِلَّا لَكَ ، وَالْإِنْعَامَ إِلَّا مِنْكَ  
هَجَمْتَ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ . وَاعْلَمْ — أَيْدِكَ اللهُ ! — أَنَّ شَيْنَ غَضَبِكَ عَلَى كَرِيْمٍ  
صَفَحِكَ عَنِّي ، وَأَنَّ مَوْتَ ذِكْرِي مَعَ انْقِطَاعِ سَبَبِي مِنْكَ كَحَيَاةِ ذِكْرِكَ مَعَ انْقِصَالِ  
سَبَبِي بِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ فَعْلَةً عَظِيمًا ، وَغَفْلَةً كَرِيمًا ، وَالسَّلَامَ .

[ من كلام علي - رضى الله عنه ! - في أعجب ما في الإنسان ]

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : أعجَبُ ما في الإنسان قَلْبُهُ ، وله  
موادٌ من الحكمة ، وأضدادٌ من خِلَافِهَا ؛ فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرِّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ ، وَإِنْ  
هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ ، وَإِنْ مَلَكَه الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ  
النُّصَبُ اشْتَدَّ بِهِ النِّقِيطُ ، وَإِنْ أَشْعَدَ بِالرِّضَا نَسِيَ التَّحْفِظَ ، وَإِنْ أَنَاهُ الْخَوْفُ

شغلَه الحذر ، وإن اتسع له الأمن استلبته الفرقة ، وإن أصابته مصيبة فضحه  
الجزع ، وإن استفاد مالا أطفأه الغنى ، وإن عضته قاتمة بلغ به البلاء ، وإن  
جهد به الجوع قصد به الضئف ، وإن أفرط في الشبع كظنته البطنة ، فكل  
تصغير مُضِرٌّ ، وكل إفراط له قاتل .

\* \* \*

البيت الذى أنشده الجاحظ لعبد الرحمن بن حسان فى أبيات يقول فيها :  
متى ما يرى الناس الغنى وجارهُ قَصِيرٌ يقولوا : عاجزٌ وجَلِيدٌ  
وليس الغنى والفقر من حيلة الغنى وَلَكِنْ أَحَاظُ قُسْتٌ وَجُدُودٌ  
وإن امرأ يُمنى ويُضحى سالما من الناس إلا ما جئى لَسَمِيدٍ  
والبيت الذى أنشده بعدة لعمد بن حازم الباهلى فى أبيات يقول فيها :  
إن كنت لا ترهبُ ذمى لما تَسَلِمُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ  
فاخشَ سَكُوتِي إِذَا نَأَى مِنْصَتَا فَيْكَ لِمَسْمُوعٍ خَفَى الْقَاتِلِ<sup>(١)</sup>  
فما مع الشرِّ شريكٌ لَهُ وَمُعْلِمُ الْمَأْكُولِ كَالْأَكْلِ  
مقالة السوء إلى أهلها أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرِ سَائِلِ  
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ  
فلا تهبِجْ ، إن كُنتَ ذا لِرَبَّةٍ ، حَرَبَ أَخِي التَّجَرُّبَةَ الْقَاتِلِ  
فإنَّ ذا العقلِ إذا هَجَّتْ هِجَّةً ، به ذا خَبَلٍ خَائِلِ  
تُبْصِرُ فى عاجِلِ شِدَائِهِ عَلَيْكَ غَيْبُ الْفَرَرِ الْأَجَلِ  
وفى ابن الزيات يقول الجاحظ :

للجاحظ فى  
ابن الزيات

بَدَا حِينَ أَتَرَى لِإِخْوَانِهِ فَقَلَّ مِنْهُمْ شَبَابَةُ الْعَدَمِ  
وأبصر كيف انتقل الزمان فبادرَ بِالْعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمِ  
[ الجاحظ ورجل من البرامكة فى مرضه ]

قال بعضُ البرامكة : كنتُ أَتَقَلَّدُ السَّنَدَ ، فَاتَّصَلْتُ بِأَيِّ صُرِفْتُ عَنْهَا ،

(١) حفظى « فاخشَ سَكُوتِي إِذَا نَأَى مِنْصَتَا » (م)

وكنْتُ كسبت ثلاثين ألف دينار ، قَحِفْتُ أَنْ يَفْجَأَنِي الصَّارِفُ ، وَيُسْتَى إِلَيهِ  
بِالْمَالِ ، فَصَفَّتُهُ عَشْرَةُ آلَافٍ إِهْلِيلِجَةً<sup>(١)</sup> فِي كُلِّ إِهْلِيلِجَةٍ ثَلَاثَةُ مِثْقَالٍ ، وَحِطَّتْهَا فِي  
رَحْطِي ، وَلَمْ أَبْعُدْ أَنْ جَاءَ الصَّارِفُ ؛ فَرَكِبْتُ الْبَحْرَ ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ ؛  
فَخَبَّرْتُ أَنْ بِهَا الْجَاهِظُ ، وَأَنَّهُ عَلِيلٌ ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، فَصِرْتُ  
إِلَيْهِ ، فَأَقْضَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِ لَطِيفٍ ، فَقَرَعْتُهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيَّ خَادِمٌ صَفْرَاءُ ،  
قَالَتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : رَجُلٌ غَرِيبٌ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الشَّيْخِ فَيُسَرَّ بِالنَّظَرِ  
إِلَيْهِ ، فَأَدَّتْ مَاقِلَتُهُ ، وَكَانَتْ الْمَسَافَةُ قَرِيبَةً لَصَفْرِ الدَّهْلِيزِ وَالْحَجَرَةِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ :  
قَوْلِي لَهُ : وَمَا تَصْنَعُ بِشَقِّ مَائِلٍ ، وَلَعَابِ سَائِلٍ ، وَلَوْنِ حَائِلٍ ؟ فَأَخْبَرْتَنِي ، قُلْتُ :  
لَا بَدَّ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ قَدْ اجْتَازَ بِالْبَصْرَةِ ، فَسَمِعَ بِي وَبِعِلَّتِي ،  
قَالَ : أَرَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ ؛ لِأَقُولُ : قَدْ رَأَيْتَ الْجَاهِظَ .

فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ فَرْدًا رَجُلًا وَاسْتَدْنَانِي ، وَقَالَ : مَنْ تَكُونُ ؟ أَعَزَّكَ اللَّهُ !  
فَانْتَسَبْتُ لَهُ ، قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ وَقَوْمَكَ الْأَسْخِيَاءَ الْأَجْوَادَ ، الْكِرَامَ الْأَمْجَادَ ،  
لَهُدَاكَ كَانَتْ أَيْامُهُمْ رَوْضَ الْأَزْمَنَةِ ، وَلَقَدْ انْجَبَرُوا بِهِمْ خَلْقٌ ، فَسَقِيَا لَهُمْ وَرَعِيًا ؛ فَدَعَوْتُ  
لَهُ ، وَقُلْتُ : أَنَا أَسْأَلُ الشَّيْخَ أَنْ يُنْشِدَنِي شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ أَذْكُرُهُ ، فَأَنْشَدَنِي :  
لَنْ قُدِّمْتَ قَبْلَ رِجَالِ فَطَالِمَا مَشَيْتُ عَلَى رِسْلِي فَكُنْتُ الْمَقْدَمَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَكِنْ هَذَا الدَّهْرُ تَأْتَى ضَرْوُهُ فُتُبْرُمُ مَنْقُوضًا ، وَتَنْقُضُ مُبْرَمًا

ثُمَّ نَهَضْتُ ، فَلَمَّا قَارَبْتُ الدَّهْلِيزَ صَاحَ بِي فَقَالَ : يَا فَتَى ؛ أَرَأَيْتَ  
مَنْ لَوْجًا يَنْفَعُ الْإِهْلِيلِجَ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَأَنَا بِنَفْعِي الْإِهْلِيلِجَ الَّذِي مَعَكَ ،  
فَأَنْفَذَ إِلَيَّ مِنْهُ ، قُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَخَرَجَتْ مُفْرِطُ التَّعَجُّبِ مِنْ وَقُوعِهِ  
عَلَى خَبَرِي ، حَتَّى كَانَ بَعْضُ أَحْبَابِي كَاتِبَهُ بِخَبَرِي حِينَ صَفَّتُهُ ، فَأَنْفَذَتْ  
إِلَيْهِ مِائَةَ إِهْلِيلِجَةٍ .

---

(١) الإِهْلِيلِجُ : ثَمَرٌ قَرِيبُ الشَّكْلِ مِنَ الْبَلَحِ ، وَالْوَاحِدَةُ بَهَاءٌ ، يَرِيدُ أَنَّهُ صَاحِبُ  
الذَّهَبِ عَلَى شَكْلِ الْإِهْلِيلِجِ ( م )

## المقامة الجاحظية

مقامة من إنشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ ]

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : جمعتي مع رُقعة وليمة ، وأجبت إليها للحديث المأثور فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دُعيتُ إلى كراع لأجبتُ ، ولو أُهْدِيَ إلى ذراعٍ لقبلتُ » ، فأقضي بنا السيرُ إلى دارٍ قد فرُش بساطُها ، وبُسِطت أمانطُها ، ومدَّ سَمَاطُها ، وقومٌ قد أخذوا الوقت بين آسٍ مخضود ، وورْدٍ منضود ، ودَنٍّ مَفْصود ، ونأى وعود ؛ فصرنا إليهم وصاروا إلينا ، ثم عكفنا على خِوانٍ قد مُلِئت حياضُه ، ونورَتْ رِياضُه ، واصطفت جفانُه ، واختلفت ألوانُه ؛ فمن حالكٍ يلازمه ناصع ، ومن قانٍ في تلقائه فاقعٌ ، ومعنا على الطعام رجلٌ تُسافرُ يَدُه على الخِوان ، وتَسِيرُ بين الألوان ، وتأخذُ وجوة الرُغْسان ، وتَفَقِّحُ عيونَ الجفان ، وترعى أرضَ الجِيران <sup>(١)</sup> ؛ يَرْحَمُ اللقمة باللقمة ، ويهزِمُ المُضَنَّةَ بالمضنة ، وهو مع ذلك ساكتٌ لا يَنْبِس ، ونحن في الحديث نجرى معه حتى وقف بنا على ذِكْرِ الجاحظ وخطابته ، ووصف ابن المقفع وذرايته ، ووافق أول الحديث آخرَ الخِوان ، وزُلنا عن ذَلِكَ المكان ، فقال الرجلُ : أين أنتم من الحديث النسي فيه كنتم ، فأخذنا في وصف الجاحظ ولِسَنِهِ ، وحُسنِ سَنَنِهِ في القصاحة وسُنَنِهِ فيما عرفناه ؛ فقال : يا قومُ ؛ لكلُّ عملٍ رجال ، ولكلِّ مقامٍ مَقَالٌ ، ولكلِّ دارٍ سُكَّانٌ ، ولكلِّ زمانٍ جاحظ ، ولو انتقدتم ، لبطلَ ما اعتقدتم ، فكلُّ كَشَرٍ له عن نابِ الإنكار ، وشَمٌّ بأثْفِ الإكبار ، وَضَحِكْتُ إليه ، لأجلِبَ ما لديهِ ، وقلت : أقدنا وزدنا ، فقال : إنَّ الجاحظَ في أحَدِ شقَيِ البلاغة يَغْلِفُ ؛ وفي الآخر يَبْقِفُ ، والبلغُ من لم يُقَصِّرَ نظْمُه عن نَغْرِهِ ، ولم يُزِرْ كلامُه بشعرِه ، فهل تَرَوُونِ

(١) في المقامات « تجول في القصعة ، كالريح في الرقعة » - والريح : قطعة في لعبة الشطرنج تسير عينا وشمالا وخلفا وأماما من أول الرقعة إلى آخرها (م)

للجاحظ شعرا رائعا؟ قلنا: لا، قال: فهلوا إلى كلامه؛ فهو بعيد الإشارات، قريب العبارات، قليل الاستعارات، متقاد لمریان الكلام يستقيم، نفور من مقتاصيه يهمله، فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة، أو لفظة غير مصنوعة؟ قلت: لا، قال: هل تحب أن تسمع من الكلام ما يخفف عن منكبيك، ويقيم على ما في يدك؟ قلت: إني والله، قال: فأطلق لي عن خنصرِكَ ما يعين على شكرِكَ، فأنته ردائي، قال:

لعمري الذي ألقى إلى ثيابه      لقد كبت تلك الثياب به سجدا  
وقد قمرته راحة الجسود بزة      فما ضربت قدحا ولا نصبت نردا  
أعد نظرا يا من كساني ثيابه      ولا تدع الأيام تهديني هدا  
وقل للأي إن أسفروا أسفروا ضحى      وإن طلعا في غمة طلعا وردا  
صلوا رحم القلياء وبلوا لهاها      فخير الندى ماسح والله قدرا  
قال عيسى بن هشام: فارتاحت الجماعة إليه، واثالت الصلوات عليه، وقلت لما تأسأنا: من أين مطلع هذا البدر؟ قال:

إسكندرية داري      لو قر: فيها قراري  
لكين ليلى بنجد      وبالحجاز نهاري

[ من كلام للوك ]

تظلمت رعية أردشير بن بابك إليه في سنة مجذبة لعجزهم عن الخراج، وسألته أن يخففه عنهم؛ فكتب لهم ما نسخته: من أردشير المزيد بالبهاء، ابن للوك الظلماء، إلى الفقهاء الذين هم حفلة البيضة، والكتّاب الذين هم ساسة المملكة، وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد، أما بعد، فإننا نحمد الله تعالى محمد الصالحين، وقد وضعنا عن رعيّتنا بفضل رأفتنا إتواننا الموقفة عليهم سنتنا هذه، ونحن كاتبون مع ذلك تملّهم بوصية تنفع الكل: لا تستشعروا الحقد

من كلام  
أردشير  
ابن بابك



لثَلَاثِينَ عَلَيْكَ الْمَوْتُ ، وَلَا تَحْبُوا الْاِحْتِكَارَ لِثَلَاثِينَ بِشِمْلِكُمُ الْقَحْطُ ، وَكُونُوا  
لِلْعَرَبَاءِ مُؤْمِنِينَ ، لَتَوَدُّوا غَدَا فِي الْمَادِّ ، وَتَوَدُّوا فِي الْقَرَابَةِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ لِلرَّحِمِ ،  
وَأَثْبَتُ لِلنَّسَبِ ، وَلَا تَمْدُوا هَذِهِ الدُّنْيَا شَيْئًا فَإِنَّهَا لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا تَرْفُضُوهَا  
مَعَ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الْآخِرَةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِهَا .

من كلام  
بزرجمهر

وَقِيلَ لِبِزْرِجْمَهْرٍ : أَيُّ الْاِكْتِسَابِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ كَنْزَانِ  
لَا يَنْفَدَانِ ، وَسِرَّاجَانِ لَا يُطْفَأَانِ ، وَحُلَّتَانِ لَا تَبْلِيَانِ ؛ مَنْ نَالَهُمَا نَالَ أَسْبَابَ  
الرِّشَادِ وَعَرَفَ طَرِيقَ الْمَادِّ ، وَعَاشَ رَفِيعًا بَيْنَ الْمَبَادِ .

من كلام  
أنوشروان

وَقَالَ أَنْوَشْرَوَانُ لِبِزْرِجْمَهْرٍ لِمَا ظَفَرَ بِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَنِي بِكَ ، قَالَ لَهُ :  
فَكَافَتْهُ بِمَا يَحِبُّ كَمَا أَعْطَاكَ مَا تَحِبُّ . قَالَ : وَمِمَّ أَكْفَيْتُهُ يَا فَاسِقُ ؟ قَالَ :  
بِالْعَفْوِ عَنْ أَظْفَرِكَ بِهِ الْيَوْمَ كَمَا تَحِبُّ أَنْ يَفُوتَ عَنْكَ غَدَا ..  
وَنَظِيرُ هَذَا الْكَلَامِ قَدْ تَقَدَّمَ لَعَلِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقِيلَ لِسُكْسَرِي : أَيُّ الْمُلُوكِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الَّذِي إِذَا جَاوَزْتَهُ وَجَدْتَهُ عَلِيًّا ،  
وَإِذَا خَبِرْتَهُ وَجَدْتَهُ حَكِيمًا ، وَإِذَا أَغْضَبَكَ كَانَ حَلِيمًا ، وَإِذَا ظَفَرَكَ كَانَ كَرِيمًا ،  
وَإِذَا اسْتَمْنَعَ مِنْكَ جَسِيًّا ، وَإِذَا وَعَدَكَ وَفَى ، وَإِنْ كَانَ الْوَعْدُ عَظِيمًا ، وَإِذَا شَكِيَ  
إِلَيْهِ وَجَدَ زَحِيمًا .

[ من رسائل الميكالي ]

كتاب منه  
للتعالي

كَتَبَ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ إِلَى أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ  
إِسْمَاعِيلِ التَّمَالِيِّ : كِتَابِي وَأَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ شَوْقًا لَوْ عَلِمَ الْأَعْرَابِيُّ لِمَا صَبَا إِلَى  
رَمْلِ عَالِجٍ ، أَوْ كَابَدَهُ الْخَلِيءُ لَا تَنْقَى عَلَى كَيْدِ ذَاتِ حَرِّقٍ وَلَوْ أَعِجَ ؛ وَأَذَمُّ زَمَانًا  
يَفْرُقُ فَلَا يَحْسُنُ جَعًا ، وَيَخْرُقُ فَلَا يَنْوِي رَحْمًا ، وَيُوجِيعُ الْقَلْبَ بِتَفْرِيقِ شَمْلٍ  
خَوْى الْوِدَادِ ، ثُمَّ يَخْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَشْنِي الصُّدُورُ وَالْأَكْبَادُ ؛ قَائِمِي الْقَلْبِ فَلَا

يلينُ لاستعطاف ، جائر الحكم فلا يميلُ إلى إنصاف ، وكم أستعدي على صرْفه  
وأستنجيد ، وأتلقى غيظا عليه وأنشد :

مقَى وَعَسَى يَنْقُضِ الزَّمَانُ عِثَانَهُ      بَعَثَرَةَ حَالٍ وَالزَّمَانُ عَثُورُ  
فَتَذُرُّكَ آمَالُ وَتُقْضَى مَآرِبُ      وتحدث من بعد الأمور أمور

وكلاً ، فما على الدهر عتب ، ولا له على أهله ذنب ؛ وإنما هي أقدار تجري  
كما شاء مجريها ، وتنفذ كإسهام إلى مراميها ؛ فهي تدورُ بالمكروه والمحبوب ،  
على الحكم للقدور والمكتوب ، لا على شهوات النفوس وإرادات القلوب ؛  
وإذا أراد الله تعالى أذن في تهرب البعيد النازح ، وتسهيل الصعب الجامح ،  
فيعود الأنسُ بقاءك الإخوان كأنهم ما لم يزل معهوداً ، ويجدد للذاكرة والمؤانسة  
رسوماً وعهوداً ؛ إنه لللبي به ، والقادرُ عليه .

كتاب منه  
إلى أبيه

وله إلى أبيه : ولو ملكتُ عِنانَ اختياري ، وأسعفتُ ببعض ما أقترحه  
القدرُ الجاري ، لما غبتُ عن حضرة أنسها الله ! - ساعةً من دهرى ، كما الأعداء  
ساعاتٍ بُمدى عنها وإخلائي لبأبها من أيام عمرى ؛ ولكنى أبدأً مائلاً بها  
في زمرة الخدم والعبيد ، جامعاً بها بين حاشيتي العز اللديد ، والشرف العتيد ؛  
لا سيما في هذا الوقت وقد أشرقت البلاد بنور طلعتة التي هي في ظلمة الدهر صباح ،  
وعز مطالعتة التي فيها لصدور ذوى الشئ شجاً ولزند الآمال اقتداح ، ومماودة  
ظلمة التي أضحت الشمس من حساده ، والزمان من عدد ساكنيه وعتاده ،  
إلا أن الحريص - كما علمه مولانا - نُحلى عن أعذب موارد ، ومنوع العوائق  
عن أكرم مطالعه ومقاصده .

وله يستفتح مكانة بعض إخوانه :

كتاب منه  
يستفتح به  
مكاتبه أخ

أنا وإن لم تقدم بيني وبينه المكاتب ، وعادة المساجلة والمفاوضة ، من فرط  
حرصى على افتتاحها وتعاطيلها ، واعتراض العوائق دون المراد والغرض فيها ، فإن

قلبي بؤده متثور، وضميري على مصافاته مقصور، فاعتداده لقضائه التي أصبح فيها أو حدى الننان، وزاحم فيها منكب القنان<sup>(١)</sup>، واستأثر فيها بالقرر والاضاح، ما أوفى بها على غرة الصباح، حتى تشاهدت بها ضائر القلوب، وتهاوت أبناءها ألسنة البعيد والقريب، اعتداد من يجمع بالاعتداد لها بين شهادة قلبه ولسانه، ومن ينظم في إجلال قدرها صفة إسراره وإعلانه، فهو يتنسم الربح إذا هبت من ناحيته شوقاً وزاعاً، ويستنمل الوارد والصادر خبر سلامته انصياحاً بالود إليه وانقطاعاً.

شذور من كلامه في أثناء رسائل شتى : أياديه التي غمرتني سجالها، واتسع عندي مجالها، وأعيأ شكرى عفوها وانينها، تناولت فيها للمنى دانية القطوف، واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف، ليس يكاد يبرد غليل شوقي وحنيني، أو ترجع نافرة انسى وسكوني، أو تخلو من الاهتمام والفكرة فيه خواطري وظنوني، إلا بالتقاء يدنو أمده، ويقرب موعده، وتعلو على الفراق يده، فنعاود العيش طلقاً غزيراً، ونجتى نمر للمنى غصاً نصيراً، ونجتلى وجه الزمان مشرقاً منيراً. فوائده لها عندي أثر النعام أو أنفع، ومحل السمك أو أرفع. حالى في مفارقة حضرته حال بنات الماء قد نصب عنها القدير، وبنات الأرض<sup>(٢)</sup> أخطأها النوء الطير. لحق على دهر الحداثة إذ غضن شبابى غض وريق، ونقل شرايى غض وريق. كلام أحلى من ريق النحل، وأضنى من ريق الوبل. من تسود قبل وقته وآلته، فقد تعرض لبقته وإذالته. نظمه له :

إِنْ مَنْ يَلْتَمِسُ الصَّدْرَ      رَ بِلَا وَقْتٍ وَآلَةٍ

لِحَقِيقِ أَنْ يُبَلِّغَ      كُلَّ مَقْتٍ وَإِذَالَةٍ

الشكل للكتاب، كالخلى للكماب. لو كان الشباب فضة لكان الشيب له خبثاً. النعمة عروس مهرها الشكر، وثوب صوته النشر. الخضب تذكرة الشباب. لا تقاس للمهاوى بالمزاقى، ولا الأقدام بالتراقى، ولا البحور بالسواقي.

(١) الننان بكسر النين : أصله ما تقاد به الهابة، وفتح العين : السحاب (م).

(٢) في المطبوعات كلها « وبنات الأرض » (م).

كَمْ أبلاني من عُرفٍ جَزِيلٍ لَا يُبْلِي الدهرُ جَدَّةَ رِدَائِهِ ، وقضاني من دَيْنٍ  
تَأْمِيلٍ لَا يَقْضِي الشُّكْرُ حقَّ نِعَمَائِهِ . الشُّكْرُ لِلنِّعْمَةِ نِتَاجُ ، والكُفْرَانُ لَهَا رِتَاجُ ،  
وكَلَّا زِدْتَ النِّعْمَةَ شُكْرًا ، زَادَتْ طَيِّبًا وَنَشْرًا .

قطعة من شعره في تجنيس القوافي

قال في أبيه :

مبدعاً في شمائل المجدِ خِيَمًا • ما اهْتَدَيْنَا لأَخْذِهِ وَاقْتِبَاسِهِ (١)  
فهو فظٌّ بِالمَالِ وقتَ نَدَاءِ • وَجَوَادٌ بِالعُفَى وقتَ بَاسِهِ  
وقال فيه :

إذا مَا جَادَ بِالأَمْوَالِ ثَنَى • وَلَمْ تُدْرِكْهُ فِي الجُودِ النَّدَامَةُ  
وإنْ هَجَسَتْ خَوَاطِرُهُ بِجَمْعِ • لَرَيْبِ حَوَادِثٍ قَالَ النَّدَى مَهْ (٢)  
وقال فيه :

ولما تَنَازَعَ صَرَفُ الزَّمَانِ • فَوَزَعْنَا إِلَى سَيِّدِ نَابِهِ  
إذا كَثُرَ الدهرُ عَن نَابِهِ • كَشَفْنَا الحَوَادِثَ عَنَّا بِهِ  
وقال فيه :

إنْ نَابَنَا خَطْبُ فَارَاوُهُ • تَفَنَّى عَنِ الجَلِيشِ وَتَسْرِيهِ  
وإنْ دَجَا لَيْلٌ بَدَا نَوْرُهُ • لَلرَّكْبِ نَجْمًا فَهُوَ يَسْرِي بِهِ  
وقال بفتخر :

وكم حَاسِدٍ لِي أَنْبَرَى فَأَنْفَنَى • لِمَصَّةِ نَفْسٍ شَجَّاهَا شَجَّاهَا  
ومن أَيْنَ يَسْمُو لِنَيْلِ السَّلَا • وَمَا بَثَّ مَالًا وَلَا رَأْسَ جَاهَا  
ومنها قوله :

وسائلةٌ تُسَائِلُ عَن فَمَالِي • وَعَمَّا حَازَ فِي الدُّنْيَا جَمَالِي

(١) الحميم - بكسر الحاء - السجية والطبع (م).

(٢) الندى : الجود والكبر ، ومه : اسم فعل مضارع اكفف (م).

قلت : إلى المالِ حَنِّ قَلْبِي  
وفى سُبُلِ المكارمِ لِحْجَ مَالِي  
وللعلياءِ نَهْنَجٌ مُسْتَقِيمٌ  
فَالْيَ تَارِكَا ذَا التَّهْنَجِ مَالِي  
إِذَا أَسْرَجْتُ فِي قَهْرٍ سَمَائِي  
فَمَالِي وَالتَّجَارُ فَالْجَمَالِي  
وقال في نوع من هذا الجنس :

وَمَنْ يَسْرِ فَوْقَ الْأَرْضِ يَطْلُبُ غَايَةً  
مِنَ الْمَجْدِ يَسْرِ فَوْقَ جُمْجُمَةِ النَّشْرِ  
وَمَنْ يَخْتَلِفُ فِي الْعَالَمِينَ يَجَارُهُ  
فَأَيُّهَا مِنَ الْعُلِيَاءِ يَجْزِي عَلَى نَجْرِ<sup>(١)</sup>  
وَمَنْ يَتَجَرَّ فِي الْمَالِ يَكْسِبُ رِبْحَهُ  
فَبِالْمَالِ نَشْرِي رَابِحَ الْحَمْدِ وَالْفُشْرِ

\*\*\*

وعلى نحو هذا الخذو يقول أبو الفتح البستي :

أَبَا الْعَبَّاسِ لَا تَحْسَبْ بَأَنِّي  
لَشَيْءٍ مِنْ حُلَى الْأَشْعَارِ عَارٍ  
وَلِي طَبْعٌ كَسَلَسَالِ الْمَجَارِي  
زُلَّالٌ مِنْ دُرِّ الْأَحْجَارِ جَارِي  
إِذَا مَا أَكْبَتِ الْأَدْوَارَ زَنْدًا  
فَلِي زَنْدٌ عَلَى الْأَدْوَارِ وَارِي  
وقال أبو الفتح البستي أيضًا :

بَسِيفِ الدَّوْلَةِ انْسَقَتْ أُمُورٌ  
رَأَيْنَاهَا مُبَدَّاةَ النَّظَائِمِ  
سَمَاءٌ وَحَى بَنِي سَائِمٍ وَحَامٍ  
فَلَيْسَ كَثْلُهُ سَائِمٍ وَحَامٍ

[أدب الحاجب]

قال بعضُ الملوكِ لحاجبه : إِنَّكَ عَيْقِي الَّتِي أَنْظَرُ بِهَا ، وَجُنَّتِي الَّتِي أَسْتَنِيمُ  
إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ وَلَّيْتُكَ بَأَنِّي ، فَمَا تَرَاكَ صَانِعًا بِرِعَائِي ؟

قال : أَنْظَرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِكَ ، وَأَحْلِمُهُمْ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ عِنْدَكَ ، وَأَضْمُهُمْ لَكَ  
فِي إِبْطَائِهِمْ عَنْ بَابِكَ وَلِزَوْمِهِمْ خِدْمَتَكَ مَوَاضِعَ اسْتِحْقَاقِهِمْ ، وَأَرْتَبُهُمْ حَيْثُ  
جَلَمُهُمْ تَرْتِيبَكَ ، وَأُحْسِنُ إِبْلَاغَكَ عَنْهُمْ ، وَإِبْلَاغَهُمْ عَنْكَ .

قال : قد وَفَّيْتَ بما عليك قولاً ، إن وَفَّيْتَ به فعلاً ؛ والله وليّ كفائتك

وموئلك .

وصية المهدي  
للفضل  
ابن الربيع

قال المهدي للفضل بن الربيع : إني قد وَلَّيْتُكَ سَتَرَ وجهي وكَشَفْتَهُ ، فلا تجعل الستر بيني وبين خواصِّي سبباً لَضَعْفِهِمْ ، يُفْتَحُ رَدَّكَ ، ويُؤْبَسُ وَجْهَكَ ؟ وقدَّم أبناء الدعوة ؛ فإنهم أوَّلَى بالتقديم ، وتَنَزَّ بالاولياء ، واجعل للعامة وقتاً إذا دخلوا أعجلهم ضيقه عن التلُّبُّث ، وصَرَفَهُمْ عَنِ التَّمَكُّث .

للحسن بن سهل

وقال الحسن بن سهل : إذا كان الملك محتججاً عن الرعية ، ولم ينزل الوزير نفسه منزلة تكون وسائلُ الناس إليه أنفسهم واستحقاقهم دون الشفاعات والحرمات ، حتى يَخْصُصَ الفاضلُ دون المفضول ، ويرتّب الناس على أقدارهم وأوزانهم ومعرفتهم ، امتزج التدبير ، واختلّت الأمور ، ولم يميّز بين الصدور والاعجاز ، والنواحي والأذنان ، وكان الناس قَوْصَى ، وَهَتْ أسبابُ الملك ، وانتقضت مَرائِرُهُ ، وشاعت سرائره ، وإن أَقْرَبَ ما أرجو به صلاح ما أتولاه استعاضى من المتسئين بأنفسهم ، المتوسلين بأنفُسِهِمْ ، المتوصلين بكفائتهم ، فابتدأ نَفْسُ لَهْم ، وصبرى عليهم ، وتصفحى ماتوسلوا به وانتحلوه : من العقول والآداب ، والحماة والكفاية . فَمَنْ ثَبَّتَ لَهُ دَعْوَاهُ أَنْزَلَتْهُ تِلْكَ الْمَنْزِلَةُ ، ولم أَتَحَيِّفْ حَقَّهُ ، ولا نَقُصُّهُ حَقَّهُ ، ومن قَصَّرَ عما ادَّعى كانت منزلته منزلة المقصرين ، ولم أُخَيِّبْ أَمَلَهُ من مقدار ما يستحقّه .

لبعض البلغاء

وقل بعضُ البلغاء : إذا أسدَل الوالى على نفسه سَتَرَ الحِجَاب ، وَهَى عَوْدُ تدبيره ، واسترخت عليه حائلُ الحَزْم ، وازدلفت إليه وفودُ الذَّم ، وتوَلَّى عنه رُشد الرّاجي ، ونال أموره خَلَلُ الانتشار ، وآفة الإهمال ، وتسَرَّعَ إليه العائون بلواذع ألسنتهم ودَيَّب قوارضهم .

بين سعيد بن  
عبد الملك وعبيد  
الله بن سليمان

وحُجِبَ سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان فكتب إليه : رِزْتُكَ إلى بابك — أعزك الله — عند ما حدث من أمرك ، فلم يُقَضْ لِقَاؤُكَ ، وعلت أن:

قَتَلْتُكَ بِمَا عِنْدِي، قَدْ مَثَلْتُكَ حَالِي مِنَ السُّرُورِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ، وَأَرْسَلْتُكَ  
مَوْضِعِي مِنَ الْإِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ وَوَصَلَ إِلَيْكَ، فَوَلَّكَتُكَ الْمَذْرُءَ إِلَى ذَلِكَ .  
ثُمَّ إِنَّا نَأْتِيكَ مَتَمِّمِينَ بَطْلَمَتَكَ، مُشْتَاقِينَ إِلَى رُؤْيَاكَ، فَيُحْبِبُنَا عَنْكَ مَلَا حَظَّ .  
وَهُوَ كَمَا عَلَتْ زَيْنِ الْعِصْمَةِ، لَيْثِ الطَّبِيعَةِ، يُحْجِبُ عَنْكَ الْكِرَامَ، وَيَأْذَنُ  
عَلَيْكَ لِالْثَامِ، كُلَّمَا نَحِمْتَ لَهُ يَدٌ يَفْضَاءُ، أَتَيْتُمَا يَدَا سُودَاءَ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ - أَعْرَكَ  
اللَّهُ - أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْ بَابِ مَكَارِمِكَ فَهَلَتْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

لأبي السَّمَطِ

بن أبي حفصة

وَقَالَ أَبُو السَّمَطِ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

فَقِيَ لَا يَبَالِي الدَّلِيلُونَ بِنُورِهِ إِلَى بَابِهِ الْأَتَقِيءِ الْكَوَاكِبُ

لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ يُعِينُهُ، وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الشَّرِّ حَاجِبٌ<sup>(١)</sup>

لمروان بن

أبي حفصة

أَخَذَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ قَوْلِ جَدِّهِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ الْأَكْبَرِ :

إِلَى الْمُصْطَفَى الْمَهْدِيِّ خَاضَتْ رِكَابَنَا دُجَى اللَّيْلِ يَخْبِطُنَ السَّرِيعَ الْمُخْدَمَا<sup>(٢)</sup>

يَكُونُ لَهَا نُورُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا بِهِ تَسْرِي إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

لإدريس بن

أبي حفصة

وَقَالَ إِدْرِيسُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ، وَذَكَرَ إِبْلَا :

هَـا أَمَامُكَ نُورٌ تَسْتَضِي بِهِ وَمِنْ رَجَائِكَ فِي أَغْنَايَا حَادِي

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرِكَ تَسْتَفْلَهَا عَنْ الرُّتُوجِ وَتُلْهِمَهَا عَنِ الزَّادِ

وَأَصْلُهُ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ شَاسٍ الْأَمْدِيِّ :

لمعرو بن

شَاسٍ الْأَمْدِيِّ

إِذَا نَحْنُ أَذْلَمْنَا وَأَنْتَ أَمَامُنَا كَفَى لِمَطَائِنَا بَوَاجِهَكَ هَادِيَا

أَلَيْسَ يَزِيدُ الْمَيْسَ خِفَةً أَذْرَعُ، وَإِنْ كُنْ حَسْرَى، أَنْ تَكُونَ أَمَامِيَا<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَصْرِ :

وَلَيْلٌ وَصَلْنَا بَيْنَ قَطْرَيْهِ بِالشَّرَى وَقَدْ جَدَّ شَوْقٌ مُطْمَعٌ فِي وَصَالِكَ

(١) حَفْظِي \* لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَحِيبُهُ \* وَهُوَ كَذَلِكَ فِي كُتُبِ الْبَلَاغَةِ (م)

(٢) الْحَدْمُ : ذَا الْحَدْمَةِ ، وَهُوَ سِرٌّ يَشْدُ فِي رَسْغِ الْبَعِيرِ (م)

(٣) حَسْرَى : مُتَعَبَاتٌ . .

أَعَذَنَ الطَّرِيقَ الزَّهَجَ وَغَرَ السَّالِكَ<sup>(١)</sup>  
وَأَسْفَرَ مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ حَالِكٍ  
وَقَدْ نَشِيتُ فِينَا أَكْغُفُ الْمَالِكِ  
وَلِنْ كُنْتُ لَنَا مُخْطِرِي بِلَالِكِ

أَرَبَّتْ عَلَيْنَا مِنْ دُجَاهُ حَتَاوِسَ  
فَنَادَيْتُ يَا أَسْمَاءَ ، بِاسْمِكَ ، فَانْجَلَتْ  
بِنَا أَنْتَ مِنْ هَادِرِ نَجْوَانَا بِذِكْرِهِ  
مُتَحَكِّمِ إِخْلَامِي وَأَصْفَيْتُكَ الْهَوَى  
وَقَالَ الْقَطَامِي :

القطامي

دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ عَنْهُ دِيَا جِرُهُ  
لَدِرِكْرَا كَمْ أَمْ يَسْجُرُ اللَّيْلُ سَاجِرُهُ

ذَكَرْتُكُمْ تَيْلَافًا فَنُورَ ذِكْرِكُمْ  
فَوَاللهُ مَا أَذْرَى أَضْوَاهُ مَبْجَرُ  
وَقَالَ الْقَتَيْبِيُّ :

القتيبي

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ  
بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ  
دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْزَعُ نَاقِبُهُ

وَلِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ  
نَجْمُ سَمَاءٍ كُلِّهَا أَهْضُ كَوْكَبُ  
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَهْصَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ  
وَقَالَ الْخَطِيبَةُ :

الخطيبة

كَأَ أَضَاءَتْ نَجْمُ اللَّيْلِ لِلْسَّارِي  
مِنْ الْأَيَّامِ مُغْلَمَةٌ أَضَاءُوا

نَمَشَى عَلَى ضَوْءِهِ أَهْصَابُ أَضْأَانِ لَنَا  
وَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :  
هَمَّ الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا أَلَّتْ

وَكَلَامُ الْقَاسِمِ بْنِ حَنْبَلٍ مِنَ الدَّنِيِّ هَذَا ، حَيْثُ يَقُولُ :

لَوْ أَنَّكَ تَمْتَضِي بِهِمْ أَضَاءُوا  
وَمَكْرُمَةً دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ  
وَمِنْ كَرَمِ الشَّيْءِ حَيْثُ شَاءُوا

مِنْ الْبَيْضِ الْوُجُوهُ بَنِي سِنَانٍ  
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِلْجَدِيدِ  
هُمْ خَازُوا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى  
وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :

القاسم بن حنبل  
الدني

كَهَوَا خَاطِبَ الظَّلَامِ قَدْذَ الْمَصَاحِجِ  
فَكَمْ تَحْمَمُ مِنْ آمِي جِرَاحِجٍ وَجَارِجِ  
وَقَالَ أَبُو بَدِيلٍ الْوَضَّاحُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ فِي الْمُسْتَعِينَ :

إِذَا أَشْرَقَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ وَجُوهُهُمْ  
وَإِنْ نَابَ خَطْبُ أَوْ أَلَّتْ مُلْمَةٌ

(١) أَرَبَّتْ : زادت وزعمت ، والدجى : جمع دجية ، وهى الظلام ، والحنادس :

الظلمات ، واحدها حندس (م) .



وقائلة والليل قد نثر الدجى  
أرى بارقا يبدو من الجوسق الذى  
أضامت له الآفاق حتى كأنما  
فظل عذارى الحى ينظمن تحت  
قلت : هو البدر الذى تعرفونه  
فقطى بها ما بين سهل وقرد<sup>(١)</sup>  
به حل ميثا<sup>(٢)</sup> الذى محمد  
رأينا بنصف الليل نور ضعى غد  
سلوكا من الجزع الذى لم يرد  
ولا يكن فالنور من وجه أحمد

[ حث الاشتياق ]

وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة فى معنى قول عمرو بن شأس فى حث<sup>لعمري</sup>  
أى ربيعة  
الاشتياق :

خلى ما بال المطايا كأنما  
فقد أتب الحادى سراهن<sup>لعمري</sup> ، وانحنى  
وقد قطعت أعناقهن صبا<sup>لعمري</sup>  
يزدن بنا قربا فيزداد شوقنا  
وقال بعض الرجاز ، وذكر إبلا :

إن لها لسائقا خديجا<sup>(٢)</sup> لم يذلج الليلة فيمن أدلجا

يريد امرأة يحبها فيحثه ما يبعده من الشوق على إجهاد مطاياها بالسوق . كما  
أنشد إسحاق الموصلى :

صبت يحث مطايا بذكركم  
لو يستطيع طوى الأيام نحوكم  
يرجو النجاة من البلوى بقر بكم  
هذا البيت يناسب أبيات ابن أبى ربيعة . يقول : كلما دنا ازداد حرجا

على اللقاء .

(١) القردد : ما أرتفع من الأرض ، والجمع قراديد .

(٢) خديج : مبتلى ، الفراعين والساقين .

لإسحاق  
الموصلي

وشخص إسحاق الموصلي إلى الواقع بسر من رأى ، وأهله بغداد ، فتصيد  
الواقع وهو معه إلى نواحي كُتُبَاء ، فلما قرب من بغداد قال :  
طربتَ إلى الأصبِيَّة الضنار      وهاجَكَ منهم قُربُ المَزَارِ  
وكلَّ مسافرٍ زَادَ شوقاً      إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ  
ولحنه وغمَّاه الواقع ، فاستحسنة وأطربه ، فصرفه إلى بغداد على ما أحب  
وكان إسحاقُ قال أولاً :

وكلُّ مسافرٍ يَسْتَقُ يوماً      إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ  
فما بوا قوله «يوماً» ، وقالوا : هي لفظة قَامة في هذا الموضع ، لم تحمل  
بمركزها ، ولا لها هنا موقع . قال : فصمُّوا مكانها مثلها لا خيراً منها . فما استطاعوا  
ذلك ، فغيَّرها إلى ما أنشدت أولاً .

لأبي نواس

وقال أبو نواس :

أما الدِّيَارُ قَلِمَا لَبِثُوا بِهَا      بين اشتياقِ العيسِ والركبانِ  
وضموا سياطَ الشَّوقِ فوق رِقَابِهَا      حتى طَلَعْنَ بِهَا على الأوطانِ  
وقال تَحَلَّدُ بن بَكَار الموصلي :  
أقولُ لِنِصْرِ أَفْعَدَ السَّيْرَ نِيهَاً<sup>(١)</sup>      ولم يُبْقِ منها غَيْرَ عَظَمٍ مَجَلَّدِ  
خِدِي بِإِبْتِلَالِ اللَّهِ بِالشَّوقِ وَالْهُوَى      وشَاقَكَ تَحْنَانُ الْحَلَامِ الْمَفْرَدِ<sup>(٢)</sup>  
فمرَّتْ سريماً خَوْفَ دَعْوَةِ عَاشِقٍ      تَشُقُّ بِي اللَّوْمَةِ في كُلِّ قَدَفٍ<sup>(٣)</sup>  
فلما وَنَّتْ في السَّيْرِ نَتَيْتُ دَعْوَتِي      فكانت لها سَوَاطِلُ إلى ضَحْوَةِ الْقَدِ

تَحَلَّدُ بن بَكَار  
الموصلي

وكان تَحَلَّدُ حلوا الطبع ، وهو القائلُ يمدحُ رجلاً :

يَطْلُعُ النَجْمُ على صَعْدَتِهِ      فإذا وَاجَهَ مَحْجَراً أَفْلا  
مَعَشَرِ إِن ظَلِمَتْ أَرْمَاحُهُمْ      أَوْرَدُوهُنَّ مُجَاجَاتِ الطَّلِي

(١) التى : الشحم - والنضو ، بكسر النون وسكون الضاد ، الذى نال منه الهزال  
من الإبل (م) .  
(٢) خدى : ضل أمر من الوخذ ، وهو السير السريع . (٣) القدفة : الصحراء .

تَحْسَنُ الْأَلْوَانُ مِنْهُمْ فِي الْوَعْيِ      حِينَ تَسْتَفْكَرُ لِلرَّغْبِ الْحُلِيِّ  
سُخْطَ عَبْدُ اللَّهِ يَدُنِي الْأَجَلَا      وَرِضَاهُ يَتَعَدَّى الْأَمَّ سَلَا  
يُعْشِبُ الصَّلْدُ إِذَا سَأَلَهُ      وَإِذَا حَارَبَ رَوْضًا أَمْحَلَا  
[ مَلِكٌ لَوْ نُشِرَتْ آلاؤُهُ      وَأَيَّادِهِ عَلَى اللَّيْلِ انْجَلَى ]  
حَلَّ بِالْبِئَاسِ ابْنُ عَمْرٍو مَنْزِلًا      طَالَ حَتَّى قَصُرَتْ فِيهِ السَّلَا  
حَطٌّ رَحْلِي فِي ذَرَاهُ جُودُهُ      وَتَمَشَّى فِي نَدَاهُ انْخَبَزَلُ (١)

[ جَوْدَةٌ الْخَط ]

سُئِلَ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ: مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يوصَفَ بِالْجُودَةِ؟ فَقَالَ:  
إِذَا اعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ، وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَوَلَامُهُ، وَاسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ، وَضَاقَتْ صَعْدَتُهُ  
حُدُودُهُ، وَتَفَتَحَتْ عِيُونُهُ، وَلَمْ تُشَبَّهْ رَأُوهُ وَنُونُهُ، وَأُشْرِقَ قِرْطَاسُهُ، وَأُظْلِمَتْ  
أُفْهَامُهُ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ أَجْنَاسُهُ، وَأُسْرِعَ إِلَى الْعِيُونِ تَصَوُّرُهُ، وَإِلَى الْعُقُولِ تَنْمُزُهُ،  
وَقُدِّرَتْ فُصُولُهُ، وَانْدَجَجَتْ وَصُولُهُ، وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ، وَخَرَجَ مِنْ تَمَطُّ  
الْوَرَقَيْنِ، وَبَعْدَ عَنْ تَصْنِيعِ الْحَرِيرَيْنِ (٢)، وَقَامَ لَصَاحِبِهِ مَقَامُ النِّسْبَةِ وَالْحِلْيَةِ، كَانَ  
حِينَئِذٍ كَمَا قَالَ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ فِي صِفَةِ خَطِّ:

إِذَا مَا تَجَلَّلَ قِرْطَاسُهُ      وَسَاوَرَهُ الْقَلَمُ الْأَرْقَشُ  
تَضَمَّنَ مِنْ خَطِّهِ حُلَةً      كَتَفَشَ الدَّنَانِيرَ، بَلَّ أَنْفَشُ  
حُرُوفَ تُمِيدُ لَعِينِ الْكَكَلِيلِ      نَشَاطًا وَيَقْرُوهَا الْأَخْشَشُ

قَالَ أَبُو هَفَّانَ: سَأَلْتُ وَرَاقًا عَنْ حَالِهِ فَقَالَ: عَيْشِي أَضْيَقُ مِنْ مِحْبَرَةٍ،  
وَجِسْمِي أَدْقُ مِنْ مِسْطَرَةٍ، وَجَاهِي أَرْقُ مِنْ زَجَاجٍ، وَوَجْهِي عِنْدَ النَّاسِ أَشَدُّ  
سَوَادًا مِنَ الْخَبَرِ بِالزَّجَاجِ، وَحَظِّي أَخْفَى مِنْ شِقِّ الْقَلَمِ، وَيَدَايِ أَضْعَفُ مِنْ قَبْصَةِ  
وِطْعَامِي أَسْرَأُ مِنَ التَّقْصِ؛ وَشَرَّابِي أَحْرَبُ مِنَ الْخَبَرِ (٣)، وَسَوْءُ الْحَالِ الزَّمُّ لِي مِنَ  
الصَّمْغِ؛ فَقُلْتُ لَهُ: عَبَّرْتَ عَنْ بِلَاءِ بِلَالٍ!

(١) الحزلي: مشية فيها ثقائل. (٢) في نسخة «المحدرين» (م).  
(٣) كذا، وفي ديوان اللعاني (ص ٨٢) «أسود من الخبر» وهي أحسن (م).

صفة الخط  
الجيد

وراق يصف  
عيشه

وقال الحدوني :

ثِنْتَانِ مِنْ أَدَوَاتِ الْعِلْمِ قَدْ ثَلَّثَا  
أَمَّا الدَّوَاةُ فَأَدَمَتْنِي جَرْمُهَا جَسَدِي  
وَحَبَّرَتْ لِي صُخْفَ الْحَرْفِ مِخْبَرَةً  
وَالْعِلْمُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَ أَخَذُهُ  
وَالْحَدُونِي فِي الْحَرْفَةِ أَشْعَارُ مُسْتَظَرَّةٌ ، وَكَانَ مَلِيحَ الْاِفْتِنَانِ ، حُلُوُ التَّصَرُّفِ ؛  
وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَمْدَوِيهِ ، وَحَمْدُوِيهِ جَدُّهُ ، وَهُوَ صَاحِبُ الزَّادَةِ فِي  
أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، وَالْحَدُونِي الْقَاتِلُ :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ  
نَزَمْتُهَا مِنْ كُتُبِ حَسْرَةٍ  
فَنَحْنُ مِنْ نَفَارَةِ الدُّنْيَا  
كَأَنَّا لَفْظٌ بِلا مَعْنَى

وقال :

قَدْ قُلْتُ إِذْ خَرَجُوا لِي يَسْتَمِطِرُوا:  
لَوْ فِي حَزِيرَانٍ هَمَمْتُ بِشَلِّهَا  
فَكَأَنَّهَا الْعَبَّاسُ يَسْتَسْقِي بِهِ  
لَا تَنْطَلُوا وَاسْتَمِطِرُوا بَيْتِي  
غَطَى ضِيَاءُ الشَّمْسِ جَوْ سَحَابِ  
عُمَرُ فَبُرِيوهُمُ — مَدْعَاءُ مُجَابِ (١)

[ حرفة الأدب ]

لبعض الشعراء

وقال آخر في المعنى الأول :

لَمَّا أَجَدْتُ حُرُوفَ الْخَطِ حَرَفِي  
أَقْوَتْ مَنَازِلُ مَالِي وَطَنَهَا  
وَقَالَ يَعْقُوبُ الْخَرِيمِيُّ:

للخريمي

مَا أَزْدَدْتُ فِي أَدَبِي حَرْفًا أُسْرَهُ بِهِ  
كَذَلِكَ مِنْ يَدْعَى حِدَقًا بِصَنْعَتِهِ  
إِلَّا تَزِيدَتْ حَرْفًا تَحْتَهُ سُومُ  
أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهَوَ تَحْزُومُ

(١) احتبس الشعر بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ، فاستسقى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بالعباس بن عبد المطلب ، فسقام الله تعالى .

ولما قتل المعتذر أبا العباس بن المعتز ، وزعم أنه مات جثف أنفه ، قال علي بن إمام محمد بن بسام :

للهِ دركٌ مِنْ مَيِّتٍ بِمَضْمِنَةٍ نَاهِيكَ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَابِ وَالْحَسَبِ  
مَا فِيهِ لَوْ لَا لَيْتُ فَيَنْقُصُهُ وَإِنَّمَا أَدْرَكْتُهُ حِرْفَةً الْأَدَبِ

[ رزق الحقي والعقلاء ]

قال ابن الرومي :

يَا لَيْتَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِذْ حُرِّمُوا عَصِمُوا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْقِسَنِ  
لَكُنْهُمْ حُرِّمُوا وَمَا عَصِمُوا قُلُوبُهُمْ مَرْضَى مِنَ الْحَزَنِ  
وَهُمْ أَطْلَبُ عَلَى بَلِيَّتِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ بِمَضَاةِ الشَّجَنِ (١)  
وقال جعفر بن محمد : إِنَّ اللَّهَ وَسَّعَ أَرْزَاقَ الْحَقِّ لِيُتَبَرَّ الْعُقَلَاءُ ، وَيَعْلَمُوا  
أَنَّ الدُّنْيَا لَا يُنَالُ مَا فِيهَا بِعَقْلِ وَلَا حِيلَةٍ ؛ إِلَّا إِنْ كَسَبَ الْمَالَ بِالْحِفْظِ ،  
وَحَفِظَهُ بِالْعَقْلِ .

قال إبراهيم بن سيار النظام : الذَّهْبُ لَيْسَ ؛ لِأَنَّ الشَّكْلَ يَصِيرُ إِلَى شَكْلِهِ ،  
وَهُوَ عِنْدَ اللَّثَامِ أَكْثَرُ مِنْهُ عِنْدَ الْكَرَامِ . قَالَ الْمُتَنَبِّي - وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى :

وَشَيْءُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهْنَا بِدُنْيَانَا الطَّعَامُ

وكان النظام له نظيرٌ بوجوه التصرف ، وكان السلطان يصِلُهُ بالكثير ، وكان  
محظوظاً ؛ فإذا اجتمع له مالٌ حَسَنٌ لنفسه بُلْفَةً ، وفرَّقَ الباقيَ فِي أَبْوَابِ الْمَعْرُوفِ ؛  
فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، قَالَ : مِنْ حَقِّ الْمَالِ عَلَى أَنْ أَطْلُبَهُ مِنْ مَعْدَنِهِ ، وَأَصِيبَ بِهِ  
الْفُرْصَةُ عِنْدَ أَهْلِهِ ؛ وَمِنْ حَقِّ عَلَيْهِ أَنْ يَقْنِي السُّوءَ بِنَفْسِهِ ، وَيَصُونَ عِرْضِي

بعض  
أخبار النظام  
وكلامه

(١) المضاضة : وجع الصبية ، والشجن - بالتحريك - الحزن (م)

باجتذله ، ولا يفعل ذلك إلا بأن أسمع به ؛ ألا ترى ذا النثنى ؛ ما أدومَ نَعَبِهِ <sup>(١)</sup> ، وأقلَ راحته ، وأخسَّ من ماله خَظْلَهُ ، وأشدَّ من الأيام حَذَرَهُ ، وأغرى الدهرَ بَنَلِيهِ وَنَقَصِهِ ، ثم هو بين سلطانِ بَرَعَاهُ ، وذوى حقوقِ يَسْبُونَهُ ، وأكفاهِ يَنَافُسُونَهُ ، وولدٍ يريدونَ فِرَاقَهُ ، قد بعث عليه النّفى من سلطانه العَنَاءُ ، ومن أكَفَاهِهِ الحَسَدَ ، ومن أعدائه البَنَى ، ومن ذوى الحقوقِ الذَمَّ ، ومن الولدِ اللَّيْلَ ، وذو البُلغةِ قَنِيعَ فِدَامٍ لَهُ السُّرُورُ ، ورفض الدنيا فَسَمَ من المَحْذُورِ ، ورضي بالكفافِ فَتَنَكَّبَتْهُ الحقوقُ . :

[ أفكار الوراقين ]

وصف الوراق      قال الصولي أنشدني محمد بن أحمد بن إسحاق :

أدنى البكا جفنى والمآقى      فظلتُ ذَاهِمٌ وذا اخِرَاقِ  
ما إن أرى فى الأرض والآقِ      أدنى ولا أشقى من الوراقِ  
إذا أتى فى القمصى الأخلاقِ      رأيتُه مطيرة العُشُّاقِ <sup>(٢)</sup>  
يفرح بالأقلام والأوراق      ككَفَرَةِ الجندى بالأرزاقِ

وقال بعض الوراقين :

إذا كُنْتُ بالليلِ لا أكتبُ      وطول النهار أنا العَبُ  
فطورا يطلنى مأكلٌ      وطورا يطلنى مشربٌ  
فإن دامَ هذا على ما أرى      فيبقى أولٌ ما يَحْرَبُ  
وقيل لوراق : ما تَشْتَهَى ؟ قال : قلما مَشَاقَا ، وجِزْراً بَرَّاقَا ، وجلوداً رِقَاقَا .  
وكل امرئٍ فأمْنِيته على ما يُطَاقِ غَرِيْزَتُهُ ، ويوافقُ نَحِيْزَتَهُ <sup>(٣)</sup> .

(١) النصب : التعب ، وزنا ومعنى (م) .

(٢) القمصى : جمع قميص ، والأخلاق : جمع خلق - بالتحريك - وهو البالى (م) .

(٣) الفريضة والنحيضة : الطبيعة والسجية .

## [ أطيّب المذات عند الشعراء ]

قال علي بن جبلة العكوك : قال الأصمى : سُئِلَ امرؤ القيس : ما أطيّب  
لذات الدنيا ؟ قال : بيضاء رُعبوبة<sup>(١)</sup> ، بالحسن مكبوبة ، بالشَّحْمُ مكروبة<sup>(٢)</sup> .  
بالمِسْكِ مَشْبُوبَةٌ .

وسئل الأعشى عن ذلك ، فقال : صَبَاءٌ صافية<sup>(٣)</sup> ، تَمْرُجُهَا سَاقِيَةٌ ، من  
صَوْبٍ غادية<sup>(٤)</sup> .

وسئل طرفه عن ذلك ، فقال : مركبٌ وطيّ ، وثوبٌ بَهِيمٌ ، ومطعمٌ شحى .  
لذات طرفه  
قال العكوك : فُخِذْتُ بهذا أبا دُلَفٍ ، فقال :

أطيّبُ الطيبات قَتْلُ الأَعَادِي      واختيالٌ على مُتُونِ الجِيَادِ  
ورَسُولٌ يَأْتِي بِوَعْدِ حَبِيبٍ      وحيبٌ يَأْتِي بِلا مِعَادِ  
وحدّثت بذلك مُحمّدا الطوسي ، فقال :

لذات حميد  
الطوسي

فلولا ثلاثُ هنَّ مِنْ لَذَّةِ الفَتَى ،      وجدك ، لم أخْفِلْ متى قام غَوْدِي  
فهنَّ سَبَقُ العاذلاتِ بِشَرْبَةٍ      كَمِيتٌ ، متى ما تُقَلِّ بالماءِ تَزِيدُ<sup>(٥)</sup>  
وَكَرَى إِذَا نادى لِلضَّافِ مُحَبَّبًا      كَسِيدِ النَّصَا ذِي السَّوَرَةِ لِلتَّوَرِدِ<sup>(٦)</sup>  
وتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ ، والدَّجْنُ مُحِبِّبٌ      بَهْكَتَةٍ تَحْتَ الخِيبَاءِ المَعْدِ<sup>(٧)</sup>  
الشعر لطرفة بن العبد .

(١) رعبوبة : حلوة ناعمة حسنة ، وفي نسخة « بالحسن مكتوبة » ( م ) .

(٢) مكروبة : ممتلئة ( م ) (٣) الصباء : الحمر ( م )

(٤) الغادية : السحابة ( م ) (٥) الكيت - بالتصغير - الحمر ، وتزبد :

تلوها الرغبة ( م ) .

(٦) الضاف : البائس الذي أحبط به ، والحنب : أراد به الفرس الشديد .

(٧) الدجن : الغيم ، والهكنة : الخفيفة الروح الطيبة الرائحة من النساء ، والحباء :

أراد الحيمة ، والعمد : ذى الأعمدة ( م ) .

قَدَات يَزِيد  
ابن عبد الله

وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله ، قال : ما أدري ما قالوا ، ولكني أقول :  
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مِنْ قَرْنٍ عَيْنَا بَعِيشِهِ نَفْعُهُ  
فكان أسدّم .

من شعر  
الأضبط بن  
قريع

والبيت للأضبط بن قريع ، أنشدوه أبو العباس ثعلب ، قال : وبلغني أن هذه  
الآيات قيلت قبل الإسلام بدهر طويل :

لكل ضيقٍ من الأمورِ سعةٌ والصبحُ والنسُ لا فلاحَ معه <sup>(١)</sup>  
ما بانَ من سرِّه مصائبُك لا يملك شيئاً من أمرِهِ وَزَعَهُ  
أذودُ عن حوضِهِ ويدفعني يا قوم ، من عاذري من الخدعة ؟  
حتى إذا ما انجلت عمايته أَقْبَلَ يَلْحَى وَغِيَهُ فَجَعَمَهُ <sup>(٢)</sup>  
قد يجمعُ للمالِ غيرُ آكلِهِ وَيَأْ كُلُ للمالِ غيرُ من جمعه  
ويقطعُ الثوبَ غيرُ لابسِهِ ويلبسُ الثوبَ غيرُ من قطعته  
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مِنْ قَرْنٍ عَيْنَا بَعِيشِهِ نَفْعُهُ  
وَصَلَ حَبَالُ البعيدِ إنْ وَصَلَ السَّجَلُ ، وأقصِرِ القريبِ إنْ قطعته  
ولا تَعَادِ الفقيرَ علكَ أنْ تَرَكَمَ يوماً والدهرُ قد رَفَمَهُ <sup>(٣)</sup>  
هذا البيت شبه بما روى عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يستشدي قول اليهودي :

ارقم ضيفك لا يحزرك ضيفه يوماً فتدركه المواقب قد غما <sup>(٤)</sup>  
يَحْزِرُ بِكَ ، أو يُفْنِي عليك ، وإنْ مَنَ أَتَيْتُ عليك بما فَمَلْتَ كَنَ جَزَى  
فأنشده ، فيقول : إني فطن لها :

(١) في الأمازي (١٠٧/١) « لكل م من المعلوم سعة » (م)

(٢) عمايته : ضلّاته ، ويلقى : يلوم أشد اللوم (م)

(٣) برويه النحاة « لا تهين الفقير علك أن - إلخ » (م)

(٤) لا يحزرك ضيفه : يريد أنه قد يرجع الضيف إليك ويتعشى هو (م)



وكان الأضيظ سيد بني سعد ، وكانوا يشتمونه ويؤذونه ، فانتقل إلى حمير  
من العرب فوجدهم يؤذون ساداتهم ، قال : حينئذ أوجه أتي سدا ! فذهبت مثلا  
قال الطائي :

فلا تحسبنَ هندا لها التذرُّ وحدها سجةٌ خُسي ، كلُّ غايبَةٍ هِنْدُ  
[ وصف الحبار والأقلام ]

لبعض الكتاب  
يصف محبرة

قال بعضُ الكتاب يصف محبرة :

ولقد مضيتُ إلى المحدث آتفاً وإذا محضرتَه ظبياء رُتِعُ  
وإذا ظلياءُ الإنسانِ تكتبُ كلَّ ما يُملَى ، وتحفظ ما يقول وتسمعُ  
يتجاذبون الخبرَ من ملومةٍ بيضاءَ تحيلُها علائقُ أربع<sup>(١)</sup>  
من خالص البلور غيرَ لونها ففكانها سبيجٌ يلوح ويلمعُ<sup>(٢)</sup>  
إن نكسوها لم تلبس ، وملكها فيما حوتُه عاجلا ، لا يقطعُ  
ومنى أمالها لشف رضاءها أذاه فوها وهي لا تسنمُ  
وكانها قلبى يصفنُ بيسرٍ أبداً ، ويكتمُ كلَّ ما يستودعُ  
يتمأحها ماضى الشبابة مذلقُ يجرى بميدان الطروس فيسرعُ<sup>(٣)</sup>  
رجلاه رأسُ عنده لَكِنَّهُ يلقاهُ بردَ حَفَاهُ ساعةً يقطعُ  
وكانه والحيزُ يَحْضِبُ رأسه شيخٌ لوصلَ خريده يتصنعُ  
لم لا ألاحظه بعينِ جلالةٍ وبه إلى الله الصالحاتُ ترتفعُ  
وقال أبو الفتح كشاجم :

لأبى الفتح  
كشاجم

مِخْبَرَةٌ جَادَتْ لِي بِهَا فَمِرٌّ مستحسنُ الغلقِ مُرْتَقَى الغلقِ  
جوهره خضفى بجمـ جوهره ناطتْ له للكرماتِ فى عُنُقِ  
بيضاء والحـ بر فى قواراتها أسودُ كالمِلكِ جِدَ مُنْفَتِحِ  
مثل يياضِ الصيون زِينَتُهُ مُسَوِّدٌ ما شَابَهُ مِنْ الخَلْقِ

(١) ملومة : مستديرة (م) (٢) السبيج : الحرز الأسود (م)

(٣) أصل اللع زرع اللاء من البئر ، والشبابة : حد كل شيء ، ولذلك : المحدث ،

أوراد القلم (م)

كَأَنَّمَا جِيئَ بِهَا إِذَا نَسَرَّتْ أَفْلَأُمُنَا ظِلَّهُ عَلَى الْوَرَقِ  
كُحْلُ مَرْتَةِ الْعَيُونِ مِنْ مَقْلٍ نُجْلٍ فَأَوْفَتْ بِهِ عَلَى يَتَقِ<sup>(١)</sup>  
خَرَسَاءَ لِكُنْهَ تَكُونُ لَنَا عَوْنًا عَلَى عِلْمِ أَفْصَحِ التَّلَطُّيِ  
وقال عبد الله بن أحمد : القلم أمره ، ما لم يَكْتَحِلْ بِإِثْمِ الدَّوَاةِ<sup>(٢)</sup> .

وكتب إبراهيم بن العباس كتاباً فأراد نحو حرف فلم يجد مندبلاً ، فحاه بكلمه ،  
فقليل له في ذلك ، فقال : للمالُ قرعٌ ، والعلمُ أصلٌ ؛ وإنما بلغنا هذه الحال ، واعتقدنا  
هذه الأموال<sup>(٣)</sup> بهذا القلم والمداد ، ثم قال :

إِذَا مَا الْفَكْرُ أَضْمَرَ حُسْنَ لَفْظٍ وَأَذَاهُ الضَّمِيرُ إِلَى الْعِيَانِ  
وَوَشَاءُ وَتَمَنَّمَ مُسَدَّدٌ فَصِيحٌ بِالْقَالِ وَاللَّسَانِ  
رَأَيْتُ حُلَى الْبَيَانِ مَنْوَرَاتٍ تَصَاحَكُ بَيْنَهَا صُورُ الْمَافِي

ألفاظ لأهل العصر في أوصاف آلات الكتابة واليدوي والأقلام  
الدواة من أضع الأدوات ، وهي للكتابة عتاد ، وللخاطر زناد ، غدير لا يبرده  
غَيْرُ الْأَفْهَامِ ، ولا يمتنع بغير أرشية الأقلام<sup>(٤)</sup> ، دواة أنيقة الصنعة ، رشيقة  
الصبغة ، مسكية الجلد ، كافورية الحليّة . غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره ،  
وتنشأ سحبُ البلاغة من قراره . دواة تدأوي مرض عفاتك ، وتدوى قلوب  
عدائك ، على ترفّع يؤذّن بدوام رفعتك ، وارتفاع النواصب عن ساحتك ،  
ومداد كسواد العين ، وسويداء القلب ، وجناح الفرا ، ولعاب الليل ، وأوان  
دُهم الخليل . وهذا من قول ابن الرومي :

خَيْرُ أَبِي حَفْصٍ لُعَابُ اللَّيْلِ كَأَنَّهُ أَوَانُ دُهِمِ الْخَلِيلِ

- 
- (١) مرتة العيون : استخرجته ، والمقل : جمع مقلة ، وهي العين ، والنجل :  
جمع نجلاء ، وهي الواح ، واليقق - بالتحريك - الأبيض (م)  
(٢) الأمره : وصف من اللز - بالتحريك - وهو خلو العين من الكحل (م)  
(٣) اعتقدنا هذه الأموال : تأملناها وجمعناها (م)  
(٤) الأرشية : جمع رشاء ، وأصله جبل الدلو (م)

قال العاصر: مبدأٌ ناسب خافية الغراب، واستمار لونه من شَرخِ الشباب،  
وأفلام جُمَّة المحاسن، بعيدة من اللطائف، تعاصى الكاسى، وتمايخ الناميز  
القاسى. أنابيب ناسبت رماح الخط في أجناسها، وشاكلت الذهب في ألوانها،  
وضاهت الحديد في لمعانها؛ كأنها الأميال استواء، والآجال مضاء، بطيئة الحفى،  
قوية القوى، لا يشظيها<sup>(١)</sup> القط، ولا يتشعب بها الخط. أفلام بحرية موشية  
الليط<sup>(٢)</sup>، راقعة التخطيط. قلم معتدل الكُبوب، طويل الأنبوب، باسق  
المفروع، روى الزينج، هو أولى باليد من البنان، وأخفى للسر من اللسان.  
هو للأنامل معية، وعلى الكتابة معونة مَرْضِيَّة. نعم المدة القلم: يقلم أظافر  
الدهر، ويملك الأقاليم بالنهى والأمر، إن أرذت كان مسجوناً لا يمل الإسار،  
وإن شئت كان جواداً جارياً لا يعرف العثار، لا يفتو إذا نبت الصفاح<sup>(٣)</sup>،  
ولا ينجح إذا أحجبت الرماح.

لأبي النعمان  
كشاجم

قال أبو الفتح كشاجم: يصف معبرة ومقلة وأفلاماً وسكيناً:

جسني من اللهو وآلات الطرب ومن عتاد وراء ونشب  
ومن مدام ومثان تصطحب ومهية طماحة إلى الرثب  
مجالس مصونة من الريب معمورة من كل علم وأدب  
تكاد من حر الحديث تلتهب شغراً وأخباراً ونحواً يقتضب  
ولغة تجمع ألفاظ العرب وقرأ كالوعد في قلب للحب  
أو كثنائى الرزق من غير طلب أجل، وحسي من دوى تلتخب  
معليات بلجين وذهب محبرة يزهى بها الحبر الألب<sup>(٤)</sup>  
منقوبة آذانها، وفي الثقب مثل شئوف الخرد البيض العرب<sup>(٥)</sup>

(١) لا يشظيها: لا يقطعها عظاماً (م) (٢) الليط: بالكسر: القشر.

(٣) الصفاح: السيف (م) (٤) الحبر، بالكسر: العالم (م).

(٥) العرب، بضم العين والراء: جمع عرب. وهى المرأة المتعجبة إلى زوجها.

مصن قطراً فيه للكتب غُشِبَ      أسودَ يَجْرِي بِمِائِ كالشُهْبِ  
لا تَنْصُبُ الحِكْمَةُ إِلَّا إِنْ نَصَبَ      نِطَلَتْ إِلَى يُمْرَى يَدَى يَسَبَ  
كالقُرْطِ فِي الْجِيدِ تَدَلَّى فَاضْطَرَبَ      تصحبها ، والأخواتُ تُضْطَحِبُ  
كَأَنَّهُ يودِعُ ثِيْبًا مِنْ قَصَبٍ      لَمْ يَغْلُها رِيشٌ وَلَمْ تُحْمِلْ عَقَبَ<sup>(١)</sup>  
لَا تَنْصَحُكَ الْأَوْزَانُ حَتَّى يَنْتَحِبَ      تَرْمِي بِهَا يَمْنَى أَعْرَاضَ الْكُتُبِ  
رِمَا مَتَى أَقْصِدْ بِهِ السَّنْتَ أَصِيبْ      وَمُدِيَةً كَالْعَصْبِ مَا مَسَّ الْقَصَبُ  
غَضِبِي عَلَى الْأَقْلَامِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ      تَنْطَلُو بِهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَتَنْبُ  
وَأَمَّا تَرْضِيكَ فِي ذَاكَ النَّصَبِ      فَهَلْكَ آلَاتِي ، وَآلَاتِي تُحِبُّ  
وَالظَّرْفُ فِي الْآلَاتِ عَمَّا يُسْتَحَبُّ      لَا سِجًّا مَا كَانَ مِنْهَا لِلادْبِ

[ عمال للمأمون ]

تظلم رجلٌ إلى المأمون من عامل له ، قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا تَرَكَ لِي  
فَضِيَّةً إِلَّا فُضَّهَا ، وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ ، وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا ، وَلَا ضَيْمَةً إِلَّا  
أَضَاعَهَا ، وَلَا عِلْقًا<sup>(٢)</sup> إِلَّا عَلَقَهُ ، وَلَا عَرَضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ ، وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا امْتَشَاهَا<sup>(٣)</sup> ،  
وَلَا جَلِيلًا إِلَّا أَجْلَاهُ ، وَلَا دَقِيقًا إِلَّا أَدَقَّهُ . فَنَجِبَ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ .  
قَالَ عَمْرُو بْنُ سَعْدِ بْنِ سَلَمٍ : كَانَتْ عَلَى نُوْبَةٍ أَنْوِبُهَا فِي حَرَسِ الْمَأْمُونِ ،  
فَكُنْتُ فِي نُوْبَتِي لَيْلَةً فَخَرَجَ مُتَفَقِّدًا مِنْ حَضَرٍ ، فَعَرَفْتَهُ وَلَمْ يَعْرِفْنِي ، قَالَ : مَنْ  
أَنْتَ ؟ قُلْتُ : غَمْرُو ، عَمْرُكَ اللَّهُ ، ابْنُ سَعِيدٍ ، أَسْتَعِدُّكَ اللَّهُ ، ابْنُ سَلَمٍ ، سَلَّمَكَ اللَّهُ .  
قَالَ : تَكَلَّمْنَا مِنْذُ اللَّيْلَةِ . قُلْتُ : اللَّهُ يَكْلُوكُ قَبْلِي ، وَهُوَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ  
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

قَالَ الْمَأْمُونُ :

إِنْ أَخَاكَ الْحَقُّ مِنْ يَسْمَى مَتَكَ      وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا صَرَفُ زَمَانٍ صَدَّكَ      بَدَّدَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْعَلَكَ

(١) القَب : الصبب الذي تحمل منه الأوتار (م) .

(٢) الملق ، بالكسر ، النقيس من كل شيء . - (٣) امتشأها : ذهب بها كلها .

## [الورد والترجس]

لابن الرومي

وقال علي بن العباس الرومي :

خَجَلْتُ خُدُودَ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ      خَجَلًا تَوَزَّدَهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ  
لَمْ يَخْجَلِ الْوَرْدُ الْمَوْرَدُ لَوْنَهُ      إِلَّا وَنَاحِلَهُ الْفَضِيلَةُ عَائِدُ  
لَلنَّجَسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ إِذَا بَدَأَ      بَيْنَ الرِّيَاضِ طَرِيفِهِ وَالتَّالِدِ  
وَكَانَ ابْنُ الرُّومِيِّ مُتَعَصِّبًا لِلنَّجَسِ ، كَثِيرَ الذَّمِّ لِلْوَرْدِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي

الحسن ابن السيب :

أَذْرَكَ ثِقَاتَكَ لِمَنَّهُمْ وَقَوُوا      فِي تَرْجِسٍ مَعَهُ أَبْنَةُ الْعَنْبِ  
فَهَمُّ بِحَالٍ لَوْ بَصُرْتُ بِهَا      سَبَّحْتَ مَنْ عَجَبَ وَمَنْ عَجَبِ  
رِيحَانِهِمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرٍّ      وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبِ  
فِي رَوْضَةٍ شَتْوِيَّةٍ رَضَعَتْ      دِرَّ الْحَيَا حَلْبًا عَلَى حَلَبِ  
وَالْيَوْمَ مَدَّجُونُ مُفَرِّتُهُ      فِيهِ بِمُطْلَعٍ وَمُحْتَجِبِ<sup>(١)</sup>  
ظَلَّتْ تَسَامَرْنَا وَقَدْ بَعَثَتْ      ضَوْءًا يُبْلَا حَظَّنَا بِلَا لَهَبِ  
وَكَانَ كِشْرَى أَنْوَشِرَوَانِ مُسْتَهْتَرًا بِالْتَرْجِسِ<sup>(٢)</sup> ، وَكَانَ يَقُولُ : هُوَ يَأْقُوتُ

أصفر ، بين در آبيز ، على زمرد أخضر . نقله بعض المحدثين فقال :

لبعض المحدثين

وَيَأْقُوتُهُ صَفْرَاءُ فِي رَأْسِ دُرٍّ      مَرْكَبَةٌ فِي قَانِمٍ مِنْ زَبَرْجَدِ  
كَتَلُ بَعَى الدَّرَّ عَقْدَ نِظَامِهَا      نَثِيرٌ فَرَنْدٍ قَدْ أَطَافَ بِسَجْدِ  
كَانَ بَقَايَا الطَّلِّ فِي جَنَابِهَا      بَقِيَّةُ دَمْعٍ فَوْقَ خَدِّ مَوْرَدِ

رجع ابن الرومي :

رجع

لابن الرومي

فَقَضْلُ الْقَضِيَةِ أَنَّ هَذَا قَائِدٌ      زَهَرُ الرَّيِّعِ وَأَنَّ هَذَا طَارِدُ  
شَتَّانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مُوَعِدٌ      بِتَصَرُّمِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاعِدُ

(١) يَدَّجُونُ : قَدَّعَلِي سَمَاءَهُ الْقَيْمِ ، وَحَرَّتُهُ : شَمْسُهُ ، وَمُطْلَعٌ : اسْمُ لِمَكَانِ

الطَّلُوعِ ، وَمُحْتَجِبٌ : اسْمُ لِمَكَانِ الْإِحْتِجَابِ (م) .

(٢) مُسْتَهْتَرًا : مُوَلَّعًا (م) .

فإذا احتضنت به فأنقذ صاحب  
 ينهى النديم عن القبيح بلخطه  
 اطلب بقلبك في الملاح سميه  
 والورد إن فئت فرد في اسمه  
 هذى النجوم هي التي ربينها  
 فانظر إلى الولدين ، من أدناها  
 أين الحدود من العيون قاسه  
 وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم في هذا المذهب ، وذهبوا إلى تفضيل  
 الورد ؛ فادّأوه وما استطاعوه .

لأحمد بن يونس  
 الكاتب برد على  
 ابن الرومي

قال أحمد بن يونس الكاتب رداً عليه :  
 يا من يشبه نرجساً بنواظر  
 دُعي ، تلعب إن فهت راقد  
 إن القياس لمن يصح قياسه ،  
 بين العيون وبينه متباعداً  
 والورد أصدق للحدود حكاية  
 فلام تجحد فضله يا جاحداً  
 ملك قصير عمره مستأهل  
 تخليده ، لو أن حياً خالد  
 إن قلت إن الورد فرد في اسمه  
 مافى للملاح له سمى واحداً  
 فالشمس تفرّد باسمها والمشتري  
 والبدر يشرك في اسمه وعطارد  
 أوقلت إن كواكباً رينها  
 بحياً السحاب كما يرربى الوالد<sup>(١)</sup>  
 قلنا أحقهما يطبع أليه في  
 جدوى هو الزاكي النجيب الراشد  
 زهر النجوم ترؤفنا بضياها  
 ولها منافع جنة وعوائد  
 وكذلك الورد الأنيق ترؤفنا  
 وله فضائل جنة وقوائد  
 وخليفه إن غاب ناب بنفعه  
 وينقحه أبداً مقيم راكداً

(٢) حيا السحاب : ماؤه .

(١) في نسخة « مساعد » .

إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا ذَكَرْنَا بَعْدَهَا      وَضَعْتَ عَلَيْهِ دَلَالًا وَشَوَاهِدًا  
فَانْظُرْ إِلَى الْمُصَفَّرِ لَوْ أَنَّ مِنْهُمَا      وَافْظُنْ فَا يَصْفَرُ إِلَّا الْحَاسِدُ

نِيز من النظم والنثر  
فِي صفات النور والزهر

لَعَلَّيْنِ الْجَهْمِ

قال علي بن الجهم :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أَعْجَبَهُ      حُسْنُ الرِّيَاضِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْفَرْدِ  
بَدَا فَأَبْدَتْ لَنَا الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا      وَرَاحَتِ الرِّيحُ فِي أَثْوَابِهَا الْجُدْرِ  
وَقَابَلَتْهُ يَدُ الْمُشْتَاكِ تُسَنِّدُهُ      إِلَى التَّرَائِبِ وَالْأَخْشَاءِ وَالْكَبْدِ  
كَأَنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ صَبَابِهِ      أَوْ مَانِعًا جَفَنَ عَيْنِهِ مِنَ الشُّهْدِ  
بَيْنَ النَّدِيمِينَ وَالْعَلِيلِينَ مَضْرَعُهُ      وَسَيَّرَهُ مِنْ يَدِهِ مَوْصُولَهُ يَدِ  
مَا قَابَلَتْ ظُلُمَةَ الرِّيحَانِ طَلَمَتَهُ      إِلَّا تَبَيَّنَتْ فِيهِ ذِلَّةُ الْحَسَدِ  
قَامَتْ بِحُجَّتِهِ رِيحٌ مُطْطَرَّةٌ      تَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْكَبَدِ  
لَا عَذَابَ اللَّهِ إِلَّا مَنْ يُعَذِّبُهُ      بِمُسْمِعٍ بَارِدٍ أَوْ صَاحِبٍ تَكِيدِ<sup>(١)</sup>

وكان أردشير بن بابك يصف الورد ويقول : هودج أبيض ، وياقوت أحمر ،  
على كرامس زبرجد أخضر ، توسطه شذور من ذهب أصفر ، له رقة الخمر ،  
ونفحات العطر<sup>(٢)</sup> أخذه محمد بن عبد الله بن طاهر فقال :

لحمدي بن عبد الله  
بن طاهر

كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ مُطِيفٌ بِهَا      زُرُودٌ وَسَطُهُ شَدْرٌ مِنَ الذَّهَبِ  
فَأَشْرَبَ عَلَى مَنْظَرٍ مُسْتَظَرٍّ حَسَنٍ      مِنْ خَمْرٍ مَزَّةٍ كَالْجَمْرِ فِي اللَّهَبِ<sup>(٣)</sup>

للتوكل

وقال يزيد الهللي : أَحَبُّ لِلتَّوَكَّلِ أَنْ يَسَادَمَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، الْخَلِيعِ ، وَابْنُ الضَّحَّاكِ

(١) للمسمع - على زنة اسم الفاعل - للنفى (م) .

(٢) مزة : لذيذة الطعم (م) .

البصري ، وأن يَرَى ما بَقِيَ من غَرْفِهِ وشهوته لما كان عليه ؛ فأخضره وقد كبر  
وضُمَّفَ ، فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : استعِه ؛ فسقاه وحياء بوردة ،  
وكانت على شفيع أبوابٌ ، فمدَّ الحسين يده إلى درج شفيع ، فقال المتوكل :  
أتمخض غلامِي بمحضرتي ؟ كيف لو خَلَوْتَ به ! ما أحوَجَكَ يا حسينُ إلى أدب !  
وكان المتوكل غمز شفيعا على العيب به ، فقال حسين : سيدي ، أريد دواة وقرطاسا ؛  
فأمر له بهما ، فكتب :

وكالوردة البيضاء حَيًّا بأحمرٍ من الوردِ يسى في قراطيق كالوردِ<sup>(١)</sup>  
له عبتاتٌ عند كلِّ تحيةٍ بكفيه يستدعى الخليلُ إلى الوجدِ  
تمنيتُ أنْ أُنشئ بكفيه شربةً تذكرنى ما قد نسيْتُ من التهدِ  
سقى الله عيشا لم أتم فيه ليلةً من الدهر إلا من حبيب على وعدِ  
ثم دفع الرقعة إلى شفيع ، وقال : أدفعها إلى مولاك ؛ فلما قرأها استملحها ،  
وقال : لو كان شفيع ممن تجوز هبته لو هبته لك ، ولكن بحياتي يا شفيع إلا كنت  
ساقيه بقيّة يومه ! وأمر له بمال كثير حل معه لما انصرف .  
قال يزيد المهلبى : فصرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام ،  
قلت : ويحك ! أتندرى ما صنعت ؟ قال : لا أدعُ عادتي بشيء ، وقد  
قلت بعدك :

لا رأى عطفة الأجنبِ مَنْ لا يصرحُ  
أضمرُ السائقين أشكلُ عندي وأملحُ  
لو تراه كالظبي ينسج طورا ويبرحُ  
خلت غصنا على كئيب بنور يوشحُ

(١) القراطيق : جمع قرطوق ، وهو ضرب من اللباس .



قال الصولي : وكان الأول من آيات الحسين من قول العباس بن الأخف :

بيضاء في خمر الثياب كوردة بيضاء بين شقائق النعمان

تهتز في غيد الشباب إذا مشت مثل اهتزاز نواجم الأعنان

قال أبو بكر الصولي : كان عند الخصى الوزير طعي داجن ربيب في داره ، فعمد إلى نيلوفر فأكله ، فاستملح الفزال وأنه ، وقال : لو عمل في أنس هذا الفزال وفعله بالنيلوفر لاشتمل العمل على معنى مليح ! فبلغ الخبر أبا عبد الله إبراهيم ابن محمد بن عرفة فخطوبه ، فبادر لثلاثين ، وعمل آياتنا أولها :

جرت طيبة غناء ترعى بروضة تنوش لدى أنفانها ورقاً خضراً<sup>(١)</sup>

في آيات غير طائلة ، فاستبرد ما أتى به ، قال الصولي : قلت :

ونيلوفر يحكي لنا منك طيبة تراه على الذات أفضل مُستعِد

قد اجتنى خوف الحادثات بجنة تروق كنبوب الراهب المتعبد

تركب كالكاسات في ذهبيّة على قصب مخضرة كالزبرجد

والبس ثوباً بفضل الأخط حسنه كما عيئت عين بخد مؤرد

غذته أهاضيب السماء بدرها تروح عليه كل يوم وتقتدي

تلبس للأنوار ثوب سمائه ففضل عنه الحسن في كل مشهد

وفي وسطه منه اصفرار يربنه كياقوتة زرقاء في رأس عسجد

أطاف به أخوى اللداع شادين حكى طرف من أخوى وحسن المقلد<sup>(٢)</sup>

كما أخذ الظمان بالقم كاسه ولم يستعين في أخذه الكاس باليد

[ وصف أيام الربيع ]

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع<sup>(٣)</sup> :

لابن وكيع

يوم أنك بوجه التهلل ناهيك من يوم أغر محبيل

(١) تنوش : تتناول (م) .

(٢) أخوى : وصف من الحوة وهي السمرة ، والمقلد : اللوح الذي تلبس

فيه القلادة ، يريد أن الظبية حكمت من اللوح عنها وجيدها (م) .

(٣) في نسخة « أبو الحسن محمد بن علي » .

خَلَعَ النِّصَامُ عَلَى اخْضِرَارِ سَمَائِهِ  
وَكَا الرُّبَى حُلَّالًا تَخَالَفَ شَكْلَهَا  
وَتَمَايَلَتْ فِيهِ قَدُودُ غُصُونِهِ  
وَعَلَا عَلَى الْأَشْجَارِ قَطَرُ سَمَائِهَا  
يَحْكِي قِيَابَ زُمُرَدٍ قَدْ كَلَّتْ  
وَأَتَاكَ نَوْرُ الْبَاقِلَاءِ كَأَنَّمَا  
الْوَزْدُ يُجْجِلُ كُلَّ نَوْرٍ طَالِعٍ  
وَحَكِي يَبَاضُ الطَّلَعِ فِي كَافُورِهِ  
فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا عَرُوسٌ أَقْبَلَتْ  
فَاشْرَبَ مُعْصِفَرَةَ الْقَيْصِ سُلَافَةً

وقال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح  
البستي

مَزَجَ السَّحَابُ ضِيَاءَهُ بِظِلَامِ  
وَالْقَيْمُ يَبْكِي مِثْلَ طَرْفِ هَامِ  
وَصَلَتْ سِجَامُ دُمُوعِهِ بِسِجَامِ  
وَبَهْنٌ تَصْفُو لَذَّةَ الْأَيَّامِ  
وَمَعْنِيَا غَرْدًا، وَكَأَنَّ مُدَامِ

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

لأبي الفضل  
الميكالي

تَرَكْنَهُ تَجْرُوحًا بِلَا إِنْصَادِ  
ضَحِكْتَ لَسَاجِمَا رَبِّي الْأَنْجَادِ  
تُرْهِى بِثَوْبِي حُرَّةً وَسَوَادِ  
وَبَدَتْ شَقَاقِيهَا خِلَالَ رِيَاضِهَا

(١) أقبل: وصف من قبل - بالتحريك - وهو إقبال سواد العين على جهة الأنف.

فَكَأَنَّهَا بِنْتُ الشَّاءِ تَوَجَّتْ      لَمَعًا بِهِ كَشَفِيقَةِ الْأَوْلَادِ  
فَقَنُوهُ حُمْرُهَا خِضَابُ نَجْمِهِ      وَسَوَادُ كُتُوبِهَا لِبَاسُ حِدَادِ

وقال :

تَصَوَّغْتُ لَنَا كَفُّ الرِّبْعِ حَدَاتِهَا      كَقَعْدِ عَفِيقِ بَيْنِ سَمَطِ لَالِ  
وَفِيهِنَّ أَنْوَارُ الشَّقَاتِ قَدْ حَكَّتْ      حُدُودَ عِذَارِي قَطَعْتَ بِغَوَالِ

وقال :

كَأَنَّ الشَّقَاتِ إِذْ أَبْرَزَتْ      غِلَالةَ دَادٍ وَتَوَبَّأَ أَحْمَمُ<sup>(١)</sup>  
قَطَاعٌ مِنَ الْجَمْرِ مَشْبُوبَةٌ      فَأَطْرَافُهَا لَمَعٌ مِنْ سَمَمِ

وقال في حديقة ربحان :

أَعْدَدْتُ مُحْتَفَلاً لِيَوْمِ فَرَاعِي      رَوْضاً غَدَاً لِنَاسِ عَيْنِ الْبَاغِي<sup>(٢)</sup>  
رَوْضِ يَرْوُضُ هُمُومَ قَلْبِي حُسْنُهُ      فِيهِ لِكَأْسِ الْأَنْسِ أَيْ مَسَاغِرُ  
فَإِذَا بَدَتْ قُضْبَانُ رِيحَانٍ بِهِ      حَيْثُ بِمَثَلِ سِلَاسِلِ الْأَضْدَاغِ

وقال في الترجس :

أَهْلًا بِتَرْجِسِ رَوْضِ      يَرْوِي بِحَسَنِ وَطِيبِ  
يَرْوُو بَقِيَّتِي غِزَالِ      عَلَى قَفِيبِ رَطِيبِ  
وَفِيهِ مَتْنِي خَفِيٌّ      يَزِينُهُ لِقُلُوبِ  
تَضَحِيقُهُ إِنْ نَسَقَتِ الْحُرُوفَ      يَرْوِي حَبِيبِ

وقال :

وَمَاضٍ شَمَلِ الْأَنْسِ يَوْمًا كَنْزِجِسِ      يَقُومُ بِذُنْرِ اللَّهِ عَنِ خَالِجِ الْعُذْرِ<sup>(٣)</sup>  
فَأَحْدَاقُهُ أَحْدَاقُ تَبْرِيرٍ ، وَسَاقُهُ      كَقَامَةِ سَاقِي فِي غِلَالِهِ الْخُضْرِ

(١) داد : مولع باللهو واللعب ، واللعب يقال له : دد ، والأحمم : الأسود (م) .  
(٢) الباغى : قيم البستان . (٣) العذر : جمع عذار .

سَقَى النَيْثُ أَكْنَافَ الْوَيْ من محلة  
ولا زال مخضراً من الرّوضِ يانعٌ  
شقائق يحملن الندى فكأنّه  
ومن لؤلؤ في الأقحوان منظمٍ  
كأن جنى الحوذان في روث الضمى  
إذا راحتها مُرْنَةٌ بكرت لها  
رباع تردت بالرياض مجودةً  
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت  
تليها بتلك البارقات الرّواعِد

[ في مجلس المبرد ]

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه : قال لي البحري وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسلكنا مسلكا من المذاكرة : أشعرت أنى سبقت الناس كلهم إلى قولي :

شقائق يحملن الندى فكأنّه  
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت  
هكذا أنشد ، فاستحسن ذلك المبرد استحساناً أسرف فيه ، وقال : ما سمعت مثل هذه الألفاظ الرطبة ، والمبارة القدبة ، لأحدٍ تقدّمك ولا تأخر عنك . فاعترفته أريحية جربها رداء العجب ؛ فكأنّه أعجبنى ما يعجب الناس من مراجعة القول ؛ قلت : يا أبا عبادة ، لم تسبق إلى هذا ، بل سبقك سعيد بن حديد الكاتب إلى البيت الأول بقوله :

عَذَّبَ القَرَأَى لَنَا قَبِيلٌ وَدَاعِنَا ثُمَّ اجْتَرَعْنَاهُ كَسِمَ نَاقِعِ

وَكُنَّا أُرُ الدَّمْعَ بِخَدَّهَا طَلَّ نَسَاقَطُ فَوْقَ وَرْدٍ يَانِعٍ  
وَشَرَكْتَ فِيهِ صَدِيقُنَا أَبُو الْعَبَّاسِ النَّاشِي . بَمَا أَتَشَدَّيْهِ آفَا :

بَكَّتْ لِلْفِرَاقِ وَقَدْ رَاعَى بَكَاهُ الْحَبِيبُ لُبْعَدِ الْبَيَارِ  
كَانَ الدَّمْعُ عَلَى خَدَّهَا بَقِيَّةَ طَلٍّ عَلَى جُلْنَارِ<sup>(١)</sup>  
وَمَا أَسَاءَ عَلَى بْنِ جَرِيحٍ ، بَلْ أَحْسَنَ فِي زِيَادَتِهِ عَلَيْكَ بِقَوْلِهِ :

لَوْ كُنْتَ يَوْمَ الْوَدَاعِ شَاهِدَنَا وَهْنٌ يُطْفِئُ غَلَّةَ الْوَجْدِ  
لَمْ تَرَ إِلَّا دَمْعَ بَاكِئٍ تَبْفُحُ مِنْ مَقْلَةٍ عَلَى خَدٍّ  
كَانَ تِلْكَ الدَّمْعُ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرَجِسٍ عَلَى وَرْدٍ  
وَسَبَقْتَ أَبُو تَمَامٍ إِلَى مَعْنَى الْيَتِيمِ مَعًا بِقَوْلِهِ :

مِنْ كُلِّ زَاهِرَةٍ تَرْقُوقُ بِالنَّدَى فَكَانَهَا عَيْنٌ إِلَيْهِ تَحْدَرُ  
تَبْدُو وَيَحْجِبُهَا الْجِيمُ كَانَهَا عَذْرَاهُ تَبْدُو تَارَةً وَتَخْفَرُ<sup>(٢)</sup>  
خَلَقَ أَطْلًا مِنَ الرِّيحِ كَأَنَّهُ خَلَقَ الْإِمَامَ وَهَذِيهِ الْمُنْتَشِرُ  
فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدْلِ الْإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنْ الرِّيحِ النَفْسُ سَرِحَ يَزْهَرُ<sup>(٣)</sup>  
يُنْسِي الرِّيحُ وَمَا يَرَوْضُ جُودُهُ أَبْدَأَ عَلَى مَرٍّ أَلِيَّالَى يَذْكُرُ  
قَالَ : فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَحَلَّ حَبُونَهُ وَنَهَضَ ، فَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِمَوَاسِنَتِهِ  
وَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدٍ ، وَقَدَحَ ذَلِكَ فِي حَالِي عِنْدَهُ .

\*\*\*

للبحرئى فى  
الدخ

وَقَالَ الْبَحْرِيُّ يَمْدَحُ الْهَيْثَمَ بْنَ عُمَانَ الْفُتَوَى :  
أَلَسْتُ تَرَى مَدَّ الْقُرَاتِ كَأَنَّهُ جِبَالُ شَرَوْزَى جِيْنٍ فِي الْبَحْرِ عَوْمًا  
وَمَا دَاكَ مِنْ عَادَاتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ رَأَى شَيْئَةً مِنْ جَارِهِ فَعَمَلًا

(١) الْجُلْنَارُ : زَهْرُ الرِّمَانِ ، وَهُوَ فَارْسِيٌّ مُعَرَّبٌ . (٢) الْجِيمُ : النَّبْتُ الْغَزِيرُ .  
(٣) السَّرْحُ : كُلُّ شَجَرٍ طَالٍ .

وقد بته التوروز في غبش الدجى  
يُفتحها بردُ الندى فكأنه  
ومن شجر ردّ الربيع لياسه  
أحلّ فأبدى للعيون بشاشة  
فما يمنع الراح التي أنت خلها  
وما زلت خللاً للندى إذا اعتدوا  
تكرمت من قبل الكتوس عليهم

أوائل وزد كُن بالأس نوّما  
يبت حديثاً بينهنّ مكتماً  
عليه كما نشرت برداً منمنماً  
وكان قدّى للعين مذ كان محزوماً  
وما يمنع الأوتار أن تترنماً  
وراحوا بدوراً يستحيون أنجماً  
فما اسطعن أن يحدن فيك تكرماً

حيثك عنا شمال طاف طافها  
هبت سحيراً فاجى الضن صاحبه  
ورق تنفى على خضر مهذله  
تخال طائرهما نشوان من طرب  
ولابن المعتز في أرجوزته البستانية التي

لابن المعتز  
بذم الصبوح

ذم فيها الصبوح صفة جامعة ، إذ قال :  
ونشر المنور بزداً أصفراً  
واعتنق الورد اعتناق الوامق  
وخدّم كهامة الطاوس  
منظم كقطع العقيان  
قد استمدّ للاء من ترب ندى  
وجدول كالبرد الحلى  
كأنه مصاحف ييض الورق  
تخالها تجسمت من نور  
قد خجل اليابس من أصحابه

أما ترى البستان كيف نوراً  
وضحك الورد إلى الشقائق  
في روضة كحلية العروس  
وياسمين في ذرى الأغصان  
والسرو مثل قصب الزبرجد  
على رياضي وترى ندى  
وفرّج الخشخاش جيباً وفتق  
أو مثل أقذاج من البلور  
وتبغضه عريان من أثوابه

مثل الدبابيس بأيدي الجُنْدِ  
كقُطُنٍ قد مَسَّهُ بعضُ بَلَلٍ  
ودَخَلَ اللِّيدَانِ فِي صِمَانِهِ  
كَأَنَّهُا جَاهِجٌ مِنْ عَنَبٍ  
جُمُوعَةٌ كَهَامَةِ الشَّمْسِ  
وجوهرٍ مِنْ زَهَرٍ مُخْتَلَفٍ  
أو مثل أَعْرَافِ دِيوَكِ الهِنْدِ  
قد صُقِلَتْ أَنْوَارُهُ بِالْفَطْرِ

لأبي الفتح  
كشاجم

كَارِضِي الصَّدِيقِ عَنْ الصَّدِيقِ  
أَتَمَّ لَهُ الصَّنِيعَةَ فِي الْفُوقِ  
كَأَنَّ ثَرَاهِ مِنْ مِسْكٍ فَتِيحٍ  
بَقَايَا الدَّمْعِ فِي خَدِّ مَسُوقِ  
فَالَتْ مِثْلَ شُرَابِ الرَّحِيقِ  
مُخَصَّرَةً شَقَائِقُ مِنْ عَفِيقِ  
صَنِيعِ اللَّطَمِ فِي الْخَلْدِ الرَّقِيقِ

مُتَعِيلَ الْوَبْلِ سَرِيعَ الرَّكْعِ  
مُتَعِيلًا بَطُولُهُ وَالْمَرْصِ  
ثُمَّ سَمَا كَاللُّؤْلُؤِ الْمُرْقَعِ  
فِي حَلِيهَا الْحَمَرُ وَالْبَيْضُ  
مِثْلَ الْخُلُودِ تَقَشَّتْ بِالْمَغْصِ

تُبْعِرُهُ عِنْدَ انْتِشَارِ الْوَرْدِ  
وَالسَّوْسَنُ الْأَزَارُ مَنْشُورِ الْحُلَلِ  
نَوَّرَ فِي حَاشِيَتِي بُسْتَانِهِ  
وَقَدْ بَدَتْ فِيهِ ثَمَارُ الْكَنْكَرِ  
وَحَلَقَ الْبَهَارُ بَيْنَ الْأَسْرِ  
خِلَالَ شَيْخٍ مِثْلَ شَيْبِ النَّصَفِ  
وَجُلْنَارِ كَأَحْمَرَارِ الْوَرْدِ  
وَالْأَقْحَوَانِ كَالْتِنَائَا الْغُرِّ  
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كَشَاجِمُ :

وَرَوْضٍ عَنْ صَنِيعِ النَّيْثِ رَاضٍ  
إِذَا مَا الْقَطْرُ أَشْمَعُهُ صَبُوحًا  
يُسِيرُ الرِّيحُ بِالنَّفْحَاتِ رِيحًا  
كَأَنَّ الطَّلَّ مُنْتَشِرًا عَلَيْهِ  
كَأَنَّ غَصُونَهُ سَقِيتَ رَحِيقًا  
كَأَنَّ شَقَائِقَ النِّعَامِ فِيهِ  
يَذْكُرُنِي بِنَفْسِهِ بَقَايَا  
وَقَالَ :

غَيْثُ أَتَانَا مُؤَذِّنًا بِالْخَفْضِ  
دَنَا فَنِلْنَاهُ دَوْنِ الْأَرْضِ  
إِنَّمَا إِلَى الْإِنْفِ بَسِيرٌ يُفْضِي  
فَالْأَرْضُ تُجَلْسِي بِالنَّبَاتِ الْغَضِّ  
مِنْ سَوْسَنِ أَحْوَى وَوَرْدِ غَضٍّ

وَأَقْحُونِ كَاللَّجَيْنِ الْمُخَضِرِ      وَتَرْجِسِ ذَاكِي النِّسِيمِ بَيْضَ  
مِثْلَ الصُّيُونِ رَقَّتْ لِلْعَمَضِ      تَرْتُو فَيَنْشَاهَا الْكَرَى فَتُغْضِ

جملة من هذا النوع لأهل العصر

قال أبو فراس الحمداني :

لأبي فراس  
الحمداني

وَجَلَنَارٍ مُشْرِقٍ      عَلَى أَعَالِي شَجَرَةٍ  
كَأَنَّ فِي رُؤُوسِهِ      أَحْمَرَهُ وَأَصْفَرَهُ  
قُرَاضَةً مِنْ ذَهَبٍ      فِي خِرْقَةٍ مُصَفَّرَةٍ

وقال :

وَيَوْمَ جَلَّاهُ الرِّبْعَ رِيَاضَهُ      بِأَنْوَاعٍ حَلَى فَوْقِ أَثْوَابِهِ انْخَضِرُ  
كَأَنَّ ذُبُولَ الْجَنَارِ مُطْلَعَةً      فَضُولُ ذُبُولِ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْأَزْرُ

وقال أبو القاسم بن هاني ، يصف زهرة رُمانٍ قطفت قبل عَقْدِهَا :

لأبن هاني  
يصف زهرة  
رمان

وَبُنْتُ أَيْكٍ كَالشَّبَابِ النَّضِيرِ      كَأَنَّهَا بَيْنَ الْفُصُونِ الْخَضِيرِ  
جَنَانُ بَازٍ أَوْ جَنَانُ صَقِيرٍ      قَدْ خَفَّتْهُ لِقْوَةُ بَوَاكِرٍ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّمَا سَحَّتْ دَمًا مِنْ تَحْرِ      أَوْ تَبَنَّتْ فِي تَرْبَةٍ مِنْ جَمْرِ  
[ أَوْ سَقِيَتْ بِمِدْوَلٍ مِنْ خَرٍ ]      لَوْ كَفَّ عَنْهَا الدَّهْرُ صَرَفُ الدَّهْرِ  
جَاءَتْ كَمِثْلِ التَّهْدِيدِ فَوْقَ الصَّدْرِ      تَفَتَّرَتْ عَنْ مِثْلِ الْأَنَاتِ الْخَمْرِ  
فِي مِثْلِ طَلْمِ الْوَصْلِ بَعْدَ الْهَجْرِ

ولهم في هذا المعنى

رَوْضَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا ، وَتَأَنَّقَ وَاشِيهَا . رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ الْمُنَظَّمَةِ ، عَلَى الْبُرُودِ  
لِلْمُنَمَّاتِ . رَوْضَةٌ قَدَرَتْ أَرْضَهَا كَفُّ الْمَطَرِ ، وَدَبَّجَتْهَا أَيْدَى النَّدَى . أَخْرَجَتْ الْأَرْضُ



أسرارها، وأظهرت يدُ الفَيْثِ آثارها، وأبدت الرياضُ أزهارها. الرياض كالعرانس في حليها وزخارفها، والقيان في وشيها ومطارفها، باسطة زرايتها وأنماطها، ناشرة حيراتها ورباطها، زاهية بجمراتها وصفرائها، نائمة ببيدائها وغذرائها، كأنما احتفلت لوفد، أو هي من حبيب على وعد. روضة قد تصوّغت بالأرج الطيّب أرجاؤها، وتبرّجت في ظلال الغمام صحراؤها، وتنافجت بنوافج المسك أنوارها، وتعارضت بفرائب النطق أطيافها. بستان رق نوره النضيد، وراق عوده النضير. بستان عوده خضر، ونوره نضير، ويئمه خضيل، وماؤه خعر. بستان أرضه للبقل والريحان، وسماؤه للنخل والرمان. بستان أنهاره مفروزة بالأزهار، وأشجاره موقرة بالثمار. أشجاره كأن الحور أعارتها قدودها، وكتتها برودها، وحاتها عقودها. الربيع شباب الزمان، ومقدمة الورد والريحان. زمن الورد مرثوق، كأنه من الجنة مسروق. قد ورد كتاب الورد، بإقباله إلى أهل الود. إذا ورد الورد، صدر البرد. مرحباً بإشراف الزهر، في أطراف الدهر، وأنشد:

سقى الله ورداً صار خدّاً ربيعنا      فقد كان قبل اليوم ليس له خد  
كان عين الترجس عين، وورقه ورق<sup>(١)</sup> الترجس نزهة الطرف، وظرف الطرف، وغذاء الروح: شقائق كتيجان العقيق على رهوس الزوج، كأنها أضداع المسك على الوجنت الموردة. شقائق كالزئوج تجارحت وسالت دماؤها، وضغمت فسال دماؤها. كان الشقيق جام من عقيق أحر، ملئت قرارته مسك لذقر. الأرض زمردة، والأشجار وشى، والماء سيوف، والطيور قيمان. قد غردت خطباء الأطياف، على منابر الأنوار والأزهار. إذا صدح الحمام، صدى الحمام قلب المستهام. انظر إلى طرب الأشجار لفناء الأطياف. ليس للبلابل كنفاء البلابل<sup>(٢)</sup>، وشمّر بابل.

(١) العين المشبه بها: الذهب، والورق - بكسر الراء - الفضة (م).

(٢) البلابل الأول: الأشجان، والثانية الطيور الموردة واحدها بلبل (م).

ولهم فيما يتعلق بهذا النحو في وصف أيام الربيع

يوم سماءه فأخضت ، وأرضه طاروسية . يوم جلايب غيومه رواق ، وأزديّة  
نسيمه رفاق . يوم تمتك السماء ، متصفر الهواء ، متصفر الرّوض ، مُصنّدل  
الماء . يوم زُرّ عليه جيب الضباب ، وانسحب فيه ذيل السحاب . يوم سماءه  
كالغزّ الأدكن ، وأرضه كالديباج الأخضر

شادن يَرْتَمِي القلوب بيننا دَ ولا يَرْتَمِي الكلا بالنّجاش  
أقبلت والربيعُ يختالُ في الرّوض وفي المزن ذى الحيا التّجّاج<sup>(١)</sup>  
ذو سماء كاذكن الخُرّ قد غيَمت وأرض كالأخضر الديباج  
فجلى عن كل ما يتقى موعد الكدخداء والميلاج  
فطللتا في تزهتين وفي حُنين بين الأرمال والأهراج  
بفتاة نسرنا في اللّثاني وصُفُوز نسرنا في الزّجاج  
أخذت من ردوس قوم كرام نازها عند أرجل الأعلاج  
يوم حسن الشائل ، تمتيع الخليل ، سَجَسَجُ الهواء ، مُؤنِقُ الأرجاء .

يوم تَبَسَّم عنه الربيعُ ، وتبرّج عنه الرّوض للربيع . يوم كأنّ سماءه ما تمّ تباكي ،  
وأرضه عروس تتجلى . يوم مشهر الأوصاف ، أغرّ الأطراف . يوم يُفنى فيه  
النور وينتبه ، وتُسفر فيه الشمس وتفتّح ، وتشتيق النّصون وتنفق ، ويوشى  
النيم وينسكب . يوم غاب نَحْسُهُ وهوى ، وطلع سَعْدُهُ واعتلى ، والزمان ساقطة  
جواره ، مُقَمَّةُ أنهاره ، مُوَهَّاةُ أشجاره ، مفرّدة أطيّاره . نحن في غبّ سماء ،  
قد أظلمت بعد الارتواء ، وأفتشت عند الاستنفاء ، فالتبّت خضيل ممطر ،  
والنّقع ساكن محصور . يوم جوفه طاروني ، وأرضه طاروسى . يوم دجته حاكف ،  
وقطره وارّكف . يوم من أعياد المُمرِّ ، وأعيان الدّهْرِ .

(١) الحيا : اللطر ، والتجّاج : كثير السيلان (م) .

## [ الريح والرفاق ]

ولم في تشبيه محسن الريح بحسن الإخوان والساعة :  
 غَيْثٌ مُتَشَبِّهٌ بِكَفِّكَ ، واعتداله مُضَاهٍ خَلْقَكَ ، وزهره مُوَازٍ لِلشَّرِكِ<sup>(١)</sup> ،  
 كأنما استمار حلله من شيبتك ، وحلته من سجيّتك ، واقتبس أنواره من محاسن  
 أيامك ، وأمطاره من جودك وإنعامك . قدم الريح مُنْتَسِباً إلى خلقك ،  
 مُكْتَسِباً محاسنه من طبعك ، متوشحاً بأنوار لفظك ، متوضّحاً بأنوار لسانك  
 ويدك . أنا في بستان أذكركني وزده للفتح بخلقك ، وجذوله الساج بطبعك ،  
 وزهره الجنيّ بقرّبك . أنا في بستان كأنه من شماتك سُرِق ، ومن خلقك خُلِق ،  
 وقد قابلني أشجار تشايل فتذكرني تهرج الأحباب ، إذا تداوتهم أيدي  
 الشراب ، وأنهار كأنها من يدك تسيل ، ومن راحتك تفيض . أنا على حافة  
 حوضي أرزق كصفاء مودتي لك ، ورقة قولي في عتبك .

## [ الصوم في الريح ]

وقال ابن عون الكاتب :

جاءنا الصوم في الريح فهلاً اغتار ربنا من سائر الأرباع<sup>(٢)</sup>  
 وكان الريح في الصوم عِقدٌ فوق نحر غطاء فضل قنّاع  
 [ يوم الشك ]

وكتب أبو الفتح كتابه إلى بعض إخوانه بتدعيه إلى زيارته في يوم شك :  
 هو يوم شكٍّ يا عاى وبشره مذ كان يُحدّر  
 والجو حُلته ممكة ومطره مُنْبِر  
 والماء ففوق القيميس وطيسان الأرض أخضر  
 نبت يُعتمد زهره في الرّوض قطر ندى تحدّر  
 ولنا فضيلات تحكو ن ليومنا قوتا مقدّر

(١) النثر - بالفتح - الرائحة الطيبة (٢) كل فصل ربيع من السنة

ومُدَامَةٌ صَفَاهُ أَذْ رَكَعُهَا كِسْرَى وَقِصْرُ  
فَانْشَطْنَا لَنَا لِنَحْثُ مِنْ كَاسَاتِنَا مَا كَانَ أَكْثَرُ  
أَوْ لَا فَإِنَّكَ جَاهِلٌ إِنْ قُلْتَ إِنَّكَ سَوْفَ تُنْذَرُ

وكتب بديع الزمان إلى بعض أهل همدان :

من بديع  
الزمان لبعض  
أهل همدان

كتابي - أطال الله بقاءك - عن شهر رمضان ، عرفنا الله بركة مَقْدَمِهِ ،  
وَيَمُنْ مُحْتَثِهِ ، وَخَصَّكَ بِتَقْصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَإِعْلَامِ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ؛ فَهُوَ -  
وَإِنْ عَظُمَتْ بَرَكَتُهُ - قَلِيلٌ حَرَكْتُهُ ، وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهُ بَعِيدَ قَعْرِهِ ، [ وَإِنْ  
عَمَتْ رَأْفَتُهُ ، طَوِيلَ مَسَافَتِهِ ، وَإِنْ حَسُنَتْ قُرْبَتُهُ ، شَدِيدَ صَحْبَتِهِ ، وَإِنْ  
كَبُرَتْ حَرَمَتُهُ كَثِيرَ حَشْمَتِهِ ، وَإِنْ سَرَتْنا مُبْتَدَاهُ فَلَنْ يَسُوءَ نَامَتْنَاهُ ] فَإِنْ حَسُنَ  
وَجْهُهُ فَلَيْسَ يَقْبَحُ قَفَاهُ ، وَمَا أَحْسَنَهُ فِي الْقَدَالِ ، وَأَشْبَهَهُ إِدْبَارَهُ بِالْإِقْبَالِ ،  
جَعَلَ اللَّهُ قُدُومَهُ سَبَبَ تَرْحَالِهِ ، وَبَذَرَهُ فِدَاءَ هِلَالِهِ ، وَأَمَدٌ فَلَكَ  
تَحْرِيكًا ، بِتَقْصِي مُدَّتِهِ وَشِيكًا ، وَأَظْهَرَ هِلَالَه نَحِيفًا ، لِيَزِفَ إِلَى اللِّذَاتِ  
زَفِيْفًا ، وَعَفَا اللَّهُ عَنْ مَزْجِ يَكْرِهِهِ ، وَنَحْوِ يُسْخِطُهُ .

عول البديع في هذا الكلام على قول أبي الفضل بن العميد في رسالة له في  
مثل ذلك :

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَرِّفَنِي بَرَكَتَهُ ، وَيُلْقِيَنِي الْخَيْرَ فِي بَاقِي أَيَّامِهِ وَخَاتِمَتِهِ ؛ وَأَرْغَبُ  
إِلَيْهِ فِي أَنْ يَقْرِبَ عَلَيَّ الْقَلْبَكَ دَوْرَهُ ، وَيَقْصُرَهُ سَيَرَهُ ، وَيُخَفِّفَ حَرَكَتَهُ ،  
وَيُجَبِّلَ نَهْضَتَهُ ، وَيَنْقُصَ مَسَافَةَ فَلَكِهِ وَدَائِرَتِيهِ ، وَيَزِيلَ بَرَكَתَ الطَّوْلِ عَنِ  
سَاعَاتِهِ ، وَيَرُدُّ عَلَيَّ غُرَّةَ شَوَالٍ ، فَهِيَ أَسْنَى الْعُرْرِ عِنْدِي ، وَأَقْرَبُهَا لَعِينِي ؛  
وَيُطْلِعَ بَذَرَهُ ، وَيُرِيَنِي الْأَيْدِيَّ مُتَطَلِّبَةَ هِلَالِهِ بِيَشْرٍ ، وَيَسْمَعُنِي النَّثَى لَشَهْرِ  
رَمَضَانَ ، وَيَعْرِضَ عَلَيَّ هِلَالَهُ أَخْفَى مِنَ السَّحَرِ ، وَأَعْظَمَ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأُنَحِّفَ  
مِنْ تَجَنُّونِ بْنِ عَامِرٍ ، وَأَتَلِيَّ مِنْ أَسِيرِ الْحَجَرِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ جِلَّ وَجْهِهِ مَا قُلْتُ  
إِنْ كَرِهَهُ ، وَأَسْتَغْفِيهِ مِنْ تَوْفِيقِي لِمَا يَذْمُهُ ، وَأَسْأَلُهُ صَفْحًا يُغْفِيهِ ، وَعَفْوًا  
بُوسَمِهِ ، إِنَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَتَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .

## [ عَوَاقِبُ الطَّيْشِ ]

قال المأمون لطاهر بن الحسين : صِفْ لِي أَخْلَاقَ الْخُلُوعِ . قال : كان واسعَ  
 الصَّدْرِ ، ضَيِّقَ الْأَدَبِ ، يُبَيِّحُ مِنْ نَفْسِهِ مَا تَأْتِيهِ هِمَمُ الْأَحْرَارِ ، وَلَا يُضَيِّقُ إِلَى  
 نَصِيحَةٍ ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةَ ، يَسْتَبْدُ بِرَأْيِهِ ، وَيُبْخَسِرُ سَوْءَ عَاقِبَتِهِ ؛ فَلَا يَرُدُّهُ ذَلِكَ  
 عَمَّا يَهْمُهُ بِهِ . قال : فكيف كانت حروبُهُ ؟ قال : كان يجمعُ الكتائبَ بالتبذيرِ ،  
 ويفرُّقُها بسوءِ التدبيرِ . فقال المأمون : لذلك حلَّ ما حلَّ به ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ذَاقَ  
 لَذَاتِ النَّصَاحِ ، وَاخْتَارَ مَشُورَاتِ الرِّجَالِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عَنْ شَهَوَاتِهَا ، لَمَا ظَفِرَ بِهِ .

## [ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ ]

ولما عقد الرشيدُ البيعةَ لِلْأَمِينِ وهو أصغرُ من المأمون لأجل أُمِّهِ زُبَيْدَةَ ،  
 وكلامِ أَخِيهِ عِيسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، وَقَدَّمَهُ عَلَى الْمَأْمُونِ ، جَلَّ بَرَى فَضْلُ عَقْلِهِ فَيَنْدَمُ  
 عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ :

لَقَدْ بَانَ وَجْهُ الرَّأْيِ لِي غَيْرَ أَنْفَى      غُلِبْتُ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا  
 فكيف يَرُدُّ الدَّرَّ فِي الضَّرْعِ بَعْدَمَا      تَوَزَّعَ حَتَّى صَارَ نَهْبًا مَقْسَمًا  
 أَخَافُ التَّوَاءَ الْأَمْرَ بَعْدَ اسْتَوَائِهِ      وَأَنْ يَنْقُضَ الْحَبْلُ الَّذِي كَانَ أَبْرَمًا  
 قال أسد بن يزيد بن مزيد : بعث إلى الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن  
 الأَنْبَارِي ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي صَحْنِ دَارِهِ ، وَفِي يَدِهِ رُقْعَةٌ قَدْ غَضِبَ لَهَا نَظْرَ  
 فِيهَا ، وَهُوَ يَقُولُ : يَنَامُ نَوْمَ الظَّرِبَانِ ، وَيَنْتَبِهُ انْتِبَاهَ الذَّنْبِ ، هُمَّتُهُ بَطْنُهُ ، وَلَقَّتْهُ  
 قَرْحُهُ ، لَا يَفْكَرُ فِي زَوَالِ نَفْعَةٍ ، وَلَا يَتَرَوَّى فِي إِمْضَاءِ رَأْيٍ وَلَا مَكِيدَةٍ ، قَدْ  
 شَمَّرَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ سَاقِهِ ، وَفَوَّقَى لَهُ أَسَدٌ سِهَامِهِ ، يَرْمِيهِ عَلَى بُعْدِ الدَّارِ بِالْحَتَفِ  
 النَّافِذِ وَالْمَوْتِ الْقَاصِدِ ، قَدْ عَجَّى لَهُ اللَّيَالَى عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ ، وَنَاطَ لَهُ الْبَلَاءُ فِي  
 أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ وَرَشْفَارِ السِّیُوفِ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِشَعْرِ الْجَعِثِ :

يُقَارِعُ أَتْرَاكُ ابْنَ خَاقَانَ لَيْلُهُ      إِلَى أَنْ يَرَى الْإِصْبَاحَ لَا يَتَلَمَّعُ  
 فَيَصْبِحُ فِي طُولِ الطَّرَادِ وَجِسْمُهُ      نَحِيلٌ ، وَأُضْحَى فِي النِّعَمِ أَصَمُّ

طاهر  
 ابن الحسين  
 يصف الأمين

فستان ما بيني وبين ابن خالد أمية في الرزق الذي الله يقسم  
ثم قال: يا أبا الحارث، أنا وأنت تجزى إلى غاية إن قصّرنا عنها ذمتنا،  
وإن اجتهدنا في بلوغها انقطعنا؛ وإنا نحن شعبة من أصل، إن قوى قوتنا،  
وإن ضُفّ ضُفعا؛ إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكفاء: يشاور النساء،  
ويستد على الرؤيا، وقد أمكن أهل اللهو والخسارة من نعمه؛ فهم يمتنونه  
الظفر، ويعدونه عواقب الأيام؛ والهلاك إليه أسرع من السيل إلى قيعان  
الرملي؛ وقد خشيت أن تهلك بهلاكه، ونطلب بقطبه، وأنت فارس العرب  
وابن فارسها، وقد فزع إليك في لقاء طاهر لأمرين: أحدهما صدق طاعتك،  
وقد نصحتك؛ والثاني يمن قيتك، وشدة بأسك؛ وقد أمرني أن أبسط يدك،  
غير أن الاقتصاد رأس النصحية، ومفتاح البركة؛ فبادر ما تريد، وعجل النهضة،  
فإني أرجو أن يوليكَ الله شرف هذا الفتح، ولم بك شمت الخلافة .  
قلت له: أنا لطاعتك وطاعة أمير المؤمنين مُقدم، ولما وهن عدو كما مؤثر؛  
غير أن الحارب لا يفتح أمره بتقصير؛ وإنا ملاك أمره الجنود، والجنود  
لا تكون بلا مال، وقد رفع أمير المؤمنين الرغائب إلى قوم لم يجدوا عليه،  
ومنى تمت من أقدار به الانتفاع له الرضا بدون ما أخذه غيره ممن لم يكن عنده  
غناء ولا مئونة، لم ينظم بذلك التدبير، واحتاج لأصحاب رزق سنة قبيضا،  
وحلا إلى ألف فرس لحل من لا أرضى فرسه، وإلى مال أستظهر به، لا ألام  
على وضعه حيث رأيت . فقال: شاور أمير المؤمنين؛ فأدخلني عليه، فلم تدّر  
بيني وبينه كلمتان حتى أمر بحبسني .

ويروى أن الأمين لما أعتته مكاييد طاهر قال :

بُليت بأشجع الثقلين قسًا      تزول الراسيات وما يزولُ  
له مع كل ذي بدن رقيبٌ      يشاهده ويعلمُ ما يقول  
فليس بمنفٍ — لأمراً عناه      إذا ما الأمرُ ضيَّته الجبول

الأمين  
يصف طاهر  
ابن الحسين

الفضل  
بن الربيع  
وابنه وأبوه

وفي الفضل بن الربيع يقول بعض الشعراء :

كَمْ مِنْ مَقِيمٍ بِبُغْدَادٍ عَلَى طَعْمٍ      لَوْلَا رَجَاءُ أَبِي الْعَبَّاسِ لَمْ يُقِيمِ  
الْبَدْرُ إِنْ نَظَرُوا، وَالْبَحْرُ إِنْ رَغَبُوا      وَالْحِصْنُ إِنْ رَهَبُوا، وَالسَّيْفُ ذُو النَّقَمِ  
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَضْلِ بْنُ الرَّبِيعِ : مَا مَدَحْنَا شَاعِرًا بِشَعْرِ أَحَبِّ

إِلَيْنَا مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

سَادَ الْمُلُوكُ ثَلَاثَةٌ مَا مِنْهُمْ      إِنْ حُصِّلُوا إِلَّا أَغْزَى قَرِيبِ  
سَادَ الرَّبِيعِ وَسَادَ فَضْلٌ بَعْدَهُ      وَعَلَتْ بِعَبَّاسٍ الْكَرِيمِ فُرُوعُ  
عَبَّاسٍ عَابَسُ إِذَا احْتَدَمَ الْوَعْنَى      وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعُ  
وَقِيلَ لِلْعَنَابِيِّ : أَمَدَحْتَ أَحَدًا ؟ قَالَ : لَا ، وَلَيْسَ لِي عَلَى ذَاكَ قُدْرَةٌ ، فَقِيلَ لَهُ :

قَدْ مَدَحْتَ الرَّبِيعَ ، قُل : ذَلِكَ لِيَوْمٍ يَسْتَحِقُّ فِيهِ الْمَدْحَ ، قُلْتَ :

وَمَعْضَلَةُ قَامَ الرَّبِيعُ إِزَاءَهَا      لَتَيْمِدَ رُكْنَ الدِّينِ لَمَّا تَهْدَمَا  
بِمَكَّةَ وَالْمَنْصُورَ رَهْنِ كَمَا أَنَّى      أَخَا الْوَحْيِ دَاعِي رَبِّهِ فَتَدَمَا  
غَدَاةَ عِدَاةِ الدِّينِ شَاخِذَةً لِلدَّيِّ      إِلَيْهِ وَغُولُ الْحَرْبِ فَاعْرِثُهُ فَمَا

[ بيعة المهدي ]

وكان المنصور قد توفى بمكة وهو حاكم في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة،  
فأخذ الربيع للمهدي البيعة على الناس، وأخذ بتجديدها عن المنصور على أنه حي،  
وأدخل إليه قومًا فرأوه من بعيد وقد جلّهُ بشوب، وأقبل إلى جنبه من بحر كيد  
وكانه يومئذ بها إليهم، فلم يشكوا في حياته؛ فخالف أحد؛ فشكره المهدي  
لذلك، وفي ذلك يقول أبو نواس في مدحه الفضل بن الربيع :

أَبُوكَ جَلَى عَنْ مُصَرٍّ      يَوْمَ الرُّوَاقِ الْمُخْتَصِرِ  
وَالْحَرْبِ تَقْرِي وَتَنْدَرُ      لِمَا رَأَى الْأَمْرَ اقْتَصَرُ  
قَامَ كَرِيمًا فَانْتَصَرَ      كَهَرَةِ الْمُضْبِ الذِّكْرُ

ما من من شيء هبّير وأنت تفتاف الأثر  
من ذي حُجُول وغُرُز

وقال أيضاً :

آلَ الرِّيحِ فَضَلْتُمْ فَضْلَ الخَمِيسِ عَلَى العَشِيرِ<sup>(١)</sup>  
من قاسَ غَيْرَكُمْ بِكُمْ قاسَ التَّمَادِ إِلَى البُحُورِ  
أين القليل بشو القليل من الكثير بنى الكثير  
أين النجومُ التَّالِيَا ت من الأهلَّةِ والبُودِ  
قومٌ كَفَوْا أيامَ مَكَّةَ نازلَ الخَطْبِ الكِيرِ  
وتدارَكُوا نَصَرَ الخِلَا فَعِ وَفِي شاسعةِ النَّصِيرِ  
لولا مقامُهُم بهـ هَوَاتِ الرِوَا سِ من نَبِيرِ

ومن قول أبي نواس : « من قاسَ غَيْرَكُمْ بِكُمْ ... » البيت ، أخذ

أبو الطيب المتن :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ . وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا

فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهورٍ جُدُودَنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا تَرَجَّى التَّلَاقِيَا

[ وقت كلام الملوك ]

من كلام الفضل بن الربيع : وقال الفضل بن الربيع : من كَلَّمَ الملوكَ في الحاجاتِ في غيرِ وَقْتِ الكلامِ

لم يظفر بحاجته ، وضاع كلامه ، وما أشبههم في ذلك إلا بأوقات الصلوات لا تُقبل

الصلوة إلا فيها ، ومن أراد خطابَ الملوكِ في شيء فليؤخِّرْ وقتَ الذي يصلح

في مثله ذِكْرُهُ ما أراد ، ويسبب له شيئاً من الأحاديث بحسن ذِكْرِهِ بعقبه .

وقال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ؛ أكان في حقِّ عليك ،

وحق آيائي ونعمهم عندأيك وعندك ، أن تثلبني<sup>(٢)</sup> وتُسبني ، وتُخرِّضَ علي دمي ؟

أحبُّ أن أضل بك ما فعلته بي ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عَذْرِي يُحَدِّدُكَ إِذَا كَانَ واضِحاً جليلاً ، فكيف

(١) الخميس : الخميس ، العشير : العشر . (٢) تثلبني : تتقصصني وتعييني (م) .



إذا حَفَنَ الميوب ، وَبَجَّخَتِ الذنوب ؛ فلا يَصِيقُ عَنَى من عَفْوِكَ ما وسعَ غَيْرِي منك ،  
فَأَنْتَ كما قال الشاعر فيكَ :

صَفُوحٌ عَنِ الأَجْرامِ حَتَّى كَأَنَّهُ      من العَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا  
وَلَيْسَ يُبَالَى أَنْ يَكُونَ بِهِ الأَذَى      إِذَا ما الأَذَى لَمْ يَفْشَ بِالْكَرِهِ مُسْلِمًا  
والشعر للحسن بن رِجاء بن أبى الضحاك .

[ بين المنصور والربيع ]

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع ، فقال : سلفى مأثر يد ،  
فقد سكنت حتى نطقت ، وخففت حتى ثقلت ، وأقللت حتى أكثرت .  
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أَرْهَبُ بَخْلِكَ ، ولا أَسْتَصْفِرُ عَمْرِكَ ،  
ولا أَسْتَصْفِرُ فَضْلَكَ ، ولا أَعْتَمِمْ مَالِكَ ؛ وإن يوى بفضلِكَ عَلَيَّ أَحْسَنُ من  
أَمْسَى ، وَعَدْلُكَ فى تَأْمِيلِ أَحْسَنُ من يوى ؛ ولو جاز أن يَشْكُرَكَ مثلى بغير  
الْخِدْمَةِ والمُنَاصَحَةِ لما سَبَقَنِي لذلك أحد .

قال : صدقت ، عَلَيَّ بهذا منك أَحْلَكَ هذا الحِلَّ ؛ فَسَلِّني ما شِئْتَ  
قال : أسألك أن تقربَ عبدك الفضل ، وتؤثره وتحبته .  
قال : ياربيع إن الحب ليس بمال يؤهب ، ولا رُبَّةٌ تُبْذَلُ ؛ وإيمانوكُده الأسباب .  
قال : فاجعل لى طريقا إليه ، بالفضل عليه

قال : صدقت ، وقد وَصَلْتُهُ بألف ألف درهم ، ولم أصل بها أحدًا غير  
عمومتي ؛ لنعلم ما له عندى ، فيكون منه ما يَسْتَعْدِى به محبَّتِي ، ثم قال :  
فكيف سألت له الهبة ياربيع ؟

قال : لأنها مفتاحُ كل خير ، ومغلاقُ كل شر ، تُسْتَرَبها عندك عيوبُهُ ،  
وتَصِيرُ حسناتِ ذنوبِهِ .

قال : صدقت وأتيت بما أردت فى بابِهِ .

أخذ قوله : « خفت حتى قتلت » أبو تمام فقال لحمد بن عبد الملك الزيت :  
 لا بني تمام يمسح  
 ابن الزيت  
 على أن إفراط الحياء استألى إليك ، ولم أعدل برضى ممدلاً  
 فقتلت بالتخفيف عنك ، وبعضهم يخفف في الحاجات حتى يُقتلاً

[ سهل بن هارون والرشد ]

ودخل سهل بن هارون على الرشد ، وهو يصاحك المؤمن ، فقال : اللهم  
 زده من الخيرات ، وانسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من أيامه  
 مريباً<sup>(١)</sup> على أمسه ، مقصراً عن غده .

فقال له الرشد : يا سهل ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن  
 الحديث أفصحه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يُجزه القول .

فقال سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ؛ ما ظننت أن أحداً تقدمنى إلى هذا المعنى .  
 قال : بل أغشى همدان حيث يقول :

رايتك أمس خَيْرَ بنى لؤى وَأَنْتَ اليومَ خَيْرُ مَنْكَ أَمْسِ  
 وَأَنْتَ غداً تَزِيدُ الْخَيْرَ ضِعْفاً كَذَاكَ تَزِيدُ سَادَةَ عَبْدِ شَمْسِ

[ من شعر الفضل بن الربيع ]

ومن شعر الفضل بن الربيع ما أنشده الصولى :

إنى امرؤ من هاشمِ بَفَنَاءِ مَقْمُورِ النَّوَاحِ  
 أهل الهدى وذوى الثقى وأولى البسالة والسباحِ  
 أهل المعالم والمكارم فى المساء وفى الصباحِ

(١) مريباً : اسم الفاعل من « أربى » إذا زاد (م) .

أهل البسوة والخلافة والكمال برغم لاجي  
يتألمون من المشدود ويصبرون على الجراح

[ بين ابن خاقان وأبي العيناء ]

تحمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء على دابة زعم أنها غير فاره<sup>(١)</sup>،  
فكتب إليه : أعلم الوزير ، أعزه الله ، أن أبا علي عمدا أراد أن يبرئني فمضى ،  
وأن يركني فأرجلاني ، أمر لي بدابة تنف للفرزة<sup>(٢)</sup> ، وتنف بالبرزة ، كالنضيب  
اليابس عجفا<sup>(٣)</sup> ؛ وكالعاشق المهجور دنا ، قد أذكرت الرواة عذرة العذرى ،  
والمجنون العامري ، مساعد أعلاه لأسفله ، حياقه مقرون بسعاله ، فلو أمستك  
لخرجت ، ولو أفرد لتزيت ، ولكنه يجمعهما في الطريق المصور ، والمجلس  
المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر منشد ، تضحك من قيله النشوان ،  
وتتناهى من أجله الصبيان ؛ فن صائح يصيح : دأوه بالطباشير ، ومن قاتل  
يقول : نوله الشعر ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء في  
الأمصار ، فلو أعين بنطق ؛ لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر  
الشعبي ؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ،  
وإن اختار لغيره أخبث وأزور ؛ فإن رأى الوزير أن يبدلني به ، ويريمني منه  
بمركوب يضجكني كما ضحك مني ، يمحو بحسنه وقراءته ، ماسطره القيب  
بقبحه ودمايته ؛ ولست أذكر أئمة سرجه ولجامه ؛ فإن الوزير أكرم من أن  
يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يحميه .

فوجه عبيد الله إليه برذونا من براذنه يسرجه ولجامه ، ثم اجتمع مع محمد  
ابن عبيد الله عند أبيه ، فقال عبيد الله : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني الآن أنه  
يشتره منك بمائة دينار ، وما هذا منه لا يشتكي .

(١) فاره : أي جيدة قادرة على السير (م)

(٢) البرزة : النبرة : الصيحة (م)

(٣) العجف : الهزال (م)

قال : أعز الله الوزير ، لو لم أكذب مستزيداً ، لم انصرف مستفيداً ، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : « الآن حصّص الحق » ، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . فضحك عبيد الله ، وقال : حجّتك الداحضة بملاحتك وغلظتك أبلغ من حجة غيرك البالغة .

قطعة من رسالة أجاب بها أبو الخطاب الصابي

عن أبي العباس بن ساهور إلى الحسين بن صبرة

عن رقعة وردت منه في صفة حمل أهده

وصلت رُفعتك ، فقصصتها عن خطِّ مُشرف ، ولفظ مُونق ، وعبارة مُصيبة ، ومعانٍ غريبة ، واتساع في البلاغة يميّزُ عنه عبد الحميد في كتابته ، وقسّ وسجّبان في خطابته ؛ وتصرف بين جدِّ أمضى من القدر ، وهزل أرق من نسيم السحر ، وتقلب في وجوه الخطاب ، الجامع للصواب ؛ إلا أن الفعل قصّر عن القول ، لأنك ذكرت حملاً ، جعلته بصفتك جَملاً ، فكان المتيدي الذي تسمع به ولا أن تراه . وحضر فرايت كِبشاً متقدّماً الميلاد ، من تتاج قوم عاد ، قد أفتنته الدهور ، وتماقبت عليه العصور ، فظننته أحد الزوجين اللذين جعلهما نوح في سفينته ، وحفظ بهما جنس النعم لئلا يته ؛ صغر عن الكبر ، ولطف عن القدم ، فبانّت دمايته ، وتماصرت قامته ، وعاد ناحلاً ضئيلاً ، بالياً هز يلاً ، يادى السقام ، عارى العظام ، جامعاً للمايب ، مشتتلاً على المتأليب ، يعجبُ العاقل من حلول الحياة به ، وتأتى الحركة فيه ، لأنه عظم مجلّد ، وصوف مُلبّد ، لا تجدد فوق عظامه سلباً ، ولا تنقّي يدك منه إلا خشباً ، لو ألقى إلى السبع لأباه ، ولو طرح للذئب لعاقه وقلاه ، قد طال لكلاً قَدُّه ، وبعد بالمرعى عهده ، لم ير التّ إلا نائماً ، ولا عرف الشّعير إلا حالماً ، وقد خيّرني بين أن أقتنيه فيكون فيه غنى

الدهر ، أو أذبحه فيكون فيه خصب الرجل ؛ فملت إلى استبقائه لما تعرف من محبتي في التوفير ، ورغبتى للتشمير ، وجمعى للولد ، وأدخارى لعد ، فلم أجد فيه مستمعا للبقاء ، ولا مدقعا للفناء ؛ لأنه ليس بأبقى فتحيل ، ولا ببقى فينسل ، ولا بصحيح فيترعى ، ولا بسليم فينبقى ؛ فلت إلى الثانى من رأيك ، وعولت على الآخر من قولك ، وقلت : أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيم رطباً مقام قد يدب الغزال ، فأنشأنى وقد أضربت النار ، وحذت الشغار ، وشمر الجزار :

أعيـذها نظراتـي منك صادقـة . أن تحسب الكـرم فيمن شـحنه ورم  
وقال : ما الفائدة لك في ذبحى ؟ وأنا لم يبق منى إلا نفس خافت ، ومقلة  
إنسانها باهت : كنت بذى نلّم ، فأصلح للأكل ؛ لأن الدهر قد أكل كل لحي ،  
ولا جلد يصلح للذباغ ؛ لأن الأيام قد مرّت أدبى ، ولألى صوف يصلح  
للغزل ؛ لأن الحوادث قد حصّت وبرّى ؛ فإن أردتني للوقود فكف ؛ بحر أبى  
من نارى ، ولن تبقى حرارة جمرى بريح فتارى ، فلم يبق إلا أن تطلبنى بذحل<sup>(١)</sup>  
أو بينى وبينك دم . فوجدته صادقاً في مقاتته ، ناصحاً في مشورته ، ولم أعلم من  
أى أمرته أحجب ؛ أئمن بمأطلته الدهر بالبقاء ، أم من صبره على الضر والأواء<sup>(٢)</sup> ،  
أم من قدرتك عليه مع إغواز مثله ، أم من تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره ؟  
وياليت شعرى إذ كنت — وإليك سوق النعم ، وأمرك ينفذ في الضأن والمعر ،  
وكل كبش سمين وحمل بطين مجلوب<sup>(٣)</sup> إليك ، مقصور عليك — تقول فيه قولا  
فلا تردّ ، وتريده فلا تصدّ ، وكانت هديتك هذا الذى كأنه نأثر من القبور ،  
أو قائم عند النفع في الصور ، فما كنت مهدياً لو أنك رجل من عرض  
الكتاب ، كأبى على وأبى الخطاب ، ما كنت تهدى إلا كلباً أجرب ، أو  
قرداً أهدب .

(٢) اللأواء : الشدة (م)

(١) الذحل : الثأر (م)

[ المحدثون وشاة سعيد بن أحمد ]

وقال المحدثون في شاة سعيد بن أحمد بن خوسنداذ :

أَسِيدٌ قَدْ أُعْطِنِي أَصْحَبَةً      مَكَّنْتُ زَمَانًا عِنْدَكُمْ مَا تَطْعَمُ  
نِصْوَاً تَعَاوَرَتِ الْكِلَابُ بِهَا وَقَدْ      شَدُّوا عَلَيْهَا كَيْ تَمُوتَ فَيُؤْلُوا  
فَإِذَا لِللَّا ضَحِكُوا بِهَا قَالَتْ لَهُمْ :      لَا تَهْزُءُوا بِي وَارْحَمُونِي تَرْحَمُوا  
مَرَّتْ عَلَى عِلْفٍ قَامَتْ لَمْ تَرَمْ      عَنْهُ ، وَغَتَّ وَلِلدَائِمِ تَسْجَمُ  
وَقَفَّ الْمُهْوِي بِحَيْثُ أَنْتَ فَلَيسَ لِي      مُتَأَخَّرُ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمُ<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ أَيْضًا :

أَبَا سَعِيدٍ لَنَا فِي شَاتِكَ الْيَمْرُ      جَامَتْ وَمَا إِنْ لَهَا بَوْلٌ وَلَا بَمْرُ  
وَكَيْفَ تَبْقَرُ شَاةٌ عِنْدَكُمْ مَكَّنْتُ      طَعَامُهَا الْأَيُّضَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
لَوْ أَنَّهَا أَبْصَرَتْ فِي نَوْمِهَا عِلْفًا      غَنَّتْ لَهُ وَدَمَوْعُ الْعَيْنِ تَنْحَدِرُ  
يَا مَانِي لَدَّةَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا      إِنْ لِي لِفَتْنِي مِنْ وَجْهِكَ الْغَلَرُ  
وَقَالَ أَيْضًا :

شَاةٌ سَعِيدٍ فِي أَمْرِهَا عِزُّ      لَمَّا أَتَقْنَا قَدْ مَسَّهَا الضَّرُّ  
وَهِيَ تَغْيِي مِنْ سُوءِ حَالِهَا      حَسَنِي بِمَا قَدْ لَقِيتُ بِالْعَمْرِ  
مَرَّتْ بِعُطْفِ خَضِرٍ يَنْشُرُهَا      قَوْمٌ فَظَلَّتْ بِأَنَّهَا خُضِرُ  
فَأَقْبَلَتْ نَحْوَهَا لَتَأْكُلَهَا      حَتَّى إِذَا مَا تَبَيَّنَ الْخَبَرُ  
وَأَبْدَلَتْهَا الظُّلُونُ مِنْ طَعْمِ      يَأْسَانَتْ وَاللَّحْمُ مُنْجَدِرُ  
كَانُوا بَعِيدًا وَكَتَبْتُ أَمْلَهُمْ      حَتَّى إِذَا مَا تَقَرَّبُوا هَجَرُوا

قَالَ :

لِسَعِيدٍ شَوَيْتَةٌ      سَلَّهَا الضَّرُّ وَالنَّجَفُ  
قَدْ تَفَنَّتْ وَأَبْصَرَتْ      رَجُلًا حَامِلًا عِلْفُ

(١) هذا البيت من شعر دجيل الخزاعي

بَأْيٍ مِّنْ بَحْفَةٍ      رُزْمَايٍ مِّنَ الدَّفَنِ  
فَأَنَّاهَا مَطْمَعًا      وَأَتَتْهُ لَتَعْتَلِفَ  
فَسَوَّلَى فَاقْبَلَتْ      تَنَفَّى مِنَ الْأَسَفِ  
لَيْتَهُ لَمْ يَكُن وَقَفَ      عَذَّبَ الْقَلْبَ وَأَنْصَرَفَ

[الحدوني وطيلسان ابن حرب]

[قال]: وإذ قد جَرَتْ بعضُ تضمينات الحدوني في هذا الموضع فأنا أذكر هنا قطعة من شعره في الطيلسان، وأنمط في غير هذا الموضع إياها وأكر عليها؛ وكان أحمد بن حرب الهلبي من المنعمين عليه، والحسين إليه، وله فيه مدائح كثيرة، فوهب له طيلساناً أخضر لم يرْضَه، قال أبو العباس اللهردي: فأنشدنا فيه عشر مقطعات، فاستحلينا مذهبها فيها، فبصلها فوق الحسين؛ فطارت كل مَطَّار، وسارت كل مَسَار، فمنها:

يَا بَنِي حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانَا      مَلٌّ مِنْ صُحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَا  
غَشِبْنَا نَسِجَ الْمَنَاقِبِ قَدْ حَا      لَ إِلَى ضَعْفِ طَيْلَسَانِكَ سَدَا  
طَالَ تَرْدَادُهُ لِيَدِ الرَّفِيقِ حَقِ      لَوْ بَقَيْنَاهُ وَحْدَهُ لَتَهْدَى  
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

يَا طَيْلَسَانُ ابْنِ حَرْبٍ قَدْ هَمَمْتُ بِأَنْ      تُؤْدِيَ بِحَسِي كَأَوْدَى بِكَ الزَّمَنُ  
مَا فِيكَ مِنْ مَلْبَسٍ يَغْنَى وَلَا تَمْنِ      قَدْ أَوْهَمْتُ حِيلَتِي أُرْكَأُ نِكَ الْوَهْنُ  
فَلَوْ تَرَانِي لَدَى الرَّفَاءِ مُرْتَبِطًا      كَأَنِّي فِي بَدْيِهِ الدَّهْرُ مُرْتَمِنُ  
أَقُولُ حَسِينَ وَأَتَى النَّاسُ الزَّيْمُ      كَأَنَّمَا أَلَى فِي حَانُوته وَطَنُ  
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَزَلْنَا      فَلَا قَحْشَ وَانَّةَ مِنَّا مَزَلُ قَمِينُ  
وَقَالَ:

قُلْ لَابْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَا      نَكَ قَوْمُ نُوْحٍ مِنْهُ أَحَدُثُ

أَفْنَى الْقُرُونِ وَلَمْ يَزَلْ عَنْ مَبْغَى مِنْ قَبْلِ يُوْرَثْ  
وَإِذَا النُّيُوتُ لُحِظَتْ فَكَأَنَّهُ بِاللَّحْظِ يُحْرَثْ  
يُودِي إِذَا لَمْ أَرْفُفْهُ فَإِذَا رَفَوْتُ فَلَيْسَ يَلْبَثْ  
كَالْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْبَثْ

وقال :

قُلْ لَابْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَانُكَ قَدْ مَتَيْنُ فِيهِ لِمُبْصِرِهِ  
وَكَأَنَّهُ الْخُرُّ الَّتِي وَصَفَتْ فَإِذَا رَمَنَاهُ فَقِيْلَ لَنَا :  
أَتَأْرُ رَفَوُ أَوَائِلِ الْأُمِّ فِي « يَاشَقِيقُ الرُّوحِ مِنْ حَكَمٍ »  
قَدْ صَحَّ ، قَالَ لَهُ الْبَلِي : أَنْهَدِمُ  
مِثْلَ السَّقِيمِ بَرًّا فَرَاغَهُ مُنْكَسِرًا فَاسْلَمَهُ إِلَى سَقَمِ  
أَنْشَدْتَ حِينَ طَفَى فَأَعْجَزَنِي « وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْمَرْمِ »

« الْخُرُّ الَّتِي وَصِفَتْ » مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

يَاشَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ فَاشَقِيقَ الْبِكْرِ الَّتِي اعْتَجَبَتْ  
تُمَتَّ أَنْصَاتِ الشَّبَابِ لَهَا فَهِيَ لِلْيَوْمِ الَّذِي بُرِلَتْ  
عُتِقَتْ حَتَّى لَوْ اتَّصَلَتْ لَأَخْتَبَتْ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً  
فَرَعَتْهَا بِالْمَرْجِاحِ يَدٌ نَمَتْ عَنْ لَيْلٍ وَلَمْ أَمْ  
بِخِيَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ بَعْدَ أَنْ جَازَتْ مَدَى الْمَرْمِ  
وَهِيَ تَلُو الدَّهْرَ فِي التَّيْدَمِ بِلِسَانٍ نَاطِقٍ وَقَمِ  
ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمِّ خُلِقَتْ لِلْكَاسِ وَالْقَلَمِ

وقال الجعدوني :

طَيْلَسَانُ لَابْنِ حَرْبٍ جَاءَنِي فَإِذَا مَا صِغَتْ فِيهِ صَيِّحَةٌ  
خَلَعَةً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرَّةٍ تَرَكْتُهُ كَهَيْمِ الْمُحْتَظَرِ



وإذا ما الریح هبَّتْ نحوهُ  
مُطِيعُ الدَّاعِي إِلَى الرَّافِي إِذَا  
وإذا رَفَاؤُهُ حَاوَلَ أَنْ  
وَقَالَ :

أَيَا طَيْلَسَانَ أُغَيِّبْتُ طَبِي  
وَيَارِجُ صَيَّرْتَنِي أَتَمِّيكِ  
وَمُسْتَخْبِرُ خَبَرِ الطَّيْلَسَانِ  
وَقَالَ فِيهِ :

طَيْلَسَانُ لَابْنَ حَرْبٍ جَانِي  
أَنَا مِنْ خَوْفٍ عَلَيْهِ أَبَدًا  
يَابْنَ حَرْبٍ خُذْهُ أَوْ فَاقِبْهُ بَمَا  
فَلَمَّا لَقِيَ يُحْيِيهِ لَنَا  
فَهُوَ قَدْ أَدْرَكَ نَوْحًا ، فَمَسَى  
أَبَدًا يَفْرَأُ مَنْ أَبْصَرَهُ  
وَقَالَ فِيهِ :

يَابْنَ حَرْبٍ أَطَلَّتْ قَرْنِي بِرَفْوِي ،  
فَهُوَ فِي الرِّفْوِ آلُ فِرْعَوْنَ فِي الْقَرْوِ  
زُرْتُ فِيهِ مَعَانِرًا فَازْدَرَوْنِي  
جِئْتُ فِي زِيٍّ سَائِلٌ كِي أُرَاكُمْ  
وَقَالَ فِيهِ :

وَهَبْتَ لَنَا ابْنَ حَرْبٍ طَيْلَسَانَا  
يَسْلُمُ صَاحِبِي فَيَعِيدُ شَتِي  
أُجِيلُ الطَّرْفِ فِي طَرَقِيهِ طَوْلًا  
يَرِيدُ للرَّءِذَا الضَّمَّةُ انْتِصَاعًا  
لَأَنَّ الرُّوحَ يَكْسِبُهُ انْتِصَاعًا  
وَعَرَضًا مَا أَرَى إِلَّا رِقَاعًا

فلست أشك أن قد كان قديماً  
قد غيّت إذ أبصرت منه  
جوانبه على بدني تداعي  
وفي قبل التفريق يا ضباباً  
لنوح في سفينته شراً  
ولا يك مؤقف منك الوداعاً  
[ للمأمون والحسن بن رجاء ]

دخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً جليلاً على أذنه قلم ، قال : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك ، للقلب في نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، خادمتك وابن خادمتك الحسن بن رجاء . قال : أحسنت يا غلام ، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول . فأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان .  
قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : قال لي أبو العباس المبرّد : ما رأيت في أصحاب السلطان مثل إسماعيل والحسن ؛ كنت إذا رأيته رأيت رجلاً كأنما خلق للبروة منبر ، أو صدر مجلس ، يتكلم وكأنه يتنفس ، يُسهب ويُطنّب ، ويُعرب ويُعرب ، ولا يعجب ويعجب .  
أراد القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد ، والحسن ابن رجاء بن أبي الضحاك .

[ بليهة المبرّد ]

وكان أبو العباس يُعَدّ في البلاء ، وقال : لما دخلت على المتوكل اختار لي الفتّاح ابن خاقان وقت بُرْبه ، وكان الشراب قد أخذ منه ، فسألني وقال : يا بصري ، أرايت أحسن وجهاً مني ، قلت : لا والله ولا أسمع راحة ، ثم تجاسرت قلت :

للبرد عند  
التوكل

جهرتُ بحفّة لا أتعبها بشك في اليمين ولا ارتياب  
بأنك أحسن الخلفاء وجهها وأسمع راحتي ، ولا أحابي  
وأن مطيعك الأعلى محلاً ومن عاصاك يهوى في تباب<sup>(١)</sup>

قَالَ : أَحْسَنْتَ وَأَجَلْتَ فِي حُسْنِ طَبْعِكَ وَبِدَيْهَتِكَ ، قُلْتَ : مَا ظَنَنْتُكَ  
أَبْلَغُ هَذَا الشَّرَفِ ، وَلَا أَتَالُ هَذِهِ الرَّبَّةَ ؛ فَلَا زَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْمُو بِحَدِّهِ إِلَى  
أَعْلَى الرَّرَاتِبِ ، وَيُصَرِّفُهُمْ فِي الْمَذَاهِبِ .

[ من أدب المبرد ]

وَكَانَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ قَدْ غَضِبَ عَلَى بَعْضِ وَكَلَانِهِ ، فَصَارَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ  
يَسْأَلُهُ أَنْ يَكَلِّمَهُ لَهُ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُبَرِّدُ : أَنْتَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي  
جَدِّكَ الرَّشِيدِ :

بَابِي وَأُمِّي أَنْتَ مَا أَنْدَى يَدًا وَأَبْرَ مِيثَاقًا ، وَمَا أَزْكََا كَا  
يَنْدُو عَدُوَّكَ خَائِفًا ، فَإِذَا رَأَى أَنْ قَدَّرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَا كَا  
وَهَذَا مَعْنَى كَثِيرٍ .

[ في اللدح ]

أَنشَدَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَلَاثَ الْأَعْرَابِي :  
لأعرابي

كَرِيمُ بَعْضِ الطَّرْفِ فَضْلَ حَيَاتِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرَّمَاكِ دَوَانِي (١)  
وَالسَّيْفِ إِنْ لَا يَنْفَعُهُ لَأَنْ مَنَنْتُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاسَتْهُ خَشَانُ

وَهَذَا يَنَاسِبُ قَوْلَ ابْنِ الْمُعْتَزِّ فِي بَعْضِ جِهَاتِهِ :

وَيَجْرَحُ أَحْشَاءِي بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ كَلَانَ مَثْنُ السَّيْفِ وَالْحَدَّ قَاطِعُ

وَقَالَ الْأَخْطَلُ فِي بَنِي مُرَوَانَ :

مُمْ عَنْ الْجَهْلِ ، عَنْ قِيلَ الْخَلَا أَنُفَّ إِذَا أَلَيْتَ بِهِمْ مَكْرُوهَةً صَبَرُوا  
نَفْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَّرُوا (٢)

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ بِهَرْمَةِ يَمْدَحُ أَبَا جَنْفَرٍ النَّصُورِ :

كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانُ : وَجْهُ لَدَى الرِّضَا طَلِيقٌ ، وَوَجْهُ فِي الْكُرْهَةِ بَاسِطٌ  
وَلَيْسَ بِمُعْطَى الْحَقِّ حَذَرٌ غَلِيظٌ قَدَرٌ وَيَقْفُو إِذَا مَا أَمْسَكْتَهُ الْمَقَاتِلُ  
لَهُ لِحَظَاتٌ مِنْ حِفَافِي سَهْمِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَقَاتِلُ

(١) فَضْلُ حَيَاتِهِ : مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَخْمُولٌ لِأَجْلِهِ (م)

(٢) نَفْسُ الْعِدَاوَةِ : يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الرِّضَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُؤْخِذَهُمْ بِعَقْمِ (م)

( ١٢ ) — ( هـ الرَّدَادِيبُ ٢ )

فَأَمَّ الذِي آمَنَتْ آمِنَةُ الرَّدْيِ وَأُمُّ الذِي حَاوَلَتْ بِالشَّكْلِ تَأْكُلُ  
وَقَالَ الطَّائِي فِي أَبِي سَعِيدٍ مُحَمَّدٍ بْنُ يَوْسَفَ :  
لَأَبِي عَامٍ

هُوَ السَّيْلُ إِنْ وَاجَهَتْهُ أَقْدَتْ طَوْعُهُ وَتَقْتَادُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ فَيَنْبَعُ  
وَكَانَ عَصَابَةُ الْجُرْجَانِي ، وَاسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، مُتَقَطِّمًا إِلَى الْحَبْنِ بْنِ رَجَاءَ  
لِصَابَةِ  
الْجُرْجَانِي فِي  
الْحَبْنِ بْنِ رَجَاءَ

مُتَصَلًّا بِهِ ، وَهُوَ الْقَاتِلُ فِيهِ :  
وَمُحِبِّبٌ بِالنُّورِ لَيْسَ بِمَدْرَكٍ إِلَّا بِمَا تَأْتِي بِهِ الْأَنْبَاءُ  
مَلِكٌ يُحِبُّ اللَّهَ فَهُوَ بِحُبِّهِ وَيُطِيعُهُ فَتَطِيعُهُ الْأَشْيَاءُ  
يَمْشِي الْمَوْثِقًا لِلصَّلَاةِ يُقِيمُهَا وَإِذَا مَشَى لِلْحَرْبِ فَالْخَيْلَاءُ  
لَهُ دَرَكٌ أَيْمًا ابْنِ عَزِيمَةٍ يَشْوِي الزَّمَانَ وَمَالُهُ إِشْوَاهُ  
ثُمَّ عَتَبَ عَلَيْهِ فِي بَقْعِ الْأَمْرِ ، فَهَجَاهُ هَجَاءَ قَبِيحًا ؛ فَهَرَبَ إِلَى نَعْمَانَ ، ثُمَّ  
اعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا :

لَا تَخْضِبْنَ عَوَالِيَّ لِلرَّانِ إِلَّا مِنْ الْمَلَقِ النَّجِيعِ الْآنَ (١)  
وَهِيَ أَجُودُ شِعْرِ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :  
أَقْرَ السَّلَامِ عَلَى الْأَمِيرِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنْ الْمُنَادِمَةُ الرِّضَاعُ الثَّانِي  
مَا إِنْ أَنَّى حَشَى بِأَنَّكَ سَاخِطٌ حَتَّى اسْتَخَفَّ بِمَوْضِعِي غُلْمَانِي  
وَعَدَّتْ عَلَى مَطَاعِي وَمَشَارِي وَمَلَابِسِي مِنْ أَعْوَانِ الْأَعْوَانِ  
فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ :

أُبْلَغَ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّ مَحَلَّهُ مِنْ بَيْتِ الرَّأْسِ وَالْعَيْنَانِ  
لَا تَبْعِدَنَّ بَكَ الدِّيَارُ لِتَرْغَةِ وَكُنْتُمْ بَعْدَ نَوَازِغِ الشَّيْطَانِ  
فَلْيَفْرِخِ الرُّوْعُ الَّتِي رُوِّعَتْهُ إِنْ الْحُلَّ مَحَلُّ كُلِّ أَمَانٍ

[ بَيْنَ جَمِيلٍ وَعَمْرِ بْنِ أَبِي رَيْمَةَ ]

اجْتَمَعَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ الْمَذْرِيِّ بِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَيْمَةَ الْخَزَوِيِّ ، فَأَنْشَدَهُ جَمِيلُ  
بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا :

(١) عَوَالِي الرَّانِ : أَطْرَافُ الرِّمَاحِ ، وَالْعَاقُ : الدَّمُ ، وَالنَّجِيعُ : الضَّارِبُ إِلَى  
السَّوَادِ ، وَالْآنَ : الْحَارِ (م)

قَدْ فَرَّحَ الرَّاشُونَ أَنْ صَرَّمَتْ حَبْلِي      بُئَيْتُهُ أَوْ أَبَدْتُ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ  
يَقُولُونَ : مَهْلًا يَا جَمِيلُ ، وَإِنِّي      لَا أَقْسِمُ مَالِي عَنْ بُئَيْتِهِ مِنْ مَهْلٍ  
خَلِيلِي فَيَا عَشْمًا هَلْ رَأَيْتَا      قَتِيلًا بَسَكِي مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي  
قله أبو السناحية ، قال :

يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بِكَ      مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ  
فَلَا أَمْتَمَّا قَال لَمَر : يَا أَبَا الْخَطَابِ ، هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الرَّوْيِ شَيْئًا ؟ قَالَ :  
نعم ، ثم أنشده :

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِيعِ وَبَيْنَهَا      فَرَضَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي  
فَبَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءَ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا      وَمَوْقِفَهَا يَوْمًا بِقَارِعَةِ النَّخْلِ  
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بَهَا      كَتَلَ الَّذِي فِي حَدْوِكَ النَّخْلَ بِالنَّخْلِ  
فَلَسْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنْ بَرَى      عَدُوٌّ مَكَانِي أَوْ يَرَى حَاسِدٌ قَتْلِي  
وَأَقْبَلَ أَمْثَالُ الدُّمَى يَكْتَنِفُنَهَا      وَكُلُّ مُقَدِّدٍ بِالْمُؤَدَّةِ وَالْأَهْلِ  
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السَّرِّ : إِنَّمَا      مَعِيَ فَتْكَامٌ غَيْرُ ذِي رِقِيَّةٍ أَهْلِي  
قُلْتُ لَهَا : مَا بِي لَمْ مِنْ تَرْقُبٍ      وَلَكِنْ سَرِّي لِبَرٍّ يَحْمِلُهُ مِثْلِي  
فَاسْتَخَذِي جَمِيلٌ وَصَاح : هَذَا وَاقُّهُ الَّذِي طَلَبْتَ الشَّمَاءَ فَأَخْطَأْتَهُ ، فَضَلُّوْا  
يُوصِفُ الدِّيَارَ ، وَنَعْتَ الْأَحْلَالَ .

وَلَمَّا مَاتَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ نَحَى لَامْرَأَةً مِنْ مَوْلِدَاتِ مَكَّةَ ، وَكَانَتْ بِالشَّامِ ،  
فَبَكَتْ وَقَالَتْ : مَنْ لَأَ بَاطِحَ مَكَّةَ ؟ وَمَنْ يَمْدَحُ نِسَاءَهَا ، وَيَصِفُ عَاسِنَهَا ،  
وَيَبْكِي طَاعَتَهَا ؟ قِيلَ لَهَا : قَدْ نَشَأَ قَتْلِي مِنْ وَالدِ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ <sup>(١)</sup> عَلَى طَرِيقَتِهِ ،  
قَالَتْ : أَنْشِدُونِي لَهُ ، فَأَنْشَدُوهَا :

وَقَدْ أُرْسِلَتْ فِي السَّرَّاحِ بِأَنْ أَجْمَلَ      وَلَا تَقْرَبُنَا فَالْتَجَنَّبِ أَجْمَلَ  
لَمَلَّ الْعَيُونَ الرَّامِقَاتِ لَوْضَلُنَا      تَعَكِّبُ عَنَّا أَوْ تَنَامُ فَخُفْلُ  
أَنْسَ أَمْتَامُ فَبِتُوا حَدِيثُنَا      فَلَمَّا كَتَمْنَا السَّرَّ عَنْهُمْ تَوَلَّوْا

(١) هو المرجى ، وسيأتى بعد هذا نسبة وبعض خبره (م)

فا حفظوا المَهْدَ الذى كان بيننا ولا حين مَهْوًا بالتعطية أُنْجَلُوا  
فَقَسَلْتُ وَقَالَتْ : هذا أَجْلُ عِرْضِي ، وَأَفْضَلُ خَلْفٍ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَفَ  
عَلَى حَرَمِهِ وَأَمَنَهُ مِثْلَ هَذَا .

من شعر  
المرجى  
وقال عمرو بن أذينة : أنشدت ابن أبي عتيق للمرجى :  
فما ليلةٌ عندي وإن قيل ليلةٌ ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر  
بعادة الإثنين ، عندي وبالحرى يكونُ سواءً مثلاً ليلة القدر  
وما أنسى مِ الأَشْيَاءِ لَأَنْسَ قَوْلَهَا جَارَتُهَا : قَوْمِي سَلَى لِي عَنِ الْوَتْرِ  
فجاءت تقول الناس في ست عشرة ولا تمجلي عنه فإنك في أجبر  
فقال ابن أبي عتيق : هذه أفتة من ابن أبي شهاب ؛ أشهدكم أنها حرّة  
من مالى إن أجاز أهلها ذلك .

نسب المرجى  
وبعض أخباره  
والمرجى هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان ينزل بمرج  
ويعتد أخباره الطائف فنسب إليه ، وهو القائل :

هل في أدكارى الحبيب من حرّج أم هل لهم الفؤاد من فوّج  
أم كيف أنسى مسيرنا حرماً يوم حللنا بالنخل من أمج<sup>(١)</sup>  
يوم يقول الرسول قد أذنت فات على غير رقبته فليج<sup>(٢)</sup>  
أقبلت أفوى إلى رحالمهم أهدى إليها بريحها الأريج  
وكان محمد بن هشام بن المنيرة بن عبد الله بن مخزوم واليا على مكة - وهو  
خال هشام بن عبد الملك - بلغه أن المرجى هجاه ، ففرضه ضرباً بجرحا ، وأقامه  
على أعين الناس ، فجعل يقول :

سينفض لي الخليفة بعد رقى ويسأل أهل مكة عن مساقى  
على عبادة برقاء ليست من البلوى تجاوز نصف ساقى  
وتنفض لي بأستها قصى ولأه الشعب والطرف العاق

(١) أمج : قرية كثيرة النخل والزروع يسكنها قوم من قضاة (م)  
(٢) رقبته بكسر الراء - ترقب وحذر ، ولج - بوزن صفوعا أمر من الولوج (م)

غلف محمد بن هشام ألا يخرج ما دامت له ولاية ؟ فأقام في السجن سبع سنين  
حتى مات ، وهو القائل في سجنه :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا	ليوم كريمة وسيداد تفر
وخلوتني وممترك النايلا	وقد شرعت أسنتهم لنحري
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً	ولم تك نسبتي في آل عمرو
أجرر في الجوامع كل يوم	ألا لله تطلعتي وهضري
عسى الملك الجيب لن دعاء	سينجيني فيعلم كيف شكرى
فأجزى بالكرامة أهل ودى	وأجزى بالصفائن أهل ضرى

### جملة من القصول القصار لابن المعتز .

البشر دال على السخاء كما يدل النور على النور . إذا اضطرت إلى الكذاب  
فلا تصدقه ، ولا تبعه أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه .  
كما أن الشمس لا تحتفى ضوءها وإن كانت تحت السحاب كذلك الصبي لا تحتفى  
غريزة عقله وإن كان مغموراً بأخلاق الهداة . كرم الله عز وجل لا ينقض  
حكيمته ، ولذلك لا يحصل الإجابة في كل دعوة . كما أن جلاء السيف أهون من  
صنعه ، كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . إذا استرجع الله  
مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة . لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب .  
الحوادث المصّة مكسبة لخطوط جزيلة : من صواب مذكر ، وتطهير  
من ذنب ، وتنبيه من غفلة ، وتبريد بقدر النعمة ، ومروءة على  
مقارعة الدهر .

ومثل هذا الفصل محفوظ عن ذى الرياستين ، قاله بقب علة فأغار عليه  
ابن المعتز .

وكتب إلى أحمد بن محمد جواباً عن كتاب استزاده فيه : قيدت بفتح عندك

بما كنت استذميتها به ، ودُبت عنها أشيابُ سورة الفتن ، وأُستدبر ما تحب مني  
بما أحب منك .

وكتب إليه : والله لا أقابل إحسانك مني كفرًا ، ولا تبسح إحساني إليك  
من ، ولك عندي يدٌ لا أقبضها عن فضلك ، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك ،  
فتجنب ما يُخطئني ؛ فإني أصون وجهك عن ذلك الإحتذار .

وكان أحمد بن سعيد يؤدبه فتحمل البلاذري على قبيحة أم ابن المعتز يقوم  
سألوا أن تأذن له أن يدخل إلى ابن المعتز وقتًا من النهار ، فأجاب أن كادت  
تجيب ، قال ابن سعيد : فلما اتصل الخبرُ بي جلستُ في منزلي غضبان لما بلغني  
عنها ، فكتب إلى ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة .

أصبحت ابن سعيد خذن مكرمة  
سر بلقي حكمة قد هدبت شيبتي  
أكون إن شئت قبا في خطايتي  
وان أشأ فذكر زيدا في فرائضه  
أو الخليل عروضا أخا فطن  
تفكروا بذاعة ذهني في مراكبها  
وفي في صارم ماسله أحد  
عقبك شكر طويل لا تغادله  
وقس الذي ذكر : هو قس بن ساعدة الإلادي ، وقد سمع النبي صلى الله  
عليه وسلم يشمره ، وهجب منه .

وحارث : هو الحارث بن حِلْزة اليشكري ، وصف ارتجاله يوم فخره بقعيدته  
التي أنشدها بمضرة عمرو بن هند التي أولها :

أَذْنَقْنَا بِبَيْنِنَا أَشْيَاهُ رُبُّنَاوِي يُمْلِكُ مِنْهُ التَّوَاهُ

وزيد : هو زيد بن ثابت الأنصاري ، وإليه انتهى علم الفرائض . ونعمان : هو



أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه - بن ثابت، سبق أهل العراق في الفقه. واخليل بن  
أحمد القرهودي، ويقال: القراهيدي، مسوب إلى حمى من الأزدي، الجبيري .  
والكسائي: علي بن حمزة الكوفي .

[ من ابن العميد إلى بعض إخوانه ]

وكتب أبو الفضل محمد بن العميد إلى بعض إخوانه :  
أنا أشكو إليك - جفاني الله فذاك - دهر أخو وأغدوراً، وزماناً أخذوا عافراً،  
لا يمنع ما يمنع إلا ريث ما ينزع، ولا يبق فيأهب إلا زنت ما يرتجع، يبدو  
خبره لعمراً ثم ينقطع، ويخلو ماؤه جراً ثم يمتنع . وكانت منه شيمة مألوفة،  
وسجية معروفة، أن يشفع ما يؤبره بقرب انتقاض، ويهدي بلا يسطه وشك اهتاض،  
وكنا نلبسه على ما شرط، وإن خان وقسط؛ وترضى على الرغم بحكمه، ونسقم  
بقصده وظلمه، وننتد من أسباب المسرة ألا يحمي محذورهم مصمتاً بلا فراج، ولا يأتي  
مكروهه صرفاً بلا مزاج، وتعلل بما تخلصه من غفلاته، ونسرقه من ساعاته.  
وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة، وشريعة متبعة، وأعد لكل صالحة  
من الفساد حلالاً، وقرن بكل خلة من المكروه خلالاً . وبيان ذلك - جفاني  
الله فذاك - أنه كان يقع من معارضة الإلقين، بتفريق ذات البين، فقد  
أثنى مشنواً فيك بجميع ما أوعره، وما أطويه من التلوي منك أكثر مما أنشروه،  
وأحسبني قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه، وألزمت جرمًا لم يكن قدره بما يحيط  
به، وقدرته ترتقي إليه، ولو أنك أعنته وظاهرته، وقصدت صرفه وآزرته،  
وبعيتي بيع الخلق وليس فيمن زاد ولكن فيمن نقص، ثم عرضت عني إعراضاً  
غير مراجع، وأطرحني أطراح غير مجامل؛ فهلاً وجدت نفسك أهلاً للجميل  
حين لم تجدي هناك، وأنفذت من جل ما عادت من غير جريمة، ونكتبت  
ما عادت من غير جريرة، فأجبتني عن واحدة منهما؛ ما هذا التغالي بنفسك،

والتمالى على صديقك ؟ ولم تَبْذُتْنِي تَبْذَ النِّوَاةَ ، وطَرَحْتَنِي طَرَحَ القَدَاةِ ؟ ولم تَلْفِظْنِي مِن فَيْك ، وَتَمْجُنِي مِن خَلْقِكَ ؟ وَأَنَا الحَلَالُ الحُلُوْ ، والبارد العَذْب ، كيف لَا تُخَطِرُنِي بِبِلَاكِ خَطَرَةٍ ، وَتُصَيِّرُنِي مِن أَشْثَالِكِ مَرَّةً ؛ فترسل سلاما إن لم تنجسْ مَكَاتِبَهُ ، وتذكري فِيمَنْ تَذْكُرِينَ إن لم تكن مخاطبة ؟ وأحسب كتابي سِرْدُكَ عَلَيْكَ فتذكره حتى تثبت ، ولا تجمع بين اسم كاتبه وَتَصَوِّرْ شخصه حتى تذكر ؛ قد صرت عندك مِن حَمَا النِّسْيَانِ صُورَةً مِن صُورِكَ ، واسمه من صحيفة حِفْظِكَ ، ولعلك أيضا تنجس من طمعى فيك وقد توليت ، واستألتى لك وقد آيت ، ولا عجب قد يتفجر الصَّخْرُ بِالماء الزلال ، ويلين مَنْ هُوَ أَقْسَى منك قلبا فيعود إلى الوصال ، وآخر ما أقوله أَنْ وَدَى وَقْفُ عَلَيْكَ ، وَحَسْبُ فِى سَيْلِكَ . ومتى عدت إليه وجدته غصنا طريا ، فجزبه فى المداودة فإنه فى العود أَحْمَدُ .

اجتليت هذا الكلام على اختيار الاختصار .

حلّ قوله « قد يتفجر الصخرُ بالماء الزلال » من قول ابن الرومى :

يأشبه البدر فى الحسن وفى بُعْدِ المَنَالِ  
جُدَّ قَدْ تَنْفَجِرُ الصَّخْرَةُ بِالماءِ الزُّلالِ

وفى هذه الرسالة فى ذكر فتح وإن لم يستبق منه المعنى :

وقد خشنا الله تعالى هاشمَ عَبْدَ الأمير عضد الدولة بنعمة يملؤمراتب النعم موقمها ، ويفوت مقدار المواهب موضعها ، فباسمِهِ أَبْقَاهُ اللهُ - فَتُحِ القَتَحُ ، وبشاره استنزل التَّجَجُّعُ ، ويؤمن نقيته فرج الكَرْبِ ، وبسعادة جَدَّه كَشِفَ الخَطْبُ ، وباهتزازهِ للدولة وحمايته عاد إليها ماؤها ، وراجعها بهاؤها ، فزى الملك ونُصِرَ ، وذَلَّ العدو وقهر ، وَهَمَّيت أطراف الدولة ، وَحَفِظَتْ أكنافَ المَلَّةِ ، واستجدت نظام النعمة ، وسُدَّتْ ستورُ الصيانة دون الحرمة ؛ ولوجعل المولى - تَقْدَسَ اسمُهُ - لنعمته إذا تناهت على عبده جزاء غير الإخلاص فى شكره ، وقيل ما فى مقابلة المَوْهبة التى يستجدها عند خلقه غير

الإغراق في حَمْدِهِ ، لرأيت ألا أقصّر في قضاء حقّه على بعض الملوك دون بعض :  
 وجلست في صَدْرٍ ما أبذل عن هذه النعمة الأعزّين : الأهل والولد ، والأنصّرين :  
 الساعد والصّعد ، بل العميدين : القلب والكبد ؛ بل النفس كلها ، والمُهَجّة  
 بأسرها .

[ من بديع ما قيل في العتاب ]

وقال سعيد بن حميد يعاتبُ بعض إخوانه : سعيد بن حميد

أقلُّ عتابك فالبقاء قليلُ      والدَّهرُ يبدلُ تارةً ويميلُ  
 لمَّا بك من زمنٍ ذمّتُ صُروفهُ      إلّا بَكَيتُ عليه حينَ يَروُلُ  
 ولكلِّ نائبةٍ ألت مُدّةً      ولكلِّ حالٍ أقبلتُ تحوِيلُ  
 وللتّمنون إلى الإخاء جماعةٌ      إنْ حُصلوا أفنّاهم التّحصيلُ  
 ولعلَّ أحداثَ النّيةِ والرّدى      يوماً ستصدّعُ بيننا وتحولُ  
 فلئن سبقتُ لتبكينَ بحسرةٍ      وليكدرنَ عليّ منك عويلُ  
 ولتفجعنَ بمُخلصٍ لك وامقٍ      حبْلُ الوفاءِ بمُحبِّله موصولُ  
 ولئن سبقتُ ولاسقتُ ليمضينَ      مَنْ لا يشأُ كُلّه لىّ خليلُ  
 وليذهبنَ بها كلّ مروةٍ      وليُفقدنَ جَاهُها للأهلُ  
 وأراك تكلفُ بالعتابِ وودّنا      ضافٍ عليه من الوفاء دليلُ  
 ودّ بدا لدوى الإخاء جمالهُ      وبدت عليه بهجّةٌ وقبولُ  
 ولعلَّ أيامَ الحياةِ قليلةٌ      قلامَ يكثرُ عَتَبُنا وَيَطُولُ  
 وقال أيضاً :

تقدّسني أن ليس لي عنك مذهبُ      ولا لك عن سوء الخليفة مرّ عَبُ  
 أفكر في ودّ تقدام بيننا      وفي دونه قُرْبى لمن يتقرَّبُ  
 وأنت سقيمُ الودِّ رثَّ حبالهُ      وخيرُ من الودِّ البقيمُ التجبُّ

(١) في نسخة « جالها للأمول » (م) .

نُسيءٌ وَتَابَى أَنْ تَعْقِبَ بَعْدَهُ      بِحُسْنَى، وَتَلَقَّانِي كَأَنِّي مُذْنِبٌ  
وَأَحْذَرُ إِنْ جَازَيْتَ بِالسَّوِّ وَالْقَلْبِ      مَقَالَةَ أَقْوَامٍ مُمٌّ مِنْكَ أَنْجَبُ  
أَسَاءَ اخْتِيَارًا أَوْ عَرَّثَهُ مَلَلَةً      فَعَادَ يُسِيءُ الظَّنَّ أَوْ يَتَعَبُّ  
فَخِيتُ مِنَ الْوَدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا      كَمَا خَابَ رَاحِي الْبَرْقِ وَالْبَرْقُ خُلْبُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لمبيد الله بن عبد  
الله بن طاهر

إِلَى كَمْ يَكُونُ الصَّدُّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ      وَلَمْ لَا تَمَلَنَّ الْقَطِيعَةَ وَالْمُهْجَرَ؟  
رَوَيْدُكَ ! إِنْ الدَّهْرَ فِيهِ بَقِيَّةٌ      لَتَفْرِقِي ذَاتَ الْبَيْنِ فَاتَنْظُرِي الدَّهْرَ  
آخِرَ :

وَأَقْدَعَلْتُ فَلَا تَكُنْ مُتَجَنِّبًا      أَنْ الصَّدُودَ هُوَ الْفِرَاقُ الْأَوَّلُ  
حَسْبُ الْأَحِبَّةِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمْ      صَرَفُ الزَّمَانِ، فَالِنَا نَسْتَمُجِلُ؟  
آخِرَ :

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَتَسْتَمِعُ قَبْلَ بَيْنِهَا      فَفَتَرَقَ جَارَانِ دَارِهَا الْعَمْرُ  
وَيَقْرُبُ مِنَ الْمَعْنَى قَوْلُ الْمُتَنَبِّي أَيْضًا :

للمتنبي

زَوِّدْنَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا      مَ لِحُسْنِ الْوَجْهِ حَالٌ يَحْمُولُ  
وَصَلِينَا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمُقَامَ فِيهَا قَلِيلُ

[ من كلام الأعرابي ]

وقف أعرابي يسأل، فَمِيتَ به فتى، فقال : بمن أنت؟ فقال : من بنى عامر  
ابن صمصمة، فقال : من أيهم؟ فقال : إن كنت أردت عاطفة القرابة فليكنك  
هذا المقدار من المعرفة، فليس مقامي بمقام مجادلة ولا مفاخرة، وأنا أقول :  
فإن لم أكن من همامتهم فليست من أعجازهم. فقال الفتى: ما رويت عن فضيلتك إلا النقص  
في حسبك. فامتعض الأعرابي لذلك؛ فجعل الفتى يعتذر، ويخاطب الهزل والدعابة باعتذاره،

وأطال الكلام ، فقال له الأعرابي : يا هذا ، إنك منذ اليوم آذيتني بمزحك ، وقطعتني عن مسألتى بكلامك واعتذارك ، وإنك لتكشف عن جبرلك بكلامك ما كان السكوت يستتره من أمرك ، ويحك ! إن الجاهل إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط ، وإن حدث أسقط ، وإن قدر تسقط ، وإن عزم على أمر تورط ، وإن جلس مجلس الوفاق تبسط ؛ أعودُ منك ومن حاله اضطررتني إلى احتمال مثلك !

وقال إسحاق اللوصلي : قال أعرابي لرجل كان يعتمد به العطية : أسأل الذي رحمني بك أن يرحلك بي .  
وسأل أعرابي رجلا ، فأعطاه ، فقال : الحمد لله الذي ساقني إلى الرزق وسألتك إلى الأجر :

### [ للقائمة البلخيّة ]

ومن انشاء البديع من مقامات الإسكندري :

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : أفنّنت بي إلى بلخ تجارة البزّ ، فوردتها وأنا بفروّة الشباب<sup>(١)</sup> وبأل الفراغ ، وحلية الثروة ، لايهمني إلا نزهة فكر أستفيدها<sup>(٢)</sup> وشريدة من الكلام أصيدها ؛ فاستأذن على سمي مسافة متعالي ، أفصح من كلامي . ولما حني التفرق بنا قوته أو كاد ، دخل إلى شاب في زى ملّ العين ، وحلية تشوُّك الأخدعين<sup>(٣)</sup> ، وطرف قد شرب بماء الرافدين<sup>(٤)</sup> ، وتقيتني من البرّ في السناء ، بما زِدته من الشكر والثناء ؛ ثم قال : أظنّما تريد ؟ قلت :

- 
- (١) البزّة : الشعر ، وفي إحدى روايات المقامات « وأنا بعزّة الشباب »  
والعزّة : الناصية ، وهي الحصة من الشعر في مقدم الرأس  
(٢) في إحدى روايات المقامات « مهرة فكرة أستفيدها »  
(٣) الأخدعان : عرقان في صفحة الصق  
(٤) الرافدان : دجلة والفرات . والكلام هنا كناية عن وفرة الشباب

إي والله ، قال : أخصب الله رائدك ، ولا أصل قائدك ، فتي عزمت ؟ قلت :  
غداة غد ، قال :

صباح الله لا صبح اطلاق وطير الوصل لا طير الفراق  
قال : أين تريد ؟ قلت : الوطن ، قال : بلئت الوطن ، وقصيت الوطر ،  
ففي المؤد ؟ قلت : القابل ، قال : طويت الريط<sup>(١)</sup> ، وتذيت الخيط ، فأين أنت  
من الكرم ؟ قلت : بحيث أردت ، قال : إذا رجعت الله من هذه الطريق ،  
فاستجيب لي عدواً في برودة صديق ، من نجار الصفر ، يدعو إلى الكفر ،  
ويرقص على الظفر ، كذارة العين ، يحط بقول الدين ، وينافق بوجهين !  
فلمت أنه يلتمس دينارا ، قلت : لك ذلك قدا ، ومثله وعدا ، فأنشأ يقول :

رَأَيْكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى لَا زِلْتُ لِلْمَكْرُمَاتِ أَهْلًا  
صَلَبْتُ عَوْدًا وَقُتُّ جُودًا وَطَبْتُ فِرْعَا وَطَبْتُ أَصْلًا  
لَا أَسْتَطِيعُ الْقَطَاءَ حَمْلًا وَلَا أَطِيقُ السُّؤَالَ بِنَلًا  
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا وَطَلْتُ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلًا  
يَا رَحِمَةَ اللَّهِ وَالْمَعَالَى لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ مُكَلَّلًا<sup>(٢)</sup>

قال عيسى بن هشام : فَنَلْتُهُ الدِّينَارَ ، وقلت : من أين نبت هذا الفضل ؟  
قال : تَمَتَّنِي قَرِيشٌ ، ومهد لي الشرف في بطعائها . قال بعض من حضر :  
أَلَسْتُ أبا الفتح السكندري ؟ ألم أرك بالعراق ، تلوف بالأسواق ، مُكْدِيًا  
بالأوراق<sup>(٣)</sup> ؟ فأنشأ يقول :

(١) الريط : جمع ريطه ، وهي الملاءة - وهذه العبارة كناية ، يدعو له  
بأن يطوى أيام البعد عن أهله (م)

(٢) في إحدى روايات القامات « يارجمة الصهر والمعالي » والرجمة - ضم  
الراء وسكون الجيم - ما يبنى تحت النخلة الكريمة لتعتمد عليه إذا تقل حملها أو  
ضغف احتياها (م)

(٣) كدى الرجل تكديبه : أي سأل

إِنَّ اللَّهَ عَيْسِدَا أَخَذُوا الْمُتَمَرَّ خَلِيطًا  
فَهُمْ يُتَمُونُ أَعْرَا يَا وَيْضُحُونَ نَبِيطًا<sup>(١)</sup>  
[ من البديع إلى الميكالي ]

وله إلى أبي نصر الميكالي يشكو إليه خليفته بهرّة :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ الجليل ، والماله إذا طال مُكُنُّهُ ، ظهر خُبْنُهُ ، وإذا  
سكن مَكُنُّهُ ، تحرّك ثَقْنُهُ ، كذلك الضيفُ يَسْمُجُ لقاءه ، إذا طال قِوَاؤُهُ ، وينقل  
ظِلَّهُ ، إذا انتهى سَحْلُهُ ، وقد حَلَبْتُ أَشْطَرَ خَمَةِ أَشْهَرِ بهرّة وإن لم تكن دار  
مِثْلِي لولا مَقَامُهُ ، وما كانت نَعْنَى لولا ذِمَامُهُ ، ولي في بَيْتِي قَيْسٍ مِثْلُ صَدَقٍ ،  
وإن صَدَرَ مَصْدَرُ عِشْقِي :

وَأَدَّ نَيْتِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلِ يَحْيَى الْمُصَمِّ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ  
تَجَافَيْتَ عَنِّي حَيْثُ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَقْتَ مَا خَلَقْتَ بَيْنَ الْجَوَابِحِ

نعم . قنصتني نِعَمَ الشيخ الجليل ، فلما عَلِقَ الجَنَاحُ ، وَقَلِقَ الْبَرَّاحُ ، طرّت  
مِطَارَ الرِّيحِ ، بل مِطَارَ الرُّوحِ . وتركنتي بين قوم ينقض مشهم الطهارة ،  
وَتَوَهَّنَ أَكْفُهُمُ الْحِجَارَةَ . وحَدَّثت عن هذا الخليفة ، بل الخليفة ، أنه قال :  
قَضَيْتُ لِفُلَانٍ خَمْسِينَ حَاجَةً مِنْذُ وَرَدَ هَذَا الْبَلَدُ ، وَلَيْسَ يَقْبَعُ ، فَمَا أَصْنَعُ ؟ فقلت :  
يَا أَحْمَقُ ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَرَانِي مَحْتَاجًا ، فَاسْتَطِعْ أَنْ أَرَاكَ مَحْتَاجًا إِلَيْكَ . أَفَ  
لِقَوْلِكَ وَلِفَعْلِكَ ، وَلِلْهَرِّ أَخْرَجَ إِلَى مِثْلِكَ ! وَأَنَا أَسْأَلُ الشَّيْخَ الْجَلِيلَ أَنْ يَبَيِّضَ  
وَجْهِي بِكِتَابِ يَسُودُ وَجْهَهُ ، وَيَعْرِفَهُ قَدْرَهُ ، وَيَعْلَمَ رَعِيًّا صَدْرَهُ ، إِلَى أَنْ تَبِينَ  
عَلَى صَفَحَاتِ جَنْبِهِ ، آثَارُ ذَنْبِهِ .

وله إليه يعاتبه :

قد عرف الشيخ الجليل آتاسمي بعبوديته ، ولوعرفت وراء العبودية مكانًا  
لبلغته معه ، وأراني كلما قدمت صُحْبَةً ، رجعت رُتْبَةً ، وكلما طالت خِدْمَةٌ ، قَصُرَتْ

(١) النبط : جماعة من العجم يسكنون سوادا لعراق (م).

حِشْمَة ، ولست عن يذهب عليه أن للسلطان أن يرفع عبداً حبشياً ، ويضع قُرَشِيَّاهُ ، ولكن أحب أن أقف من مكاني على رُثِيَّةِ كوكبها لا يغور ، ومنزلة لَوَّابِها لا يدور ؛ فإذا عرفت قَدْرِي وخطه ، لم أخطئه ، ثم إن رأيت محلى وحدّه ، لم أتمدّه ، إن قدّمتي يوماً عليها علمت أن عناية قدمتي ، وإن أخرى عنها علمت أن جنابة أخرتي . زُفِعَ على اليوم فلانٌ ولست أنكر سِنَهَ وفَضْلَه ، ولا أجد بيتَه وأصله ، ولكن لم تجزِ العادة بقدمه ، لا في الأيام الخالية ، ولا في هذه الأيام العالية ؛ وشديدٌ على الإنسان ما لم يُعوّد ؛ فإن كان حاسدٌ قدّم ، أو كاشح قدّم ، أو خطبٌ قدّم ، أو أمرٌ قد وقع وتم ، فالشيخُ الجليلُ أولى من يعرفه ويعرفني ، وإلا فما الرأي الذي أوجب اصطناعي ، ثم ضياعي ، والسبب الذي اقتضى بيني وبينه ابتياعي ؟

### [ بين المأمون وإبراهيم بن المهدي ]

ولما رضى المأمون عن إبراهيم بن المهدي أمر به فأدخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال : وَلَيْتَ الثَّارَ مُحَكَّمٌ فِي الْقِصَاصِ ، وَمَنْ تَنَاولَهُ الْإِغْتَارَ بِمَا مَدَّلَهُ مِنْ أَسْبَابِ الرِّجَاءِ ، أَمِنْ عَادِيَةِ الدَّهْرِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ ، كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ ، فَإِنْ أَخَذْتَ بِحَقِّكَ ، وَإِنْ غَفَوْتُ فَبِفَضْلِكَ . ثم قال :

ذَنبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ  
فَخُذْ بِحَقِّكَ ، أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ  
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَعَالِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فقال لي : إني شاورتُ أبا إسحاق والباقين في قَتْلِكَ ، فأشاروا به ، قال : فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتَ لهما : بدأناه بإحسان ، ونحن ننتأمره فيه ، فإن غيرَ الله يغير ما به ، قال : أما أن يكونا قد نصحا في عظيم ما جرّت عليه السلسلة



قدّ فعلاً وبلغاً ما يبلغك ، وهو الرأى السديد ، ولكنك آيت ألا تستجب  
النصر إلا من حيث عودك الله . ثم استغبراً كبيراً ، قال له المأمون : ما يبكيك ؟  
قال : جَدُّك ! إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته في الإنعام ، ثم قال : إنه وإن  
كان قد بلغ جرّمي استحلال دمي ، فليُأمِر المؤمنين وقضله بلغاني عذوه ، ولي  
بعدما شفاعة الإقرار بالذنب ، وحقّ الأبوة بعد الأب . قال : يا إبراهيم ، لقد  
حُبِّبَ إلى العفو حتى خِفْتُ ألا أُوجِرَ عليه ، أما لو علم الناسُ مالنا في العفو من  
الآفة لتترّبوا إلينا بالجنايات ، لا تُثَرِّبَ عليك ، يفرّ الله لك ، ولو لم يكن في  
حقّ نبيك ما يبلغ الصنح عن جرمك لبلغك ما أملت حسن تَصَلُّك ولطف توصلك  
ثم أمر بردّ ضياعه وأمواله ، قال :

رددت مالي ولم تَخَلْ عليّ به      وقبل ردّك مالي قد حَقَّنْتُ دمي  
وقام عليك بي فاحتجّ عندك لي      مقام شاهدٍ عدلٍ غير متهمٍ  
فلوبذلت دمي أبى رضاك به      والمال حتى أسلّ الثقل من قدسي  
ما كان ذاك سيوى عارية سَلَفْتُ      لو لم تنهبا لسكنت اليوم لم تَلَمْ  
أخذ معنى قول المأمون : « لقد حُبِّبَ إلى العفو حتى خفت ألا أُوجِرَ عليه »  
أبو تمام الطائي قال :

لو يعلمُ العافون كم لك في الندى      من لذة وقر يحسّه لم تَخْجِدِ  
فكان أبو تمام في هذا كما قال أبو العباس المعتز في القاسم بن عبيد الله :  
إذا ما مدحناه استعنا بفضله      فتأخذ معنى قولنا من فضله  
وكان تصويبُ إبراهيم لرأى أبي إسحاق المتصم والعباس بن المأمون ألطف  
في طلب الرضا ودفع المكروه واستأثمتها إلى العاطفة عليه من الإزراء عليهما في  
رأيهما ، وكان إبراهيم يقول : والله ما عفا عنى لرحم ولا لحبة ؛ ولكن قامت له  
سوق في العفو كره أن يفسدها [ بي ] .

وكان المأمون شاور في قتل إبراهيم أحمد بن أبي خالد الأخول ، قال :

إِنْ قَتَلْتَهُ فَكَتْظِيرٌ ؛ وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَلَا تَغْيِرَ لَكَ ؛ فَأَخْتَارَكَ الْمَعْفُو .

[ بَيْنَ لِلْأَمُونِ وَإِسْحَاقَ بْنِ الْعَبَّاسِ ]

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِإِسْحَاقَ بْنِ الْعَبَّاسِ : لَا تَحْسَبْنِي أَغْلَقْتُ أَمْرًا مِنْ الْمَهْدَى وَتَأْيِيدِكَ لَهُ ، وَإِقَادَكَ لِنَارِهِ .

قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَجْرَامُ قَرِيشٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْبَرُ مِنْ جُرْمِي إِلَيْكَ ؛ وَلَوْ رَحِمِي أَمْسَ بَكَ مِنْ أَرْحَامِهِمْ ؛ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ ؛ عَلَى نَبِيْنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِإِنْجُوتِهِ : « لَا تُشْرِبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » . وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَارِثٍ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي الطَّوْلِ ، وَمِثْلٍ لِحَالِ التَّعَفُّو وَالْقَضَل .

قَالَ : هِيَئَاتِ ! تِلْكَ أَجْرَامُ جَاهِلِيَّةٍ عَفَا عَنْهَا الْإِسْلَامُ ، وَجُرْمُكَ جُرْمٌ فِي إِسْلَامِكَ ، وَفِي دَارِ خِلَافَتِكَ .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَوَاللَّهِ لِلْسَّلَامِ أَحَقُّ بِإِقَالَةِ الْقَتْلَةِ وَغَفْرَانِ الذَّنْبِ مِنَ الْكَافِرِ . وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِذْ يَقُولُ : « وَسَارِعُوا إِلَى تَصْفِيرِهِ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْبَخَالِيْنَ الْفَيْضِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . وَالنَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نِسْبَةٌ دَخَلَ فِيهَا الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ ، وَالشَّرِيفُ وَالشَّرُوفُ .

قَالَ : صَدَقْتَ ، وَرَيْتُ بَكَ زَنَادِي ، وَلَا بَرَحْتُ أَرَى مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالَكَ .

[ رَجُلٌ يَسْتَعْطِفُ بَعْضَ الْمُلُوكِ ]

وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ وَقَدْ وَفَّقَ بَيْنَ يَدَيْهِ : أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَذَا أَذَلَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ الْيَوْمَ ، وَهُوَ عَلَى عِقَابِكَ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى عِقَابِي ، إِلَّا مَا نَظَرْتَ فِي أَمْرِي نَظَرَ مَنْ بُرِّئِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ سُقْيِي ، وَبِرَاءَتِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَلِيَّتِي .

[ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَرُوحِ بْنِ زَيْنَاعٍ ]

وَأَرَادَ مَعَاوِيَةُ عِقَابَ رُوحِ بْنِ زَيْنَاعٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أُنَشِّدُكَ اللَّهَ تَعَالَى

أَلَا تَضَعُ مَنِي خَيْسَةَ أَنْتَ رَفَعْتَهَا ، أَوْ تَنْفُضُ مَنِي مَرِيرَةَ <sup>(١)</sup> أَنْتَ أَرَمْتَهَا ، أَوْ تَسْتَمِتُ  
بِي عَدُوًّا أَنْتَ كَبَيْتَهُ ، وَحَاسِدًا بِكَ وَقَمْتَهُ <sup>(٢)</sup> ؛ وَأَسْأَلُكَ بِاللَّهِ إِيَّا أَرَبِي <sup>(٣)</sup> حَيْثُكَ  
عَلَى خَطَايَا وَصَفَحَكَ عَلَى جَهْلِي .

قَالَ مَعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا اللَّهُ تَعَالَى عَقَدَ شَيْءًا تَيْسَرًا :

أَشَارَ إِلَى هَذَا أَبُو الطَّيِّبِ اللَّيْثِيُّ إِذَا قَالَ :

أَزَلَّ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكَبَيْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَهُمْ لِي حَسَدًا  
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُنْمَدًا

[ عَفْوُ اللَّوْكَ ]

وَعَتَبَ لِلْأَمُونِ عَلَى بَعْضِ خَاصَتِهِ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ قَدِيمُ الْجُرْمَةِ لِلْأَمُونِ وَبَعْضُ  
وَحْدِيثِ التَّوْبَةِ يَحْتَوِيَانِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ . قَالَ : صَدَقْتَ ، وَعَقَا عَنْهُ .

وَكَانَ فِي مَلُوكِ قَارِسٍ مَلِكٌ عَظِيمُ الْمُلْكَةِ ، شَدِيدُ النِّقْمَةِ ، قَرِيبٌ لَهُ صَاحِبُ  
الطَّبِيخِ طَعَامُهُ ، فَتَقَطَّعَتْ نُقْطَةً مِنَ الطَّعَامِ عَلَى الْمَائِدَةِ ، فَرَوَى لَهُ الْمَلِكُ وَجْهَهُ ، وَعَلِمَ  
صَاحِبُ الطَّبِيخِ أَنَّهُ قَاتَلَهُ ، فَسَدَّ إِلَى الصَّحْفَةِ فَكَفَّهَا عَلَى الْمَائِدَةِ ثُمَّ وَلَّى ، قَالَ لَهُ  
الْمَلِكُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سَقُوطَ النُّقْطَةِ أَخْطَأْتُ بِهَا يَدَكَ  
وَلَمْ يَحْزِنْ بِهَا تَعَمُّدُكَ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي الثَّانِيَةِ ؟ قَالَ : اسْتَحَيْتُ لِلْمَلِكِ أَنْ يُوجِبَ قَتْلِي ،  
وَيُبَيِّعَ دَمِي مِثْلِي ، فِي سَبْيٍ وَسُخْرٍ مَتَى ، وَقَدِيمُ اخْتِصَاصِي وَخِدْمَتِي ، فِي نُقْطَةِ أَخْطَأْتُ  
بِهَا يَدِي ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَغْضُمَ ذَنْبِي لِيَحْسُنَ بِالْمَلِكِ قَتْلِي .

قَالَ : لِئِنْ كَانَ اعْتِذَارُكَ يُنَجِّيكَ مِنَ الْقَتْلِ ، فَلَيْسَ يُنَجِّيكَ مِنَ التَّأْدِيبِ ؛  
أَجْلِدُوهُ مِائَةً جَلْدَةً ، وَاخْلَعُوا عَلَيْهِ خَلْعَ الرِّضَا .

وَخَرَجَ بِهِرَامُ جَوْرٌ مُتَصِيدًا فَفَنَّ لَهُ حِمَارٌ وَحَشِي ، فَأَتْبَعَهُ حَقِي صَرْعَهُ ، وَقَدْ  
اقْطَعُ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَزَلَّ عَنْ فَرْسِهِ يَرِيدُ ذَنْجَهُ ، وَبَصُرَ بِرَاجٍ قَالَ : أَنْسِكَ  
عَلَى فَرْسِي ، وَتَشَاغَلَ بِذِيحِ الْحِمَارِ ، وَحَانَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ ، فَظَنَرَ إِلَى الرَّاعِي يَقْطَعُ  
جَوْهَرًا عِذَارَ فَرْسِهِ ، لِحَوْلِ بِهِرَامِ جَوْرٍ وَجْهَهُ وَقَالَ : تَأَمَّلُ الْعَيْبَ عَيْبًا ، وَغُفُوبَةَ

(١) أَصْلُ الْمَرِيرَةِ الْحَبْلُ لِلْهَكْمِ الْقَتْلِ (م)

(٢) وَقَمْتَهُ : قَهَرْتَهُ وَأَذَلَّاهُ (م)

(٣) أَرَبِي : زَادَ (م)

من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سقّه ، والغزو من أفعال الملوك ، وسُرعة العقوبة من أفعال العامة .

ثم قال : يا غلام ، ما بال شرباً بك يضطربُ لعلك آذاك تكسبنا أرضك بموافر خيلنا ، فقال : نعم ، وقد عزمتُ على أن أخلع مائة فرسخ ، قال بهرام : لا تُرْع ؛ فهذا الموضع وما فيه لك ، وكان الراعي خبيثاً ، فقال : إن الملوك إذ قالت قولاً كتمت على قولها ، فرجع بهرام إلى عسكره وقال : انبمى لأوثق لك من هذه الأرض ، فاتبه ، فلما بصر به الوزير قال : أيها الملك السعيد ، إني لأرى جوهر عذار فرسك مُقلّبا ، فنبسم وقال : أخذه من لا يرده ، ورآه من لا ينم به ، فتن أخذه صاحبنا ولا نطالبه به .

\*\*\*

قل ابن الرومي قول بهرام : « تأمل العيب عَيْبٌ » كما اتفق موزوناً فقال :

تَأْمَلُ الْعَيْبَ عَيْبٌ	مَا فِي الذِي قُلْتُ رَيْبٌ
وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ	دُونِ الْعَوَاقِبِ عَيْبٌ
وَرَبِّ جِلْبَابٍ هَمٍّ	فِيهِ مِنَ الصَّنْعِ جَيْبٌ
لَا تَحْقِرَنَّ سَيْنِيَا	كَمْ قَدْ خَيْرٌ سَيْبٌ <sup>(١)</sup>

أخذ البيت الأخير من قول الطائي :

رُبَّ قَلِيلٍ غَدًا كَثِيرٌ      كَمْ مَطَرٍ بَدُوهُ مُطِيرٌ

وقوله :

لَا تَزِيلَنَّ صَغِيرَ هَمِّكَ وَانْظُرْ      كَمْ بَنَى الْأَثَلُ دَوْحَةً مِنْ قَضِيبٍ

وقد أعاد ابن الرومي قوله :

وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ      دُونِ الْعَوَاقِبِ عَيْبٌ

(١) سَيْبٌ : تصغير سيب ، والسبب - بالفتح - المطاء .

في قصيدته التي مدح بها أحمد بن محمد بن ثوابه حين ساوره ، وقال : لو أتى ليبد  
لتمجّب منه ، فاستعجزله وقال :

وَلَمَّا دَعَانِي لِلتَّوْبَةِ سَعِيدٌ      بَرَى الْمَدْحَ عَارًا قَبْلَ بَذْلِ التَّوْبِ  
تَنَازَعْنِي رَغْبٌ وَرَهْبٌ كِلَاهُمَا      قَوِيٌّ ، وَأَغْيَانِي طُلُوعُ التَّعَابِ  
قَدَّمْتُ رَجُلًا رَغْبَةً فِي رَغْبَةٍ      وَأَخَّرْتُ رَجُلًا رَهْبَةً لِّلْعَاطِ  
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي وَأَرْجُو مَقَازَهَا      وَأَسْتَارُ غَيْبَ اللَّهِ دُونَ النُّوَائِبِ  
أَلَا مَنْ يُرِينِي غَايَتِي قَبْلَ مَذْهَبِي      وَمِنْ أَيْنَ وَالنَّيَابَاتُ بَعْدَ اللَّذَاهِبِ

[ من اعتنارات البديع ]

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان إلى أبي على إسماعيل يعتذر إليه :  
سوء الأدب من سكر النَّدْب، وسكر التَّضْب من الكِبَار التي تنأى عنها التَّغْفِيرَة ،  
وَتَسْمُهَا الْمَذْرَعَة ، وقد جرى بِحَضْرَةِ الشَّيْخ مَا جَرَى ، وقد أَقْنَيْتُ يَدِي عَصَا ،  
وَأَسْتَأْنِي رِضَا ، وَإِنْ لَمْ أَوْفِ مَا جَرَى فَالْمَذْرَعَةُ أَمْدٌ خَطَا ، فَإِنْ كَانَ بِسَاطِلِ يَطْوِي ،  
وَحَدِيثًا لَا يُرْوَى ، فَأَوَّلِي مِنْ عَذْرِ الْإِلَاعِبِ ، وَأُخْرَى مِنْ غَفْرِ الصَّاحِبِ ؛ وَلَئِنْ  
كَانَ مِثْقَالُ يَنْفَرٍ ، وَسِبْيَا يُذْكَرُ ، فَلْيَكُنِ الْعَقَابُ مَا كَانَ ، إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَجْرَانُ ،  
عَلَى أَنِّي قَدْ أَخَذْتُ قِسْطِي مِنَ الْعَقَابِ ، وَاسْتَفَدْتُ مِنْ رَدِّ الْجَوَابِ ، مَا كَفَى وَأَوْجَعَ  
الْقَفَا ؛ فَكَانَ مِنْ مُوجِبِ أَدَبِ الْخِدْمَةِ ، إِيقَاءُ الْحِشْمَةِ لَوِى النِّعْمَةِ ، بِاحْتِمَالِ الشُّمِّ ،  
وَالْإِغْضَاءِ عَنِ الْخُصْمِ ، لَكِنِّي أَخَذْتُ بِي ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ لَا يَسْتَلِمُ صَاحِبُهَا : الْعَبْ  
وَسُكْرُهُ ، وَالْخُصْمُ وَهَيْجَرُهُ ، وَالْإِدْلَالُ وَالثَّقَّةُ ، وَهُنَّ اللُّوَاتِي حَمَلْنِي عَلَى مَا الْوَجْهِ  
فَهَرَقْتُهُ ، وَحِجَابِ الْحِشْمَةِ فَخَرَقْتُهُ ، وَقَدْ مَنَعْنِي الْآنَ قَرِظُ الْحَيَاءِ مِنْ وَثْكِ  
الْقَاءِ ، وَهَمْزِي بُوْجْهِ وَهُوَ أَصْفَقُ مِنَ الْمُدْمِ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى جَهْلِهِ ، وَأَوْقَعَ  
مِنَ الْعَهْرِ الَّذِي أَحْوَجَنِي إِلَى أَهْلِهِ ؛ لَكِنِ النِّعَمُ إِذَا تَوَالَتْ عَلَى وَجْهِ رَقَّتْ  
قِسْرَتُهُ ، وَأَلَا نَتِ بَشَرَتُهُ ؛ وَأَنَا مُنْتَظَرٌ مِنَ الْجَوَابِ مَا يَرِيشُ جَنَاحِي إِلَى خِدْمَتِهِ ،  
فَلِإِنْ رَأَى أَنْ يَكْتُبَ قَمَلٌ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وله رقة إلى أبي علي بن مشكويه أولها :

ويا عَزَّ إِنِّ وَاثِي وَثِي بِيْ عِنْدَكَ      فَلَا تُنْهَلِيهِ أَنْ يَقُولِيْ لَهُ : مَهْلًا

كَأَلَوْ وَثِي وَاثِي بَمَرْءَةٍ عِنْدَنَا      لَقُلْنَا : تَرْحُحْ لِقَرِيْبًا وَلَا أَهْلًا

بلغني أطال الله بقاء الشيخ أن قيصة كلب<sup>(١)</sup> وافته بأحاديث لم يُعبرها  
الحق نورَه ، ولا الصدق ظهورَه ، وأنه — أدام الله عزَه — أذن لها على كمال  
أذنه ، وفسح لها فناء ظنّه ، ومعاذ الله أن أقولها ، وأستجيز معقولها ؛ بل قد كان بيني  
وبين الشيخ عتاب لا ينزل كنفه ولا يحذف ، وحديث لا يتعدى النفس وضميرها ،  
ولا يعرف الشفة وسميرها ، وعزبده كمرْبدة أهل الفضل ، لا تتجاوز الدلال  
والإدلال ، ووحشة لا يكشفها عتاب خُفلة ، ككتاب جعظة ، فسيحان مَنْ رَبِّي  
هذا الأمر حتى صار أمراً ، وتأنط شراً ، وأوجب عذراً ، وأوحش حرّاً .  
وسبحان مَنْ جعلني في حَيَزِ العدو أشيم بآريقته ، وأنخوف صاعقته ، وأنا للسكاه  
إليه ، والجاني عليه ، ولكن من بُلي من الأعداء بمثل ما بُليت ، ورُمي من الحسد  
بما رُميت ، ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت ، واجتمع عليه من المكاريه  
ما وصفت ، اعتذر مظلوماً ، وضحك مشتوماً ، ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدِّد ،  
وأبناء العدد ، بهذا البلد ، ممن ليس له مُمْ إِلَّا في سعاية أو شكايه أو حكاية أو  
نكايه ، لفضن بعشرة غريب إذا بدر ، وبعيد إذا حضر ، ولصان مجلسه عن  
لا يصونه عارقي إليه ، وهبني قدقلت ماحكي ، أليس الشائم مَنْ أُنْتَمِع ، والجاني  
مَنْ أُلْبِغ ؟ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفساً  
لا تستفز ، وجبلا لا يهز ، وشوا إلى خدمه بما أرثوا نارهم<sup>(٢)</sup> ، وورد على ما قالوه فما  
لبثت أن قلت :

فَإِنْ تَكُ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمِي وَقَوْمِهَا      فَإِنِّي لَهَا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ سَلَمٌ

(١) القيصه ، بالكسر : قطعة صغيرة من العظم ، والكلام على التشبيه (م)

(٢) أرثوا نارهم : أجبوها وأشعلوها (م)

وليم الأستاذ أن في كبد الأعداء منى جرة ، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة ،  
 وقصارهم ناز يشبونها ، وعقرب يذبونها ، ومكيدة يطلبونها ، ولولا أن الذر  
 إقرار بما قيل ، وأكره أن أستقبل ، لبسط في الاعتذار شاذرانا ، ودخلت في  
 الاستقالة ميدانا ، لكنه أمر لم أضغ أوله ، فلم أتدارك آخره .

وقد أبى الشيخ أبو محمد — أيده الله — إلا أن يوصل هذا النثر القار  
 بنظم مثله فما كه يلحن بضه بعضا :

مولاي إن عدت ولم ترض لي	أن أشرب البارد لم أشرب
أنتط خدي وانتعل ناظري	وصد بكفى حمة التقرب
تالله ما أنطق عن كاذب	فيك ، ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكذب المفترى	كالصحو عقب المطر الصيب <sup>(١)</sup>
إن أجتري النطقة من سيدي	فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفسد الزور على ناقد	فالخر قد يعصب بالثيب

ولعل الشيخ أبا محمد — أيده الله — يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم  
 واللسان ؛ فنعم رائد الفضل هو ، والسلام .

فقر من أكلام سهل بن هرون للمأمون

كان المأمون استنقل سهل بن هرون ، فدخل عليه يوما ، والناس على  
 مراتبهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ؛ فلما فرغ من كلامه  
 أقبل سهل بن هرون على الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تسمعون ، وتشاهدون  
 ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتتعجبون ولا تنصفون ؟ والله إنه ليقول  
 ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عزبكم كعجبكم ،  
 وعجبكم كعبيدكم ، وليكن كيف يتعرف الدواء من لا يشمر بالداء ؟ فرجع  
 المأمون فيه إلى الرأي الأول .

(١) في الرسائل ( ١٦٠ بيروت ) « فالصفو بعد الكذب المفترى »

[ من ترجمة سهل بن هرون ، وأخياره ]

وكان أبو عمرو سهل بن هرون من أهل ميسان<sup>(١)</sup> نزل البصرة فنسب إليها ،

وهو القائل :

يا أهل ميسان السلام عليكم      الطييون القرعُ والجذمُ  
أما الوجوهُ ففِضَةٌ مَزِجَتْ      ذهباً وأيدٍ سَحَةٌ هُضْمُ<sup>(٢)</sup>  
أترِيدُ كَلْبٌ أَنْ أَناسِها      قد قلَّ من كَلْبٍ بِيَ الحِلْمِ  
أجلتُ بيتاً فوق راية      فرعُ النجومِ كأنه نَجْمُ  
كَبِيتَ شَرَّ وسطِ مجهله      يفتنائه الجفْلانُ والبُهْمُ

وكان سهل شعوريا ، والشعرية : فرقة تنصّب على العرب وتنقصها ، وكان

أبو عبيدة يُرمى بذلك .

وسهل ظريفٌ عالمٌ حسنُ البيان ، وله كتبٌ ظريفةٌ صنّفها معارضا للأوائل

في كتبهم بما لا يستنوبه منهم ، حتى قيل له « بزجهر الإسلام » وقال يمدح رجلا :

عدوٌّ تلادٍ للسال فيما يتوبُهُ      متوَعٌ إذا ماتَمَتُهُ كان أخْرَما

مذللٌ نفسٌ قد أَبَتْ غيرَ أن تَرى      مكارِهَ ما تأتي من العيش مَغْنا

وهذا نظير قوله في كتاب « ثغلة وُغرة » الذي عارض به كليله ودنية : اجملوا

أداء ما يَجِبُ عليكم من الحقوق مقدما قبل الذي تجودون به من تفضلكم ؛ فإن

تقديم النافذة مع الإبطاء عن القريضة مظهر على وَهْنِ العقيدة ، وتقصير

الروية ، ومُضِرٌّ بالتدبير ، غلٌّ بالاختيار ، وليس في نفع محمدية يعوّض من

فساد الرودة ولزوم النقيصة . وكتابه هذا مملوء حكما وعلا . وسهل القائل :

تَقَسَّمْني هَمانَ قد كَسَفًا بالي      وقد تركا قلبي محسلةً بأبال

هما أذْرَيًا دَمِي ، ولم تذر عَبرتي      رهينة خِذَرِ ذاتِ سَمَطٍ وخَلخال

ولا قهوة لم يَبْقَ منها على اللدى      سوى أن تحاكي النور في رأس ذِئال

تحلّل منها جرّما وتماسكت      لها نفسٌ معدوم على الزمن الخال

(١) ميسان - بفتح فيكون - بين واسط والبصرة (م)

(٢) هضم : جمع هضم ، واليد الهضم : التي تجود بما لديها (م)



ولكنما أبكى بَعَيْنٍ سَخِينَةٍ      على حَدَثِ تَبْكِيٍّ لَهُ حَقِينُ أَثْمَالِ  
فراق خليل لا يقوم به الأُمِّي      وَخَلَّةٌ حُرَّةٌ لَا يَقُومُ لَهَا مَالِي  
فوا حسرتي حَقٌّ مَتَى الْقَلْبُ مُوجِعٌ      لَقَدْ خَلِيلٌ أَوْ تَعَذَّرَ إِفْضَالِ  
وما الْقَضْلُ إِلَّا أَنْ تَجُودَ بِنَائِلِ      وَإِلَّا لِقَاءُ الْخَلِّ ذِي الْخُلُقِ الْعَالِ  
وهو القاتل :

إذا امرؤ ضاق غنى لم يَصِقْ خُلُقِي      من أَنْ يراني غَنِيًّا عَنْهُ بِالْيَاسِ  
لا أطلبُ لِلْأَلِ كَيْ أَغْنَى بِفَضْلِهِ      مَا كَانَ مَطْلَبُهُ قَرَأَ إِلَى النَّاسِ  
وَأُنْشِدْ لَهُ الْجَاهِظُ يَهْجُو رَجُلًا :

من كان يَعْمُرُ مَا شَادَتْ أَوَانُهُ      فَأَنْتَ تَعْمُرُ مَا شَادُوا وَمَا سَمَكُوا  
ما كان في الْحَقِّ أَنْ تَحْوِي ضَالَهُمْ      وَأَنْتَ تَحْوِي مِنَ الْوِثَاكِ مَا تَرَكُوا

وقال محمد بن زياد الزبدي : وجدت<sup>(١)</sup> على سهل بن هرون في بعض الأمر،  
فهجوته ، فكتب إلي : أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذي ضَنْ بكَ ، في غير  
مَقْلَبَةٍ لَكَ<sup>(٢)</sup> ، ولا سَلَوَةٍ عَنْكَ ، بل استسلامٌ لِقَبُولِي في أمرك ، وإقراراً بالمسجزة  
في استعطافك ، إلى أوان فيثتك<sup>(٣)</sup> ، أو يجعل الله لنا دَوْلَةً من رجبتك ، والسلام .  
وكتب في أسفل الكتاب :

إِنْ تَغْفُ عَنْ عَبْدِكَ لِلْسَّوءِ      غَفُوكَ مَأْوَى لِلْفَضْلِ وَاللَّيْنِ  
أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُّ مِنْ خَطَا      فَجُدْ بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ

[ من عِظَاتِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ]

وقال الحسن البصري رحمه الله في يوم [ فطر ] وقد رأى النَّاسَ وَهِيَاتِهِمْ :  
إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَلَّ رَمَضَانُ مَضْمَرًا تَخْلِقُهُ ، يَسْتَقْبِلُونَ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى  
مَرْضَاتِهِ ، فَسَبَقَ قَوْمٌ قَازُوا ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ خَابُوا ، فَالْمُعِجِبُ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاعِبِ

(١) وجدت عليه : حقدت أو غضبت (م) (٢) القلية : الكراهية (م)

(٣) فيثتك : رجوعك (م)

في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، وَيَخْسَرُ فِيهِ الْبَاطِلُونَ ، أما والله لو كشف  
النطاء لشغل محسن بإحسانه ومُسيء بإساءته .

ونظر إلى قوم منصرفين من صلاة الفطر يتدافعون ويتضاحكون ، قال :  
الله المستعان ! إن كان هؤلاء قد تفرّرعندهم أن صومهم قد تُقبِل فما هذا محلُّ  
الشاكرين ، وإن علموا أنه لم يقبل فما هذا محلُّ الخائبيين .

وكان الحسن من المخطيئة النساءك الفقهاء الأجواد ، ويقال : إنه لم يكن تابعي  
أفضل منه .

هذا قول أهل العراق جميعاً ، وأهل الحجاز يقدمون سعيد بن المسيب  
عليه ، وكان سعيد أجسَنَ من الحسن ورَعَا ، وأشَدَّ الناسَ حَذَرًا ، وأقلهم  
كلاماً . وكان الحسن لا يدع أن يتكلّم بما هَجَسَ في نفسه ، وجأشَ في صدره .  
وعلى ذكر الحسن شهر رمضان قول :

ألفاظ لأهل المص ، في التهنة بإقبال شهر رمضان .

مع ما يتصل بها من الأدعية

ساق الله تعالى إليك سعادة إلهاله ، وعرفك بركة كاله . قسم الله لك من  
فضله ، ووفّقك لقرضه ونفله . لقاءك الله ما ترجوه ، ورقاك إلى ما تحبه فيما  
تتله . جمل الله ما أظلك من هذا الصوم مقروناً بأفضل القبول ، مؤذناً  
بذكرك البتّة ونجّح للأمول ، ولا أخلاك من برّ مرفوع ، ودعاه مسموع . قابل  
الله تعالى بالقبول صيامك ، وبعظيم الثوبة تهجّدك وقيامك . عرفك الله من  
بركاته ما يرّيني على عدد الصائمين والقائمين ، ووفّقك الله تعالى لحصيل أجر  
التهجّدين . أسأل الله تعالى أن يضاعفه بمنه لك ، ويحمله وسيلة بقبوله إلى مرضاته  
عنك . أعاد الله إلى مولاي أمثاله ، وتقبّل فيه أعماله ، وأصلح في الدين والدنيا  
أحواله ، وبلّغه منها آماله . أسعدك الله بهذا الشهر ، ووفاه فيه أجزل الثوبة  
والأجر ، ووفّر حظّه من كل ما يرتفع من دُعاء الدّاعين ، ونزل من ثواب العاملين ،

بل مساعيه وزكاها ، ورفع درجاته وأعلاها ، وبلغته من الآمال مُنتهاها ،  
لَقَرَّ بِأَبدِها وأَصلِها .

وقال الحسن : من أخلاق المؤمنين قوة في دين ، وحزم في دين ، وحزم في دين ، وحزم في دين ،  
العلم ، وقناعة في فقر ، ورحمة للمجهود ، وإعطاء في حق ، وبر في استقامة ،  
قوة في يقين ، وكسب في حلال .

وقال محمد بن سليمان لأبي السماك : بلغني عنك شيء ، قال : لأباهي ، قال :  
أ؟ قال : لأنه إن كان حقاً غفرت له ، وإن كان باطلاً كذبت له .

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك : خير الإخوان ألقهم مصانعة في  
صبيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبة ، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ،  
شرف السلطان ما لم يخالطه البطر ، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحِرص أسيراً ،  
خير الإخوان من لم يخاصم ، وخير الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يختبر وُدُّ  
رجال عند الفاقة والحاجة .

وصف بعضُ البلغاء رجلاً فقال : إنه بسيط الكف ، رَحْبُ الصدر ،  
رَطَّ الأُكناف ، سهْلُ الخلق ، كريم الطباع ، غَيْبٌ مُغِيثٌ ، وَجَرٌ زُخُورٌ ،  
نَحْوُك السن ، بشر الوجع ، بادي القبول ، غير عبوس ، يستبلك بطلاقة ،  
يحبيك ببشر ، ويستند برك بكرم غيب ، وجيل سر ، تهيجك طلاقته ،  
يرضيك بشره ، ضحكك على مائدته ، غبْدٌ لضيافته ، غير ملاحظ لأكيله ،  
طين من العقل ، تحيى من الجهل ، راجع الخلق ، ثاقب الرؤى ، طيب الخلق ،  
نصن الضريبة ، مَنطأ غير سائل ، كاس من كل مَكْرُمة ، عار من كل  
لامة ، إن سئلَ بذلك ، وإن قالَ قَلَّ .

قال أبو الفتح كشاجم :

مزاياك للمتنى من العود والصبا  
فلو كنت ورذاً كنت ورذاً مضاعفاً  
من الریح والصافي الرقيق من الخمر  
ولو كنت طيباً كنت من عنب الشجر

ولو كنت لحناً كنت تأليف مَعْبِدٍ : ولو كنت عوداً ما افتقرت إلى زَمِيرٍ  
وقال أعرابي :

أَلَا حَبِذَا الْبُرْدُ الَّذِي تَلْبَسِيهِ      وَيَا حَبِذَا مَنْ بَاعَكَ الْبُرْدَ مِنْ تَجَرٍ<sup>(١)</sup>  
فَلَوْ كُنْتُ مَاءً كُنْتُ مَاءَ غُلَامَةٍ      وَلَوْ كُنْتُ دُرّاً كُنْتُ مِنْ دُرَّةٍ يَكْرِ  
وَلَوْ كُنْتُ لَهَوّاً كُنْتُ تَعْلِيلَ سَاعَةٍ      وَلَوْ كُنْتُ نَوْماً كُنْتُ إِغْفَاءَ الْقَجَرِ  
وَلَوْ كُنْتُ لَيْلًا كُنْتُ قَمَرَاءَ جُنُبٍ      نَحْوَسَ لَيْلَى الشَّهْرِ أَوْ لَيْلَةَ الْقَدَرِ

---

(١) التجر - بالفتح - اسم جمع، واحده تاجر، ومثله شرب وسفر

---

تم - بحمد الله تعالى ومعاونته - تحقيق الجزء الثاني من « زهر الآداب » ،  
وتمر الأبواب « لأبي إسحاق المصري . ويليهِ - إن شاء واهب التوفيق  
والسداد ، ورازق القدرة والعون - الجزء الثالث مفتوحاً بـ « نبذ من ألفاظ بلغاء  
العصر تجرى في المدح مجرى الأمثال ؛ لحسن استماراتها ، وبراعة تشبيهاتها » .  
نسأله - سبحانه - أن يعين على إكماله بمنّه وفضله ، آمين .

## فهرس الجزء الثانى من كتاب

« زهر الآداب ، ونهر الألباب »

لأبى إسحاق الحصرى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
للتيمى بمدح الفضل بن سهل		ألفاظ لأهل مصر في وصف الطعام ،	٢٤١
— لإبراهيم بن العباس فيه		ومقدماته ، وموائمه ، وآلاته	
لابن الرومى بمدح إبراهيم بن الدبر	٢٥٤	من شعر ابن الرومى في وصف طعام	٢٤٢
— لابن الرومى بمدح ابن طاهر		مقامة لبديع الزمان في وصف الطعام	٢٤٣
من ترجمة الفضل بن سهل		لعلى ابن يحيى للنجم	٢٤٥
مختارات من كلام الفضل بن سهل	٢٥٥	— لابن الرومى يصف اللوزينج	
— من محمد بن طلى إلى محمد بن يحيى		نهم ابن الرومى وحبه للسمك	٢٤٧
— جواب محمد يحيى بن خاله		من الناجم إلى ابن الرومى	٢٤٨
رجل يريد أن ينصح المهدي	٢٥٦	— لابن الرومى يصف العنب الرازق	
— توقعات للفضل بن سهل		ألفاظ لأهل مصر في وصف	٢٤٩
بعض أوصاف الخيل	٢٥٧	الفواكه والتجار	
— ابن القرية يصف قرسا		بعض ما جاء في وصف الليل	٢٥٠
— لعبد الله بن طاهر		— لأعرابي يصف ليل لقاء	
— رجل يريد شراء فرس		— لأعرابي يصف وفاة الصحبة	
— لمحمد بن الحسن بن الحرون		— لجبر يصف يوم صيد	
أبيات تأبط شرأ	٢٥٨	— لإبراهيم بن العباس يصف قصر الليل	٢٥١
— لقبة بن سنان يصف خيلا أهدها		— للأصبهاني يصف يوم لمو	
عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان		— لابن المنذر يصف ليل سرور	
قناة الجدى	٢٥٩	— بين الرشيد وعبد الملك بن صالح	
— لبعض العرب		— لأبى تمام	٢٥٢
— لأعرابي		— للحاعى	
— لأعرابي آخر		— لأهل مصر	
أعرابي يصف خيل بنى يربوع	٢٦٠	سميد بن هريم وصلته بالفضل بن سهل	٢٥٣

من	الموضوع	س	الموضوع
لأبي تمام يصف فرساً	٢٧٠	من عرف قدر النعمة استدامها	
للبحرئى يصف فرساً	٢٧١	بين سليمان بن عبد الملك وحاجبه	—
لإسحاق بن خلف يصف فرس	٢٧٢	بين يونس بن المختار وحاجب المأمون	—
أبي دلف	—	بين رجل والمطى بن أيوب	—
لأبي الفتح كساجم	—	بين المنصور والحارث بن حسان	—
لابن المعز	—	بين المأمون وعبد الله بن طاهر	٢٧٣
لأبي الفتح	٢٧٤	لأبي نواس في هذا المعنى	—
لابن المعز	—	للتائه يارض أبا نواس	—
لأعرابي موله	—	لابن الرومي	—
لابن المعز أيضاً	—	ألقاظ لأهل المصرف العجز عن الشكر	٢٧٥
لعلى بن محمد الإيادي	٢٧٦	لأبي الفتح البستي	٢٧٦
لأبي العباس التائي	—	بين أبي التاهية وعمر بن العلاء	—
لأبي منصور الثعالبي	٢٧٧	من أخبار أبي التاهية	٢٨٠
لابن هاني يصف خيل المعز	—	ولوعه بنية	—
وله يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون	—	المهدي يضرب أبا التاهية مائة سوط	٢٨١
وله يصف فرس إبراهيم بن جعفر	٢٧٨	من شعر أبي التاهية في عتبة	٢٨١
ابن علي	—	بين المهدي وأبي التاهية	—
لعلى بن محمد الإيادي يصف فرس	٢٧٩	الرشيد يحبس أبا التاهية لترك الشعر	٢٨٢
جعفر بن القاسم	—	بشار يمدح عمر بن العلاء	٢٨٣
لأبي الطيب المتنبي	٢٨٠	لأبي سعيد الخزومي في معنى بشار	٢٨٤
مقامة لبديع الزمان فيها وصف فرس	٢٨١	لأبي الطيب المتنبي	—
قولهم في الوعد ومنزلة إنجازه	٢٨٢	لابن هاني	٢٨٢
بين أبي القاسم للسعودي وعيسى	—	رجع إلى عمر بن العلاء	٢٨٣
ابن موسى	—	بينه وبين أبي التاهية	—
بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد	—	لمتنبي في أبي المثنى الحمداني	٢٨٤
بين المهدي وابن دأب	—	لأبي التاهية في الزهد	—
لابن قابوس يمدح يحيى بن خالد	٢٨٥	لأبي نواس	—
لأبي الطيب المتنبي	—	ألقاظ لأهل المصرف في الشكر بدلالة	٢٨٥
لأبي علي البصري في الفضل بن يحيى	—	الحال	—
لابن الرومي	—		

الموضوع	ص
من ابن العميد لمن تزوجت أمه	٤٠٢
ألفاظ لأهل مصر في التهانى بالبنات	٤٠٣
بعض ما لا يمدح به النساء	٤٠٤
— لابن الرومي	—
— للمتني	—
— رجل يمدح زينة أم الأمين	—
— لكثير عرة	—
عزة تفضل الأحوص على كثير	٤٠٥
من الأمانى	٤٠٦
— لأبي صخر الهذلي	—
— لسلم بن الوليد	—
— لآخر	—
بعض أخبار كثير عرة	٤٠٨
— حمقه	—
— كان رافضيا	—
— بين كثير وعبد الملك بن مروان	—
لقيس بن الملوح	٤٠٩
— من جيد شعر كثير	—
قول العرب في الطول أو القصر	٤١١
— لشاعر قديم ، وأنشده أحمد بن عبيد الله	—
— لابن الرومي	٤١٢
— لعترة العيسى	—
— لأبي نواس	٤١٣
— عود إلى أخبار كثيرة نزهة	—
— كثير عند عبد العزيز بن مروان	—
— وهو مريض	—
— نقد سلام الجعفي لشعر كثير	—

الموضوع	ص
لأبي الفضل الميكالي	٢٥٤
لأبي الفتح البقي	٢٥٥
بين نصيب والفرزدق	٢٩٠
لسليم عبد بن الحساس	٢٩١
— للمتني	—
— بين أبي تمام وابن الزيات	—
لابن الزيات يمدح الحسن بن سهل	٢٩٣
— لأبي تمام يمدح ابن أبي دؤاد	—
من أخبار ابن أبي دؤاد	٢٩٥
— غلوه في التصب لإياد	—
— علمه ، وعداوته لابن الزيات	—
— أصله	—
غضبه على أبي تمام ، ثم رضاه عنه	٢٩٦
بين ابن أبي دؤاد والحاجب أبي منصور	٢٩٧
— من براعة خالد بن عبد الله القسري	—
اعتذار أبي تمام للمعتصم عن سابق مدحه للأفشين	٢٩٨
الناقدون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم	٢٩٩
— عبد الله بن أبي سرح	—
— المختار بن أبي عبيد الخارجي	—
— بين أمية بن خالد بن أسيد وعبد الله بن الأهم	—
فصل في غرائب الكتاب	٤٠٠
— من حمدون ابن نهران لعامل عزل عن عمله	—
— من ابن مكرم نصراني أسلم	—
— بعض ما يحسن تركه وإن كان حلالا	—
ما يقال لمن تزوجت أمه	٤٠١

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٤٢٥ من شعره		٤١٤ فصول قصار	
٤٢٦ من شعر الفتح بن خاقان		— من كلام قابوس بن وشمكير	
— كتاب منه إلى عبيد الله بن يحيى		٤١٥ للشعالي يصف شمس المالى قابوساً	
٤٢٧ مما يبعث على الرحيل		٤١٦ لليكالى يمدح قابوساً	
— من الوصايا لمن اعتمر السفر		٤١٧ من رسائل بديع الزمان إلى قابوس	
٤٢٧ قمر في مدح السفر		٤١٩ من أخبار البرامكة	
— في ذم السفر والغربة		٤٢٠ ثمامة بن أشرس يصف جعفر بن يحيى	
٤٢٨ بين المهدي وأبي عبيد الله		— سهل بن هرون يصف يحيى وابنه جعفرأ	
— بين للأمون والفضل بن الربيع		— توقيع لجعفر بن يحيى	
— بين للتصور وأبي مسلم الحراساني		٤٢١ بين جعفر بن يحيى ومروان بن	
٤٤١ جملة في الأوصاف من شعر كشاجم		أبي حفصة	
٤٤٤ الصابي يهذي اسطرلاباً لعدد النوبة		٤٢٢ من قصيدة لزهير بن أبي سلمى	
ويبعث معه بشعر		— تطبيق على هذه القصيدة لقدماء بن جعفر	
٤٤٥ من أوصاف النساء		٤٢٣ لعمد بن منذر في البرامكة	
— لابن الرومي		— مثل من التجنيس لأبي الفضل الليكالى	
— لبعض الشعراء يصف العلم		٤٢٤ لأبي الفتح البستي في هذا للذهب	
— قلب المعنى ليس بسرقة		٤٢٨ قمر في ذكر العلم والطاء	
— لشاعر يصف نساء بالعبالة		٤٣٠ استعارات قفية تلحق بهذا السكان	
٤٤٨ من المعاني ما لا يتقلب		— بين أبي تمام وابن أبي دؤاد	
— بعض ما أخذ على أبي نواس		— بين طاهر بن عبد الله وابن أبي تمام	
٤٤٩ قطعة من شعر أهل مصر في ذكر		٤٣١ ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر	
النجوم		خراسان وسببها	
— لأبي الفتح البستي		٤٣٢ بين ابن ثوبان وابن الرومي	
٤٥١ لأن درست		— بين للنعمان وأبي تمام	
— لمكويه		— لأبي الفضل الليكالى	
— لخوارزمي		٤٣٢ لأبي الفتح كشاجم	
— للصولي		— لبديع الزمان الهمذاني	
٤٥٢ لأن المعز		٤٣٥ أبو على البصري، وشيء من أدبه	
٤١٨ الأسمى وبعض الأعراب		— بينه وبين بعض الطالبيين	
		— بينه وبين بعض الرؤساء	



ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٥٥	لا بن المعز	٤٥١	قمر من كلام الأعراب في ضروب مختلفة
—	وله في القاسم بن عبيد الله	٤٥٦	لامرأة من العرب ترضى ابنها
٤٨٠	لبعض البلغاء	٤٥٦	لأعرابي يمدح رجلاً
—	للمتنبى	٤٦١	بعض أخبار أبي نواس
—	لا بن المعز	٤٦٥	للحسن بن وكيع ، وقد أخذه من أبي نواس
—	مفاخرة بين صاحب سيف وصاحب قلم	٤٦٦	ضرب من الرياء
—	للمتنبى	٤٦٦	من خمریات أبي نواس
—	للتوبختي	٤٦٦	من أخبار بشار بن برد
٤٨١	لا بن الرومي	—	احتذاء أبي نواس على مثال بشار
—	للبسقي	٤٢٥	المهدي يأمر بشاراً بترك الغزل
—	لطبعة بن عبيد الله	٤٧٧	من شعر بشار في الغزل
—	لحمود الأصماني	٤٧٧	لعلى بن الجهم ، وأخذه من بشار
٤٨٢	لأحمد بن جدار	٤٧١	منزلة شعر بشار ومقداره
—	لأبي تمام	—	ولاء بشار
—	لقيم بن الميز القاطمي	٤٧١	من أخبار أبي حذيفة وأصل بن عطاء
٤٨٢	الصدق في النصيحة	—	عود إلى أخبار بشار
—	بين أحمد بن يوسف وغان بن عباد	٤٧٦	كلمات مأثورة
—	من ترجمة أحمد بن يوسف العجلي	—	قمر في مساوي الكذب لصير واحد
٤٨٦	ألقاظ لأهل مصر في ذم المنين	٤٧٨	جزاء الشكر
٤٥٢	عود إلى أحمد بن يوسف العجلي	—	بين الحسن بن سهل والمأمون
٤٨٦	ألقاظ لأهل مصر ، في صفات القلاء	—	من خطب النكاح :
٤٩١	من ترجمة جعظة البرمكي ومن شعره	—	خطبة للمأمون
٤٩٢	السكاكين	—	ما يستعجب من الخاطب والمخطوب إليه
—	بين أحمد بن يوسف والمأمون	٤٧٩	الكتب والأقلام والخط
٣٦٤	لأبي الفتح كشاجم يصف سكيناً سرقته منه		

م	الموضوع	م	الموضوع
١٠٤	ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين	١٠٠	مما كتبه في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي
١٠٥	السمر والنادمة	١٠١	كتاب منه لرئيس هرة
—	بين محمد بن أنس والقاسم بن صبيح	١٠٢	كتاب منه للإمام سهل بن محمد
—	شرط النادرة	١٠٣	كتاب منه للإسماعيلي
١٠٦	بين اليزيدي والمأمون	١٠٤	للقامة الفزارية للبديع
—	بين كوران الغني والشريف الرضي	١٠٥	بين شاعر وعبد الله بن الزبير
—	بين أحمد بن جدار وعمر بن أيوب	١٠٦	فرس ابن الزيت
١٠٧	من إسحاق الموصلي إلى بعض الجلة	—	المزاح
—	من السري الموصلي إلى أخيه يستدعيه	—	بين الحجاج وابن القرية
١٠٨	ملايين العنز	١٠٧	خالف بن صفوان بك كرمساوي للمزاح
—	للحسن بن محمد الكاتب	—	للوراق في مساوي المزاح
١٠٩	من ألفاظ أهل العصر ، في الاستدعاء	—	قفر في هذا النحو لأهل العصر
—	ولهم في استدعاء التراب	١٠٨	الطيرة والزجر
١١٠	ولهم في السكناية عن التراب	—	لأبي حبة الخيري في التفاؤل
—	من الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب	—	مما ينسب قدي الرمة
—	من الحسن بن وهب إلى الحسن بن سهل	١٠٩	عادة الجاهلية والتي عنها
—	لكشاحم	—	للكيت بن زيد الأسدي
١١١	قمر للتبذيرين	١١٠	لشاعر قديم
١١٢	من ألفاظ أهل العصر . في صفات	—	لابن كناسة
—	جالس الأنس	—	بين كثير عزة ورجل نهدي
١١٣	من شعر أبي نواس ، وهو أستاذ هذا الشأن	—	لجبر
١١٤	من رسائل بديع الزمان المحدثاني	—	لعوف الراهب
—	تعزية منه إلى أبي عامر عدنان بن عامر الضبي .	١١١	لأبي الشيمس
١١٥	منه لبعض إخوانه جوابا عن كتاب	—	ابن الرومي كان شديد الطيرة ،
			وبعض أخباره في ذلك
		١١٢	الفرق بين الطيرة والتأمل
		١١٣	من ابن الرومي للقاسم بن عبيد الله
		—	ابن الرومي يرثي ابنة السبي
		١١٤	وله يحزى على بن يحيى في ابنته

الموضوع	ص	الموضوع	ص
كتاب منه للثعالى	٥١١	الرغبة فى موت النبات	٥٣٩
كتاب منه إلى أياه	٥٤٦	لصد الله بن عبدالله بن طاهر	—
كتاب منه يستفتح به مكتبة أخ	—	لعقيل بن علفة	—
قعر من كلامه فى أثناء رسائل شق	٥٤٧	لابن خلف البهرانى	—
قطعة من شعره فى تجنيس القوافى	٥٤٩	عود إلى تطير ابن الرومى	٥٣٠
لأبى الفتح البسقى	٥١٥	بينه وبين أبى الحسن الأخفش	—
أدب الحاجب	—	من آثار تطير ابن الرومى	٥٣٢
بين ملك وحاجبه	—	من ابن الرومى إلى ابن ثوبان فى التطير	٥٣٤
وصية المهدي للفضل بن الربيع	٥٥٠	من مليح الصيفة والزجر	٥٣٦
للحسن بن سهل	—	أبو نواس وبعض أصحابه	—
لبعض البلقاء	—	لأبى عام	—
بين سعيد بن عبد الملك وعبيد الله بن سليمان	—	أحمد بن المدبر والجل الشاعر المصرى	٥٣٧
لأبى السمط بن أبى حفصة	٥٥١	لأبى الفضل لليكالى فى أهل مرو	—
لمروان بن أبى حفصة	—	عبد الوهاب الثقفى يصف رجلا	٥٣٨
لإدريس بن أبى حفصة	—	يرتاح إليه	—
لمعرو بن شاس الأسدى	—	ابن أبى دوداد والجاحظ	—
لقطامى فى ضياء الوجوه والأحساب	٥٥٢	بين الجاحظ وابن الزيات	٥٣٩
لقنقى	—	من كلام على رضى الله عنه فى أعجب ما فى الإنسان	٥٤٠
للحطيئة	—	لمبد الرحمن بن حسان	٥٤١
لقاسم بن حنبل المدنى	—	لمحمد بن حازم الباهلى	—
لوضاح التيمى	٥٥٣	للعاجظ فى ابن الزيات	—
حث الاعتقاق	—	الجاحظ ورجل من البرامكة	—
لمعرو بن أبى ريمة	—	القائمة الجاحظية للبديع	٥٤٣
عما أنشد إسحاق الموصلى	—	من كلام الملوك :	٥٤٤
لإسحاق الموصلى	٥٥٤	من كلام أزدشير بن بابك	—
لأبى نواس	—	من كلام بزرجهر	٥٤٥
لنخلع بن بكار الموصلى	—	من كلام أبو شروان	—
جودة الخط	٥٥٥	من رسائل الميكالى :	—
صفة الخط الجيد لبعض الكتاب	—	كتاب منه للثعالى	—

م	الموضوع	م	الموضوع
٥٢١	وراق يصف عيشه	٥٦٨	لابن الرومي
٥٥٦	لإسماعيل الجندوني	—	لبعض المحدثين
—	حرفة الأدب	—	عود لابن الرومي
—	لبعض الشعراء	٥٦٦	أحمد بن يونس الكاتب يرد على
—	للخريجي	ابن ابراهيم	
٥٥٧	لعلي بن محمد بن بسام	٥٦٧	نبت من النظم والنثر في صفات النور
—	رزق الحقي والمقلد	والزهر	
—	لابن الرومي	—	لعلي بن الجهم
—	لجعفر بن محمد	—	لمحمد بن عبد الله بن طاهر
—	للتظام	—	للتوكل وابن الضحاك
—	بعض أخبار النظام وكلامه	٥٦٩	ظي يأكل نيلوفرًا
٥٥٨	أفكار الوراقين	—	وصف أيام الربيع :
٥٥٩	أطيب اللذات عند الشعراء	—	لابن وكيع
—	امريء القيس	٥٧٠	لأبي الفتح البستي
—	الأعشى	—	لأبي الفضل الميكالي
—	طرفة	٥٧٢	للبحري
—	أبي دلف	—	في مجلس البرد
—	حميد الطوسي والشعر لطرفة	٥٧٣	للبحري في المدح
٥٦٠	يزيد بن عبيد الله	٥٧٤	لابن العزيم الصبوح
—	من شعر الأنصط بن قريع	٥٧٥	لأبي الفتح كشاجم
٥٦١	من أخبار الأنصط بن قريع	٥٧٦	جملة من هذا النوع لأهل العصر
—	وصف الحابر والأقلام :	—	لأبي فراس الحمداني
—	لبعض الكتاب يصف محبرة	—	لابن هاني يصف زهرة رمان
—	لأبي الفتح كشاجم	٥٧٧	قطع تربة لهم في هذا المعنى
٥٦٢	ألقاظ لأهل العصر ، في أوصاف	٥٧٨	ولهم أيضاً في وصف الربيع
—	آلات الكتابة والسوى	٥٧٩	الربيع والرفاق
٥٦٣	أبو الفتح كشاجم يصف آلات	—	الصوم في الربيع
—	الكتابة	—	يوم الشك
٥٦٤	عمال للأموون	٥٨٠	من يدعي الزمان الحمداني لبعض
٥٦٥	وصف الورد والزرجر :	—	أهل همدان

من	الموضوع	من	الموضوع
٥٤٦	لابن العميد	٥٩٦	لأبي تمام
٥٨١	عواقب الطيش	—	لصباة الجرجاني في الحسن بن رجاء
—	طاهر بن الحسين يصف الأمين	—	بين جميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة
—	الأمين والمأمون	٥٩٨	من شعر العرجي
٥٨٢	الأمين يصف طاهر بن الحسين	—	نسب العرجي، وبعض أخباره
٥٨٣	الفصل بن الربيع وابنه وأبوه	٥٩٩	جنه من القصول القصار لابن المعتز
—	بيعة المهدي	٦٠١	من ابن العميد إلى بعض إخوانه
٥٨٤	وقت كلام الملوك	٦٠٣	من بديع ما قيل في الغتاب
—	من كلام الفضل بن الربيع	—	لعيد بن حميد
—	بين المأمون والفضل بن الربيع	٦٠٤	لعيد الله بن عبد الله بن طاهر
٥٨٥	بين النصور والربيع	—	من كلام الأعراب
٥٨٦	لأبي تمام يمدح ابن الزيات	٦٠٥	القائمة البلخية لبديع الزمان
—	سهل بن هارون والرشيد	٦٠٦	كتاب من بديع الزمان لأبي نصر
—	من شعر الفضل بن الربيع	—	الميكالي يشكو إليه خليفته بهراة
٥٨٧	بين ابن خاقان وأبي العيلاء	٦٠٧	من البديع للميكالي يعاتبه
—	وصف دابة	٦٠٨	بين المأمون وإبراهيم بن المهدي
٥٨٨	قطعة من رسالة من إنشاء أبي الخطاب الصابي	٦١٠	بين المأمون وإسحاق بن العباس
٥٩٠	الحمدوني وشاة سعيد بن أحمد	—	رجل يستعطف بعض الملوك
٥٩١	الحمدوني وطيلسان ابن حرب	—	بين معاوية وروح بن زنباع
٥٩٤	للمأمون والحسن بن رجاء	٦١١	عفو الملوك
—	بديهة للبرد	—	للمأمون وبعض خاصته
—	البرد عند التوكل	—	بعض ملوك فارس وطباخه
٥٩٥	أدب أبي العباس البرد	—	بهرام جور وراع
—	بين البرد وابن المعتز	٦١٢	من شعر ابن الرومي
—	في اللدغ	٦١٣	من اعتقادات بديع الزمان
—	لأعرجي	٦١٥	قهر من كلام سهل بن هارون
—	لابن المعتز	—	للمأمون
—	للاخطل		
—	لابن هرمة		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أخلاق المؤمن	٦١٩	من ترجمة سهل بن هارون	٦١٦
خير الإخوان	—	وأخباره	
وصف رجل	—	من عظات الحسن البصري	٦١٧
لأبي الفتح كشاجم	—	ألقاظ لأهل العصر في التهئة بإقبال	٦١٨
لأعرابي	٦٢٠	شهر رمضان	

تمت فهرس الجزء الثاني من زهر الآداب للحصري ، والحمد لله أولاً وآخراً  
وصلاته وسلامه على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه













